الدكتور كامل محمود خلة

فلسطين

والانتداب البريطاني

1922 - 1939

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية



والانتداب البريطاني

1922 - 1939

الطبعـة الاولـى
1974
(مركز الابحاث - بيروت)

الطبعة الثانية
1391 و.ر- 1982م

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية



تمهيد

لا يزال الدارسون العرب مقصرين في دراسة التاريخ الفلسطيني ، بالرغم من نمو وانتشار دراسات القضية الفلسطينية ومسألة الصراع العربي - الصهيوني . وعلى الرغم من أهمية دراسة القضية والصراع المذكورين ، ومع انهما يشكلان الجزء الاهم من التأريخ الفلسطيني الحديث بشكل عام ، يظل امامنا عدد من الجوانب غير المدروسة درسا كافيا في التاريخ الفلسطيني . وربما كان اولها وعلى رأسها موضوع فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ، وبشكل أدق علاقة عرب فلسطين مع سلطات الانتداب البريطاني .

ومع ان اكثر من كاتب تناول هذا الموضوع من ناحية واحدة من نواحيه ، فان الحاجة لا تزال ماسة الى دراسة النواحي الاخرى . والواقع ان الدكتور عبد الوهاب الكيالي قد اسهم اسهاما مشكورا في هذا المجال ، فنشر خيرة الكتب في هذا الموضوع ، دراسات ووثائق . وقد اغنى المكتبة التاريخية بشكل خاص من حيث اعتماده على الاوراق الرسمية البريطانية ، ومعظمها لم يكن منشورا حتى تاريخ اطلاعه عليها .

وها هو الدكتور كامل محمود خلة يقدم ، في هذا الكتاب ، اثراء اخر الى المكتبة التاريخية الفلسطينية بدراسة تعتمد الى حد بعيد على الصحف العربية ، الفلسطينية وغير الفلسطينية ، وعلى شهادات وإوراق عدد من السياسيين العرب ، الفلسطينيين وغير الفلسطينيين ، حول طبيعة العلاقات الفلسطينية

البريطانية في الثلثين الاولين من سني الانتداب البريطاني على فلسطين .

وقد كان الكتاب في الاصل بحثا قدمه صاحبه للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث في جامعة القاهرة ، تحت اشراف الاستاذ الدكتور محمد احمد انيس ، وذلك في صيف 1972 .

والكتاب سرد امين وناجح للاجراءات البريطانية لتهويد فلسطين بين العامين 1922 و 1939 . انه يفضح هذه المؤامرة التي ادت في النهاية ، اثر نجاحها في 1948 ، الى تشرد شعب فلسطين وضياع ارض فلسطين وزرع دولة دخيلة في قلب الوطن العربي ، وهو يفضحها بالحجة والاثبات ، مما يجعل من الكتاب مادة مرجعية رئيسية لا غنى لاي دارس عنها ، بعد اليوم ، في اية محاولة للمضي في تأريخ فلسطين في سنوات الانتداب الحاسمة والحرجة جدا .

واود ، وانا اقدم هذا الكتاب ، ان اشدد على ان جميع الآراء التي ترد فيه انما هي تعبر عن وجهة نظر صاحبها ولا تعكس ، بالضرورة ، آراء مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . ولا شك ان عددا من القراء سيجدون في بعض آراء المؤلف واجتهاداته مادة للنقاش . و« شؤون فلسطينية » ، الدورية التي يصدرها مركز الابحاث لمناقشة المسائل الفلسطينية ، ترحب بان تكون منبرا لاي نقاش حول ما جاء في هذا الكتاب .

انيس صايغ
المدير العام لمركز الابحاث

مقدمة

خططت الحكومة البريطانية لاحتلال فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى ، وكان اندلاع تلك الحرب عام 1914 ، فرصة مواتية لتنفيذ المخطط البريطاني . وقدعقدت الحكومة البريطانية من اجل تنفيذ ذلك المخطط سلسلة من المحادثات والاتفاقيات انتهت باعلان تصريح بلفور في الثاني من نوفمبر 1917 . ومهما قيل في الدوافع التي حدت بالحكومة البريطانية الى اصدار ذلك التصريح ، فان الهدف الاول والرئيسي من اصداره كان خدمة الاهداف والمصالح البريطانية الخاصة .

لقد سبق اصدار تصريح بلفور دخول القوات العسكرية البريطانية ، بقيادة الجنرال اللنبي ، فلسطين في يوليو 1917 ، وقد احتلت تلك القوات جنوبي فلسطين ، ودخلت القدس في الحادي عشر من ديسمبر 1917 ، ولم يتم احتلال البلاد الا في سبتمبر 1918 . وكان الجنرال اللنبي قد فرض الاحكام العسكرية في البلاد منذ 24 اكتوبر 1917 ، واستمرت هذه الاحكام سارية المفعول حتى 30 يونيه 1920 ، حينما قامت الادارة المدنية برئاسة هربرت صمويل في اول يوليو من ذلك العام .

وفي فترة الحكم العسكري نفذت السياسة البريطانية تعهداتها بشأن التمهيد لتأسيس الوطن القومي اليهودي ، بالرغم من ان تصريح بلفور لم يصبح بعد التزاما دوليا . ولذلك سعت الحكومة البريطانية جاهدة في مؤتمر فرساي

لليهود ، وبنشيد (الهاتكفاه) كنشيد قومي يهودي

وفي مقابل كل ما قدمته الحكومة البريطانية لليهود ، رفضت جميع الحلول الوسطية التي تقدم بها العرب لحل القضية الفلسطينية ، مع ان الكثير من هذه الحلول قبلتها الحكومة البريطانية ونفذتها في بلاد عربية اخرى غير فلسطين . يضاف الى هذا كله ان الحكومة البريطانية لم تنفذ اية توصية من توصيات لجان التحقيق المختلفة التي قدمت البلاد بين عامي 1920 و 1938 ، ذلك ان تنفيذ اية توصية منها كان يخدم والى حد ما الطرف العربي في القضية الفلسطينية . ولم تغير الحكومة البريطانية (السياسة الثابتة) التي وضعتها منذ بدء الاحتلال العسكري وحتى عام 1939 ، بالرغم من تغير الكثير من الظروف العربية والدولية .

هذه هي الخطوط العريضة للسياسة البريطانية في فلسطين بين عامي 1922 و 1939 وهي موضوع هذا البحث .

وقد اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من الوثائق البريطانية المنشورة وغير المنشورة ، وكذلك على مجموعة من الوثائق العربية المنشورة وغير المنشورة ، علاوة على مضابط مجلس العموم واللوردات ، وتقارير لجنة الانتدابات الدائمة التابعة لعصبة الامم ، وكذلك بعض الكتب الوثائقية التي أصدرتها العصبة ، والتقارير البريطانية المقدمة الى مجلس العصبة ، وتقارير لجان التحقيق البريطانية التي قدمت فلسطين بين عامي 1920 و1938 . وفضلا عن ذلك ، فقد رجعت الى مجموعة من الكتب البريطانية الرسمية التي تضم الكثير من القوانين ومشروعات القوانين وتعديلاتها التي اصدرتها حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين . واعتمدت كذلك على مجموعة من المصادر العربية والانجليزية والعبرية والروسية . ورجعت الى اعداد الصحف والمجلات العربية المعاصرة لفترة الدراسة والصادرة في فلسطين (القدس - يافا - حيفا - طولكرم - بيت لحم - تل ابيب) . وكذلك الصحف والمجلات العربية الصادرة في القاهرة وعمان ودمشق وبغداد ومكة وبيروت واللاذقية ونيويورك . بالاضافة الى الابحاث المتعلقة بموضوع البحث والتي نشرت

بمجلة Foreign Affairs لعام 1937 .

ولما كان من الاهمية بمكان بالنسبة للتاريخ الحديث الاعتماد على روايات المعاصرين ، فقد اجريت عدة مقابلات مع المرحوم السيد عوني عبد الهادي ، ومع السيد احسان الجابري ، ومع السيد احمد الشقيري ، ومع السيد عبد الرحمن علي (رفيق الحاج امين الحسيني في النضال الوطني بين عامي 1936 و 1950) . وقد القت هذه المقابلات بعض الاضواء على جوانب خفية من علاقات القيادات العربية الفلسطينية بعضها ببعض ، وعلاقاتها مع بعض القوى الاجنبية .

قسمت البحث الى عشرة فصول ، تناول الفصل الاول منها السمات الرئيسية للشخصية الفلسطينية . وقد حاولت في هذا الفصل توضيح تلك السمات من حيث كون الشخصية الفلسطينية جزءا من الشخصية السورية العامة ، وتميزها بالعنف والحدة ، وعدم المرونة السياسية في بعض الاحيان ، والشك في القيادة السياسية ، وتأييد الحركات الوحدوية العربية . وتناولت في هذا الفصل كذلك التركيب الاجتماعي العربي في فلسطين حتى عام 1918 . وقد اتضح لي ان القيادة العربية في فلسطين قبل الاحتلال البريطاني ظلت هي نفسها القائمة على زعامة الحركة العربية الوطنية في فلسطين بعد الاحتلال البريطاني وحتى عام 1939 . كما تبين لي ان سياسة بريطانيا في فلسطين قد ساعدت على تثبيت نفوذ تلك القيادة في البلاد .

وتناول الفصل الثاني موقع فلسطين من الاتفاقيات السرية التي ابرمها الحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى . وتناول ايضا دراسة تصريح بلفور من حيث اسباب صدوره وارتباطه بسياسة بريطانيا بفلسطين .

اما الفصل الثالث فقد تناول الحكم العسكري في فلسطين بين عامي 1917 و 1920 . وقد اوضحت فيه نظام الادارة والحكم والمالية والتعليم وانظمة المحاكم والامن التي اوجدتها الادارة العسكرية البريطانية ، والتي استهدفت في النهاية التمهيد لبناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

ودرست في الفصل الرابع سياسة بريطانيا في فلسطين بين عامي 1917 و1922 ، تلك السياسة التي استهدفت بها تحويل تصريح بلفور الى التزام دولي ، تتولى بريطانيا تنفيذه في فلسطين . وقد استلزمت دراسة السياسة البريطانية ابان هذه الفترة التعرض لموقف بريطانيا من البعثة الصهيونية الى فلسطين في عام 1918 ، وموقفها من الوفد العربي الفلسطيني الاول الى لندن عام 1921 ـ 1922 ، وموقفها ايضا من مشكلة حدود فلسطين .

وتناول الفصل الخامس دراسة الوحدة الوطنية العربية في فلسطين بين عامي 1917 و 1922 ، تلك الوحدة التي ظلت قائمة بالرغم من وجود تناقضات داخلية برزت الى الوجود بعد فرض الانتداب البريطاني على فلسطين في يوليو 1922 .

وخصصت الفصل السادس لبحث السياسة البريطاية في فلسطين فيما بين أغسطس 1922 وابريل 1936 ، تلك السياسة التي مهدت لبناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وتعرضت في هذا الفصل لدراسة دستور عام 1922 ، والمجلس التشريعي لعام 1922 و 1935 ، ومشروع الوكالة العربية لعام 1923 ، ومشروعي روتنبرغ والحولة ، الى جانب قوانين النقد الفلسطيني والجنسية الفلسطينية . هذا بالاضافة الى دراسة تقرير لجنة شو والكتاب البريطاني الابيض لعام 1930 والكتاب الاسود لعام 1931 .

ولما كان قد تبع فرض الانتداب البريطاني لفلسطين في يوليو 1922 ظهور انسلاخات وانشقاقات في الحركة الوطنية العربية في البلاد ، فقد خصصت الفصل السابع لدراسة تلك الانسلاخات والانشقاقات ، وأثرها في اضعاف الحركة الوطنية العربية في فلسطين . وقد تبين لي ان السياسة البريطانية والسياسة الصهيونية قد عملتا جاهدتين على تعميق تلك الانسلاخات والانشقاقات مما كان له أثر واضح في اضعاف وتمييع الحركة الوطنية العربية في فلسطين .

وأفردت الفصل الثامن لدراسة المواجهة التي نشأت بين الحركة الوطنية العربية الفلسطينية وبين الاستعمار البريطاني خلال سنوات 1929 ـ 1935 ،

وخرجت من دراسة هذا الفصل بان مبعث فشل حركات المواجهة خلال هذه الحقبة هو ان القيادة العربية التقليدية قد امسكت يدها عن تأييد تلك الحركات عسكريا وماليا وسياسيا . وتأسيسا على ذلك فقد اجهضت حركة الشيخ القسام قبل ان تعلن بداية العمل الثوري في فلسطين .

وتناول الفصل التاسع دراسة الثورة الفلسطينية بين عامي 1936 ـ 1939 ، وموقف السياسة البريطانية منها ، وكيف عملت على اجهاضها بواسطة الاجراءات العسكرية البريطانية ، وبواسطة الزعامة العربية في فلسطين وخارجها . ولم يفتني في هذا الفصل دراسة الموقف الدولي خلال عامي 1938 ـ 1939 ، والذي جعل بريطانيا تتمسك بموقفها الثابت من القضية الفلسطينية ، ذلك الموقف الذي اسفر عن اصدار الكتاب البريطاني الابيض لعام 1939 . كما تعرضت في هذا الفصل لدراسة موقف اليهود من الثورة الفلسطينية ، ومشروع التقسيم الذي اقترحته لجنة التحقيق الملكية لعام 1937 ، ومشروع لجنة وودهيد لعام 1938 .

وختمت الكتاب بالفصل العاشر الذي تناول دراسة قضيتي الارض والهجرة اليهودية الى فلسطين ، وموقف السياسة البريطانية منهما ، ذلك الموقف الذي ادى في النهاية الى استكمال بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وقد اضفت الى الكتاب ملحقا يضم بعض الوثائق العربية غير المنشورة ، واعدادا مصورة من ملحق (جريدة فلسطين) التي كانت تصدرها ادارة بلاد العدو المحتلة ، وكذلك عددا من البيانات والاحتجاجات والمذكرات التي اصدرت بعضها اللجنة التنفيذية العربية ، وأصدر البعض الآخر اشخاص ممن تولوا دورا معينا في قيادة الحركة الوطنية العربية في فلسطين .

ولا يسعني في هذا المقام الا ان اتقدم بالشكر والثناء الى استاذي الدكتور محمد احمد انيس ، استاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، والمشرف على البحث الذي تقدمت به للحصول على درجة الدكتوراه ثم حولته

الى هذا الكتاب لما أسداه لي من توجيه وارشاد عظيمي الاهمية في كتابة البحث .

كامل محمود خلة

الفصل الأول
السمات الرئيسية للشخصية الفلسطينية

ساهمت عوامل متعددة : جغرافية ودينية واقتصادية ـ سياسية في التشكيل النهائي للشخصية الفلسطينية ، ويمكن عرض هذه العوامل فيما يلي :

(1) الموقع :

تقع فلسطين[1] (سوريا الجنوبية) في اقصى الطرف من الهلال الخصيب على ساحل البحر المتوسط الشرقي . وهي بهذا الوضع كانت هدفا لهجرات قبلية من الجزيرة العربية ومن وسط آسيا . كما انها كانت في الوقت نفسه معبرا وممرا لجميع الهجرات او الغزوات التي عبرت الى مصر وشمال افريقيا . فالهكسوس والفرس في غزوهم لمصر ، في التاريخ القديم ، عبروا فلسطين ، والاشوريون والبابليون في محاولتهم لغزو مصر ، احتلوا جزءا كبيرا من فلسطين ، والعرب في القرن السابع الميلادي ، والاتراك العثمانيون في القرن السادس عشر ، احتلوا فلسطين وعبروها قبل احتلالهم لمصر .

---

1 ـ حددت فلسطين في التوراة من دان (تل القاضي) شمالا الى بئر السبع جنوبا . فقد ورد في الاصحاح ٢٠ من سفر القضاة ما يلي « فخرج جميع بني اسرائيل ، واجتمعت الجماعة كرجل واحد من دان الى بئر السبع ، مع ارض جلياد الى الرب في المصفاة » .

كذلك فان المصريين القدماء اعتبروا فلسطين الحد الشرقي لمصر ، فاحتلوها لفترات طويلة ، تأمينا لاستقلال مصر وخوفا من الغزو الآسيوي . وسار اليونان والرومان على نفس القاعدة بعد احتلالهم لمصر في القرنين الرابع والاول ، على التوالي ، قبل الميلاد . ولم تغفل الدول الاسلامية التي قامت في مصر في العصور الوسطى ، ذلك المبدأ ، فقد خضعت فلسطين للفاطميين والايوبيين والمماليك لسنوات طويلة . حتى الصليبيين حاولوا غزو مصر للحفاظ على دولهم المسيحية في الشام .

واخذ موقع فلسطين اهمية خاصة في اواخر القرن الثامن عشر ، ابان غزو نابليون لمصر والشام ، ثم في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، عندما هددت جيوش محمد علي الدولة العثمانية . وبفتح قناة السويس عام 1869 ، واحتلال بريطانيا لمصر عام 1882 ، ظهرت اهمية موقع فلسطين الاستراتيجي ، مما جعلها هدفا لاطماع بريطانيا الامبريالية ، بحجة حماية قناة السويس من جهة ، وحماية طرق مواصلاتها الى الهند من جهة أخرى . وكان اصدار وعد بلفور في الثاني من نوفمبر عام 1917 ، آخر حلقة من حلقات التطويق التى وضعها الاستعمار البريطاني لاحتلال فلسطين في النهاية .

(2) البناء السكاني :

قدرت الحكومة العثمانية عدد سكان فلسطين بنحو 689 الف نسمة عام 1914 ، كان منهم نحو 85 الف يهودي[2] ، (ولم يكن عدد اليهود في فلسطين يتجاوز 11 ألف نسمة في منتصف القرن التاسع عشر)[3] ومعنى ذلك ان السكان العرب بلغوا نحو 604 آلاف نسمة قبل الحرب العالمية الاولى .

انتهت الى فلسطين في منتصف القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد

2 ـ Israel Cohen: A Short History of Zionism, London, 1945, p. 78

3 ـ لوتسكي (ف.ب): تاريخ الاقطار العربية الحديث، موسكو 1971، ص 158.

قبائل عربية خرجت من الجزيرة العربية بسبب عوامل الطرد ، أو للغزو . ولم تنقطع صلة فلسطين بالقبائل العربية بعد ذلك ، فان اشارة القرآن الكريم الى (رحلة الشتاء والصيف) في عصر ما قبل الاسلام ، تعتبر دليلا قويا على استمرار الصلة بين الشام ، ومنها فلسطين ، وبين الجزيرة العربية .

ومع الفتح الاسلامي وبعده ، خرجت قبائل اخرى لتستقر في فلسطين . ويذكر ابن رسته ان « أهل جند فلسطين اخلاط من العرب من لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة[4] » ، ومعظمها قبائل عرب الجنوب . ويرى مصطفى مراد الدباغ ان « معظم القبائل التي نزلت فلسطين هي قبائل يمانية (من عرب الجنوب) ، تنتسب الى طيىء وقضاعة وبني عدى[5] » وأن « جل أهل فلسطين كانوا من لخم وجذام »[6] ، وهي من بطون بني عدى من عرب الجنوب . ويؤكد عارف العارف ان القبائل العربية التي نزلت بئر السبع كانت جميعها قحطانية[7] (أي من عرب الجنوب) . وقد يرجع ذلك جزئيا من اوائل العهد الاسلامي الى سياسة عمر بن الخطاب ، الذي منع القبائل الحجازية (الشمالية) من النزوح الى (الامصار) المفتوحة . لكن عثمان بن عفان خالف تلك السياسة . وفتح هشام بن عبد الملك (690 ـ 743 م) ، وخلفاؤه من بعده ، في محاولة لايجاد نوع من التوازن بين القبائل اليمنية والحجازية ، في الشام على الاقل ، الباب للقبائل الحجازية لتخرج الى (الامصار) . وفي « تقاليد بدو سيناء ، انه قد هاجر من العرب المسلمين 75 قبيلة من نجد والحجاز ، في سنة واحدة ، فسكنوا مصر وسيناء وجنوب فلسطين[8] » .

وترجع بعض العشائر القبلية ، الموجودة في فلسطين ، بانسابها الى

4 ـ ابن رسته (ابو علي احمد بن عمر) : كتاب الاعلاق النفسية ، ليدن 1967 ، مج 7 ، ص 329.

5 ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج1 قسم 2 ، بيروت 1966 ، ص 385.

6 ـ المصدر السابق ، ص 400.

7 ـ عارف العارف : تاريخ بئر السبع وقبائلها ، القدس 1934 ، ص 232.

8 ـ نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، القاهرة 1916 ، ص 108.

القبائل اليمنية . فمثلا عشيرة (الحارثية) ، في قضاء جنين ، والتي ظهر منها الامراء الحارثيون في القرن الحادي عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، تعود بنسبها الى (سِنبس) من (طيىء) . ومن أعقاب (سنبس) في فلسطين ايضا عشيرة وادي الحوارث في طولكرم ، و (الحمام) و (الغنامة) في قضاء صفد و (بنو رميح) من (الخزاعلة) في قرية (المزبرعة) من قضاء الرملة[9] . ويرجع آل الشوا في غزة الى (العقيليين) من بني ثعلبة (من عرب الجنوب) . وآل الماضي زعماء وملاك قرية (اجزم) في قضاء حيفا ، ينسبون الى (بني هرماس) من (ثعلبة)[10] . وينتسب آل الفاعور الى بني طيىء[11] . وترجع قبيلة (العزازمة) في بئر السبع الى قبيلة قضاعة[12] ، من عرب الجنوب . وينتسب آل عمرو في الخليل الى بني عقبة من بني عدى (من عرب الجنوب) . وينتسب آل عبد الهادي وآل جرار الى حمولة (الشقران) من قبيلة (الآزد) من عرب الجنوب[13] . وترجع قبيلة الجبارات في نسبها الى عرب الجنوب[14] . ومن (جذام) نزلت عدة عشائر « في جهات طبرية وجنين وعكا[15] » .

كما ان بعض القبائل الاخرى ، وما تفرع عنها من عشائر وحمائل ، ترجع بنسبها الى عرب الشمال . فقبيلة (الترابين) التي سكنت بئر السبع ، حجازية الاصل من قريش[16] وقبيلة (الحناجرة) و (السعيديون) من عرب الشمال[17] .

---

9 ـ مصطفى مراد الدباغ: المصدر السابق، ص 387.

10 ـ المصدر السابق، ص 391.

11 ـ نفس المصدر، ص 393.

12 ـ نفس المصدر، ص 398.

13 ـ نفس المصدر، ص 422.

14 ـ نفس المصدر، ص 413.

15 ـ نفس المصدر، ص 402.

16 ـ عارف العارف: تاريخ بئر السبع، ص 77.

17 ـ المصدر السابق ص 134، ص 155، انظر ايضا مصطفى مراد الدباغ: المصدر السابق، ص 406.

وهكذا انتقلت الى الساحة الفلسطينية قضية الصراع القيسي اليمني بكل مظاهرها . ولم يكن الصراع الذي نشب في جنوب البلاد ، وانتقل بصورة اخف الى شمالها ، الا صورة من (الحروب او الايام) القيسية اليمنية . فحرب قبيلة الجبارات (يمن) مع الترابين (قيس) استمرت نحو عقدين من الزمان ، في الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر . وفي اثناء الصراع « نزح بعض الجبارات ونزل بلاد نابلس كحجة والطيبة وغيرها ، كما رحل من محاليفهم (عرب ابو كشك) و (الجرامنة) فنزلوا نهر العوجا في ظاهر يافا[18] » . ووقعت في عامي 1855 و1856 معركة طاحنة بين الترابين (قيس) وبين السواركة (من قبيلة الجبارات اليمنية) ، في منطقة (القرارة) قرب خانيونس ، انتصر فيها الترابين . كما وقعت حرب اخرى ، تعرف بين البدو « بحرابة عودة وعامر » بين الترابين (قيس) وبين التياها (يمن) ، واستمرت نحو عشرين عاما ، بين 1856 و1875 ، ولم تتوقف الحرب بينهما الا بعد تدخل الحكومة العثمانية . وفي عام 1887 ، وقعت حرب بين الترابين (قيس) وبين العزازمة (يمن) ، استمرت نحو ثلاث سنوات ، ولم تخمد الا عندما وجه متصرف القدس حملة عسكرية بقيادة (رستم باشا) الذي تمكن من اخماد الحرب عام 1890[19] . ويصف احسان النمر اثر الصراع القيسي اليمني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، على سكان البلاد فيقول « فما كان احدهم (أي من القيسيين او اليمنيين) يجرؤ على المرور ببلاد الآخر ، معلنا شعار قومه[20] » .

وانعكس الصراع القيسي اليمني على الحركة الوطنية في فلسطين ، فسيطر الاسلوب العشائري على تفكير الزعامات السياسية . وقد قدم خليل السكاكيني في مذكراته (الاحد 26 يناير 1919) ، وصفا رائعا لكل ذلك فقال

18 ـ مصطفى مراد الدباغ· المصدر السابق، ص 416.

19 ـ المصدر السابق، ص 428 - 429.

20 ـ انظر نبيل بدران· التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني، ج 1، عهد الانتداب، دراسات فلسطينية 63، بيروت 1969، ص 26

« لكل اسرة اسلامية في القدس تقاليد مركوزة في طباعها ، يتوارثونها ابا عن جد ، لا يقول الواحد كلمة او يخطو خطوة الا وهو مراع تقاليده قبل كل شيء ، ومصلحة اسرته قبل كل مصلحة ، ونفوذ اسرته قبل كل نفوذ ، فاذا كلفت احدا ان ينتخب عضوا لمجلس نيابة او مجلس بلدي او هيئة معارف او جمعية وطنية او غير ذلك ، انتخب كبير اسرته ، سواء كان يصلح لذلك ام لا . واسأله من هو اصدق وطنية او أرقى اخلاقا او أوسع علما او أصح رأيا ، ذكر اباه أو أخاه او أبن عمه . وكل جمعية او هيئة او حزب لا يكون فيه احد افراد تلك الاسرة . انقلبت تلك الاسرة عليه وحاولت مقاومته ، ولو كان فيه الخير . لا يكون الرأي صحيحا عند احدهم الا اذا كان هو صاحب الرأي او احد افراد اسرته . خذ الجمعية الاسلامية المسيحية (هي التي تولت قيادة الحركة الوطنية) مثلا ، فالمسلمون فيها منقسمون بعضهم على بعض كل واحد منهم يمثل اسرته لا وطنه ، ويحافظ على تقاليد اسرته قبل كل شيء[21] » .

وكذلك يمكن ارجاع الصراع حول المجلس الاسلامي الاعلى في عام 1925 ، ذلك الصراع الذي تحول الى « شبه خلاف قيسي يمني[22] » ، الى الفكر والاسلوب العشائري . فالمجلسيون (الكتلة الحسينية وانصارها) كانوا يمثلون ، الى حد ما ، اليمنيين ، والمعارضون (الكتلة النشاشيبية وانصارها) كانوا يمثلون ، الى حد ما ايضا ، القيسيين ، بالاضافة الى طبقة كبار الملاك ، التي استفادت من التنظيمات العثمانية بين عامي 1856 و1873[23] ، واصبح لها دور سياسي يوازي حجمها الاقتصادي .

(٣) الاماكن المقدسة والوحدة الاسلامية المسيحية :

كان الاختلاط الاسلامي المسيحي قويا في فلسطين . وبالرغم من

---

21 ـ خليل السكاكيني : كذا انا يادنيا ـ يوميات خليل السكاكيني ، اعدتها للنشر هالة السكاكيني ، القدس 1900، ص 166.

22 ـ نبيل بدران : المصدر السابق، ص 28.

23 ـ انظر تفصيل التنظيمات في لوتسكي: ص 159 - 161.

التجمع الطائفي في بعض المدن والقرى ، فانه لم يكن للمسيحيين مناطق واسعة خاصة بهم ، كما وجد في لبنان مثلا ، بل كان المسيحي يعايش المسلم ، والعكس بالعكس ، باستثناء بعض المناطق القليلة ، وزامل الكثير من الفلاحين المسلمين اخوانهم الفلاحين المسيحيين[24] .

لقد كانت الاماكن المقدسة ، الاسلامية والمسيحية ، متجاورة في بعض الاماكن ، او داخل مدن واحدة في بعضها الآخر . وقام المسلمون والمسيحيون على حماية وخدمة حجاج وزائري تلك الاماكن . واشترك الصناع المسلمون والمسيحيون في صناعة التذكارات الدينية لكلا الطائفتين . كما حافظ المسلمون على التسامح الديني حسب التقاليد الاسلامية ، ولذا فان المذابح المارونية ـ الدرزية ، التي وقعت في لبنان بين مايو ويوليو 1860 ، لم تمتد الى فلسطين . وقد وقف المسلمون الى جانب اخوانهم المسيحيين الارثوذكس في نضالهم ضد سيطرة رجال الاكليروس اليوناني على شئون الطائفة[25] .

يضاف الى هذا ان المسلمين والمسيحيين تعرضوا ، على السواء لحكم استعماري واحد ، وكان قيام وحدة وطنية لمجابهته ، ضرورة حتمية ، كما ان الغزو الصهيوني ، الذي اخذ شكل الاستيطان البشري والاقبال على شراء الارض ، منذ عام 1882 ، قد ولد رد فعل اقتصادي ـ ديني لدى المسيحيين ، مما زاد في تقاربهم مع المسلمين . ومهما قيل في الدوافع التي حدت بنجيب عازوري الى وضع كتابه (يقظة الامة العربية) في عام 1905 ، والدوافع التي حدت بنجيب نصار الى اصدار جريدة (الكرمل) في عام 1909 ، فانهما قد عبرا ، كعربيين مسيحيين ، عن مقاومة العرب ، مسلمين ومسيحيين ، للغزو الصهيوني . ولذلك كله ، فانه لم يكن غريبا ان تتولى (الجمعيات الاسلامية المسيحية) قيادة الحركة الوطنية في فلسطين لفترة طويلة من الزمن .

---

24 ـ انظر نبيل بدران . المصدر السابق، ص 68 - 69.

25 ـ انظر مجلة (الاحاء ـ سليم قبعين) ـ ع ١ ـ ابريل 1924.

(٤) الكيان السياسي والاداري :

كانت فلسطين على الدوام جزءا من سوريا أو (الشام)[26] . وتذكر دائرة المعارف البريطانية ان « المنطقة التي كانت تسمى فلستيا Philistia ، قد اعطت اسمها ، في القرن الثاني الميلادي ، الى سوريا الفلسطينية ، وهي الجزء الجنوبي من ولاية سوريا الرومانية[27] » .

وبعد الفتح الاسلامي ، اطلق عليها (جند فلسطين) ، ونقلت العاصمة من قيسارية على ساحل البحر المتوسط الى مدينة اللد في الداخل[28] . وذكر ابن رسته ان اجناد الشام هي : جند حمص ، وجند دمشق ، وجند الاردن ، وجند فلسطين[29] . وعرف ياقوت الحموي فلسطين بانها « آخر كور الشام من ناحية مصر ، قصبتها البيت المقدس ، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزة وارسوف وقيسارية ونابلس واريحا وعمان ويافه (يافا) وبيت جبرين . وقيل في تحديدها انها اول اجناد الشام من ناحية الغرب ، وطولها للراكب مسافة ثلاثة ايام ، اولها رفح من ناحية مصر ، وآخرها اللجون من ناحية الغور . وعرضها من يافه الى اريحا ثلاثة ايام ايضا ، وزغر وديار قوم لوط وجبال الشراة الى ايلة (العقبة) ، كله مضموم الى جند فلسطين[30] » .

واتفق ابن رسته مع ما ذكره الحموي من ان فلسطين كانت جزءا من الشام ، فقال « ومن خرج من فلسطين مغربا يريد مصر ، خرج من الرملة الى مدينة يبنا ثم الى مدينة عسقلان وهي على ساحل البحر (المتوسط) ، ثم الى مدينة غزة وهي على الساحل ايضا ، ثم الى رفح وهي آخر اعمال الشام ، ثم الى موقع يقال له الشجرتين وهي اول حد مصر ، ثم الى العريش

---

26 ـ انظر: The Encycolopedia of Islam, London, Leyden, 1934, vol. IV p. 292

27 ـ Encylopedia Britannica, 1970, vol. 17, p. 155

28 ـ انظر: The Encyclopedia of Islam, Vol Islam, Vol II (1927), p. 107

29 ـ اس رسته: المصدر السابق، مج 7، ص 324- 328.

30 ـ ياقوت الحموي: كتاب معجم البلدان ـ ليبزغ 1868، مج 3، ص 913 - 914

وهي اول مسالح مصر وأعمالها[31] » .

وبقيت فلسطين جزءا من الشام حتى الاحتلال العثماني عام 1516 ، ولم يتغير وضعها بعد الاحتلال . وفي عام 1840 ، الحقت القدس (بايالة صيدا) وبعد عام 1860 « اقام الباب العالي واليا في دمشق ، وصارت القدس متصرفية تابعة لولاية سوريا التي مركزها الشام (اي دمشق) . وبعد سنة 1870 تعلقت رأسا بالباب العالي [32] » . ومع ذلك « كانت متصرفية القدس تتبع ولاية بيروت في بعض الامور الثقافية والمالية[33] » .

ضمت متصرفية القدس اربعة اقضية هي : يافا ، غزة ، بئر السبع ، والخليل ، وكانت جميعها تشمل 11 ناحية ، و384 قرية . اما باقي فلسطين (اي لواء نابلس ولواء عكا)[34] ، فقد تبع ولاية بيروت . وضم لواء نابلس قضاءين ، و7 نواح ، و238 قرية . اما لواء عكا فكان يضم اربعة اقضية ، و4 نواح ، و256 قرية[35] .

صحيح ان فلسطين لم تكن حتى عام 1914 وحدة سياسية او ادارية مستقلة ، لكن ذلك لا يعني ايضا ان شرق الاردن ولبنان وسوريا ، وهي اجزاء من بلاد الشام ، كانت جميعها وحدات سياسية او ادارية مستقلة . لقد كان لواء الكرك (وهو الآن جزء من شرق الاردن) يتبع ولاية سوريا . كذلك كان لواء اللاذقية (وهو الآن جزء من سوريا) يتبع ولاية بيروت . وضمت الاقضية الغربية (منطقة البقاع) من ولاية سوريا الى لبنان ، وظلت الالوية

---

31 ـ ابن رسته· المصدر السابق، مج 7، ص 330

32 ـ خليل سركيس : تاريخ اورشليم اي القدس الشريف ، بيروت 1874 ، ص192. . انظر ايضا احمد عزت عبد الكريم التقسيم الاداري لسوريه في العهد العثماني ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، مج 1، مايو 1951، ص 181 - 183

33 ـ اميل الغوري . فلسطين، بغداد 1962، ص 48 - 49

34 ـ تضم اقضية. طولكرم، جنين، الناصرة، طبريه، صفد، وحيفا

35 ـ ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، القاهرة 1957 ، ص 142. . وانظر ايضا : محمد بهجت ورفيق التميمي : ولاية بيروت ج 2، مطبعة ولاية بيروت 1336 هـ، مقابل ص 140.

والاقضية الشمالية من ولاية حلب (وهي لواء اورفه ، لواء مرعش ، قضاءي كليس وعينتاب) ضمن حدود تركيا[36] .

ونتيجة لكل ذلك فانه لم يكن من المتوقع ان تنشأ في فلسطين حركة وطنية مستقلة عن الحركة الوطنية العربية في سوريا ، وظلت الحركة الوطنية الفلسطينية تعمل ضمن الاطار العام للحركة الوطنية في سوريا حتى بعد الحرب العالمية الاولى . ولم تتخذ الحركة الوطنية الفلسطينية شكلا اقليميا الا في ديسمبر 1920 ، اي بعد سقوط الحكم العربي الفيصلي في دمشق في يوليو 1920 ، وبعد اجهاض ثورة العشرين العراقية في نوفمبر 1920 . ومع ذلك ظل هناك اتجاه قومي في الحركة الوطنية الفلسطينية ، عبر عنه (الاستقلاليون) في اوائل الثلاثينات من القرن العشرين .

(٥) الغزو الصهيوني :

اتخذ الغزو الصهيوني لفلسطين ، الذي بدأ في اوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر ، مظهرين هما الاستيطان البشري وشراء الاراضي . ولم يقف عرب فلسطين موقفا سلبيا ازاء الغزو الصهيوني . فقد اعترفت المصادر اليهودية بان الاستيطان الصهيوني اثار « اول موجة من المخاوف والاحتجاجات التي دلت على بداية مقاومة الشعب العربي للمشروع الصهيوني في فلسطين[37] » . كما اعترفت بوجود « احتكاكات واصطدامات منذ البداية » . ويؤكد السبرج Alsberg انه « في ايام الهجرة الاولى (1882 ـ 1903) سمعنا عن اعتداءات عربية على المستوطنين (اليهود) ، وعن خلافات بينهم (أي بين العرب واليهود)[38] » .

---

36 ـ انظر ساطع الحصري: المصدر السابق، ص 141 - 145.

37 ـ يوسف لونتس. (الاتصالات الدبلوماسية بين الحركة الصهيونية والحركة العربية الوطنية عند انتهاء الحرب العالمية الاولى) ـ الشرق الجديد، مج 12، 1962، رقم 3، ص 212. (ترجمة يوسف سعيد خلة).

38 ـ السبرج (ف. أ): (المسألة العربية في سياسة الادارة الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى)، مجموعة لدراسة الصهيونية وبحث اسرائيل، مج 3، 1956 - 1957 (ترجمة يوسف سعيد خلة).

وفي عام 1886 ، هاجم الفلاحون العرب ، المطرودون من الخضيرة وبتاح تكفا (ملبس) ، قراهم المغتصبة ، التي اجلوا عنها رغم ارادتهم . ودفعت هذه الاصطدامات الحكومة العثمانية ، منذ عام 1887 ، الى فرض قيود على هجرة المستوطنين اليهود ، الذين كانوا يدخلون البلاد كسياح ، بحيث لم يعد يسمح لهم بالاقامة لمدة تزيد على ثلاثة اشهر في البلاد ، وذلك بموجب جوازات سفر حمراء ، عوضا عن جوازاتهم الاصلية عند دخول البلاد[39] . على ان قيود الهجرة لم تطبق بدقة ، ذلك ان الصهيونية استخدمت اسلوب (الجسر المالي) مع الموظفين الاتراك ، مما اضطر وزارة الداخلية العثمانية الى اصدار « تعميم » ، رقم 188 ، بتاريخ 29 نوفمبر 1900 ، اكدت فيه على انها « لا تسمح ابدا باي وجه من الوجوه بدخول مهاجرين يهود الى الاراضي الفلسطينية بقصد التوطن » ، وانها « تلح بشدة على الاستمرار في تطبيق قرارات منع الهجرة ، وستتخذ الاجراءات الصارمة لمعاقبة كل موظف يتساهل في هذا الامر[40] .

وحذر المفكر الصهيوني آحاد هاعام Ahad Ha'am ، في عام 1891 ، في احدى مقالاته المسماة (حقيقة من فلسطين) ، من ان العرب « لن يقابلوا الاستيطان اليهودي المستمر بالاعتدال[41] » . وفي 24 يونيه 1891 ايضا ، قدم وجهاء القدس العرب ، عريضة الى السلطات العثمانية في القسطنطينية « ضد هجرة اليهود الآخذة في الازدياد » . وقد زعمت المصادر اليهودية بان العريضة قدمت بعد ان قامت شركة البيكا (PICA)[42] بشراء اراض واسعة في الجليل السفلي عام 1890 ، واتهمت امين ارسلان ، قائمقام طبرية ، بانه تحت تأثير وضغط نجيب نصار ، ابدى« مقاومة شديدة

---

39 ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث، بيروت 1970، ص 48 - 49.

40 ـ فلسطين (مجلة تصدرها الهيئة العربية العليا) ـ ع 37 - 1964/3/1 .

41 ـ Esco Foundation (E.F.): Palestine, A study of Jewish, Arab and British Policies, 2 vols. New Haven, 1947, Vol I, p. 21

42 ـ هي (شركة الاستعمار اليهودي الفلسطينية)، Palestine Jewish, Colonization Association

لذلك الشراء » ، بحجة انه « سيغير الصورة القومية للمنطقة[43] » .

ومنذ عام 1904 ، وهو بداية الهجرة اليهودية الثانية ، « زادت حدة الدعاية المضادة للصهيونية وشملت دوائر اكثر اتساعا . وبدا ان مركز ثقل هذه الدعاية تحول من النواة الضيقة للعائلات المحترمة والخائفة على مراكزها ، الى طبقات اوسع من سكان المدن ، وعلى رأسهم طبقة الشبيبة المثقفة الناهضة » . واكدت المصادر اليهودية ايضا ان « الروح المعادية للصهيونية لمست في مجالات كثيرة بزيادة عدد حوادث الاصطدامات والعنف بين اليهود والعرب ، وباتساع وبانتشار الدعاية المعادية للصهيونية على صفحات جرائد فلسطين ، وفي النشاط الكثيف ، المستمر والمثمر ، للنواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني ، ان النشاط البرلماني العربي تركز بصفة رئيسية في الضغط على الحكومة (العثمانية) لمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين منعا باتا ، والاشارة الى خطر وجود مجموعة يهودية ذات جنسية اوروبية ، سواء للسكان العرب المقيمين في فلسطين ، او بالنسبة لسيادة وتقدم الدولة العثمانية[44] » .

وهكذا تؤكد المصادر اليهودية نفسها ، ان عرب فلسطين قد قاوموا الغزو الصهيوني منذ البداية ، وظل وقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الاراضي لليهود ، مطلبين اساسيين من مطالب الحركة الوطنية الفلسطينية لفترة طويلة .

ويتضح من كل ما تقدم انه بعد فصل فلسطين عن سوريا ، بدأت تتشكل شخصية فلسطينية لها سماتها المستقلة ، وان ظلت تحمل في ثناياها رواسب الشخصية السورية ، يضاف الى ذلك ان :

اولا : القهر الذي عانته جماهير الشعب الفلسطيني من الاستعمار البريطاني ، الذي كان اشد قسوة في فلسطين عنه في أي بلد آخر ، بسبب

---

43 ـ السبرج ـ المصدر السابق.

44 ـ يوسف لونتس: المصدر السابق، ص 213.

التزامه من جهة ومحافظته على مصالحه من جهة اخرى ، ببناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، مما جعله لا يمنح فلسطين اي شكل من اشكال الاستقلال النسبي على غرار ما فعله في شرق الاردن ومصر والعراق .

ثانيا : القهر الناتج عن الغزو الصهيوني الذي تركز على فلسطين دون بقية اجزاء سوريا .

ثالثا : القهر الطبقي الذي مارسه كبار الملاك والبرجوازيين العرب ضد الطبقات الكادحة العربية الفلسطينية .

قد طبع جماهير الشعب الفلسطيني بنوع من العنف والحدّة وبسرعة الاستجابة للتضامن مع اي نضال عربي ضد الاستعمار ، وبتأييد اي حركة وحدوية في الوطن العربي ، وعدم قبول الحلول الوسطية بسبب اقتناع الجماهير تاريخيا بعقم تلك الحلول ، مما ادى الى انغراس هذا الاتجاه بشكل مرضي في بعض الظروف ، ففقدت (الجماهير) صفة المرونة احيانا ، كما اتصفت جماهير الشعب بالحذر نتيجة التضليل الطويل الذي مارسته قيادة الحركة الوطنية في فلسطين .

ويعطي التكوين الطبقي للشعب العربي في فلسطين حتى عام 1918 ، صورة عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي سادت البلاد في بداية الحكم البريطاني ، تساعد على توضيح الادوار السياسية التي لعبتها القوى المختلفة .

التكوين الطبقي في فلسطين حتى عام 1918

ساد فلسطين حتى اواخر العهد العثماني ، نظام شبه اقطاعي ، قام على اساس الالتزام بجمع الضرائب اذا اصبحت « امور جباية الاموال الاميرية تفوض الى اشخاص عن طريق المزايدة ، واخذ هؤلاء الملتزمون يلجأون الى ضروب من وسائل الضغط والتسلط ، لكي يحصلوا على اعظم مقدار من الجباية تضمن لهم ثروة محترمة ، بعد دفع ما التزموه من

اموال[45] » . واستطاعوا عن طريق الالتزام الحصول على مساحات واسعة من الاراضي ، واختلف النظام (شبه الاقطاعي) عن النظام الاقطاعي الذي ساد اوروبا في العصور الوسطى بان المالك الكبير في فلسطين لم يكن يملك الارض بمن عليها ، وان الفلاح الفلسطيني كان قادرا على الانتقال من ناحية الى اخرى كما كان باستطاعته ان يبيع (قوة عمله) لمن شاء .

يمكن تقسيم التكوين الطبقي في فلسطين حتى عام 1918 كما يلي :

اولا : طبقة كبار الملاك :

حصلت هذه الطبقة على املاكها نتيجة النظام شبه الاقطاعي ، وما لازمه من نظام الالتزام الضريبي ، وكذلك عن طريق تسجيل الفلاحين املاكهم لبعض افراد الاسر الكبيرة ، تجنبا لدفع الضرائب العالية ، او هربا من الخدمة العسكرية .

وامتلكت اسر هذه الطبقة العديد من القرى وما فيها ، وقامت وجاهتها على اساس الملكية الواسعة للارض . وفي اواخر القرن التاسع عشر ، بدأت هذه الاسر ترسل ابناءها لتلقي العلوم في الآستانة ، وفي بعض جامعات اوروبا ، حتى تتمكن ، عن طريق توظيف ابنائها في ادارات الدولة العثمانية ، من السيطرة السياسية في النهاية . وسايرت الدولة العثمانية هذا الاتجاه ، وعينت بالفعل العديد من ابناء هذه الاسر في مراكز ادارية في البلاد خاصة في وظائف القائمقامين ، كما انخرط بعض ابناء هذه العائلات في سلك الجندية ، واستطاعت الدولة العثمانية ان تضمن ولاء تلك العائلات بتعيين ابنائها في الجيش العثماني .

وكان هناك تنافس شديد بين اسر هذه الطبقة حول ملكية وتولي الوظائف . وقد سجل مصطفى مراد الدباغ صفحة من النزاع الذي استمر عدة اعوام بين آل طوقان وبين آل عبد الهادي في منطقة نابلس[46] .

45 ـ ساطع الحصري: المصدر السابق، ص 41.

46 ـ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين ج1 قسم1 ، ص 151 - 157.

وتضم طبقة كبار الملاك فئة (الاشراف) ، وذلك بسبب حجم ملكيتها للاراضي . وينتسب هؤلاء الى آل البيت والصحابة والتابعين وقادة الحروب الاسلامية ، وقد احتفظوا بميزاتهم الاجتماعية والاقتصادية زمن الحكم العثماني ، فكانت لهم نقابة خاصة بهم ، وخصصت لهم ايرادات الاوقاف التي اعفيت من الضرائب ، ولم يؤدوا الخدمة العسكرية ، مع انهم كانوا يملكون مساحات واسعة من الاراضي . وزاد ثراء الاشراف بازدياد الاوقاف ، فقد كان « كبار الملاك يهبون العقارات الكبيرة الى المؤسسات الاسلامية ، اي الى المساجد والمدارس الملحقة بالمساجد والتكايا والزوايا وغير ذلك[47] » . وكان بعض صغار الفلاحين يهبون ما لديهم من الارض للاوقاف ، تخلصا من اغتصاب كبار الملاك لها . وتهربا من دفع الضرائب الباهظة ، او خوفا من التجنيد الاجباري والانخراط في سلك العسكرية العثمانية .

وتوارث الاشراف المناصب الدينية ، والوظائف الحكومية الخاصة بالشئون الدينية للمسلمين ، كما تركزوا في المدن ، وعرفوا استقرارا لم تعهده اية فئة اخرى . وقد تمثلت امتيازاتهم حتى اواخر عهد السلطان عبد الحميد في « 1 ـ محاكمة الاشراف في بيت سيادة النقيب ، 2 ـ ان يسجن الاشراف في بيت سيادة النقيب ، 3 ـ لا يسمح لاحد بوضع العمامة الخضراء اذا لم يكن من الاشراف بموافقة سيادة النقيب ، 4 ـ لا يدفع الاشراف شيئا من الضرائب ، 5 ـ لا ينخرط الاشراف في الجردة (العسكرية) حينما يدعو السلطان الى ذلك ، 6 ـ لا يشترك الاشراف بدفع شيء من التكاليف حينما تفرض من السلطان او الولاة[48] » .

وحاول الاشراف ، ومن اشهر اسرهم في فلسطين الحسيني والخالدي ، الاحتفاظ بنقائهم العائلي الى حد كبير ، فلم يزوجوا الفلاحين ، وفضلوا تزويج بناتهم للبدو . وقد تمت زيجات عدة ، في

47 ـ لوتسكي : المصدر السابق، ص 10

48 ـ نبيل بدران : المصدر السابق، ص 21.

العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين ، من هذا النوع .

ويمكن القول بان الاشراف اعتبروا انفسهم ، في الغالب ، من اقدم الاسر العربية التي عاشت في فلسطين .

ثانيا : الطبقة المتوسطة :

(1) كبار التجار (البورجوازية التجارية) :

اتضح دور كبار التجار في الحياة الاقتصادية والسياسية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ففي عام 1856، بدأ الرأسمال الاجنبي في التوغل في البلدان العربية ، وتم في فلسطين مثلا انشاء خط سكة حديد يافا ـ القدس برأسمال فرنسي في ذلك العام[49] . وقد أدى افتتاح قناة السويس عام 1869 ، الى انضمام سوريا كلها ، ومن بينها فلسطين ، الى السوق العالمية ، مما ترتب عليه اتساع حجم رأس المال الاجنبي المستثمر في البلاد ، واضمحلال الاشكال الاقتصادية المتأخرة ، وتحويل البلاد الى مصدر للمواد الخام لتزويد الصناعة الاوروبية[50] . وقد ظهر أثر ذلك كله في بناء الخطوط الحديدية الجديدة ، وفي تعبيد الطرق بين المدن الفلسطينية[51] .

هيمن التجار الوطنيون على التجارة الداخلية ، بينما سيطر التجار الاجانب على التجارة الخارجية حتى عام 1856 ، وفي نفس العام قبلت الدولة العثمانية وصاية الدول الاوروبية على الاقليات المسيحية في الشرق العربي ، ومنحتهم بعض الامتيازات . فأقبل التجار المسيحيون المحليون على التجارة الخارجية ، وذلك بفضل انتشار التعليم عن طريق الارساليات الاجنبية ، وأتقانهم للغات الاوروبية ، كما ان الضغط الاوروبي على الدولة العثمانية ، جعلها تقبل برسوم جمركية زهيدة ، اذ حددت التعريفة الجمركية

---

49 ـ انظر المقطم 1922/12/24.

50 ـ لونسكي: المصدر السابق، ص 147.

51 ـ انظر محمد بهجت ورفيق التميمي: المصدر السابق، مقابل ص 140.

بـ 8% في عام 1861 / 1862 ، ورفعت الى 11% في عام 1907[52] .

وأقبل بعض كبار التجار على شراء الاراضي ، التي تسربت في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين الى اليهود ، مما أسفر عن ازدياد طبقة الفلاحين المعدمين ، والواقع انه تنازع « البورجوازية التجارية اتجاهان متناقضان : اتجاه ربط اصحابه مصيرهم بمصير الاستعمار ومؤسساته ، واتجاه ثوري ناقم ، تمثل في التجار الوطنيين المناوئين لسيطرة الاستعمار والرأسمال الاجنبي ومؤسساته[53] » . ومع ذلك فان دور الفريق الثاني لم يكن له تأثير كبير الا في اوائل الثلاثينات من القرن العشرين ، يضاف الى ذلك ان مساهمة البورجوازية التجارية « في النضال الوطني كانت ضئيلة[54] » بالنسبة لثرائها .

(2) سكان المدن :

كان من نتائج تطور الرأسمال الاجنبي التجاري ، النمو السريع للمدن الساحلية التي كانت تتم عن طريقها عمليات التصدير والاستيراد[55] . فارتفع عدد سكان حيفا مثلا من 5 آلاف نسمة عام 1880 الى 20 الف نسمة عام 1915 ، كما ارتفع عدد سكان يافا من 10 آلاف نسمة عام 1880 الى 40 الف نسمة عام 1915[56] .

تكون سكان المدن من متوسطي وصغار التجار ، ومتوسطي وصغار موظفي الحكومة ، وبعض الحرفيين الممتازين . وقد وقع عليهم ، ابان عهد الانتداب ، عبء النضال السياسي ، الذي تمثل في عقد المؤتمرات وأرسال الوفود وتقديم العرائض والاحتجاجات ، وتنظيم الاضرابات السياسية .

---

52 ـ نبيل بدران : المصدر السابق ، ص 35 - 36.
53 ـ بدر الدين السباعي : المصدر السابق ، ص 7
54 ـ نبيل بدران : المصدر السابق ، ص 39.
55 ـ بدر الدين السباعي : المصدر السابق ، ص 19
56 ـ انظر نبيل بدران : المصدر السابق ، ص 41.

ثالثا : طبقة الفلاحين :

قام اقتصاد فلسطين الاساسي على الزراعة ، التي كان يعمل بها نحو 60 ـ 70% من السكان في القرن التاسع عشر[57] ، ومعنى ذلك ان الفلاحين شكلوا الطبقة العريضة من السكان . لكن سيادة النظام شبه الاقطاعي ، وكثرة الضرائب التي كان يدفعها الفلاحون (وهي العشر ، الويركو ، ضريبة الاغنام ، والسخرة ، والمعارف) ، بالاضافة الى ما كانت تضيفه السلطات العثمانية الى معدلاتها أبان الحرب ، واستيلاء السلطات العثمانية على المحاصيل والدواب في بعض الاحيان ، أسفر في النهاية عن افقار الفلاحين . وقد صور لوتسكي حالة الفلاح العربي أبان الحكم العثماني فقال « كان نصيب الفلاح العربي يتمثل مجتمعا بالمجاعة والعمل الشاق ونظام السخرة وكثرة الضرائب والفرائض وانعدام الحقوق ، وتهكم الاقطاعي وخدمه[58] » . فاذا اضفنا الى كل ذلك جهل الفلاح ، وخوفه من الانخراط في سلك الجندية العثمانية ، وضح الظرف الذي تنازل فيه الفلاح عن أرضه لكبار الملاك في البلاد .

ومع بداية الخمسينات من القرن التاسع عشر ، وبدء ظهور الوسطاء التجاريين من العرب والاجانب ، أخذ الفلاح يرزح تحت طائلة الدين . ففي وقت « جمع الضرائب ، وهو الوقت الذي يكون فيه الفلاح بأمس الحاجة الى النقد ، يتوجه جيش من التجار ، أغلبهم وكلاء التجار الاجانب ، الى القرى ، (ليساعدوا) الفلاح بتقديم النقد الضروري له ، لقاء رهن محصوله القادم ، بفائدة قدرها 3 ـ 5% في الشهر ، او بشراء المحصول كله لقاء ثلثي او نصف ثمنه . وبذلك يستولي التجار على المحصول بارخص الاثمان ، او يربحون فوائد قروضهم المتراوحة بين 36 و 60% في العام . وهكذا يجد رأس المال الاجنبي في القرية المسحوقة

57 ـ بدر الدين السباعي، المصدر السابق، ص 4

58 ـ لوتسكي: المصدر السابق، ص 18.

باضطهاد كبار الملاك ، أفضل تربة لتطوير نشاطه الربوي[59] » .

عاش الريف العربي عامة ، والريف السوري خاصة ، قطاعا مهملا ، ترفض العائلات الوجيهة الانتساب اليه ، وتفتخر باصلها البدوي . وكان أهل المدن عامة ينظرون بازدراء الى كل أعمال الفلاحة ، معتقدين أن النشاط الفعلي في الزراعة يحط من قدرهم . ولذلك تميز مجتمع القرية في فلسطين بعوامل ذاتية أهمها انكماش أفرادها ، وتقوية الروح العشائرية بينهم ، والسعي لتقليد البادية بانتقال قسم من الفلاحين الى الحياة شبه البدوية هربا من هجمات البدو[60] ، يضاف الى ذلك سيادة الفكر الديني .

وبالرغم من القهر الطبقي الذي مارسه كبار الملاك العرب ضد الفلاحين وضد العمال الزراعيين ، الا أنه نتيجة للنضال ضد الاستعمار البريطاني من جهة ، وضد الغزو الصهيوني من جهة اخرى ، تراجعت التناقضات بين الفلاحين وبين طبقة كبار الملاك الى المرتبة الثانية .

رابعا : طبقة العمال :

تميز الانتاج الصناعي في فلسطين قبل عام 1918 بالضعف الشديد ، وكانت نسبة العاملين في الحرف والصناعات في جميع انحاء سوريا ، عشية الحرب العالمية الاولى ، نحو 10% من السكان ، خص فلسطين منها نسبة ضئيلة . وقد اقيمت المشاريع الصناعية الاولى فيها في التسعينات من القرن التاسع عشر ، حيث انشئت (فابريكة) لصناعة الحرير في الجليل ، واخرى لتحضير الزبيب ، وثالثة لصناعة الزجاج في الطنطورة (قرية ساحلية جنوب حيفا) . وفي وقت لاحق اقام بعض رجال الاعمال بعض المصانع الصغيرة لصناعة الصابون وطحن الحبوب وغيرها من مشروعات الصناعة الغذائية . وفي غزة والمجدل كان يعمل عدد محدود من الاهالي في صناعة النسيج . وفي القدس كان هناك بعض الحرفيين الذين عملوا في دباغة الجلود .

---

59 ـ انظر بدر الدين السباعي : المصدر السابق، ص 19 - 20.

60 ـ نبيل بدران: المصدر السابق، ص 55 - 56.

وانتشرت بشكل محدود صناعة وتجهيز زيت الزيتون والسمسم في يافا ونابلس وحيفا والقدس . وفي يافا وحيفا كان هناك ورشتان تقوم احداهما بتصنيع بعض اجزاء آلات الري ، والاخرى لعصر الزيتون . وعند نهاية الحرب العالمية الاولى كانت كل الصناعة الفلسطينية تتكون من عدة مشروعات صغيرة ، يعمل فيها اعداد متوسطة من العمال ، تراوحوا بين 6 و 10 عمال لكل مشروع[61] .

وقد ظلت بعض الصناعات والحرف قائمة في فلسطين حتى عام 1927 ، ويقدم الجدول التالي صورة لها .

الصناعة او الحرفة	عدد المحلات
المطاحن	95
معاصر زيت الزيتون	339
معامل الصابون	30
معامل الخمور	21
معاصر زيت السمسم	25
دكاكين الحياكة (غير حياكة الحصر)	42
دكاكين صناعة حصر القش	124
المدابغ	13
صناعات الاحذية	114
معامل القرميد والطوب والانابيب	8
صناعات الفخار	43
صناعات الادوات المعدنية	101
محلات الصباغة	20
صناعة ادوات الزينة والادوات ذات الرموز الدينية	12

61 - بوليكاف (د. ر) وآخرون: التاريخ المعاصر لدول العالم العربي ، الدار الرئيسية لآداب الشرق ، موسكو 1968 (بالروسية ، تعريب حاتم الانصاري) ص 116.

المطابع	23
محلات التجارة	67
دكاكين الخياطة	45
محلات السروجية	13
المخابز	35
محلات الحلويات	14
مصانع الثلج وماء الصودا	9
متفرقات	43
المجموع	1236

ومن مجموع هذه المحلات كان 925 محلا أو 75% في يد العرب ، ونحو 300 محلا أو 24% في يد اليهود[62] . لكن سعيد حمادة يذكر ان عدد المحلات الصناعية بلغ 3505 محلات عام 1927 ، منها 1373 محلا ، أي 60,5% كانت عربية ، وأن رأس المال المستثمر فيها بلغ 613 الف جنيه ، أما الباقي فكان يهوديا ، وبلغ رأس ماله المستثمر نحو 3,514,275 جنيها[63] . وهذا يؤكد ان الانتاج الصناعي العربي حتى اواخر العشرينات من القرن العشرين كان متأخرا ، وترتب عليه أن وعي العمال العرب الطبقي كان « في غاية البساطة[64] » ، وذلك لعدم وجود تجمعات عمالية كبيرة .

62 ـ انظر سعيد حمادة: النظام الاقتصادي في فلسطين، بيروت، 1930، ص 281 - 282، نقلا عن Government Census of Industries, 1928

63 ـ سعيد حمادة: المصدر السابق، ص 293 - 295.

64 ـ بدر الدين السباعي: المصدر السابق، ص 6.

الفصل الثاني

فلسطين واتفاقات وعهود الحرب العالمية الاولى

1915 ـ 1917

يعتبر احتلال بريطانيا لمصر عام 1882 م بداية مرحلة جديدة واضحة بالنسبة للمصالح البريطانية في المشرق العربي . فبعد ان استتب الامر لبريطانيا في مصر ، وتمكنت من السيطرة الفعلية على قناة السويس ، سعت بوسائل شتى لبسط سيطرتها على المناطق الواقعة شرقي السويس بحجة حماية طرق مواصلاتها الى الهند .

ان الهدف الرئيسي وراء رغبة بريطانيا في السيطرة على فلسطين يكمن في الموقع الاستراتيجي لها ، « ففلسطين ، تحت اي حكم ، تعادل اهمية مصر بالنسبة للمواصلات الامبراطورية ، فهي استراتيجيا تعتبر المخفر الشرقي ضد اي تهديد محتمل لقناة السويس »[1] . وفلسطين ايضا « تمكن بريطانيا من السيطرة المطلقة على خليج السويس والعقبة وعلى البحر الاحمر ، مما يمكن بدوره بريطانيا من ان يصبح لها النفوذ الاعلى في غرب الجزيرة العربية »[2] . وعلى ذلك ، فان عملية كتشنر Kitchener لمسح

---

1 ـ Royal Institute of International Affairs, Great Britain and Palestine 1915 - 1945. Information paper, No. 20, London 1946, p. 1

2 ـ تقرير وليم بيل، رقم 23 ,1/ 7/ 1918.

Hubert Young: The Independent Arab, London 1933, p 271

اراضي شبه جزيرة سيناء ، وخليج العقبة ، ووادي عربة ، لم تكن بغير هدف محدد . كذلك فان قضية الحدود المصرية التركية (1892 ـ 1906) ومحاولة تعيين الحدود بين مصر وفلسطين ، كان وراءها رغبة بريطانيا في المحافظة على مصالحها الاستراتيجية . وقد انتهت تلك القضية بتوقيع اتفاقية 1 / 10 / 1906 التي رسمت الحدود كما يلي : « تمتد الحدود من تل الخرائب في رفح على ساحل البحر المتوسط وتنتهي في رأس طابا على خليج العقبة . وخط الحدود هذا يكاد يكون في امتداده مستقيما »[3] .

وتلا قضية الحدود مسألة اخرى ، هي شراء اليهود اراض لانشاء مستوطنات يهودية قرب الحدود المصرية الفلسطينية . وقد اخذت هذه المسألة دورا بارزا في المراسلات المتبادلة بين دار الاعتماد البريطاني في القاهرة ، والقنصلية البريطانية في القدس ، والسفارة البريطانية في استانبول ، وبين وزارة الخارجية في لندن ، وكان ذلك كله بين عامي 1908 و 1912 . ولقد أشار كتشنر في رسالته المؤرخة في 13 اكتوبر 1912[4] الى السر ادوارد جراي E. Grey وزير الخارجية البريطانية ، الى ان الحكومة المصرية « أصرت باستمرار حتى قبل 1908 ، على رفض اية فكرة للاستيطان في سيناء ، وانه اجاب كنيزفتش Knesevich ـ وكيل القنصل البريطاني في غزة ـ لما زاره في صيف 1912 واخبره بشراء بعض الاراضي قرب الحدود المصرية الفلسطينية ، بان « اجراءات الشراء لا يمكن تسجيلها »[5] .

وجوابا على رسالة لورد جراي بتاريخ 19 / 9 / 1911 الى المستر مارلنج ـ القائم باعمال السفارة البريطانية في استانبول ـ بشأن مسألة شراء كنيزفتش اراض قرب الحدود المصرية الفلسطينية ، أشار مارلنج الى ان لورد كتشنر قد بين ان كنيزفتش قد قام بعملية شراء « غير قانونية »[6] ، وانه

---

3 ـ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين ح 1قسم اول، بيروت 1965، ص 20.

4 ـ F.O. 407 /179 - No. 143

5 ـ op. cit. No. 50

6 - F.O. 407/179 - No. 50

(مارلنج) قد اخبر ماك جريجور Mc Gregor القنصل البريطاني في القدس - بانه « لا يستطيع ان يوافق على منح كنيزفتش اجازة » بخصوص مشروعه ، واشارت الرسالة الى « الصعوبات التي يثيرها سيل اليهود غير المرغوب فيهم ، والذين نجحوا في الحصول على الرعوية البريطانية » ، وطلبت لفت نظر وزارة الداخلية الى ما يشكو منه ماك جريجور .

وفي رسالة المستر سالت Salet - السفير البريطاني في الاستانة - بتاريخ 23 / 8 / 1911 طلب اصدار تعليمات الى المستر كنيزفتش « ليعمل ما في وسعه ليحول دون اليهود وشراء الارض »[7] . كما وردت نفس التعليمات في رسالة السفارة باستانبول الى القنصلية بالقدس ، بتاريخ 17 / 7 / 1911 « لاستخدام جميع الوسائل الممكنة لمنع وكلاء شركات الاستيطان اليهودية من انشاء مستوطنات في الاراضي المصرية المجاورة للحدود التركية »[8] . ويرد ذكر مثل هذه التعليمات في رسالة لورد جراي بتاريخ 18 / 9 / 1911 الى السفارة البريطانية في الاستانة[9] .

وقد اشار لورد كتشنر في رسالته الى لورد جراي بتاريخ 13 / 10 / 1912 [10] الى ان « كنيزفتش قد اشترى اراض بناء على تعليمات المستر صمويل فرومبكين Samuel Frumpkin » ، وان هذا الاخير قد تلقى في 8 / 8 / 1908 تعليمات تشير الى ان عملية شراء الارض هي بمثابة مخاطرة يتحمل هو نتائجها . كما تقدم بطلب في 8 / 4 / 1910 ، الى غورست ، يلخص فيه مشروعه الاستيطاني ويرجو المساعدة لتنفيذه . ولكنه تلقى جوابا مختصرا بالاسف « لان المشروع لا يمكن تحقيقه » . وبالرغم من هذا الاعلان ، فان فرومبكين « قد قام ، قبل نهاية عام 1910 ، بعمليات شراء ارض قرب الحدود التركية » ، واكد كتشنر انه لا يمكنه « قبول هذا

---

7 - F.O. 407 /179 - Enclosure in No. 50, No. 64

8 - op. cit. No. 64

9 - F.O. 407 /179 - No. 60

10 - F.O. 407 /179 - No. 143

العمل » .

وفي رسالة السفير البريطاني بالاستانة المؤرخة في 4 / 12 / 1912[11] والمرسلة الى السر ادوارد جراي ، اكد السفير ان تعليمات الوزير بتاريخ 28 اكتوبر 1912 قد ارسلت بالفعل الى القنصلية البريطانية بالقدس . وانه تلقى من القنصل في القدس رسالة في 20 نوفمبر 1912[12] تشير الى ان المس مارجريت بالمر Margaret Palmer ـ وهي بريطانية مقيمة في القدس ـ قد تقدمت بطلب الى القنصلية تطلب حماية شركة تسمى (الشركة الفلسطينية لشراء الاراضي) تأسست لشراء ارض في منطقة رفح والعريش . وان المس بالمر اخبرت القنصل (ماك جريجور) بان الشركاء هم السيد سليم ايوب ، وهو رعية عثماني يعمل قنصلا لايران في القدس ومدير البنك التجاري بفلسطين ، والمستر عموش Amush ، وهو فرنسي يهودي يقيم في غزة ، والمستر كنيزفتش وكيل القنصل البريطاني في غزة . ولكن القنصل اكد لمس بالمر انه لا يستطيع ان يمنح الشركة تلك الحماية المطلوبة ، واشار الى ان « واجبه عدم تشجيع اي استيطان يهودي قرب الحدود المصرية » .

هذا الموقف البريطاني الذي تضمن الحيلولة دون قيام مستوطنات يهودية قرب الحدود المصرية ، والموقف الذي سبقه وهو تعيين الحدود المصرية الفلسطينية في اول اكتوبر 1906 ، ليدلان دلالة واضحة على بداية « مرحلة » جديدة بالنسبة للمصالح البريطانية في المنطقة . وقد زادت هذه « المرحلة » وضوحا بين عامي 1912 و 1914 ، حينما بدا ان فرنسا مقبلة على تثبيت نفوذها وسيطرتها على كل سوريا ، مما يهدد المصالح البريطانية في قناة السويس وفي مصر .

كانت بريطانيا تدرك بحسها الاستعماري ان هناك قوى ثلاث في

---

11 ـ F O. 407 /179 - No. 217

12 ـ F O. 407 /179 - No. 217, Enclosure 1

الشرق العربي ، قوى اصلية فيه ، وقوى خارجة عنه ، عليها ان تكيف معها علاقاتها المقبلة وان تضمن مصالحها ، فيما لو تعرضت هذه المصالح لخطر اي تهديد . ولما كانت بريطانيا هي الدولة الاستعمارية الوحيدة التي تحتل قواعد في شرق البحر المتوسط (قبرص 1878 ، ومصر 1882) ، وهي الدولة الوحيدة ايضا صاحبة اوسع نفوذ واكبر سيطرة على امارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، فقد كان عليها هي بالذات ان تدخل في عمليات واتفاقيات ، سرية وعلنية ، حتى تستطيع ان تضمن في النهاية مصالحها الحيوية . وقد رأت ان القوى الثلاث القائمة ، او التي لها مصالح ، في الشرق العربي هي : الحركة العربية ، والمطامع الفرنسية ، والحركة الصهيونية . وكان على بريطانيا ان تدخل في سلسلة اتفاقات او معاهدات او تعهدات تضمن لها مصالحها في النهاية ، ولا تتعارض احداها مع الاخرى من وجهة نظرها . ومن هنا كانت مراسلات الحسين مكماهون 1915 ـ 1916 ، واتفاقية سايكس بيكو 1916 ، وتصريح بلفور 1917 .

فلسطين ومراسلات الحسين مكماهون 1915 ـ 1916

ليس هذا البحث مجالا لبيان اسباب ودوافع اعلان (الثورة العربية الكبرى) ، فقد درسها العديد من الكتاب العرب ، واوضحوا رأيهم فيها[13] . انما الذي يهمنا هو الجانب المتعلق بفلسطين في مراسلات الحسين مكماهون ، وبالذات رسالة 24 اكتوبر 1915 المتعلقة باستثناءات الحدود[14] وهي التي ورد فيها ان « اجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن ان يقال انها عربية محضة ، وعليه يجب ان تستثنى من الحدود المطلوبة » .

لم يرد ذكر (فلسطين) في الرسائل العشر المتبادلة بين الحسين والسر

13 ـ انيس الصايغ . الهاشميون والثورة العربية الكبرى ـ بيروت 1966 سليمان موسى . الثورة العربية الكبرى ـ عمان . 1966 Antonius, G Arab Awakening, London 1939 - 1966

14 ـ جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين 1915- 1946، الوثيقة رقم 4، ص 14- 16

هنري مكماهون[15] ، ولو اراد مكماهون ـ الذي كان ينفذ تعليمات الحكومة البريطانية ـ ان يستثني فلسطين لنص عليها بالاسم ، وذلك للاسباب التالية :

١ ـ ورود كلمة (فلسطين) في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) .

٢ ـ ان كلمة (فلسطين) وردت في محاضر جلسات مجلس العموم البريطاني منذ عام 1904[16] ، وتردد ذكرها في محاضر عام 1905[17] ، 1906[18] ، 1907[19] ، 1908[20] .

ويؤكد انتوني ناتنج ان « اي تلميذ يعرف ان فلسطين تقع الى الجنوب وليس الى الغرب من المناطق المستثناة ، ولكن الحكومة البريطانية فضلت ان تتجاهل هذا الامر »[21] . ويضيف هوبرت يونغ الى ذلك انه « لم يكن الغرض من تعهدات حكومة صاحبة الجلالة الممنوحة لشريف مكة ان تشمل اي اراض خارجة عما كان يطلق عليه اسم الجزيرة العربية قبل الحرب »[22] .

ولقد اثيرت مسألة فلسطين ومراسلات الحسين مكماهون في عام 1922 ، اثارها في لندن الوفد الفلسطيني الاول (1921 ـ 1922) . فقد كتب امين التميمي عضو الوفد رسالة من القدس بتاريخ 26 / 7 / 1937 جاء فيها ان هذه المسألة « قد اثيرت لاول مرة في لندن سنة 1922 . اذ ادعى المستر تشرشل ـ وزير المستعمرات اذ ذاك ـ تجاه مطالبات الوفد العربي الاول ، بان فلسطين لم تدخل في شمول تعهدات الحكومة البريطانية المقطوعة لجلالة المرحوم الملك حسين سنة 1915 . ولقد جرت مراسلات بين الوفد

---

15 ـ يقول عنه كريستوفر سايكس انه كان « الرحل غير الصالح للزمان والمكان » انظر Christopher Sykes: Cross Roads to Israel, London 1965, p. 43

16 ـ Parliamentary Debates (P.D.), House of Commons, vol. 138, col. 387

17 ـ op cit. vol. 148, col. 6

18 ـ Ibid, vol 156, col. 198

19 ـ Ibid, vol. 173, col. 995

20 ـ Ibid, vol. 188, col 6

21 ـ Anthony Nutting: The Arabs, London 1964, p. 322

22 ـ Hubert Young, op. cit., p. 273

والوزير حول هذه النقطة ، واثبت الوفد بالبراهين الدامغة ان الحدود التي وافقت الحكومة البريطانية عليها قد شملت فلسطين . . . وقد ادعت وزارة المستعمرات ان فلسطين واقعة في المناطق الساحلية التي تدخل تحت كلمة غربي مقاطعة الشام ، وهي من اجل ذلك تخرج من شمول الحدود »[23] .

وقد اوضح تشرشل موقفه نهائيا في هذه المسألة في الكتاب الابيض الصادر في يونيه 1922[24] على اثر انهاء المحادثات مع الوفد الفلسطيني الاول . فقد جاء فيه انه « ليس الامر كما ادعى الوفد العربي بان حكومة جلالة الملك اعطت في اثناء الحرب تعهدا بان ينشأ حالا حكومة وطنية مستقلة في فلسطين . ان هذا القول يستند في الغالب الى كتاب ارسله في 24 اكتوبر 1915 السر هنري مكماهون ـ الذي كان عندئذ مندوبا ساميا في مصر ـ الى شريف مكة الملك حسين ملك الحجاز اليوم (1922) . وقد ادعى ان هذا الكتاب يتضمن وعدا لشريف مكة بالاعتراف باستقلال العرب ضمن البلاد التي اقترحها الشريف ، وتأييده . غير ان هذا الوعد اعطى معلقا على تحفظ ورد في نفس الكتاب ، وهذا التحفظ يستثنى في جملة ما يستثنيه من المناطق ، ذلك القسم من سوريا الواقع غربي ولاية الشام . وقد اعتبرت حكومة جلالته على الدوام ان هذا التحفظ يشمل ولاية بيروت وسنجق القدس . وبناء عليه تكون فلسطين برمتها ـ غربي الاردن ـ مستثناة من تعهد السر هنري مكماهون » .

اخذت المراسلات دورا هاما في مناقشات مجلس العموم البريطاني ، خاصة بعد نشر الكتاب الابيض السالف الذكر . فقد اعترض المستر تشرشل في 11 / 7 / 1922 على نشر المراسلات وقال انه « ليس من المصلحة العامة نشرها » . وقال « ان فلسطين مستثناة من تعهدات الحكومة البريطانية بالاستقلال ، وان الذي اثار هذا الموضوع هو الامير فيصل بن الحسين في 20 / 1 / 1921 في اجتماع تم في وزارة الخارجية . وان فيصل

23 ـ الفتح ـ ع 561 - 18 جمادى الاخرة 1456 هـ.

24 ـ انظر نصه في الوثائق الرئيسية، ص 156 - 161.

قبل وجهة النظر البريطانية القائلة بان فلسطين مستثناة من الوعد بالاستقلال »[25] . كما نفى اورمسبي غور Ormsby Gore وكيل وزارة المستعمرات في 15 / 3 /1923 ان تكون فلسطين داخلة ضمن وعود مكماهون للشريف حسين[26] .

وبمناسبة بحث السياسة البريطانية في فلسطين بعد هبة البراق (اغسطس 1929) وتردد مسألة المراسلات ، اعلن المستر شيلز Shiels وكيل وزارة المستعمرات في 9 / 12 /1929 ان وعد بريطانيا باستقلال العرب في الحدود التي عينها « الملك » حسين والواردة في رسالة 24 / 10 / 1915 لم يعط للعرب الفلسطينيين ، وان الحكومة البريطانية كانت تعتبر دائما ان فلسطين خارجة عن الوعد البريطاني[27] . ورفض المستر شيلز في 18 / 12 / 1929 طلب نشر المراسلات[28] ، وكرر ذلك في 9 / 4 / 1930[29] ، وفي 7 / 5 / 1930[30] . وفي هذه الجلسة (7 / 5 / 1930) تكلم كل من كوكس Cocks ، وهوارد بيوري Howard Bury وبروكواي Brockway مطالبين بنشر المراسلات رسميا ، ورد عليهم المستر شيلز فقال ان سياسة الحكومة الحالية في هذا الصدد لم تختلف عن سياسة الحكومة السابقة ، وهي لم تتخذ امرا جديا بالنسبة للمسألة . ثم اعاد على الاعضاء نص حديث تشرشل في عام 1921 ، والذي جاء فيه ان المحادثات انتهت بدخول الشريف الحرب قبل الوصول الى اتفاقية رسمية محددة ، وان التعهدات منحت الى الشريف حسين ولم تمنح لعرب فلسطين[31] . وفي جلسة 1 / 8 / 1930 اعلن المستر شيلز انه نظرا لالحاح

---

25 ـ P.D. vol. 156, cols. 1033 -4

26 ـ P D. vol 161, cols. 1781 -2

27 ـ P.D. vol. 233, col. 24

28 ـ P D vol. 233, col. 1389

29 ـ P D. vol. 238, col. 949

30 ـ P.D. vol 238, col. 949

31 ـ P.D., vol 241, col. 1260

اعضاء المجلس فان الحكومة رأت ضرورة اعادة النظر في المراسلات بدقة وعناية في ضوء تاريخ تلك الفترة ، واضاف انه ليس من المصلحة العامة نشر هذه المراسلات لسنوات اخرى قادمة ، ثم قال انه لا توجد مبررات لدى الحكومة فيما يتعلق بهذه المراسلات في ضم فلسطين الى الدولة العربية المقترحة[32] .

ان هذا الاصرار المستمر من جانب الحكومات البريطانية المتعاقبة على عدم نشر المراسلات ، لامر يدعو الى الدهشة . فهذه الحكومات تعرف حقا ان قسما كبيرا من هذه المراسلات منشور في العالم العربي بلغته الاصلية (وهي العربية) ، وقد كان الحسين ينشرها عندما تتأزم الامور بينه وبين الحكومات البريطانية . كما ان جريدة الطان الفرنسية نشرت « خلاصة الوثائق التي تبودلت سنة 1915 بين السر هنري مكماهون والشريف حسين ملك الحجاز »[33] . ونشرت الكوكب ـ وهي جريدة عربية كانت تصدرها الحملة المصرية في فلسطين ـ ملخص ـ مراسلات الحسين مكماهون[34] ، ورسالة مكماهون في 24 / 10 / 1915 الى الشريف حسين[35] . كما وردت بعض نصوص المراسلات في محاضر مجلس العموم البريطاني[36] . واوردت لجنة التحقيق الملكية (لجنة بيل Peel) في تقريرها الذي نشر في 7 /7 /1937 بعض فقرات من الرسائل وخاصة رسالة مكماهون في 24 / 10 / 1915 الى الشريف حسين[37] . ان الاصرار البريطاني على عدم نشر المراسلات حتى عام 1939 قد يكون مبعثه التلاعب بنصوص بعض هذه الرسائل. فقد اشار نوري السعيد عندما القى بيانه في

---

32 ـ P.D. vol. 242, cols. 902 -3.

33 ـ الكوكب ـ ع 159 - 1919/9/30.

34 ـ الكوكب ـ ع 160 - 1920/10/7.

35 ـ الكوكب ـ ع 180 - 1920/2/24.

36 ـ P.D., vol. 156, cols. 294 -5.

37 ـ تقرير اللجنة الملكية ـ الكتاب الابيض رقم 4579 ـ النسخة الرسمية العربية، القدس 1937، ص 24 - 27.

مؤتمر لندن (فبراير ـ مارس 1939) في 1939/2/13 الى انه « قد اكتشف بعض التباين بين النص العربي والانجليزي[38] » في المراسلات.

وبعد نشر تقرير لجنة بيل في 7 / 7 / 1937 ، نشر هنري مكماهون في جريدة التيمز Times اللندنية بتاريخ 23 / 7 / 1937 ، رسالة جاء فيها «ان الاشارات قد تواترت الى تعهدات مكماهون ولا سيما ما يتعلق منها بفلسطين . . . فلذلك ارى من الواجب الادلاء ببيان في الموضوع ، حاصرا كلامي الآن في المنطقة المختلف عليها وهي : هل ذلك الجزء من سوريا المعروف باسم فلسطين كان منويا او غير معروف ادخاله في الاراضي التي ضمن تعهدي للعرب الاستقلال فيها ؟ فانا اشعر بموجب التصريح، واصرح نهائيا وبكل شدة بانه لم يكن في النية عند تأدية ذلك التعهد للملك حسين ادخال فلسطين في منطقة الاستقلال الذي وعد به العرب ، وكنت مقتنعا كل الاقتناع وقتئذ بان الملك حسين كان فاهما تماما ان فلسطين غير داخلة في ذلك التعهد » . وقد اذيع هذا البيان في اذاعة فلسطين من القدس في 24 / 7 / 1937 ، مما دعا الامير عبد الله الى ان يرسل رسالة في 25 / 7 /1937[39] الى المندوب السامي السر آرثر واكهوب Arthur Wauchope ، يندد فيها بما اورده السر مكماهون ، ويطلب في ختام رسالته « تصحيح تلك الاذاعة التي نحتج عليها ، او ارشادنا الى ذلك لنقوم فيه بالذات ، رعاية لحرمة الاموات وحرصا على حقائق التاريخ ».

واثيرت مسألة مراسلات الحسين مكماهون ونشرها مرة اخرى في عام 1939 . ففي مؤتمر لندن تقرر في الجلسة السادسة المنعقدة بتاريخ 16 / 2 / 1939 تعيين لجنة[40] لدراسة المراسلات « وتقديم تقرير الى المؤتمر » بخصوصها. واجتمعت اللجنة بمجلس اللوردات في 23 و24 و28

---

38 ـ الزمان (بغداد) ـ 564 - 1939/7/29.

39 ـ الرابطة العربية ـ 64 - 1937/8/25.

40 ـ انظر اسماء الاعضاء في الوثائق الرئيسية، ص 31 - 30.

فبراير، وكان آخر اجتماعاتها (الرابع) في 16 مارس 1939 ، وفيه قدمت تقريرها الى المؤتمر ، وقد ورد فيه (بند 18) ان مندوبي المملكة المتحدة « يذهبون الى ان التفسير الصحيح للمكاتبات يجعل فلسطين مستثناة ، ولكنهم يعترفون بان العبارة التي تضمنت هذا الاستثناء لم تكن محددة صريحة ولا غير قابلة للخطأ ، كما ظن في وقتها ».

ومهما يكن من امر ، فان بريطانيا استطاعت بعد اتمام هذه المراسلات ان تضمن الطرف الاول، وهو الطرف العربي ، ووقوفه الى جانبها ، كما استطاعت من جهة ثانية ان تطوق الاهداف العربية بسياج من التحفظات، حتى تضمن مصالحها في المنطقة . وكانت الخطوة الثانية التي صممت بريطانيا ان تخطوها هي تحديد النفوذ الفرنسي في المنطقة اولا ، ثم محاولة ابعاده عن قناة السويس ثانيا ، وعلى هذا الاساس دخلت في مفاوضات مع فرنسا اسفرت عن اتفاق سايكس بيكو.

فلسطين واتفاق سايكس بيكو (مايو 1916)

كانت القوة الثانية التي ارادت بريطانيا ان تحدد وتعين حدود نفوذها في المنطقة هي فرنسا ، وقد اعترفت بذلك «النفوذ» في رسالة مكماهون المؤرخة في 24 اكتوبر 1915 والموجهة الى الشريف حسين .. ولم يكن لبريطانيا خيار ، من ناحية اخرى ، بالنسبة لهذا الامر ، « فان فرنسا كانت تتحمل العبء الاكبر في الميدان الغربي ، ولو اهملت بريطانيا المصالح الفرنسية في الشرق الاوسط لعرضت (الوفاق) لخطر الانحلال »[41] . ولذا فانه لم يكد السر هنري مكماهون ينجز صفقته مع الحسين، حتى شرعت وزارة الخارجية البريطانية بمباحثات في لندن مع الحكومة الفرنسية ، هدفها الوصول الى تدبير ما ، بحيث يمكن التوفيق بين المصالح الفرنسية في سوريا . وبين المصالح البريطانية في المنطقة . وحينما انتهت التمهيدات ارسلت كل من الحكومتين ممثلا منتدبا عنها ليتشاورا . وكان المندوب

---

41 _ Charles Webster: The Art and Practise of Diplomacy, London 1961, p. 123

الفرنسي هو المسيو جورج بيكو G. Picot الذي كان قد عمل قنصلا عاما ببيروت في السنة السابقة للحرب . اما زميله الانجليزي فهو السر مارك سايكس M. Sykes الذي اكتسب صيتا واسعا في دراسة المسائل الشرقية بكتاباته وبرحلاته الكثيرة في جميع انحاء الامبراطورية العثمانية.

ورسم المندوبان مشروعا عينا فيه الاجزاء التي ترغب كل من بريطانيا وفرنسا في اخذها من الامبراطورية العثمانية . ثم اوعز اليهما ان يتوجها الى بطرسبرج (لينجراد) ليبحثا مقترحاتهما مع الحكومة الروسية . وابتدأت المفاوضات هنالك حوالي منتصف مارس 1916 ، ونتج عنها تفاهم ثلاثي صيغ في صورة مسودات لتتبادلها الحكومات الثلاث ، وتبودلت المسودات رسميا على التو ، في تواريخ مختلفة من ابريل ومايو 1916 ، وفيها حددت المقاطعات العثمانية التي ترغب كل واحدة من تلك الدول الثلاث في ان تعترف لها بها زميلتاها منطقة لنفوذها . كما انها احتوت الى جانب ذلك ، اشتراطات متنوعة تكفل مصالح كل واحدة من تلك الدول في المناطق التي خصصت للدولتين الاخريين.

أن المناطق التي حددت لروسيا في اتفاق سايكس بيكو ليست بذات اهمية في هذا المقام لانها تقع خارج المنطقة العربية . اما المناطق الفرنسية والبريطانية ، والمنطقة الدولية المعلمة باللون البني (فلسطين) فانها تضم كل سوريا والعراق ، وهي حسب الاتفاق ستوضع تحت نوع من الوصاية الاوروبية . وكل منطقة من المناطق الفرنسية والبريطانية ستعتبر مكونة من قسمين متمايزين حسب شكل الحكومة التي ستقام في كل منهما . فاما حصة فرنسا فقسمت الى قسمين : واحد ازرق والثاني يشار اليه بالحرف(أ) . وجعلت حصة بريطانيا من قسمين : واحد احمر والثاني يرمز اليه بالحرف (ب) . وفي القسمين الازرق والاحمر ستكون الدولتان حرتين في اقامة ادارة خاصة بهما . ولم ينص في الاتفاق صراحة على (الاستلحاق) ، كما انها لم تستبعده ، وتركت الامر في يد الدولتين ، فان شاءتا استلحقتا اي جزء من القسمين الاحمر والازرق او استلحقتاهما

جميعا . ونص في الاتفاق على ان تكون الادارة في (أ) و (ب) تحت سيادة عربية تعترف بها وتسندها الدولة بكل واحد من هذين القسمين ، على ان يكون لفرنسا ، او انجلترا ـ حسبما يقتضي الحال ـ الاولوية في المشروعات الاقتصادية ، وحق الانفراد في تزويد الادارة العربية المقبلة بما قد تحتاجه من موظفين ومستشارين اجانب[42].

اما الاشتراطات الخاصة التي وضعت للمنطقة البنية (فلسطين) فانها كانت وليدة الاهداف والمصالح المتصارعة للدول الثلاث . فقد اكدت فرنسا رغبتها في ان تكون المنطقة الواقعة تحت نفوذها هي كل سوريا (بما في ذلك فلسطين). فعارضت بريطانيا ذلك لسببين رئيسيين : اولهما انها ترغب في السيطرة على خليج عكا ـ حيفا فيكون لها منفذ يصل العراق بالبحر المتوسط . وثانيهما انها لم تستسغ ان ترى فرنسا او اية دولة كبيرة توطد نفوذها في شرق السويس . وكانت الحجة التي تذرعت بها بريطانيا لمعارضة مطالب فرنسا في فلسطين هي ان وجود الاماكن المقدسة في القدس وفيما حولها يستدعي نظاما خاصا من الحكم . فرد الفرنسيون على هذا بان اقترحوا ان تتكون من القدس وبيت لحم وضواحيها القريبة منطقة داخلية منفصلة تخضع لادارة دولية خاصة تناسب طابعها الديني ، اما الجزء الباقي من فلسطين فيجب ان يظل جزءا مكملا لسوريا . ولكن عندما استؤنفت المباحثات في بطرسبرج قدمت روسيا مطالب خاصة بها ، اذ كانت لها مدارس واديرة ومواقع مقدسة في انحاء البلاد المقدسة جميعا وبخاصة في الناصرة ونابلس والخليل، وكلها خارج حدود المنطقة الداخلية التي تقترحها فرنسا. وحاولت روسيا اولا ان تطلب جعل البلاد المقدسة

42 ـ انظر الوثائق الرئيسية، ص 84 - 86، جورج انطونيوس . يقظة العرب (تعريب ناصر الدين الاسد واحسان عباس)، بيروت 1969، ص 348 - 351.
Hurewitz, J.C.: Diplomacy in The Middle East - A Documentary Record 1914 - 1956, vol II, pp. 11 - 22

« محمية » روسية ، فعارضت ذلك كل من بريطانيا وفرنسا . ولما وجدت من الحكمة ان تتنازل عن ذلك المطلب مؤقتا ، اعلنت انها ترضى بنظام يقضي بجعل فلسطين تحت اشراف دولي على شرط ان يشمل ذلك الاشراف كل البلاد المقدسة بحيث تصبح المنشآت والمواقع الروسية جميعا ضمن نطاق الادارة الدولية . وبهذا الاقتراح انحازت بريطانيا الى صف روسيا واضطرت فرنسا الى الاذعان ، وبذلك خلقت المنطقة البنية على الخريطة[43] .

ان المصالح المتضاربة للدول الاستعمارية هي التي رسمت حدود المنطقة البنية (فلسطين) ، وهي نفسها التي قررت (دوليتها) ، وهذا مما حدا بلورنس الى ان يؤكد ان « اتفاق سايكس ـ بيكو كان منافيا للعقل والواقع في مسألة الحدود » ، ويضيف « ومع ذلك فقد كان افضل الف مرة من التسوية النهائية »[44] . وقد ظهرت مصلحة الحركة الصهيونية في تخطيط حدود المنطقة الدولية ، اذ ان المستر دي روتشلد اعلن في مجلس العموم البريطاني في 17 نوفمبر 1930 ان « المفاوضات الخاصة باتفاق سايكس بيكو جرت فقط من اجل الوطن القومي اليهودي ، وانه عند تعيين الحدود بين سوريا وفلسطين ، رسم شمالا من اقصى مستعمرة يهودية في شمال فلسطين حتى يمكن ادخالها في الوطن القومي اليهودي »[45] .

ظل اتفاق سايكس بيكو سرا في الاوساط الشعبية في الشرق الاوسط حتى قامت الثورة البلشفية في اكتوبر 1917 ، فنشرت خبر هذا الاتفاق مع غيره من المعاهدات السرية[46] . فقد اصدر تروتسكي ـ مفوض الشئون الخارجية السوفييتية ـ اوامره بنشر نصوص الاتفاقات السرية الموجودة في قلم

---

43 ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص 352 - 353.

44 - Armitage, Flora: The Desert and the Stars, A biography of Lawrence of Arabia, New York, 1955, p. 170

45 - P.D. vol. 245, col. 181

46 - انظر : Academy of Sciences of the USSR, Institute of History, A Short History of the USSR, part II, Moscow., 1965, p. 51

المحفوظات بوزارة الخارجية الروسية ، فنشرتها ازفستيا وبرافدا في عدديهما الصادرين في 23 نوفمبر 1917 . وكانت صحيفة المانشستر جارديان سابقة لنشرها في بريطانيا ، بعد ان ابرق مراسلها - فيليب برايس - في بتروغراد بخلاصة ما تضمنته اتفاقية سايكس بيكو حول الآستانة وممتلكات تركيا الآسيوية . فنشرت ذلك في عدديها الصادرين في 26 و28 نوفمبر 1917[47] ، مما اثار موجة من الاسئلة الحرجة في مجلس العموم البريطاني ، وحدا بالمستر بلفور الى استنكار الاقدام على نشر تلك الوثائق، مؤكدا ان قسما كبيرا منها « لا علاقة له البتة بهذه البلاد »، بل يتصل بحكومات الدول الحليفة . كما انه اعتبر فكرة اعادة نشر « الوثائق المتعلقة بحلفائنا » غاية في السخف حتى تستحق كل ذلك الاهتمام[48] . لكن الاتراك لم يشاطروا بلفور رأيه فوجدوا ان المسألة تستحق اهتمامهم . فقد ارسل جمال باشا من مقر قيادته في الشام رسالتين مؤرختين في 26 نوفمبر 1917 الى كل من الامير فيصل وجعفر باشا العسكري ، تتضمن كل منهما ما خفي من اتفاق سايكس بيكو ، وتتضمن عرض عقد صلح مع الاتراك[49] . ولم يكتف جمال باشا بذلك ، بل انه في مأدبة اقيمت تكريما له في بيروت في 4 ديسمبر 1917، صرح للحضور بامر الرسالتين وعرض عقد الصلح ، وقد ترجم خطابه الى العربية مفتي الجيش الرابع (الشيخ اسعد الشقيري) . «وامرت كل الصحف في سوريا ان تنشر النص كاملا ، وارسلت منها نسخ الى المدينة المنورة ، ومنها هربت الى مكة[50]» .

وهنا يبرز سؤال هام : ما هو موقف الحسين من هذا الاتفاق، وهل كان على علم به قبل ان تعلنه ثورة اكتوبر وينشره جمال باشا ؟ يذهب ايلي

---

47 ـ Zeine, N.Z.: The Struggle for Arab Dependenceù Beirut 1960, pp. 20 - 1

48 ـ اسعد رزوق : اسرائيل الكبرى ـ دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ـ مركز الابحاث ـ بيروت ـ يوليو 1968 ـ ص 263.

49 ـ انظر فقرات من الخطابين في جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص 358 - 361.

50 ـ المصدر السابق، ص 362.

خضوري الى ان مارك سايكس وجورج بيكو قد اطلعا الحسين منذ مايو 1917 على الاتفاق[51] . ولقد سجل الشيخ محمد رشيد رضا (صاحب المنار) محضرا لاجتماع تم بينه وبين فؤاد الخطيب (وكيل خارجية الحجاز) تم في القاهرة في 22 فبراير 1920 . ويتضح من المحضر ان الحسين كان على علم باتفاق سايكس بيكو وانه لم يعترض عليه . يقول الشيخ محمد رشيد رضا انه ذكر لفؤاد الخطيب بعض سيئاته السياسية « واهمها توسطه للانجليز لدى الملك حسين واقناعه اياه بما اقترحه السر مارك سايكس من ارضائه لمسيو جورج بيكو والموافقة على معاهدة 1916 (يقصد اتفاق سايكس بيكو) . حاول (اي فؤاد الخطيب) ان ينكر ، فقلت له لا تنكر . فالسر مارك سايكس نفسه اخبر اصحاب المقطم وغيرهم بذلك ، وعرف هذا وسمعه منهم رفيق العظم وآخرون كثيرون . ولاجل هذا وامثاله اعطاك الانجليز وساما بريطانيا » . ثم انبه الشيخ محمد رشيد رضا على (الرواتب المالية) التي كان يتقاضاها من مالية السودان . وهنا لم يكن امام فؤاد الخطيب الا ان يعترف بدوره فقال : « لا بد ان اذكر لك الحقيقة في مسألة سايكس بيكو ، واضاف « ان الملك حسينا كان راضيا بما اقترح سايكس من المعاهدة المعلومة ، وانه هو (اي فؤاد الخطيب) الذي عارض في ذلك ، وبلغهم (اي الانجليز) ان الملك لا يرضى بها . وبعد ان عجز عن حمل الملك على المعارضة ورفض المعاهدة اوهم الانجليز انه هو الذي اقنعه بها »[52] .

ومهما يكن من امر ، فقد حققت بريطانيا بعقد هذا الاتفاق هدفين اساسيين : اولهما انها حددت وعينت منطقة النفوذ الفرنسي في الشرق الاوسط ، وثانيهما انها استطاعت ان تبعد شمالا ـ بقدر الامكان ـ اي موقع او قاعدة للنفوذ الفرنسي عن منطقة قناة السويس . ثم تخطو بريطانيا الخطوة الثالثة بالنسبة للقوى ذات المصالح والاطماع في المنطقة ، الا وهي الحركة

---

51 - Elie Kedourie: The Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies, London 1970, p. 29

52 - المنارح 10م 33، ص ز٨٩٧ أ ٧٩٧

الصهيونية ، لتعقد معها الاتفاق الاخير، وبذلك ضمنت لنفسها المقام الاول في الشرق الاوسط ، وهو الهدف الذي كانت تسعى اليه منذ اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين.

تصريح بلفور*(2 نوفمبر 1917)

لاح للصهيونية العالمية ان انتصار الحلفاء في الحرب (العالمية الاولى) قد يفتح المجال امامهم لاستعمار فلسطين على مجال اوسع كثيرا مما كان يظن ممكنا حتى ذلك الحين . ولذلك عمد الزعماء الصهيونيون الى وضع آرائهم في قالب مشروع نهائي لعرضه على حكومات الحلفاء عند اول فرصة ملائمة تسنح لهم . وعندما صحت النية على زحف الجيش البريطاني على فلسطين في فبراير 1917 ، فتح باب المفاوضات الرسمية بين الصهيونية والحكومة البريطانية ، وتلتها مفاوضات اخرى بين الحكومتين الفرنسية والايطالية ، فتمت الموافقة رسميا على المشروع الصهيوني في باريس وروما كما في لندن ، وارجىء نشر هذه الموافقة رسميا حتى اواخر اكتوبر 1917 ، عندما ظهر ان انتصار الجنرال اللنبي في حملته اصبح امرا محققا[53] . وفي 2 نوفمبر 1917 ارسل اللورد بلفور ، وزير الخارجية البريطانية كتابا وجهه الى اللورد روتشلد ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، ضمنه الوعد « بتسهيل تحقيق » وطن قومي يهودي في فلسطين .

ليس هناك مجال لسرد تطور المحادثات الانجلو- صهيونية التي اسفرت في النهاية عن اصدار الوعد ، ولكن الاهتمام موجه في الاصل الى بيان الدوافع الرئيسية التي حدت بانجلترا الى اصدار هذا الوعد . والحقيقة ان « الاتفاقات زمن الحرب كانت تتغير بسرعة ، والتعديلات كانت ترافق كل حدث حربي ، والوعود لم تكن سوى حركات في اللعبة الدبلوماسية . فكل قطر (من الاقطار الاستعمارية) كان منهمكا بمناورات معقدة من وراء ظهر

53 ـ تقرير اللجنة الملكية، ص 30 - 31.

* - يطلق عليه (وعد بلفور) في بعض المراجع العربية، ولا خلاف في ذلك.

القطر الآخر . في محاولة لضمان مصالحه السياسية والاقتصادية . ووسط هذه المؤامرات والمفاوضات اعلنت بريطانيا تأييدها للصهيونية ، وتحول فجأة الحلم الصهيوني الى حقيقة»[54] .

أشار كريستوفر سايكس الى ان احدا « لا يعرف لماذا صدر وعد بلفور . وقد كرس ليونارد شتاين[55] Leonard Stein سنوات طويلة في دراسة اصوله ، ولكن قارىء كتابه الطويل والممتاز ، لا يستطيع في النهاية ان يقدم سببا لتفويض وزارة لويد الائتلافية الى المستر بلفور لتوجيه خطابه الى اللورد روتشلد . وقد قدمت عدة اسباب للتفسير ، وهي كثيرة ، بشكل يجعل من العسير العثور على سبب واضح واحد[56] » .

لقد كان عام 1917 عاما حاسما بالنسبة لبريطانيا، فان «الخسارة في الغواصات قد بلغت حدا عاليا، وتمردات الجيش الفرنسي القت على بريطانيا مسئولية الدفاع الاولى في الميدان الغربي، ولم تكن الولايات المتحدة الامريكية على استعداد للمشاركة في الصراع ، وكان الروس على اهبة عقد صلح منفرد مع دول المحور[57] ». وقد اكد انه (بالرغم من ان القضية الصهيونية كانت تلقى معاضدة واسعة في بريطانيا وامريكا قبل نوفمبر 1917 ، فقد كان اعلان تصريح بلفور في ذلك الحين امرا « أقتضته موجبات الدعاية » . ويضيف التقرير ان لويد جورج شرح « الموقف الحرج الذي كان يحيق بدول الحلفاء والدول المشتركة معها في ذلك الوقت . فالرومان كانوا قد سحقوا ، ومعنويات الجيش الروسي كانت قد اخذت في الانحلال، ولم يكن في وسع الجيش الفرنسي آنئذ (1917) ان يقوم بهجوم واسع المجال ، وكان الايطاليون قد فشلوا فشلا مروعا في موقعة كابوريتو ، كما ان

---

54 ـ الجديد ـ مارس 1969. اميل توما : دراسات في القضية الفلسطينية، رقم 5 ـ وعد بلفور.

55 ـ Leonard Stein : The Balfour Declaration, London 1961

56 - Sykes, op. cit., p. 16

57 - Webster, op. cit., pp. 119 - 120

الغواصات الالمانية كانت قد اغرقت ما يبلغ محموله ملايين الاطنان من السفن البريطانية ، ولم تكن قد وصلت الفرق الامريكية بعد الى الخنادق » . ويستمر لويد جورج في الادلاء بشهادته فيقول « وفي تلك الحالة الحرجة ساد الاعتقاد بان اكتساب عطف اليهود او مناوأتهم قد يكون له اثره الفعال في توجيه كفة الميزان نحو قضية الحلفاء او ضدهم . ثم ان عطف اليهود من شأنه على الاخص ان يضمن معاضدة اليهود في امريكا ، ويجعل من الصعب على المانيا تخفيض قواها العسكرية وتحسين وضعها الاقتصادي في الميدان الشرقي »[58] . كذلك صرح لويد جورج بنفسه في مجلس العموم البريطاني في 19 يونيه 1936 بما يلي : « كان يهمنا ان نحصل على كل تأييد مشروع يمكن الحصول عليه . وقد خرجنا من المخابرات التي تلقيناها من كل جهة من العالم بانه من الحيوي لنا الحصول على تأييد الطائفة اليهودية[59] » وكان قد ادلى بتصريح في 17 نوفمبر 1930 حين مناقشة الكتاب البريطاني الابيض لعام 1930 ورد فيه :

«It was a Declaration which was issued for reasons regarded by the Allies as paramount in the great conflict» [60]

كما ادلى اورمسبي غور في جلسة 9 يوليه 1923 بالتصريح التالي « ان هدف وجودنا في فلسطين ليس فقط للاحتفاظ بها وطنا روحيا لليهود ، بل هناك اسباب اخرى[61] .

يتضح مما تقدم ان الدافع الاساسي في اصدار الوعد هو المصلحة البريطانية فقط . وقد ساعدت بعض النظريات السخيفة حول دوافع بريطانيا لاعلان الوعد على تشويه الرؤ ية ، والتشكيك ببواعث الوعد الحقيقية . ومن هذه النظريات ان بريطانيا اصدرت الوعد اعترافا منها بخدمات حاييم وايزمان في اكتشاف الاسيتون الصناعي في ادق مراحل الحرب . وتروي الاسطورة ان لويد

58 ـ تقرير اللجنة الملكية، ص 32 .
59 - P.D. vol. 313, col. 1343
60 » P.D. vol 245, cols. 77 - 8
61 - P.D. vol. 166, col. 900

جورج -رئيس الوزراء البريطاني آنذاك -سأل وايزمان بماذا يستطيع ان يكافئه ؟ فأجابه وايزمن : بصنع شيء لشعبي . وهذا الامر كله غاية في النفاق السياسي . وقد رفضه تشارلز وبستر[62] ، مستشار وزارة الخارجية البريطانية في فترة الحرب العالمية الاولى ، وسكرتير القسم العسكري من الوفد البريطاني في مؤتمر الصلح لعام 1919 . كما رفضه كريستوفر سايكس[63] .

وهناك نظرية سندات قروض الحرب التي اصدرتها بريطانيا[64] . والواقع ان اكثر اليهود الذين اشتروا ما اصدرته بريطانيا من هذه السندات في عامي 1917 و 1918 انما كانوا من المعارضين للسياسة التي يمثلها وعد بلفور[65] . وقد اكد ذلك وايزمن اثناء ادلائه بشهادته امام لجنة بيل في 25 نوفمبر 1936 في القدس ، فقال ان « اغنياء اليهود الذين يعرفون بالرأسماليين ، كانوا في ذلك الوقت (1917) باغلبيتهم الساحقة من معارضي وعد بلفور » . وسأله بيل « هل كان ذلك في انجلترا » ، فأجاب وايزمن « نعم في انجلترا وفي امريكا . وللتدليل على ذلك اقول انه في يونيه 1917 -اي قبل اعلان وعد بلفور ببضعة اشهر -اعرب كبار اليهود في انجلترا ، وكلهم من اصحاب الشهرة والاحترام ، برسالة نشروها في التيمز عن عدم رضائهم عن كل عمل من هذا القبيل . وقد اطلعت على هذه الرسالة وانا في ميناء دوفر ، لان الحكومة البريطانية كانت اوفدتني في ذلك الوقت بمهمة الى جبل طارق . واسمح لنفسي ان اقول ان الرسالة اثارت من جديد جدلا طويلا في مجلس الوزراء البريطاني واوجبت تأخير اعلانه بعد ان كان منتظرا ان يعلن في شهر يونيه[66] » وتؤكد بلانش دوجيل Dudgale ابنة اخت بلفور ، في تاريخ حياة

Webster, op. cit., p. 120 - 62

Sykes, op. cit., p 27 - 63

Ronald Storrs: Orientations, London 1943, p. 344 - 64

65 جورج انطونيوس ، المصدر السابق ، ص 367 .

66 - محمد توفيق حانا : الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين، دمشق 1937، ص 461 - 462. وانظر ايضا : Dodd, C.H Sales, M E. Israel and the Arab World, London 1970, pp. 42 - 3

خالها بان « الصهيونيين (في امريكا) لقوا معارضة شديدة من كبار الرأسماليين[67] » ، ويعلق رونالد ستورز على ذلك بقوله ان « وعد بلفور كان موضع مساومة مع الماليين الامريكيين[68] » .

أما مسألة استغلال النفوذ المالي والسياسي اليهودي في جر الولايات المتحدة لدخول الحرب الى جانب الحلفاء ، فهذا امر مبالغ فيه . لقد كان الدافع الاساسي وراء دخول الولايات المتحدة الحرب في 2 ابريل 1917 هو تأثر الاقتصاد الامريكي من حرب الغواصات الالمانية . كذلك فان مصالح البنوك الامريكية ، خاصة بنك مورجان Morgan ، قد تعرضت للخطر بعد اقراض بريطانيا وفرنسا مبالغ كبيرة لشراء المواد الاولية والمنتجات الغذائية المتوفرة في الولايات المتحدة[69] . ويشكك جورج انطونيوس في العامل اليهودي ودخول الولايات المتحدة الحرب[70] . كما يشكك فيه كرستوفر سايكس فيقول انه « ساد اعتقاد في اواخر 1916 واوائل 1917 بان اصدار وعد في جانب الصهيونية سيؤدي الى تحويل الرأي العام اليهودي الامريكي الى جانب الحلفاء ، بالتالي الى التأثير على الرأي العام الامريكي . كان هذا الاعتقاد مهما بل اساسيا للساسة البريطانيين ، ولكن هذا الاعتقاد لم نسمع به في المراحل الاخيرة من المفاوضات ، ويبدو انه نسي[71] » . ويشير وايزمن الى ان كسب يهود امريكا ليبذلوا جهودا في اقناع الولايات المتحدة بالوقوف الى جانب الحلفاء كان عاملا جوهريا في اصدار الوعد . ومهما يكن من امر ، وبدون التقليل من اهمية هذا العامل ، الا ان هناك ما يوحي بان الوضع كان على خلاف ذلك . « فقيادة الصهيونية البريطانية استنجدت بالصهيونيين الامريكيين ليقنعوا حكومتهم

---

67 ـ Dudgale, Blunche : Arther James Balfour, London 1936, vol II, p. 231

68 ـ Storrs, op cit., p. 344

69 ـ بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين، تعريب نور الدين حاطوم، دمشق 1961، ص 61 - 62.

70 ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ز٧٦٣

71 ـ Sykes, op. cit., p. 27

بالضغط على بريطانيا لتصدر تصريح بلفور[72] .

ويعترف لويد جورج Lioyd George بعوامل اخرى ادت الى اصدار الوعد ، ويؤكد مثلا ان بعض ما حفز بريطانيا الى اصدار الوعد المعلومات بان قيادة اركان الجيش الالمانية في عام 1916 الحت على الاتراك ان يلبوا مطالب الصهيونيين بشأن فلسطين[73] . وان الحكومة الالمانية كانت في سبتمبر تبذل مساع جدية للسيطرة على الحركة الصهيونية[74] . ويستطرد فيذكر ان جمعية يهودية المانية تأسست في يناير 1918 ، بعد وعد بلفور ، وان الوزير التركي طلعت باشا ـ بايعاز من الالمان ـ وعدها وعدا واهيا لتحقيق رغبات اليهود في فلسطين[75] . ويؤكد كرستوفر سايكس بان « الخوف من الصهيونية الالمانية قد أسرع بالتأكيد في اصدار الوعد[76] » . ثم ان في توزيع الطائرات البريطانية لآلاف من نسخ الوعد فوق روسيا وبولونيا والمانيا والنمسا والمجر[77] » . ما يوحي بان اصحاب الوعد اعتقدوا انهم بذلك يكسبون تأييد اليهود في روسيا ضد البلاشفة ، وفي دول المحور ضد حكوماتهم . ولا شك ان ضرب الثورة الروسية (اكتوبر 1917) كان من ضمن اهداف بريطانيا من اصدار وعد بلفور . فقد حذر كانون ادوارد هور Canon Edward Hoare في كتابه المطبوع في لندن في اغسطس 1918 من « غزو روسي للشرق الاوسط من الشمال[78] » . ويؤكد آرنولد توينبي Toynbee انه « ليس مما يثير العجب والدهشة ان يتم اعلان تصريح اللورد بلفور في نفس اللحظة التي كانت آمال الحلفاء في الاستفادة من قوة

---

72 ـ اميل توما . دراسات في القضية الفلسطينية رقم 5 ـ الجديد ـ مارس 1969.

73 ـ Lloyd George . The Truth about the Peace Treaties, 2 vols, London 1938, p. 1116

74 ـ op. cit., p. 1121

75 ـ Ibid, p. 1141, Great Britain and Palestine, pp. 9 -10

76 ـ C. Sykes, op. cit., p. 27

77 ـ Lloyd, G., op. cit. p. 1140 احمد الشقيري : محاضرات عن قضية فلسطين منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى 1919، القاهرة 1954، ص 47، وتقرير اللجنة الملكية، ص 32

78 ـ Canon Edward Hoare : Great Britain, Palestine, Russia and The Jews, London August 1918, pp. 22 -3

شريكتهم (اي روسيا) الحربية قد تبخرت وذهبت ادراج الرياح[79] » . وتشير الكوكب[80] بألم ومرارة الى مسألة خروج روسيا من الحرب .

ولعل مثل هذه الاعتبارات السابقة هي لتي قصدها لويد جورج حين اكد ان « اسبابا دبلوماسية وعسكرية ملحة حققت اجماعا (من الوزارة) حول الموضوع (موضوع الوعد) ، وحتى المستر مونتاجو[81] استسلم وقبل بالتصريح (تصريح بلفور) بوصفة ضرورة عسكرية[82] » . كذلك يميل هانز كوهن Hans kohn الى تأييد هذا المعنى فيقول ان « الوعد وليد ظروف الحرب[83] » . ويؤيد هذا الاتجاه وليامز تومبسون Willıams - Thompson فيشير الى انه « قرار استراتيجي املته ظروف الحرب[84] » .

ومهما يكن من امر ، فان المحرك الاساسي في الموضوع كله كان مصلحة الاستعمار البريطاني ، لا المصلحة المؤقتة فقط ، بل بعيدة المدى . وهذا ما اعربت عنه الصحافة البريطانية في الفترة التي سبقت الوعد واعقبته . فتحت عنوان (سياسة بريطانيا في فلسطين) كتبت Sunday Chronicle « لا يوجد جنس آخر في العالم كله يستطيع ان يقوم بهذه الخدمات لنا غير اليهود انفسهم . . . ولدينا في الحركة الصهيونية القوة المحركة التي ستجعل امتداد الامبراطورية البريطانية الى فلسطين مصدر كبرياء وركن قوة » . وكتبت ايفننج ستاندرد Evening Standard « لقد اوضحت المصالح البريطانية منذ وقت طويل ضرورة قيام دولة حاجزة بين مصر وحكومة تركية معادية ، والصهيونية تقدم الحل » . وتجرأت الصحف البريطانية بعد صدور الوعد فكتبت جلاسكو هيرالد Glasco

---

79 ـ ارنولد توينبي : فلسطين جريمة ودفاع ـ تعريب عمر الديراوي ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ 1961، ص 58

80 ـ الكوكب ـ 1918/1/18 و77 - 1918/1/15.

81 ـ وزير الهند، يهودي، عارض الوعد وكان من اشد معارضي الصهيونية.

82 ـ Lloyd, G. op. cıt , p. 1134

83 ـ Hans Kohn : Natıonalism and Imperialism ın the Hıther East, London, 1932, p 128

84 ـ Wılliams - Thompson, R.: The Palestıne Problem, London 1946, p. 27

Herald من وجهة النظر البريطانية يتم الدفاع عن قناة السويس على افضل وجه بـ صافة شعب في فلسطين ملتصق بنا ، واعادة اليهود الى فلسطين تحت الحماية البريطانية يضمن ذلك[85] » .

كذلك فان العامل الصهيوني في الصراع الانجلو فرنسي في الشرق الاوسط لم يغب عن ذهن واضعي مخططات المصالح الاستعمارية البريطانية . صحيح ان هذا العامل كان ثانويا عند صدور الوعد ، لكنه تحول في فترة الصراع بعد الحرب الى عامل جوهري بعيد الاثر . فقد قصدت بريطانيا من ادخال العامل الصهيوني في لعبة المصالح الاستعمارية ان تقضي على كل امل لفرنسا في المشاركة في الادارة الدولية للمنطقة البنية (فلسطين) في اتفاق سايكس بيكو . يضاف الى ذلك ان المصلحة العليا البريطانية ـ بوصفها العامل الحاسم في الوعد ـ قد تأكدت فيه . وقد لاحظ (آحاد هاعام) Ahad Ha'am ـ المفكر الصهيوني ـ بحق ان « الوزارة البريطانية صاغت وعدها في نهاية المطاف بدون اهتمام بمقترحات الصهيونيين اومعارضي الصهيونية[86] » . كذلك فإن تشارلس وبستر يؤكد على المصالح البريطانية فيقول « اذا استهدفت المصالح الاستراتيجية البريطانية قاعدة في فلسطين ، فان اشراك اليهود معها يسهل لها ذلك . . . نحن نسيطر على مصر ، وان قاعدة بريطانية في فلسطين على الجانب الآخر من قناة السويس ستكون ذات فائدة كبيرة لنا في المستقبل[87] » . وليس غريباً ان يختتم الفصل الثاني من Esco Foundation حول (الحرب العالمية الأولى وتصريح بلفور) بهذه الجملة « استطاعت بريطانيا العظمى في نهاية الأمر ، بواسطة وعد بلفور ، ان تقوى وتمد نفوذها في كل منطقة الشرق الأدنى[88] » .

---

85 ـ اميل توما : المصدر السابق، ص 42

86 ـ المصدر السابق، ص 43.

87 ـ Webster, op. cit , p. 124

88 - E.F., vol. I, p. 118

كان إعلان تصريح بلفور هو الحلقة الثالثة من حلقات تطويق منطقة الشرق الأوسط بالنفوذ البريطاني ، وقد سارت الحلقات الثلاث « في تعاون تام مع بعضها البعض[89] » ، ذلك ان كل واحدة منها ، من وجهة النظر البريطانية ، كانت تتولى (تطويق) احدى القوى القائمة ، او التي لها نفوذ او مصالح في المنطقة . وكانت فلسطين عند صدور الوعد (2 نوفمبر 1917) قد دخلت في طور جديد من الحكم العسكري البريطاني ، اذ كان الجنرال اللنبي ، قائد عام الحملة المصرية ، قد بدأ في فرض الاحكام العسكرية في اكتوبر 1917 .

---

89 - Royal Institute of International Affairs : British Interests in the Mediterranean and the Middle East, Report by a Chatham House Study Group, London 1958, p. 6

الفصل الثالث
فلسطين تحت الحكم العسكري البريطاني 1917 ـ 1920

تولى الجنرال ادموند اللنبي E. Allenby قيادة الحملة المصرية في فلسطين في يونيه 1917 ، وبذلك دخلت فلسطين في طور جديد . ويذهب كثير من المؤرخين الى ان الحكم العسكري بدأ في فلسطين عام 1918 ، ولكن الواقع يخالف ذلك . فهو قد بدأ بالفعل في عام 1917 وبالتحديد منذ اكتوبر 1917 ، وذلك تحضيرا للهجوم على بئر السبع الذي تم في 31 اكتوبر في نفس العام . ففي 24 اكتوبر 1917 اصدر الجنرال اللنبي منشورا عسكريا اعلن فيه انه « على جميع سكان البلاد التي كانت سابقا تحت حكم الاتراك والتي تحتلها الآن الجنود الذين بقيادتي ، ان يمتنعوا عن كل عمل من شأنه اقلاق الراحة العمومية او مساعدة اعداء جلالته البريطانية او اعداء حلفائه[1] » .

ابتدأ الحكم العسكري في فلسطين باصدار منشور 24 اكتوبر 1917[2] ، ثم تبع ذلك احتلال بئر السبع في 31 / 10 / 1917[3] ، وغزة في 7 نوفمبر ، ويافا في 16 نوفمبر من العام نفسه . والواقع ان ذلك كله كان تمهيدا للمهمة الاولى للحملة

---

1 ـ انظر : الملحق الرسمي لجريدة فلسطين، 1918/5/30، ص 2

2 ـ انظر المنشور الذي اصدره الجنرال اللنبي في 1918/3/30 تفسيرا وتوضيحا لمنشور 1917/10/24، انظر . الملحق الرسمي لجريدة فلسطين، 1918/6/20، ص2- 3

3 ـ الكوكب ـ 67 - 1917/11/6.

المصرية وهي احتلال مدينة القدس . وقد انسحبت القوات التركية من المدينة في 8 ديسمبر 1917 [4] ، وسلمت في 9 منه [5] ، ودخلها اللنبي رسميا في الحادي عشر من نفس الشهر [6] . وفي نفس اليوم ، ومن قلعة صلاح الدين ، اذاع منشور « الاحكام العرفية في القدس الشريف » ، الذي اكد فيه ان المدينة « اصبحت راضخة للاحكام العرفية » ، وان هذا النظام سيظل ساريا فيها ما دامت الاعتبارات الحربية تقضي بذلك [7] .

هكذا وقع القسم الجنوبي من فلسطين ، وهي الاقاليم الواقعة جنوبي خط يافا - القدس ، تحت الحكم العسكري . اما القسم الشمالي من فلسطين فظل خاضعا للحكم التركي حتى اواخر سبتمبر 1918 حينما دخلت القوات البريطانية نابلس في 20 ، وحيفا وعكا في 23 من الشهر المذكور [8] . وهذا الامر غاية في الاهمية ، اذ ان قيادة الحملة المصرية لم تستطع اعلان تكوين « ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا » (اي فلسطين) قبل اكتوبر 1918 .

ان القاعدة التي تتبع عادة في ادارة البلاد التي تحتلها الجيوش العسكرية هي المحافظة على الحالة الراهنة ، وتجنب احداث اي تغيير جوهري في قوانين البلاد او في طريقة تطبيقها ، والسير في الامور باقل ما يمكن من الازعاج للاهالي ، ريثما تقوم في البلاد حكومة دائمة . وفترة الانتقال هذه تكون عادة قصيرة الامد . ويوضح

---

4 - انطر صورة الوثيقة المؤرخة في 1917/12/8 المرسلة من متصرف القدس عزت، الى اللنبي، بسحب القوات التركية من المدينة، في عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، يافا 1937، ص 27

5 - حصر تسليم المدينة من العرب كل من · حسين سليم الحسيني (رئيس البلدية)، توفيق صالح الحسيني، رشدي المتهتدى، احمد شرف (قوميسيير البوليس)، ابراهيم الرعنون (بوليس)، حسين العسلي (بوليس)، جواد اسماعيل الحسيني، عبد القادر العلمي (قومسيير)، حنا اسكندر اللحام (حامل علم التسليم) انطر عيسى السفري، المرجع السابق، ص 28

6 - P.D. vol 100, col. 875

7 - انظر : الملحق الرسمي لجريدة فلسطين، 1918/5/30، ص 2، الكوكب 1917/12/18 - 73 -المقطم 7- 296 P.D vol. 100, cols. 1180 -1, R. Storrs, op. cit , pp. 1917/12/14.

8 - انظر المقطم في 1918/9/23 و 1918/9/24 . جميل البحري : تاريخ حيفا، حيفا 1922، ص 42- 43.

(كتاب القوانين العسكرية) الاصول التي يجب على المحتل ان يسير بموجبها في بلاد العدو التي يحتلها بانه « لا يجوز للمحتل بعد ذلك ان يعمل على تنفيذ ارادته غير مقيد بشيء ، وان يغير شكل الحكومة الراهن قالبا الدستور والتشريعات المحلية رأسا على عقب ومتجاهلا حقوق السكان[9] » .

والامر الذي لا بد من توضيحه في نهاية الامر هو : هل طبقت سلطات الحكم العسكري في فلسطين اسس ومبادىء « القوانين العسكرية » التي نصت عليها اتفاقية لاهاي عام 1907 ؟ .

كان مدير الادارة العسكرية في فلسطين منذ الحكم العسكري هو الجنرال كلايتون[10] Clayton الضابط السياسي العام في المكتب العربي بالقاهرة . وكان معنى هذا التعيين ربط الادارة العسكرية منذ البداية بالادارة السياسية حتى يمكن تنفيذ المخطط البريطاني الموضوع بالنسبة لفلسطين . وقد استطاع كلايتون تنظيم هيئة عسكرية تعمل تحت ادارته ، وعين عسكريين بكل من بئر السبع ، غزة ، عسقلان ، المجدل ، الرملة ، رام الله ، اريحا ، بيت لحم ، الخليل ، يافا ثم القدس بعد احتلالها في 9 ديسمبر 1917[11] . وانشأ وظيفة جديدة اطلق عليها اسم (مفتش العرب) اناطها بالمستر باركر . Parker ووظائف اخرى هي : المستشار المالي ، قاض ، الزراعة والمعارف ، المالية ، الجمارك والواردات ، المصلحة الطبية[12] . وعين جبرائيل حداد (متشارا محليا)[13] للكولونيل رونالد ستورز

9 ـ انظر تقرير اللجنة الملكية، ص 201 Frances Newton: Fifty Years in Palestine, London 1948, p 129

10 ـ عارف العارف · تاريخ القدس، القاهرة 1915، ص 139. عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح . تاريخ فلسطين، القدس 1923، ص 292
Luke, H. Keith - Roach, E. : The Handbook of Palestine and Transjordan, London, 1934, p 31
British Government : A Brief Record of the Advance of the Egyptian Expeditionary Force, under the command of General Sir Edmond H.H. Allenby, July 1917 to October 1918 Cairo 1919 Opposite to Plate No. 55

11 ـ انظر : الملحق الرسمي لجريدة فلسطين، 1918/5/30، ص 1- 2.

12 ـ المصدر السابق ص 1

13 ـ المصدر السابق، ص 1 جبرائيل حداد سوري مسيحي ، كان يعمل في المخابرات البريطانية

التعديلات اللازمة مراعاة لقانون حقوق الدول ولحسن ادارة الاراضي المحتلة[24] » . وهذا تدخل صريح في القوانين المعمول بها والسارية في فلسطين قبل الاحتلال البريطاني .

تبع اعلان 9 يونيه 1918 صدور لائحة اصول المحاكمات ، التي اصدرها مستشار العدلية الميجور كلارك Clark ، وقد شملت (اصول المحاكمات الجزائية) و(المحاكم المخصوصة) و(اصول المحاكمات الجزائية) و(المحاكم المخصوصة) و (اصول المحاكمات لدى محاكم الصلح) واختصاصات (كاتب العدل) ونسبة (الرسوم والعوائد) و (اوراق التمغة)[25] . كما صدر قانون خاص ينظم القضاء في منطقة بئر السبع ونواصيها[26] ، وهو قانون اختلف عما كان معروفا ابان العهد التركي . وقد حاولت الادارة العسكرية باصداره ان تخلق نوعا من الجفاء بين البدو وبين الفلاحين وسكان المدن في فلسطين . اما بالنسبة للمحامين وسلوكهم و (مجلس التأديب) و(رسوم المحاماة) و(اجر المحامي) فقد صدر قانون في اول اكتوبر 1918[27] يتضمن كل هذه الامور وتنظيمها . كذلك اصدر نورمان بنتويتش Bentwich . N نائب مستشار العدلية قانونا ينظم (الرسوم القضائية)[28] في جميع انواع القضايا ، وتخفيفها والاعفاء منها . اما بالنسبة لاصول المحاكمات الحقوقية والتجارية ، فقد صدر بشأنها قانون مؤ رخ في 10 ديسمبر 1918[29] . .

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام، ان معظم هذه القوانين ظل ساري المفعول بعد انقضاء فترة الحكم العسكري في 30 يونيه 1920، مما يدل على ان شكل الحكم العسكري ظل قائما، انما اعطيت له صورة

---

24 ـ انظر : الملحق الرسمي لجريدة فلسطين، 1918/7/4، ص 1.

25 ـ المصدر السابق، ص 2- 4.

26 ـ المصدر السابق، 1918/10/31، ص 1- 2.

27 ـ المصدر السابق، 1918/11/21، ص 1- 2.

28 ـ انظر . الملحق الرسمي لجريدة فلسطين، 1918/10/31، ص 1- 3

29 ـ المصدر السابق 1918/11/31، ص 1- 2.

مدنية. كذلك فان الأدارة العسكرية اهتمت بالنظام المالي في البلاد حتى تستطيع ان توفر الأموال الضرورية لنفقات الأدارة.

الأدارة المالية:

ينص كتاب القوانين العسكرية على ان « تنتقل ادارة البلاد المالية (في بلاد العدو المحتلة) الى ايدي المحتل. ولكن التشريعات المالية باكملها تظل سارية المفعول. واذا كان المحتل يجمع الضرائب والعوائد والمكوس المستحقة للدولة فهو بالتالي مكلف بالأنفاق على ادارة البلاد المحتلة الى نفس الحد الذي كانت الحكومة الوطنية السابقة مكلفة. ويجب ان تجبي الأموال بقدر الأمكان وفقا للأنظمة الموجودة وعلى اساس التخمين المعمول به. ويحق للمحتل ان يخصص لمنفعة الجيش كل رصيد يتبقى من الأموال بعد دفع هذه النفقات. ولا يجوز للمحتل ان يستعمل الضرائب المحلية الا للمقاصد التي جبيت من اجلها »[30].

كان اول ما فعلته الحملة المصرية ان ادخلت الى فلسطين العملة المصرية [31]، وجعلتها العملة الرسمية الى جانب عملات الحلفاء والعملة العثمانية ان كانت ذهبا او ورقا. واصدرت اعلانا مؤ رخا في 28 ديسمبر 1917 حول (التعريفة الرسمية)[32]، حددت فيه اسعار النقود الرسمية بالنسبة للعملة المصرية. واباحت « للصيارفة ان يمارسوا مهنتهم بعد حصولهم على الرخصة من دائرة المالية، بشرط ان لا يجاوز ما يتقاضونه لصرف اوراق البنكنوت المصري بالنقود المصرية او خلافها واحدا في المائة ». كما تابعت نشر (التعريفة الرسمية) في جريدة فلسطين[33] وجريدة الكوكب[34]. الا انه بعد احتلال الجزء الشمالي من فلسطين وطرد الأتراك

---

30 ـ انظر تقرير اللجنة الملكية، ص 201.

31 ـ British Government : A Brief Record, opposite to plate 55

32 ـ انظر : الملحق الرسمي لجريدة فلسطين 1918/6/20، ص 3.

33 ـ جريدة فلسطين (ج ف) ع 1 - 1918/4/11، والملحق الرسمي لجريدة فلسطين 1918/5/30، ص 3.

34 ـ الكوكب ـ 181 - 1920/3/2.

منه[35]، اصدر المدير العام لبلاد العدو المحتلة امرا مؤرخا في 30 سبتمبر 1918 قرر بموجبه منع تداول « اوراق البنكنوت العثماني في معاملات الأخذ والعطاء في بلاد العدو المحتلة[36]. وتأكد هذا الأمر باعلان آخر أصدره ستورز نائب المدير العام لبلاد العدو المحتلة (جنوبا) وحاكم القدس، مؤرخا في 12 ديسمبر 1918[37]، كما اعاد فيه اعلان (التعريفة الرسمية) للنقود المتداولة في البلاد.

ان اعلان (التعريفة الرسمية) المتكرر نشأ عن امرين، اولهما عودة المهاجرين الفلسطينيين الى البلاد، وهم الذين كانوا منفيين بامر السلطات العثمانية اما في شمال فلسطين او في دمشق او احدى المدن السورية الأخرى، او في قونية وادنة في الأناضول[38]. فقد عادوا وهم يحملون نقودا من مختلف الأنواع، وارادوا ان يوفوا بالتزاماتهم المالية، او يبدأوا بمشروعات تجارية جديدة[39]. وثانيهما اختلاف (التعريفة الرسمية) عما كان سائدا من الأسعار لمختلف العملات في فلسطين. حتى ان جريدة المقطم اقترحت على الأدارة العسكرية « وضع جدول بسعر العملة التركية اسبوعيا منذ بداية الحرب حتى يمكن دفع الدين بسعر تلك المدة[40].

اما بالنسبة للضرائب فقد اصدر اللفتنانت كولونيل باركر (نائب حاكم البلاد المحتلة) اعلانا في 27 فبراير 1918 ينص على ان « جميع التكاليف والرسوم[41] التي كانت تجبيها الحكومة التركية قبل دخولها الحرب يصير

35 ـ انظر المقطم في 20, 23, 24, 1918/9/27.

36 ـ انظر الملحق الرسمي لجريدة فلسطين 1919/1/2، ص3

37 ـ المصدر السابق، 1919/2/6، ص 1

38 ـ انظر رسالة نصري فيعاني من حلب في 9 ديسمبر 1918 الى (ج ف) حول المبعدين في قونيه وادنه ـ ح ف ع 41 ـ 1919/1/16

39 ـ المصدر السابق.

40 ـ المقطم 1918/11/22

41 ـ هي : ضريبة الويركو (4%) ، ضريبة العشر (12,5٪)، ضريبة الحيوانات في القرى، وضريبة الويركو وضريبة المتمتع في المدن.

مراعاتها وتحصيلها، وان جميع المتأخرات من سنة 1333 (1917 م) التركية المالية يصير تحصيلها ايضا حسبما كان جاريا قبل الحرب[42] ». وهذا يعني ان الادارة العسكرية ثبتت جميع الضرائب التي كانت مفروضة زمن الحكومة العثمانية قبل الحرب. ولكن الأهالي تذمروا من هذا الموضوع، مما اضطر الجنرال اللنبي الى ان يصدر منشورا مؤرخا في 7 مايو 1918 ثبت فيه الاعلان رقم 19، وزاد بان الضرائب ستجبى اعتبارا من اول مارس 1918، والغى المنشور « جميع الضرائب الأخرى عن كل مدة سابقة لأول مارس 1918 ». واكد انه « لا يؤثر في حقوق ادارة صندوق الدين العثماني باعتبار الديون المستحقة للادارة المذكورة عن اية مدة سابقة لتاريخ اول مارس سنة 1918[43] ». وبناء عليه فقد بقيت الوكالة المحلية لمجلس الديون العمومية عاملة في البلاد. كما صدر منشور آخر في 11 يونيه 1918 اعيدت بموجبه شركة الريجي Regie لحصر التبغ والتنباك في السلطنة العثمانية الى العمل. وهكذا ارجعت الحالة في الأراضي المحتلة بعد 11 يونيه 1918 الى ما كانت عليه قبل الحرب وقبل الاحتلال البريطاني.

ولما كانت البلاد تعاني ازمة اقتصادية نتيجة للحرب، فان الاهالي لم يقبلوا على دفع الضرائب، مما اضطر الأدارة العسكرية الي ان تنشر بيانا تعلن فيه انه « لن يؤخذ من احد شيء الا ما هو مفروض عليه بحسب القانون »، وانها تأمل « يكون مجموع تلك الضرائب اكثر مما كان في عهد الأتراك »، ووعدت بعدم « اخراج هذه الأموال من فلسطين كما كان الأتراك يفعلون سابقا »، وانها ستنفقها « في الأصلاحات التي تعود على الأهالي بالنفع العميم. واذا ظهر بعدئذ ان مجموع الضرائب يزيد عن الحاجة، فستنظر الحكومة (العسكرية) في خفضها[44]. ومع هذا فان الأهالي لم

---

42 ـ انظر. الملحق الرسمي لجريدة فلسطين، 1918/5/30، ص 3

43 ـ المصدر السابق، ص 2، والمصدر نفسه 1918/7/11، ص 1.

44 ـ ح ف ع 15 - 1918/7/18.

يقبلوا على دفع الضرائب، حتى اضطر الجنرال موني الى اصدار اعلان في 12 اغسطس 1918 قسط فيه ضرائب العقارات والأراضي « على دفعتين حينما تكون القيمة اكثر من مائة قرش مصري، الأولى تستحق في 15 آب (اغسطس) 1918، والثانية في 15 تشرين الثاني (نوفمبر) 1918 ». وهدد بان كل من « يتأخر عن هذا الميعاد تتخذ ضده الأجراءات الأعتيادية لاجل التحصيل[45] . ولم تفد تهديدات الادارة العسكرية في حث الاهالي على دفع الضرائب، فاصدر الجنرال موني اعلانا آخر في 15 نوفمبر 1918 عدل فيه موعد دفع الاقساط المتأخرة، وجعلها في اول ديسمبر 1918 والثاني في 15 يناير 1919[46]. ومع كل هذا فان الأهالي لم تقبل على دفع الضرائب بصورة جماعية.

اما بالنسبة للميزانية، فقد بلغت ايرادات السنة المالية 1918/1919 نحو 748ر258 ج م، والنفقات 883[47],696 ج م. ومعنى هذا ان هناك فائضا مقداره 375ر51 ج م. وهذه هي اول الثمرات التي اقتطفها الأستعمار البريطاني في فلسطين. كما بلغت الأيرادات لعام 1919/1920 نحو 200ر735 ج م، والنفقات 050ر619[48] ج م، وبالتالي كان الفائض نحو 150ر116 ج م. هذا بالأضافة الى نقص مقدار النفقات عن عام 1918/1919، مع ان شمال البلاد كان قد دخل تحت الحكم العسكري البريطاني ابتداء من سبتمبر 1918.

ومهما يكن من امر، فانه يمكن القول ان الأدارة العسكرية احدثت اصلاحين هامين في النظام المالي الحكومي:

أولا: ضيقت كثيرا الصلاحيات التي كانت معطاة للوكالة المحلية

---

45 ـ انظر: الملحق الرسمي لجريدة فلسطين 1918/9/5، ص 2- 3

46 ـ المصدر نفسه 1919/2/6، ٢

47 ـ الكوكب ـ 160 - 1919/10/7

48 ـ تقرير اللجنة الملكية، ص 202 - 203.

لادارة الديون العمومية العثمانية[49]. فتولت الأدارة العسكرية بنفسها جباية الأعشار ومنح رخص حمل السلاح[50]، وصيد الطيور وصيد الأسماك وضبط رسوم المكس. وبالنتيجة، حصرت اعمال الوكالة المحلية لمجلس الديون العمومي، بادارة احتكار الملح[51] وامور اخرى صغيرة لا تأثير جوهري لها في ادارة البلاد.

ثانيا: ابطلت جباية الأعشار بواسطة ملتزمين، وقد بدىء بهذا الأصلاح في يونيه 1918، وعينت لجان تخمين اولك اليها تخمين حصة الأدارة العسكرية من غلة القرية عينا. وكان التخمين يعلن في القرية المعينة ويخضع للاستئناف الى الحاكم العسكري في اللواء مدة ستة ايام من تاريخ اعلانه. وكان يحق للقرويين ان يستأنفوا قضاياهم بشأن اسعار الأستبدال التي كانت تحددها الأدارة العسكرية الى لجنة خاصة معينة لهذا الغرض. وكانت الأدارة تجبي الضريبة بواسطة موظفيها، وبذلك الغى التزام الضريبة الغاء تاما[52]. اما بالنسبة للمستوطنات « الأسرائيلية الكائنة في بلاد العدو المحتلة » فقد « عينت الحكومة (العسكرية) - بصورة استثنائية - لجنة لتقدير العشور، تتألف من اربعة اشخاص خبيرين ينوبون عن ريشون لتسيون Rishon - Le - Zion ورحوبوت Rehovothويدراح وكلفريت ازاتيك[53] »، وهو امتياز لم تكن هذه المستوطنات تحظى به من قبل.

الحالة الأقتصادية:

كان جنوب فلسطين حتى ديسمبر 1917 ميدانا لمعارك شديدة بين

49 - هي : رسم المكس على الخمور والمسكرات، بيع الدمغة، اصدار رخص صيد الاسماك وصيد الطيور وحمل السلاح، ادارة احتكار الملح.

50 - انظر اعلان رقم 22 و23 و27 في املحق الرسمي لجريدة فلسطين. 1918/9/5، ص 6، وكذلك الاعلان الصادر في 12 اعسطس 1918 في المصدر نفسه 1918/9/5، ص 2.

51 - ج ف ع 22 - 1918/11/14.

52 - ج ف ع 12 - 1918/6/27، سعيد حمادة . المصدر السابق، ص 677- 678.

53 - ج ف ع 12 - 1918/6/27، ريشون لتسيون اسستها بين 1878و 1882 منظمة بيلو كأول مستعمرة لها في فلسطين في موقع عيون قارة العربية. ورحوبوت (ديران) اسسها عام 1890 جماعة من يهود بولونيه كقرية زراعية.

القوات الانجليزية والقوات العثمانية، كما كان شمال فلسطين ميدانا لقتال عنيف في سبتمبر 1918 • وقد قام الاتراك في الجنوب والشمال بقطع اشجار الزيتون والبرتقال وغيرها لاستخدامها وقودا أو لاغراض عسكرية اخرى . وقدرت اعداد اشجار الزيتون التي قطعها الاتراك في بيت لحم وبيت جالا بنحو 30,000 شجرة[54] . ونتج عن هذا كله، بالاضافة الى انقطاع الصادرات والواردات - ما عدا يتعلق بمهمات قوات الاحتلال - ازمة اقتصادية طاحنة في البلاد، عانى منها الفلاحون الذين كانوا يشكلون 69% من المسلمين و 46% من مجموع العرب النسيحيين في فلسطين[55]. وقد صور تقرير اللجنة الملكية هذا الوضع فذكر ان (كثيرا من المنفيين لم يعودوا والقرى التي دمرتها الحرب لا تزال على حالتها من الدمار، والبلاد يسودها شعور عام من عدم الاطمئنان الى مستقبل ملكية الاراضي[56] » .

كانت اولى المشاكل التي واجهتها الأدارة العسكرية هي تحديد الأوزان والمكاييل، وقد صدر بذلك اعلان رسمي[57]. ثم اضطرت الى تحديد اسعار المواد الغذائية الرئيسية، والأشراف على توزيع السكر والجاز[58]. واسس الحكام العسكريون في مراكزهم (شركات اقتصادية) لبيع الأقمشة التي كانت تستورد من مصر. كما نشطت حركة التهريب بين جنوبي فلسطين وشمالها بعد سبتمبر 1918، وبين فلسطين والمناطق المجاورة، حتى اضطرت الأدارة العسكرية الى توجيه منشور « الى عامة الحكام العسكريين في فلسطين لمنع اصدار بعض المواد الضرورية كالارز والسكر والقمح والبترول من فلسطين الى سواها[59] ». ووجهت تحذيرا آخر

54 - ح ف ع 44- 1919/2/6.

55 - انظر الكوكب - 160 - 1919/10/7.

56 - تقرير اللجنة الملكية، ص 203 - 204

57 - ج ف ع 1 - 1918/4/11

58 - ح ف ع 25 - 1918/9/26، المقطم 1918/6/22.

59 - ج ف ع 42 - 1919/1/23.

الى تجار الحبوب الذين يقصدون مناطق الخليل والرملة وغزة وبئر السبع لشراء الحبوب وتخزينها بان لا يقدموا على هذا العمل الذي نتج عنه رفع اسعار الحبوب[60]. وظهرت الشكوى في منطقة الرملة من ارتفاع اسعار الحبوب، حتى ان رطل القمح (3 كيلو) بيع ب 14 قرشا[61].

ومما يدل على سؤ الحالة الأقتصادية ما ورد في تقرير بريطاني عن عام 1919/1918 من ان « مجمل اسعار الأشياء لا يزال فوق المقرر للبلاد، فالثياب وسائر اصناف البضائع والمصنوعات تباع في المدن بزيادة 25% عن ثمنها عند الأحتلال. والبلاد تفتقر الى مهمات لتعمير ما خربته الحرب. ولا يزال الانتاج فيها قليلا، والمواصلات ووسائل النقل دون المرام[62] ». وقد عانى الفلاح الفلسطيني من كل ذلك بالأضافة الى نقص دواب الزراعة، بعد ان استولى الأتراك على معظمها قبل الأنسحاب من جنوبي فلسطين، مما حدا بالأدارة العسكرية الى الأتفاق مع السلطات المصرية على توريد عدد شهري من البهائم للزراعة وبيعها للفلاحين[63]. ومع ذلك فقد تخوف فلاحو منطقة الخليل من هذه الدواب، وكانت حجتهم ان « البقر الغربية غير صالحة لهذه البلاد[64] ».

واقبل الفلاح الفلسطيني على الأقتراض بالربى الفاحش، اما لدفع قسم من الضرائب المفروضة عليه، او لشراء ما يلزم لزراعة الأرض. وقد عملت البنوك اليهودية عملها في هذا المجال. وادركت السلطات العسكرية خطورة هذا الأمر، فخصصت 50 الف ج م لقروض المزارعين، خاصة في منطقة يافا، اذ ان اليهود كانوا يملكون 30% من بيارات المنطقة[65]، بفائدة

60 ـ ح ف ع 21 - 1918/8/29.
61 ـ ج ف ع 22 - 1918/9/5
62 ـ الكوكب ـ 16 1919/10/7
63 ح ف ع 12 - 1918/6/27
64 ـ ج ف ع 21 - 1918/8/29.
65 ـ ح ف ع 11 - 1918/6/20.

6 1/2%، ويسدد القرض على مدى خمس سنوات[66]. ومع كل هذه الأجراءات التي اعدتها الأدارة العسكرية «لم تبلغ محصولات البلاد الزراعية حتى الآن (اي 1919) ما كانت تبلغه في الحكم السابق» حسبما ورد في التقرير البريطاني لعام 1919[67]. وهي لم تساعد بالتالي على تخفيف الأزمة، لاننا نجد مثلاً ان محصول البرتقال في منطقة يافا لعام 1918/1919 وقد بلغ حوالي 400 الف صندوق[68]، لم يصدر منه شيء الى اوروبا، مع ان الحرب كانت قد انتهت. كذلك فانها لم تتدخل ايضا في مسألة ارتفاع اجور البيوت في القدس وفي غيرها من مدن فلسطين[69]. وقد اشار مراسل المقطم في القدس في 4 سبتمبر 1919 الى ذلك، وزاد عليه بان طلب تدخل الحكومة لتحديد الأيجارات[70].

اما مسألة الأراضي وملكيتها، خاصة او اميرية، فقد «أظهرت التحقيقات التي اجريت حول ملكية الأراضي ان حالة الملكية في اضطراب عام[71]»، ولذلك الغت الأدارة العسكرية معاملات الأراضي واغلقت دوائر الطابو. وقد يكون هذا الأمر راجع الى عاملين هامين: اولهما ان السلطات التركية اخذت معها اثناء انسحابها من جنوبي فلسطين اولا، وشمالها بعد ذلك، جميع دفاتر الطابو وابقتها في دمشق[72]، ولم تعد الى فلسطين الا بعد دخول القوات العسكرية البريطانية والحليفة دمشق في اول اكتوبر 1918. وثانيهما ان البعثة الصهيونية برئاسة حاييم وايزمن التي وصلت البلاد في ابريل 1918، طالبت بنصيب كبير من الأراضي الأميرية، اذ انها كانت تعتقد «ان الحكومة البريطانية ستضع تحت تصرفها مساحات واسعة من أراضي

66 ـ الكوكب 160 - 1919/10/7
67 ـ الكوكب /1919/10
68 ـ ج ف ع 50 - 1919/2/20 .
69 ـ ج ف ع 50 - 1919/4/10.
70 ـ المقطم - 1919/4/10.
71 ـ تقرير اللجنة الملكية، ص 202.
72 ـ ج ف ع 48 - 1919/3/6.

الدولة[73] » .

ومع ان الأدارة العسكرية تظاهرت باتخاذ هذا الموقف، الا اننا نجد دعوة مريبة تتبناها جريدة فلسطين[74] ـ وهي الجريدة « التي يصدرها الجيش البريطاني في بلاد العدو المحتلة » كما هو وارد في كل عدد من اعداد الجريدة ـ وتوجهها الى (السلطة العسكرية) طالبة منها العمل على تقسيم الأراضي المشاعة في فلسطين على الفلاحين والمزارعين، لان ذلك « يعود الى الأهالي عموما بالنفع العميم والخير الجزيل ». ولا شك ان هذه الدعوى المريبة كان يقصد بها منفعة الصهيونيين فقط، اذ ان استيطانهم في فلسطين اعتمد على الأرض اولا.

ومع كل احتياطات الأدارة العسكرية الا ان عملية بيع الأراضي لليهود كانت سارية المفعول في البلاد، يدل على ذلك البيان الرسمي الذي اصدرته الأدارة العسكرية، والذي ورد فيه « بلغنا ان معاملة بيع الأراضي ومشتراها جارية في جهات مختلفة، رغما عن الأوامر الصادرة بمنعها، ولذلك فلا يجري اي تسجيل عقار متى فتحت ادارة الطابو الا بعد مصادقة الحاكم العسكري والمدير العام، وتلغى جميع المعاملات التي جرت والتي تجري ». ثم توجه البيان الرسمي الى كبار الملاك واعيان البلاد، وطلب اليهم ان يفهموا بصراحة ان « دوائر الطابو متى فتحت سيتولى ادارتها المدير العام (لبلاد العدو المحتلة)، وكل معاملة تجري بدون تسجيل يعرض البائع والمشتري لدفع جزاء ثقيل[75] ». كما يدل عليه منشور (المنتدى الأدبي)[76] الصادر بشأن بيع الأراضي، وقد ورد الصادر بشأن بيع الأرض، وقد ورد فيه ما يلي « كل من يفكر ببيع ارض يكون قد ارتكب جرما كبيرا نحو اجداده واحفاده، ووضع نقطة عار سوداء في صفحة تاريخ حياته، واجرم

---

73 ـ Chaim Weizmann : Trial and Error, Hamish Hamilton, London, June 1949, p 316.

74 ـ ج ف ع 20 - 1919/8/22.

75 ـ الكوكب - 140 - 1919/5/6.

76 ـ انظر نظامه الاساسي في الكوكب - 137 - 1919/4/8.

لوطنه جريمة عظمى لا تغتفر[77] ». وقد استمرت عمليات البيع والشراء في البلاد حتى دخلت في طور جديد بقيام الأدارة المدنية في اول يوليو 1920.

قوات الأمن: البوليس والجندرمة

لم تكن الحاجة ماسة في اوائل عهد الأحتلال البريطاني (1917) الى اعداد وتنظيم قوات كبيرة للامن في البلاد، على اساس ان البلاد تخضع للاحكام العسكرية، وان قوات الأحتلال هي التي كانت تقوم بعمليات البوليس. وكانت السلطات العسكرية البريطانية تحرص على ان تكون القوات التي تقوم بخدمات البوليس من المسلمين، (خاصة من الهنود)، بدليل ان الجنود الذين قاموا على حراسة الاماكن المقدسة في القدس بعد احتلالها في 9 ديسمبر 1917 كانوا من المسلمين الهنود[78].

كان الأمن العام في زمن الأتراك منوطا بسلطتين هما البوليس والجندرمة. ويؤخذ رجال البوليس من الشبان المتعلمين، ووظيفتهم المحافظة على الأمن العام في المدن والحواضر. اما رجال الجندرمة فمعظمهم من الفلاحين، ويناط بهم المحافظة على الأمن العام في الأرياف. وهم على فئتين: المشاة والفرسان، وكان الفرسان منهم يشترون خيلهم وكل ما يحتاجونه على حسابهم. وقد سرح الأتراك رجال البوليس والجندرمة قبل جلائهم عن القدس، كما فعلوا ذلك في بقية المدن. ولذلك كان على الأدارة العسكرية، بعد ان استتب الأمر لها في القدس، ان تعيد انشاء هاتين السلطتين وتنظيمهما. على ان الامر لم يكن يخلو من المصاعب، سيما وان الأتراك كانوا قد جندوا جميع الرجال الصالحين للخدمة العسكرية.

كان بعض رجال البوليس التركي القديم لا يزالون باقين في القدس بعد انسحاب الأتراك، وهؤلاء كانوا نواة قوة البوليس الجديدة، كما انضم

---

77 ـ الكوكب - 144 - 1919/6/3.

78 ـ انظر برقية اللبي الى الحسين بعد دخول القدس في الكوكب - 78 - 1918/1/78.

اليهم رجال من جميع الطوائف ممن لم تكن لهم خبرة بنظام البوليس وواجباته، وانما كان يتشفع لهم كما يؤكد البيان الرسمي « شدة رغبتهم في خدمة الأدارة (العسكرية) الجديدة بامانة واخلاص »، وقد تم تدريب القوة بالتدريج على الحركات العسكرية، وكانت تلقى عليهم محاضرات في الأصول الأدارية والقضائية. كما تم ابدال ملابسهم القديمة، فحلت « بزة الخاكي والطربوش المغربي والعمة للبوليس، والكوفية والعقال لرجال الجندرمة ». وانشئت في القدس وباقي مدن فلسطين قوة من الحراس (الخفراء)، وهم الذين يطوفون بالشوارع ليلا للحراسة. « وقد كان الأتراك يجبون الضرائب عن البيوت والدكاكين لدفع اجور الحراس الذين كان عددهم في ذلك العهد يبلغ المائة لمدينة القدس وحدها. ولما سقطت هذه المدينة لم يكن عدد الحراس فيها يزيد عن اثني عشر، ومعظمهم غير نافعين للخدمة ». ويضيف البيان الرسمي « والظاهر ان الأموال التي كانت تجبى لدفع اجورهم كانت تتسرب الى جيوب بعض الموظفين، اذ ليس لها ذكر في دفاتر الحسابات على الأطلاق. ولذلك لم يكن بد من اعادة تنظيم الحراس وتعيين خمسين حارسا جديدا، يتقاضون اجورهم من خزينة الحكومة. اما الأموال التي تدفع منها هذه الأجور فيجبيها موظفون تابعون للمالية ». وقد تأسست لجنة لجباية (ضرائب الحراسة) مؤلفة من « رجال البوليس والبلدية باشراف موظف انجليزي[79] »

ولم يقتصر تدريب رجال البوليس والجندرمة على ما كانوا يتلقونه في القدس، بل ارسلت الأدارة العسكرية بعثات الى الأسماعيلية[80] للتدريب في معسكرات الجيش البريطاني هناك.

اما بالنسبة للمستوطنات اليهودية، فقد سمحت لها الأدارة العسكرية، بانشاء حرس خاص لها، وظل هذا الوضع ساري المفعول حتى في زمن الأدارة المدنية.

---

79 ـ انظر البيان الرسمي في ج ف ع 24 - 1918/9/19.

80 ـ الكوكب - 135 - 1919/3/11 -، ج ف ع 49 - 1919/3/13

بلغ متوسط عدد افراد قوة البوليس في زمن الأدارة العسكرية نحو 1110 رجال من جميع الرتب. وقد كان هذا العدد كبيرا نسبيا خصوصا في زمن الأحتلال العسكري، كما لاحظات ذلك لجنة بيل[81]. ولكنها اوردت تبريرا لذلك بان « طبيعة البلاد الخاصة، وقلة القوى العسكرية التي كانت تحت تصرف السلطات، واحتمال وقوع اضطرابات وطنية او دينية في ذلك الزمن المحاط بالغموض، كانت من العوامل التي لا يمكن التغاضي عنها [82] ». وقد بلغت نفقات قوة البوليس في 1919/1920 نحو 128,400[83] ج م، وهي تعادل 17,5% من الميزانية العامة، وهي نسبة ستأخذ في الأرتفاع تدريجيا في عهد الأدارة المدنية بعد اول يوليو 1920.

التعليم :

لم تول الادارة العسكرية التعليم في البلاد اية عناية منذ البداية، وذلك بسبب الحرب من جهة، ومن جهة اخرى كان الاتراك « قد نهبوا كثيراً من مدارس الارساليات بما في ذلك بعض المدارس الطائفية الغنية التي كانت تديرها طوائف الرهبنة الكاثوليكية[84]. ولذا فإن نفقات المعارف في الادارة العسكرية عام 1918/1919 اقتصرت على « السير التي أسسها الاتراك قبل الحرب تحت ادارة اكثر كفاية من سابقتها[85] »، وعهد بإدارة هذه المدارس الي لجان المعارف المحلية في مدن جنوبي فلسطين، ويشرف عليها جميعاً مجلس المعارف في القدس، الذي كان يرأسه اسماعيل الحسيني[86].

ومما تجدر الاشارة اليه ان الادارة العسكرية لم تفتح المدارس في فلسطين في العام الدراسي 1917/1918، واقتصر الامر على (الكتاتيب)

81 ـ تقرير اللجنة الملكية، ص 204.
83 ـ نفس المصدر، ص 202.
84 ـ نفس المصدر، ص 203.
85 ـ نفس المصدر، ص 203
86 ـ المقطم 1918/3/20.

في المدن والقرى ، وهي الكتاتيب التي كانت تتبع نظام التعليم الديني ، وبعض المعارف الاخرى كالحساب والخط . الا انه بعد احتلال شمال فلسطين (سبتمبر 1918) ، وخضوع كل فلسطين للاحتلال العسكري البريطاني ، اضطرت الإدارة العسكرية الى فتح المدارس القديمة ، والاعلان عن افتتاح مدارس او بعض فصول جديدة . فإننا نجد مثلاً ان الياس عودة تحت بلدية رام الله ـ يوجه دعوة الى الأهالي « لتنفيذ اسماء ابنائهم وبناتهم الذين تحت السن المدرسية لأجل افتتاح مدارس لهم[87] » . ويصدر حاكم الخليل العسكري امراً « بفتح المكاتب الابتدائية التابعة للمعارف في اول شهر ايلول (سبتمبر) 1918[88] » . وتسمح الادارة العسكرية بإنشاء المدارس الاهلية ، فتؤسس في نابلس (مدرسة النجاح النابلسية) في اكتوبر 1918 ، ويشرف عليها مجلس من الاهالي[89] .

رأت ادارة بلاد العدو المحتلة (جنوبا) ان تلغي مجلس المعارف في القدس، وان تحوله الى (ادارة معارف) يتولاها موظف بريطاني، ولذلك استقال اسماعيل الحسيني، وحل محله المستر تادمان Tadman، الذي تصفه جريدة فلسطين بانه « ممن يحسنون اللغة العربية »، وانه « مارس فن التعليم والادارة مدة 12 سنة[90] ». واخذت ادارة المعارف تعلن عن افتتاح مدارس البنين والبنات في القدس اعتبارا من 4 يناير 1919، وحددت مصروفات هذه المدارس بانها « خمسون قرشا مصريا عن كل ثلاثة اشهر[91] »، تدفع في اول يوم من دخول المدارس. واعلنت عن افتتاح (مدرسة معلمين) في القدس، اعتبارا من 4 يناير 1919، « يكون نصف طلابها من لواء القدس والباقي من لواءي نابلس وعكا »، واشترطت ان لا يقل سن الطالب عن 15 سنة، ولا يزيد على العشرين كما انه لا يقبل الا بعد

87 ـ ج ف ع 24 - 1918/9/19.
88 ـ ح ف ع 25 - 1918/9/26
89 ـ انظر اسماء اعضاء المجلس في ج ف ع 30 - 1918/10/31.
90 ـ ج ف ع 37 - 1918/12/19.
91 ـ ج ف ع 39 - 1919/1/2.

ان يؤدي امتحانات تحريرية وشفهية[92]. وكذلك مدرسة معلمات داخلية في القدس، لكنها اشترطت « على الطالبات اللواتي يأتين من الجهات والأقضية الخارجية ان يدبرن مسألة اكلهن واقامتهن »، وهو اشتراط كان منافيا للعادات والتقاليد السائدة، مما اسفر عنه عدم الأقبال على المدرسة، واعادة نشر الأعلان اكثر من اربع مرات في يناير وفبراير عام 1919[93].

ومما يستلفت النظر ان الحكومة العسكرية لم تكن تقدم للتلاميذ اي نوع من انواع المساعدة لا بالنسبة للكتب او حتى للادوات المدرسية. وقد اسفر هذا الوضع عن ظهور جميعات مختلفة في مدن وقرى فلسطين اخذت على عاتقها مساعدة تلاميذ المدارس، وكان من اشهر هذه الجمعيات (جمعية زهرة الأحسان) في نابلس، التي كان هدفها « تدبير الملابس للتلاميذ الفقراء واسعافهم بالأدوات المدرسية مجانا[94] ». هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان اهتمام الحكومة العسكرية بالتعليم عموما لم يكن كافيا، يدل على ذلك ان ميزانية المعارف لعام 1919/1920 بلغت 46,000[95] ج م، اي ما يعادل 6,4% من الميزانية العامة، وهو امر يمكن ملاحظته بوضوح حتى في زمن الأدارة المدنية، والى اواخر عهد الأنتداب البريطاني في فلسطين. لقد كان اهتمام الحكومة العسكرية اولا والمدنية ثانيا موجها بالدرجة الأولى الى تخريج دفعات من الموظفين تقوم بخدمة الأدارة البريطانية.

اما مدارس اليهود فقد استقلت منذ البداية عن (مجلس المعارف) و(ادارة المعارف) فيما بعد، وظل هذا الأمر ساريا طيلة فترة الأنتداب البريطاني على فلسطين.

---

92 - انظر ج ف ع 39 - 1919/1/2.

93 - انظر ج ف ع 43 - 1919/1/30, 45 - 1919/2/13, 46 - 1919/2/20.

94 - انظر منشور الجمعية في ج ف ع 44 - 1919/2/6.

95 - تقرير اللجنة الملكية، ص 202

الأدارة والحكم المحلي

خضعت فلسطين عسكريا لادارة (بلاد العدو المحتلة) دون تحديد،

حتى عقد اتفاق 30 سبتمبر 1918[96]، بعد انسحاب الأتراك من دمشق وقبيل دخولها، بين فرنسا وانجلترا، فاصدر الماجور جنرال لويس بولز L. Bols رئيس اركان حرب الحملة المصرية، امرا في 22 اكتوبر 1918 بتنظيم ادارة المنطقة (أ) وجنوب المنطقة (ب)[97] (حسب اتفاق سايكس بيكو)، واصبح يطلق على فلسطين اسم بلاد العدو المحتلة جنوبا Occupied Enemy Territory South (O. E. T. S.)، وامتدت من الحدود المصرية (1906) جنوبا، حتى خط الناقورة شمالا ونهر الأردن شرقا.

وقد ظل الماجور جنرال موني مديرا عاما لادارة بلاد العدو المحتلة (جنوبا) حتى يوليو 1919، وخلفه السير واتسون Watson (اغسطس - ديسمبر 1919). وكان آخر الحكام العسكريين بفلسطين هو الماجور جنرال بولز (يناير - يونية 1920)[98]، حيث انتهت مدة خدمته في 30 يونية 1920، وتولى بعده هربرت صمويل في اول يوليو 1920 منصب المندوب السامي البريطاني بفلسطين. ومع ذلك بقي معظم الموظفين البريطانيين في مراكزهم بفلسطين، اذ انهم كانوا يتبعون اصلا الحملة المصرية[99].

ظل جنوب فلسطين حتى سبتمبر 1918 مقسما الى خمسة الوية هي: القدس، يافا، الخليل، غزة، بئر السبع. وبعد انسحاب الأتراك من شمال فلسطين اصبحت ثلاثة عشر لواء باضافة: نابلس، جنين، طولكرم، حيفا، الناصرة، عكا، طبرية، وصفد. وبقي هذا الوضع قائما حتى ابريل 1919

---

96 انظر تفاصيل الاتفاق في امين سعيد. الثورة العربية الكبرى، القاهرة 1934، ج 2، ص 11.

97 - انظر موقف الانجليز والفرنسيين والعرب من التنظيم الجديد في امين الريحاني: ملوك العرب، بيروت 1925. ج 2، ص 299 - 300.

98 - Lyke, op cit., pp. 31 - 3

99 - P.D., vol. 128, col. 847

حين خفضت الألوية الى عشرة بدلا من ثلاثة عشر، وقسمت الى ثلاث درجات: اولى وثانية وثالثة[100]. ويلاحظ على هذا التقسيم الأداري ان معظم المستوطنات اليهودية في فلسطين، والتي تركزت في الشمال الغربي والساحل حتى ذلك الوقت، كانت من الدرجة الأولى.

باشرت الأدارة العسكرية حكم الأهالي في فلسطين، عن طريقين، هما البلديات والمخاتير (العمد). وبالنسبة للبلديات فقد كانت الأدارة هي التي تختار الرئيس، وكذلك اعضاء المجلس. وكان يتم الأختيار دائما من طبقة الأعيان وكبار الملاك، وهم اصحاب المصلحة الحقيقية في التعاون مع الأدارة البريطانية، عسكرية كانت ام مدنية. فمثلا بعد وفاة حسين سليم الحسيني رئيس بلدية القدس، عينت اخاه موسى كاظم الحسيني. وكان من الممكن ان يظل هذا المنصب في الأسرة الحسينية، لكن مسألة (التوازن العائلي) التي خلقها هربرت صمويل جعلته يقسم المراكز المهمة في القدس (البلديات والافتاء) بين الحسينية والنشاشيبية. وفي يافا ظل عاصم السعيد رئيسا للبلدية لفترة طويلة، وكذلك عمر زعيتر في نابلس، وتوفيق حقي في عكا، ومصطفى الخيري في الرملة. ولم تجر انتخابات بلدية في كل انحاء فلسطين الا في عام 1927، اي بعد انقضاء عشر سنوات على الأحتلال البريطاني. ولم يكن هذا النظام مطبقا على المستوطنات اليهودية، التي كانت تتمتع منذ البداية بمجالس بلدية مستقلة، لا تتدخل الادارة العسكرية في اي اختصاص من اختصاصاتها.

اما بالنسبة للمخاتير، فقد الغت الأدارة العسكرية النظام التركي الذي يقضي بانتخابهم، واعادت تعيين قسم كبير منهم[101]، ولكن بدون رواتب، حتى ان جريدة فلسطين وجهت دعوة الى الأدارة العسكرية « لمنح المخاتير

---

100 ـ انظر الملحق رقم 2.

101 ـ الملحق الرسمي لجريدة فلسطين، 1918/7/11.، ص 3- 4، المصدر نفسه، a 3- 4 1918/8/15.، المصدر نفسه 1918/9/5، ص 3- 4.

مرتبات خاصة[102] ». ويلاحظ على معظمهم انهم كانوا لا يجيدون القراءة او الكتابة، وانهم كانوا يمثلون الأسر ذات المصالح في القرى. وقد استمر هذا الوضع حتى في زمن الأدارة المدنية.

تتصف فترة الحكم العسكري في فلسطين بثلاثة مظاهر رئيسية:

اولا: الحكم المطلق، فقد خضعت البلاد جنوبها اولا وشمالها ثانيا، للاحكام العرفية، فترة تزيد على ثلاثة وثلاثين شهرا، منها تسعة عشر شهرا بعد انتهاء الحرب، وهي فترة طالت « فوق ما يجب ان تطول »، كما تعترف بذلك لجنة التحقيق الملكية؟[103]. هذا بالأضافة الى ان الأدارة العسكرية ضمت عددا من الموظفين قليلي الخبرة، كما اعتمدت على خليط منهم ساقتهم تيارات الحرب الى فلسطين، «وكانوا حتما يضمون اشخاصا غير صالحين[104] ».

ثانيا: سيطرة العناصر اليهودية على الأدارة العسكرية، وزيادة عددهم زيادة كبيرة، وذلك بسبب اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية[105]، الى جانب الأنجليزية والعربية. حتى ان الأدارة العسكرية كانت « تطرد الموظفين العرب ليحل محلهم موظفون يهود[106] ».

ثالثا: المحافظة على بعض الأنظمة العثمانية في ادارة البلاد التي كانت تخدم اهداف ومصالح الأحتلال العسكري لفلسطين.

ولقد طالت فترة الأحتلال العسكري لفلسطين اكثر مما يجب، ويرجع ذلك الى تضارب المصالح حولها، وبالتالي عدم اتفاق الدول الكبرى

---

102 ـ ج ف ع 51 - 1919/3/27.
103 ـ تقرير اللجنة الملكية ، ص 202
104 ـ Sykes, op. cit., p. 38
105 ـ R. Storrs, op. cit., p. 301
106 ـ Anthony Nutting, op. cit., pp. 321 -2

بشأنها، حتى تم ذلك في مؤتمر سان ريمو San Remo في ابريل 1920، اذ قرر المجلس الأعلى للحلفاء منح بريطانيا - التي جعلت مسئولة عن تنفيذ وعد بلفور - الأنتداب على فلسطين.

والواقع ان الحكومة البريطانية كانت قد اتخذت خطوات، قبل هذا التاريخ، تدل دلالة قاطعة على انها هي التي ستتولى مسئولية الأنتداب على فلسطين. فبالأضافة الى السياسة الموالية المؤيدة للصهيونية، والتي اتبعتها الأدارة العسكرية البريطانية في فلسطين، وموقفها المعادي للحركة الوطنية العربية، ومحاولة الأتفاق مع فرنسا، فقد ورد من لندن في الثاني من يناير 1920 ان الجنرال اللنبي دعا هربرت صمويل الى السفر الى فلسطين «للمساعدة في اعادة الأحوال الى مجراها ولاسكان اليهود في فلسطين[107]. وفي مجلس العموم، اجاب لويد جورج على سؤال بشأن هذه المسألة فقال انها «تمت بناء على طلب الجنرال اللنبي وموافقة وزارة الخارجية، وسيقوم (هربرت صمويل) بتقديم النصح للحكومة العسكرية بشأن الأدارة والمالية»، واضاف بان ذلك اعلن في الصحف في 9 يناير[108]. وقد وصل هربرت صمويل بالفعل الى فلسطين في مارس 1920، وكان يعمل «مستشارا للادارة العسكرية البريطانية[109]». وغادرها في اوائل ابريل للاشتراك في مؤتمر سان ريمو، وقدم في 18 ابريل 1920 مذكرة «تضمنت مقترحاته بشأن وضع تسوية للشرق الأوسط[110]». وكانت هذه هي مهمة هربرت صمويل الحقيقية في فلسطين.

وفي اواخر مايو 1920، اصدر لويد جورج قرارا بتعيين هربرت صمويل مندوبا ساميا لفلسطين[111]، ووصل يافا قبل ظهر 30 يونيه، حيث اقامت له

---

107 - المقطم 1920/1/6، ج ف ع 94 - 1920/1/22.

108 - P.D. vol. 125, col. 1027

109 - Weizmann, op. cit., p. 317

110 - Stein, op. cit., p. 659

111 - يصف رونالد ستورز لويد جورج «بالجنون» لاصداره هذا القرار. انظر: Storrs, op. cit., p. 334

البلدية حفل استقبال خطب فيه عاصم السعيد مرحبا، وبعد ظهر اليوم نفسه وصل الى القدس، واستقبله راغب النشاشيبي رئيس البلدية مرحبا بحفاوة بالغة[112]، وفي اول يوليو 1920 انتهت الأدارة العسكرية وقامت على انقاضها الأدارة المدنية، التي اخذت على عاتقها تنفيذ السياسة البريطانية بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود، وذلك كله قبل ان يحدد وضع فلسطين الدولي، وقبل ان توافق عصبة الأمم رسميا على صك الأنتداب البريطاني لفلسطين، الذي اقر في 24 يوليو 1922.

---

112 ـ المقطم 1920/7/2، الاهرام 1920/7/2.

الفصل الرابع

السياسة البريطانية وتنفيذ تصريح بلفور

1922 - 1917

هدفت السياسة البريطانية ابان الحرب العالمية الاولى وبعدها الى « خلق كتلة تشرف وتسيطر عليها بريطانيا بين البحر المتوسط والخليج العربي ، ولا تنازعها فيها دولة كبرى اخرى ، على ان تكون خطوط مواصلاتها سليمة متصلة » ،[1] . ولهذا فقد دخلت في اتفاقات ومعاهدات متصلة تخدم هذه السياسة ، كان آخرها اعلان وعد بلفور في الثاني من نوفمبر عام 1917 . واذا كان الجنرال اللنبي قد دخل القدس في 11 ديسمبر 1917 وبرفقته ممثلون عن دول الحلفاء ، واذا كان المستر بلفور وزير الخارجية قد اكد في مجلس العموم في 12 ديسمبر 1917 « ان السياسة البريطانية بالنسبة لفلسطين منسجمة ومتفقة مع وجهة نظر الحلفاء »[2] ، فان ذلك كله لم يكن صحيحا ، اذا ان بريطانيا كانت تهدف منذ احتلالها فلسطين الى الانفراد بالسيطرة عليها ، وقد وضح ذلك كله في موافقة الحكومة البريطانية على ارسال البعثة الصهيونية الى فلسطين .

البعثة الصهيونية الى فلسطين

---

1 ـ Stein, op. cit. pp. 617 -8

2 ـ P.D. vol. 100, col. 1151

صرح اللورد روبرت سيسل R . Cecil ، وكيل الخارجية البريطانية ، في 14 فبراير 1918 بأن الحكومة « قد خولت المنظمة الصهيونية تعيين لجنة لبحث الاحوال الحاضرة للمستوطنات اليهودية في فلسطين ، وانها (اي الحكومة) تنتظر بعطف بالغ توصياتها »[3] . وفي 18 فبراير 1918 ادلى المستر بلفور (وزير الخارجية) ببيان في مجلس العموم ، اشار فيه الى ان الحكومة البريطانية قد « استجابت لطلب المنظمة الصهيونية في لندن بالسماح لبعثة صهيونية بالتوجه الى فلسطين » . وان « عمل البعثة هو البحث في الاحوال الحاضرة للمستوطنات اليهودية في فلسطين ، وتنظيم اعمال الاغاثة ، والاشراف على اصلاح الدمار الذي حل بالمستوطنات الصهيونية ابان الحرب حسبما تسمح الظروف . وقدمت المنظمة الصهيونية في لندن اسماء كل من الدكتور وايزمان ، والمستر ج ـ كوانز (J . Cowans (Cowen ، والمستر سيمون Simon » . واضاف « بان من المحتمل ان اسماء اخرى ستضاف الى القائمة ، ولكن الامر لا يزال قيد البحث »[4] .

يتضح من بيان المستر بلفور ان المنظمة الصهيونية هي التي بدأت بالمشروع ، ولكن الحقيقة غير ذلك فان الحكومة البريطانية هي التي قررت في اوائل عام 1918 « ارسال بعثة صهيونية الى فلسطين لدراسة البلاد على الطبيعة ووضع المشاريع التي تتمشى مع تصريح بلفور »[5] ، ومهمتها الاساسية كانت وضع الاسس لانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين[6] . ولا يعقل ان تشكل البعثة وتأخذ الاذن بدخول فلسطين ، وهي الخاضعة للاحكام العسكرية ، بدون موافقة الحكومة البريطانية .

ومهما يكن فقد تشكلت البعثة من « ممثلي اليهود في كل بلاد

---

3 ـ P.D. vol. 103, col. 265

4 ـ op. cit. col. 436

5 ـ Weizmann, op. cit. p. 266

6 ـ E.F., vol. I, p. 128

الحلفاء ، ما عدا الولايات المتحدة »[7] التي لم تكن في حالة حرب مع تركيا . ومع انه تم تعيين الاعضاء الروس في اللجنة ، الا انهم لم يستطيعوا مغادرة البلاد نظرا لظروف سياسية معينة[8] . ولهذه الاسباب تشكلت البعثة من انجلترا وايطاليا وفرنسا . كان يمثل ايطاليا في البعثة ليفي بيانشيني Levi Bianchıni ، ويمثل فرنسا سلفان ليفي Sylvain LEVI . ومثل يهود انجلترا في اللجنة كل من : وايزمان ، جوزيف كوين[9] J Cowen ، الدكتور دافيد ايدر D . Eder ، ليون سيمون[10] L simon ، والمستر اسرائيل سيف[11] I . M . Sieff سكرتيرا[12] . وانضم الماجور اورمسبي غور[13] Ormsby Gore ، يساعده الكابتن جيمس دي روتشلد James de ROthchild كضابط اتصال سياسي نيابة عن الحكومة البريطانية . ولم يكن كل اعضاء البعثة ذوي عمل سياسي ، بل كان فيهم مختصون بالشئون القضائية والاشغال العامة والصحة والجغرافيا والاقتصاد[14] وغير ذلك من الامور الهامة بالنسبة لانشاء الوطن القومي ، هذا بالاضافة الى انهم لم يكونوا يجيدون اللغة العربية[15] .

---

7 ـ هكذا يذكر وايزمن، لكن وليم بيل يذكر (تقرير رقم 20 - 1918/3/25) ان والترماير (الاميركي) كان مساعدا للدكتور وايزمن. وتشير .E.F (ج أ ص 129) الى ان افرادا من مؤسسة هداسا Hadassah الطبية مثلوا الولايات المتحدة بطريقة غير رسمية في البعثة.

8 ـ انضم مناحم يوشسكين M Ussıskin، احد ممثلي اليهود الروس، الى البعثة في نهاية عام 1919. انظر E.F., vol. I, p. 129

9 ـ رئيس الاتحاد الصهيوني البريطاني، ومحافظ صندوق الاستعمار اليهودي، وعضو مجلس شركة انجلو بالستاين.

10 ـ رئيس الجمعية الصهيونية بجامعة لندن، ومترجم (مقطوعات مختارة) لاحادهاعام، وهو من اكبر الثقات في التعليم اليهودي.

11 ـ مختص باقتصاد وجغرافية فلسطين.

12 ـ Weızmann, op. cit. pp. 266 -7, Anthony Nutting op. cit. p. 321

13 ـ هو العضو المسيحي الوحيد في البعثة.

14 ـ F.Newton, op. cıt. p. 126

15 ـ Storrs, op. cıt. p. 353

وقبل سفر البعثة من لندن يوم الاثنين 8 مارس 1918 ، عمل مارك سايكس ، الذي كان مسؤولا عن تجميع الاعضاء وتنظيمهم ووضع كل ترتيبات الرحلة ، على مقابلة وايزمن بالملك جورج الخامس في نفس اليوم[16] . كما قابل وايزمن الجنرال سمطس Smuts ، الذي كان قد عاد لتوه من فلسطين . وفي هذا اللقاء نبهه سمطس الى ضرورة اتخاذ موقف ودي من العرب الذين يعتبرون الصهيونية مسألة حساسة[17] .

وصلت البعثة الى القاهرة في 21 مارس 1918 ، واستقبلها الصهيونيون بكل حفاوة ، وعزفت فرق الكشافة اليهودية نشيد الهاتكفا[18] . وكانت وزراة الخارجية البريطانية قد ابلغت معتمدها في القاهرة ، رونالد وينجيت R . Wingate في 5 مارس 1918 ان « هدف البعثة هو ان تنجز ، ضمن الخضوع لسلطة الجنرال اللنبي ، اية خطوات تستدعيها مقتضيات تنفيذ تصريح الحكومة بشأن اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين . . . وفي الوقت نفسه تهدئة شكوك العرب بشأن النيات الحقيقية للصهيونية »[19] . وقد كتب وينجيت الى اللورد هاردنج Harding ، الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية ، يقول انه نصح البعثة الصهيونية « بتدبير امورها بعناية فائقة ، وعليها ان تعمل بكل ما اوتيت من قوة لاظهار عطفها ونياتها الحسنة تجاه العرب والشعوب الاسلامية ، التي يرتبط مصيرها بهم »[20] .

حرصت السلطة العسكرية في فلسطين على تهيئة الجو في البلاد لقدوم البعثة الصهيونية ، فنشرت جريدة الكوكب مقالا في 5 مارس، 1918 ورد فيه انه « من المسائل الخطيرة التي يجب ان يعنى بها العرب اشد عناية

---

16 ـ Weizmann, op. cit. pp. 267 -9.

17 ـ تقرير وليم ييل رقم 20 ,1918/3/25.

18 ـ المقطم 1918/3/22.

19 ـ وردت في عبد الوهاب الكيالي : المصدر السابق، ص 108 ,F.D. 371/3391

20 ـ Stein, op. cit., p. 629

المسألة الصهيونية وما يتبعها من اسكان اليهود بفلسطين » . ومضى المقال ليؤكد انه « مهما كان من تحقيق اماني الصهيونيين في فلسطين فلا يمكن ان يكون في ذلك ما يؤثر اقل تأثير في المصالح المدنية والدينية لاي عنصر كان » . ثم حاول ان يخفف من رد الفعل العربي حول ما اشيع من ان اليهود سيؤسسون دولة في فلسطين ، فأشار الى ان « تأسيس حكومة دينية او قومية خاصة ذات نفوذ على سائر العناصر الاخرى في البلاد ، لا يلتئم مع هذا الضمان الذي صرح به المستر بلفور »[21] . كما اصدر (الجيش البريطاني في بلاد العدو المحتلة) نسخة عربية من The Palestine News باسم (جريدة فلسطين) في 11/ 4 / 1918 ، اي في اليوم الثاني من وصول البعثة الصهيونية الى القدس . ففي افتتاحية العدد الاول اشارت الجريدة الى ان « المسلم العربي يعلم انه يسكن ما يجاور البحر من بلاد العرب من جهةالبحر المتوسطويدرك ان هناك اقواما لهم شعائر دينية ومصالح تجارية في فلسطين . ولذلك فمن الخرق ان يحاول (العربي) الجري على سياسة مقضي عليها بالفشل ، او ان يحاول اقصاء غير العرب او غير المسلمين من فلسطين » . ثم طلبت من الاسرائيليين ان لا يعاملوا العرب كما كانوا يعاملون « الكنعانيين في الزمن القديم ويسعون للتخلص منهم » . وبالنسبة للاماكن المقدسة اشارت افتتاحية الجريدة الى منشور الجنرال اللنبي الصادر في 11 ديسمبر 1917 (22) ، وطلبت ان يكون هذا المنشور « دستورا للحرية الدينية والمدنية في فلسطين للاجيال المقبلة ، بل اساسا لكل نظام سياسي ينشأ من وقت الى آخر » . وانه « عهد منصف لجميع الملل والنحل ، ومن حاول ان يعبث به فقد ضل ضلالا عظيما »[23] .

وصلت البعثة الى القدس ، بطريق السكة الحديدية التي كان يديرها

---

21 ـ الكوكب - 84 - 1918/3/5.

22 ـ انظر الملحق رقم 3.

23 ـ ج ف ع 1- 1918/4/11.

الجيش البريطاني ، يوم السبت في 10 ابريل 1918 (24) . ووضعت تحت حماية الجنرال كلايتون(25) الذي ترك الاشراف على الادارة العسكرية في البلاد منذ 5 ابريل 1918 . وقد تفقدت البعثة القدس ويافا وتل ابيب ، وزارت قيادة القوات البريطانية في الرملة . وقابلها العرب بمظاهرات معادية ، في معظم الاماكن التي زارتها ، مما زاد من تخوف السلطات العسكرية البريطانية . ولذلك حاولت تنظيم اجتماعات جانبية بين وايزمن وبين بعض اعيان القدس ، حتى يمكن التخفيف من رد الفعل العربي تجاه البعثة . وقد عقد احد هذه الاجتماعات في منزل اسماعيل الحسيني ، مدير المعارف ، وحضر الاجتماع كامل الحسيني (مفتي القدس) ، وقاضي القضاة ، « وبعد حديث طويل جرى بغاية المودة وتناول مواضيع عديدة مهمة ، اعرب الجميع عن شدة ارتياحهم الى حسن التفاهم الذي اظهره الفريقان . وعن رجائهم بازالة جميع المخاوف المتبادلة بين العرب واليهود »[26] . وهكذا امكن للجانبين ان يفهم احدهما موقف الآخر ، وكان ذلك كله بتحريض وتوجيه من رونالد ستورز حاكم القدس العسكري ، الذي ـ كما يقول السكاكيني ـ « منذ جاء لم يعرف الا المفتي « كامل الحسيني » وبعض افراد الاسرة الحسينية ، لا يصدر الا عن رأيهم ولا يصدرون الا عن رأيه »[27] .

دفع تفاهم وايزمان والزعامة الحسينية الادارة العسكرية الى عقد اجتماع موسع في دار الحكومة في 27 ابريل 1918 نظمه ومهد له ستورز ، وحضره وايزمان وسيلفان ليفي واورمسبي غور عن البعثة ، وحضره عن الجانب العربي مفتي القدس ، موسى كاظم الحسيني رئيس البلدية ، اسماعيل الحسيني مدير المعارف ، عارف الداوودي (الدجاني) وكذلك

---

24 ـ غير صحيح ما اورده عبد الوهاب الكيالي من ان وصوسل البعثة كان في الاسبوع الاول من ابريل 1918 (ص 109)، وكذلك ما ورد في E.F vol. I, p. 129 من انه كان في 20 ابريل 1918.

25 ـ Weizmann, op. cit. p. 274

26 ـ ج ف ع 2- 1918/4/18.

27 ـ خليل السكاكيني : المصدر السابق ص 172.

الخواجة سلامة نيابة عن الاورثوذكس ، وطورغم كوشاجيان مطران الارمن بالقاهرة[28] ، والخواجة ابو صوان عن اللاتين ، وبورفيروس الثاني بطريرك سيناء ، ووليم برسي ، وقدم ستورز وايزمان قائلا انه « بالنظر الى سوء التفاهم والمخاوف المستفحلة عند البعض بشأن الصهيونية ، انتهزت فرصة وجود الوفد الصهيوني في القدس تمكينا للدكتور وايزمان من بسط مقاصد الصهيونية واغراضها لطوائف فلسطين المختلفة »[29] .

ابتدأ وايزمان خطابه بالاشارة الى انه يريد ان يجعل موضوع الحديث « ائتلاف الطوئف المختلفة في هذه المأدبة ليسود بينها روح السلام والوفاق والتعاون » . ثم عرج على التاريخ اليهودي في فلسطين وقال « وبناء عليه فلا يصح القول بأننا (قادمون) الى فلسطين بل نحن (راجعون) اليها ، وغرضنا من رجوعنا ان نحيي تقاليدنا المجيدة الماضية ونصلها بالمستقبل لنوجد منها نظاما ادبيا عقليا ينشأ منه عالم جديد ، وعندي ان هذا هو جل المراد من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود » . واشار الى ان هدف الصهيونية هو « ان تسهل لليهود الذين يختارون النزوح الى فلسطين من تلقاء انفسهم سبل النمو ادبيا وجنسيا ، ولن يكون هذا النمو ـ بل لا ينبغي ان يكون ـ مجحفا بطائفة من الطوائف ، بل بالعكس يجب ان يكون لمنفعتها » . وندد بمخاوف العرب من الصهيونية وقال انها « ناشئة عن سوء فهمهم لمقاصد الصهيونية واغراضها ، او عن الدسائس التي يدسها لهم العدو المشترك » . ونفى ان يكون هدف اليهود هو « الاستئثار بالسلطة السياسية » . ثم اكد الارتباط القوي بين الحركة الصهيونية وبين بريطانيا حينما طلب صراحة انتداب بريطانيا على فلسطين،وعارض فكرة تدويل فلسطين فقال « ان الصهيونيين لا يعتقدون ان جعل الحكم في فلسطين (دوليا) او وضع البلاد

---

28 ـ يلاحظ وجود ممثل للارمن في الاجتماع، وذلك تنفيذا للفكرة البريطانية التي كانت تقوم على الربط بين الحركات العربية والصهيونية والارمية، ومحاولة استغلالها لصالح الامبراطورية البريطانية.

29 ـ ج ف ع 5- 1918/5/9.

تحت اشراف دولتين او اكثر ، او تجزئتها ، هو مما يفيدها ، بل ان فلسطين بجملتها يجب ان تكون خاضعة لحارس واحد امين » . وبالنسبة للحركة العربية قال وايزمان « ان الصهيونيين يراقبون بعين العطف الجهاد العظيم الذي جاهده العرب في سبيل الحرية والاستقلال ، واني انظر بعين الاعجاب الى اجتماع كلمة العرب بسعي دول الحلفاء المحبة للحرية » . ولخص في نهاية خطابه مطالب الصهيونية وهي ان تتاح « فرصة لنموهم نموا قوميا حرا » ، وتأسيس « جامعة يهودية » ، واشار الى ان « طوائف اليهود في الغرب ليست بدون نفوذ في مؤتمرات الامم » ، ووعد بعدم تعرض اليهود لمقدسات وشعائر الطوائف الأخرى .

وبعد ان انهى وايزمان خطابه ، وترجمه ستورز الى العربية ، وقف كامل الحسيني مفتي القدس ، فشكر وايزمان وقال « ان هذا الشرح قد ازال كثير من الاوهام التي كانت عالقة بالاذهان ، والمخاوف التي كانت تساور النفوس » ، وتمنى ان « يعمل الجميع معا بوحدة المقصد ، لان تلك هي الطريقة الوحيدة لخير فلسطين »[30] . ويضيف ستورز ان المفتي ختم تعليقه موجها كلامه الى اعضاء البعثة بقوله « لكم مالنا وعليكم ما علينا »[31] . وان وايزمان عرض عليه ان يقدم مصحفا لمفتي القدس ، « وبالفعل اجتمعا (وايزمان والمفتي) منفردين ، وقدم وايزمان الى المفتي صندوقا ، وانتشر بين عرب القدس في مساء ذلك اليوم (27 / ٤ / 1918) ان الصندوق مليء بالنقود »[32] .

هكذا شرح وايزمان وجهة النظر الصهيونية ، وطمأن اعيان القدس ، وخاصة الاسرة الحسينية ، الى عدم التعرض للاماكن المقدسة التي يتركز عليها نفوذهم ، وتقوم عليها وجاهتهم ، كما استطاع ان يهدىء من مخاوف

---

30 ـ ج ف ع 5- 1918/5/9، الكوكب - 95 - 1918/5/21

31 ـ Storrs, op. cit. p. 341

32 ـ op. cit. p. 358

الاسر الكبيرة الاخرى بعدم التعرض لمصالحهم الاقتصادية ، بل بالعكس فتح لهم المجال للتعاون مع اليهود ، وكان على الادارة العسكرية ان تنقل وايزمان الى يافا ليعيد للمرة الثالثة نفس الكلام بنفس الاسلوب .

القى وايزمان خطابه في يافا في 8 مايو 1918 في دار الحكومة ، وحضر الاجتماع ، بالاضافة الى اعضاء البعثة ، كل من راغب ابو السعود البرهاني قاضي يافا ، ورؤساء طوائف اللاتين والروم الاورثوذكس والروم الكاثوليك والارمن ، والحاخامباشي ، واعضاء الادارة العسكرية ، واعضاء الجميعة الاهلية (يافا) . واكد وايزمان ان سبب قدوم البعثة هو « ازالة سوء التفاهم الحاصل بين الملة اليهودية من جهة والطوائف الاسلامية المسيحية من جهة اخرى » . ونفى ان يكون الهدف هو الاستئثار « بالسلطة السياسية العليا في فلسطين » ، او اخراج « احد من املاكه » . واشار الى ان فلسطين « بلاد واسعة ، تسع اضعاف عدد سكانها » ، كما انها « كعبة آمال الملة اليهودية وهي وطنها الوحيد التي تريد ان تعيش فيه كمن يعيش في بيته » . ثم نفى الاشاعات عن مقاصد اليهود واعتبرها « محض افتراء يختلقه اعداؤ نا ، الذي هم اعداء دولة بريطانيا العظمى وحلفائها » . ثم قدم الشكر في نهاية خطابه « لدولة بريطانيا العظمى لبسطها جناح الحماية وتسهيلها سبل العدالة » .

شكر راغب ابو السعود ، قاضي يافا ، وايزمان على « العواطف الشريفة التي اداها » . واكد ان فلسطين ، وخاصة القدس ، هي « كعبة ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم وسبعمائة مليون مسيحي واربعة عشر مليون اسرائيلي . . . وان عنصري الاسلام والنصارى سيعاملان مواطنيهم الاسرائيليين احسن معاملة ما دامت الامة الاسرائيلية قائمة بحقوق هاتين الامتين ، مطبقة هذه التصريحات على اعمالها » . وقدم الشكر لبريطانيا لانها « ستكفل حقوق هذه الامم وتضمن سلامتها وتبسط جناح المساواة عليها » . ثم طلب منها (الحكومة البريطانية) ان « يكون للمسلمين والمسيحيين من أهالي فلسطين مندوبون فيها ، حينما وحيثما تحصل مذاكرة

بهذا الشأن » ، وانه يأمل منها « القيام بذلك »[33].

كان رد راغب ابو السعود منطقيا وطبيعيا ، ذلك ان النفوذ الاقتصادي لليهود في يافا لم يكن يتعدى الثلث بنسبة عدد السكان ، بينما وصل نفوذ اليهود الاقتصادي الى 5% من مجموع التجارة فيها . يضاف الى هذا وجود (الجمعية الاهلية) التي كانت تمثل المسلمين والمسيحيين في المدينة ، و(جمعية الناشئة اليافية) ، التي اخذت على عاتقها قيادة الحركة الادبية ، وبالتالي الوطنية في المدينة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان المدينة كان قد سادها جو من التوتر قبل وصول البعثة ، على اثر تلقي اعيان المسلمين والمسيحيين في يافا دعوات من تل ابيب ، مكتوبة باللغة العبرية ، وذلك من اجل اقامة احتفال ديني يهودي لاعادة اطار التوراة من مستعمرة بتاح تكفا الى الكنيس اليهودي في تل ابيب ، ولم يحضر اعيان المسلمين والمسيحيين ذلك الاحتفال ، اذ اعتبروا توجيه الدعوات باللغة العبرية اهانة لهم .

لم تنجح البعثة، التي وصفتها اللجنة الملكية بانها « عامل مزعج »[34] ، على الاطلاق في تخفيف حدة العداء العربي للحركة الصهيونية ، مما اضطرها ان تبحث عن حليف آخر خارج فلسطين . ووجدت في شخصية فيصل بن الحسين ، المعتدل والمتساهل ، ما يجعله مرشحا مناسبا لفكرة تسوية عربية يهودية في الشرق الاوسط . ذلك ان السياسة البريطانية حتى هذا الوقت كانت ترى ضرورة ايجاد تسوية عربية يهودية يمكن ان تساعد على حل قضية الشرق الاوسط الغامضة بعد الحرب ، وعلى ضوء الاتفاقات المختلفة التي كانت بريطانيا قد عقدتها او قدمتها . فقد كان من شأن التسوية بين العرب واليهود ، تدعيم مركز بريطانيا في المنطقة امام الاطماع الفرنسية ، التي قد تثأر بعد انتهاء الحرب .

---

33 ـ ج ف ع 6- 1918/5/16.

34 ـ تقرير اللجنة الملكية، ص 205.

وبناء على توجيه الجنرال كلايتون ، وموافقة اللورد اللنبي ، توجه وايزمان في 4 يونيو 1918 الى بلدة (وحيدة) قرب العقبة ، لبدء المباحثات مع الامير فيصل . وقد اشاروايزمان الى هذه المباحثات في شهادته امام لجنة بيل في 25 نوفمبر 1936 ، فقال « اوضحت له بصراحة امانينا ومشروعنا . ويمكنني ان اقسم ـ اذا كان قسمي يعتبر دليلا عند معارضي العرب ـ اني وجدت نفسي على اتفاق تام مع سموه ، وان هذه المقابلة كانت سببا لصداقة ابدية بينه وبيني »[35] . كما يستفاد من تقرير الكولونيل جويس Joyce ، الضابط السياسي البريطاني بالعقبة والذي قام بالترجمة بين وايزمان وفيصل ، في 5 يونيو 1918 ، ان الاجتماع كان وديا ولكن فيصلا لم يلزم نفسه بشيء . فقد ورد في التقرير ما يلي « صرح الشريف فيصل بانه لا يستطيع بوصفه عربيا ان يبحث مستقبل فلسطين سواء كان ذلك بوصفها مستعمرة يهودية او بوصفها بلدا تحت الحماية البريطانية . فهذه القضايا قد اصبحت بالفعل موضوع قدر واسع من الدعاية الالمانية والتركية ، ولا شك ان البدو غير المتعلمين سوف يسيئون فهمها اذا بحثت بصورة علنية ، ولكن عندما تصبح الشئون العربية فيما بعد اكثر استقرارا وانتظاما، يصبح في الامكان اثارتها » ،[36] كذلك صرح وايزمان نفسه امام الجمعية التأسيسية الثانية ليهود فلسطين في اول يوليو عام 5778 (عبري)[37] بقوله « رأيت الشريف فيصل القائد العربي الاعلى . وبعد حديث اجريته معه يمكنني القول بانه يمكن ايجاد اتفاق مؤقت لحل المشكلة العربية السياسية ، لاننا نريد ان نعيش مع العرب في احسن الظروف »[38] . وقد اكدت لجنة التحقيق الملكية هذا المعنى . فقالت ان وايزمان « تمكن من اقناع الامير

35 ـ الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين (محمد توفيق جانا) ـ دمشق 1937، ص 470.

36 ـ وردت في عبد الوهاب الكيالي، ص 115 .F.O. 883/14

37 ـ تاريخ عبري يوافق يوليو 1918.

38 ـ يوسف لوتس : المصدر السابق، ص 219.

بالفوائد التي يجرها الوطن القومي اليهودي الى فلسطين بأسرها »[39] .

تابعت السياسة البريطانية هذا الاسلوب الذي كان يقوم على مبدأين ، اولهما محاولة التقريب والتفاهم بين الحركة الصهيونية والحركة العربية ، وثانيهما التخفيف من حدة العداء العربي للحركة الصهيونية حتى يمكنها في نهاية الامر ، وضع تصريح بلفور موضع التنفيذ خدمة لاغراضها ومصالحها الاستعمارية . ولم يكن (التصريح للسبعة)[40] في 16 يونيو 1918 الا حلقة من حلقات هذه السياسة البريطانية ، اذ لم يكن هدف بريطانيا ان « تلغي كل مراسلاتها مع الشريف حسين ، هذه المراسلات التي حددت المنطقة التي اعتبرت بريطانيا نفسها حرة بالعمل فيها »[41] . ويجمع جورج انطونيوس بين(التصريح للسبعة) وبين خطاب الرئيس ولسون في 4 يوليو 1918 والخاص بتسويات ما بعد الحرب فيقول « واذا اخذنا التصريحين البريطاني والاميركي معا وجدنا انه كان لهما اثر حاسم في تبديد الشكوك والمخاوف التي اثارتها اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور . وانتعشت قوى الثورة من جديد . . . فاتجهت الى تأدية مهمتها بمهمة جديدة . ولما أهاب بها اللنبي الى بذل ارفع الجهود ، لم تجدها مترددة او متريثة »[42] .

واستمرارا للسياسة البريطانية في هذه المرحلة ، نشرت جريدة فلسطين[43] بيانا حول (غايات الصهيونية) ورد فيه ان « الصهيونيين لا يرمون الى انشاء دولة » ، وانهم « لا يقصدون ابدا ان يجعلوا الاعتبارات الجنسية او المذهبية شرطا من شروط التمتع بالحقوق المدنية في فلسطين » . وبعد احتلال القوات البريطانية لشمالي فلسطين (سبتمبر

---

39 ـ تقرير اللجنة الملكية، ص 36.

40 ـ انظر قصة اصداره في جورج انطونيوس ص378- 382 . ويؤكد عبد الرحمن الشهبندر لمحمد بدر الدين الخطيب ان التصريح للسبعة كان « شفهيا رسميا »، ونشر الخطيب ذلك في المقطم 1930/6/12.

41 ـ Hubert Young, op. cit., p. 277

42 ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص 382.

43 ـ ج ف ع 16 - 1918/7/25.

1918) ، وانتشار الشائعات حول اهداف الحركة الصهيونية في فلسطين ، اصدرت الحكومة البريطانية بيانا آخر جعلت عنوانه (الحكومة البريطانية واليهود) ، ردت فيه على تلك الشائعات واكدت ان « العاقل لا يمكن ان يؤخذ بمثل تلك الاراجيف التي لا ظل لها من الحقيقة » . وجاء البيان على ذكر وعد بلفور وشرحه فقال ان « العرب واليهود سيكونون متساويين امام القانون ، بحيث تكون الفرص السانحة لهم متساوية » . وأشار البيان الى ان في فلسطين « قفارا واسعة واراضي تصلح للزراعة » ، وان اليهود « يودون العودة الى فلسطين لتعمير تلك القفار ، كما فعلوا في رشيون ـ لتسيون وبتاح تكفا بجوار مدينة يافا ، حيث استعمروا القفار الممحلة » . ثم خلص البيان الى القول « بان في فلسطين مجالا واسعا لكلا اليهودي والعربي ، والحكومة البريطانية ترغب اشد الرغبة في ان ترى البلاد راقية مزدهرة ، وان يتمتع سكانها بالسعادة والرضاء . . . . وهي ترغب ايضا من صميم فؤادها ان يعيش العرب واليهود ، والمسلمون والمسيحيون بوفاق وسلام »[44] .

ولقد عبرت افتتاحية جريدة فلسطين (ع 26) بتاريخ 3 اكتوبر 1918 بوضوح عن السياسة البريطانية ازاء الصهيونية في فلسطين ، فذكرت ان « الحكومة البريطانية تعلم شدة الحاجة الى الايادي العاملة لحراثة الارض وارجاع التربة الى خصبها ، ولذلك سمحت لليهود بالمجيء ـ لا لاغتصاب الارض وانتزاعها ـ بل لاحياء ما كان بائرا واستغلال ما كان مهملا » . وحاولت ان تعيد الى الذاكرة صلة القربى بين العرب واليهود ، « وان اليهود ليسوا غرباء عن العرب ، بل هم متصلون بهم بصلة الدم لان جميعهم من نسل ابراهيم الخليل » ، واكدت على الاتفاق والتفاهم العربي اليهودي ، وانه « سينضم اليهود الى العرب لانهاض البلاد من كبوتها واعادتها الى ما كانت عليه من الخصب والنماء ، اللذين كانت تتمتع بهما قبل عهد الاتراك الظالمين » .

---

44 ـ ح ف ع 26 - 1918/10/3.

عملت السياسة البريطانية على الانفراد بالسيطرة على فلسطين دون بقية الحلفاء خاصة فرنسا . واستمرت الحكومة البريطانية تعلن في مجلس العموم[45] ان سياستها بالنسبة لفلسطين منسجمة ومتفقة مع الحلفاء ، وكان هذا مخالفا للواقع ، فقد انسحب جورج بيكو - « ممثل الجمهورية الفرنسية في البلاد المحتلة من فلسطين وسوريا »[46] في قيادة الجنرال اللنبي - من فلسطين عائدا الى فرنسا في يونيو 1918 احتجاجا على سياسة الانفراد البريطاني بفلسطين ، واحتجاجا كذلك على النفوذ المطلق الذي مارسته البعثة الصهيونية في فلسطين تحت نظر بريطانيا وسمعها . ويعلق وليم ييل على ذلك بقوله « ليس سرا ان مسيو بيكو لم يكن سعيدا ، لمدة طويلة ، في علاقاته مع السلطات البريطانية (في القاهرة) وفي فلسطين وانه « لا يكفي فهم الموقف العام للبريطانيين هنا (في القاهرة) ازاء اطماع فرنسا في الشرق لكي يشعر الانسان بان البريطانيين يعملون بطريقة من شأنها الاضرار بمصالح فرنسا في فلسطين وسوريا » . ويضيف الى ذلك قوله ان « البريطانيين يعتبرون مسيو بيكو متطفلا وصفيقا » . وينقل ييل عن الليفتنانت ماسينيون (ملحق بالبعثة الفرنسية في سوريا ومساعد بيكو) قوله « ان البريطانيين لا يعاملوننا هنا في الشرق بانصاف واخلاص ، وقد نشأ هذا الموقف الذي يقفه البريطانيون من انهم هم الذين غزوا فلسطين ، ويتقدمون لغزو سوريا ، وانه لما لم يكن لدينا قوات تذكر هنا فليس لنا حقوق »[47]' .

واتبعت بريطانيا سياسة الانفراد بفلسطين بالتطبيق العملي على ارض الواقع . فعقدت ، بعد انسحاب الاتراك من شمال فلسطين وقبل سقوط دمشق ، اتفاقا مع فرنسا في 30 سبتمبر 1918 ، تنظم بموجبه ادارة الشام

---

45 ـ P.D. vol. 107, cols. 1818 -9

46 ـ هذا هو لقبه الرسمي حسب التعليمات الصادرة اليه في 12 ابريل 1917 انظر هذه التعليمات في (الاهالي) - 2864 - 1920/1/22.

47 ـ تقرير وليم ييل رقم 31 - 1918/6/10

ريثما يبت في مصيرها نهائيا ، وقد نيطت ، بموجب هذا الاتفاق السلطة السياسية والعسكرية العليا في يد الجنرال اللنبي ، ويلحق به مندوب سام فرنسي ، يستشار بشأن المنطقة الزرقاء (شقة سوريا الساحلية) ، ولادارة شؤونها السياسية والادارية بالاتفاق مع الجنرال اللنبي ، وان يكون من حقه تعيين المستشارين السياسيين للمنطقة أ (سوريا الداخلية) ، بعد الحصول على موافقة الحكومة (او حلف الحكومات) العربية التي ستؤسس فيها . واشترط الاتفاق كذلك ان تصدر بريطانيا وفرنسا تصريحا مشتركا يوضحان فيه انهما لا يرغبان في ضم المنطقة التي ستؤسس فيها الحكومة (او حلف الحكومات) العربية ، ويلاحظ انه لم يرد ذكر لفلسطين في هذا الاتفاق

وبعد عقد الهدنة مع الاتراك في 30 اكتوبر 1918 ، اصدرت الدولتان تصريحا مشتركا في السابع من نوفمبر 1918[48] اتفقتا فيه على ان « تشجعا وتعينا » على اقامة حكومات وادارات وطنية في سوريا والعراق . ولم يرد ايضا ذكر لفلسطين في هذا التصريح . ويعزو ليونارد شتاين ذلك الى ان « فلسطين كانت تعتبر جزءا متمما لسوريا »[49] . وهو تبرير غير سليم ، اذ لو ارادت الدولتان ان يشمل التصريح فلسطين لنصتا على ذلك علانية . هذا الى ان بريطانيا كانت قد سارت شوطا بعيدا في سياسة الانفراد بفلسطين . كذلك فان التبرير الذي قدمه الحاج امين الحسيني في شهادته امام لجنة التحقيق الملكية لم يكن مقنعا للجنة . فقد ذكر ان « اللورد اللنبي اعترف صراحة للوفد الفلسطيني العربي في لندن سنة 1922 بما يأتي : ان فلسطين كانت مقصودة في هذا البيان مثل سائر البلاد السورية والعراقية . فسأله اللورد بيل : في اي سنة قال هذا واين قاله ؟ فرد الحاج امين : قال هذا سنة 1922 في بيته بلندن امام اعضاء الوفد العربي ، وهم على استعداد لتقديم شهاداتهم بهذا الخصوص . قال اللورد بيل : ولكن هذا الحديث لم ينشر .

48 ـ انظر نص التصريح في P.D. vol. 145, col. 36 R.I.I.A: Great Britain and Palestine, p. 118؛ تقرير اللجنة الملكية ص 35، جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص 590 — 591.

49 ـ Stein, op. cit. pp. 635 - 6

فرد الحاج امين : كان اعضاء الوفد يشيرون اليه في خطبهم المتعددة ، وقد نشر في الصحف حينئذ ولم يعترض عليه اللورد اللنبي كل حياته »[50] .
والواقع ان هدف التصريح كان « تهدئة مخاوف العرب ، وتقديم عرض يشير الى جبهة متحدة بين الحلفاء »[51] ، هذا بالاضافة الى ان بريطانيا هدفت من وراء هذا التصريح الى الاستمرار في خطتها السياسية القائمة على الانفراد بالسيطرة على فلسطين ، يؤكد هذا ما اورده تقرير اللجنة الملكية تعليقا على التصريح المشترك . يقول التقرير « ولما كان العرب يعتبرون فلسطين مشمولة بسوريا ، لاح لهم ان هذا البلاغ يتضمن وعدا بتحقيق كل ما يصبون اليه . ولشد ما كان استياؤ هم عندما بلغهم ان الدولة المستعمرة (اي بريطانيا) لا تنوي فصل فلسطين عن سوريا فحسب ، بل تريد ايضا وضعها تحت شكل خاص من الحكم بقصد تنفيذ السياسة التي ينطوي عليها تصريح بلفور »[52] .

في ديسمبر 1918، سمحت السلطة العسكرية في فلسطين للبعثة الصهيونية بعقد مؤتمر في يافا. كان برنامج المؤتمر يتضمن وضع « خطة الحكومة المؤقتة في فلسطين ». وعقد المؤتمر بالفعل، واعلن اعتبار فلسطين « وطناً قومياً يهودياً، وأن يكون للشعب اليهودي بكامله الصوت الخاص في تقرير شئونه ». كما وافق المؤتمر على أن يكون (العلم الصهيوني) هو الشعار القومي، وان تحل كلمة (ارض اسرائيل) محل كلمة (فلسطين). وبهذا استطاع المؤتمر ان يضع (خطة طويلة الاجل لتسلم زمام السلطة).[53]

رد عرب فلسطين على (مؤتمر يافا) بعقد اول مؤتمر لهم في القدس بين 27 يناير و9 فبراير عام 1919 . ولما كان مؤتمر الصلح في باريس قد اصدر قرارا في 30 يناير 1919 يقضي بعدم اعادة الولايات العربية الى الحكم

---

50 ـ الشهادات السياسية، ص 31 — 32.

51 ـ E.F., vol. I, p. 121

52 ـ تقرير اللجنة الملكية، ص 35.

53 ـ Sykes, op. cit. p. 37

التركي، فقد تضمن قرار (المؤتمر العربي الاول) نصا يطلب لفلسطين «حكومة دستورية مستقلة استقلالا داخليا، تتأسس على اختيار الاهالي الوطنيين وتسن لنفسها قوانين خاصة بها وفقا لرغائب سكانها»[54] . ومع ان هذا القرار لم يكن مفاجئا للحكومة البريطانية، لان قسما من اعضاء المؤتمر، وهم ممثلو الناصرة وصفد وطبرية، كانوا من (الحزب العربي الموالي لبريطانيا)، الا اننا نلاحظ رد فعل عنيف له في (جريدة فلسطين)، التي كانت تعتبر في ذلك الوقت الجريدة الرسمية للسلطة العسكرية في البلاد. فقد اوردت الجريدة مقالا (على ثلاثة اعمدة ونصف) بعنوان «استقلال فلسطين والحكم الذاتي[55] ، نسبته (لكاتب اديب)، نعى فيه على عرب فلسطين الذين طالبوا بالاستقلال. واقل ما يوصف به هذا المقال انه مريب، تنضح عباراته بالحقد والكراهية، ويقلل من قيمة كل عمل وطني يمكن ان يقوم به الشعب في فلسطين.

اعتبر المقال العرب من (الامم المنحطة)، وان عليهم قبول ما يصدره مؤتمر الصلح الذي تمثله الامم الحية، فيقول « وعند الامم الحية مقياس صحيح تقيس به مقدرة الامم المنحطة، فحكمها حق وقرارها لا تشوبه شائبة وان كان قاسيا. لذلك فاننا على ثقة من ان القرارات التي تصدر في محكمة (يقصد مؤتمر) الصلح تكون عادلة، لانها نتيجة اختبارات ذوي العقول السامية، الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم . فلتنتظر الشعوب الضعيفة الحكم عليها، ولترضى بذلك، وهي على يقين من ان الامم الحية لا تظلمها حقوقها». ثم يتكلم عن موقع فلسطين الجغرافي، وكيف انها كانت على الدوام مطمحا لانظار الغزاة الفاتحين، «فتبلبلت الالسن، واختلفت الميول، واشربت القلوب مبادىء متناقضة، وماتت العاطفة الوطنية ارضاء للشعب الحاكم . . . ولم يبق ثمة امة ذات فكر واحد وميل واحد

54 ـ الكوكب - 137 - 1919/4/8.

55 ـ من المؤكد ان هذا المقال كتب اصلا باللغة الانجليزية، ثم ترجم الى العربية، لانه احتوى الفاظا وتعبيرات تدل على عدم المام المترحم بالتاريخ واللغة.

ورأي واحد»، وهو في هذا يشوه الحركة الوطنية الفلسطينية، ويضيف الى ذلك قوله ان «الامة الفلسطينية لا اتحاد بعد في عواطفها، لا اتفاق في ميولها، لا امتزاج في دمائها . . . غير مستقرة بعد على قرار، شأن كل امة ضعيفة فقدت استقلالها من الوف السنين». ويعرف الاستقلال بانه «عمل الاجيال التدريجي في النفوس وليس ابن الساعة» وان «الاستقلال يحتاج الى اتحاد في العواطف والميول والرغائب والارواح والقلوب»، وانه «يحتاج الى امة ذات فكر واحد وقلب واحد وتربية واحدة وروح واحدة». وهو لا يرضى ان تمنح فلسطين استقلالها، لان ذلك يعني ان «يتولى شئونها المتنفذون من ابنائها، والمتنفذون بارك الله فيهم معروفون عندنا، فلا حاجة بنا الى وصفهم . . . فليس من الرأي والعدل بعد ان دألت دولتهم وذهبت سلطتهم ان يعودوا الى ما كانوا عليه من السلب والنهب، محتمين تحت ظل كلمات خلابة، هي الاستقلال والحكم الذاتي والحرية».

وهو لا يرفض (الوصاية) لان «السنوات القليلة التي تصرفها الامة تحت حكم وصيتها لا تنقص شيئا من تاريخ فلسطين الاستقلالي». ثم يطلب وصاية بريطانيا بالذات فيقول: «نريد ان تتدرب الامة على الحكم الذاتي تحت يد معلم خبير، محنك شفوق، وقد وجدت الامة ضالتها في انجلترا، ذلك المعلم العظيم، فمن العبث ان ترجو الامة استقلالها قبل ان يشهد لها المعلم انها قادرة على ادارة شئونها». ويطلب الطاعة لانجلترا : «نريد ان يكون التلاميذ مخلصين لمعلمهم، مطيعين له، مظهرين له المحبة الطاهرة لا يشوبها رياء، مؤمنين انه لا يريد لهم الا الخير، ولا يرضى لهم الا الاصلاح والصلاح». ولا ترهق بريطانيا بالمطالب لانه «من العبث ان نطلب اكثر مما نستحق». ويتهم الحركة الوطنية بالتعصب الديني، ويدعو الى ان يعمل «ابناء فلسطين بالعلانية لا بالسر، و لا يخشوا معارضة معلمهم». ويصف المطالبين بالاستقلال (بالمتهوسين)، وانه «ينقصهم التروي والحكمة والاختبار في تاريخ الامم». ويختم (الكاتب الاديب) مقاله بدعوة الى السلبية وعدم الكفاح، وان على المطالبين بالاستقلال ان ينتظروا «عمل

الزمان التدريجي في نفوسهم»، لان الاستقلال «لا بد ان يجيء اليهم من تلقاء نفسه، اذ لا قوة تستطيع ان تقف في سبيله»[56] .

يتضح من المقال السابق امران هامان، اولهما ان الحكومة البريطانية اخذت تحسب حساب الحركة الوطنية الفلسطينية ، وانها لذلك ستخطط لتمييع وتشويه تلك الحركة . وثانيهما ان بريطانيا اخذت تشجع الدعوة التي تنادي بفرض وصايتها (او انتدابها)، ولم تتورع عن الضغط والتوجيه والتأثير حتى ابان زيارة اللجنة الدولية لفلسطين (لجنة كنج كرين).

لجنة كنج كرين

اجتمع ممثلو الدول العظمى (بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وايطاليا) في مؤتمر فرساي، بعد سماع الوفدين العربي برئاسة الامير فيصل، والصهيوني برئاسة حاييم وايزمن، لتقرير مصير الانتداب على سوريا (الشام) في جلسة سرية هامة،عقدت في 20 مارس1919 .ادلى كلمنصو Clemenseau بوجهة النظر الفرنسية القائمة على تطبيق اتفاق سايكس بيكو، كما ادلى لويد جورج واللنبي بوجهة النظر البريطانية . ولما وصلت مسألة الانتداب على سوريا الى طريق مسدود، طلب ولسون تأليف لجنة تحقيق دولية حليفة تتولى دراسة الحالة في سوريا، ثم تقدم تقريرها الى الدول العظمى . يبدو ان رسالة هوراد بليس Howard Bliss ، رئيس الجامعة الاميركية في بيروت ، والمؤرخة في 7 فبراير 1919[57] ، كان لها اثر فعال في عرض تأليف اللجنة الدولية. فقد اكد بليس في رسالته ان اهالي سوريا يعتمدون على مبادىء الرئيس ولسون بشأن حق تقرير المصير، وانهم يطالبون «بفرصة عادلة للتعبير عن آمالهم السياسية». وابدى موافقته على قدوم لجنة اميركية الى الشرق الادنى لدراسة الاوضاع هناك . كما اشار الى

---

56 ـ ج ف ع 47- 1919/2/27، ص 1- 2.

57 ـ يؤكد المقطم في 1919/3/29 ان فكرة تشكيل اللجنة عرضها هوارد بليس على مؤتمر العشرة في لندن. انظر ايضا E F. vol. I, p. 214

انه من الافضل ان تكون اللجنة دولية، خاصة اذا اشتركت فيها فرنسا وبريطانيا .

وتحت ضغط الرئيس ولسون، اصدر المؤتمر قرارا في 21مارس 1919 يقضي بتأليف لجنة تحقيق، وضعت صلاحياتها وفق تصريح 7 نوفمبر1918 ، الذي دعا الى تأكيد حسن نية الحلفاء وحرصهم على مبدأ حرية السكان في تقرير مصيرهم . لكن هذا القرار تعرض في الاسابيع التالية لحملة من التشويه والتآمر نجحت في تحطيم المشروع الاصلي، وكانت وزارة الخارجية الفرنسية تقود تلك الحملة. اما الحكومة البريطانية، التي ازداد فتورها منذ ايقنت ان التحقيق سيمتد الى فلسطين والعراق، فقد وجدت في عداء الفرنسيين والصهيونيين ذريعة صالحة للتراجع عن تأييده[58]. ولقد عبر كلايتون بحق في تقريره الى وزارة الخارجية في2 مايو1919 عندما اعتبر كلا من بريطانيا وفرنسا «طرفا ذا مصلحة»[59] في الموضوع. وليس صحيحا ما يدعيه لونجرج Longrigg من ان فرنسا لم توافق على الاشتراك في اللجنة نتيجة للضغط الصهيوني[60] . اما بالنسبة لايطاليا فانه لما لم يكن لها مصلحة مباشرة فيه ، فقد وقفت موقف من لا يكترث بشأنه. اما ولسون فقد ظل وحده ثابتا على رأيه، وظهر ذلك واضحا في اجتماع 21 مايو 1919 بينه وبين لويد جورج وكلمنصو. وقد استهل ولسون حديثه بان اعلن ان الولايات المتحدة لا تستطيع تأخير تنفيذ فكرة اللجنة ، لانها لا تستطيع ترك اعضائها، وهم من كبار رجال الاعمال، ينتظرون في باريس دون عمل ، ولذلك فانه قد اصدر اوامره الى كنج وكرين بوجوب الذهاب في الحال الى سوريا، على ان يلحق بهما الاعضاء الانجليز والفرنسيون. وقد اجاب لويد جورج باسم بريطانيا جوابا سياسيا مائعا فقال «اني ارجح ان اصدر امرا مماثلا». اما

---

58 ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص 407.

59 ـ عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص 136.

60 ـ Longrigg, S.H.: Syria and Lebanon under the French Mandate, London, 1958, p. 89

كلمنصو فقد اعلن بصراحة ان فرنسا لن تشترك في اللجنة[61]. وهكذا اصبحت اللجنة اميركية خالصة[62].

وكان ولسون قد عين منذ 25 مارس 1919 ممثلين اثنين عنه في اللجنة هما هنري كنج Henry King ، المدير الديني للجيش الاميركي في الحرب العالمية الاولى، وشارل كرين Charles Crane، احد كبار رجال الاعمال ونائب رئيس اللجنة المالية الاميركية وعدو اليهود، الذي بلغ عداؤه لهم حدا كبيرا . وقد اختار المندوبان هيئة من المعاونين تألفت من : البرت ليبير A. Lybyer ، عضو قسم البلقان في الوفد الاميركي لمؤتمر الصلح، وقد عين في وظيفة (المستشار الفني العام). اما الخبيران الآخران فهما جورج مونتغمري G. Montgomery للاقسام الشمالية من تركيا، ووليم ييل للاجزاء الجنوبية[63]. وكان طبيب اللجنة ومترجمها في فلسطين هو سامي حداد (من عبيه في لبنان، ولكن مولده ومنشأه يافا)[64]. وكان الاسم الرسمي الذي اطلق على اللجنة هو (الهيئة الاميركية من اللجنة الدولية لشئون الانتدابات في تركيا)، ولكنها عرفت باسم (لجنة كنج ـ كرين).

كانت فلسطين ، ابان وجود اللجنة وحتى بعد مغادرتها ، خاضعة للاحكام العسكرية، ومعنى ذلك بطبيعة الحال تدخل السلطات العسكرية في التوجيه وحتى في ابداء الرغبة . وقد انتشر خبر تأليف اللجنة وعزمها على الحضور في فلسطين منذ اوائل ابريل 1919. فقد اعلنت بلدية القدس قرب «حضور وفد للاستفتاء»، واوصت الناس «بالاستعداد للقاء هذا الوفد واظهار رغائبهم الوطنية له»[65]. واعلن ستورز في 4 ابريل (في موسم النبي موسى)

---

61 ـ فرانك مانويل: بين اميركا وفلسطين ـ تعريب يوسف حنا ـ عمان 1967، ص 129.

62 ـ انظر الصعوبات في داخل الوفد الاميركي، التي اخرت سفر اللجنة. في E.F. vol. I, p. 215

63 ـ E.F. vol. I, p. 215

64 ـ اسعد منصور : تاريخ الناصرة، القاهرة، 1924، ص 120.

65 ـ الكوكب ـ - 140 - 1919/5/6.

ن برقية من اللنبي تشير الى ارسال اللجنة[66] . ويذكر خليل السكاكيني انه ابل الكولونيل ووترز تيلر Waters Taylor (نائب حاكم القدس) في يوم لجمعة الرابع من ابريل 1919 ، وان تيلر اخبره بوررد «نبأ من الجنرال اللنبي يقول انه قد خرجت هيئة من الدول العظمى الى سوريا وفلسطين لتطلع على الرأي العام في البلاد»[67] . كما اخبر الجنرال موني اهالي غزة بقرب وصول اللجنة ، وطلب من «كل منهم ان يبدي رأيه بتمام الصراحة اذا سئل عنه »[68] . وجمع حاكم الناصرة في 6 يونيو 1919 « الرؤساء الروحيين ووجوه المدينة واخبرهم بمجيء لجنة اميركية لاستفتاء الاهالي في نوع الحكم الذي يختارونه »[69] . وهذا يدل بوضوح على ان تطورات الاحداث في اوروبا كانت تصل بدورها الى البلاد. ففي اوائل ابريل 1919 كان الكلام حول اللجنة بانها من (الحلفاء)، ثم تغير الوضع في يونيو من العام نفسه اذ اصبح الكلام يدور حول (لجنة اميركية).

نشطت الحركة الوطنية في فلسطين نشاطا بارز الوضوح في الفترة التي سبقت قدوم اللجنة، وحددت مطالب معينة، تركزت حول استقلال سوريا الطبيعية، واستقلال فلسطين الداخلي ضمنها، ورفض الهجرة الصهيونية. واستعدت البلاد كلها لاستقبال اللجنة، التي وصلت يافا في 10 يونيو 1919 . واصدرت اللجنة بيانا في يافا ذكرت فيه « ان الشعب الاميركي ليس له مطامع سياسية في اوروبا او الشرق الادنى، بل يفضل على قدر الامكان تجنب كل علاقة بالمشاكل الاوروبية والآسيوية والافريقية. ويرغب باخلاص في ان يسود السلام الدائم، وانه بهذه الروح يدنو من مشاكل الشرق الادنى. ولقد عين مجلس الاربعة لجنة دولية لدرس الحالة في المملكة التركية لعلاقاتها بالوصايات، فغاية القسم الاميركي الموجود الآن، هي الوقوف جهد

---

66 - الكوكب- 142 - 1919/5/20.

67 - خليل السكاكيني، المصدر السابق، ص 174.

68 - المقطم 1919/4/25.

69 - اسعد منصور، المصدر السابق، ص 120.

المستطاع على احوال السكان والطبقات وعلاقاتهم ليكون الرئيس ولسون والشعب الاميركي على بينة من الحقائق في كل سياسة يدعى الى السير عليها فيما يتعلق بمشاكل الشرق الادنى. سواء كان ذلك في مؤتمر الصلح او في جمعية الامم »[70]

بقيت اللجنة في فلسطين من 10 الى 25 يونيو 1919[71]، وزارت يافا، القدس، بيت لحم، الخليل، بئر السبع، الرملة، رام الله، نابلس، جنين، الناصرة، حيفا، عكا[72]، وقدمت لها عرائض وتقارير كثيرة. واجتمعت اللجنة بممثلي اليهود في ريشون لتسيون. ثم قضت نحو اربعة اسابيع في دمشق وباقي المدن السورية[73]. وانهت تحقيقاتها في 21 يوليو 1919، وأتمت كتابة تقريرها في 21 اغسطس من العام نفسه[74]. وفي 28 منه سلمت نسخة من التقرير الى سكرتارية وفد الولايات المتحدة في باريس[75]. وبعد فترة وجيزة ابحر كنج عائدا الى نيويورك (حوالي منتصف سبتمبر) حيث دبر رفع التقرير الى الرئيس ولسون بأسرع الوسائل، الا ان الرئيس كان قد سافر في رحلته الخطابية التي انتهت بمرضه الخطير. ومن المشكوك فيه انه قرأ ابدا النص كله، غير انه كان عارفا بسياقه العام من الخلاصة التي كان قد ابرق له بها المندوبان من قبل[76]. ولما فوتح عام 1922 ليأذن باذاعة

---

70 ـ المقطم 1922/12/30.

71 ـ انظر برنامج الزيارة بين 16، و1919/6/22 في الكوكب - 147 - 1919/6/24، و148 - 1919/7/8

72 ـ انظر اسعد منصور : المصدر السابق ص 120، احمد الشقيري : حوار واسرار ص 18- 19، احمد الشقيري، اربعون عاما ص 53، الوثائق الرئيسية ص 116.

73 ـ ذكر السيد احسان الجابري للباحث في مقابلة جرت في 17 فبراير 1971 انه قدم للمستر كرين اثناء زيارته حلب، وكان محافظا لها، سجادة من تراث اسرته تبلغ قيمتها نحو 500 ج ذهبا، كما انه قدم الف مجيدي عثماني لبعض اهالي حلب للمطالبة بالاستقلال .

74 ـ E.F. vol. I, p. 217

75 ـ انظر الكوكب - 157 - 1919/9/16.

76 ـ انظر P.D. vol. 121, col. 53
E.F. vol. I, p. 216

محتوياته[77]، اذن بنشره، فظهر نص التقرير كاملا في صحيفةEditor and Publisher في 2 ديسمبر 1922[78] . ومما تجدر الاشارة اليه ان محتويات التقرير كانت معروفة لدى الاوساط التجارية الاميركية، بدليل ان مجلة Journal of Commerce، وهي لسان حال المصالح التجارية الاميركية، كتبت مقالا تدعو فيه الى قبول الوصاية الاميركية على الشرق الادنى، وقد جاء في المقال المذكور «ان انفراد اميركا وتحاشيها المشاكل الاوروبية يجعلها من انسب الدول للسيطرة على الدردنيل. وللاسباب عينها ايضا تكون وظيفتها في المحافظة على استقلال ارمينيا والبلاد العربية اسهل بالشيء الكثير مما لو عهد في ذلك الى انجلترا او فرنسا»[79].

ومهما يكن فان القسم الخاص بفلسطين هو الذي يهمنا من تقرير اللجنة، فقد تناول مطالب الشعب الفلسطيني على النحو التالي : «اجتمعت كلمة المسلمين، وهم حسب الاحصاء الانجليزي الاخير نحو اربعة اخماس السكان[80]، على المطالبة باستقلال سوريا المتحدة، ولم تشذ منهم سوى طائفة معروفة من الموظفين كانت تسير مع تيار النفوذ السياسي. وقررت الاحزاب التي اجتمعت في يافا ان سوريا اهل لحكومة مستقلة، بلا دولة وصية، وانه اذا اصر مؤتمر الصلح على تعيين دولة فانهم يفضلون الولايات المتحدة. وقد ايد الناس في القدس وغيرها من مدن فلسطين هذا القرار، وكانوا يحيلون مسألة الوصاية الى المؤتمر السوري الذي ينطق بلسانهم. ورفض بعض المسلمين، ولا سيما في الجنوب، قبول الوصاية رفضا باتا مهما كان نوعها. وقد ظهر منذ اعلن المؤتمر السوري رغبته في مساعدة اميركا بالدرجة الاولى وانجلترا في الدرجة الثانية ورفض الوصاية الفرنسية

---

77 ـ تؤكد الكوكب - 159 - 1919/9/30 ان التقرير نشر في اميركا في 30 اغسطس 1919.

78 ـ جورج انطونيوس المصدر السابق ص 408.

79 ـ انظر (المجلة التجارية السورية الاميركية) ع 10 س 1 ـ سبتمبر 1919 (نيويورك).

80 ـ كان عدد المسلمين حسب احصاء الادارة العسكرية في 31 مارس 1919 هو 515,000 نسمة من 647,850 نسمة وهو مجموع السكان. انظر تقرير اللجنة الملكية ص 204 - 205.

بتاتا، وان هذا هو ما يطلبه سواد المسلمين في فلسطين . ويرجح ان ذلك كان يجول في خواطرهم حينما احالوا اللجنة على المؤتمر. وكانت مطالب المسيحيين في فلسطين ، وهم 10% من مجموع السكان[81]، مختلفة. فكانت جماعات الشمال كاللاتين والكاثوليك في طبرية وحيفا واكثر مسيحيي الناصرة، مع المسلمين في طلب الاستقلال وترك تقرير مسألة الوصاية الى المؤتمر السوري. وكان الروم الكاثوليك والموارنة يطلبون الوصاية الفرنسية. وكان الاورثوذكس في كل مكان متفقين على طلب الوصاية الانجليزية. وهناك جماعات اخرى لم تطلب احداها وصاية اميركا مباشرة، ولكنها كانت تقول بأنها لو تأكدت من قبول الولايات المتحدة فانها لا تختار سواها، واكثر المسيحيين من هذا الرأي، وكلهم في جانب الوصاية يريدون دولة ذات حكم صحيح».

اما بالنسبة للحركة الصهيونية، فقد ذكر المندوبان انهما بدءا دراستهما وقد تشبعت نفساهما بالتحيز اليها ابتداء. غير ان حقائق الموقف التي وجداها في فلسطين قد جعلتهما يوصيان بتحديد المطامع الصهيونية[82]. ذلك ان الشهادات التي استمعا اليها من الممثلين اليهود قد اقنعتهما بان الصهيونيين يتطلعون الى انتزاع الملكية انتزاعا عمليا تاما من ايدي غير اليهود من السكان في فلسطين بأنواع مختلفة من ضروب الاحتيال. وهما يريان ان مثل هذا العمل يعد انتهاكا بالغا لحقوق السكان والمبادىء التى نادى بها الحلفاء ونادى بها الرئيس ولسون، حتى ولو تم في حدود القانون. واجمع الضباط البريطانيون الذين استشارهم المندوبان على ان البرنامج الصهيوني لا يمكن تحقيقه الا بقوة السلاح. ومن ثم فانهما يجدان نفسيهما ملزمين ان يوصيا بان يختصر البرنامج الصهيوني، وان تحدد الهجرة اليهودية، وان

---

81 ـ المصدر السابق ص 204 - 205.

82 ـ اكد هذا الرأي للباحث السيد احسان الجابري في مقابلة جرت في 17 فبراير 1972، وان المستر كرين كان من المؤيدين للصهيونية فعلا، لكن العرائض والشكايات العربية المعادية للصهيونية، وجهود الاستقلاليين في الضغط على كرين، جعلته يغير موقفه.

تطرح (جانبا) فكرة جعل فلسطين دولة يهودية[83].

ويبدو ان تقرير اللجنة المنشور لم يكن كاملا، وان له ذيولا سرية. اذ ان المستر كرين قدم لجريدة (السياسة) القاهرية (ذيلا سريا) عن فلسطين، نشرته بتاريخ 21 يناير عام 1923[84]. ويتضح من هذا (الذيل السري) تدخل السلطات العسكرية البريطانية في اعمال اللجنة وفي توجيه الاهالي الى طلب الانتداب البريطاني. فيذكر المندوبان انهما اضطرا «مرة او مرتين ان يطلبا من الحاكم العسكري الخروج من غرفة التحقيق». وان «بعضهم حاول التأثير في الافكار لحمل الناس على اختيار الانتداب الانجليزي». ويعلق المندوبان على ذلك «ولكن لم ينجح نجاحا يذكر»، وهو امر فيه كثير من المبالغة، لان (الذيل السري) يعترف بعد ذلك بان « الحكومة المحتلة هي التي انتخبت الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا والموظفين فيها، وقاضي جنين، وبعض الهيئات في عكا » ويضيف بعد ذلك انه « صدرت الاوامر في يافا بالامتناع عن التصويت للاستقلال التام »، وقد حدث ذلك بالفعل. ثم يورد « الذيل السري » ملاحظة على جانب كبير من الاهمية اذ يؤكد ان « بعض الموظفين الانجليز، ومنهم عدد من القدس، كانوا يسيرون في اعمالهم كما لو كانت انجلترا تنوي البقاء مشرفة على امور فلسطين الى الابد. مثال ذلك انهم كانوا يخططون الخطط لتوسيع المدن وتكبيرها[85] ومد الطرق وسكك الحديد وبناء الموانىء »[86].

---

83 ـ انظر تقرير اللجنة في الوثائق الرئيسية ص 116 - 120. جورج انطونيوس المصدر السابق ص - 600 621 امين سعيد المصدر السابق ج 2 ص 59 - 83، مصطفى الشهابي : محاضرات في تاريخ الاستعمار ج 2 ص 100 - 102، تقرير اللجنة الملكية ص 41، المقطم ,1922/12/30. و1922/12/31. Hurwitz J.C., II, pp. 66 - 75, E.F. vol. I, pp. 216 - 222 .

84 ـ انظر الملحق رقم 4.

85 ـ وهذا صحيح فعلا، انظر بيان السلطة العسكرية حول (تنظيم القدس) في ج ع 47 1919/2/27.

86 ـ بدأ الاهتمام بميناء حيفا منذ عهد الادارة العسكرية. انظر بيان السلطة العسكرية حول مشروعات خطيرة ـ مستقبل حيفا المجيد ـ في ج ف ع 50 - 1919/3/20.

ومهما يكن ، فقد نجحت السياسة البريطانية الى حد ما ، في تشويه فكرة الاستقلال الوطني في فلسطين ، وفي التأثير على بعض الجماعات صاحبة المصلحة ، في الارتباط مع الاستعمار البريطاني ، بطلب الانتداب البريطاني على فلسطين . هذا الانتداب الذي اقرت فكرته في ميثاق عصبة الامم في 28 يونيه 1919 في المادة 22 منه(87) . فقد نصت الفقرة الاولى والثانية من المادة على نظام الانتداب عامة ، وحددت الفقرة الثالثة ان « نوع الانتداب يجب ان يختلف تبعا لدرجة تقدم الشعب وموقع البلاد الجغرافي واحواله الاقتصادية ، وغير ذلك من الظروف المماثلة » . واختصت الفقرة الرابعة بالبلاد العربية وهي التي « وصلت الى درجة من التقدم يمكن معها الاعتراف مؤقتا بكيانها كأمم مستقلة خاضعة لقبول الارشاد الاداري والمساعدة من قبل الدول المنتدبة ، حتى ذلك الوقت الذي تصبح فيه هذه الشعوب قادرة على النهوض وحدها » . وختمت الفقرة الرابعة بجملة خطيرة وهي « ويجب ان يكون لرغبات هذه الشعوب اعتبار رئيسي(88) a principal consideration في اختيار الدولة المنتدبة » . والواقع ان هذه الجملة لا تتسق مع الجملة الاولى في الفقرة الرابعة كما ان حق الشعوب تحدد فقط في « اختيار » الدولة المنتدبة ، ويبدو ان الجملة كلها وضعت بشكل تحفظ بالنسبة لفلسطين بعد ان قدمت المنظمة الصهيونية مشروعا الى عصبة الامم في 3 فبراير 1919 حيث ورد فيه « اننا نلح باختيار بريطانيا العظمى كدولة منتدبة لان ذلك يتفق ورغبة يهود العالم . وعصبة الامم يجب ان تعمل في اختيارها للدولة المنتدبة على تحقيق رغبات الاهالي ذوي الشأن(89) » . هكذا وقعت بريطانيا بموافقة عصبة الامم ، الخطوة الدولية الاولى في

---

87 ـ انظر نص المادة في الوثائق الرئيسية ص 114 - 115، تقرير اللجنة الملكية ص 39 - 40.

88 ـ هذا هو التعبير الرسمي وليس كما ورد في الوثائق الرئيسية ص 114 بانه (المقام الاول).

89 ـ انظر نص المذكرة الصهيونية في Hurwitz, J.C. vol. II, pp. 45 - 50

تحقيق اطماعها وبالتالي اطماع الحركة الصهيونية ، في فلسطين . وخطت بريطانيا خطوة اخرى في سبيل اتفاقها مع فرنسا ، وذلك لتغيير اتفاق سايكس بيكو ، وكان ذلك كله على حساب الحركة الوطنية العربية في اتفاق لويد جورج - كلمنصو في سبتمبر 1919 .

اتفاق لويد جورج - كلمنصو (سبتمبر 1919)

اشتد التوتر في العلاقات بين انجلترا وفرنسا حول المسألة العربية الى درجة الخطورة منذ يونيه 1919 . وقامت في فرنسا في يوليه ، حملة من الاتهامات ضد انجلترا يقودها السياسيون من ابناء المدرسة الاستعمارية ، . وتلخصت تلك الحملة في اتهام بريطانيا بانها تحاول التخلي عن الالتزامات التي يفرضها عليها اتفاق سايكس بيكو، متذرعة الى ذلك بمختلف الوسائل الملتوية، ومنها تشجيع العرب على (حقوق) فرنسا في سوريا. ولم تغفل بريطانيا هذه الحملة فتصدت لها الصحافة البريطانية. الا ان عاملين آخرين كانا يؤرقان انجلترا في منطقة الشرق الاوسط. اولهما الصراع الانجلو سوفييتي في ايران، حيث بذلت الدولتان جهودا فائقة في محاولة الوصول الى اتفاق معها. وقد سبقت انجلتر الاتحاد السوفييتي في هذا الامر، فعقدت معاهدة 9 اغسطس 1919[90] التي اصبحت ايران بموجبها « محمية بريطانية ». وثانيهما ازدياد تكاليف الحاميات البريطانية في سوريا وفي كيليكيا، وهاتان المنطقتان ليستا من بين الممتلكات التركية التي تطمع فيها بريطانيا، وهي لا تكسب شيئا من ابقاء حامياتها فيهما الى ان يعقد الصلح. عندئذ رأى المستر لويد.جورج ان الفرصة مواتية للعمل، فقرر ان يعمل، وقدم الى كلمنصو اقتراحا ذا فائدة مزدوجة، لانه يرضي فرنسا وينقص من تكاليف بريطانيا.

تضمن اقتراح لويد جورج سحب الحاميات البريطانية من سوريا وكيليكيا، واحلال القوات الفرنسية محلها في كيليكيا (المنطقة الشمالية من

---

90 - انظر شروط المعاهدة في History of Soviet Foreign Policy, 1969, pp. 144 - 5

بلاد العدو المحتلة)، وسوريا (الغربية)، واحلال القوات العربية محلها في سوريا (الشرقية). ومعنى هذا ان يحتل الفرنسيون كل الساحل السوري غربي خط سايكس - بيكو (المنطقة الزرقاء). اما فلسطين (المنطقة الجنوبية من بلاد العدو المحتلة) فستظل فيها حاميات بريطانية. وفي الاقتراح ايضا شرط يحتفظ للحكومة البريطانية بحق انشاء سكة حديدية وانبوب بترول يصل العراق بالبحر المتوسط عند حيفا « وفقا لمبادىء اتفاق سايكس - بيكو ». واتفق على بدء الانسحاب في اول نوفمبر 1919.

شرح المستر لويد جورج اقتراحه في اجتماع عقده المجلس الاعلى في باريس في 15 سبتمبر 1919، فوافق كلمنصو في الحال على البند الذي يقترح احلال الكتائب الفرنسية محل الانجليزية، شريطة ان يفهم لويد جورج ان موافقة كلمنصو لن تؤثر في التسوية النهائية لشئون الانتداب وتقرير الحدود. وكان كلمنصو يعني من تعليق موافقته بهذا الشرط ان الحكومة الفرنسية ترغب في ان تبسط انتدابها على سوريا الشرقية اخيرا، وانها ابعد من ان ترضى ببقائها دولة عربية مستقلة عن سيطرة فرنسا[91]. وهكذا اطلقت بريطانيا يد فرنسا في سوريا[92]، مقابل ما حصل عليه الانجليز من:

أ) عدم المطالبة بادخال ولاية الموصل ضمن الحدود السورية.
ب) عدم المنازعة في تقرير مصير فلسطين (اي ان تكون لبريطانيا).
ج) عدم المنازعة في وضع العراق تحت الانتداب البريطاني.
د) ابقاء منطقة (شرق الاردن) تحت الاحتلال البريطاني[93].

وتنفيذا لاتفاق لويد جورج - كلمنصو، بدأت الاستعدادات للانسحاب البريطاني في الاسبوع الاول من نوفمبر، الى فلسطين. وقد كان

---

91 - حورج انطونيوس المصدر السابق ص 411 - 413، محمد انيس والسيد رجب حراز ص 445- 446، امين سعيد المصدر السابق ج 2 ص 88 - 89، امين الريحاني : ملوك العرب ج 2 ص 312.

92 - احمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى. دمشق 1956، ص 105 - 106.

93 - امين سعيد المصدر السابق ج 2 ص 89.

لهذا العمل رد فعل عنيف فى المنطقة العربية، فقد « احتجت جميع طبقات الشعب السوري على اختلاف الاديان على الاتفاق المؤقت لتقسيم سوريا الى مناطق، وتجمهر اكثر من خمسين الفا امام دار الحكومة (في دمشق)، طالبين بحماس زائد استقلال بلادهم ووحدتها، مصانة من كل تداخل يسيئها »، وذلك كما جاء في برقية الامير زيد، نائب الامير فيصل في دمشق، الى والده الحسين في 12 نوفمبر 1919[94]. ومع ذلك فقد تم انسحاب القوات البريطانية الى فلسطين، اذ اعلن اللورد بيل Peel، وكيل وزارة الحرب، في 17 ديسمبر 1919 انه « قد تم انسحاب القوات البريطانية من كيليكيا ومن سوريا، وستمكث في فلسطين كحامية لفترة ما بعد الحرب فرقة مشاة هندسية وفرقة خيالة بريطانية »، ثم اضاف « ان خط الاحتلال الشمالي يبتدىء تقريبا من رأس الناقورة، في منتصف الطريق بين صور وحيفا على الساحل، الى المستنقعات الواقعة شمال بحيرة طبريه[95] ».

هكذا بدأت المرحلة الاخيرة من تسوية الصراع الانجلو فرنسي حول مناطق النفوذ في الشرق العربي، لكن بريطانيا انفردت بالسيطرة على فلسطين، ووضعت الخطوة الاولى في تخطيط الحدود بين فلسطين وبين منطقة النفوذ الفرنسي في الشمال. الا ان مؤتمر الصلح الذي انهى دورته الاولى في باريس في 21 يناير 1920، لم يتخذ اي قرار نهائي بشأن وضع فلسطين. ويرجع هذا التأخير الى موقف الولايات المتحدة من معاهدة الصلح مع تركيا. وقد دفع هذا الموقف باللورد كرزون[96] الى ان يرسل في 18 اكتوبر 1919 برقية الى السفير البريطاني في واشنطون يدعوه الى تحريك موقف الولايات المتحدة. ولم يتضح موقف الولايات المتحدة النهائي الا في اواخر عام 1919 حيث نفضت يدها من معاهدة الصلح مع تركيا. واسفر هذا الوضع عن اتخاذ الدول الكبرى ـ ما عدا الولايات المتحدة ـ قرارا بعقد

94 ـ القبلة - 331 - 1919/11/13

95 ـ P.D. (House of Lords) vol. 38, col. 359

96 ـ خلف كرزون اللورد بلفور في و ارةالخارجية في 24، اكتوبر 1919.

مؤتمر لندن في 2 فبراير 1920 لحل المشاكل المتعلقة مع تركيا.

وفي مؤتمر لندن، عارضت بريطانيا اشراف فرنسا على الاماكن المقدسة في فلسطين، كما عارضت فرنسا رغبة انجلترا في تضمين نص تصريح بلفور في معاهدة الصلح مع تركيا[97]. وكانت بريطانيا قد قصدت من وراء عرض هذه الرغبة ان تحول تصريح بلفور الى (التزام دولي)، تأخذ الموافقة عليه، لتستطيع ان تكمل خطتها السياسية في فلسطين. ومع ذلك فقد اتخذ المؤتمر قرارا في 21 فبراير 1920 ينص على ما يلي « توضع فلسطين بحدودها القديمة من دان الى بئر السبع تحت الانتداب البريطاني ». لم يشر قرار المؤتمر الى تصريح بلفور. اما بخصوص مراجعة نصوص معاهدة الصلح مع تركيا، فقد اتفق على عقد مؤتمر آخر يعقد في سان ريمو بايطاليا[98].

تصريح الجنرال بولز (1920/2/18)

كان قرار مؤتمر لندن (12 ـ ٢١ فبراير 1920) اول موافقة دولية لمنح بريطانيا الانتداب على فلسطين، وهذا ما كانت تسعى اليه بكل جهدها. لكن الامر لم يتم في المؤتمر كما كانت تأمل بريطانيا، لان قراره لم يتضمن اية اشارة الى تنفيذ وعد بلفور. كان هذا في خارج فلسطين، أما في داخلها فقد صدرت الاوامر الى الجنرال بولز، الحاكم العسكري لفلسطين، بأن يدلي بتصريحات الى جريدة (مرآة الشرق)، التي كان يرأس تحريرها بولس شحادة، احد المتعاونين مع السلطات البريطانية، حول السياسة البريطانية والحركة الصهيونية في فلسطين. ففي 18 فبراير 1920[99] اعلن بولز انه « قد وافق الحلفاء، وفي مقدمتهم اميركا وفرنسا، على منح شيء لليهود من الحقوق في فلسطين. ووافقت ايضا على ما قام به المستر بلفور (يقصد

---

97 ـ Stein, op cit. pp 652 -7, E.F vol. I, p. 146

98 ـ Stein, op. cit. p. 658

99 ـ يذكر عيسى السفري (ص 29 - 30) ان تصريح بولز كان في فبراير، واعتمد الباحث على المصدر الرسمي البريطاني

تصريح بلفور في 2 نوفمبر 1917) وهو ان تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود بشرط ان لا تمس مصالح الوطنيين الدينية والمدنية والسياسية بشيء ». وكان هذا التصريح اول اعلان رسمي تصدره السلطات البريطانية بشأن وعد بلفور واعلانه في فلسطين. وذكر بولز انه « لا يقصد الحلفاء ولن يقصدوا ان تكون في البلاد حكومة يهودية » وذلك ردا على الشائعات والمخاوف التي كانت منتشرة في فلسطين. ثم أضاف « وأما الذين يحكمون البلاد فهم ابناؤها. وستقرر الاحكام بموجب قوانين يسنها المجلس الذي تنتخبه الامة بالاكثرية. والحكومة آخذة الآن باعداد ما يكفل حقوق السكان. وستؤهل الحكومة ابناء البلاد من اليوم على الحكم الذاتي، وذلك بأن يكون عدد كبير منهم في الوظائف السامية، يتمرنون على الاحكام تحت ادارة حكام ذوي اخلاق راقية ونيات صالحة[100]. وفي هذا يشير بولز الى قرب انتهاء الادارة العسكرية، وان ادارة مدنية لا بد وان تنشأ في فلسطين. وهذا ما كانت تمهد له بريطانيا، مدفوعة الى ذلك بعاملين، اولهما محاولة تخفيض النفقات العسكرية في البلاد[101]، وثانيهما تلبية رغبة الحركة الصهيونية التي كانت ترى ان الادارة العسكرية معادية للسياسة الصهيونية في فلسطين.

وقبل يوم واحد من تصريح الجنرال بولز، اي في 17 فبراير 1920، نشرت « الكوكب » مقالا بعنوان « في انتظار الصهيونية[102]، شمل اسس السياسة البريطانية نحو الحركة الصهيونية. يذكر المقال ان فلسطين « محط آمال اليهود وستكون قبلة مهاجريهم في المستقبل، وهو أمر لا يمكن تلافيه، وليس في وسع اي دولة آسيوية كانت او اوروبية أن تمنع هذه المهاجرة »، وأن « الفائدة الاقتصادية التي سيأتي بها هؤلاء ستكون كبيرة وتعم البلاد »، وانه « لذلك يجب على كل عربي يحب الخير لبلاده ان يرحب بابن عمه وزميله في العمل في مزرعة البلاد المشتركة ». هكذا ترى السياسة البريطانية

---

100 ـ ج ف ع 101 - 1920/3/11.

101 ـ انظر P.D. vol. 135, col. 664

102 ـ انظر الملحق رقم 5

ان البلاد (مشتركة) بين العرب واليهود، مع ان اليهود لم يشكلوا حتى ذلك الوقت، باعتراف المصادر البريطانية الرسمية، الا 10% من مجموع السكان[103]. ثم ينفي المقال نهائياً أمل الوحدة العربية ويؤكد ان « أمل العرب السامي باتحاد فلسطين وسوريا والعراق والجزائر العربية تحت علم واحد بعيد التحقيق »، وانه لذلك يجب « على كل عربي فلسطيني ان يتعاون مع اليهود على جلب الخير لفلسطين ». وهكذا تفرض السياسة البريطانية على العرب القبول بالامر الواقع، والقبول ايضا بالهجرة والاموال اليهودية، وذلك لان الولايات المتحدة « اظهرت تمنعاً في الاشتراك في إحياء الاراضي التركية[104].. وهو تبرير غير مقبول بطبيعة الحال. وقد نشرت الكرمل (صاحبها نجيب نصار زعيم الحزب العربي الموالي لبريطانيا في فلسطين) في 10 مارس 1920 وصفا لحفلة اقامها في حيفا فؤاد سعد، من الاعيان، للمستر ماينرتزهاجن Meinertzhagen كبير الضباط السياسيين لدى اللنبي، وحضرها الكولونيل ستانتون Stanton (حاكم حيفا العسكري)، وضباط الاعتماد ومدير البوليس ومفتي حيفا (محمد مراد) وعبد الله مخلص وصاحب الكرمل ومجموعة من أعيان المنطقة. وفي هذه الحفلة شرح ماينر تزهاجن سياسة الحكومة البريطانية فقال « أن الصهيونية هي من سياسة الحكومة البريطانية.. وقد درست الحكومة البريطانية المسألة الصهيونية درساً ثبت لها من بعده أن الصهيونية لا تضر بفلسطين، وأنا لست اقدر من ساسة بريطانيا العظمى، ويخيل لي انه ليس فيكم من يرى نفسه اطول باعا في السياسة منهم ». ونفى « ان حكومة فلسطين ستكون يهودية ». وأضاف « أن نفوذ اليهود لا يكون أكثر من نفوذ غيرهم ما دامت الحكومة البريطانية موجودة، وهي التي ستبقي المصالح تراعى بالعدل والتسوية وبدون محاباة ». وتطرق الى الهجرة اليهودية فقال « أن الوطنيين يكرهون هجرة

103 ـ انظر تقرير اللحنة الملكية ص 205

104 ـ سبق للمستر بونارلو Bonar Law رئيس مجلس العموم، ان صرح بذلك في 29 اكتوبر 1919، انظر P.D. vol. 120, col. 666

اليهود ويعارضونها، لان اليهودي معروف بحب الذات وقدير على المضاربة. غير انكم سوف ترون ان اليهود الذين سيأتون الى هذه البلاد هم خير من اليهود الذين بينكم في فلسطين، وهم متعلمون، ينفعون البلاد ويرقونها ». ثم نطق بجملة اعتبرها حكمة اذ قال « ان مصاحبة اليهودي خير من معاداته ». وأكد أن « في البلاد مجالا فسيحا لليهود »، وان « فلسطين حسب رأي الخبراء من غير اليهود، تستوعب أربعة ملايين علاوة على ما فيها اليوم. وبقطع النظر عن حسنات الصهيونية وسيئاتها، ان في البلاد متسعا للصهيونيين الذين تريد الجمعية الصهيونية ان تبعث بهم اليها ». هكذا يعبر أحد المسؤولين السياسيين البريطانيين في فلسطين عن السياسة البريطانية ازاء الحركة الصهيونية. ولما انبرى للرد عليه مفتي حيفا وعبد الله مخلص ونجيب نصار، قال الضابط السياسي « أن الحكومة البريطانية تساوي بين الجميع في احكامها. ولا يظن صاحب الكرمل انه اذا جاء ستمائة الف يهودي الى فلسطين ان الحكومة البريطانية تنهي مهمتها في فلسطين. ولا مجال للتخوف من تشتت شمل الاهالي، فالحكومة البريطانية حكومة قوية عادلة، وليست كالحكومة التركية لتسمح بشقاء الاهلين[105] ». وسنرى ان كل ما وعد به الضابط السياسي لم يكن الا محض افتراء، فالسياسة البريطانية منذ البداية لم تكن تضع نصب عينها الا مصلحة الحركة الصهيونية، باعتبارها شريكا لها في استعمار فلسطين. ومما يجب ملاحظته في هذا الصدد ايضا، ان هربرت صمويل كان موجودا في فلسطين، في فبراير ومارس 1920[106]، عندما صدر مقال الكوكب المشار اليه، وعندما صرح بولز بتصريحاته في 18 فبراير 1920، وإبان حديث الضابط السياسي في 10 مارس 1920.

حدث كل هذا في فلسطين، اما في انجلترا فقد رفض لويد جورج في

---

501 ـ انظر كذلك الاهرام في 1920/3/14.

Weizmann, op. cit. p. 317 ـ 106

11 مارس 1920 الجواب على سؤال بشأن (مستقبل فلسطين السياسي » قبل عقد المعاهدة مع تركيا[107]. ولا ندري ماذا يقصد لويد جورج « بمستقبل فلسطين السياسي »، مع ان مؤتمر لندن (فبراير 1920) كان قد أصدر قرارا بمنح بريطانيا الانتداب على فلسطين. أما اذا كان قصده ان قرار المؤتمر لم يتضمن تنفيذ تصريح بلفور كالتزام دولي، فهذا أمر آخر. ومع ذلك فان وكيل الخارجية البريطانية صرح في 18 مارس 1920 في مجلس العموم بانه « لا يمكن التنازل عن فلسطين او ضمها الى الدولة العربية القائمة في دمشق[108] »، وذلك ردا على قرار المؤتمر السوري العام الذي انعقد في دمشق بين 6 ـ 8 مارس 1920 والذي تضمن اعلان استقلال سوريا (بما فيها فلسطين ولبنان) دولة ذات سيادة، وملكية دستورية على رأسها الملك فيصل.

مؤتمر سان ريمو (ابريل 1920)

كان لقرار المؤتمر السوري العام في 8 مارس 1920، ولحوادث النبي موسى في القدس في 4 ابريل 1920، اكبر الاثر في الضغط على انجلترا وفرنسا بالذات للوصول الى تسوية نهائية بشأن مناطق نفوذهما في كل سوريا، فاتفق على التعجيل بعقد مؤتمر سان ريمو، وتم ذلك في 19 ابريل 1920، وجدول اعماله « تسوية جميع المسائل الباقية من مؤتمر باريس ومؤتمر لندن ».

تم في 24 ابريل 1920 وضع صيغة معاهدة الصلح مع تركيا، وهي التي وقعت في 10 اغسطس 1920 في سيفر Sévres. وقد اختص القسم السابع من المعاهدة بكل من سوريا والعراق وفلسطين، وقد اشتمل على اربع مواد هي 94، 95، 96، 97. وقد اتفق على ان تكون سوريا والعراق دولا مستقلة،

---

107 ـ P.D. vol. 126, col. 1517

108 ـ op. cit. col. 2358

تخضع لاشراف دولة منتدبة. وتضم الموصل الى العراق. وتحصل الشركات الفرنسية على 23,75% من شركة بترول العراق. وتعهدت فرنسا من جانبها في مقابل ذلك تسهيل مد خط انابيب بترول يخترق الاراضي السورية الى البحر المتوسط[109]. ووفق على سلخ فلسطين عن سوريا. ورفضت فرنسا بادىء الامر الاقتراح البريطاني بأن تتضمن المادة الخاصة بفلسطين من معاهدة الصلح مع تركيا نص تصريح بلفور. وعرضت فرنسا اقتراحا آخر يضمن حقوقها كحامية للمصالح الكاثوليكية في فلسطين، لكن فرانسيسكو نيتي Francesco Nitti، رئيس الوزراء الايطالي، ولويد جورج لم يوافقا على ذلك. واقترح نيتي كحل وسط، ان توضع مادة في معاهدة الصلح مع تركيا تشترط تعيين لجنة خاصة لتحديد مركز الطوائف الدينية في فلسطين. وقد ارضى هذا الاقتراح المسيو ميلران Millerand، رئيس وزراء فرنسا، فوافق على سحب اعتراضه على تضمين نص تصريح بلفور في معاهدة الصلح التركية[110]. ولم تعين الدول المنتدبة في المعاهدة. وفي 25 ابريل، اي بعد يوم واحد من وضع المعاهدة، ووافق على قرار يعين الدول المنتدبة، وسجل ذلك في محاضر جلسات المؤتمر. فمنحت فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان، ومنحت بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين.

اما القرار الخاص بفلسطين فقد تضمنته المادة 95[111]، وهي التي تنص على ما يلي « يوافق الاطراف السامیون المتعاقدون ـ تطبيقا لنص المادة 22 ـ على منح ادارة فلسطين، ضمن الحدود التي تقرها الدول الحليفة الرئيسية، الى دولة منتدبة تنتخبها الدول المذكورة. وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي اصدرته الحكومة البريطانية في 2 نوفمبر

---

109 ـ انظر نص اتفاقية النفط بين بريطانيا وفرنسا في Hurwitz, J.C., vol. II, pp. 75 -7

110 ـ E.F., vol. I, p 147

111 ـ انظر المواد 95, 96, 97 في His Majesty's Stoctionary Ofice: Treaty of Peace with Turkey, Signed at Sevres, August 10, 1920. Treaty Series No. II, 1920, London 1920, p. 26

1917، وقبلته الدول الحليفة الاخرى، بشأن تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، على ان يفهم جلياً انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضير الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين، او الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في اي بلد آخر». واختصت المادة 96 بصكوك الانتدابات، فنصت على ان «صكوك الانتدابات الخاصة بالبلدان المشار اليها (اي فلسطين والعراق وسوريا) تضعها الدول الحليفة الرئيسية، وتقدم الى مجلس عصبة الامم للتصديق». وتعهدت تركيا (المادة 97) «طبقا لنص المادة 132 [112] بقبول اي قرار يصدر بخصوص المسائل المشار اليها في القسم السابع» من المعاهدة. هكذا استطاعت الحكومة البريطانية ان تضمن تصريح بلفور في معاهدة الصلح مع تركيا، وبذلك اصبح الوعد (التزاما دوليا)، وجب على بريطانيا ان تقوم بتنفيذه. وكان على بريطانيا ان تتخذ الخطوة التالية، وهي ابلاغ قرار مؤتمر سان ريمو الى الاهالي في فلسطين. وقد صدرت الاوامر الى الجنرال بولز، الحاكم العسكري العام، للقيام بهذا العمل. فجمع رؤساء الطوائف واعيان البلاد، من مسلمين ومسيحيين ويهود، في دار الحكومة في القدس في يوم الخميس 29 ابريل 1920 [113]، وتلا عليهم بيانا مكتوبا ورد فيه ما يلي «قرر المجلس الاعلى ان تنتدب احدى الدول لادارة شؤون فلسطين، وان يدخل تصريح المستر بلفور الخاص بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ضمن معاهدة الصلح مع تركيا. وقد عرض الانتداب على بريطانيا العظمى فقبلته. وهذا معناه ان البلاد ستحكم بواسطة حكومة بريطانية تسعى لخير جميع سكان البلاد». ثم تلا بولز نص تصريح بلفور، وكان هذا اول اعلان رسمي

---

112 ـ نص المادة كما يلي: «تعلن تركيا تنازلها، خارج حدودها المحددة في المعاهدة الحالية، لصالح الدول المتحالفة الرئيسية، عن كل الحقوق الشرعية التي قد تدعيها او تتعلق بالاقاليم خارج اوروبا التي لم تحسم في المعاهدة الحالية. تتعهد تركيا بان تعترف وتؤيد الاجراءات التي قد تتخذها الان او مستقبلا، الدول المتحالفة الرئيسية، بالاتفاق، حيث تستدعي الضرورة، مع طرف ثالث من الدول العظمى، لوضع التعاقد السابق موضع التنفيذ». op. cit., p. 31

113 ـ ليس صحيحا ما ذكره ليونارد شتاين من ان الاجتماع كان في 28 ابريل 1920 Stein, p. 662,

بريطاني يشير بصراحة ووضوح الى التصريح، واضاف « ان ادخال تصريح بلفور ضمن معاهدة الصلح معناه، والحالة هذه، انه لا يكون هناك اي تدخل في الديانات والعادات والاماكن المقدسة، او انقاص الحرية الدينية، بشرط المحافظة على النظام والامن العام ». وانتقل بولز الى الهجرة اليهودية فقال انه « سيسمح للمهاجرين بدخول البلاد فقط لان الحاجة ماسة اليهم لترقية احوال البلاد »، وطمأن المجتمعين بانه « سوف لا يطرد اصحاب الاراضي الحاليين او يسلبون ممتلكاتهم، كما انه لا تمنح الامتيازات النافعة للافراد والجماعات للاضرار بمصالح الآخرين ». وسنرى ان الحكومة لم تطبق هذه السياسة على الاطلاق. وتعرض بولز لشكل الحكم في فلسطين واكد انه « سوف لا يسمح لاية اقلية ان تتسلط على اية اغلبية من السكان اذا ما حان الوقت لادخال اي شكل من اشكال الحكومات الدستوية ». وطلب ان « ينتهي من الآن فصاعدا كل نزاع او اضطراب سياسي »، ورجا « اهل فلسطين الصادقين ان يناضلوا معا في مناقشة صالحة، فيها خير فلسطين وسعادة الاجيال المقبلة ». وختم بيانه بقوله « واني واثق من انني استطيع الاعتماد عليكم في مساعدتي في هذه الامور[114].

كان على بريطانيا اذن، بعد صدور قرار 25 ابريل 1920، ان تحول الادارة العسكرية في فلسطين الى ادارة مدنية، حتى تستطيع ان تقوم بتنفيذ التزامها الدولي. شاركها في الوصول الى هذا الموقف الحركة الصهيونية عالميا، وعمل البعثة الصهيونية في داخل فلسطين. ذلك ان البعثة الصهيونية قد اتهمت الادارة العسكرية بالتحيز الى جانب العرب، ومعاداتها للحركة الصهيونية، واتهمت لويس بولز بالمشاركة في حوادث 4 ابريل 1920. وكان لويس بولز قد رفع تقريرا، ينضح بالالم والمعاناة من البعثة الصهيونية، الى رئاسة الجيش في القاهرة، بعد حوادث 4 ابريل 1920.

---

114 ـ امين سعيد المصدر السابق ح 3 ص 58، الاهرام 1920/4/30.

تقرير بولز (ابريل 1920)

ابتدأ بولز تقريره بقوله ان « البعثة الصهيونية ابت الانقياد لاوامر الادارة (العسكرية)، بل انها اتخذت من اول الامر موقفا عدائيا خطيرا. وانها لحقيقة مرة ان يظهر لنا انه يستحيل ان تقنع صهيونيا بحسن النية والصدق من الجانب البريطاني، وليس من العدل ما يبغيه الصهيونيون من المحتل العسكري، بل هم يطلبون ـ في كل امر فيه ليهودي دخل ـ التمييز والمحاباة في الجانب اليهودي ». ويصف اليهود بانهم « قوم يصعب التعامل معهم صعوبة تفوقها صعوبة »، ويضيف انه « لا يقنعهم ولا يرضيهم ما لهم من حماية عسكرية، ويطلبون ان يتقلدوا زمام الامور بايديهم ». ويشير الى الصعوبات التي يواجهها فيقول « وقد لزمني ان الح في بيان ما اعانيه من الصعوبة في ضبط اي موقف كهذا الموقف في المستقبل، اذا كنت مضطرا الى التعامل مع ممثل الطائفة اليهودية. وكان المستر اوشسكين، نائب الرئيس، يهددني باقامة هياج الغوغاء مقام القانون، ويرفض الرضى بقوة القانون والنظام ». وبعد ان سرد بولز عدة امثلة عن غطرسة البعثة الصهيونية، قال « ومما تقدم يتضح ان البعثة الصهيونية تدعي لنفسها سلطتي وسلطة كل دائرة من دوائر الادارة (العسكرية). وانني اقول بحزم ان دوام الحال على هذا المنوال من المحال من دون مجازفة بالسلام العام واجحاف لحقوق ادارة انا رئيسها ». ويستنكر السياسة البريطانية ازاء الطوائف غير اليهودية في فلسطين فيقول « وعبثا نقول للمسلمين والنصارى اننا قائمون بما صرحنا به من المحافظة على الوضع الراهن Status quo، مما عهده وعهدناه عند دخول القدس، فالحقائق تشهد بخلاف ذلك. فمن ادخال اللغة العبرية كلغة رسمية، الى اقامة قضاء يهودي، الى تلك التشكيلات الحكومية التي تتألف البعثة الصهيونية منها، والامتيازات الخصوصية الممنوحة لاعضاء البعثة الصهيونية في السفر والانتقال. كل ذلك قد حمل العناصر غير اليهودية على الاعتقاد الثابت والاقتناع الراسخ باننا اهل محاباة ». ويستغرب بولز اتهامه بمعاداة الحركة الصهيونية فيقول « ومع ذلك كله فالبعثة الصهيونية تتهم

موظفي وتتهمني انا ايضا بمعاداة الصهيونية » . ويصف حالته وحالة موظفي الادارة (العسكرية) بانها « حالة لا تتحمل الصبر ». ويؤكد ان الادارة (العسكرية) قامت « بتنفيذ رغبات صاحب الجلالة (البريطانية)، وانما نجحت في ذلك كله بفضل القوانين الضابطة لتصرفات المحتل العسكري لارض العدو. ولكن ذلك كله لم يكن يرضي الصهيونيين الذين لا يفتأون يتوخون توريط هذه الادارة (العسكرية) المؤقتة بسياسة محابية حتى قبل ان يصدر الانتداب. وانه يستحيل ارضاء ذوي فكرة مخصوصة، لا يطلبون رسميا الا وطنا قوميا. غير انهم بالفعل لا يقنعون بما هو اقل من حكومة يهودية بكل مقتضياتها السياسية. ولذلك فاني اوصي في سبيل السلام والتقدم الصهيونيين انفسهم ان تلغى البعثة الصهيونية في فلسطين[115] » .
واقترح بولز في نهاية تقريره تأسيس مجلس استشاري يهودي يعمل تحت اشراف الادارة بدلا من البعثة الصهيونية[116] . وقد اشار الكابتن فوكس كروفت Fox Croft في مجلس العموم البريطاني في 25 يوليو 1923 الى هذا التقرير وقال « ان لويس بولز قد اشار الى خطر البعثة الصهيونية في فلسطين، وطلب الى الحكومة حلها[117] » .

ذلك هو تقرير بولز الذي هاجمته الحركة الصهيونية، كما هاجمت الادارة العسكرية . وقد اورد رونالد ستورز انتقادات الصهيونية الموجهة الى الادارة العسكرية[118] ، مع انه افاض في الحديث حول اليهود في الادارة العسكرية وزيادة عددهم زيادة ملحوظة[119] . وادعى كرستوفر سايكس ان

---

115 _ Arab Higher Commıtee for Palestıne (A.H.C): A collectıon of official Documents relatıng to Palestine Questıon, 1917 - 1947, 3 vols, New York, Oct. 1947, vol 2, Doc No. 9. E.F. vol. I, p 133 الشهادات السياسية ص 238 - 241 . عيسى السفري المصدر السابق ص 48 - 49

116 _ Frances Newton, op cıt , p. 137

117 _ P.D. vol 167, col. 576

118 _ Storrs, op. cıt., pp. 360 - 1

119 _ op. cıt. pp. 301, 354

الحكم العسكري اشتهر « بمعاداته القوية للصهيونية وبتحيزه الى جانب الطوائف غير اليهودية[120] ». لكنه يناقض نفسه بعد عدة صفحات من كتابه فيسجل ما يلي « لاحظت الادارة العسكرية في فلسطين ان البعثة الصهيونية ترفع الامر ـ عند حدوث خلاف بينهما ـ الى رئاسة المنظمة الصهيونية في لندن، وهذه ترفعه بدورها مباشرة الى وزارة الخارجية، التي تعرض الخلاف مرة ثانية على الادارة الفلسطينية[121]. ومع كل ذلك فان حاييم وايزمن يؤكد بأن « الادارة العسكرية قدمت مشاريع للهجرة والري والاستيطان للبعثة الصهيونية[122] »، وينقل عن فيليب جريفز Philip Graves قوله ان « البعثة الصهيونية سيطرت على الادارة البريطانية[123] ». وتشير المصادر البريطانية الى ان الادارة العسكرية انشأت « اول هيئة منظمة لانعاش وتنظيم الطائفة اليهودية[124] »، وان الحملة المصرية « حالت دون الترحيل الجماعي لسكان المستوطنات وسكان المدن من اليهود[125] »، وهو الامر الذي كانت السلطات التركية قد بدأت في تنفيذه بالفعل.

الادارة المدنية (يوليو 1920)

أسفر ضغط الحركة الصهيونية على الحكومة البريطانية لنقل الادارة العسكرية في فلسطين الى ادارة مدنية عن النجاح اولا، والقبول به ثانيا، ذلك ان الحكومة البريطانية كانت قد خططت لهذه العملية من قبل. وكان معنى هذا الانتقال على الصعيد الشخصي « نزع فلسطين من اشراف اللورد كرزون، المعادي للصهيونية، والذي لم يسمح لهواه قط بالتأثير على تصرفاته الرسمية، ونقلها الى وزير المستعمرات المستر تشرشل الذي كان

---

120 ـ Sykes, op. cit p 33

121 ـ op. cit. p. 38

122 ـ Weizmann, op. cit p. 316

123 ـ op. cit p. 320

124 ـ Great Britain and Palestine, p 38

125 ـ British Government: A Brief Record, opposite to plate No. 55

يعطف على الصهيونية من كل قلبه[126] ». وتعرضت مناقشات مجلس العموم الى مسألة الادارة المدنية، فصرح بونارلو في 28 ابريل 1920، اي بعد يومين من انتهاء مؤتمر سان ريمو بان « الادارة ستنشأ في فلسطين بعد عقد معاهدة الصلح مع تركيا ». وفي بيان تال ذكر ان « ذلك لن يتم قبل عقد معاهدة الصلح والانتهاء والموافقة على صك الانتداب[127]. ويظهر ان هذه التصريحات كانت تغطية لعملية اختيار المندوب السامي، التي كانت قد بدأت بالفعل في مؤتمر سان ريمو، حيث عرض على هربرت صمويل، الذي حضر المؤتمر، منصب المندوب السامي لفلسطين، كما اكد ذلك حاييم وايزمان[128]. ويضيف هربرت صمويل (الفيكونت صمويل فيما بعد) انه تخوف من رد الفعل لدى الطوائف غير اليهودية في فلسطين، على اعتبار انه يهودي، ولذلك فانه لم يقبل المنصب في الحال. ثم استشار وايزمن وسوكولوف، واشارا عليه بالقبول، فكتب الى لويد جورج يخبره بقبول المنصب[129]. ويعلن لويد جورج تعيينه مندوبا ساميا على فلسطين في منتصف يونيه 1920 [130].

هكذا تم تعيين هربرت صمويل مندوبا ساميا على فلسطين. ويسجل هربرت صمويل في مذكراته ما يلي « عينتني حكومة صاحب الجلالة وهي على بينة تامة بميولي الصهيونية، وبلا شك فان تلك الميول كانت سببا اساسيا[131] ». ويؤكد حاييم وايزمن ان « قدوم هربرت صمويل الى فلسطين كاول مندوب سام يمثل ختام فصل هام في الصهيونية السياسية، وبداية لعهد جديد تمثل في اتساع النفوذ اليهودي في فلسطين[132] ». وبرر احد ضباط

---

126 - Sykes, op. cit., p. 62

127 - P.D. vol. 129, col. 1201

128 - Weizmann, op cit., p. 325

129 - Viscount Samuel, Memoirs, London, 1945, pp. 150 - 51

130 - p.d. vol. 130. col. 22

131 - V. Samuel, op. cit. p. 168

132 - Weizmann, op. cit. p. 329

الادارة العسكرية (الكابتن لوLaw) تعيين هربرت صمويل بما يلي « اولا لاقتداره، وثانيا ان الحاكم اذا كان مسيحيا فان اليهود يتهمونه دائما بالتعصب، فرأت الحكومة ان تعين لهم واحدا منهم، فمهما عمل فلا يستطيعون ان يتهموه بانه يحتقر اليهود ويعمل على معاكستهم[133] »، وكان ذلك في مقابلة جرت بين الكابتن لو وبين خليل السكاكيني في يوم الاثنين 28 يونيه 1920 اي قبل يومين من وصول هربرت صمويل الى فلسطين. وفي 29 يونيه 1920 صرح لورد كرزون وزير الخارجية في مجلس اللوردات بانه « قد ارتاب كثيرون في صواب تعيين حاكم يهودي للبلاد الآن، ولكن الحكومة البريطانية بحثت عن رجل يستطيع تنفيذ الخطة التي وضعها المستر بلفور (يقصد تصريح بلفور) ووافق حلفاؤنا عليها ويقوم بهذا العهد بولاء واخلاص، فلم نجد اكفأ لذلك من السير هربرت صمويل[134] ». واتخذ هربرت صمويل لقب المندوب السامي وذلك « بغية بيان الصفة الانتدابية لهذا القطر (فلسطين)، وان كان قد اصطلح على لقب (الحاكم) في البلاد المنتدب عليها في افريقيا[135] ».

وصل هربرت صمويل الى يافا في صباح 30 يونيو 1920، واقامت له بلدية يافا حفل استقبال، خطب فيه عاصم السعيد رئيس البلدية مرحبا[136]. ثم غادرها الى القدس، التي وصلها بين الساعة الواحدة والثانية بعد ظهر اليوم نفسه[137]. واقام له راغب النشاشيبي رئيس البلدية حفل استقبال، ورحب به ترحيبا حارا[138]. وفي صباح اول يوليو 1920، تولى هربرت صمويل وظيفة (المندوب السامي) في فلسطين، مع ان معاهدة الصلح لم تكن قد وقعت بعد، ولم يكن صك الانتداب على فلسطين قد وضع وهذا

---

133 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 195.

134 ـ المقطم 1920/7/5

135 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 58.

136 ـ انظر الاهرام 1920/7/2، المقطم 1920/7/2.

137 ـ Storrs, op. cit. p. 337

138 ـ الخطاب في المقطم 1920/7/3

كله مخالف لاتفاقيات لاهاي (1907) التي وقعتها بريطانيا. ومع كل ذلك فقد انتهت الادارة العسكرية، وقامت الادارة المدنية، طبقا للمخطط البريطاني، ولمصلحة الحركة الصهيونية، وسميت الحكومة الجديدة باسم (حكومة فلسطين). وفي الخامسة من مساء ذلك اليوم، كانت الاعلام البريطانية، فقط، مرفوعة على جميع الدوائر الحكومية في فلسطين[139]. واصدرت (ادارة المطبوعات بمصر) بلاغا رسميا اعلنت فيه تولي هربرت صمويل سلطاته منذ اول يوليو، واوردت « التعيينات الحكومية الجديدة »[140].

استعد هربرت صمويل بعد ذلك لشرح السياسة البريطانية ازاء فلسطين، وكان ستورز (حاكم القدس) وستانتون Stanton (حاكم حيفا) قد اذاعا بلاغين متشابهين في 30 يونيو 1920[141]، يطلبان اجتماع ممثلي جنوب فلسطين في القدس في ٧ يوليو، وممثلي شمال فلسطين في حيفا في 8 يوليو، للاستماع الى بيان المندوب السامي حول السياسة البريطانية. وفي 7 يوليو اجتمع ممثلو الجنوب (القدس، يافا، غزة، بئر السبع، اللد والرملة والخليل وممثلي اليهود) في القدس، وتلا عليهم المندوب السامي رسالة الملك جورج الخامس التي اكد فيها « النزاهة المطلقة التي تتبعها الدولة المنتدبة » وتصميم « حكومته على احترام حقوق جميع الاجناس وجميع العقائد الممثلة في فلسطين »[142]. ثم اخذ يشرح القواعد الاساسية للحكومة بانها « الحرية التامة والمساواة بين جميع الاديان، وكفالة العدل لكل شخص بقطع النظر عن منزلته وجنسه وعقيدته، وتوطيد النظام والامن العام بيد قوية، والقضاء على الارتباك، وانصاف الناس فيما يفرض عليهم من ضرائب وبذل العناية لترقية البلاد اقتصاديا ». اما حكومة فلسطين

---

139 ـ انظر اسعد منصور المصدر السابق ص 120 - 121.
140 ـ انظر الملحق رقم 6.
141ـ الملحق رقم 7
142 ـ الاهرام 1920/7/10 Frances Newton, op. cit. p. 195.

فستكون « حكومة قائمة بنفسها وعلاقتها مباشرة مع الوزارة البريطانية بلندن ». واشار الى تأسيس (مجلس استشاري)، يكون قليل الاعضاء، واغلبه من موظفي الحكومة، وفيه عشرة اعضاء من غير الموظفين يختارون من طوائف الشعب المختلفة. ويجتمع هذا المجلس برئاسته من وقت الى آخر، « وتعرض عليه مشروعات القوانين الخاصة بأمور مهمة، وميزانية الحكومة السنوية لاخذ رأيه فيها ». وجعل من حق « الاعضاء غير الموظفين (اي المعينين) ان يعرضوا الامور التي يرغبون في توجيه نظر الحكومة اليها ». وقال عن المجلس المذكور « وقد كان هذا النظام في بلدان الامبراطورية البريطانية المرحلة الاولى في سبيل الحكم الذاتي ».

ثم تكلم عن الوطن القومي اليهودي وقال « ان التدابير التي يراد بها انشاء وطن قومي لليهود ستساعد على ترقية البلاد اقتصاديا »، وعلى ذلك « سيستأنف بيع الارض وشراؤ ها والمعاملات الخاصة بها قريبا، ولكنها تقيد بشروط يراد بها منع المضاربة بالاراضي ». واشار الى تشكيل (لجنة للاراضي)[143]، مؤلفة من موظف بريطاني وعضوين آخرين « وتكون حائزة لثقة اليهود والمسلمين والمسيحيين، ووظيفتها البحث عن الاراضي التي تصلح لزيادة السكان رغبة في ترقية البلاد، وتكفل عدم وقوع الحيف على الزراع واصحاب الاراضي الحاليين، والذين لهم حقوق الكلأ (المرعى) ». ووعد بمسح اراضي فلسطين، وتشكيل « المحكمة لتسوية المنازعات المتعلقة بالاراضي، وتكون مهمتها تسوية حدود الاملاك وحججها واجتناب النزاع والتقاضي الدائمين اللذين كانا سببا في حدوث القلاقل بين الاهالي ». وتكلم عن انشاء بنك التسليف الزراعي، واصلاح السكك الحديدية، ومشروعات « انشاء الطرق واصلاحها وانشاء المواصلات البرقية والتليفونية وتحسينها، وتوفير التيار الكهربائي في جميع انحاء البلاد، وانشاء ميناء حيفا، وتجفيف الاراضي والمستنقعات وغرس

143 ـ شكلت هذه اللجنة برئاسة ابرامسون Abramson، وعرضت مساحات واسعة من الاراضي للبيع انظر القبلة - 417 - 1920/10/25

الغابات في الاراضي الصالحة لها ». وعرض « عقد قرض متى استقرت احوال البلاد بصفة نهائية، بحيث يكون كافيا للشروع في تنفيذ جزء من هذا البرنامج ». واشار الى اهتمام الحكومة بالصحة والتعليم، وانه « ليس في الامكان تنفيذ هذه المشروعات بدون اناس آخرين يأتون من الخارج، وستفتح الموانىء والحدود قريبا لعدد محدود من المهاجرين، يكون مناسبا للعمل الذي يحتاجهم وما تساعد عليه حالة المساكن ». ووعد بان يصدر « امرا في اقرب وقت يقرر وضع المهاجرة تحت رقابة الحكومة، ويحدد الشروط التي بموجبها يسمح للمهاجرين بدخول البلاد ».

وتطرق هربرت صمويل الى حوادث 4 ابريل 1920 في القدس، واعرب عن امله في « ان تكون الاسباب التي اوجبت القلاقل قد زالت »، واعلن عفوه عن المتهمين في تلك الحوادث، وعن « جميع المعتقلين السياسيين في فلسطين » ما عدا اربعة اشخاص[144]، وهدد بانه اذا وقعت مثل تلك الاضطرابات « فستقمع بجميع القوات التي تحت امرتي، وسوف لا يحدث حينذاك مثل هذا التسامح ». وختم بيان حكومته بقوله « واني افضل ان تكون اعمالي في المستقبل بدلا من اقوالي خير شاهد على اخلاصي لمصلحة هذه البلاد التاريخية المقدسة، وعلى روح الانصاف التام التي ستكون رائدي في القيام بالعمل العظيم الذي اوكل الي »[145]. وتعلق المقطم على خطاب هربرت صمويل فتقول « ومما يستوقف نظر الباحث ان بيان حاكم فلسطين العام منسوج على المنوال الذي اتبعه اللورد كرومر في اصلاح شؤون هذا القطر (مصر). فكأن السير هربرت صمويل وضع نصب عينيه الخطط الكرومرية، وعقد النية على اتباعها. ولا نستبعد انه كان يقصد مصر والسودان في بعض الشواهد التي اوردها في خطبته بالاجمال »[146].

---

144 ـ منهم اثنين من العرب هما : الحاج امين الحسيني وعارف العارف.

145 ـ حطابه في المقطم 1920/7/10، الاهرام 1920/7/10، امين سعيد المصدر السابق ج 3، 61- 62.

146 ـ المقطم 1920/7/10.

هذا هو برنامج حكومة هربرت صمويل الجديدة. ويتضح منه ان الهدف الرئيسي هو وضع القواعد الاساسية لانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، فان جميع الاصلاحات التي اوردها هربرت صمـويل في (برنامجه) كانت تخدم الهدف الصهيوني. فقد فتح فلسطين للهجرة اليهودية، وحددها سنويا بـ 16,500 مهاجر. وانشأ لجنة للاراضي كان هدفها تسهيل عمليات البيع لليهود. ولم تكن المشروعات الاقتصادية التي ذكرها الا لزيادة قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب، وهي السياسة التي ظلت حكومات فلسطين المتعاقبة تسير عليها. فكلما زادت مساحة الارض الصالحة للزراعة، وتوسعت الصهيونية في انشاء الصناعات، تطلب ذلك أيدي عاملة جديدة، كانت توردها الحركة الصهيونية بموافقة الحكومة. كما قدمت الحكومة مشروعات خاصة للصهيونية، اهمها مشروع روتنبرغ ومشروع بوتاس البحر الميت. مع ان هربرت صمويل كان قد وعد بعدم تقديم مشروعات لافراد او جماعات، يمكن ان تضر باقتصاد البلاد، وهو في هذا لم يطبق ما وعد به. وجعل العبرية لغة رسمية في فلسطين، وكانت غالبية السكان عربية مسلمة، مما كان يوحي منذ البداية بالصراع السياسي في البلاد. ومع كل ذلك، فقد عرض برنامج الحكومة الجديدة على مجلس العموم البريطاني فوافق عليه في 27 اكتوبر 1920[147]، وكان ذلك بعد توقيع معاهدة الصلح مع تركيا في 10 اغسطس 1920، وقبل وضع صك الانتداب البريطاني وموافقة عصبة الامم عليه، كما كانت تقضي بذلك المادة 96 من المعاهدة المذكورة.

كانت حكومة هربرت صمويل « من شاكلة الحكومات القائمة في مستعمرات التاج »[148] كما تعترف بذلك لجنة بيل. وكان الى جانب المندوب (مجلس تنفيذي) يتولى هو رئاسته، ويتألف من ثلاثة سكرتيرين:

---

147 ـ P.D. vol. 133, cols. 1765 - 6

148 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 58.

السكرتير العام وكان يضطلع بشئون الادارة، وتولاهويندهام ديدس W. Deeds، والسكرتير المالي، ويختص بالشئون المالية والاقتصادية، والسكرتير القضائي ويختص بالشئون العدلية والقضائية، وكان من جملتها الاشراف على المحاكم الشرعية[149] حتى تأسيس المجلس الاسلامي الاعلى عام 1922، وتولاه نورمان بنتويتش N. Bentwich اليهودي الصهيوني، منذ عام 1920 حتى عام 1930. ومجلس آخر استشاري شكله المندوب السامي بعد أن أتم في أول اكتوبر 1920 زياراته لجميع مدن فلسطين[150]. وكان تشكيله على النحو التالي: عشرة موظفين بريطانيين، وعشرة أعضاء معينين من غير الموظفين، سبعة من العرب (4 مسلمين و3 مسيحيين) وثلاثة من اليهود[151]، ووظيفته استشارية فقط[152]. وينتقد تقرير اللجنة الملكية هذا التوزيع لانه « اعطى الاقليات حقوقا في التمثيل أكثر مما تستحقه فيما لو روعيت النسبة العددية »[153]. وقد أخطأت اللجنة في التقرير، فهي تعترف بأن سكان فلسطين بلغوا في 31 مارس 1910 ما يلي: 515,000 مسلم (80%) و62,500 مسيحي (10% تقريبا)، و65,300 يهودي (10% تقريبا)[154]. وكان معنى هذا ان يكون التمثيل 9 عرب (مسلمين ومسيحيين) ويهوديا واحدا لا غير « فيما لو روعيَت النسبة العددية ». وحتى لو أعتمدت على احصاء عام 1922، حيث كان السكان على النحو التالي[155] 589,000 مسلم (79% تقريبا)، 71,000 مسيحي (9% تقريبا)، 83,000 الف يهودي (12% تقريبا) فان تبريرها كان خاطئا أيضا. لكن الواقع من جهة اخرى ان السياسة

149 ـ عزة الدروزة · حول الحركة العربية الحديث، صيدا، 1959، ج 3 ص 33

150 ـ الاهرام 1920/10/4

151 ـ P.D vol. 133. col. 1765

152 ـ P.D. vol 150. col 1055

153 ـ تقرير اللحنة الملكية ص 58.

154 ـ المصدر السابق ص 204 - 205.

155 ـ حسب تقرير اللجنة الملكية ص 58، وهو مخالف لما اوردته الحكومة البريطانية في Survey of Palestine vol I, p. 141

البريطانية في فلسطين كانت تقصد من توزيع نسب المجلس الاستشاري بهذا الشكل امرين لا ثالث لهما. فهي اولا تقصد أن تمنح اليهود نصيبا اكبر من نسبتهم العددية فيما لو روعيت تلك النسبة، وذلك تنفيذا للمخطط البريطاني الصهيوني في فلسطين، وثانيا كان هدفها تقسيم سكان فلسطين الى (طوائف دينية) يمكن التعامل معها على هذا الاساس، وذلك تنفيذا للشق الثاني من وعد بلفور، الذي يحدد سكان فلسطين بأنهم (طوائف غير يهودية). وسنرى ان السياسة البريطانية أتبعت مسألة تقسيم سكان البلاد الى (طوائف) في كل المسائل التي تتعلق بتنفيذ انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

اجتمع المجلس الاستشاري برئاسة المندوب السامي لاول مرة في القدس في 6 اكتوبر 1920. وكان الاعضاء العرب « من الاسر البارزة التقليدية المضمون ولاؤ هم او مسايرتهم »[156]. وكان من بينهم اسماعيل الحسيني، فريح أبو مدين[157]، سليمان ناصيف[158]، عبد الرزاق طوقان، وهم « من الوجهاء الموالين لبريطانيا ومن أصحاب المصالح الضالعين معها »[159]. وأستهل المندوب خطابه بالترحيب بأعضاء المجلس وأن « أعضاءه أختيروا لمميزاتهم الشخصية وليس على قاعدة تمثيل مقاطعات البلاد، مع أن ذلك روعي، كما روعي تمثيل الطوائف الدينية والمصالح الاقتصادية ». وأشار الى أنشاء ثلاث دوائر جديدة هي الهجرة، والآثار والمساحة. وأعلن افتتاح دائرة الطابو من أول اكتوبر، وتشكيل لجنة الاراضي التي أشار اليها في بيانه السياسي في 7 يوليو 1920. وتكلم عن استثمار رؤ وس الاموال الاجنبية في البنوك والمشروعات، وعن استلام سكك الحديد في فلسطين منذ اول اكتوبر، وعن الاصلاحات في ميناء حيفا، وحول القضاء على الملاريا

156 ـ عزو دروزة المصدر السابق ج 3 ص 32

157 ـ ليس (فرح) كما يورده عبد الوهاب الكيالي (ص 161)، وهو زعيم مشايخ عرب بئر السبع.

158 ـ احد اعضاء الوفد السوري الى فلسطين في مايو 1918، وهو عميل بريطاني.

159 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 161.

بتجفيف المستنقعات واهتمام الحكومة بالصحة العمومية والتعليم. وأشار الى تخفيف قيود السفر، « وأن عددا من المهاجرين معظمهم من اليهود أخذ يصل الى فلسطين. . . فمقدمهم لا يضر مصالح أهالي فلسطين بل ينفعهم. ويزيد يسر البلاد ورخاءها ». وختم خطابه بالاشارة الى العفو السياسي الذي أعلنه في 7 يوليو 1920 وانه « كان نافع الاثر »، ونوه بحسن العلاقات بين طوائف البلاد المختلفة[160]. وقد وصف ديدس Deeds الاجتماع الاول للمجلس الاستشاري بانه أسفر عن نجاح كبير بالرغم من الانتقادات التي وجهها الاعضاء غير الرسميين (المعينين)، وسجل وجود شعور لدى قطاع من السكان (يتألف معظمه من المسلمين) بضرورة ان يكون أعضاء المجلس منتخبين لا معينين[161].

أن تشكيل الحكومة المدنية بمؤسساتها الجديدة كان مخالفا للقانون الدولي، ذلك لان دستور فلسطين الذي يقرر تشكيل الحكومة وتنظيمها لم يصدر الا في عام 1922، أي بعد تأسيس الحكومة بعامين. وفي غضون هذه المدة، كان صك الانتداب على فلسطين قيد البحث، فقررت الادارة الجديدة أن تستبق الحوادث، وتتخذ المبادىء التي كان مقررا لها أن تعلن فيما بعد. واستدعت الحالة حينئذ وضع هيكل جديد للحكومة معظم رؤسائه ومديريه من البريطانيين، ووجد من الضروري سن تشريعات وأنظمة جديدة، وأعلن آنذاك أنه « عندما ينتهي العمل التمهيدي ويصبح في الامكان انتخاب الفلسطينيين الحائزين للمؤهلات اللازمة، ويتسنى تدريب هؤلاء الموظفين على العمل الاداري، ينوي تخفيض عدد الموظفين البريطانيين، وزيادة عدد الموظفين الفلسطينيين »[162]. ولكن هذا الامر لم تنفذه حكومة هربرت صمويل أو الحكومات المتعاقبة على الاطلاق. هذا بالاضافة الى أن التشريعات التي اصدرتها الحكومة الجديدة كانت كثيرة جدا، ومتشابهة،

160 ـ المقطم 1920/10/13.

161 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 161.

162 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 208

واقتربت من حالة الفوضى التشريعية، وكان كل ذلك بفضل المستر نورمان بنتويتش. وانتقدت لجنة بيل هذا الوضع فذكرت أنه « كان هنالك فيض من التشريع، اذ ان عدد القوانين التي صدرت في السنة الاولى (1920 ـ 1921) لم يقل عن 38 قانونا. واستباقا لما سيكون عليه صك الانتداب أعترف بثلاث لغات رسمية، فكانت مشروعات القوانين المعدة لعرضها على المجلس توزع مقدما على الاعضاء مكتوبة باللغات الانجليزية والعبرية. وكانت المباحثات تجري بواسطة مترجمين من العرب واليهود. وفي السنة التالية (1921 ـ 1922) صادق المجلس الاستشاري خلال ثماني جلسات على 26 قانونا و6 قوانين معدلة »[163].

وقد استغل هربرت صمويل المجلس الاستشاري في الموافقة على قرارات لم تكن في الاصل من اختصاصاته، ففي الدورة الثانية من انعقاده، في 10 نوفمبر 1920، وافق المجلس على القرار التالي « يطلب المندوبون عن جميع سكان فلسطين بالاجماع أن يشمل الحد الشمالي لفلسطين القسم الاسفل من نهر الليطاني وكل البلاد الداخلة في وادي نهر الاردن ونهر اليرموك وجميع روافده، ويطلب من المندوب السامي اتخاذ التدابير اللازمة لذلك »[164].

مشكلة حدود فلسطين

لقد كانت مشكلة الحدود بين فلسطين من جهة، وبين سوريا ولبنان من جهة أخرى، احدى المشاكل الهامة التي واجهتها حكومة هربرت صمويل، وكان لزاما عليه وعلى الحكومة البريطانيـة ان يفتح بـاب المفاوضات مع ادارة الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان. ذلك أن أتفاق لويد ـ كلمنصو في 15 سبتمبر 1919، وانسحاب القوات البريطانية من سوريا الى فلسطين، أبقى الجزء الشمالي الشرقي من فلسطين، ومعظمـه مستوطنات يهودية، تحت الادارة الفرنسية. وكان هذا الموقف مما لا يرضي

---

163 ـ المصدر السابق ص 208 .Frances Neuton, op. cit. p. 140

164 ـ المقطم 1920/11/17.

الحركة الصهيونية بأي شكل من الاشكال. ذلك أن هذه المنطقة تشمل، الى جانب المستوطنات اليهودية، منابع أنهار هامة، كانت الحركة الصهيونية قد خططت للاستيلاء عليها، كما ورد ذلك في مذكرتها الى مؤتمر الصلح في 3 فبراير 1919، وذلك للانتفاع بها في مشاريعها المقبلة في فلسطين، من حيث توليد القوة الكهربائية، وتوسيع رقعة الارض الزراعية، لتتمكن بذلك من جلب أفواج جديدة من المهاجرين اليهود الى فلسطين.

كانت الحدود الشمالية والشمالية الشرقية والمنطقة البنية (فلسطين) قد عينت في أتفاق سايكس بيكو. وأبتدأت تلك الحدود من ناقورة عكا على البحر المتوسط الى منتصف المسافة بينها وبين بحيرة الحولة، ثم يتجه خط الحدود جنوبا بشرق فيخترق بحيرة طبريه الى نقطة تقع قرب سمخ (جنوب بحيرة طبريه) ومنها جنوبا بشرق حتى تصل أربد (خارجة عن فلسطين). وظلت المنطقة الواقعة شمالي هذا الخط، حتى بعد احتلال انجلترا لشمال فلسطين، تتبع الادارة الفرنسية، حتى تم توقيع اتفاق لويد ـ كلمنصو في 15 سبتمبر 1919، وانسحاب القوات البريطانية من سوريا الى فلسطين، فأصبح خط الحدود الشمالي يمتد من رأس الناقورة الى شمال بحيرة طبريه، ومعنى ذلك ادخال كل بحيرة طبريه ضمن فلسطين. وفي مؤتمر سان ريمو، وضعت معاهدة الصلح مع تركيا في 24 أبريل 1920، ونصت المادة 132 على تخطيط الحدود بين منطقة الانتداب الفرنسي وبين منطقة الانتداب البريطاني. فابتدأت المفاوضات بين الحكومتين في أوائل يوليو 1920[165]، أي قبل دخول الفرنسيين لدمشق عقب معركة ميسلون في 24 يوليو 1920، واتفق على ان لا تتعدى حدود فلسطين الشرقية نهر الاردن[166]. وتم التوصل في الاسبوع الاخير من اكتوبر 1920 الى وضع حدود مؤقتة، ريثما توضع الاتفاقية النهائية. وقد ابتدأ خط الحدود الجديد من الناقورة غربا، متجها باستقامة شرقا الى مقربة من بحيرة الحولة (التي تدخل في فلسطين)، ثم

165 ـ P.D. vol. 131, col. 2595

166 ـ P.D. vol. 132, col. 1419

يتجه شمالا حتى نهر الحاصباني، ثم شرقا حتى بانياس وبركة رام، وينزل جنوبا بخط مستقيم ليقسم بحيرة طبريه حتى سمخ (جنوب البحيرة) فيكون سهل البطيحة (شمال شرق بحيرة طبريه) والنقيب (على الساحل الشرقي للبحيرة) والسمرا (جنوب شرق بحيرة طبريه) لسوريا، وأما مصب نهر الاردن ومخرجه (من طبريه) ومدينة سمخ لفلسطين[167]. وبطبيعة الحال لم يرض هذا الاتفاق المطامع الصهيونية، وبالتالي الحكومة البريطانية، لان الحركة الصهيونية أصرت على أن يكون نهر الليطاني ضمن حدود فلسطين، كذلك كل بحيرة طبريه، وذلك استغلالا للمشاريع التي كانت الصهيونية قد خططت لها منذ زمن.

وبعد أن أستطاع الاحتلال البريطاني القضاء على ثورة العراق في 20 نوفمبر 1920، فتحت المفاوضات من جديد بين الحكومة البريطانية وبين الحكومة الفرنسية لتعيين خط الحدود النهائي بين منطقتي انتدابهما. فانابت الحكومة البريطانية لورد Harding of Penshurst والحكومة الفرنسية المسيو G. Leggues « ليحلا جميع الامور التي لها علاقة بالانتداب الذي منح لبريطانيا العظمى على فلسطين والعراق، ولفرنسا على سوريا ولبنان ». واجتمع المندوبان في باريس عدة اجتماعات، ثم وقعا نيابة عن حكومتيهما، اتفاقية الحدود في 23 ديسمبر 1920، وذلك « مقابل عقد الاتفاقية الفرنسية البريطانية بخصوص النفط في سان ريمو » (المادة السادسة).

نصت المادة الاولى من اتفاقية الحدود على « تعيين حدود المناطق التي شملها الانتداب الفرنسي (سوريا ولبنان) وحدود المناطق التي شملها الانتداب البريطاني (فلسطين والعراق) ». وبالنسبة لحدود فلسطين مع منطقة الانتداب الفرنسي، فقد أبتدأ الخط من « سمخ مارا داخل بحيرة طبريه فاول وادي المعدية حيث يسير مع مجرى هذا النهر في وادي جرابا الى نبعه، ومن هنا يتصل بطريق القنيطرة - بانياس بالمكان المعروف بالسكيك،

167 - انظر المقطم 1920/10/30

فيسير مع الطريق ـ التي تبقى في المنطقة الفرنسية ـ لغاية بانياس، ومن هنا يسير نحو الغرب حتى يصل الى المطلة، وتبقى المطلة في المنطقة البريطانية »، واشترط ان توضع لهذا الجزء من الحدود « تفصيلات دقيقة يمكن معها تسهيل المواصلات بين جميع اطراف البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي كصور وصيدا، والمناطق الواقعة الى الغرب (فلسطين) والى الشرق من بانياس ». ومن المطلة يسير خط الحدود « جنوبا مع وادي الاردن، فوادي فرعم، ووادي كركرة، اللذين يبقيان في المنطقة البريطانية، فوادي اليلاونة، ووادي العيون والزرقاء التي تبقى في المنطقة الفرنسية. ويصل الحد الى شاطىء البحر المتوسط (غربا) في ميناء رأس الناقورة وتظل في المنطقة الفرنسية »[168]. وهكذا عدلت حدود فلسطين الشمالية الشرقية مع منطقة الانتداب الفرنسي[169]، فدخلت منطقة الجليل الاعلى في فلسطين، وبذلك قدم الاستعمار البريطاني خدمة جليلة اخرى لبناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

مؤتمر القاهرة (مارس 1921)

استمرت السياسة البريطانية في تنفيذ ما تضمنه تصريح بلفور، ولم يطرأ أي تغيير على تلك السياسة. حتى في مؤتمر القاهرة، الذي انعقد برئاسة تشرشل، وزير المستعمرات، في الفترة ما بين 12 ـ 24 مارس 1921. وكانت دائرة الشرق الاوسط M. E. Department قد انشئت في 14 فبراير 1921[170]، لحل مشكلات المنطقة، والحقت مباشرة بوزارة المستعمرات.

League of Nations: Treaty Series, vol XXII, 1924, pp. 354 - 361_ 168

169 ـ عقدت المعاهدة الثانية مع فرنسا في 3 فبراير، (اصبحت نافذة المفعول في 10 مارس 1923)، واصبحت الاتفاقية الاولى والثانية نافذتي المفعول في اول ابريل 1924 انظر Survey of International Affairs, 1925, vol. I, London، 1937, p. 347، ونشير جريدة الجزيرة (ع 11 - 1924/3/6، و ع 14 - 1924/3/16) الى ان لجنة فلسطينية تسلمت « المطلة وما يليها من القرى العربية التي كانت تابعة لسوريا ».

Hubert Young, op. cit. p. 324 _ 170

وقد أشار المستر تشرشل في 21 فبراير 1921 الى ذلك فقال ان « الحكومة البريطانية قررت عقد مؤتمرين في القاهرة والقدس في أوائل مارس وذلك لتنظيم مناطق الانتداب »، كما أشار الى أن « النفقات المخصصة لفلسطين والعراق ستنتقل من الادارات التي كانت مخصصة لها الى وزارة المستعمرات »[171].

والواقع ان الخسائر التي نجمت عن ثورة العراق[172]، أثارت حملة قوية في بريطانيا لتخفيض نفقات الالتزامات البريطانية في الخارج، خاصة في منطقة الشرق الاوسط وفي العراق وفلسطين بالذات[173]. هذا بالاضافة الى أن الاوضاع السياسية في المنطقة أخذت تعود الى حالة الاستقرار، بعد زوال الحكم الفيصلي من دمشق، والقضاء على ثورة العراق (1920/11/20). واذا كان الامير عبد الله قد وصل الى معان في هذا الوقت بالذات، فان بريطانيا تعرف أن تهديداته باثارة الحرب ضد فرنسا في سوريا لم تكن ذات قيمة.

مثل هربرت صمويل فلسطين في المؤتمر، الذي بحث عدة قضايا تتعلق بها. من هذه القضايا: علاقات فلسطين المقبلة مع الدول الاجنبية، الجهاز الاداري، الشئون القضائية والمالية، حجم الحامية العسكرية المقيمة في البلاد، سحب القوات البريطانية الزائدة عن الحاجة، وعلاقات المجلس الاستشاري بالمجلس التشريعي الذي ينوي المندوب السامي تشكيله في المستقبل القريب. و« بالرغم من عدم ظهور كلمة (الصهيونية) في المشروع الاصلي لجدول أعمال المؤتمر، الا أنها بحثت في بندين من بنود المؤتمر، وهما: (السياسة في فلسطين في ظل الانتداب) و(مواضيع

---

171 ـ P.D. vol. 138, cols. 539 - 40

172 ـ يذهب تشرشل الى انها كلفت الخزينة البريطانية نحو 30 مليون جنيها، وما يزيد على 40 الف جندي. انظر W. Churchill: Great Contemporaries, London 1942, p. 116

173 ـ انظر نفقات القوات البريطانية في فلسطين في P.D vol. 135, cols, 196, 211

خاصة) »[174] . واعتبر المؤتمر الحكومة البريطانية مسؤولة عن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وذلك بموجب شروط الانتداب. كما جاء في مذكرة وضعتها دائرة الشرق الاوسط وقدمتها الى المؤتمر ان « الادارة الفلسطينية العامة تلتزم بدقة بشروط الانتداب التي اقترنت باحسن النتائج »[175].

واذا كان هربرت صمويل قد اوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين بعد حوادث مايو 1921، فان ذلك لم يكن اساسيا في السياسة البريطانية على الاطلاق. اذ ان السلطات البريطانية كانت تبادر الى اتخاذ مثل هذا الموقف كلما تأزمت الاحوال في البلاد. وكانت على شفاهيّة وطنية، او ان كان في البلاد لجنة تحقيق، وهذا قليل نادر. ويبدو هذا واضحا في خطاب المندوب السامي في 3 يونيه 1921، احتفالا بعيد ميلاد الملك جورج الخامس[176]. وفي هذا الاحتفال تكلم هربرت صمويل عن انجازات الادارة المدنية في فلسطين ثم قال « انني مغموم لان الوفاق الذي أرغب من صميم قلبي ان يسود بين العناصر والمذاهب في فلسطين لم يتم بعد. دعوني في بادىء الامر ان اشير الى سوء الفهم الذي حصل من العبارة الواردة في تصريح بلفور وهي (تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين). انني سمعت في جهات عديدة ان الشعب العربي في فلسطين لن يسمح مطلقا بان تؤخذ منه بلاده واماكنه المقدسة، وانه لن يوافق على تأسيس حكومة يهودية. فاجيبكم بان الحكومة (البريطانية) لم توافق ولن توافق مطلقا على اتباع هذه السياسة »، (وهذا امر فيه الكثير من المغالطة)، ثم يكمل حديثه قائلا: « فمن الممكن ان ترجمة الكلمات الانجليزية الى العربية لا تعبر عن معناها الحقيقي، فهي تعني ان يتمكن اليهود المشتتون من تأسيس وطن لهم، فيأتي البعض منهم ضمن الحدود التي يعينها عدد الاهالي الحاليين ومصالحهم »[177]. ثم تكلم عن الهجرة اليهودية « التي تدعو الى اهتمام عظيم »، مؤكدا ان « درجتها

174 ـ Sykes, op. cit p 64

175 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 169.

176 ـ الملحق رقم 9.

177 ـ اثبت ستورز النص الاخير من الخطاب فقط. انظر Storrs, op. cit, p. 358

ستكون بالنسبة للاستخدام الميسور في البلاد. وبالحقيقة من الضروري تطبيقها بتحفظ شديد، ولذلك فقد اوقفت المهاجرة حتى يتم فحص الحالة الثانية. ويجب أن يسلم تماما بان احوال فلسطين في الوقت الحاضر (أي بعد حوادث مايو 1921) لا تسمح بدخول جميع المهاجرين اليها».
والحقيقة ان خطاب هربرت صموئيل لم يكن الا محاولة لتهدئة حالة التوتر القائمة في فلسطين، اذ سرعان ما فتحت الحكومة البريطانية ابواب فلسطين للهجرة اليهودية بعد سفر الوفد العربي الفلسطيني الاول الى لندن وهدوء الحالة النسبي، وذلك لمصلحة الحركة الصهيونية اولا، ولكي تحصل الادارة المدنية بفلسطين على النفقات اللازمة لها لتوفر المال على الخزينة البريطانية ثانيا، ولكي تضرب الحكومة البريطانية بالهجرة اليهودية الحركة الوطنية في فلسطين، وكان هذا هو هدفها الاخير. يبدو ذلك واضحا من تصريح المستر تشرشل، وزير المستعمرات، امام مجلس العموم في 9 مارس 1922، عند الكلام عن السياسة البريطانية في فلسطين في عام 1921. فقد قال « كانت سياستنا تقوم على الاعتدال، محاولة اقناع الطرف الاول (ويقصد العرب) بالتسليم، والطرف الثاني (ويقصد اليهود) بالتريث، ومحاولة كذلك الاحتفاظ بعدد محدود من القوات العسكرية اللازمة للحيلولة دون وقوع اضطرابات عنيفة بين الطرفين »[178].

موقف الحكومة البريطانية من الوفد العربي الفلسطيني الاول

مارست الحكومة البريطانية فرض سياسة التسليم والاذعان على الصعيد العربي الفلسطيني رسميا ولاول مرة عندما كان (الوفد العربي الفلسطيني الاول) في لندن ابتداء من يوليو 1921. ففي المقابلة الاولى التي جرت بين الوفد وبين المستر تشرشل في 22 أغسطس 1921، اكد تشرشل انه يستقبلهم كوفد غير رسمي، وانهم ما داموا يصرون على الغاء وعد بلفور

P.D. vol. 151, col. 1548 _ 178

فليس هنالك ما يمكن بحثه. واضاف ان التصريح لا بد من تنفيذه، وان على العرب ان يقبلوا هذه الحقيقة، « ولكن في وسعهم ان يروا ان تنفيذه (أي تصريح بلفور) لا يتم على نحو يلحق الضرر بالعرب، فلنحاول البحث عن اساس لترتيبات ودية للاعوام القليلة القادمة »[179]. وكانت هذه (الترتيبات الودية) قد جرى بحث امرها في اجتماع تم في 22 يوليو 1921، في لندن، في منزل المستر بلفور، وحضر هذا الاجتماع بالاضافة الى بلفور كل من ونستون تشرشل، لويد جورج، وموريس هانكي M. Hanky، وادوارد رسل E. Russell وحاييم وايزمن. فقد تحدث تشرشل عن الوفد العربي « مؤكدا امكانية الوصول الى اتفاق عملي معه بصدد السنوات الثلاث المقبلة »، فاعرب وايزمن عن « شكه في ذلك، واعتبر العرب من المبتزين السياسيين، واشار الى امكانية التباحث معهم بعد ان يعرف موقف الحكومة البريطانية »[180].

وطبقا لسياسة (التسليم والاذعان)، ضغط تشرشل على الوفد العربي لمقابلة وايزمن تحت رعاية وزارة المستعمرات. وبعد تردد شديد، ونتيجة لطبيعة الوفد، ووفق على المقابلة. ويصف شبلي الجمل، احد اعضاء الوفد، ما جرى فيقول « استمرت الاجتماعات طويلا بيننا وبين المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومئذ، وكنا نبسط له وجهة نظرنا فيدونها ويعد بالاهتمام بها، ولكن بلا جدوى. واقترح علينا يوما ونحن نزوره (كان ذلك في 23 اغسطس 1921) ان نجتمع بالدكتور وايزمن للتحدث في القضية، فرفضنا مبدئيا وقلنا ان الوزير يعذرنا على رفضنا لاننا ـ ونحن لا نعترف لليهود باي حق في بلادنا ـ لا يمكن ان نحادثهم ونفاوضهم. واصر الوزير والح فوافقنا، على ان يكون الاجتماع خاصا وسريا، وعلى الا يكتب عنه شيء في الصحف، ولا يؤخذ عنه بلاغ، ولا يؤخذ له محضر فيكون

---

179 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 184.

180 ـ حصل كرستوفر سايكس على محضر الاجتماع من وثائق اسرائيل الرسمية، انظر Sykes, op cit. pp. 79 - 82

سابقة وحجة علينا. وجئنا في الوقت المقرر للاجتماع (في الاسبوع الثاني من ديسمبر 1921)، وجاء بعدنا الدكتور وايزمن وراء سكرتيره يحمل عددا كبيرا من الرسائل والملفات. وما كاد يستقر به المقام حتى التفت الينا والى الوزير (تشرشل) وقال: ان وجود اليهود في فلسطين هو حق لا منحة، وقد اقرته جميع الدول واعترفت به، ولن تستطيع قوة في الوجود ان تسلبه او تعدله، والويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بمعارضتنا في حقنا او الوقوف في وجهنا. ولما وصل الدكتور وايزمن الى هذا الكلام نهضنا جميعا، نحن اعضاء الوفد الفلسطيني، وغادرنا مكان الاجتماع من دون ان نكلمه او نجادله. فلحق بنا المستر تشرشل وودعنا عند الباب الخارجي واكثر من الاعتذار لنا، وقال انه ما كان يتوقع هذه المفاجأة الشديدة »[181]. ونحن نرى ان وايزمن لم يكن ليقف هذا الموقف دون تشجيع من لويد جورج ومن تشرشل نفسه، بدليل ان وايزمن كتب الى ديدس يقول ان العرب « قد جاءوا لا لبحث التفاصيل العملية، بل للاستماع الى بيان سياسي كما وعدوا »، مع ان تشرشل كان قد اخبر هربرت صمويل بان الغاية المقبولة من الاجتماع هي « بحث امكان اتخاذ اجراءات للعمل »[182].

يضاف الى ذلك ان حكومة فلسطين البريطانية حاولت ابان وجود الوفد العربي الفلسطيني الاول في لندن، وسعيا وراء سياسة (التسليم والاذعان)، واحراجا لموقف الوفد في لندن، وضع القانون الاساسي (الدستور) لفلسطين. فقد اصدرت بلاغا رسميا في 11 اغسطس 1921 جاء فيه ان « فخامة المندوب السامي يتخذ الآن التدابير لاعداد مشروع القانون الاساسي لفلسطين لكي يعرض على الحكومة البريطانية. فهو يرغب لذلك في ان يدعو كل اسبوعين مرة عددا من كبار رجال الطائفتين الاسلامية والمسيحية ليستشيرهم في المبادىء التي تدرج في القانون الاساسي، وفي

---

181 ـ روى هذه الواقعة شبلي الجمل للمقطم في 7 فبراير 1939.

182 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 186.

التدابير الادارية المهمة التي تفكر الحكومة في اتخاذها »[183] . وتشكلت من (رجال الطائفتين الاسلامية والمسيحية) فقط لجنة اطلق عليها « اللجنة الاستشارية الاسلامية المسيحية » من 46 عضوا. ولم يشترك اليهود في هذه اللجنة، ذلك انهم كانوا قد انتخبوا « جمعية تأسيسية لهم في ابريل ومايو 1920، وذلك بموافقة الحكومة البريطانية، للنظر في امور الطائفة اليهودية في فلسطين »[184]. وكانت الادارة العسكرية ثم الادارة المدنية (حكومة فلسطين) تعرض اي امر على (الجمعية التأسيسية) اليهودية قبل عرضه على ممثلي العرب.

ويظهر ان نورمان بنتويتش، النائب العام في فلسطين، قد سافر الى لندن[185] حاملا معه مشروع القانون الاساسي لعرضه على الحكومة البريطانية قبل استشارة (اللجنة الاستشارية الاسلامية المسيحية). ذلك ان اول اجتماع لتلك اللجنة تم في 25 اغسطس 1920، وبعد سفر نورمان بنتويتش، اذ احتج اعضاء اللجنة على مشروع القانون الاساسي، وعلى سفر بنتويتش، وطلبوا استشارة الوفد العربي في لندن[186]. كما قرر الوفد في 30 اغسطس 1021 رفض البحث في مشروع القانون الاساسي لفلسطين. ومع ذلك تم « وضع دستور فلسطين بعد مفاوضات طويلة بين الحكومة (البريطانية) وبين الذين يهمهم الامر »، وهم بطبيعة الحال ممثلو الحركة الصهيونية. ونشر مشروع الدستور في فلسطين في 9 فبراير 1922، وهو المشروع الذي تضمن ايضا انشاء المجلس التشريعي في البلاد.

وفي 21 فبراير 1922، قدم الوفد رده الى الحكومة البريطانية على مشروع الدستور[187]، وقد رفضه الوفد « اذ لا يمكن قبول اي دستور يقصر

183 ـ المقطم 1921/8/17.

184 ـ P.D. vol. 138, col. 2030

185 ـ انظر المقطم 1921/8/28.

186 ـ المقطم 1921/9/1.

187 ـ الملحق رقم 10 .1- A.N.C. vol. 3. Doc. No, 38

عن تخويل السكان حقا تاما في ادارة شئونهم ». لكن الوفد فتح باب الامل في المفاوضات ثانية « اذا راجعت الحكومة سياستها في فلسطين، ووضعت حدا لتفوق الصهيونية وللهجرة عموما، واعطت السكان الذين هم خير حاكم لبلادهم بالحق والاختيار، السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية، فعندئذ يمكن المفاوضة بامر الدستور، ولكن بحالات تختلف عن حالتنا الحاضرة ». والواقع ان الدستور صيغ « بطريقة تمنح سلطة مطلقة للمندوب السامي البريطاني لنقض اي قانون يقره المجلس التشريعي »[188]، ذلك ان السياسة البريطانية لم تغير موقفها بالنسبة لفلسطين. فقد اجاب رئيس مجلس العموم في 22 فبراير 1922 عن سؤال بشأن وضع فلسطين الدولي فقال « ان وضعها لم يختلف عندما كانت جزءا من بلاد العدو المحتلة »[189]. ورفض تشرشل في اول مارس 1922 الاجابة على سؤال بشأن « اعادة النظر في السياسة البريطانية بالنسبة لفلسطين »[190]. وفي 9 مارس 1922 صرح تشرشل بان الوفد الفلسطيني سأله ان يكون لفلسطين دستور حر كما هو الحال بالنسبة للعراق، واضاف تشرشل انه « قرر الذهاب الى اقصى حد بالنسبة للمؤسسات النيابية بدون التورط في وضع لا يمكننا من تنفيذ تعهداتنا للصهيونية. فكان علي ان اضع في يد حكومة صاحب الجلالة من القوة والسلطة ما يمكنها من تنفيذ التزاماتها »[191]. وكرر تشرشل تصريحه بشكل آخر في 16 مارس 1922 فاعلن « ان سياسة الحكومة هي انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وانه لا يمكن إعادة النظر في هذه السياسة »[192].

في الوقت الذي كان فيه الوفد في لندن، عمل هربرت صمويل على تهدئة الحالة المضطربة في البلاد، والتي كان يمكن ان تؤدي الى حالة من الاضطراب والعنف. فقد عين الحاج امين الحسيني في 9 يناير 1922 رئيسا

---

188 - Anthony Nuttıng, op. cit. p 322

189 - P D. vol. 150, col 1939

190 - P.D. vol. 151, col 423

191 - op. cit. col. 1549

192 - Ibıd, col. 2356

للمجلس الاسلامي الاعلى، وضمن بذلك تكوين جبهة داخلية معتدلة تستطيع ان تكبح جماح اي تطرف في الحركة الوطنية في البلاد. ثم كان خوفه من فشل محادثات الوفد في لندن عاملا آخر دفعه الى طلب السفر الى لندن، ليكون على مقربة من الوفد ومحادثاته، وليطلب من الحكومة اصدار بيان رسمي حول الاهداف البريطانية في فلسطين. فغادر القدس في 20 ابريل 1922 متوجها الى لندن(193)، وتلا ذلك صدور الكتاب البريطاني الابيض (كتاب تشرشل الابيض) رقم 1700(194) في 3 يونيه 1922 ونشر في ٢22 يونيه بعد ان رأى تشرشل ان « يضع حدا لحالة القلق السائد في فلسطين وللانتقادات التي عمت الصحف البريطانية ووصلت الى مجلس اللوردات »(195).

الكتاب الابيض لعام 1922

حاول تشرشل ان يهدىء من مخاوف العرب، فأشار الى ان عبارات تصريح بلفور « لا تشير الى تحويل فلسطين بجملتها وجعلها وطنا قوميا لليهود، بل انما تعني ان وطنا كهذا يؤسس في فلسطين »، وان مركز اللجنة التنفيذية الصهيونية ينحصر في « التدابير التي تتعلق باليهود ومساعدة البلاد في تقدمها دون ان يخولها ذلك حق الاشتراك بصورة ما في حكومتها ». وطمأن اليهود بان وجودهم في فلسطين « هو حق وليس منحة »، وان معنى ترقية الوطن القومي اليهودي في فلسطين هو « زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم، حتى تصبح مركزا يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية »، وان ذلك « هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي اليهودي ضمانا دوليا والاعتراف رسميا بانه يستند الى صلة تاريخية قديمة ».

---

193 ـ لسان العرب - 214 - 1922/4/20.

194 ـ CMD. 1700, Correspondence with the Palestine Arab Delegation and the Zionist Organization, 1922, The Churchill White Paper

195 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 196, Weizmann, op. cit. p. 360

واكد على زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين انما جعلها في حدود « مقدرة البلاد الاقتصادية في قبول مهاجرين جدد ».

وتضمن الكتاب الابيض تأسيس مجلس تشريعي « تكون اكثرية اعضائه منتخبة على اساس انتخابي واسع »، ويؤلف « برئاسة المندوب السامي من اثني عشر عضوا منتخبا وعشرة اعضاء من الموظفين » وان « لكل طائفة مذهبية او اي قسم كبير من اهالي فلسطين طبقا لاحكام المادة 81 من مشروع دستور فلسطين (وهذا يعني انه اعترف به واقره) حق استئناف اي مسألة يرى ان حكومة فلسطين لم تجر فيها على احكام صك الانتداب، الى عصبة الامم بواسطة المندوب السامي ووزير المستعمرات ». وختم تشرشل كتابه الابيض بقوله « ويعتقد وزير المستعمرات ان سياسة تبنى على مثل هذه الخطط، مع المحافظة على اوسع معاني الحرية الدينية في فلسطين، والمحافظة التامة على حقوق الطوائف كافة فيما يتعلق باماكنها المقدسة، لا يمكن الا ان تكون مقبولة لدى جميع طبقات السكان، وانه على هذا الاساس يمكن ان يبنى روح التعاون الذي يتوقف عليه لدرجة كبيرة رقي ورخاء الارض المقدسة في المستقبل »[196].

يعترف تشرشل بانه وضع بيانه « بعد استشارة المندوب السامي لفلسطين »، لكن وايزمن يؤكد ان هربرت صمويل هو الذي وضعه[197]، ويؤيد هذا الرأي نورمان بنتويتش[198]. ومهما يكن فان هذا الكتاب « يعبر عن التسوية المحددة للقضية الفلسطينية، وقد حقق للصهيونية الكثير مما كانت تتطلع اليه »[199]، ولذلك فان وايزمن وزملاءه قد وافقوا على سياسة الكتاب الابيض في رسالة الى تشرشل مؤرخة 18 يونيه 1922[200]. اما الوفد

---

196 ـ الوثائق الرئيسية ص 156 - 159، تقرير اللجنة الملكية ص 44- 45

197 ـ Weizmann, op. cit. p. 360

198 ـ Sykes, op. cit. p. 88

199 ـ op. cit. p. 88

200 ـ Survey of International Affairs, 1925, p 367, Sykes pp. 91 - 2, Weizmann, p. 361

العربي فانه اصدر بيانا في لندن في 17 يونيه 1922[201] يعترض فيه على الكتاب، لكنه ركز اعتراضه على رسالة 24 اكتوبر 1915 الشهيرة، وان استثناءات الحدود لم تتضمن فلسطين على الاطلاق، ولم يورد اعتراضات اخرى اساسية، زيادة على طلبه « تشكيل حكومة وطنية تكون مسؤولة تجاه برلمان ينتخب جميع اعضائه من قبل سكان البلاد، مسلمين ونصارى ويهودا »[202]. لكن (المكتب العربي) قدم نقدا يتسم بالعلمية الى حد كبير. فقد اخذ على الكتاب امرين « اولهما انه على الرغم من نقضه فكرة سيطرة اليهود على العرب[203]، اقر مبدأ تنظيم الهجرة على اساس قدرة البلاد على الاستيعاب الاقتصادي، وهو مبدأ يمكن ـ بتطبيقه جديا ـ ان يؤدي على مرور الزمن الى تحقيق هذه السيطرة. والثاني انه لم يتعد كونه بيانا لمبادىء شكلية، ولم يحسب حسابا لعامل جوهري من العوامل الفعلية في القضية، وهو انه وان قررت الحكومة البريطانية سياسة عامة تحترم فكرة الالتزامات المزدوجة، فالصهيونيون يستطيعون دائما ترجيح الكفة في جانبهم، بفضل تفوقهم على العرب في التنظيم، وفي كثرة وسائلهم للضغط على الحكومة بواسطة المركز الممتاز الذي تتمتع به الوكالة اليهودية »[204].
وقد شاركت لجنة بيل (المكتب العربي) في موقفه، واكدت انه ليس في الكتاب « ما يمنع من انشاء مملكة يهودية في النهاية، وقد قال لنا المستر تشرشل نفسه عندما ادلى بشهادته امامنا انه لم يكن يقصد الحيلولة دون اقامة دولة كهذه ». وتفسر اللجنة بان « السبب الذي حال دون الاشارة الى الدولة اليهودية في سنة 1922 هو عين السبب الذي حال دون الاشارة اليها في سنة 1917، فقد كان الوطن القومي مجرد تجربة[205] ». ومهما يكن من امر، فان

---

201 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 89 - 91 ,A.H.C., vol. 3, Ducument 38 - 6

202 ـ نجيب صدقة : قضية فلسطين، بيروت 1946، ص 94.

203 ـ اعترف جابوتنسكي امام لجنة بيل في لندن في 11 فبراير 1937 ان « هذا تلاعب بالالفاظ ». انظر الشهادات السياسية ص 436.

204 ـ المكتب العربي ـ مشكلة فلسطين ـ نشرة رقم 2، ص 57.

205 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 45.

البرلمان البريطاني اقر سياسة الحكومة البريطانية فيما يتعلق بالكتاب الابيض، في 6 يوليو 1922، وكانت هذه الموافقة، بالاضافة الى اتفاق فرنسا وايطاليا بشأن الانتداب على فلسطين، آخر الخطوات في سبيل موافقة مجلس عصبة الامم على صك الانتداب البريطاني لفلسطين في 24 يوليو 1922، لمصلحة الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية معا.

الانتداب البريطاني لفلسطين

يرجع البعض فكرة (الانتداب) الى مذكرة الجنرال سمطس في 16 ديسمبر 1918 والتي نشرها في باريس[206]، ولكن يمكن ارجاع فكرة (الانتداب) الى اتفاق سايكس بيكو 1916. فقد ورد في المادة الاولى من الاتفاق المذكور انه يحق لفرنسا في منطقة (أ) ولانجلترا في منطقة (ب) ان تنفرد « بتقديم المستشارين والموظفين الاجانب بناء على طلب الحكومة العربية او حلف الحكومات العربية ». ونصت المادة الثانية على انه « يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء ولانجلترا في المنطقة الحمراء انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة او بالواسطة او من المراقبة، بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية ». ذلك اذا كان مبدأ فكرة الانتداب، التي تأكدت مرة ثانية حينما اصدرت الحكومة البريطانية تصريح بلفور في 2 نوفمبر 1917. فلم تكن بريطانيا حتى 2 نوفمبر 1917. تحتل سوى مدينة بئر السبع (1917/10/31) من كل فلسطين، واذا بها « تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ». ولم تكتف بذلك بل وعدت بان « تبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية »، ولا يمكن تحقيق هذه الغاية على الاطلاق الا بتحقيق امرين، اولهما الاستيلاء على كل فلسطين « من دان حتى بئر السبع » حسب خطة الحركة الصهيونية، وثانيهما ان تتولى بريطانيا بالفعل مسؤولية الانتداب في فلسطين.

---

206 ـ سكرتارية عصبة الامم : عصبة الامم، غاياتها، وسائلها، اعمالها، جنيف 1938. طبع القاهرة 1938. ص 20.

لم تكن البعثة الصهيونية التي وصلت الى القدس في 10 ابريل 1918، الا تمهيدا لفكرة الانتداب البريطاني على فلسطين، ذلك ان الحركة الصهيونية كانت قد ارتبطت منذ اواخر القرن التاسع عشر بعجلة الاستعمار البريطاني، واصبحت شريكة (صغيرة) له. وقد عملت الحكومة البريطانية، بما تملكه من وسائل الاعلان والدعاية والنشر، على ترويج فكرة الانتداب. فقد ورد في مقال حول (مستقبل سوريا) في الكوكب ع 89 ـ بتاريخ 9 ابريل 1918 ما يلي « واني لا اشك في ان نصيحة الدول الحرة ومساعدتها لنا لازمة لتكون حكومتنا قوية النفوذ. ويجب علينا ان نقبل هذه النصيحة والمساعدة. نعم، نحن نريد الاستقلال التام، غير اننا لا نريد ان يكون ثمنه الفوضى والتنازع والبغضاء ». وفي العدد التالي نشرت الكوكب مقالا آخر يؤيد فكرة الانتداب[207]. ويروي عبد الرحمن شهبندر، الزعيم السوري، ذو الصلة القوية بالمكتب العربي بالقاهرة، ورئيس تحرير جريدة الكوكب لفترة تزيد على العامين، ان الجنرال كلايتون، مدير المكتب العربي بالقاهرة، ارسل اليه كتابا يفهمه فيه « ان ظروفا سياسية تضطر السلطة الانجليزية للسير بجريدة الكوكب على سياسة جديدة تتفق مع فكرة الانتداب ». ويدعي الشهبندر انه بعث برسالة في 28 اكتوبر 1918[208] الى كلايتون يخبره فيها بقطع علاقته بالجريدة لان ذلك مخالف لخطه السياسي.

في 16 ديسمبر 1918 وزع الجنرال سمطس (رئيس حكومة جنوب افريقيا) نشرة في باريس، بحث فيها مسألة المستعمرات الالمانية وبعض البلاد التابعة للامبراطورية العثمانية، « ووضع قواعد خاصة بها، ترمي الى تسليم هذه المستعمرات والبلاد الى دول معينة من الحلفاء لتقوم بالامر فيها، لا لمصلحتها هي بل لمصلحة الشعوب والعناصر النازلة فيها، وذلك باسم جمعية (عصبة) الامم وبانتداب منها[209] ». الا ان ما ذهب اليه سمطس لم

207 ـ الكوكب - 90 - 1918/4/16، بقلم احد كتاب (الكوكب).

208 ـ الكشكول - 58 - 1922/6/25.

209 ـ سكرتارية عصبة الامم المصدر السابق ص 20.

يكن حقيقيا، ذلك ان الدول العظمى التي عملت ـ كما تدعي ـ على تحرير البلاد العربية من السيطرة التركية، كان عليها ان تحمي ما لها من مصالح استراتيجية وسياسية ومادية على جانب عظيم جدا من الاهمية في تلك البلاد. ولم يكن في الامكان الدفاع عن هذه المصالح او حمايتها الا اذا كان لهذه الدول بعض سلطات السيادة، اي الا اذا بقيت في ايديها الامتيازات الحاسمة التي تملكها الدولة. والشكل القانوني لنظام الانتداب كان اساسا مثاليا لاحداث التوازن بين هذه المصالح التي لم يكن من السهل دائما الربط فيما بينها، بل لعله كان القنطرة التي يمكن عن طريقها، عاجلا او آجلا، التوفيق بين هذه الاغراض المتباينة. وكان في الامكان الاقلاع عن هذا الاساس في حالة واحدة وهي حينما يمكن التأكد من ان المرحلة الانتقالية قد تمت بنجاح[210]، اي حينما يمكن ضمان المصالح الاستعمارية. ويعلل هربرت صمويل رغبة بريطانيا في الانتداب على فلسطين بقوله « ان مصالحها الاستراتيجية جعل من غير الممكن وجود اي دولة عظمى اخرى في فلسطين، فان القوات البريطانية وحدها هي التي استولت على البلاد[211] »، وبناء على ذلك يمكن القول بان « الانتداب تجربة جديدة من السياسة الاستعمارية[212] »، وانه « يختلف نظريا فقط عن الضم الفعلي[213] » كما يقول فيليب حتي.

اصدر مؤتمر الصلح في باريس في 30 يناير 1919 قرارا يقضي بعدم اعادة الولايات العربية الى الحكم التركي، وكان هذا يمثل الخطوة الاولى في سبيل تطبيق نظام الانتداب. وكانت الحركة الصهيونية قد طالبت على الصعيد الدولي بانتداب بريطانيا على فلسطين. فقد طالب المؤتمر اليهودي الامريكي في 18 ديسمبر 1918 بانتداب بريطانيا على فلسطين. وقد ورد مثل

---

210 - British Interests, op. cit. p. 6

211 - Foreign Affairs, Oct. 1937, p. 6

212 - L.O.N.: ten Years of World Cooperation, London 1930, p. 337

213 - Foreign Affairs, Oct. 1937, p. 158

هذا الطلب في المذكرة التي قدمتها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح في 3 فبراير 1919 حيث قالت « اننا نلح باختيار بريطانيا العظمى كدولة منتدبة، لان ذلك يتفق ورغبة يهود العالم. وعصبة الامم يجب أن تعمل في اختيارها للدولة المنتدبة على تحقيق رغائب الاهالي ذوي الشأن[214] ». وقد تضمنت مذكرة 3 فبراير أيضا « صورة قرار يتضمن المشروع الذي وضعته لتنفيذ تصريح بلفور»، وحضر زعماء المنظمة اليهودية امام المؤتمر في جلسته المنعقدة في 27 فبراير وشرحوا المشروع[215]. وأفتتح الوفد البريطاني في مؤتمر الصلح محادثات رسمية مع ممثلي المنظمة اليهودية بهدف وضع مسودة صك الانتداب لفلسطين في مارس 1919. وأسفرت المحادثات عن تقديم فليكس فرانكفورتر Felix Frankfurter أحد أعضاء الوفد الأمريكي في مؤتمر الصلح مشروعا أكثر تفصيلا من السابق، مؤرخا في 28 مارس 1919[216]. وكان هذا المشروع هو المرحلة الاولى من المراحل السبع التي عدل فيها المشروع الصهيوني لصك الانتداب البريطاني على فلسطين[217]. ويتضح من دراسة هذه المراحل السبع ان « المشروع الصهيوني كان في ذلك الحين (أي حتى عام 1920) قد اتخذ شكل صك الانتداب الذي نعرفه. فقد أثبت المشروع حق اليهود في اعادة تأسيس وطنهم القومي في فلسطين بالاستناد الى الصلات التاريخية، وقضى

---

214 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 41.

215 ـ المصدر السابق ص 39.

216 ـ كان وضع مسودة صك الانتداب البريطاني لفلسطين يتم تحت اشراف وايزمن وسوكولوف باعتبارهما رئيسي المنظمة الصهيونية. وقدم الوفد الاميركي، الذي ضم فليكس فرانكفورتر وبنيامين كوهين مساعدات عظيمة. وفي المراحل الاولى من المباحثات شكلت (لجنة سياسية مؤقتة) تألفت من هربرت صمويل، فكتور جاكوبسون، برتولد فيويل B. Feiwel، هاري ساشر H. Sacher، سلمون لاندمان S. Landman، وبنيامين كوهين. وفي المراحل الاخيرة من المفاوضات اقتصرت اللجنة على هاري ساشر، ليونارد شتاين، وبنيامين كوهين. انظر E.F. vol. I, p. 164

217 ـ الاولى مارس 1919، الثانية يوليو 1919، الثالثة اغسطس 1919، الرابعة ديسمبر 1919، الخامسة والسادسة يونيه 1920، والسابعة نوفمبر 1920. انظر التفاصيل في E.F. vol. I, pp. 164 - 175

بتشجيع الهجرة اليهودية، وحشد اليهود في الاراضي، وتشكيل هيئة تمثل اليهود في فلسطين والعالم اجمع للتعاون مع الدولة المنتدبة، وجعل المدارس اليهودية في ايدي اليهود، كما تضمن تشجيع الحكم الذاتي المحلي[218] ». والغريب في الامر، ان المراحل الاربع الاولى في المشروع الصهيوني، قد تمت وعرضت على الحكومة البريطانية، قبل ان يصدرّ اي قرار دولي بتوليها الانتداب على فلسطين، مما يؤكد رغبة بريطانيا في السيطرة على فلسطين باية وسيلة. ولم يصدر قرار دولي بتولي بريطانيا الانتداب الا في 21 فبراير 1920، في مؤتمر لندن، ثم تلاه قرار مؤتمر سان ريمو في 25 ابريل 1920، والتي اصبحت بموجبه بريطانيا مسؤولة عن تنفيذ تصريح بلفور في فلسطين. وقد اختصت المادة 96 من معاهدة الصلح مع تركيا ـ التي وضعت في مؤتمر سان ريمو، ووافق الحلفاء عليها في 24 ابريل ـ بصكوك الانتدابات. اذ نصت على ما يلي « تضع الدول المتحالفة الرئيسية صكوك الانتدابات الخاصة بالبلاد المشار اليها (اي فلسطين، وسوريا والعراق)، وتقدم الى مجلس عصبة الامم للتصديق[219] ». وكان من الواضح تماما ان الحكومة البريطانية لم تطبق نصوص المادة 96 على الاطلاق، اذ اكتفت فقط بارسال نسخ من صكوك الانتدابات الى الدول الحليفة الاخرى[220].

وعرض بلفور صك الانتداب[221]، بعد ادخال تعديلات بشأن مقدمة الصك ومؤسسات الحكم الذاتي وتطور البلاد الاقتصادي[222]، على

218 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 39.

219 ـ H.M.S.O.: Treaty of Peace with Turkey, p. 26 .

220 ـ انظر ما يرويه ساطع الحصري، عندما كان في روما في اكتوبر ونوفمبر 1920، حول نسخه صورة صكي الانتداب البريطاني للعراق وفلسطين وتسليمها الى الملك فيصل، في يوم ميسلون ـ بيروت 1967، ص 202 - 203

221 ـ اورد المقطم في 1920/12/25 بعض مواد صك الانتداب لفلسطين.

222 ـ انظر التعديلات في E F. vol. I, pp. 174 -5

مجلس العصبة في 6 ديسمبر 1920 للتصديق[223]. وتناول اعضاء المجلس الصك بالبحث مما ادى الى ادخال تعديلات جوهرية عليه. والواقع ان امورا جديدة طرأت على منطقة الشرق الاوسط قبل ديسمبر 1920 وبعده. فان معاهدة سيفر التي وقعت في 10 اغسطس 1920، لم تصدق عليها الحكومة التركية وبذلك فقدت مفعولها. وكان على الحكومة البريطانية ان تنظم ادارة العراق بعد القضاء على ثورته في 20 نوفمبر 1920. كما ان المفاوضات الانجلو فرنسية بشأن تحديد خط الحدود بين منطقتي انتدابهما في الشرق الاوسط لم تسفر عن اتفاق الا في 23 ديسمبر 1920. ثم كان ظهور الامير عبد الله في معان في 21 نوفمبر 1920، وتهديداته المزعومة بغزو سوريا وطرد الفرنسيين منها، عامل خطر جديد. يضاف الى هذه العوامل كلها ظهور الولايات المتحدة في الميدان مرة ثانية. فقد ادعت حكومة الولايات المتحدة في مذكرة مؤرخة في 20 نوفمبر 1920 ان « من حق الولايات المتحدة بسبب اشتراكها في الحرب ان يؤخذ رأيها حول شروط الانتدابات ». فوافقت الحكومة البريطانية في الحال على هذا الادعاء. وعرض مشروع صك الانتداب البريطاني على فلسطين، ومشاريع الانتدابات البريطانية الاخرى، على حكومة الولايات المتحدة، وادخلت على هذه المشاريع بعض تغييرات طفيفة اجابة لطلب تلك الحكومة. وكانت اهم المسائل التي دار حولها النقاش مسألة اقتصادية. اذ اصرت حكومة الولايات المتحدة على تطبيق المبدأ القائل باعطاء فرصة المساواة الاقتصادية لجميع الدول المنتمية الى عصبة الامم. وقد تنازلت عن طلبها هذا فيما يتعلق بفلسطين، اعترافا منها « بحالتها الخاصة، ورعاية لمصالح الوطن القومي اليهودي[224].

قدمت الحكومة البريطانية، بعد اخذها في الاعتبار جميع العوامل السابقة وادخال التعديلات الملائمة، « المسودة النهائية » لصك الانتداب

223 - انظر Cmd. 1176, Draft Mandates for Mesopotamia and Palestine as Submitted for the Approval of the L.O.N. 1921

224 - تقرير اللجنة الملكية ص 42.

البريطاني لفلسطين الى البرلمان البريطاني في اغسطس 1921[225]، ونشرته في لندن في 31 اغسطس 1921[226]. وقد اختلف الصك الثاني (1921) عن الصك الاول (1920) في امرين هامين. اولهما ان مقدمة الصك الاول تضمنت عبارتين فقط من تصريح بلفور هما (أ) ان وطنا قوميا للشعب اليهودي يجب ان يؤسس، (ب) انه لن يؤتى بعمل قد يضير الحقوق المدنية والدينية والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى. اما العبارة التي تصون الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس او الدين فقد وردت في المادة الثانية من صك 1920 ولم ترد في المقدمة. اما في الصك الثاني (1921) فان عبارة « انه لن يؤتى بعمل قد يضير الحقوق المدنية والدينية للطوائف الغير يهودية المقيمة حاليا في فلسطين » فقد وردت في مقدمته كما وردت في المادة الثانية[227]. اما الامر الثاني فقد كان ظهور المادة 25 التي تعطي الحق « للدولة المنتدبة بموافقة مجلس عصبة الامم ان ترجىء او توقف تطبيق ما تراه من هذه النصوص (نصوص صك الانتداب) غير قابل التطبيق على المنطقة الواقعة ما بين نهر الاردن والحد الشرقي لفلسطين كما سيعين فيما بعد، بالنسبة للاحوال السائدة في تلك المنطقة ». وقد ادخل هذا النص بعد قبول بريطانيا تولي الامير عبد الله في اول ابريل 1921 حكومة شرق الاردن نيابة عن والده الشريف حسين[228].

تعرضت مسألة الانتداب البريطاني لفلسطين لنقد شديد في مجلس العموم البريطاني. وقد تركز ذلك النقد على امرين أولهما الناحية المالية، او بمعنى ادق هل يقتضي الانتداب البريطاني لفلسطين فرض ضرائب جديدة

225 ـ Cmd. 1500, Final Drafts of the Mandates of Mesopotamia and Palestine for the Approval of the Council of the L.O.N. 1921

226 ـ لسان العرب - 58 - 1921/9/5.

227 ـ E.F. vol. I, p. 176

228 ـ كامل محمود خلة : التطور السياسي في المملكة الاردنية 1921 - 1948. رسالة ماجستير، اداب القاهرة، 1969، ص 79 - 80.

على المكلف البريطاني؟ لقد صرح بونار لو في 29 أبريل 1920 بان « الانتداب البريطاني على فلسطين لن يزيد من أعباء المكلف البريطاني[229] ». وأشار لويد جورج في 21 ديسمبر 1920 الى ان « قبول بريطانيا الانتداب على فلسطين لن يلزم المكلف البريطاني بدفع ضرائب جديدة[230] ». وتبعه بونار لو في نفس الجلسة قائلا « ان اليهود جمعوا اموالا طائلة لتطوير فلسطين مما خفف العبء عن الحكومة البريطانية[231] ». فاذا اضفنا الى هذا كله ان فائض الميزانية للادارة العسكرية في فلسطين بلغ 51,375ج مصري لعام 1918/1919، و116,150ج مصري لعام 1919/1920، رأينا بوضوح ان الحكومة البريطانية كانت تربح بالفعل من وراء قبولها الانتداب على فلسطين. ذلك ان الحركة الصهيونية، قد شاركت ماليا في دفع نفقات (حكومة فلسطين)، وبالتالي رفع العبء عن المكلف البريطاني. ولقد تهكم وايزمن في 22 يوليو 1921 في منزل المستر بلفور في لندن حين قال « المضحك في الامر اننا متهمون بكوننا عبء على المكلف البريطاني، وهو امر سخيف »، وراح يبين السبب، وايده لويد جورج، وآرثر بلفور[232]. واذا كان تشرشل (وزير المستعمرات) قد اعلن في 16 يونيه 1921 بوجود عجز مقداره 72,086ج م في ميزانية فلسطين للعام 1920/1921[233]، فانه قد نسي ان الاذارة المدنية التي اسست في اول يوليو 1920 قد استلزمت عددا كبيرا جدا من الموظفين البريطانيين[234] وغير البريطانيين. ومع ذلك فقد صرح هو نفسه في 15 يونيه 1922 بان « السلطات العسكرية سلمت الى حكومة فلسطين مرفق البرق والتليفون في أول اكتوبر 1920، واحتسب مبلغ 30 الف جنيه، وهو قيمة اصلاحات الخطوط، دينا

229 ـ P.D. vol. 128, col. 1402

230 ـ P.D. vol. 136, col. 1515

231 ـ op. cit. col. 1515

232 ـ Sykes, op. cit. pp. 79 - 82

233 ـ P.D. vol. 143, col. 464

234 ـ كان مرتب هربرت صمويل اربعة الاف ج م في السنة

على حكومة فلسطين »، وان « تكاليف شبكة مياه القدس بلغت 48,545ج وقد قيدت دينا على حكومة فلسطين تدفعها لحكومة صاحبة الجلالة[235] ». هذا بالاضافة الى ان الادارة العسكرية كانت قد استلفت مبلغ 364 الف جنيه مصري من البنك الانجليزي المصري، « ونقل هذا المبلغ على الادارة المدنية[236] ». ولو اخذنا مجمل الوفر في ميزانية فلسطين بين عامي 1920 ـ 1925 (عهد هربرت صمويل) لوجدناه يبلغ 547,749ج انجليزي، كما صرح بذلك المستر شيلز وكيل وزارة المستعمرات في 12 فبراير 1930[237]. يتضح من هذا كله ان حرص الحكومة البريطانية على انتدابها لفلسطين كان ذا فوائد عظمى. ويؤكد هذا نورمان بنتويتش حين يقول « ان الوكالة اليهودية كانت تشارك حكومة الانتداب في المشاريع الاقتصادية بنسبة معينة من رأس المال والربح[238] ».

اما الامر الثاني فكان حق المجلس في تقرير قبول الحكومة البريطانية للانتداب، ومناقشة صكه فيما بعد. وقد حسم بونارلو مسألة (القبول) حين قال « ان اخذ موافقة البرلمان ليست ضرورية لقبول الانتداب[239] ». اما مسألة (المناقشة) فقد اتسمت بطابع فيه نوع من التشدد. فقد اشار هارمزورث Harms Worth في 24 نوفمبر الى احتمال عدم عرض صك الانتداب على المجلس[240]. وبعد ان قدم بلفور الصك الى مجلس عصبة الامم لاقراره في 6 ديسمبر 1920، قامت حملة في المجلس لمناقشته، واضطرت حكومة لويد جورج الى وضعه بين ايدي اعضاء المجلس في 3 مارس 1921[241]، كما اضطر رئيس الوزراء الى التصريح في 24 مارس 1921

235 ـ P.D. vol. 155, col. 558

236 ـ P D. vol. 161, col. 2388

237 ـ P D. vol. 235, col. 408

238 ـ Norman Bentwich: The Mandates System, London 1930, pp. 25 - 6

239 ـ P.D. vol. 129, col. 628

240 ـ P.D. vol. 135, col. 432

241 ـ P.D. vol. 139, col. 16

بان « لمجلس العموم مطلق الصلاحية في قبول او رفض الاعتراف بصك الانتداب على فلسطين[242] ». لكن بونارلو اكد في نفس الجلسة ان « الحلفاء اختاروا بريطانيا العظمى دولة منتدبة على فلسطين، وذلك طبقا للسلطة المخولة لهم حسب المادة 95 من معاهدة سيفر[243] ». ورفضت الحكومة في 10 نوفمبر 1921 مناقشة صك الانتداب[244]. واعاد الاعضاء طلب مناقشة الصك في جلسة 27 مارس 1922[245] بدون فائدة، مما دفع رئيس مجلس العموم (تشمبرلين) الى ان يصرح في 17 مايو 1922 بانه « لا يرى ضرورة لتقديمه رسميا الى المجلس[246] »، ولم يقبل (جلسة 15 يونيه 1922) تحديد اي موعد لمناقشته[247].

وبعد موافقة مجلس عصبة الامم على صك الانتداب في 24 يوليو 1922، اثيرت المسألة مرة اخرى، واستمرت الحكومة في معارضتها. وحسم اورمسبي غور (وكيل وزارة المستعمرات) الامر في مارس 1923، بما يلي « لم تعد هناك حاجة لتصديق البرلمان على صك الانتداب البريطاني لفلسطين. لقد قبلت حكومة صاحبة الجلالة الانتداب في ابريل 1920، ووافق مجلس عصبة الامم على مواد صك الانتداب في يوليو الماضي[248] ». وبرر في 27 مارس 1923 عدم عرض صك الانتداب لمناقشة مجلس العموم بقوله « ان الانتداب ليس معاهدة بين حكومات تتطلب تصديق رؤساء الدول المعنية »، واضاف ان « وزارة الخارجية هي التي اصدرت اليه هذه التعليمات[249] ». والواقع ان تشدد الحكومة، بعد يونيه

---

242 - op. cit. col. 2763

243 - Ibid, col. 2790

244 - P.D. vol. 148, col. 42

245 - P.D. vol. 152, col. 946

246 - P.D. vol. 154, cols. 357 -8

247 - P.D. vol. 155, col. 532

248 - P.D. vol. 161, cols.2337 - 8

249 - P.D. vol. 162, cols. 263 - 4

1922، كان راجعا الى خوفها من النجاح لو امكن لمجلس العموم مناقشة صك الانتداب، ذلك ان لورد اسلنجتون Islington استطاع استصدار قرار من مجلس اللوردات في 21 يونيه 1922 بعدم قبول صك الانتداب لفلسطين باعتباره مناقضا ومنتهكا للوعود المقدمة الى الشريف حسين.

عرضت الحكومة البريطانية (المشروع النهائي) على مجلس العصبة في 7 سبتمبر 1921. ولكن المجلس اصدر قرارا بارجاء النظر فيه ريثما تتم موافقة الولايات المتحدة عليه. وارسل رئيس مجلس العصبة رسالة مؤرخة في 3 اكتوبر 1921 الى رئيس الوزارة البريطانية يطلب من « حكومة صاحب الجلالة الاستمرار في ادارة فلسطين حسب مشروع الانتداب المقدم حتى تتم الموافقة النهائية[250] ». واستطاعت بريطانيا ان تحل قضية المصالح الامريكية البترولية في الشرق الاوسط[251]. وحلت بريطانيا وفرنسا مشكلة الحدود نهائيا بين مناطق انتدابهما في الشرق الاوسط بمعاهدة 3 فبراير 1922. وبقي على فرنسا ان تتفق مع ايطاليا، وامكن حل الخلاف بينهما بعد ان وقفت فرنسا الى جانب ايطاليا في مسألة احتلالها لاقليم كورفو في اليونان. ولما تم كل هذا وافق مجلس العصبة في 24 يوليو 1922[252] على صكوك الانتدابات، التي اصبحت نافذة المفعول في 29 سبتمبر 1923، بعد يوم واحد من عقد معاهدة لوزان (28 سبتمبر 1923).

هكذا فرض الانتداب البريطاني على فلسطين في 24 يوليو 1922، فاصبح نافذ المفعول في 29 سبتمبر 1923. والواقع ان « النصوص الاساسية لصك الانتداب كانت قد وضعت موضع العمل بالفعل قبل ذلك التاريخ. ويمكننا القول ان تنفيذها ابتدأ في صيف عام 1920، حينما تشكلت الادارة المدنية وحلت محل الادارة العسكرية[253] ». كذلك فانه يمكن القول بان

---

250 ـ P.D. vol. 160, col. 1573

251 ـ عقدت معاهدة بهذا الخصوص بين بريطانيا والولايات المتحد في 3 ديسمبر 1934.

252 ـ كان آخر يوم لاجتماع مجلس العصبة.

253 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 58.

معظم المواد الواردة في صك الانتداب جاءت لتغطية اعمال الحكومة البريطانية في فلسطين منذ عام 1917 حتى عام 1922، وكانت بريطانيا تحكم فلسطين بدعوى (حق الفتح)، بدليل ما صرح به اورمسبي غور (وكيل وزارة المستعمرات) في 20 مارس 1923 بقوله « ان سلطة ومسؤولية حكومة جلالته في ادارة فلسطين قائمة من احتلالها العسكري بقوات صاحب الجلالة[254] ».

جاء صك الانتداب البريطاني لفلسطين في 28 مادة، كان معظمها لصالح اليهود والوطن القومي اليهودي في فلسطين[255]. وقد علق جمال الحسيني في شهادته امام لجنة بيل (يناير 1937) على صك الانتداب فقال « ان غايات اولئك الذين وضعوا نص الانتداب واعدوه ونظموه، تظهر صراحة من الشكل الذي فيه صك الانتداب نفسه، ذلك الشكل الذي يفهم منه القارىء ان ما هو موجود في فلسطين هو اكثرية يهودية واقليات غير يهودية، وان الاكثرية لها حقوق ايجابية وان الاقليات لها حقوق سلبية، وان حقوق تلك الاكثرية واسعة عامة بين حقوق الاقلية المذكورة[256] ». وتكلم عن المواد المتعلقة بالعرب فقال « ان النصوص التي تشير الى مصالح العرب غامضة وغير صريحة او مفهومة. ويرى ذلك بصورة خاصة في المواد الاساسية كالمادة السادسة[257] مثلا. اما المقصود من ذلك فهو استعمال هذا الغموض كطريق للتملص والتخلص وتجنبا للانفجار[258] ». وقد اشار الى

---

254 ـ P.D. vol. 161, col. 2388

255 ـ قدم نورمان بنتويتش دراسة في الفصل الثاني من كتابه The Mandates System pp. 21 - 51 عالج فيها وجهة النظر الصهيونية في صك الانتداب، وكيف انه يخدم انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

256 ـ الشهادات السياسية ص 71.

257 ـ « على ادارة فلسطين، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الاهالي الاخرى، ان تسهل هجرة اليهود في احوال ملائمة، وان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية، المشار اليها في المادة الرابعة، حشد اليهود في الاراضي الاميرية والاراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العمومية ».

258 ـ الشهادات السياسية ص 73.

مسألة (الغموض) أيضا المستر شيلز، ممثل الحكومة البريطانية في لجنة الانتدابات الدائمة في دور انعقادها العشرين، في 17 يونيه 1931 فقال ان « عديدا من مواد صك الانتداب لم يكن واضحا بالمرة[259] ».

يمكن تسجيل الملاحظات التالية على صك الانتداب البريطاني لفلسطين:

1) أضافت الفقرة الثالثة من المقدمة اضافة هامة الى وعد بلفور (الوارد في الفقرة الثانية من المقدمة والمادة الثانية من الصك)، فاعترفت « بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالاسباب التي تبعث على اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد »، وهو امر لم يتضمنه الوعد على الاطلاق[260].

2) اختلف صك الانتداب لفلسطين عن صك الانتداب لسوريا ولبنان، وعن مشروع صك الانتداب للعراق. ومع ان هذه الانتدابات جميعا وقعت تحت نوع أ، الا ان صكوك الانتدابات سوريا ولبنان والعراق، تتفق والفقرة الرابعة من المادة 22 من ميثاق عصبة الامم. وعلى هذا فقد نص صك الانتداب لسوريا ولبنان على ان تكون الحكومة مستندة الى قانون أساسي تراعي فيه حقوق جميع الاهالي ورغباتهم ومصالحهم، وعلى اتخاذ التدابير « لتسهيل تطور سوريا ولبنان وصيرورتهما دولتين مستقلتين » وقد كانت الفقرات المتقابلة في مشروع صك الانتداب على العراق متفقة وهذا النص تماما. وعملا بتلك الاحكام شكلت مجالس تشريعية وطنية، على اساس انتخابي حينما حان الوقت الملائم. اما المادة الاولى من صك الانتداب الفلسطيني، فقد خولت الدولة المنتدبة « السلطة التامة في التشريع والادارة » ضمن حدود صك الانتداب. وهكذا اصبح « وضع فلسطين في مستوى مستعمرة بريطانية[261] ».

---

259 ـ P M.C 20 th S. p. 100

260 ـ يؤكد وايزمن ان بلفور هو الذي وضع عبارة « الصلة التاريخية ». انظر Weizmann, op. cit. 348

261 ـ Hans Kohn, op. cit. p. 141

وقد تعرض عوني عبد الهادي اثناء الادلاء بشهادته أمام لجنة بيل في 13 يناير 1937 الى وكالة بريطانيا عن عصبة الامم في انتدابها على فلسطين وان ذلك مناقض لعهد العصبة. وشرح المادة 22 من عهد العصبة وفقراتها الاربع، وقال ان الفقرة الاولى منها فسرها تشرشل « تفسيرا مختلفا فيما يتعلق بفلسطين عما فسرت به فيما يتعلق بسوريا والعراق » وذلك كما ورد في الكتاب الابيض لعام 1922[262]. وقد ردت لجنة بيل على ذلك فقالت « اما بشأن الادعاء الذي حاول الشهود العرب اثباته امامنا من ان صك الانتداب الفلسطيني مخالف للمادة 22 من ميثاق عصبة الامم من حيث انه لا يتفق والفقرة الرابعة من المادة المذكورة، فنود ان نقول (أ) ان الاعتراف المؤقت (لبعض الجماعات التي كانت تابعة فيما مضى للامبراطورية العثمانية) كأمم مستقلة هو اعتراف يجوز الاخذ به او اهماله. فقد وردت لفظة (يمكن الاعتراف بها. . مؤقتا) وليس (ينبغي او يقتضي الاعتراف بها). (ب) وقد نصت الفقرة الاخيرة (السابعة وليست الثامنة) من المادة 22 على ان درجة السلطة التي تمارسها الدولة المنتدبة يتم تحديدها اذا استوجب الامر من قبل مجلس عصبة الامم. (ج) ان قبول دول الحلفاء والولايات المتحدة بالسياسة التي ينطوي عليها تصريح بلفور، أظهر بجلاء منذ البدء أن فلسطين ستعامل خلافا لما ستعامل به سوريا والعراق. وقد أقر المجلس الاعلى هذا الفرق في المعاملة في معاهدة سيفر، كما أقره مجلس عصبة الامم عند اقراره الانتداب[263] ».

3) هناك التزامات أربعة أساسية مفروضة على الدولة المنتدبة وهي:

اولا: الالتزامات الناشئة عن المادة 2 و6 فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي.

ثانيا: الالتزام الناشيء عن هاتين المادتين نفسيهما فيما يتعلق بصيانة حقوق جميع سكان فلسطين وبخاصة غير اليهود منهم.

---

262 ـ الشهادات السياسية ص 124 - 127.

263 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 51.

ثالثا: الالتزام الوارد في المادتين 2 و3 فيما يتعلق بترقية مؤسسات الحكم الذاتي و« تشجيع الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف ».

رابعا: الالتزامات التي اخذتها الدولة المنتدبة على عاتقها في المادة 13 فيما يتعلق بالاماكن المقدسة. والواقع ان الالتزام الاول كان ايجابيا، والثاني كان سلبيا لانه يتعارض بالفعل مع الالتزام الاول. اما الثالث فقد حدد « بقدر ما تسمح به الظروف »، والرابع استفاد منه اليهود اكثر مما استفاد العرب. وقد علقت لجنة بيل على هذه الالتزامات بقولها « غير انه مما لا ريب فيه ان الغاية الاساسية من الانتداب على الصورة التي اعلنت في مقدمته وفي مواده هي ترويج انشاء الوطن القومي اليهودي[264] ».

4) تنص المواد 4 و6 من صك الانتداب على الاعتراف بوكالة يهودية « كهيئة عمومية لاملاء المشورة للادارة والتعاون معها »، ولم يرد ذكر لهيئة كهذه لمعالجة مصالح العرب.

5) وفي الوقت الذي تنص فيه المادة 7 على جعل الجنسية الفلسطينية، الجنسية المشتركة للعرب واليهود، فان المادتين 15 و22 تقران الفرق بين الجنسية العربية والجنسية اليهودية، بل تعملان على أثبات هذا الفرق، وذلك بجعلهما اللغتين العربية والعبرية من « اللغات الرسمية »، وبمنحهما كل طائفة حق « صيانة مدارسها الخاصة لتعليم أبنائها بلغتها الخاصة[265] ».

6) ان عدم النص على (المساواة الاقتصادية) لجميع الدول في صك الانتداب البريطاني على فلسطين، كما حدث بالنسبة للانتدابات الاخرى، يرجع الى الرغبة في انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين[266].

---

264 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 52.

265 ـ المصدر السابق ص 52.

226 ـ Norman Bentwich, op. cit., p. 26

7) تنطوي المادة 28 على احتمال انهاء الانتداب. وقد علق اورمسبي غور امام لجنة الانتدابات في 30 يوليو 1937 بقوله « من الواضح ان هدف الذين وضعوا صك الانتداب كان ضرورة وجود شرط لاحتمال انهائه[267] ».

وهكذا تمت الموافقة على صك الانتداب البريطاني لفلسطين، هذه الموافقة، التي انهت كما يقول وايـزمن « الفصل الاول من نضـالنا الطويل[268] »، وفتحت من جهة اخرى انظار الحركة الوطنية العربية في فلسطين على خطر جديد، فكان عليها ان تستوعبه وتقاومه، بعد ان كان محور حركتها مقاومة سياسة الوطن القومي وشروط صك الانتداب فقط.

P.M.C. 32d S., p. 17 ـ 267

Weismann, op. cit., p. 364 ـ 268

الفصل الخامس
الوحدة الوطنية
1922 - 1917

لم تكن فلسطين حتى اوائل القرن العشرين وحدة جغرافية مستقلة او كيانا سياسيا منفردا ، وانما كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وشكلت مع اقاليم اخرى (سوريا الطبيعية) . ولذلك لم يكن من الضروري ان توجد في فلسطين حركة وطنية عربية مستقلة ، وانما كانت هذه الحركة تعمل في اطار الحركة الوطنية العربية في كل سوريا الطبيعية .

اثار الاستيطان اليهودي في فلسطين ، في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين ، موجة من المخاوف والاحتجاجات التي دلت على بداية مقاومة الشعب العربي للمشروع الصهيوني في فلسطين . وقد عبر نجيب عازوري[1] ، عن ذلك حين قال في مقدمة كتابه : « ظاهرتان مهمتان لم تلفتا نظر اي انسان حتى الان بوضوح في تركيا الاسلامية ، وهاتان الظاهرتان

---

1 ـ عربي مسيحي من فلسطين، عمل كمسؤول في الادارة العثمانية في متصرفية القدس بين 1898 و1904. وقد ترك وظيفته في عام 1904 بعد تعيين المتصرف الجديد احمد رشيد بك، الذي ايد الهجرة اليهودية علانية، ولم يعبأ بتنفيذ القوانين التي اصدرها الباب العالي ثم اسس نجيب عازوري (الجامعة العربية الوطنية) التي عملت في القاهرة وباريس. واصدر في فبراير 1905، في باريس كتابه : Le Reveil de la Nation Arabe dans L'Asie Paris, 1905 ، انظر اسعد رزوق المصدر السابق ص 145، يوسف لونتس ص 212 - 213.

هما نهضة الامة العربية ، والجهد الذي ذكر من ان اليهود سيعيدون بناء اسرائيل القديمة ، وفي نطاق واسع . هاتان الحركتان ستناضلان طويلا ضد بعضهما البعض الى ان تتغلب احداهما على الاخرى[2] » . كما اصدر منشوره التاريخي « بلاد العرب للعرب » بالعربية والفرنسية ، وقد وصلت نسخ منه الى فلسطين وانتشرت لدرجة حملت السلطات العثمانية على اعتقال بعض اعيان العرب في يافا وغيرها من المدن والقيام بتفتيش منازلهم واوراقهم[3] . ومع ذلك« اتهمت مصادر يهودية وصهيونية نجيب عزوري بان لديه اتجاهات لا سامية ، وذكروا ان نفوذا اجنبيا كان وراء اصدار كتابه المطبوع في باريس[4] » .

وابتداء من عام 1908 زادت حدة الدعاية المضادة للصهيونية في فلسطين ، وشملت دوائر اكثر اتساعا . وبدا ان مركز ثقل هذه الدعاية تحول من النواة الضيقة للعائلات الكبيرة والخائفة على مراكزها ، الى طبقات اوسع من سكان المدن ، وعلى رأسهم فئة الشبيبة المثقفة الناهضة ، واخصهم المسيحيين العرب بالذات . ذلك ان المسيحيين العرب عبروا بموقفهم عن خوفهم من المنافسة الاقتصادية اليهودية ، كما كانوا فعلا اكثر ثقافة ، واقرب الى الثقافة الغربية ، من باقي السكان العرب . وقد برزت الروح المعادية للصهيونية بزيادة عدد حوادث الاصطدامات والعنف بين العرب واليهود ، وباتساع وانتشار الدعاية المعادية للصهيونية على صفحات الجرائد العربية في فلسطين[5]) ، وفي النشاط الكثيف المثمر للنواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني . وجاءت الحرب العالمية الاولى لتجمد الحركة الوطنية العربية مؤقتا حتى اواخر عام 1917 .

---

2 ـ يوسف لونتس : المصدر السابق ص 213.

3 ـ اسعد رزوق المصدر السابق ص 145.

4 ـ يوسف لونتس : المصدر السابق ص 213.

5 ـ قدم عبد الوهاب الكيالي دراسة ممتازة عن (المقاومة الفلسطينية 1908 - 1914) في كتابه : تاريخ فلسطين الحديث ص 57 - 82.

واذا كانت هذه الفترة (1922 - 1917) قد تميزت بظاهرة الوحدة الوطنية ، التي عبرت عنها الجمعيات الاسلامية المسيحية واللجنة التنفيذية العربية فان هذا الامر لم يكن طبيعيا ذلك ان الموافقة على صك الانتداب البريطاني بفلسطين (يوليو 1922)،فجرت التناقضات الاساسية في داخل الجمعيات وفي داخل اللجنة ، مما اسفر عن ظهور انسلاخات وانشقاقات ، كان لها اثرها الفعال في اضعاف الحركة الوطنية فيما بعد .

عرب فلسطين ووعد بلفور

لم تسمح الحكومة البريطانية بنشر تصريح بلفور في لندن الا بعد اسبوع من اصداره ، اي في 9 نوفمبر 1917 ، ونشره المقطم يوم السبت في 10 نوفمبر 1917 ، وهذا يدل ببساطة تامة ان التصريح كان تحت يدي المقطم قبل 10 نوفمبر بيوم على الاقل ان لم يكن اكثر ، مما يؤيد الصلة القوية بين الدكتور فارس نمر[6] صاحب المقطم ودار الاعتماد البريطاني بالقاهرة . وتلا نشره في المقطم احتفالات في القاهرة ، وكان كل ذلك تحت رعاية (الجمعية الصهيونية) في مصر برياسة الخواجة موصيري . ولا شك ان الحكومة البريطانية في لندن ، والسلطات البريطانية في القاهرة ، كانت تعلم تماما مدى رد الفعل العربي في مصر اولا ، وفي سوريا ثانيا . ولذلك لم يكن غريبا عن تلك السلطات ان تعقد (الجمعية العربية في مصر[7] اجتماعا في 1917/11/19 لتقرير « ارسال برقية الى المستر بلفور وزير الخارجية نفسه تسأله تفسير وعده والغاية منه . ولما كان ارسال البرقيات السياسية غير مستطاع في تلك الظروف ، زار الدكتور فارس نمر وسليمان ناصيف (سكرتير الجمعية) المكتب العربي ، وسلما احد رجاله البرقية ، وقالا له

---

6 ـ سوري المولد، أتم تعليمه في الجامعة الاميركية ببيروت، ثم قدم الى مصر. كان يعتبر اليد اليمنى للورد كرومر في مصر، واحد اعمدة الاستعمار البريطاني في مصر والشرق الاوسط، وكان معارضا لاي نفوذ فرنسي في الشام.

7 ـ هي اللجنة السورية التي تضم فارس نمر، سليمان ناصيف، حقي العظم، رفيق العظم، فوزي البكري، وبعض اعيان القدس.

ان كل ما نريده هو الحصول على بيان يهدىء مخاوف العرب من ناحية الوطن القومي اليهودي ويقضي على الاشاعات التي يشيعها اليهود ، وبناء على هذا فانتم احرار في ارسال هذه البرقية ، او بابراق برقية باسم المكتب مباشرة الى وزارة الخارجية وموافاتنا بالجواب [8] » . وقد ابلغ عضوي الوفد ان البرقية ستحال الى المندوب السامي (سير ريجنالد وينجيت) . ويقول وليم ييل انه « بعد استشارة ممثل الحجاز سرا اوفد مندوبون خاصون سواء الى ملك الحجاز وابنه فيصل (في العقبة) - خصوصا وان الاخر يبدي اهتماما خاصا بسوريا - وذلك من اجل شرح الموضوع لهما ، ورجائهما تقديم احتجاج شديد للبريطانيين على اعطاء فلسطين لليهود كوطن قومي » .

تلا ذلك دعوة كلايتون ، رئيس المكتب العربي بالقاهرة ، بعض زعماء السوريين للاجتماع به وابلغهم بان برقيتهم الى المستر بلفور قد ارسلت الى وزارة الخارجية البريطانية مشفوعة بتفسير مفصل من البريطانيين . وفي برقية التفسير هذه ابلغت وزارة الخارجية بان السوريين انتابهم الفزع عند قراءة تصريح بلفور ، وانهم لا يخشون فقدان فلسطين فحسب وانما يخشون ايضا ابتلاع اليهود للشام نهائيا في حالة انشاء دولة يهودية ذات حكومة يهودية في فلسطين . وان السوريين يحتجون بشدة على خلق مثل هذه الدولة . والحت البرقية على وزارة الخارجية بألا تذهب ابعد من ذلك في وعودها للصهيونيين . ويدعي الزعماء السوريون ان كلايتون اطلعهم على رد وزارة الخارجية على برقية السلطات البريطانية في مصر ، وان الوزارة طلبت من السلطات البريطانية في مصر ابلاغ اللجنة السورية بان تصريح بلفور لم يكن ليفسر على انه يعني ان دولة يهودية او حكومة يهودية سوف تقام في فلسطين ولكنه يفسر على ان اليهود سوف يمنحون الحق في الهجرة الى فلسطين ، والاقامة فيها حيث تكون لهم نفس الحقوق ويحوزون الممتلكات وغير ذلك ، شأنهم سكان البلاد ، وان يتمتعوا بالحرية في

---

8 - الرابطة العربية - 75 - 1937/11/10.

ممارسة شعائرهم الدينية وفي اقامة وطن يهودي فيها . وقد نصح الجنرال كلايتون السوريين بانه سيكون في مصلحتهم كثيرا العمل بانسجام وتفاهم مع اليهود والارمن لتحرير بلادهم من يد الترك ، وان معارضة اليهود لم يكن لها من اثر الا تعريض قضيتهم للخطر ، كما ابلغ السوريين بانه لم يتم التوصل الى قرار فيما يختص بحل مشاكل الشرق الادنى ، وان مصير العرب والارمن واليهود امر سوف يبحث ويتقرر بواسطة مؤتمر السلام . واضاف بان الصهيونيين على جانب كبير من القوة ، وان اليهود يسيطرون في جميع انحاء العالم على رأس المال ، وانهم قد ينجحون ولا شك في تصميمهم على الحصول على فلسطين كوطن قومي لهم . وحذر العرب من انه اذا لم ينجح اليهود في الحصول على الحقوق التي يريدونها في فلسطين من الدول المتحالفة فانهم سوف يحصلون عليها من الترك ، وفي هذه الحالة فان قضية العرب سوف تصاب بالخسران . والح في النهاية على السوريين بضرورة تعاونهم مع اليهود والارمن في وجودهم لخلع نير الترك واطمأن السوريون لذلك كله « واصبحوا يعتقدون بحكمة التخلي عن معارضتهم لليهود ، واخذوا يتحدثون حتى عن التعاون مع الصهيونيين[9] » .

اوفد الزعماء السوريون في القاهرة حقي العظم في ديسمبر ١٩١٧ في مهمة الى جهة العقبة لمقابلة الامير فيصل ونقل تصريح بلفور اليه . ويقول حقي العظم انه في اثناء مناقشته مع الامير فيصل عن مستقبل سوريا وفلسطين عبر الامير عن اعتقاده بان البريطانيين سوف يستمرون في التمسك بالعراق اما سوريا فقد تتمتع باستقلال معين تحت سيادة حكومة الحجاز ولا ينظر الامير بارتياح الى تصريح بلفور ولكنه لا ينوي الاحتجاج على حصول اليهود على حق اقامة وطن قومي في فلسطين . وبعد ان شرح حقي العظم برقية الاحتجاج التي بعثت بها اللجنة السورية بالقاهرة الى وزارة الخارجية البريطانية حاول اقناع الامير فيصل بانه بصفته احد كبار القادة العرب يجب

9 ـ تقرير وليم ييل رقم 9 - 1917/12/24.

ان يحتج شخصيا على الخطأ الذي يرتكب في حق العرب باعطاء فلسطين للصهيونيين ، وانه يجب ان يؤثر على والده بصفته شريف مكة وملك الامة العربية ، للاحتجاج لدى البريطانيين والحلفاء على تصريح بلفور . ولم يستجب الامير فيصل لالحاح حقي العظم ، الذي يعتقد ان « ملك الحجاز مرتبط باتفاق مع البريطانيين بالا يتدخل في سياستهم في فلسطين[10] » .
واكد نوري السعيد نبأ وصول تصريح بلفور الى الجيش العربي القريب من العقبة اثناء القاء خطابه في مؤتمر لندن في 13 فبراير 1939 فقال « وحينما بلغ الجيش تصريح بلفور في نهاية سنة 1917 ، كان الجيش اذ ذاك قد اقترب من العقبة ، وقد عم الذعر بين كافة القوات العربية من جراء ذلك . ولذا فقد تشاورنا فيما بيننا ، واعلنا عدولنا عن الحرب في سبيل استقلال العرب بمعاونة القوات البريطانية ، ريثما يرد الينا تأكيد بان تعهدات السير مكماهون سوف تنفذ[11] » . ولما وصل هذا الخبر الى الملك حسين « عكر خاطره كثيرا ، وطلب تعريفا لمعنى الوعد ومداه . واجيب مطلبه بارسال القائد هوجارث[12] » الذي وصل جده في 4 يناير 1918 ، وقابل الحسين مرتين .

كانت الرسالة[13] التي وكل الى هوجارث نقلها ذات اثر في تهدئة خواطر الحسين واطمئنانه التام ، ومع انها كانت شفوية الا ان الحسين قام بتدوينها[14] . وقد نصت الرسالة الثالثة ، وهي اهمها جميعا ، على مايلي « لما كان الرأي العام اليهودي ، في العالم يميل الى عودة اليهود الى فلسطين ، ولما كان هذا الرأي العام لا بد ان يظل عاملا دائما ، وفضلا عن ذلك فانه لما كانت حكومة جلالته تنظر بعين الرضى الى تحقيق هذا الامل ،

---

10 ـ تقرير وليم بيل رقم 10- 1917/12/31.

11 ـ الزمان (العراقية) 564 - 1939/7/29.

12 ـ جورج انطونيوس المصدر السابق ص 375.

13 ـ هي عبارة عن ثلاث رسائل تتناول « الامة العربية والحاجة الى الوحدة »، و« الادارة الدولية في فلسطين »، و« اقامة اليهود في فلسطين ».

14 ـ جورج انطونيوس المصدر السابق ص 376.

فان حكومة جلالته مصممة على ان لا توضع عقبة في سبيل تحقيق هذا الامل ، بقدر ما يتفق ذلك مع حرية الاهالي الموجودين ، من الوجهتين الاقتصادية والسياسية[15] » . وهذا مخالف لما ورد في تصريح بلفور الذي نص على انه لا يضمن للسكان العرب سوى الحقوق المدنية والدينية ، ومع ذلك اجاب الحسين (ما دامت الغاية هي تهيئة ملجأ لليهود من الاضطهاد فانه سيبذل كل نفوذه ليساعد على تحقيق تلك الغاية ، وسيوافق على كل تدبير ، ويرى مناسبا ، لتأمين الاماكن المقدسة والاشراف عليها من قبل اتباع كل مذهب من المذاهب التي تملك لها معابد مقدسة في فلسطين)[16]. وقدم الحسين في الاشهر التالية براهين كثيرة على اخلاصه في موقفه ، ويشير نوري السعيد الى ذلك فيقول « وقد حمل جلالة الملك حسين هذه التأكيدات (ويقصد تأكيدات هوجارث) الى القوات العربية التي شرعت عندئذ في مواصلة الحرب[17] » . كذلك فانه « امر ابناءه ان يعملوا ما في وسعهم لتخفيف المخاوف التي اثارها وعد بلفور بين اتباعهم » . ويضيف انطونيوس ان الحسين نشر مقالة في القبلة عدد 182 بتاريخ 23 مارس 1918 يدعو فيها عرب فلسطين الى الترحيب باليهود[18] . ولقد اخطأ جورج انطونيوس ، وتبعه كثير من المؤرخين العرب والاجانب[19] ، فيما اورد . فان العدد الصادر في 23 مارس 1818 (الموافق يوم الخميس في 10 جمادي الثانية 1336هـ) من القبلة هو العدد 157 وليس 182 ، اما المقالة التي يشير اليها انطونيوس فقد وردت في القبلة ، عدد 183 الصادر في يوم الخميس 13 شعبان 1336 هـ، الموافق 23 مايو 1918، وهي بعنوان (الحكمة ضالة

15 ـ الوثائق الرئيسية ص 77.
16 ـ جورج انطونيوس المصدر السابق ص 376.
17 ـ الزمان 564 - 1939/7/29.
18 ـ جورج انطونيوس المصدر السابق ص 377.
19 ـ انظر انيس الصايغ : المصدر السابق، ص 67.
Albert M. Hyamson : Palestine, a Policy, London, 1942, p. 104

المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها). ونحن لا نرى في هذه المقالة ما يشير الى الدعوة لهجرة اليهود الى فلسطين، بل هي دعوة صريحة لعودة المهاجرين الفلسطينيين الى البلاد، بما لهم من خبرة ووفرة مال. لكن المقالة من جهة اخرى، فيها تضليل لفظي ظاهر وخادع في نفس الوقت[20].

ومهما يكن فان موقف الحسين عموما يتضح من الرسالة التي بعث بها الى نائب الملك في مصر وهي مؤرخة في 20 ذي القعدة 1336 هـ (الموافق 27 اغسطس 1918) بخصوص (مقررات النهضة)،وهي منشورة بكاملها في القبلة عدد 391، الصادر يوم الخميس في 23 رمضان 1338 هـ (الموافق 10 يونيه 1920)، وقد ورد فيها ما يلي بالحرف الواحد « نعم، اني لم اجد من جناب الفاضل الاديب المستر استورس عند اجتماعي بحضرته في السنة الاولى بجدة، ثم بعده بحضرة الشهم الهمام السير مارك سايكس، ثم في السنة الماضية بالقومندان الهمام هوغرث الموقر ما يشير الى ما يخالف او يخل بتلك المقررات ».

هذا هو الموقف العربي خارج حدود فلسطين بالنسبة لوعد بلفور ، اما في داخلها فقد اختلف الوضع الى حد كبير ، ذلك ان العرب في فلسطين كانوا على صلة اوثق باليهود ، وشهدوا عن قرب نمو المستوطنات اليهودية خلال الخمسة والعشرين عاما التي سبقت اعلان تصريح بلفور . ومما لا شك فيه ان خبر التصريح قد وصل الى فلسطين قبل دخول الجنرال اللنبي مدينة القدس في 11 ديسمبر 1917 . وذلك ان جريدة المقطم ، التي نشرت نص التصريح في 10 نوفمبر 1917 ، كانت احدى الجرائد الرسمية التي دخلت فلسطين مع دخول الحملة المصرية في يونيه 1917 . هذا بالاضافة الى ان « الفلسطينيين الذين دخلوا الى فلسطين مع القوات البريطانية حملوا معهم نسخا من تصريح بلفور وبرقية الاحتجاج السورية[21] » . وقد ظهر رد

---

20 ـ انظر الملحق رقم ١٢ .
21 ـ تقرير وليم ييل رقم 5 - 1917/11/26 .

الفعل الاولي لتصريح بلفور في القدس من تقرير الكولونيل ديدس الى المندوب السامي بمصر في 16 ديسمبر 1917 حيث قال « وقد احدث « اي تصريح بلفور » قدرا غير ضئيل من المخاوف بين العناصر التي بلغني انها تحاول مقابلتي » . وفي ١٩19 ديسمبر رفع ديدس تقريرا اخر لاحظ فيه توتر العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين نتيجة للتصريح وقال ان المستعمرين اليهود « يعلنون عن رغبتهم بان يصبحوا في حالة اكتفاء ذاتي دون حاجة الى اليد العامة العربية . . . . ويلاحظ كذلك من حين الى اخر شعور بالعداء للعرب يبادلهم هؤلاء بمثله . ولقد ازداد هذا الشعور في الآونة الاخيرة حدة ، وذلك كما تعلمون بسبب اعلان بلفور . والاحتكاك ، بكلمة مختصرة ، ليس ببعيد[22] » . كما كشف وايزمن عن مخاوفه من عرب فلسطين في رسالة مؤرخة في 14 يناير 1918 بعث بها الى القاضي براندیس[23] .

لم يستقبل عرب فلسطين الاحتلال البريطاني بالترحاب ولكنهم ايضا لم يقاوموه ، ذلك على اعتبار ان بريطانيا كانت حليفة العرب في الحرب ، وان سلطات الاحتلال فرضت الاحكام العسكرية في فلسطين منذ 24 اكتوبر 1917 ، وقبل ان تحتل بئر السبع ، وهي اول مدينة احتلتها القوات البريطانية في فلسطين . ومع ذلك حاولت الصحافة البريطانية وعلى رأسها (الكوكب) ، نشر مقالات مشبوهة لتغطية ما اعتمل في نفوس عرب فلسطين من اثر سيء للاحتلال ، فنشرت مقالا بعنوان (ابتهاج اهل فلسطين بانقاذ بريطانيا لهم)[24] . وكتب احمد شاكر الكرمي ، احد الذين تعاونوا مع سلطات الاحتلال البريطاني ، مقالا عنوانه (طوبى لك يا اورشليم)[25] ابتهاجا بدخول القوات البريطانية القدس . وتقارن (الكوكب) بين دخول

---

22 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 104.

23 ـ Stein, op. cit., pp. 360 - 1

24 ـ الكوكب 71 - 1917/12/4.

25 ـ الكوكب 1917/12/18. يلاحظ هنا استعمال كلمة (اورشليم) العبرية بدلا من (القدس) العربية.

اللنبي القدس وبين دخول عمر بن الخطاب اليها فتقول « ان دخول الجنرال اللنبي القدس لا يشبهه دخول احد من الفاتحين لتلك المدينة في التاريخ الا دخول عمر بن الخطاب الذي كان مرفوقا بالتسامح الديني . فان البريطانيين سيبذلون جهدهم في تأسيس الحرية الدينية والسياسية ايضا لجميع المذاهب التي تحترم اورشليم واماكنها المقدسة وتغار على بقائها[26] » . وتضغط السلطات العسكرية البريطانية على زعماء الخليل التقليديين ، فيرسلون كتابا الى الشريف حسين « حليف دولة انجلترا الفخيمة في 8 فبراير 1918 مؤكدين بانهم « صادقون في محبتها متهالكون في خدمتها[27] » . ويقيم ادباء القدس في 28 فبراير 1918 « احتفاء بالكولونيل ستورز[28] » .

كل هذه الجهود التي بذلتها السلطات العسكرية مباشـرة ، او بالواسطة ، لم تسفر عن رضى الاهالي عموما بالصهيونية او بقوات الاحتلال . وكانت تقارير كلايتون الاسبوعية الصادرة من القدس تتحدث باستمرار عن قلق الفلسطينيين من النشاط الصهيـوني وفقدان ثقتهم بـ « السياسة الصهيونية » لبريطانية ، وان « المثقفين من المسلمين لا يزالون قلقين مما يرون فيه الافضلية في معاملة اليهود ومن احتمال السيطرة اليهودية[29] ». واضطرت الحكومة البريطانية ازاء الاوضاع في فلسطين، والاوضاع العربية الاخرى في مصر والعقبة، الى السماح لبعثة صهيونية بزيارة مصر وفلسطين لشرح السياسة التي ينطوي عليها تصريح بلفور، وتهدئة مخاوف العرب.

وصلت البعثة الصهيونية الى القاهرة في 12 مارس 1918 ، « فاحتفل بها يهود الاسكندرية ، كما احتفل يهود مصر واولموا لها الولائم الكبرى[30] وضغطت السلطات البريطانية في القاهرة على عملائها من السوريين العرب لمقابلة البعثة والتفاوض معها بشأن التخفيف من رد فعل عرب فلسطين تجاه

---

26 ـ الكوكب - 74 - 1917/12/25.,

27 ـ انظر الملحق رقم 11

28 ـ المقطم

29 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 107.

30 ـ الرابطة العربية - 75 - 1937/11/10.

البعثة . ورضخوا وتمت الاجتماعات باشراف المكتب العربي في فندق شبرد[31] . وكانت المسألة الاولى التي اثارها السوريون تتصل بما اذا كان في نية الصهيونيين العمل من اجل اقامة حكومة يهودية في فلسطين . فاكد وايزمن انه ليس للصهيونيين رغبة في اقامة حكومة يهودية ، وقال ان الصهيونيين يدركون انها تضر بمصالحهم . وقد ارتاح السوريون كثيرا بعد ان تلقوا من وايزمن تأكيدا بأنه يجب الا ينتابهم خوف من انشاء حكومة يهودية . ثم نوقشت المسألة الثانية التي اثارها السوريون ، واخبرهم وايزمن بانهم يجب الا يقلقوا حول الاماكن المقدسة ، حيث انه ليس لدى الصهيونيين ادنى فكرة حول التدخل في اماكن العبادة المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين . واكد وايزمن على حقيقة مؤداها ان اليهود جنس بلا وطن خاص بهم ، وانهم قاسوا الظلم طوال العصور في كل بلاد العالم . وان كل ما يسعون اليه هو الحضور الى فلسطين كملجأ ، حيث يستطيعون ان ينعموا بالحرية ، وحيث لا يرغبون الا في انشاء وطن قومي وفكري لكل اليهود ، وحيث يحضرون كلاجئين وليسوا كغزاة . كما اشار الى رغبتهم في انشاء جامعة عبرية في القدس حيث يمكن ان تصبح مركزا للثقافة اليهودية للشعب اليهودي . واتصلت المسألة الثالثة التي طرحت للبحث بقضية شراء اليهود للارض في فلسطين ، لان السوريين كانوا يخشون من انه في ظل حالة الخراب والبؤس التي تشمل فلسطين ، ان يتمكن اليهود بمواردهم المالية الضخمة من شراء مساحات كبيرة من الارض من الملاك الفقراء الذين لم يكن امامهم خيار الا بيع ممتلكاتهم . وقد اجاب وايزمن بانه قد طلب شخصيا من مستر بلفور بالا يسمح ببيع وشراء الاراضي في فلسطين حتى نهاية الحرب[32] .

وازاء طلب البعثة الصهيونية ان يعبر السوريون عن آرائهم وافكارهم في المسائل المتعلقة بمستقبل العلاقات بين اليهود وسكان فلسطين ، اقترح

31 ـ من الذين حضروا الاجتماعات : فارس نمر، رفيق العظم، السيد رشيد رضا، عبد الرحمن الشهبندر، الشيخ كامل القصاب، خالد الحكيم. انظر الرابطة العربية 75 - 1937/11/10.

32 ـ تقرير وليم ييل رقم 22 - 1918/4/8.

احد السوريين ان تمثل الحكومة المقبلة في فلسطين تمثيلا يتناسب مع اعداد اليهود والمسيحيين والمسلمين ، الذين يمكن حماية مصالحهم بهذه الطريقة فقط ، وانه من اجل حماية حقوق اليهود يجب ان يكون لهم تمثيل مستقل في الحكومة . واستطرد فقال انه يأتي الوقت الذي سيصبح فيه اليهود اغلبية ، وعندئذ لن تضار حقوق المسيحيين والمسلمين بعدم حصولهم على تمثيل مستقل . وقد حظي الاقتراح بموافقة البعثة الصهيونية ، كما اقترح السوريون تشكيل مجلس من اليهود والمسلمين والمسيحيين ، لا يخضع لسيطرة الحكومة ، ليتولى بحث وتسوية الخلافات بين افراد الديانات المختلفة . . . وقد لاحظ الميجور اورمسبي غور ان مثل هذا المجلس اذا لم يكن هيئة حكومية فان ضرره سيكون اكبر من نفعه ، وانه سوف ينتزع سلطات حكومية .

وذكر السوريون وجوب حماية سكان فلسطين ضد انتزاع املاكهم واقترحوا وجوب سن قانون مماثل لقانون الخمسة افدنة في مصر[33] ، والذي وجد المزارع المصري الصغير فيه الحماية ضد بيع ارضه وبيته وادواته الزراعية مقابل ديونه . وطالب السوريون بان تزداد مساحة الارض التي تشملها الحماية ضد نزع الملكية فتتضاعف عن الخمسة افدنة ، نظرا لان الارض في فلسطين اقل خصوبة منها في مصر . اما فيما يختص بالارض اللازمة لتوسيع المستوطنات اليهودية ، فقد اقترح السوريون تخصيص مساحات كبيرة من الاراضي الحكومية غير المزروعة وغير المأهولة لتعرض للبيع ، واعطاء اليهود فرصة شراء هذه الاراضي ، وتخصيص حصيلة هذه المبيعات لانشاء بنك زراعي ـ مماثل للبنك الزراعي في مصر ـ يمنح الفلاحين قروضا لضمان محاصيلهم تحت اشراف الحكومة التي لا

---

33 ـ اصدرت الحكومة البريطانية في مصر، في 28 نوفمبر 1912، قانونا يقضي بعدم جواز الحجز على اطيان من يملكون خمسة افدنة، ونص على انه لا يجوز الحجز ايضا على مسكن المالك وملحقاته، ودابتين من الدواب التي تستخدم في الحرار والادوات الزراعية التي تستخدم في فلاحة الارض. انظر احمد محمد حسن وايزيدور فلدمان : مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها في مصر، مطبعة مصر 1926، القانون رقم 31، لسنة 1912، ص141

تسمح بتحصيل فائدة مبالغ فيها .

وشكا السوريون من الموقف الذي وقفه اليهود والصهيونيون في فلسطين في الماضي ، وذكروا ان قصر التجارة عليهم اضر بالعرب ، وان تعصب اليهود يجب ان يتوقف وقد اثارت هذه الملاحظات غضب اهارون هارنشون[34] الذي وصفها بالاكاذيب . وذكر السوريون انهم لا يرغبون في بحث ما اذا كانت هذه الاساءات موجودة ام لا ، وانهم لا يحاولون في الوقت الحاضر اثبات وجودها ، لكنهم يرغبون فقط في ان يوضحوا للبعثة الصهيونية انه في كل انحاء فلسطين يسود اقتناع بين الاهالي بان الصهيونيين مارسوا مثل هذه الاساءات التي لا مفر من ان تثير سخط وعداوة السكان ضد اليهود . واضاف السوريون انه اذا كانت البعثة الصهيونية مخلصة في رغبتها في تهدئة العرب ، فانها يجب ان تعرف وتتأكد ان الاهالي في فلسطين متأكدون من وجود هذا التفضيل غير العادل لليهود ، لانها اذا علمت بهذا الشعور لدى السكان فسوف تتخذ الخطوات للقضاء عليه ، وبذلك تضع الاساس لعلاقات افضل بين اليهود والعرب في المستقبل[35]

هذا ما تم التوصل اليه بين البعثة الصهيونية برياسة وايزمن ، وبين الزعماء السوريين في القاهرة باشراف السلطات البريطانية . ومع التخاذل الواضح في موقف الزعماء السوريين ، والمغالطات الصريحة المكشوفة في ردود وايزمن ، فقد سجل الاخير تصوره للعرب والعقلية العربية بعد المباحثات التي جرت في القاهرة . قال وايزمن « العربي يحسن الجدل ويبدع في المناظرة ، اكثر بكثيرمن المثقف الاوروبي العادي ، وما لم تكتسب اسلوبه ، تبقى متخلفا جدا

---

34 ـ رئيس محطة التجارب الزراعية اليهودية في عتليت بفلسطين، وهو مؤسس منظمة التجسس المعروفة بالنيلي Nili (الاحرف العبرانية الاولى من عبارة « نصيح اسرائيل لا يكذب »، الواردة في سفر صمويل الاول 15· 29)، وجاسوس بريطاني، عمل في مكتب هيئة اركان الحرب البريطانية في القاهرة كمساعد للجنرال اللنبي .

35 ـ تقرير وليم ييل رقم 22 -1918/4/8.

عن مجاراته . والعربي ، بنوع خاص ، يملك موهبة هائلة في التعبير عن آراء تتعارض بشدة مع آرائك باسلوب يتحلى بالتهذيب الرفيع والمتأنق الى جانب الالتواء حتى يخيل اليك انه على اتفاق تام معك وعلى استعداد كلي للتكاتف والتحالف معك في الحال . والمحادثات والمفاوضات مع العرب لا تختلف عن مطاردة السراب في الصحراء : ملأى بالوعد ويحسن التطلع اليها ، لكنها قد تقودك الى الموت عطشا . السؤال المطروح بشكل مباشر يعني الخطر : اذ يثير في نفس العربي تراجعا ماهرا وتغييرا كليا لموضوع الحديث . عليك ان تحاور وتناور وتدور وتلف حول المشكلة ، كما قد يستغرقك الوصول الى صلب الموضوع وقتا طويلا ، لا نهاية له[36] » . وسنرى ان وايزمن اتبع هذا الاسلوب في محادثاته في فلسطين .

على اثر التفاهم الذي تم مع وايزمن والبعثة الصهيونية ، طلب بعض زعماء السوريين في القاهرة من السلطات البريطانية السماح لهم بالذهاب الى فلسطين بهدف صريح وهو « شرح موقفهم نحو الصنهيونية ، وذلك ليوضحوا لاهل فلسطين ان مصالحهم (اي اهل فلسطين) تكمن في عدم معارضة الصهيونية » ، وبذلك يحولون دون وقوع خلاف بين العرب والصهيونيين. واقترح كورنواليس ـ رئيس المكتب العربي بالقاهرة ـ على كلايتون « ان يسمح لعدد معين من السوريين ـ الذين يمكن الثقة بهم (اي الموالين للسياسة البريطانية) ـ بالذهاب الى فلسطين للتباحث مع الزعماء العرب هناك واجاب الجنرال كلايتون بانه ليست هناك فرصة لذلك ، ما دامت الحالة في فلسطين لم تخرج من ايدي البريطانيين » . وكان رفض كلايتون قائما على اساس انه استطاع اقناع كلا من فوزي البكري ورفيق العظم واحد افراد آل النشاشيبي وواحدا من افراد آل عبد الهادي « بان يتصلوا باصدقائهم في فلسطين وذلك بقصد التهدئة من مخاوفهم

36 ـ انظر اسعد رزوق المصدر السابق ص 377 .Weizmann, op. cit., p. 216

وتطمينهم[37] . ». ولكن كلايتون فوجيء بمظاهرات عرب فلسطين ضد البعثة مما دفعه الى الاسراع بطلب ايفاد بعض الزعماء السوريين من القاهرة الى فلسطين . وحدث كل ذلك عقب وصول البعثة الصهيونية الى القدس في 10 ابريل 1918 .

رتب ستورز اجتماع القدس ، الذي القى فيه وايزمن اول خطاب له في فلسطين المحتلة ، في 27 ابريل 1918 ، بحيث جمع الافراد الثلاثة البارزين من آل الحسيني (كامل الحسيني مفتي القدس ، موسى كاظم الحسيني رئيس البلدية ، اسماعيل الحسيني مدير المعارف) وهم « الذين يمكن اعتبارهم ، بالنظر الى المراكز الرسمية التي يشغلونها والاحترام العام الذي يتمتعون به لا في القدس وحدها بل في جميع الاجزاء الجنوبية من فلسطين ، اكثر الزعماء العرب تمثيلا للجزء المحتل من فلسطين » وذلك كما يقول اورمسبي غور في رسالة مؤرخة 19 ابريل 1918 بعث بها الى المستر بلفور[38] . وقد نجح ستورز في عقد الاجتماع على تلك الصورة لانه « منذ جاء لم يعرف الا المفتي (كامل الحسيني) وبعض افراد الاسرة الحسينية . لا يصدر الا عن رأيهم ولا يصدرون الا عن رأيه » وذلك كما سجل السكاكيني في مذكراته[39] :

رد كامل الحسيني على وايزمن شاكرا ، وقال « ان هذا الشرح قد ازال كثيرا من الاوهام التي كانت عالقة بالاذهان والمخاوف التي كانت تساور النفوس » . وتمنى ان « يعمل الجميع معا بوحدة المقصد ، لان تلك هي الطريقة الوحيدة لخير فلسطين[40] » . كان هذا الرد متفقا تماما ومصلحة (الطبقة البورجوازية العليا) التي تخوفت على مركزها الاقتصادي من المنافسة الصهيونية ، وخافت بالتالي على مركزها الاجتماعي . ونقلت

---

37 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 109.

38 ـ المصدر السابق ص 110.

39 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 172.

40 ـ ج ف ع 5 - 1918/5/9.

السلطات البريطانية وايزمن الى يافا ، ليخطب في 8 مايو 1918 في دار الحكومة ، في اجتماع حضره راغب ابو السعود قاضي يافا ، ورؤساء طوائف اللاتين والروم الاورثوذكس والروم الكاثوليك والارمن والحاخامباشي واعضاء الجميعة الاسلامية المسيحية (الجمعية الاهلية) فيها . وبعد ان القى وايزمن خطابه ، قام راغب ابو السعود فشكر وايزمن « من اجل العواطف الشريفة التي ابداها » ، واكد ان فلسطين ، والقدس خاصة ، هي « كعبة ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم ، وسبعمائة مليون مسيحي ، واربعة عشر مليون اسرائيلي » ، وان « اهالي يافا من مسلمين ومسيحيين من احسن الامم امتزاجا مع غيرهم ، وان عنصري الاسلام والنصارى سيعاملان مواطنيهم الاسرائيليين احسن معاملة ، ما دامت الامة الاسرائيلية قائمة بحقوق هاتين الامتين ، مطبقة هذه التصريحات (اي تصريحات وايزمن) على اعمالها » . ثم وجه الشكر الى بريطانيا « لأنها ستكفل حقوق هذه الامم وتضمن سلامتها وتبسط جناح المساواة عليها » ، وطلب من بريطانيا ان « يكون للمسلمين والمسيحيين من اهالي فلسطين مندوبون ، حينما وحيثما تصل مذاكرة بهذا الشأن[41] » .

ونحن نلاحظ على رد راغب ابو السعود ما يلي :

1) ذكر الطوائف الدينية التي تعتبر القدس « كعبة » لها، وان (الاسرائيليين) وعددهم ١٤ مليونا فقط هم اقل الطوائف عددا.

2) لم يذكر (اليهود) او (الصهيونيين) بل اورد كلمة (الاسرائيليين) باعتبارها اكثر ورودا من كلمة (اليهود) في القرآن الكريم.

3) لم يرحب بالهجرة اليهودية ولم يشر اليها، انما اورد كلمة (مواطنيهم الاسرائيليين) اي الذين يقطنونِ فلسطين في ذلك الوقت.

4) اشترط لحسن معاملة المسلمين والمسيحيين لليهود ان يعامل (الاسرائيليون) ابناء الطائفتين الاخريين بالمثل.

---

41 ـ ج ف ع 6- 1918/5/16.

5) طلب من بريطانيا (بسط جناح المساواة) على الطوائف الدينية جميعا دون تمييز.

6) طالب بريطانيا (بأن يكون للمسلمين والمسيحيين من اهل فلسطين مندوبون) عند بحث مشكلة فلسطين، ولم يأت على ذكر اليهود.

7) اختلف رد راغب ابو السعود عن رد مفتي القدس، باعتبار ان يافا ميناء فيه عدد لا بأس به من العمال، وكان الميناء مغلقا حتى هذا الوقت، ولم تكن سيطرة اليهود التجارية على المدينة تتعدى الثلث، هذا بالاضافة الى وجود (الجمعية الاهلية) التي مثلت العناصر الاسلامية والمسيحية في المدينة. وكان رد ابو السعود طبيعيا ايضا، اذ لم ترحب يافا بالبعثة الصهيونية، بل واجهتها بمظاهرة عنيفة.

اضطر كلايتون، تحت ضغط الظروف في فلسطين، الى (استيراد) الوفد العربي السوري من القاهرة الى فلسطين للعمل من اجل تهدئة الحالة بعد المواجهة العربية للبعثة الصهيونية. وقد تشكل الوفد من رفيق العظم (سوري مسلم من دمشق ومرتبط بالمكتب العربي بالقاهرة)، وسليمان ناصيف (لبناني بروتستانتي، تاجر ومرتبط بالمكتب العربي بالقاهرة)، ومختار الصلح (جاسوس بريطاني، ضمه كلايتون الى الوفد، ولا يثق فيه السوريون). وقد وصل الوفد بالفعل الى القدس، بطريق السكة الحديدية العسكرية، في اوائل مايو 1918 . وفي 17 منه، خطب رفيق العظم في مؤتمر ضم زعامات القدس التقليدية. وقد بسط في كلامه « شيئا من احوال العرب في جاهليتهم وفي صدر الاسلام، وذكر فتوحهم واعمالهم ومفاخرهم واقبالهم على العلم والادب ولا سيما في عصر الرشيد والمأمون، وما كان لهم من المدنية والحضارة وامتداد السلطان، واستشهد بكثرة المؤلفين والعلماء والمصنفين، الى ان دخلوا في حوزة الاتراك، وقاسوا ما قاسوه في حكمها من المذلة والمسكنة وتفرق الشمل وكساد العلم والادب وضعف العزائم. واشار الى الحرب العوان التي اضرمتها تركيا (هكذا وردت)

على العرب والعربية والقومية، وما كانت تتذرع به من وسائل الجور والظلم لخنق العلم وقتل النشاط في الامة. وقابل بين تلك الحالة المحزنة وما رآه الآن في فلسطين من اسباب التضافر والتآزر. وشكر بلسان العرب جميع اعمال الحكومة وعنايتها بشؤون الامة من كل وجه. وذكر ما للجنرال اللنبي من الايادي البيضاء على هذه البلاد لتحريرها من ربقة الظالمين الفجار (هكذا). وتمنى اخيرا لفلسطين النهوض الحقيقي مما كانت فيه من الخمول، ولسوريا ان يتم لها ما تم لشقيقتها من الحظ». ثم قال ان «اخواتكم في مصر يرقبون كل فرصة لامدادكم بكل مساعدة لاحياء زراعتكم وصناعتكم والاخذ بيدكم، لترقوا ما شئتم وما شاءت همتكم في مدارج العمران والنجاح. ولكن هذه الاماني لا تتحقق الا اذا التففتم بعضكم حول بعض، وجمعتم شملكم ووحدتم كلمتكم وعناصركم، واحييتم في مجموعكم الشعور الوطني، وقدمتم حبكم لبلادكم واخلاصكم اليها على كل حب واخلاص[42]».

لم يكن الاجتماع الذي القى فيه رفيق العظم خطابه هو الوحيد، بل عقد الوفد السوري اجتماعات عدة مع زعماء المسلمين والمسيحيين في القدس. وطبقا لتصريحات الوفد «يبدو ان الزعماء في القدس راضين عن الحكم البريطاني ولا يطلبون افضل منه»، لكنهم «يعارضون الصهيونية كثيرا، ويقولون انهم لن يحتملوا حكومة يهودية، وانه لا المسلمون والمسيحيون سبق ان اعتادوا حكم اليهود. وانهم يرفضون الخضوع لحكومة يهودية». وقد شكوا بمرارة من «الافضلية التي يلقاها اليهود في المسائل التجارية، وحيث انهم الوحيدون الذين سمح لهم باستيراد السلع من مصر، فهم يتقاضون اثمانا باهظة لكل شيء يستوردونه من مصر». كما شكوا من الموقف العام للاهالي اليهود، الذي وصفوه بانه «موقف متعجرف ازاء المسلمين والمسيحيين». وهم يحتجون على الاجتماعات والاستعراضات المستمرة بين اليهود وما يصحبها من عرض الاعلام الصهيونية بتباه، الامر

42 - ج ف ع 8 - 1918/5/30.

الذي يثير الناس ويجعلهم اكثر سخطا على الصهيونيين. وقد لفت الوفد السوري نظر زعماء القدس الى ان اليهود على الرغم من احتكارهم التجارة وقيامهم بعروض استفزازية، الا ان كل المراكز السياسية في الحكومة قد اعطاها البريطانيون للمسلمين والمسيحيين [43] . ونصحهم بان يغيروا موقف الريبة والشك ازاء سياسة البريطانيين نحو الصهيونية، ويطمئنوا الى ان البريطانيين لن يسمحوا لليهود بحكم المسلمين والمسيحيين وظلمهم.

اما بالنسبة لاقامة حكومة يهودية وطرد سكان فلسطين من بيوتهم بشراء الاراضي على نطاق واسع، فقد شرح الوفد لزعماء القدس الخطوات التي اتخذت في مصر، والبرقية التي ارسلت الى المستر بلفور والرد عليها الذي وصل عن طريق السلطات البريطانية، والبرنامج الذي وضعه السوريون وقدموه للبعثة الصهيونية، والرد الذي تلقوه من وايزمن واورمسبي غور. واكد الوفد للزعماء ان مخاوفهم لا اساس لها، وان الصهيونيين ليست لديهم فكرة انشاء دولة يهودية او توليهم السيطرة على الحكومة في فلسطين، وان القوانين سوف تحمي الفلسطينيين من بيع اراضيهم لليهود.

وفيما يختص بالمسائل التجارية اقترح الوفد انه يجب على الحكومة ـ بمعونة تجار القدس وتعاونهم ـ استيراد البضائع من مصر، وفتح مستودعات للبيع بالجملة، يستطيع التجار ان يزودوا منها محلاتهم. وقد وضعت امام حاكم فلسطين العسكري خطة من هذا النوع، واحيلت الى سلطات البلدية لبحثها.

وقبل مغادرة الوفد للقدس، عقد اعضاؤه لقاء مع الجنرال كلايتون، وسألوه عما اذا كان قد اصدر موافقته على البرنامج الذي قدم للبعثة الصهيونية، وما اذا كان يخول لهم عقد اجتماعات في يافا، واذاعة الاتفاقات

---

43 ـ في هذا القول مغالطة واضحة، اذ لم يتول وظائف جديدة من المسلمين والمسيحيين الا ثلاثة هم موسى كاظم الحسيني (للبلدية) اسماعيل الحسيني (للمعارف)، وجبرائيل حداد مساعدا لستورز حاكم القدس.

التي تم وصول الصهيونيين والزعماء السوريين في مصر اليها حول وضع اليهود السياسي والتسويات الخاصة بشراء الصهيونيين للاراضي، والمحافظة على اللغة العربية كلغة رسمية لفلسطين، وحماية الاماكن المقدسة وغير ذلك. ورد كلايتون بانه لا يستطيع الموافقة على اقتراحات السوريين هذه لان الوقت غير مناسب لاتخاذ اية خطوات بخصوص مستقبل فلسطين، ومع ذلك فقد ذكر ان مطالب السوريين تبدو معقولة بما فيه الكفاية، ولم يخولهم اية سلطة لعقد اجتماعات ومناقشة هذه الامور مع السكان، كما انه لم يمنعهم من ذلك. وخرج اعضاء الوفد بانطباع مؤاده ان كلايتون لا يريد ان يلزم نفسه او الحكومة البريطانية باي برنامج، لكنه لن يعترض على قيامهم بما يرونه مناسبا في الموضوع[44].

وصل الوفد الى يافا في 22 مايو 1918 (45) ، « واستقبلهم اهالي المدينة العرب استقبالا حافلا، فخرجوا في اعداد كبيرة زادها اهالي الرملة والقرى المجاورة الذين جاؤا للترحيب بمواطنيهم القادمين من مصر». واعتبر الوفد هيئة رسمية « جاءت الى فلسطين لرعاية مصالح الفلسطينيين، مثلما ترعى البعثة الصهيونية مصالح اليهود». وبينما كان اعضاء الوفد يجولون في شوارع يافا « كانت جماهير كبيرة تحييهم وتنشر الازهار في طريقهم، وزينت المنازل وازدحمت الشرفات بالسيدات والاطفال[46] ».

نزل الوفد ضيفا على محمود السعيد احد وجهاء يافا، وعقد اجتماع عام في يوم الاثنين 27 مايو 1918 في نادي (الجمعية الاهلية). رحب جرجس العيسى باسم الجمعية بالوفد، وتلاه عزيز عريضه (احد وجهاء المسيحيين في المدينة)، فرحب بالقادمين، واعرب عن عظيم آمال الامة العربية بزعمائها، وشكرهم على جليل خدماتهم في مصلحتها »، وختم

44 ـ تقرير وليم ييل رقم 29- 1918/5/27.

45 ـ الكوكب97 - 1918/6/4.

46 ـ تقرير وليم ييل رقم 29 - 1918/5/27.

كلامه بالدعاء للعرب « ولدولة بريطانيا العظمى ». ثم تلاه عيسى السفري الذي تمنى ان يوفق الوفد الى مثل هذا الاجتماع قريبا في سوريا. ثم قام رفيق العظم فشكر الخطباء والحاضرين خاصة، وعرب فلسطين عامة « لاتحاد كلمتهم ونبذ التعصب الديني من بينهم »، وحض الجمهور « على العمل بوسائل الرقي العلمي والتجاري والزراعي » ووعدهم « بمد يد المساعدة على قدر الامكان ». وتطرق الى الكلام عن تاريخ العرب في سوريا وفلسطين قبل الاسلام وبعده، واشار الى اجدادهم (الفينيقيين) وما وصلت اليه تجارتهم واستعمارهم، وكيف انقرضت الدول التي عاصرتهم، وهم الى الآن احياء يدافعون عن كيانهم « بالوسائط القانونية »، ونوه بخدمات الجمعيات العربية في مصر واميركا وغيرها.

ثم قام سليمان ناصيف فذكر المفاوضات « التي جرت مع حكومة بريطانيا العظمى » من جهة ومع البعثة الصهيونية من جهة اخرى، وما نتج عن ذلك من « منع بيع الاملاك مدة الحرب، وقرب فتح فرع بنك زراعي في يافا لمعاونة الوطنيين وتسهيل امر التجارة مع مصر، وسن قانون خاص يشبه قانون الخمسة افدنة المصري ». وحض على السعي، ووعد بالمساعدة التجارية على حسابه الخاص. واثبت ما للحكومة من العطف على عرب فلسطين. وتلاه مختار الصلح، فبين ما قامت به الجمعيات العربية من الاعمال العظيمة، وبث الدعوة في العراق. ووصف الحملة الحجازية ورجالها المجاهدين، وبشر الجميع بقرب وصول معتمد السيد الشريف للتحريض على التطوع للحملة المذكورة، وتمنى منهم مساعدته[47]

لم يخرج الوفد السوري في احاديثه الخاصة والعامة عن الخط الذي رسمته له السلطات البريطانية في القاهرة. وقبل ان يغادر الوفد يافا، عقد اجتماعا مع حاكمها العسكري البريطاني، الذي شكر الوفد لجهوده « من اجل خلق شعور افضل بين الوطنيين واليهود »، واكد ان « عملهم كان له اثر

---

47 ـ ج ف ع 8 - 1918/5/30

محمود ». وقد اثار الوفد مسألة التجارة وعرض شكاوى اهالي يافا، ورسم خطة مشابهة لتلك التي اقترحها في القدس، من اجل الشراء التعاوني بالجملة. ورد الحاكم بانه سعيد جدا لان الوفد اثار هذه المسألة وان المشروع سوف يلقى الاعتبار الجدي. وقال ان مسألة احتكار اليهود للتجارة مع مصر كانت تشغل باله، وانه كان يبحث اجراءات بمنعه. واستطرد فقال ان « الخطأ ليس كله خطأ السلطات (البريطانية)، ولكنه ايضا خطأ المسلمين والمسيحيين الذين لم يستطيعوا مواجهة النظم الضرورية، بينما كان اليهود على العكس سريعين في مواءمة انفسهم بالظروف الجديدة، والامتثال للنظم العسكرية فيما يختص بالتجارة مع مصر ». وقال انه « شعر بالاسف وهو يرفض مضطرا طلبات كثير من التجار المسيحيين والمسلمين التي لم تكن تتفق مع التنظيمات والقواعد »، وذكر انه « يرحب بأية خطط تخفف هذا الوضع ».

وبعد اجتماع الوفد السوري بحاكم يافا العسكري، تم اجتماع آخر بين الوفد وبين وايزمن واعضاء البعثة الصهيونية[48] . وذكر وايزمن انه شعر بخيبة امل بعد خطابه في يافا، وانه « لم يكن يقصد تهديد العرب »، وانهم « اساءوا فهم مضمون حديثه ». ورد اعضاء الوفد بانهم لم يسمعوا حديثه الاصلي، ولكنهم قرأوا الترجمة العربية، التي وجدوا انها كانت تهديدية في لهجتها. وقد شعر اعضاء الوفد ان وايزمن تأثر كثيرا بمظاهرة اهل يافا، وانه نتيجة لذلك سيحاول الصهيونيون ان يكونوا اكثر ميلا للسلام في موقفهم ازاء العرب. وابلغ الوفد وايزمن انه الح على زعماء يافا بضرورة كبح الاهالي من اظهار اي شعور سيء نحو اليهود، كما نصح اعضاء الوفد وايزمن، بمنع اليهود من القيام باي مظاهرات غير ضرورية، واظهار انفسهم بمظهر مثير استفزازي وغير ودي نحو العرب[49] .

ومهما يكن فان جهود الوفد السوري في نهاية الامر لم تسفر عن

48 ـ P.D. vol. 107, col. 903

49 ـ تقرير وليم بيل رقم 29 - 1918/5/27.

تخفيف حدة التوتر بين العرب والصهيونيين. واذا كان الوفد قد اشار الى امكانية تأليف (جمعيات اسلامية ـ مسيحية) فان الشعب، خاصة في يافا، كان اسبق من الوفد الى هذا العمل. فقد اشار كلايتون في تقرير مؤرخ في 13 فبراير 1918 الى انه « توجد في يافا حركة في صفوف المسلمين والمسيحيين ترمي الى المطالبة بتعيين لجنة رسمية للسهر على مصالح المسيحيين والمسلمين، تبنى على اساس خطوط مماثلة لتلك التي بنيت عليها اللجان اليهودية [50] ».كما وردت اشارة فيالكوكب ع(84) 1918/3/5 وهي « وقد يكون من النافع تأليف لجنة من الاهالي العرب المسلمين والمسيحيين » للعمل « على طريقة تضمن المصلحة العامة التي لا يجوز العبث بها ». واسفرت جهود اهل يافا عن تأسيس (الجمعية الاهلية). وتورد (جريدة فلسطين) عن تأسيسها ومهمتها واعضائها ما يلي « كانت الحالة في ابتداء الاحتلال (البريطاني) تستدعي وجود اناس قادرين على التفاهم مع الحكومة لتسهيل امور الوطنيين الضرورية، وتسييرها على طريقة تكفل صيانة حقوقهم. وقد قامت الجمعية الصهيونية (يقصد البعثة الصهيونية) بهذه الخدمة لليهود حق القيام. واما الوطنيون فلم يتح لهم الحظ مثل هذه الجمعية المنظمة قدما. فأحس الوطنيون بهذا الاحتياج حبا بترتيب معاملاتهم على الطرق المعقولة والاقتصاد في الوقت، فراجعوا الحكومة (العسكرية) بذلك فامدتهم بالمساعدة العاجلة. وعليه دعي البعض الى دائرة البلدية. وبعد المفاوضة جرى انتخاب اثني عشر عضوا لادارة الجمعية، نصفهم من المسلمين ونصفهم من المسيحيين، وهم : عبد الله الدجاني، محمود ابو الهدى، امين شحيبر، الشيخ درويش الدجاني، عمر البيطار، سعيد ابو خضره (مسلمون)، جريس العيسى، انطوني الخوري، حنا جلاد، اندراوس دباس، داوود جلاد، حنا زماريا (مسيحيون)[51] ». وكانت الجمعية الاهلية في يافا اسبق في الظهور من

---

50 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 108.

51 ـ ج ف ع 9 - 1918/6/6.

« الجمعية الاسلامية المسيحية) فيها، بل ان الثانية قامت على انقاض الاولى، بدليل ان الوفد السوري عقد اجتماعه مع ممثلي يافا وزعمائها في « نادي الجمعية الاهلية »[52] في 27 مايو 1918.

واختلف الوضع في القدس عن يافا، ذلك ان الاسرة الحسينية ومن ورائها ستورز، كانت تتولى منصب الزعامة التقليدية في المدينة المقدسة، بعكس الامر في يافا، حيث كانت الزعامة فيها موزعة بين عدة اسر. واتخذت الحركة الوطنية في القدس شكل حركة ادبية في الظاهر. وتروي (جريدة فلسطين)ان فريقا من ادباء القدس قاموا في 11 و12 ابريل 1918 (اي بعد يوم واحد من وصول البعثة الصهيونية الى القدس) بتمثيل رواية (فتاة عدنان وشهامة العرب) وهي عن (حرب البسوس)، في منتدى المدرسة الرشيدية. وعلقت في قاعة التمثيل خريطة كبيرة لفلسطين كتب تحتها الابيات التالية :

أرض فلسطين التي بوركت ... أرض الميامين بني يعرب
يا خير ارض الله لا تيأسي ... مالي عن حبك من مذهب
إنا سنفديك بارواحنا ... ونرتقي مستصعب المركب
حتى ترى كالشمس في خدرها ... تضيء في الشرق وفي المغرب [53]

وكان هذا اول تحد عربي تواجهه البعثة الصهيونية في القدس. وكان شهر ابريل هو موسم النبي موسى في فلسطين، فاشترك الشباب المسلم والشباب المسيحي بالاحتفال بالموسم[54] . وتلا ذلك تأسيس ثلاث جمعيات في القدس هي : (١) جمعية روضة المعارف (٢) جمعية مقتطف الدروس : غايتها تسهيل تعليم اللغات العربية والانجليزية والفرنسية[55] ،

---

52 ـ ج ف ع 8- 1918/5/30.، الكوكب - 97 - 1918/6/4.
53 ـ ج ف ع 3 - 1918/4/25.
54 ـ ج ف ع 4 - 1918/5/2، الكوكب - 94 - 1918/5/14.
55 ـ الكوكب 101 - 1918/7/2.

(٣) جمعية الاخاء الارثوذكسي : غايتها القيام بكل اصلاح ادبي وتهذيبي واجتماعي ». وقد قامت (جمعية مقتطف الدروس) بتمثيل رواية (نزيل العرب او قاتل اخيه)، وموضوعها الاتفاق الذي جرى بين قبيلتي مازن وهمدان[56] ، وذلك اشارة الى اتفاق ووحدة المسلمين والمسيحيين.

وظهر (النادي العربي) في القدس في اوائل يونيه1918 ، وقام على تأسيسه كل من : الحاج امين الحسيني، محمد العفيفي، الشيخ يوسف ياسين، الشيخ حسن ابو السعود، ابراهيم سعيد الحسيني[57] . ومن برنامجه « حفظ كيان البلاد من كل دعاية غاشمة »، وهو يرى ان الامة « لا يمكن ان تحفظ استقلالها الا بسيف ماض ومال فياض وعلم يهذب الاخلاق والنفوس[58] ». وانشيء له فرع في يافا[59] ، وآخر في نابلس بعد احتلالها، وكان ذلك بعد موافقة الحكومة العسكرية[60] . واسس (النادي الادبي) في بيت لحم، وهدفه تعليم العربية والانجليزية والفرنسية[61] ، وكان برئاسة بشارة بولس[62] . وتلا ذلك ظهور جمعيات ولجان في مختلف انحاء فلسطين، منها : (الجمعية الخيرية) في غزة، وهي جمعية مسيحية قامت « لاصلاح ما افسده الاتراك من امور الكنيسة[63] »، واسس المسلمون في نفس المدينة (جمعية غزة الخيرية لمساعدة الايتام) وذلك بموافقة الحكومة[64] . وفي حيفا قامت (لجنة الاخاء الاسلامي) لمساعدة المعوزين من اهل البلدة، وهي برئاسة محمد مراد، وعضوية كل من : امين

56 ـ ح ف ع 7 - 1918/5/23.
57 ـ ج ف ع 12 - 1918/6/27، الكوكب - 112 - 1918/10/1 و116 - 1918/10/29.
58 ـ الكوكب ـ 118 - 1918/11/12.
59 ـ الكوكب - 108 - 1918/8/27.
60 ـ الكوكب - 120 - 1918/11/26. افتتح النادي العربي في نابلس في 21 نوفمبر 1918. انظر الكوكب 122 - 1918/12/10.
61 ـ الكوكب - 106 - 1918/8/13 .
62 ـ الكوكب - 111 - 1918/9/24.
63 ـ ج ف ع 29 - 1918/10/24.
64 ـ ح ف ع 33 - 1918/11/21.

نور الله، عبد الله مخلص، عبد الرحمن الحاج، ومصطفى فخري[65] .
وفي يافا تم تأسيس (النادي الاجتماعي اليافي) وغايته « اجتماعية ادبية » والاهتمام بالرياضة البدنية، وكان برئاسة (الخواجة بولس مجيب[66] .
واسست في القدس (جمعية الناشئة الادبية) وغايتها « ترقية الشبيبة الكاثوليكية ادبيا واقتصاديا وتجاريا » ورئيسها انطون جبريه[67] . كما اسس محمود عزيز الخالدي وسليم الخواجه (لجنة ترقي التمثيل العربي في فلسطين) في القدس[68] .

هذا الفيض من النوادي والجمعيات كان يمثل ظاهرة صحية في الحركة الوطنية، لكنه بالفعل كان عملا سلبيا، ذلك انه ان دل على شيء فانما يدل على تفتت القوى الوطنية، التي كان عليها ان تجد اسلوبا افضل للنضال، وهكذا اتجه التفكير الى تأسيس الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية .

الجمعيات الاسلامية المسيحية

حض رفيق العظم في خطابه في يافا في (الجمعية الاهلية) المسلمين والمسيحيين على تكوين « جمعيات بقصد التعاون والتعاضد »، واضاف « ونحن نساعدكم بقدر ما يمكن، وقد صرحت لنا الحكومة الانجليزية بانها لا تمانع ابدا بتشكيل مثل هذه الجمعيات[69] »، وكان قد نوه بمثل ذلك في القدس[70] . والواقع ان الحكومة البريطانية كانت ترغب وتميل الى تأسيس مثل تلك الجمعيات، حتى تستطيع ان توجهها كيفما تريد، ولتحاول بالتالي تبرير النشاط الذي تبديه البعثة الصهيونية في فلسطين، بان المسلمين والمسيحيين لهم جمعيات مماثلة. ففي يونيه

---

65 ـ ج ف ع 30 - 1918/10/31
66 ـ ج ف ع 31 - 1918/11/7.
67 ـ ج ف ع 35 - 1918/12/5.
68 ـ ج ف ع 21 - 1918/8/29.
69 ـ الكوكب - 97 - 1918/6/4.
70 ـ انظر الكوكب - 98 - 1918/6/11.

1918 ، اعلن احد الموظفين السياسيين البريطانيين Albena في فلسطين انه تم في القدس « تشكيل جمعية مسيحية اسلامية ذات برنامج بهدف الى مقاومة السيطرة اليهودية والى مكافحة النفوذ اليهودي، والحيلولة بجميع الوسائل الممكنة دون شراء اليهود للاراضي[71] ». وتبع ذلك تأسيس جمعيات اخرى في المدن الجنوبية من فلسطين، خاصة في يافا.

وفي الواقع، كان تكوين هذه الجمعيات رد فعل طبيعي ضد السياسة البريطانية الموالية للصهيونيين، وضد نشاط البعثة الصهيونية في البلاد. وقد حرص عرب فلسطين على تلك التسمية « لغرض اظهار الوحدة القائمة بين النصارى والمسلمين العرب، ولاحباط اية دعاية طائفية ودينية يقوم بها الانجليز ضد العرب[72] ». كما اتخذت رمزا لها « شارة الهلال وبداخله الصليب[73] » دليلا على ما هدفت اليه. الا انّ معارضة هذه الجمعيات لم تكن فعالة، وذلك راجع الى طبيعة تكوينها الطبقي، كما انها لم تنتخب انتخابا مباشرا. وقد اسفر هذا عن عدم استقرارها في اداء وظيفتها. فقد كتب كلايتون في 4 اغسطس 1918 يقول « استقالت الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا بسبب فشلها التام في تحقيق هدفها في السهر على مصالح العرب المسلمين والمسيحيين. ويقوم الحاكم العسكري الآن باتخاذ الخطوات اللازمة لتشكيل جمعية جديدة[74] ». ويظهر ان الحاكم العسكري في يافا قد نجح في اعادة تكوين الجمعية الاسلامية والمسيحية بيافا، اذ كتبت جريدة فلسطين (ع 24 في 19 سبتمبر 1918) تقول « وزعت الجمعية الاسلامية المسيحية (بيافا) منشورا يتضمن اغراض الجمعية ومقاصدها واسماء اعضائها والحض على معاضدتها قولا وعملا ». وكتبت الكوكب « بناء على امر سعادة الحاكم العسكري (ليافا) جرى تحوير بقانونها (اي الجمعية

71 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 116.

72 ـ اميل الغوري : المؤامرة الكبرى : اغتيال فلسطين ومحق العرب، ط 1، القاهرة 56. 1955 a.

72 ـ Frances Neuton, op. cıt , p. 127

74 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 117.

الاسلامية المسيحية) وبعض التغيير باعضائها، وبعد ذلك اجتمعت والفت اربع لجان للزراعة والتجارة والبيارات واللجنة العمومية[75] ».

هذا التدخل البريطاني السافر يشير بصورة واضحة الى ارتباط مصلحة طبقة الملاكين الكبار، شبه الاقطاعية، بالمصالح البريطانية في البلاد. ولم يكن غريبا ن يكتب اورمسبي غور في 27 اغسطس 1918 : « ان طبقة الافندية المسلمين التي تجمعها رابطة سياسية حقيقية، والتي لا تتمتع باي قوة منظمة، منقسمة على نفسها بين موال للاتراك وموال للبريطانيين، وهي على كل حال لا تجرؤ على الاقدام على اي عمل من شأنه ان يزعج ادارة عسكرية بريطانية تساندها الخوذ البريطانية[76] ». وقد برهنت تلك الطبقة من مسلمين ومسيحيين في مواقفها على التزام طبقي صارخ. فمثلا قدم الشيخ يعقوب البخاري شيخ الزاوية النقشبندية في القدس (طبقا صينيا ثمينا) الى اللورد اللنبي، وصدره بهذين البيتين :

الى القائد العالي اللنبي بعثتها   هدية حب، وهي صحن من الصيني
بعثت بها ذكرى لآثاره التي   يدونها التاريخ احسن تدوين[77]

وفي حيفا، اقيمت في يوم الاربعاء 9 اكتوبر 1918، حفلة لجبرائيل حداد في منزل الوجيه الثري مصطفى الخليل. وقد حث جبرائيل حداد العرب « على وجوب التعاضد في خدمة الوطن تحت ظل الراية البريطانية، راية العدل والحرية، التي تخفق فوق اكبر قسم من العالم الاسلامي المتمتع بحقوقه ومنافعه وحريته في كل قطر». كما اكد انه « ليس عند الحكومة البريطانية فرق بين المسلم والمسيحي والاسرائيلي، فعلى كل فريق من هذا الشعب ان يحافظ على قوميته وكيانه ويحفظ بقاءه ». ثم نهض محمد مراد، مفتي حيفا، واثنى على الحكومة البريطانية، واوضح ان « الدولة التركية كانت المانع لرقي الشعب

---

75 ـ الكوكب - 112 - 1918/10/1.

76 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 124.

77 ـ ج ف ع 24 - 1918/9/19.

العربي ». ثم اعرب عن امله بأن « يعيش الشعب من الآن فصاعدا في بحبوحة العدل والامان[78] ». وفي الناصرة اقيم احتفال يوم الخميس في 17 اكتوبر 1918، « احتفاء بالاحتلال البريطاني »، وخطب في الحفل كل من : موسى بلوطين، امين قعوار، حنا خليل، عزيز جرجوره، امين جرجوره، نجيب نصار، رشيد نصار، شفيق جرجي، جبران كزما، موسى خميس، « وفي ختام الحفل انشد النشيد الوطني الانجليزي[79] ». ويلاحظ ان الذين خطبوا في الحفل المذكور اما وجهاء ملاك، او من الذين تربوا في المدارس الانجليزية التبشيرية. واقيمت حفلة ثانية في حيفا، يوم الاربعاء 6 نوفمبر 1918، « لتكريم جيش الاحتلال ». وفي هذا الحفل خطب عبد الله مخلص، احد كبار الوجهاء الملاكين التجار، خطابا « حيا به رجال الحكومة، واظهر ما لبريطانيا وحلفائها من المساعدة نحو العرب المنتشرين من بحر عمان الى المتوسط، ومن بحر فارس (اي الخليج العربي) الى المحيط الاتلانتيكي ». وخطب الميرزا بديع البهائي، سكرتير حاكم حيفا، واحد اعوان الانجليز، والشيخ الملاح قاضي حيفا الشرعي. ثم قام محمود الماضي (ملاك كبير في قضاء حيفا ومؤسس جمعية تعاون القرى) عام 1924، التي انفصلت عن التيار الوطني، والقى قصيدة مدح جاء فيها :

تظل بفضل الحزم والعزم امة ... كما كان فينا بالفضائل يقتدي

وترجع للشرق الحزين بهاءه ... كما كان للغرب المنور مرشدا

ومن لم يطع داعي العلا وصريخه ... فلا بد يوما ان ينبهه الصدى

الا فليعش جيش المروءة والهدى ... ويحيى لواء العرب في الناس سرمدا

« وختمت الحفلة بالنشيد البريطاني[80] ». وانطلقت مظاهرة مساء يوم

78 - ج ف ع 29 - 1918/10/24.

79 - ج ف ع 30 - 1918/10/31.

80 - ج ف ع 32 - 1918/11/14.

الاثنين 11 نوفمبر 1918 في الرملة لتهنئة الحاكم العسكري بالهدنة. وفي صباح 12 نوفمبر، اقيم اجتماع امام (سراي الحاكم)، وخطب فيه مصطفى الخيري رئيس بلدية الرملة وصاحب الحظوة الكبرى لدى بريطانيا، وتلاه كل من : عبد الرزاق الخيري، الشيخ نديم، والشيخ موسى، والشيخ رباح، وكلها زعامات دينية. وقد اعرب الجميع عن « صداقة العرب عموما، وسكان فلسطين خصوصا، للدولة البريطانية المنقذة، التي اخذت على عاتقها تحرير الامم المظلومة والشعوب المهضومة الحقوق[81] ». واحتفلت رام الله مساء 11 نوفمبر 1918 بالهدنة، وخطب في المجتمعين الياس عودة رئيس البلدية مهنئا[82] . واحتفلت الرملة للمرة الثانية في 15 نوفمبر 1918 في ذكرى احتلال الجيش البريطاني للرملة واللد، وخطب في الحفل مصطفى الخيري، والشيخ سعيد الفار، واسحق فانوس[83] . واحتفلت يافا في 16 نوفمبر 1918 بعيد احتلال الجيش البريطاني للمدينة، ونظم الحفل الجمعية الاسلامية المسيحية، والقى رئيسها الشيخ راغب ابو السعود الدجاني، قاضي يافا، خطابا بليغا ضمنه (الشكر والثناء العاطر على دولة بريطانيا العظمى وجيشها المظفر منقذ البلاد). وبعث ببرقيتين الى الملك جورج الخامس والى الجنرال اللنبي يهنئهما بتلك المناسبة[84] . وختم الحفل الذي اقيم في التاسعة صباحا « بالسلام البريطاني ». وفي الساعة الحادية عشرة عاد حاكم يافا العسكري الى نادي (الجمعية الاسلامية المسيحية) لرد الزيارة، وخطب يوسف العيسى « فشكر الدولة البريطانية التي في ظلها اصبح الكل حرا[85] ». واحتفلت جنين في 20 نوفمبر 1918 بعيد احتلال الجيش البريطاني للمدينة، وخطب كل من : فهمي العبوشي، بولس شحاده

---

81 ـ ج ف ع 1918/12/35.

82 ـ ح ف ع 35 - 1918/12/5.

83 ـ ج ف ع 35 - 1918/12/5.

84 ـ انظر الملحق رقم 13.

85 ـ ج ف ع 33 - 1918/11/21 .

(خطب بالانجليزية)، واديب المخزومي، و« ختمت الحفلة بالنشيد البريطاني[86] ». كما احتفلت عكا يوم الاربعاء 20 نوفمبر 1918 بنفس المناسبة، وخطب : توفيق حقي رئيس البلدية، الشيخ عبد الرحمن عزيز، الخوري جريس، الخوري لويس، حبيب خوري ايوب، جرجس خمار « وختمت الحفلة بالنشيد البريطاني[87] .

حمل هذا الاندفاع - الذي ساد فلسطين في اكتوبر ونوفمبر 1918 - الموالي للسياسة البريطانية، في ثناياه ظاهرة اخرى، هي الوقوف بحزم اكثر فعالية في وجه الحركة الصهيونية، وكأن السياسة البريطانية والحركة الصهيونية (في فلسطين) امر ان منفصلان. فعند حلول الذكرى السنوية الاولى لتصريح بلفور (2 نوفمبر)، علم العرب في القدس ان الصهيونيين يعتزمون الاحتفال بها، فهددوا بالقيام بمسيرات مضادة. وتبع ذلك ان انذر « حاكم القدس العسكري بالقاء القبض على اي عربي يجرؤ على الاقدام على ذلك ووضعه في السجن. ونصح ستورز الصهيونيين بان يوقفوا مسيراتهم قبل الوصول الى باب يافا (احد ابواب القدس) حيث تتجمع اعداد كبيرة من العرب يوميا. ولكن مسيرتين من الطلاب (الصهيونيين) اهملت هذه التعليمات، فاصطدمتا باثنين من العرب، فصدر الحكم على كل منهما بالسجن اربعة اشهر، وهو حكم اعتبره ستورز صارما. وكانت نتيجة ذلك قيام مظاهرة عربية بقيادة موسى كاظم الحسيني رئيس بلدية القدس، الذي قدم احتجاجات خطية الى الحكومة[88] ». وفي 16 نوفمبر 1918، وهي ذكرى احتلال الجيش البريطاني ليافا، قدمت الجمعية الاسلامية المسيحية في المدينة، بعد تكوينها الجديد، مذكرة الى الحاكم العسكري « انعكست فيها ردود الفعل الفلسطينية السائدة ضد الصهيونية

---

86 - ح ف ع 36 - 1918.02412/12 .

87 - ج ف ع 36 - .1918/12/12.

88 عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 119

والحجج المعاكسة لتصريح بلفور ». فبعد مدح بريطانيا، انتقلت الى التأكيد على ان فلسطين بلد عربي داحضة الحجج الصهيونية التي يحتمل التذرع بها، « فاذا كانت الذريعة هي البلاد، فلا بد ان نسارع الى القول بان البلاد العربية وكذلك سكانها. واذا كان العدد هو الذريعة، فينبغي ان لا ننسى ان العرب يزيدون على اليهود بثلاثين ضعفا. اما اذا كان التذرع بأكثرية المساحة الارضية، فلا بد من لفت نظر اليهود الى ان ما يمتلكونه من فلسطين لا يزيد بالنسبة لما يمتلكة المسلمون والمسيحيون على 500/1. فهل الذريعة هي اللغة؟ انه لمن المعروف جيدا ان لغة هذه البلاد هي العربية الخالصة ». ومضت الجمعية تقول في مذكرتها انه مهما يكن الامر فان العرب الفلسطينيين « لا يمكن ان يوافقوا على اخضاعهم للاستعباد، بل على العكس، فاننا سنتمسك بحقوقنا الوطنية حتى الموت. فنحن العرب غير معادين للآخرين، ولا يخطر ببالنا على الاطلاق طرد العناصر الاخرى من بلادنا، ولكننا لا نستطيع الموافقة على ان يحرمنا ضيوفنا اليهود من حقوقنا السياسية، ولسنا نرغب في اعطاء حقوق المواطنية للسكان المحليين الذين يفدون من اماكن خارج بلادنا. اننا نرفض رؤ ية ملايين اليهود يتدفقون على فلسطين، لانهم سيستوعبون ويحتكرون كل منتجات فلسطين، اذ ينبغي ان لا يغيب عن الدولة (البريطانية) ان اليهودي لا يحب الا اليهودي، ولا يساعد الا اليهودي. ولا شك ان مثل هذه الاعمال ستكون سببا في اندلاع لهيب ثورات متتابعة، تدمر البلاد وتلحق البؤس بالسكان. . . واذن فينبغي ان يعرف اليهود ان فلسطين لنا ولن نتخلى عنها. وعليهم كذلك ان يعرفوا اننا في فلسطين ولدنا، وفيها نأمل ان نموت، وان تدفن جثثنا في تربتها المقدسة[89] ».

الحزب العربي الموالي لبريطانيا

تمخض (الاندفاع) الموالي للسياسة البريطانية ايضا عن ظهور حزب

89 المصدر السابق ص 119 ـ 120.

جديد في شمال فلسطين (شمالا من خط يافا ـ القدس) بين 9 ديسمبر 1917 (سقوط القدس) و20 ـ 23 سبتمبر 1918 (سقوط نابلس وحيفا) الذي بقي خاضعا للسيطرة التركية. وليس معنى ذلك ان السلطات العسكرية البريطانية في جنوب فلسطين، قد تركت الامور تسير سيرا عاديا في الشمال. لقد أسست في كل من يافا والقدس مكتبي مخابرات حربية[90]، وكانت مهمتها القيام بأعمال التجسس العسكرية، وبث الدعاية المضادة لتركيا في شمال فلسطين. وقد اعتمدت الادارة العسكرية على خريجي ومنتسبي (جمعية المراسلين الكنسية)، التي كان لها في البلاد نحو ثلاثين مركزا، وزهاء 45 مدرسة[91]. ومما لا شك فيه انه تشكلت ابان فترة الاحتلال التركي لشمال فلسطين، خلايا سرية من الموالين للسياسة البريطانية. وما ان انسحب الاتراك من الشمال، حتى سارعت تلك الخلايا بالظهور، ودعت الى تأسيس (الحزب العربي الموالي لبريطانيا).

قبل حاكم حيفا العسكري في 8 نوفمبر 1918 قانون الحزب السياسي الذي وضعه كل من : نجيب نصار، رشيد نصار، عبد الله مخلص، وامين عبد الهادي. وانتخب في 12 نوفمبر نجيب نصار رئيسا للحزب، وامين عبد الهادي نائبا للرئيس، واحمد الامام كاتبا، وعبد الله مخلص امينا للصندوق. واعتبر هذا الانتخاب مؤقتا حتى يبلغ اعضاء الحزب المؤسسين اربعين عضوا، لتنتخب بعد ذلك هيئة ادارية جديدة. وقد انضم اليه بعد ذلك كل من : محمود الماضي، انيس جرار، متري صلاح، نائف مجدلاني، اسكندر باسيلا الجدع، رفيق صلاح، بدري العائدي، عزيز حيراني، محمد الحاج، ونصر الله حداد[92].

تم انتخاب الهيئة الادارية الجديدة للحزب، بعد ان بلغ عدد الاعضاء

---

90 ـ انظر المقطم 1918/2/28.

91 ـ ج ف ع 10 ـ 1918/6/13.

92 ـ عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ ـ 1936، رسالة ماجستير، آداب القاهرة 1970، ص 43 ـ 44.

العاملين 40 عضوا في 28 نوفمبر 1918. واسفر الانتخاب عن فوز كل من : جبرائيل خوري، احمد الامام، رشيد الحاج ابراهيم، محمود الماضي، توفيق الجدع، عيد لويس، عزيز حيراني، توفيق الخليل، بالاضافة الى المؤسسين الاربعة للحزب، ليصبح عدد اعضاء الهيئة اثني عشر عضوا. كما تم انتخاب امين عبد الهادي رئيسا للحزب، وجبرائيل خوري نائبا للرئيس، واحمد الامام كاتبا، وعبد الله مخلص امينا للصندوق. اما نجيب نصار فقد كان خارج حيفا في هذا الوقت، اذ اوفده الحزب ـ بقرار صدر في 12 نوفمبر ـ في مهمة تأسيس فروع في الناصرة وصفد وطبريا. لكن الحزب اختاره ممثلا له لدى الحكومة ولدى فروع الحزب المختلفة[93].

والواقع ان اهداف الحزب ومبادئه تتضح من الخطاب الذي القاه نجيب نصار مساء يوم الاحد في 17 نوفمبر 1918 في (دير الروم) بالناصرة ايذانا بتأسيس فرع للحزب فيها. فقد بين نجيب نصار (فضل الامة البريطانية على فلسطين وكل البلاد العربية، وسوء الحال الذي وصلت اليه البلاد في عهد حكومة الاتراك ولا سيما في سنوات الحرب، والتغيير الذي حصل بعد انقضاء سلطة الاتراك بفضل الاحتلال الذي انقذ البلاد والعباد من ذلك النير القاسي الذي رزحت البلاد تحت ثقله). وتطرق الى (وجوب السعي المتواصل من جميع الاهلين للحصول على حياة طيبة في المستقبل، وبذل الجهد في التمتع بحسنات الدور الجديد المجيد). وبين ان « لا حياة ولا نجاح ولا تقدم حقيقي للبلاد العربية الا بموالاة الامة البريطانية، صاحبة الفضل في تحرير البلاد. وان العربي مطبوع على معرفة الجميل وشكر المحسن اليه ومحبة الوفاء، فيجب ان تظهر فيه هذه الصفات تمام الظهور في هذه الظروف الحاضرة، ازاء الدين العظيم الذي اصبح عليه للدولة البريطانية، التي لم تضن بدماء شبانها، او بذل الملايين من اموالها في سبيل انقاذ بلاده من مخالب الظلم والاستبداد ». وان « اقل ما يتحتم على كل

---

93 ـ المصدر السابق ص 44 ـ 45.

عربي هو موالاة بريطانيا العظمى مدى الايام، ونقش محبتها في قلوب الجيل الحاضر وابنائه وابناء الابناء على توالي الاجيال ». ويضيف نجيب نصار انه رأى « أن افضل طريق لخدمة الامة العربية، ووفاء جميل الامة البريطانية، هو تأليف حزب عربي موال لبريطانيا العظمى، الغرض منه خدمة مصالح العرب الاجتماعية والاقتصادية بجمع كلمتهم وربط قلوبهم بالامة البريطانية، وحملهم على احترام مصالحها، وترويج التجارة، وايجاد تعاون بين المحال التجارية هنا (في فلسطين) وفي بريطانيا العظمى، وترجيح البضائع البريطانية على سواها ». كما يبذل الحزب « قصارى جهده في تنشيط المعارف والعلم وخدمتها[94] ».

هذه هي مبادىء (الحزب العربي الموالي لبريطانيا)، الذي قام اساسا على خدمة المصالح البريطانية، اما ما يدعيه من خدمة المصالح العربية فلم يكن الا تمويه ومغالطة. وكان مؤسسوه من تجار المدن وملاكيها، ومن المثقفين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس التبشيرية الانجليزية. وقد نجح نجيب نصار في تأسيس فرع للحزب في الناصرة، بمساعدة الاعضاء المؤسسين وهم : جبران كزما (رئيس الفرع في الناصرة)، موسى بلاطين، ابراهيم فاهوم، وامين قعوار. وتبرع لفرع الحزب في الناصرة كل من : جرجي قعوار (12 ليرا ذهب فرنسية)، عبد الله الفاهوم (20 ليرا)، محمد سعيد العبيد (١٢ ليرا)، عثمان عون الله (12 ليرا)[95]. كما نجح في تأسيس فرعين آخرين في طبريه وصفد.

كان لا بد من رد فعل سريع لمواجهة هذا (الاندفاع) الموالي للسياسة البريطانية، وتطلب ذلك اعادة تشكيل الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس، على اسس جديدة، بحيث تجمع كل القوى الوطنية القائمة في المدينة. وقد اشارت الكوكب الى ذلك، وانه تم « وضع الاساس لتأليف

---

94 ـ ج ف ع 35 ـ 1918/12/5.

95 ج ف ع ٣٥ ـ 1918/12/5، الكوكب ١٢٩ ـ 1919/1/18 (محمد سعيد العبيد) تورده الكوكب باسم (محمد سعيد الزغبي).

جمعية اسلامية مسيحية في القدس، اعضاؤ ها خليط من مسلمين ومسيحيين ارثوذكس ولاتين[96]». كما اشار ستورز في تقرير مؤ رخ في 24 نوفمبر 1918 الى انه تم «تشكيل جمعية مسيحية اسلامية عربية في القدس[97]».

تأسست الجمعية في القدس، وكان «قوامها جمهور كبير من المفكرين وذوي الوجاهة من المسلمين والمسيحيين[98] وقد تألفت لجنة ادارتها من اللجنة الادارية للجمعية الاسلامية الخيرية[99] (عشرة اعضاء)، ومن خمسة اعضاء من جمعية الاخاء الارثوذكسية[100]، وخمسة اعضاء آخرين من جمعية اللاتين، وعشرين عضوا[101] من مختاري القرى التابعة للقدس[102]»، (اي من اربعين عضوا). وغاية الجمعية «السعي والاهتمام بترقية شؤ ون الوطن الزراعية والصناعية والاقتصادية والتجارية واحياء العلم وتهذيب الناشئة الوطنية والمحافظة على حقوق ابنـاء الوطن المـادية والادبية[103]». كما نص على ان تجتمع الجمعية «مرة كل شهر التئاما تاما، وان ايراداتها من عدة مصادر اهمها الاشتراكات الشهرية من جميع الاعضاء، وتبرعات اصحاب الحمية الوطنية، وريع الاعمال التجارية[104]».

---

96 ـ الكوكب ـ 118 ـ 1918/11/118.

97 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 122.

98 ـ هم : عارف الداوودي الدجاني، الشيخ طاهر ابو السعود، الشيخ موسى البديري، الشيخ حسام الدين جار الله، بدر يونس، اسماعيل الحسيني، فهمي النشاشيبي، محمود يوسف العلمي، خليل النشاشيبي، سعيد نمر (مسلمون)، يعقوب فراج، الياس مشبك، انضوني الغوري، يوسف قرط، ابراهيم شماس (روم ارثوذكس). سليم ايوب، حنا ايوب، لطفي ابو صوان، بطرس الحلاق، شكري الكارمي (لاتين). الكوكب 130 ـ 1919/2/4

99 ـ أسست في القدس منذ اوائل عام 1918.

100 ـ رئيس الجمعية يعقوب فراج. ج ف ع 40 ـ 1919/1/9.

101 ـ كانوا في الاصل عشرة اعضاء. انظر الكوكب 129 ـ 1919/M1M28.

102 ـ ج ف ع 45 ـ 1919/2/31.

103 ـ الكوكب ـ 129 ـ 1919/1/28

104 ـ انظر الملحق رقم 14 .

وبدأت منذ اواخر نوفمبر واوائل ديسمبر 1918، ترد الى سوريا بأقاليمها المختلفة، اخبار حول عقد مؤتمر للسلام في باريس، مما دفع ثلاثة وثلاثين من العرب الفلسطينيين، الذين عادوا من الاناضول الى دمشق، الى تقديم عريضة مؤرخة في 12 ديسمبر 1918 الى « هيئة مؤتمر السلم العام » والى وزارة الخارجية البريطانية، احتجوا فيها على الصهيونية « التي تثير التعصب الديني في القرن العشرين، والاثرة والانانية والطمع الخبيث الذي جر على الانسانية بلاء هذه الحرب ». ونوهوا باضطرارهم الى الدفاع عن الحقوق العربية « التي لم يستطع الترك ان يحموها بحكمهم اربعة قرون، فيحدث في البلاد من الاضطرابات والشغب ما يفقدنا واياهم الراحة، ويعوق البلاد عن الرقي[105]». كما ظهرت في القدس رغبة، في نفس الفترة، تزعمها اسعاف النشاشيبي، بتشكيل (لجنة الجمعيات) من المنتدى الادبي والنادي العربي وجمعية الاخاء الارثوذكسية، وبالفعل نجح في ذلك[106]. وكلما توفرت انباء اكثر وضوحا عن (مؤتمر السلام) وامكانية عرض المشكلة العربية عليه، ازدادت الرغبة ـ نتيجة ضغط الشباب العربي، وردا على المؤتمر الذي عقده اليهود في يافا في 18 ديسمبر 1918 لوضع « مشروع الحكومة المؤقتة في فلسطين[107]» ـ في توحيد الجمعيات الاسلامية والمسيحية في جمعية واحدة، تستطيع ان تضع برنامجا موحدا، وتتبنى اهدافا واحدة تتقدم بها الى (مؤتمر السلام). واسفرت جهود الشباب، مع عجز الزعماء (الشيوخ) عن المعارضة، عن تشكيل (الجمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية)، وجعل مركزها القدس وتم ذلك بموافقة السلطات البريطانية. ولما لم تكن بعض مدن فلسطين قد اقامت (جمعيات اسلامية مسيحية)، منح قانون (الجمعية الفلسطينية) الحق « لجميع اقضية

105 ـ وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (1918 ـ 1939) جمع ونصنيف عىد الوهاب الكيالي، بيروت 3ʳ - 1 a 1968ʳ

106 ـ الكوكب ـ.1918/21/31 — 125

107 ـ E.F. vol. 1, pp. 152 - 3

فلسطين في تأليف جمعيات خاصة ترتبط بالجمعية الفلسطينية، اذا رأى القضاء الارتباط بها مناسبا ». وكان هذا دليلا واضحا على ضعف القيادة الوطنية في هذه الفترة.

ونص قانون الجمعية الفلسطينية[108] على ان « تنتخب كل جمعية عضوين من اعضائها (ما عدا جمعية القدس فتنتخب اربعة)[109]، ويتألف من مجموع المنتخبين الجمعية الفلسطينية، وان غايتها « النظر في شؤون عموم فلسطين »، وتسري قراراتها « على كل قضاء في فلسطين بشرط ان يشترك مرخصا (اي مندوبا) كل قضاء في الرأي، ولو كان القرار يخالف رأيهما. وكل قضاء لم يحضر مرخصاه (مندوباه) في تلك الجلسة، وتقرر شيء في حق ذلك القضاء، فالجمعية الفلسطينية تبلغ قرارها الى الجمعية التي لم يوجد مرخصاها في الجلسة. وجمعية القضاء مرخصة في قبوله وعدمه، وعليها ان تبلغ الجمعية الفلسطينية نتيجة قرارها، فاذا قبلته يسري عليها ». اما مدة انعقادها فهي اسبوع كامل « في كل ثلاثة اشهر من كل سنة »، وكذلك « في كل وقت دعت اليه المصلحة بشرط دعوة الاعضاء من قبل جمعية القدس الشريف »، اي الجمعية الاسلامية والمسيحية بالقدس، وهذا يعني تركيزا على زعامة القدس. اما صدور القرار فيكون « بالاتفاق او بالاكثرية »، واشترط ان تكون القرارات « ممضاة من سائر الاعضاء الموجودة » وهذا الامر مناقض لمسألة (الاكثرية)، اذ قد يمكن اتخاذ اي قرار بوجود اقلية في الجلسة. واشترط كذلك ان ما يقدم من القرارات الى الحكومة والدوائر الرسمية « يجب ان يكون مختوما بختم الجمعية التي تقدم صورته (اي صورة الختم) الى الحكومة. وكل قرار لا يكون مختوما بهذا الختم لا يعمل به، وكذلك سائر المخابرات في هذا الحكم ». وواقع الامر ان صياغة هذا القانون لم تكن سليمة، اذ يظهر فيه خلل واضح، وثغرات يمكن لاي جمعية فرعية ان تتهرب من تطبيق او تنفيذ اي قرار تصدره

---

108 ـ انظر الملحق رقم 14, ج ف ع 44 -1919/2/6

109 ـ ج ف ع 45 - 1919/2/13.

(الجمعية الفلسطينية).

المؤتمر العربي (1/27 ـ 1919/2/9)

وجهت الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس، في اوائل يناير 1919، الدعوة الى الجمعيات والهيئات الاخرى، لعقد مؤتمر « للبحث في عرض امر المطالب الفلسطينية بشأن تقرير المصير على مؤتمر السلام، والاعراب عن مخاوف العرب الفلسطينيين من الصهيونية ومن احتمال السيطرة اليهودية[110] ». واخذت المدن في اختيار مندوبيها الى المؤتمر. وقابلت (الحزب العربي الموالي لبريطانيا) في حيفا مشكلة جديدة، اذ كيف يرسل مندوبين الى القدس وهو بهذا الاسم، فتقرر بموافقة السلطات العسكرية البريطانية تحويل الحزب الى جمعية اسلامية مسيحية في حيفا. وقد اصدر الحزب القرار التالي « اطلعت لجنة ادارة الحزب العربي الموالي لبريطانيا بحيفا على برنامج الجمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية، ولما رأت انه يوافق مبادىء الحزب ويطابق غايته، قررت ـ بعد ان عقدت جلسة عامة من الاعضاء العاملين ـ قلب الحزب الى جمعية اسلامية مسيحية توحيدا للقوى والمساعي، ورغبة في التفاهم والتعاضد. وقد اعلنت الكيفية، بعد ان وافقت الحكومة على قلب فروع الحزب المؤلفة في البلاد الشمالية من فلسطين (في الناصرة وطبريه وصفد) لتحويلها الى ما ذكر، مع الارتباط باللجنة العليا التي تعقد في بيت المقدس للنظر في احوال فلسطين[111] ». ويتضح هنا امران، اولهما ان قانون (الجمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية) لم يكن يختلف عن مبادىء الحزب العربي الموالي لبريطانيا، ويشير الى مصلحة الطبقة التي صاغت ذلك القانون. وثانيهما تدخل السلطات العسكرية البريطانية في تحويل الحزب وفروعه الى جمعيات

---

110 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 125.

111 ـ ج ف ع 45 - 1919/12/13.

اسلامية مسيحية، لان ذلك لن يشكل خطرا على وجود الاحتلال البريطاني في فلسطين. وتعلق (جريدة فلسطين) على ما تم بقولها « واننا نعد هذا العمل خطوة كبيرة في سبيل جمع الكلمة والاتحاد. فنرغب من باقي المدن التي تؤلف فيها فروع لهذه الجمعية ان تسارع للقيام بذلك، وان لا يتخلف عضو من اعضاء البلاد عن الارتباط بالمركز الرئيسي، لتكون القوة اشد، والصوت اعم. كما اننا نشكر لِلَجنة ادارة الحزب اقتراحها هذا وموافقتها على توحيد الافكار، وندعو الله ان يوفق الامة الى ما فيه خيرها ونجاحها[112].

وكانت نتيجة الانتخابات التي جرت في انحاء فلسطين كما يلي :

القدس عارف الدجاني- عبد الحميد ابو غوش- يعقوب فراج - شكري الكارمي.
حيفا رشيد الحاج ابراهيم - اسكندر منسى.
الناصرة جبران كزما - حسين العبيد (الزعبي).
صفد صلاح الدين قدورة (الحاج يوسف) - محي الدين الحاج عيسى.
طبريه الشيخ محمود الطبري - الياس قعوار.
جماعين عزة دروزة - كمال الدين عرفات.
نابلس ابراهيم عبد الهادي - رامز النمر.
جنين حيدر عبد الهادي - نافع العبوشي.
غزه سعيد الشوا - احمد الصوراني.
يافا راغب ابو السعود (الدجاني) - يوسف العيسى.
الرملة واللد محمد بيدس - احمد سيف الدين.
لوبية محمود الحسين.
بيت لحم حنا حنانيا - ابراهيم حزبون[113].

---

112 - ج ف ع 45 - 1919/2/13.
113 - الكوكب - 131 - 1919/2/30ۛ ج ف ع 43 - 1919/1/30 و44 - 1919/2/6.

ومع ان المؤتمر ضم 27 عضوا، الا انه يلاحظ انه لم يضم ممثلين عن عكا والخليل وبئر السبع، وقد يكون ذلك راجع الى اختلاف الاهالي حول الترشيح والانتخاب، كما حصل فعلا في مدينة عكا[114]. وقد ذكر السكاكيني ان المجتمعين « ينقسمون الى ثلاثة افرقة : فريق مخلص وطني حر لا يراعي في وطنيته شيئا، وفريق وطني ولكنه جبان، ضعيف الرأي سهل القياد. وفريق مأجور او اجنبي النزعة، ويراعي فيما يطلب اما مصلحة الانجليز او مصلحة الفرنساويين او مصلحة الصهيونيين[115] ».

وقبل انعقاد المؤتمر بيوم واحد، سجل خليل السكاكيني في يوم الاحد الموافق 26 يناير 1919، صورة صادقة عن موقف الاهالي وبعض وجهاء القدس ازاء الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس والمؤتمر. قال « دار البحث (في بيته واشترك فيه امين الحسيني) على الثقة بالجمعية الاسلامية المسيحية في القدس والجمعية الفلسطينية، اوعدمها، فاذا كانتا موضع ثقتنا آزرناهما وضممنا اصواتنا الى اصواتهما. واذا لم تكونا موضع ثقتنا عملنا على ابطالهما او تلافي ضررهما على الاقل. ونحن ندعو الى الجامعة العربية (الوحدة العربية)، واعتبار فلسطين جزءا منها، واعتماد صاحب السمو الامير فيصل كممثل للجامعة العربية في مؤتمر الصلح، فما هو رأي الجمعية؟ الرأي الغالب في الجمعية الاسلامية المسيحية (بالقدس) ان تطلب الجمعية الفلسطينية (اي المؤتمر) من مؤتمر الصلح حق اختيار الحكومة التي تريدها اسوة بسوريا والعراق[116]. وهناك فريق آخر يرى ان تطلب ان تكون فلسطين للفلسطينيين. وكلا الرأيين فاسد، لانهما يعنيان فصل فلسطين عن الجامعة العربية. فاذا فصلت فلا بد ان يكون مصيرها يهوديا واذا لم يكن مصيرها يهوديا فلا بد ان تصير الى حكومة اجنبية، بحجة ان فلسطين لا تستطيع ان تحكم نفسها بنفسها، لتفشي الامية فيها،

---

114 ـ انظر ج ف ع 41 - 1919/1/16.

115 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 164 - 165.

116 ـ اشارة الى التصريح الانجلو فرنسي الصادر في 1918/11/7

واستحكام التعصب من النفوس، وغير ذلك من الاسباب. بناء على ذلك رأينا اننا لا نستطيع ان نضع ثقتنا في هذه الجمعية (اي الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس)، فماذا نعمل؟ هل نستطيع ان نحولها عن رأيها هذا ونستدرجها الى اعتقاد رأينا ام لا؟ البعض رأى ان نجرب ذلك بان نأخذ كل عضو من اعضائها على حدة، ونقنعه بفساد رأي الجمعية، وان نرفع الى الجمعية بيانا بخطتنا ونشدد في الجري عليها (اي على الخطة)، فاذا لم ننجح، عملنا على استقالتها ونزع هذه الصلاحية من يدها. ثم بحثنا فيما اذا نستطيع ان نثق بالجمعية الفلسطينية (اي المؤتمر) ونوكل اليها امر الوطن وتقرير مصيره ام لا، فرأينا ان نجرب ان توحد كلمة الوفود كلهم على عقيدة الجامعة العربية، وان فلسطين ليست للفلسطينيين بل هي للجامعة العربية. وقررنا ان تقيم الاندية الوطنية في القدس حفلات تكريم لهم، يقوم فيها الخطباء ويدعون الى الجامعة العربية، ويتناولون كل رأي من الاراء العديدة ببيان ضعفه فاذا نجحنا فذلك ما نتمنى، والا اتخذنا طرقا اخرى لدفع الخطر[117] ».

يتضح من كلام السكاكيني ان هناك (ازمة ثقة) بالجمعية الاسلامية المسيحية في القدس، وذلك راجع الى طبيعة تكوينها، وموقفها من الاحتلال العسكري البريطاني لفلسطين. وهناك ايضا خوف من (المؤتمر العام)، اذ قد لا يتخذ قرارا بشأن تأييد الحركة الوطنية العربية، واعتبار فلسطين جزءا من سوريا الطبيعية. لذلك بادر المجتمعون في منزل السكاكيني في تنفيذ الخطة المتفق عليها. ففي اليوم التالي 27 يناير 1919، وهو اول يوم لانعقاد المؤتمر، قام النادي العربي بالقدس بتمثيل رواية (شهداء العرب او فظائع جمال باشا)[118]. واقامت جمعيات (الاخاء والعفاف) و (النادي العربي) و (المنتدى الادبي) في يوم السبت الاول

117 ـ خليل السكاكيني، المصدر السابق، ص 165 - 166.

118 ـ ج ف ع 44 - 1919/2/6.

من فبراير 1919 حفل تكريم للوفود الفلسطينية في فندق (غران نيو اوتيل)، خطب فيه كل من : عمر الزعني ـ شكري التاجي الفاروقي ـ محمود عزيز الخالدي ـ الشيخ حسن ابو السعود ـ راغب الدجاني ـ يوسف العيسى ـ توفيق الطيبي، وكان الحاج امين الحسيني يقدم الخطباء ويعرف الحضور بهم، وختم الحفل « بنشيد الامير فيصل[119] ». تأكيدا على الوحدة العربية. واقيمت حفلة اخرى على شرف الوفد، في نفس الفندق، في يوم الاربعاء 5 فبراير 1919، خطب فيها سعيد الكرمي، يوسف العيسى، وصلاح الدين الحاج يوسف[120]. وقبل ان تغادر الوفود القدس، قامت جماعة التمثيل في (المنتدى الادبي) بتمثيل رواية (صدق الوداد او العفاف العربي)[121]. وقد نجح الشباب، ومؤيدو الحركة العربية في اصدار قرار من المؤتمر بتسمية فلسطين (سوريا الجنوبية)، دلالة على وحدة الحركة الوطنية العربية.

عقد المؤتمر اول جلساته يوم الاثنين في 27 يناير 1919، وانتخب لرياسته عارف الدجاني، ونائبه الشيخ راغب ابو السعود (الدجاني) وسكرتيره عزة دروزة. وبعد ان اقر قانونه الداخلي، ارسل برقية، بواسطة السلطات العسكرية البريطانية، الى مؤتمر الصلح، اكد فيها ان « مندوبي جميع بلدان سورية الجنوبية، العاقدين مؤتمرهم في القدس، قرروا ـ قبل الخوض في اي بحث ـ ان يرفعوا احتجاجهم الشديد على ما سمعوه من جعل بلادهم وطنا قوميا لليهود ومنحهم حق الهجرة والاستعمار، وانهم سيرفعون الى المؤتمر العالي تقاريرهم المؤيدة بالبراهين والمثبتة اقلية اليهود القليلة جدا مالا ونفوسا واملاكا. وهم يرفضون ان يبت في مصير بلادهم الا طبق رغباتهم التي سيرفعونها عن يد السلطة العسكرية[122].

---

911 ـ ج ف ع 45 - 1919/2/13.

120 ـ ج ف ع 45 - 1919/2/13، الكوكب 133 - 1919/2/25

121 ـ ج ف ع 47 - 1919/2/27.

122 ـ الكوكب ـ 140 - 1919/5/6.

تعرض المؤتمر، المؤلف من 27 عضوا[123]، منذ البداية الى ضغط قوي من الخارج، « فقد كان نفوذ وتأثير بعض اعضاء المنتدى الادبي والنادي العربي المناصرين للوحدة العربية قويا جدا ». ولكن الصراع داخل المؤتمر كان على اشده بين الكتلة الموالية لبريطانيا والكتلة الموالية للوحدة العربية. فقد كان « الشباب المسلمون اعضاء مختلف الجمعيات العربية يحثون على المطالبة بفلسطين مستقلة تشكل جزءا من دولة عربية كبيرة مستقلة ». واكد الكابتن كامب Camp، من دائرة المخابرات البريطانية في تقريره المؤرخ في 15 فبراير 1919، ان الخوف من الصهيونية هو « السبب الرئيسي الذي يدفع الشباب من العناصر الموالية للوحدة العربية نحو العطف على الاتحاد مع سوريا العربية المستقلة. فبانضمام فلسطين الى سوريا العربية، يصبح في وسع شعب فلسطين، بمساعدة العرب الاخرين، ان يقاوموا بنجاح الهجرة اليهودية[124] ».

والواقع ان تأثير انصار الوحدة العربية في المؤتمر يبدو واضحا من تقارير وقرارات المؤتمر النهائية. فقد وضع المؤتمر تقريرا مسهبا « بين فيه وهن دعاوى الصهيونيين وعلاقاتهم التاريخية والدينية والاقتصادية في البلاد، والاجحاف الذي يناله الوطنيون من منح اليهود حق التوطن والهجرة والاستعمار »، وطلب « من المؤتمر العالي (اي مؤتمر الصلح) انصافا وعدلا بهذا الامر ». ووضع تقريرا آخر في مصير البلاد خلاصته (استعطاف المؤتمر بعدم فصل مقاطعتهم عن سوريا العربية المستقلة المرتبطة بالوحدة العربية الخارجة عن كل نفوذ وحماية اجنبية)، واوضح الذين وضعوا التقرير « صداقتهم لبريطانيا العظمى ورغبتهم في الاستعانة بها فيما تدعو اليه الحاجة من الشؤون الاقتصادية ». ورفعوا تقريرا ثالثا « للحكومة المحتلة

---

123 ـ كان 11 عضوا من الموالين لبريطانيا، واثنان من الموالين لفرنسا، واثنان آخران، ليست لهما ارتباطات معينة، و12 عضوا كانوا من انصار الوحدة العربية، انظر عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 125.

124 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 126.

بشأن الاراضي المدورة والاميرية، واسترحموا عدم اخراجها من يد مزارعيها كما هي العادة، وطلبوا منع بيع وشراء الاراضي حتى ينتهي مؤتمر الصلح من اعماله[125] ». ويتضمن قرار المؤتمر السياسي ما يلي :

1) اننا نعتبر فلسطين جزءا من سوريا العربية، اذ لم يحدث قط ان انفصلت عنها في اي وقت من الاوقات، ونحن مرتبطون بها بروابط قومية ودينية ولغوية وطبيعية واقتصادية وجغرافية.

2) ان التصريح الذي ادلى به المسيو بيكو وزير خارجية فرنسا وقال فيه ان لفرنسا حقوقا في بلدنا مبنية على رغائب ومطامح السكان ليس له اساس. ونحن نرفض جميع التصريحات التي ادلى بها في الخطاب الذي القاه في 29 ديسمبر 1918، لان تمنياتنا ومطامحنا تنحصر في الوحدة العربية والاستقلال التام.

3) بناء على ما تقدم، اننا نعرب عن رغبتنا بان لا تنفصل سوريا الجنوبية (او فلسطين) عن حكومة سوريا العربية المستقلة، وان تكون متحررة من جميع انواع النفوذ والحماية الاجنبيتين.

4) وفقا للمبدأ الذي وضعه الرئيس ولسون واقرته معظم الدول الكبرى، نعتبر كل وعد صدر او معاهدة عقدت فيما يتعلق ببلادنا ومستقبلها لاغيين وباطلين، ونحن نرفضهما.

5) ان حكومة هذه البلاد ستطلب العون من صديقتها بريطانيا العظمى اذا دعت الحاجة الى احداث تحسين او تطوير في البلاد، شريطة ان لا ينتقص ذلك من استقلالها، او يؤثر في الوحدة العربية بأي شكل من الاشكال، كما انها ستبقى على علاقات طيبة مع الدول الحليفة[126].

---

125 ـ الكوكب ـ 140 - 1919/5/6.

126 ـ ج ف ع 45 - 1919/2/13، الكوكب 137 - 1919/4/8، 148 - 1919/7/8، عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 127 - 128، القبلة 263 - 8 جمادى الثانية 1337 هـ

ويتضح من هذه القرارات نجاح الداعين الى الوحدة العربية، وان الحركة الوطنية الفلسطينية في هذه الفترة لم تنفصل عن الحركة الوطنية العربية العامة. وقرر المؤتمر قبيل فض جلساته « انتخاب ثلاثة مندوبين ليذهبوا الى باريس، ويدافعوا عن حقوق البلاد، ويبلغوا احتجاجاتهم وبراهينهم عن قرب. وقد وقع الاختيار على توفيق حماد، راغب ابو السعود الدجاني، وجبران كزما ». (ويلاحظ ان توفيق حماد لم يكن عضوا في المؤتمر). كما قرر ارسال وفد الى الشام « للاجتماع على اهل الرأي فيها وابلاغهم عواطف اهل سوريا الجنوبية في بقائهم واياهم كتلة عربية مستقلة. وقد وقع الاختيار على ابراهيم عبد الهادي وحيدر عبد الهادي وعزة دروزة ويوسف العيسى وصلاح الدين الحاج يوسف. ويلحق بهم رشدي الشوا[127] »، (ولم يكن عضوا في المؤتمر، ولكن يبدو ان نفوذ الحاج سعيد الشوا هو الذي اضطر المؤتمر الى الحاقه بالوفد)[128].

انهى المؤتمر جلساته في يوم الاحد الموافق 9 فبراير 1919، « ووزع نشرة تخطر بانتهاء اعماله، وانه لم يعد لاي رجل او مدينة او جمعية حق في الكتابة او المخابرة باسمه، الى ان يعقد جلسته الثانية بعد ثلاثة اشهر (في نابلس). وقد فوض الى عزة دروزة ان يستخلص مقرراته بكراس وينشرها مطبوعة ». كما قرر رفع البرقية التالية الى الصحف الاوروبية والاميركية : « ان مندوبي بلدان سوريا الجنوبية، العاقدين مؤتمرهم في القدس من مسلمين ومسيحيين، يكذبون التكذيب التام جميع ما يشيعه الصهيونيون من ان الاتفاق قد تم بينهم وبين العرب بشأن هذه البلاد، ويذيعون بواسطة الصحافة ان الامة العربية الساكنة في سوريا الجنوبية باجمعها تدافع بكل واسطة عن اكتساح بلادها بمهاجرة عامة. ومؤتمرها هذا يعلن لجميع الامم المتمدنة في اوروبا واميركا بان مقرراته بشأن مهاجرة الصهيونيين واتخاذهم

127 ـ الكوكب 140 - 1919/5/6، ج ف ع 48 - 1919/3/6

128 ـ يذكر عزة دروزة ان الانجليز استعانوا بحداد باشا للضغط على اعضاء المؤتمر، ولما لم يستجيبوا له « منع وفدهم من السفر الى دمشق »، عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 35 - 36.

بلادنا وطنا قوميا، ومستقبل البلاد السياسي، قد جرى رفعها الى المؤتمر العام عن يد السلطة العسكرية هنا، واثبت فيها ان اليهود لا يبلغون 9% من السكان، وان الاراضي التي تحت تصرفهم لا تتجاوز 2%. وكذلك اثبت شدة الاخطار التي تنتج من هذا العمل. وامل الامة العربية ان تجد من رجال السياسة العظماء في اوروبا واميركا عدلا وانصافا، لتبقى امينة في بلادها، وتحفظ لاولادها ميراث آبائها سليما من كل تعد يصدر من اي شعب كان[129].

وهكذا أنهى المؤتمر اعماله، لكنه لم ينجح في انتخاب لجنة تنفيذية[130]. وذلك يرجع بطبيعة الحال الى عدم الاتفاق التام داخل المؤتمر. واذا كان الاعضاء المؤيدون للحركة العربية قد نجحوا في اصدار قرار بعدم فصل فلسطين عن سوريا الطبيعية، واعتبارها (سوريا الجنوبية)، فان الاعضاء الموالين للسياسة البريطانية، نجحوا بدرجة أقل، في تضمين قرار المؤتمر السياسي النص على طلب العون والتأييد من بريطانيا. هذا بالاضافة الى ان بعض الاعضاء آثروا ان تكون (فلسطين للفلسطينيين)، ولم يقفوا موقف المعارضة من التفاهم مع الحركة الصهيونية. ومع ذلك استمرت العناصر المؤيدة للحركة العربية تعمل على تعميق موقفها في داخل فلسطين وفي خارجها. فقد نشر محمد عزة دروزة في المقطم، الاثنين 17 مارس 1919 مقالا بعنوان (فلسطين والامة الفلسطينية ورغبتها)، أكد فيه ان الفلسطينيين يطالبون « بعدم تجزئة الاقليم السوري، وان يكون مستقلا استقلالا عربيا، على ان يختار الاستعانة بأمة راقية في خطوات حياته الاولى دون ان تمس كرامته واستقلاله السياسي ».

وازداد عرب فلسطين قلقا بازدياد عمل البعثة الصهيونية داخل فلسطين، وازدياد التصريحات الصهيونية في خارج فلسطين، مما دفع

---

129 ـ الكوكب ـ 140 -1919/5/6.

130 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 128.

كلايتون الى أن يكتب في 26 مارس: « هناك أسباب قوية تدعو الى الاعتقاد بانه يجري الآن الاعداد للقيام باضطرابات مناوئة لليهود في كل من القدس ويافا وغيرهما. مع أنه يجري الآن اتخاذ احتياطات وقائية، الا ان اصدار اعلان ينص على ان اليهود سيمنحون أية امتيازات خاصة قد يولد الانفجار[131] ». ففي 24 مارس رفعت الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس قرارا الى الحاكم العسكري تطلب فيه « اعادة من هاجر الى فلسطين (من اليهود) بقصد الاقامة الى اماكنهم الى أن يعطى القرار الاخير[132] ».
ويسجل خليل السكاكيني في يوم السبت الموافق 22 مارس 1919 ما يلي « تغيب الجنرال مني Money (مدير ادارة بلاد العدو المحتلة الجنوبية) عن القدس، وسافر الجنرال ستورز مع الماجور ريتشموند الى مصر، فصارت الوكالة الى الكولونيل ووترز تيلر. فقامت الجمعية الاسلامية المسيحية (بالقدس) تطلب ان تقوم بمظاهرة كبرى ضد مطامع الصهيونيين. ويقال أن الجنرال ستورز اوعز الى بعض كبار المسلمين بذلك، (يقصد السكاكيني الاسرة الحسينية)، فسافر الى مصر، حتى اذا وقع ما يكدر كانت المسؤولية على غيره. وقد كانت نية الجمعية الاسلامية المسيحية ان تقوم بالمظاهرة بعد يومين أو ثلاثة (24 ـ 25 مارس)، بقصد ان يقوموا بحركتهم هذه قبل رجوع الجنرال ستورز. فأحس بذلك يعقوب (فراج) ابن خالتي، وغيره من أعضاء الجمعية، فعارضوا في ان تكون المظاهرة الآن، وأصروا على ان تكون بعد رجوع الجنرال ستورز. ولم يزالوا بهم (اي بالفريق الذي طلب القيام بالمظاهرة) حتى صرح الفريق الآخر انهم لم ينووا القيام بالمظاهرة الا بعد ان اوعز اليهم الجنرال ستورز بها ووعدهم بالمساعدة. فقال يعقوب (فراج) وجماعته: (اذا لنذكر في طلبنا ان الجنرال ستورز وعدنا بذلك)، وعلى ذلك تم الأتفاق ». ويؤكد السكاكيني ان فكرة المظاهرة « نشأت خارج الجمعية الأسلامية المسيحية، وان اول من اهتم بها هم: المفتي

131ـ المصدر السابق ص 30
132 ـ الكوكب ـ 137 - 1919/4/8.

كامل الحسيني وكاظم الحسيني رئيس البلدية، وان اول من اهتم بها هم: المفتي كامل الحسيني وكاظم الحسيني رئيس البلدية، وعارف الداوودي (الدجاني)، وان الذي اوعز اليهم بها هو الجنرال ستورز[133] ». ومع ان السلطات العسكرية البريطانية لم تسمح بقيام تلك المظاهرة، الا ان ما اورده السكاكيني يدل دلالة واضحة على ان السياسة البريطانية كانت تعمل على تعميق العداء العربي للصهيونية، حتى تقف بريطانيا موقف الحكم باستمرار، وتسيطر بهذا الأسلوب على الزعامات السياسية التقليدية في البلاد.

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد نشاط الحركة الوطنية العربية في داخل البلاد وخارجها في النصف الأول من عام 1919. ففي فلسطين، بدأ الشباب في تكوين فرق الكشافة بحجة ان الحكومة لا تستطيع ان تمارس ضغطا عليها، ويحميها قانونها العام. ففي فبراير 1919، انشأت مدرسة النجاح في نابلس اول فرقة كشفية في البلاد[134]، وتبعتها مدرسة روضة المعارف في القدس[135]. وعني النادي العربي في القدس، وهو الداعي الى وحدة سوريا الطبيعية، بتكوين (فرقة الكشافة الوطنية)، وقد « اهتم الاهتمام الكبير بكل شئون هذه الفرقة، من جهة لباسها الخاص وتعليمها وتدريبها، حتى ادركت في مدة قصيرة شأوا من النجاح غير القليل. وقامت هذه الفرقة في مارس 1919 بجولة في انحاء البحر الميت واريحا والاردن والعوجا (شمال يافا)، حيث قضت عشرة ايام في البحث عن الآثار ودرسها[136] ». ولم تكن جولة (فرقة الكشافة الوطنية) لدراسة الآثار وبحثها في الواقع، لكنها كانت جولة تعليمية تدريبية على الأرض الفلسطينية، ولملاحظة ما يقوم به الصهيونيون من اعمال في فلسطين. ونشطت الحركة

---

133 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 171.

134 ـ ج ف ع 44 - 1919/2/6

135 ـ ج ف ع 51 - 1919/3/27.

136 ـ ج ف ع 53 - 1919/4/10.

الوطنية في دمشق، فأسس الشباب العربي الفلسطيني (جمعية النهضة الفلسطينية)، واتخذت مقرا لها النادي العربي بدمشق[137] . ومؤسسوها من حزب الأستقلال، الذي كان يدعو الى وحدة سوريا.

كان نشاط العناصر الوطنية خارج الجمعيات الأسلامية المسيحية، اكثر وضوحا وفاعلية من النشاط داخل تلك الجمعيات. لقد ظهرت تلك الجمعيات ضعيفة منذ البداية، اذ ان الذين ارتبطوا بها جمعتهم مصالح ذاتية خاصة ولم تجمعهم مصلحة وطنية مشتركة، وقد قدم لنا خليل السكاكيني صورة صادقة عن الجمعية الأسلامية بالقدس. اذ يذكر انه زار الجمعية بالقدس يوم السبت في 3 مايو 1919 « وكان هناك من اعضائها المسلمين عارف الدجاني، محمد يوسف العلمي، الشيخ طاهر ابو السعود، وآخران من القدس. ومن اعضائها الارثوذكس يعقوب فراج والياس مشبك وابراهيم شماس. ومن اعضائها اللاتين شكري الكارمي، بطرس الحلاق، ولطفي ابو صوان، احد عشر عضوا من اربعين. وقيل لي انه لا يحضر الاجتماع اكثر من هذا العدد. فقلت: (اذا كنتم ممثلي الامة، فيجب ان تحرصوا ان تكون جمعيتكم مملوءة حياة ونشاطا، والا فافسحوا المحل لغيركم)، يجتمعون مرة كل اسبوع، يفتحون جلساتهم ويختمونها بدون قراءة وقائع او تقرير امر، كأنهم مجتمعون في قهوة. يمر الشهر تلو الشهر ولا يدفع احد منهم اشتراكه، بحيث يضيقون ذرعا كل شهر باجرة البواب. الخلاصة فانها جمعية على وشك الأحتضار[138] ». ولم تمت جمعية القدس او غيرها في باقي المدن الفلسطينية، لان السلطة البريطانية اسبغت عليها حمايتها ، ولان المصلحة الذاتية كانت اقوى لدى اعضائها من المصلحة الوطنية. وجاءت مناسبة (عيد الثورة العربية) في 9 شعبان، فلم تحتفل بها الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس، لان الأعضاء اللاتين قالوا « لا نستطيع ان نعطيكم

---

137 ـ ج ف ع 42 - 1919/1/23.

138 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 180 - 181

جوابا الى ان نفاوض طائفتنا[139] ». فاحتفل بالمناسبة النادي العربي، والمنتدى الأدبي. ويذكر السكاكيني ان الأحتفال اقيم يوم الجمعة في 9 مايو 1919، وان حفلة المنتدى الأدبي ختمت (بالنشيد الوطني) الذي وضعه السكاكيني « في جبل الدروز (العرب) يوم التحقنا بالجيش العربي، ومطلعه:

أيها المولى العظيم	فخر كل العرب
ملكك الملك الفخيم	ملك جدك النبي
نحو هذا الملك سيروا	قبل فوت الزمن
وعلى الخصم اغيروا	لخلاص الوطن[140] »

المطالب العربية ولجنة كنج كرين

وصلت اخبار اللجنة الدولية (كنج كرين) الى فلسطين في اوائل ابريل 1919، فاستعدت العناصر الوطنية لمقابلة اللجنة وتقديم المطالب لها، وعقدت في البلاد الأجتماعات العلنية والسرية لوضع مطالب البلاد امام اللجنة. ويذكر السكاكيني انه عقد اجتماع يوم السبت الموافق 12 ابريل 1919، في منزل اسماعيل الحسيني، ضم امين الحسيني، اسحق درويش الحسيني، عزة دروزة، حافظ كنعان، راغب النشاشيبي، سعيد الحسيني[141]، يعقوب فراج، المفتي كامل الحسيني موسى كاظم الحسيني، عارف الدجاني، علي جار الله، راغب الدجاني، واسعاف النشاشيبي. واتفق في الأجتماع على ما يلي: (1) ان تكون سوريا التي تمتد من جبال طورس شمالا الى ترعة السويس جنوبا، مستقلة استقلالا تاما

---

139 ـ المصدر السابق ص 181.

140 ـ المصدر نفسه ص 128، الكوكب 143 - 1919/5/27.

141 ـ وصل راغب النشاشيبي وسعيد الحسيني (نائبا القدس في مجلس المبعوثان العثماني) الى القدس في اوائل مارس 1919، بعد ان قضيا مدة الحرب في الآستانة.
انظرج ف ع 50- 1919/3/30.

ضمن الوحدة العربية. (٢) ان تكون فلسطين، التي هي جزء لا ينفك عن سوريا، مستقلة استقلالا داخليا، تختار حكامها من الوطنيين حسب رغائب اهلها وحاجات البلاد. (3) نرفض مهاجرة الصهيونيين، ونحتج على امانيهم في فلسطين بكل قوانا. واما اليهود الأصليون الذين كانوا في البلاد قبل الحرب، فاننا نعتبرهم وطنيين، لهم ما لنا وعليهم ما علينا[142] » ويمكن ان نلاحظ على الاجتماع والقرار ما يلي:

أ) ثلاثة فقط من المجتمعين (14) هم من الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس.

ب) ستة اشخاص من المجتمعين ينتمون الى الأسرة الحسينية.

ج) معنى هذا ان التنظيمات الأسرية كانت ذات تأثير فعال في العمل السياسي، وان الجمعية الأسلامية المسيحية بالقدس لم تكن لها اية سلطة سياسية، وان العمل من خارج الجمعية كان اقوى من العمل من داخلها.

د) يبدو اثر عزة دروزة في القرار السياسي الذي اقره المجتمعون.

هـ) ان الشق الثاني من البند الثالث يدل على وعي سياسي متطور ومتقدم.

هذا بالأضافة الى ان القرار السياسي في مجمله كان مؤيدا للحركة الوطنية العربية التي تدعو الى وحدة سوريا الطبيعية، وتطابق والقرار الذي اصدره المؤتمر العربي الفلسطيني الأول في 9 فبراير 1919. ويبدو ان الحركة الوطنية العربية كانت تحرص في هذا الوقت على وحدة سوريا الطبيعية اقل من حرصها على الأستقلال التام. ويدل على ذلك ما ذكره خليل السكاكيني لستورز « لست اكتمك ان الرأي العام في البلاد يكاد يجمع على انتداب امريكا، لانهم رأوا ان انجلترا هي التي وعدت اليهود باعطائهم فلسطين

---

142 - خليل السكاكيني المصدر السابق ص 175 - 176.

كوطن قومي لهم. ثم رأوا من صنع الأنجليز في البلاد انهم يشجعون الحركة الصهيونية. فاذا انتدبت انجلترا للوكالة على سوريا وفلسطين، عملت على تحقيق اماني الصهيونيين. هذا من جهة، ثم اذا اخذت انجلترا فلسطين تشبث الفرنساويون بأخذ سوريا، وهذا لا يوافقنا، لاننا لا نريد ان نتجزأ ويتولى كل جزء من بلادنا دولة. بل اذا لم يكن بد من الأنتداب فنحب ان تكون البلاد في عهدة دولة واحدة حرصا على وحدتنا. ولان انجلترا وفرنسا تتنازعان النفوذ على بلادنا، فاننا مضطرون ان نختار امريكا، الأمة التي تخلصنا من الصهيونية وتخلصنا من التجزؤ، آثرناها على غيرها[143] ». وقد اكد على هذا المعنى ايضا المرحوم عوني عبد الهادي في مقابلة مع الباحث جرت يوم الخميس التاسع والعشرين من فبراير 1968.

رفع قرار القدس الصادر في 12 ابريل 1919، الى الجمعية الأسلامية المسيحية لتقدمة الى لجنة كنج كرين[144]، وتبنته في اجتماعها الذي عقدته في 11 يونية 1919[145]، اي قبل يوم واحد من قدوم اللجنة الى القدس. ولكن الجمعية اغفلت عبارة (ضمن الوحدة العربية) الواردة في البند الأول من (قرار القدس)، مما دل على اختلاف في داخل الجمعية، بين الموالين للسياسة البريطانية وبين المؤيدين للحركة العربية العامة. واتفق اعضاء الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا حول المطالب لكن بعض الأعضاء انسحبوا من الأجتماع « لعدم موافقتهم على المطالب الثلاثة[146] »، وكان هذا نتيجة تأثير السلطات العسكرية البريطانية في يافا. وعقدت « الجمعية الخيرية الاسلامية وكثير من وجهاء البلاد » اجتماعا في القدس في 24 مايو 1919، وقرروا « بالاجماع انابة الجمعية الاسلامية المسيحية بتقديم طلبات

---

143 ـ المصدر السابق ص 176.

144 ـ الكوكب ـ 144 - 1919/6/3.

145 ـ الكوكب ـ 147 - 1919/6/24.

146 ـ الكوكب ـ 144 - 1919/6/3

الأمة، مع بعض التعديلات الطفيفة، الى لجنة كنج كرين[147] ». وورد من يافا في 16 يونية 1919 ان الوفد الامريكي وصل « الى يافا، وقابلته الوفود الوطنية من مسلمين ومسيحيين، واتفقت اكثرية الأصوات على طلب اشراف انجلترا على فلسطين وسوريا معا، واعطاء البلاد الأستقلال الداخلي والأداري متى تحققت جميعة الأمم من كفاءة اهلها لادارة شئونهم بأنفسهم، وجعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية، وعدم الأعتراف بامتياز اجنبي[148] ». ويؤكد مراسل المقطم الفلسطيني في رسالة صادرة من يافا بتاريخ 17 يونيه ان بريطانيا حازت « اغلبية مطلقة في اختيارها وصية على فلسطين[149] .

هذا التراجع عن المطالبة بالأستقلال الى المناداة بالوصاية، امر يلفت النظر، ويشير بصورة واضحة الى تدخل السلطات البريطانية وتأثيرها على الزعامة التقليدية في البلاد. وخروجا من هذا المأزق، بدأ المندوبون العرب امام لجنة كنج كرين يجهرون بالمطالبة بضرورة ترك مشكلة اختيار الدولة المنتدبة الى المؤتمر المنتظر انعقاده قريبا في دمشق.

افتتح المؤتمر في دمشق في يوم الأربعاء الثاني من يوليو 1919. وتألف اسميا من اعداد متساوية من المندوبين تمثل كل اجزاء سورية « المحتلة الشرقية، المحتلة الغربية، المحتلة الجنوبية). ولكن بعض الممثلين الذين انتخبوا في « المحتلة الغربية » منعتهم السلطات الفرنسية من السفر الى دمشق، فكان الذين حضروا جلسة الأفتتاح 69 مندوبا من مجموع 85 مندوبا يمثلون سوريا وفلسطين[150] . وبينهم عدد من المندوبين المسيحيين يفوق

---

147 ـ الكوكب ـ 145 - 10/6/ëlël.

138 ـ المقطم 1919/6/20.

149 ـ المقطم 1919/7/12.

150 ـ مثل فلسطين 23 مندوبا، اي ثلث الحاضرين. انظر اسماءهمَ في الكوكب 149 - 1919/7/15، المقطم 1919/7/17.

في نسبة التمثيل عدد السكان المسيحيين في البلاد. وتمخضت مداولات المؤتمر عن مجموعة من القرارات التي تحدد الأهداف القومية فيما يتصل بسوريا وفلسطين والعراق، واقرت باجماع لا مثيل له[151].

قدم المؤتمر في 3 يوليو، الى لجنة كنج كرين مقرراته التي اتخذها في اليوم السابق. واصر على طلب « الأستقلال السياسي التام الناجز للبلاد السورية التي تحدها شمالا جبال طوروس وجنوبا رفح. . . بدون حماية ولا وصاية ». (البند الأول)، وان تكون حكومة البلاد السورية « ملكية مدنية نيابية، تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة، وتحفظ فيها حقوق الأقليات »، (البند الثاني). وفسر الأنتداب على انه « مساعدة فنية اقتصادية » لا تمس الأستقلال التام، وطلب الى الولايات المتحدة ان تقدم « هذه المساعدة الفنية الأقتصادية. . . على ان لا تمس هذه المساعدة استقلال البلاد السياسي التام ووحدتها، وعلى ان لا يزيد امد هذه عن عشرين عاما » (البند الرابع). ونص البند الخامس على انه « اذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المساعدة منها، فاننا نطلب ان تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى، على ان لاتمس استقلال بلادنا السياسي ووحدتها، وعلى ان لا يزيد امدها عن المدة المذكورة في البند الرابع ».

اما فيما يختص بفلسطين، فقد حددت البنود التالية مطالب شعب فلسطين:

« سابعا: اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية اي فلسطين وطنا قوميا للاسرائيليين، ونرفض هجرتهم الى اي قسم من بلادنا، لانه ليس لديهم فيها ادنى حق، ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا من حيث الأقتصاديات القومية والكيان السياسي. اما سكان البلاد الأصليون من اخواننا الموسويين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا.

---

151 ـ جورج انطونيوس المصدر السابق ص 405.

ثامنا: اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سوريا المعروف بفلسطين، والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان، عن القطر السوري، ونطلب ان تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان.

عاشرا: ان القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس ولسون التي تقضي بالغاء المعاهدات السرية، تجعلنا نحتج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية (اتفاق سايكس بيكو)، او كل وعد خصوصي يرمي الى تمكين الصهيونيين (وعد بلفور) من القسم الجنوبي من بلادنا. ونطلب ان تلغى تلك المعاهدات والوعود بأي حال كان[152] ».

هذه هي مقررات المؤتمر السوري الاول، ويبدو اثر الشباب العربي من اعضاء حزب الاستقلال واضحا فيها، كما كانت البنود 7 و 8 و 10 دليلا على قوة مندوبي فلسطين في المؤتمر، اذ تولى احدهم، وهو عزة دروزة، سكرتارية المؤتمر. لكن يؤخذ على المؤتمر انه قبل بفكرة الانتداب، ومع انه فسرها (بمساعدة فنية اقتصادية) • الا ان هذا لم يكن ليغير من واقع الامر شيئا. ومع انه حرص على تأكيد الوحدة العربية، الا انه وضع اساس الانفصال الاقليمي، اذ طلب في بنده التاسع « الاستقلال التام للقطر العراقي المحرر»، وبذلك خالف احد المبادىء الاساسية للحركة الوطنية العربية.

لم تخمد الحركة الوطنية في البلاد بعد ان غادرتها لجنة كنج كرين، فقد ذكر احد موظفي دائرة المخابرات البريطانية في حيفا في تقرير مؤرخ في 12 اغسطس 1919 ما يلي « لقد وجدت ان المعارضة في القدس اشد مما كانت قبل ان غادرتها منذ اربعة اشهر، واشد تنظيما. ومن المعترف به بصورة عامة ان القدس ونابلس هما المركزان السياسيان لفلسطين، مع العلم بان المدينة الثانية هي اشد تعصبا وعداء من الاولى[153] ». وقدمت

152 ـ المصدر السابق ص 596 - 598، الكوكب 155 - 1919/8/26، المقطم 1919/7/17.
153 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 140.

الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس مذكرة مؤرخة في 20 اغسطس 1919 الى حاكم القدس ، طلبت فيها « عدم فصل فلسطين عن سوريا بحال من الاحوال » ، وان « تقوم الدولة المنتدبة في سوريا وفلسطين بالمساعدة فعلا ، فترفض السماح بصيرورة فلسطين وطنا قوميا لليهود » . وهددت المذكرة بان « جميع سكان فلسطين بوجه عام لا يمكن ان يقبلوا بهذا المشروع ، وهم على استعداد للتضحية بانفسهم في سبيل مقاومته[154] » .

جمعية الفدائية

لم يقتصر نشاط الحركة الوطنية في هذه الفترة على العمل العلني ، بل تعدى ذلك الى تأليف الجمعيات السرية ، لتواجه نشاط الجمعيات الصهيونية وتقاومه ، وكان اشهر الجمعيات العربية (جمعية الفدائية) ، وهي هيئة سرية ضمت عددا من رجال البوليس والدرك . وكانت هذه الجمعية تعمل مع النادي العربي والمنتدى الادبي وجمعية الاخاء والعفاف على « تسليح الاعضاء بالاسلحة الخفيفة ، واعداد قوائم باسماء البارزين والعناصر الموالية للصهيونية من غير اليهود ، مع تسجيل مكان اقامة كل منهم . بث الدعاية بين بدو شرق الاردن . . . وبذل الجهد لتركيز الضباط الفلسطينيين في عمان حتى يكونوا على اهبة الاستعداد اذا اعلنت سياسة موالية للصهيونية ، ثم تعليم عدد محدود من (الاعضاء) اللغة العبرية حتى يمكنهم متابعة ما يقال او ينشر في الصحف العبرية ، وتعيين (اعضاء) لمراقبة كل ما يدور ويجري ، بذل الجهد للاتفاق مع رجال البوليس والدرك على تسليم اسلحتهم او على الاقل عدم وضع العقبات في الطريق اذا ما نشبت الثورة ، تشريب الاطفال مبادىء الوحدة العربية ولا سيما طلاب مدرستي الرشيدية وروضة المعارف . وبعبارة اخرى كانت جميع انواع الاعدادات تجري بهدوء للعمل في حالة نجاح اي سياسة صهيونية مهما بلغت من الاعتدال[155] » .

---

154 ـ وثائق المقاومة ص 10.

155 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 141.

واستطاع عميل صهيوني سري ان يبلغ دائرة المخابرات الصهيونية (التابعة للبعثة الصهيونية) عن اجتماع (للفدائية) حضره 16 عضوا في 27 اغسطس 1919 ، وذلك على الارجح للاعداد للثورة . وتحدث الاعضاء في هذا الاجتماع عن نجاح الاتصالات التي اجروها مع زعماء العشائر في شرق الاردن وعن مدى توفر الاسلحة ، وعن جميع القرويين في ضواحي القدس الذين ينتظرون بفارغ الصبر صدور اول اشارة لهم للعمل . والقى جودت الحلبي احد زعماء (الفدائية) خطابا كشف فيه النقاب عن تطرف (الفدائية) واستعداد اعضائها للعمل ضد التحالف الانجلو صهيوني في فلسطين : « لقد ابتعنا من اليهود الذين يريدون اخذ اراضينا . ولكن اذا ساعدتهم الحكومة فسنكون ضدها ايضا . وان الكثيرين من اعضائنا واصدقائنا هم من رجال البوليس والدرك ، وهو امر ممتاز جدا بالنسبة لمستقبلنا . ان علينا جميعا الا ننسى شهداء بلاد آبائنا واجدادنا وشهداء كرامتنا » . وقال عضو آخر « ان جميع الفلاحين والبدو ينتظرون اول اشارة منا ، وهم متأهبون لكل شيء » .

وعقد اجتماع آخر في المنتدى الادبي في القدس في اوائل سبتمبر 1919 ، تحدث فيه الاديب اسعاف النشاشيبي ، فقال ان الحاجة ماسة الى المال ، وليس من العار ان يجمع المال بالتبرعات او بعرض اوراق اليانصيب ودعا الى خلق حالة من « الاضطرابات المتواصلة » ، ضد اليهود كوسيلة لمحاربة الهجرة اليهودية . ودعا محمود عزيز الخالدي ، الذي كان ينتمي لعدة جمعيات سرية ، الى اغتيال بعض زعماء اليهود في يافا وحيفا لبث الذعر في قلوب من يحتمل هجرتهم الى فلسطين من اليهود ، وقال « ان شباب هذا البلد لا يخشون احدا بما في ذلك الحكومة الاستبدادية نفسها . انهم يريدون البدء بالعمل حالا ، وهم جميعا على استعداد لملاقاة الموت سعداء . وان معظمهم يسألونني دائما عن الموعد الذي يشرعون فيه بالثورة ضد الكفار ، ويظهرون فيه قوتهم ويتخلصون منهم الى الابد[156] » . وهنا

156 ـ المصدر السابق ص 142 - 143.

لا بد من الاشارة الى ان الحركة الوطنية في فلسطين قد بدأت تتحول الى عداء البريطانيين باعتبارهم السبب الاساسي في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود . وبدا ذلك واضحا بعد اتفاق لويد ـ كلمنصو في سبتمبر 1919 ، وانسحاب القوات البريطانية من سوريا الى فلسطين ، اذ فسرته الحركة الوطنية العربية بانه تقسيم جديد للبلاد ، وقضاء على وحدتها . ولعل ابلغ دليل على رد الفعل الفلسطيني هو ما ورد في مذكرة الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس ، والمقدمة الى الامير فيصل ومعتمدي دول الحلفاء في اواخر اكتوبر 1919[157] .

ابتدأت المذكرة بالتنويه عن وعود الحلفاء في الحرب ، وانه لم يكن لهم مقصد غير حماية الشعوب الضعيفة وتخليصها من مخالب الظلم ، وان الاهالي طلبوا من اللجنة الامريكية « عدم تجزئه بلادنا وعدم تمكين الصهيونيين منها وعدم مساس استقلالنا » . وبينما كان الاهالي ينتظرون ان تنفذ الدول الحليفة وعودها وعهودها « اذ اصبحنا نسمع ما تتناقله الصحف ، مما يستدل منه على تجزئه البلاد وتمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي منها » . واوردت المذكرة رد فعل الاهالي الذين « اصبحوا في شك من وعود الحلفاء باحقاق الحق ، ويرون ان مطالبهم ضرب بها عرض الحائط . وقد استولى اليأس على قلوبهم من نجاح قضية تخليص الشعوب المكلومة . وباتوا يذكرون ماضيهم (اي العهد التركي) بكل خير ، ويتمنون اعادته ، اذ كانوا يرون بلادهم في قبضتهم ، ولم يكن لهم منازع فيها غير قليل من اخوانهم مأموري الاتراك ، الذين كانوا يشاركونهم في الحقوق ، والذين كانوا واياهم على اتم وفاق لولا ويلات الحرب ، والذين رأوا في زمانهم كل العقبات تقام في وجه الصهيوني المستعمر . وعليه اصبحوا يرون ان ما يقال عنه تحريرا لبلادهم هو مجلبة للشقاء والتعاسة ، ويتمنون ان لو لم يكن ذاك التحرير ، الذي يحتمل ان يكون نتيجته ضياع البلاد وشقاء العباد » . وختمت الجمعية مذكرتها بلهجة فيها الكثير من التهديد ، فقالت « ولنا ملء

---

157 ـ الملحق رقم 15.

الثقة بان لا يضيع الانصاف والعدل في قضيتنا الحقة ، وان لا نجبر على تضحية نفوسنا للدفاع عن بلادنا ، والسلام » . ومع ان الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا ، قدمت مذكرة مماثلة الى الجنرال واتسون[158] ، الا انها صيغت بكثير من الاعتدال ، وذلك نتيجة لوقوعها تحت نفوذ السلطات البريطانية في فلسطين .

وقد اكد تقرير دائرة المخابرات البريطانية البحرية انه بحلول شهر نوفمبر 1919 « سارت الحركة المناوئة للصهيونية في فلسطين في منعطف مناوىء جدا للبريطانيين » . وفي 12 ديسمبر 1919 اكدت ان الدعاية المناهضة للصهيونية آخذة في الامتداد الى القرى الصغيرة حيث يبدي الفلاحون اهتماما بالاصغاء عندما تقرأ عليهم الصحف الدمشقية والمحلية . ويجري بحث احتمال القيام بمعارضة فعالة لليهود . وهناك دلائل تشير الى انه ستجري محاولة مؤكدة للقيام بمظاهرة ، ويسود الاجواء شعور من الترقب » . وبحلول اوائل عام 1920 اصبح من الواضح ان وقوع انفجار مناهض للصهيونية غدا امرا وشيك الوقوع . وفي يناير كتبت المخابرات البحرية البريطانية تقول ان وفودا عديدة تفد من دمشق الى يافا « ويعتقد ان هذه الزيارات السريعة تنبىء بوقوع محاولة لاحداث الاضطرابات في مختلف انحاء سوريا وفلسطين في وقت واحد ، وذلك وفقا لمخططات مشابهة لتلك التي اتبعت في مصر[159] » .

وفي 7 يناير 1920 ، زار الجنرال بولز ، الحاكم العام لبلاد العدو المحتلة الجنوبية ، مدينة نابلس ، واعلن فيها ان « مؤتمر الصلح سيبت في مصير البلاد قريبا بفصل فلسطين عن سوريا ، وانه سيمنح اليهود حق الهجرة اليها » . فسارعت الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس ، برياسة توفيق حماد ، الى تقديم مذكرة شديدة اللهجة الى مؤتمر الصلح[160] ، محتجة

158 ـ وثائق المقاومة ص 11. - 13

159 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 145.

160 ـ الملحق رقم 16.

على فصل فلسطين عن سوريا ، والذي يعني « تمزيق البلاد العربية ارضاء للمصالح الاستعمارية » . وتعجبت المذكرة « كيف يجيز الحق والعدل ، اللذان جعلتهما دول الحلفاء شعارا لها في هذه الحرب ، تفريق الامة المتجمعة بينما نرى مؤتمر الصلح يلم شتات الامم المبعثرة كأمة التشيك واليوجوسلاف » . لا ذنب للعرب في ذلك غير انهم « امة شرقية ضعيفة، والمصالح التي تقضي بتجزئتنا هي مصالح امم اوروبية قويات » . واكدت المذكرة ان « سكان فلسطين على اختلاف مذاهبهم هم وحدهم اصحاب الحق الطبيعي والشرعي في البلاد، فيجب ان يكون لهم وحدهم حق تقرير الهجرة (الصهيونية) او رفضها. وانه يؤلمنا ـ كما يؤلم الحق والأنصاف ـ ان تذهب امة بأسرها ضحية وعود سياسية، اقتضتها منافع الأمم القوية. وكيف يجيز الحق والعدل ان تمنح الهجرة اليهودية لفلسطين رغم رغائب سكانها واصحابها، بينما الدول الكبيرة وغيرها، التي لا تؤثر فيها المهاجرة، تسن القوانين بمنح الهجرة التي تراها ملائمة لمصلحتها » . وانتقلت المذكرة الى اراضي فلسطين التي « كانت ولا تزال مملوكة للاهالي، ولا يوجد ما يقال له املاك الحكومة، غير الأراضي (المدورة) التي وضع يده عليها المغفور له السلطان عبد الحميد وجعلها مزرعة خاصة له. وهذه الأراضي لم تكن الا ملكا للاهلين المزارعين، اصحابها الأصليين، وكثير منهم لا يزالون محتفظون بأوراقهم التي تثبت ملكيتهم لها » . وترى المذكرة ان « اعظم جريمة يرتكبها المتمدن الأوروبي هي ظلمنا في تقرير فصلنا عن سوريا وتمكين اليهود من بلادنا » ، وانه اذا « تم قرار مؤتمر الصلح على هذا الوجه، فان الأمة العربية باسرها لا تنظر اليه بعين الأرتياح، بل تنظر اليه نظرها الى عمل اريد به تمزيق العرب واغتصاب بلادهم وتعمد الأضرار بهم، وتعده خيانة لها من حلفائها، الأمر الذي يؤدي الي تزعزع السلم العام المراد توطيده في العالم » . وطلبت المذكرة في النهاية من مؤتمر الصلح « باسم الحق والعدل » ان ينظر في قضية فلسطين « نظر العادل المنصف، ان كان لم يزل من العدل بقية باقية » ، وان لا يحكم بفصل فلسطين عن سوريا، وان

« لا يضطرنا ان نضحي بنفوسنا في سبيل الدفاع عن بلادنا، والسلام ».
والواقع ان هذه المذكرة تعبر بصدق عن وعي وطني عميق، ليس بما يدور بفلسطين، بل ايضا بما يدور خارجها، كما ربطت بين المصالح الأستعمارية وبين قضية تجزئة العالم العربي، وهو امر يشير الى تفهم عميق لدوافع الاستعمار العالمي.

وازدادت الحركة المناوئة للبريطانيين شدة في البلاد، على اثر ما نشرته المقطم في 16 يناير 1920 حول قدوم هربرت صمويل الى فلسطين « ليعاون الحكومة المحتلة في كيفية ادارتها وتنظيم ماليتها ». فعقدت الجمعية الأسلامية المسيحية بنابلس مؤتمران في 26 يناير دعت اليه « وجهاء البلاد ومزارعيها »، وقرر المؤتمر « مقاطعة اليهود مقاطعة تامة، والحيلولة دون اسكانهم او دخولهم الى منطقة نابلس وضواحيها، والأستمرار على هذه المقاطعة والمقاومة الى ان لا يبقى اثر للفكرة الصهيونية او الى ان نفنى عن آخرنا ». كما قرر المؤتمر رفع قراره الى « المدير العام لبلاد العدو المحتلة الجنوبية »، والى « معتمدي دول الحلفاء في القدس » ليرفعوه بدورهم الى « دولهم في مؤتمر الصلح »، وذلك لكي « يعذر الأهلين فيما اذا الجأتهم الضرورة لبذل ارواحهم في سبيل المحافظة على بلادهم[161] ».

ولم يغفل العرب انظارهم عن الحركة الصهيونية في هذه الفترة ايضا ، فقد اوردت جريدة الاخبار الصادرة في يافا في 18 يناير 1920 ان « العصابات هجمت على قرية المطلة (مستوطنة يهودية اسست عام 1896 في اقصى شمال الجليل الاعلى بفلسطين) ، فعاثت فيها فسادا ، وقتلت عددا من اهاليها بعد ان نكلت بهم اشنع تنكيل ، ومن بقي منهم اضطر الى الفرار الى صفد وطبرية وعكا وحيفا ، وانه يوجد منهم في عكا وحدها ما يقرب من مائة نفس » .

وانفجرت البلاد في مظاهرات معادية للصهيونية على اثر اعلان

---

161 ـ الملحق رقم 17، المقطم 1920/2/9، ج ف ع 97 - 1920/2/12.

الجنرال بولز ، في 18 فبراير 1920 ، عن وعد بلفور وانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين . ففي يوم الجمعة 27 فبراير قامت مظاهرة في القدس ، اشترك فيها ما يزيد على 40 الف مواطن ، وقدمت الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس احتجاجا شديد اللجهة ضد وعد بلفور والوطن القومي اليهودي، وانذرت السلطات العسكرية البريطانية بقولها « لا تستهينوا بنا ، واعلموا ان ارادة الشعب من ارادة الله ، وان البعوضة تدمي مقلة الاسد » . وختمتها بالعبارة التالية : « وفي الختام نؤكد جميع مطالبنا التي قدمناها للجنة الامريكية وهي استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية من طورس الى رفح، وعدم فصل فلسطين عنها ، ورفض المهاجرة الصهيونية ، التي نحن على استعداد تام لمقاومتها الى آخر رمق من الحياة . وقد التمسنا منكم مرارا ، وها نحن نحتج اخيرا . وان اعمالنا تؤيد مطالبنا ، ولسنا مسئولين عن ذلك والسلام[162] » . وقامت مظاهرة في نفس اليوم في يافا « احتجاجا على فكرة جعل فلسطين وطنا قوميا للصهيونيين ، والسماح لهم بالمهاجرة » ، وفي بيت لحم وبيت جالا[163] . وفي حيفا وقع عدد كبير من المسلمين والمسيحيين على عريضة احتجاج بدلا من القيام بمظاهرات ، لانهم خافوا ان « يحدث ما يسبب تكدير صفو السلام » ، ورأوا « من الحزم الاكتفاء بان يقدم ممثلو المسلمين والمسيحيين في مدينة حيفا هذا الاحتجاج الى الحكومة البريطانية «رحمة بالانسانية ومنعا للدماء[164] » .

رد الفعل اليهودي

بعد ان تعرضت المستوطنات اليهودية في الجليل الاعلى لغارات البدو وهجماتهم ، جرى نقاش طويل في الاوساط الصهيونية بفلسطين حول جدوى وكيفية الدفاع عن المستعمرات الواقعة هناك . فعقد الفاد زماني Vaad Zemani (المجلس المؤقت ليهود فلسطين) جلسات متكررة لهذا

---

162 ـ الملحق رقم 18.

163 ـ الكوكب ـ 182 - 1920/3/9.

164 ـ الكوكب ـ 1920/3/182.

الغرض منذ 22 فبراير 1920 ، وكان يوشسكين قد تولى رئاسة البعثة الصهيونية منذ سبتمبر 1919 . فتقدم جابوتنسكي[165] برأي يدعو المستوطنين اليهود الى الانسحاب من تلك المستوطنات . وناشد ممثلي الكتائب العمالية المنظمة ان يبادروا الى استدعاء رفاقهم من منطقة الخطر ، علما منه واقتناعا بان السلطات الفرنسية (الذي كان الجليل الاعلى واقعا تحت سيطرتها في هذه الفترة) سوف تضع حدا لهجمات البدو . كما انه لم ير اي جدوى في الدفاع عن مستوطنات الجليل بمعزل عن المساعدة البريطانية . غير ان بقية اعضاء المجلس لم يكونوا من رأيه ، واعتبروا الدفاع عن الجليل الاعلى مسألة وثيقة الصلة بالشرف والكرامة . وحين قتل جوزيف ترمبلدور[166] J. Trumpledor وستة من رفاقه الذي اشتبكوا مع البدو ، في اول مارس 1920[167] ، في مستعمرة تل حي[168] ، عثر جابوتنسكي على ضالته المنشودة ، وجعل من قضية مقتلهم بندا لتوجيه اشد الانتقادات الى الزعماء الصهيونيين الذين عارضوه ، فاتهمهم بالعجز والتقاعس عن اتخاذ اية تدابير عسكرية الطابع ، زاعما ان موقفهم لا يعدو كونه استهتارا بقيمة الحياة البشرية . بينما نسب الى نفسه الرغبة في انقاذ الحياة الغالية لاولئك الذين عقدوا العزم البطولي للدفاع عن المستوطنات . وكان جابوتنسكي قد سعى منذ اواخر 1919 ، بالاشتراك مع بنحاس روتنبرغ وموشيه سميلانسكي ، الى نقل فكرته حول (الدفاع عن النفس) على الصعيد العملي . وبدأ في اعداد (قوة للدفاع عن النفس) وتسليحها وتدريبها على قتال العصابات ، وهي التي تحولت فيما بعد الى جماعة الهاجاناه . اما التكتيك الذي اتبعه جابوتنسكي فهو مستمد من مفهومه (للاستراتيجية السياسية الصهيونية) .

---

165 ـ عينه وايزمن في 8 يناير 1919 ضمن هيئة الخبراء والمستشارين التابعين للمنظمة الصهيونية ، مع بقائه ضابط في الجيش البريطاني .

166 ـ مؤسس حركة الرواد الصهيونيين .

167 ـ Sykes, p. 34 ، ويقول سايكس ان الهجوم كان بتحريض من المؤتمر السوري العام . op. cit., p. 52.

168 ـ كيبوتس ، اسسه عام 1916 افراد جماعة الحراس (هاشومير) في الجليل الاعلى .

وقد عبر عن ذلك المفهوم في مقالة نشرها في جريدة هآرتس في 28 مارس 1920 وجاءت بمثابة قانون ايمانه . قال جابوتنسكي « وجدت نزعة خلال العامين الماضيين لاصطناع احداث في فلسطين تبرهن للمسئولين في لندن بان وعد بلفور يجب التخلي عنه . ولقد اوصلت هذه النزعة البلاد الى وضعها الحاضر، غير ان الرأي العام اليهودي يجب الا يبالغ في تصوير الخطر . ان هدف القوى المعادية للصهيونية (يقصد العرب) هدف شرير ، لكنها لن تتمكن من تحقيقه الا متى استمر سكوتنا نحن اليهود . لقد ارتكبنا غلطة لا مثيل لها حين اخلدنا الى السكون والهدوء . ولعلنا نتعلم امثولة من ذلك ، ان بريطانيا تنعم برأي عام صائب الحكم وعميق النظر ، وهو الى جانبنا . غير ان الرأي العام هو كناية عن محكمة لا تتدخل في النزاع ما لم يمثل امامها امرؤ ويعرض قضيته عليها . فلو فعلنا ذلك لانتصرنا ، واذا فشلنا في القيام به كتبت لنا الخسارة » .

واذا كان الجيش الذي شرع جابوتنسكي في تأليفه مسألة علنية تمت بمعرفة السلطات البريطانية وموافقتها ، فلا عجب اذن ان تساور عرب فلسطين مختلف الشكوك حول الغاية التي من اجلها تم تأليف جيش جابوتنسكي . ولقد قام المجندون الصهيونيون بتدريباتهم ومناووراتهم على مرأى من السلطات والناس . يقول الياس جنزبورغ E. Genzborg احد رفاق جابوتنسكي « قبل بضعة ايام من موسم النبي موسى اجرت (فرق الدفاع عن النفس) مناورات عسكرية منتظمة عند سفح جبل الزيتون وعلى منحدراته ، حيث يقوم مقر الحكومة ، ولقد تابع الضباط البريطانيون حركاتنا من خلف المنظار . . . فالموقف الرسمي ازاء منظمة الدفاع عن النفس لم يبد سلبيا بل اظهر نوعا من الرعاية الابوية » كما ان الكولونيل باترسون Patterson يؤكد اقدام جابوتنسكي على تنظيم (قوات الدفاع عن النفس) بمعرفة السلطات التامة ، قبل اسابيع عديدة من نشوب الاضطرابات . وكان اول عمل قام به ، اثر تسليمه قيادة القوات ، هو ابلاغ السلطات بوجودها وتسليحها

وغرضها[169] .

هبة 4 ابريل 1920

في هذا الجو السياسي المضطرب ، الذي ساد البلاد في مارس 1920 ، اصدرت السلطات العسكرية البريطانية ، نتيجة للضغط الصهيوني ، امرا في 11 مارس ، حظرت فيه القيام باية مظاهرات ، مما سبب استياء كبيرا لدى عرب فلسطين . ويكتب ستورز في نفس الشهر ما يلي « اصبح استياء العرب من تصريح بلفور اعلى صوتا واكثر عمقا ، وقدم نجاح العنف في مصر للمتطرفين مزيدا من التشجيع[170] » . وكان اقتراب موعد اسبوع عيد الفصح ومصادفة وقوع الاحتفالات الدينية للمسيحيين واليهود في نفس موعد احتفالات النبي موسى عند المسلمين ، قد احدث قلقا بالغا لدى الطائفة اليهودية والادارة العامة . ففي تلك المناسبة يحتشد الزوار المسلمون حاملين البيارق المحلية وقادمين من القرى والمدن الى القدس . وكانت الحكومة تعترف على الدوام بهذا الموسم، وتؤمن القوات الضرورية لحفظ الامن ، فضلا عن فرقة موسيقية للاحتفاء بالمناسبة . على انه بالنظر للهياج السياسي والتوتر السائد ، لم يكن من المستغرب ان تقرر الاوساط الوطنية العربية في فلسطين تحويل اي تجمع الى مناسبة للاحتجاج والتحريض ضد الصهيونية والادارة البريطانية[171] .

اختلفت الروايات حول بداية الاصطدام في 4 ابريل . فقد ذكر لنا السيد عبد الرحمن علي[172] في مقابلة جرت معه في 23 اكتوبر 1971 ما يلي « كان اهالي نابلس يدخلون القدس من باب العمود يوم الخميس ، ويوم الاحد التالي كان يدخل اهالي الخليل من باب الخليل، ثم يلتقون مع بقية

---

169 ـ اسعد رزوق المصدر السابق ص 435 - 437.

170 ـ Storrs, op. cit., p. 329

171 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 147.

172 ـ من لفتا قضاء القدس، واحد اوائل قادة الكشافة في فلسطين، ورفيق الحاج امين الحسيني منذ عام 1936 حتى عام 1950.

الاهالي في المسجد الاقصى يوم الجمعة ، ويتوجهون الى النبي موسى الذي يبعد 30 كم شرق القدس على طريق اريحا . وحصل ان منعت الشرطة اهالي الخليل من الدخول ، فقام عبد اللطيف ابو سنينة الشهير بابي الشعر ، وضرب احد رجال الشرطة بالسيف ، وبعدها داهمت جماهير الخليل الباب، وبدات الاشتباكات مع اليهود لمدة ثلاثة ايام . ويلاحظ ان الاصطدامات لم تكن مدبرة ، على الاقل من جانب العرب . وكان نشيد المحتفلين :

بــلاد الـعــرب اوطــاني   مـن الشـــام لـبـغــدان »

وكتب السكاكيني في يوم الاحد 4 ابريل 1920 انه رأى الموكب الخليلي يدخل القدس ويستقبله القدسيون والنابلسيون « فتألف من الجميع موكب حافل جدا ، وكانوا يهزجون اهازيجهم الحماسية . فوقف الخطباء على شرفة النادي العربي وجعلوا يتناوبون الخطابة ، فرحبوا بالموكب الخليلي وحاولوا اثارة الحماسة ما استطاعوا . ونحن هناك (اي بقرب النادي العربي) وقع اضطراب في الموكب وجعل الناس يتراكضون . وكانت الحجارة تتساقط على اليهود، فاقفلت المخازن وارتفع الصياح . رأيت ابواب المخازن اليهودية وزجاجها محطمة . ورأيت احد الجنود الصهيونيين معفرا بالتراب، ملطخا بالدم ، فدخل احد المخازن وهو لا يستطيع ان يمشي . ثم رأيت خليليا جاء الى يهودي مساح احذية كان مختبئا في احدى زوايا باب الخليل بجانب السور تحت كيس، فاخذ صندوقه وضربه به على رأسه فصاح وراح يركض ورأسه يسح دما ، فرجع عنه الخليلي الى الموكب . فدخلت المدينة ، وكان الموكب قد وصل الى فندق (مرقص) وقد بلغ منه الهياج اقصاه . وكلهم يصيحون (دين محمد قام بالسيف) ، وفي ايديهم العصي يهددون بها . وكاد يتحول هياجهم الى جنون . واذ حاول مساعد البوليس الانجليزي ان يسوقهم ، هجموا عليه واخذوا بعنان فرسه ، ولو لم يحتطه فرسان البوليس لكانوا ضربوه . بل رأيت واحدا ضربه بخنجر فلم يصبه . وفي اثناء ذلك كان الخبر قد وصل الى العسكرية فجاء

الُجند بسلاحهم وضبطوا الطرق » . وسمع السكاكيني بعد ظهر ذلك اليوم ان «الموكب سار من باب الخليل الى حارة اليهود فنهب الدكاكين وضرب اليهود ، فوقع جرحى كثيرون[173] ».

وكتب عيسى السفري « هرع المقدسيون يوم الاحد في 4 نيسان (ابريل) 1920 حسب عادتهم لاستقبال اهل الخليل الذين يؤمون القدس في مثل هذا اليوم من كل سنة ، قاصدين زيارة مقام النبي موسى . فكان الاستقبال عظيما جدا ، اشترك فيه ابناء القدس وقراها ، وابناء نابلس ووفود البادية والطوائف المسيحية المختلفة ، ينادون بالوحدة العربية والاستقلال ورفض الهجرة الصهيونية والدعاء للملك فيصل . وخطب في الجماهير بعض الشبان المتحمسين نذكر منهم السادة عارف العارف وخليل بيدس وموسى كاظم باشا الحسيني ، رئيس بلدية القدس ، وعبد الفتاح درويش ، فالهبوا شعور المتظاهرين وبخاصة حينما رفعت امامهم صورة الملك فيصل ، ووضعت بجانب علم الخليل . وصادف مرور بعض اليهود بين الشعب الصاخب ، فهاجت الافكار ، واحتدمت نيران الفتنة بين الطرفين ، فقتل منهما عدد ليس بالقليل ، وظلت الحالة مضطربة حتى المساء » . ويضيف السفري الى ذلك ان مفتي القدس، كامل الحسيني، «اعاد الى الجنرال بولز الوسام الذي منحته اياه الحكومة البريطانية احتجاجا على الحالة [174] » . ويقول دروزه انه في موسم النبي موسى « اعتدى بعض العرب على بعض اليهود[175] ». اما محمد كرد علي فيقول عن اضطرابات القدس «ربما كانت مدبرة من اليهود او الحكومة[176] » . وكتب اميل الغوري رسالة الى المقطم حول (التشكيلات العسكرية اليهودية في فلسطين) جاء فيها ما يلي « في ظهر يوم الاحد الواقع في 4 نيسان من ذلك

173 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 193 - 194.

174 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 47.

175 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 37.

176 ـ محمد كرد علي : خطط الشام دمشق 1925، ج220. 3 a

العام (1920)، وبعد ان هدأت الاضطرابات التي وقعت في صباحه، وقف امام اسوار بيت المقدس جيش لجب من الصهيونيين المسلحين بانواع الاسلحة ، وحاول اقتحام المدينة القديمة العربية لولا ان ردته القوة العسكرية البريطانية ، وحالت دون غضب العرب ودونه . وعرف ان ذلك الجيش كان مؤلفا من بقايا الفرقة العسكرية اليهودية التي كانت تعمل مع الجيش البريطاني في اثناء الحرب الماضية ، ومن الشباب الصهيونيين الاصلاحيين ، وكان على رأس ذلك الجيش الزعيم الصهيوني الاصلاحي المعروف الخواجه فلاديمير جابوتنسكي[177] » . ويذكر الشقيري ان الناس «كانوا يتحدثون عن الثورة العربية في القدس لمناسبة الاحتفال بموسم النبي موسى حين تحرش اليهود بالمسيرة العربية وحاولوا انتزاع العلم العربي من ايدي الشباب، ووقعت معارك دامية كانت القوات البريطانية فيها الى جانب اليهود[178] » . وتؤكد فرانسيس نيوتن ان احد اليهود لوث احد الاعلام الاسلامية المقدسة ، وتلا ذلك بداية الاضطراب ، وان هذه الحوادث كلها كانت احتجاجا على الوطن القومي اليهودي في فلسطين[179] .

اما وايزمن فيقول ان حوادث النبي موسى لعام 1920 كانت مدبرة ، وذلك لعرقلة مؤتمر سان ريمو وقراراته من حيث وضع الانتداب وتصريح بلفور[180]. ويعتقد ماينر تزهاجن ، كبير الضباط السياسيين لدى اللنبي ، ان ستورز هو الذي شجع ونظم اضطرابات 1920 بين العرب واليهود[181] .

هذه هي اهم الروايات عن هبة ابريل 1920 . لكن معطيات الامور ترسم صورة اخرى :

1) في ظروف الموجة القومية في العالم العربي، تحول موسم النبي

177 ـ المقطم 1939/8/21.

178 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 67

179 ـ Francd Newton, op. cit., pp. 133 - 5

180 ـ Weizmann, op. cit., p. 321.

181 ـ Sykes, op. cit., pp. 39 - 40

موسى الى مظاهرة قومية من الدرجة الاولى . فالوفود الكبيرة التي تأهبت للاشتراك في الموسم كانت « تنادي بالوحدة العربية والاستقلال وترفض الهجرة الصهيونية » ، واشتراك الوفود المسيحية مع المسلمين زاد من شدة الحماس.

2) كانت البعثة الصهيونية التي وصلت الى البلاد في ابريل 1918 ، تعرب عن مطامعها في السيطرة على البلاد وتتجاهل حقوق الجماهير العربية تجاهلا تاما ، مما زاد في مخاوف هذه الجماهير من مدلولات وعد بلفور . كذلك الممارسة الصهيونية المعادية للجماهير العربية في مظاهر عدة ابرزها الاعدادات العسكرية ، و (قوة الدفاع عن النفس) التي اسسها جابوتنسكي باشراف وموافقة السلطات البريطانية .

3) ولا شك ان اساطين الاستعمار البريطاني ، بذلوا كل جهد لتأجيج النزاع العنصري بين العرب واليهود، لحرف النضال عن مساراته الصحيحة، ليصبحوا قضاة بين متحاربين بدلا من ان يكونوا هدف المناضلين من اجل الاستقلال.

4) وفي التوتر الذي ساد جو البلاد في مارس ، كان من السهل ان يشتعل النزاع العنصري . فلقد اكد تقرير لجنة بالين ان «هنالك بعض الادلة التي تشير الى ان بضعة افراد من اليهود كانوا مسلحين ، وانهم اطلقوا النار على الغوغاء (يقصد العرب) انتقاما في بعض الحالات[182].

ومهما يكن، فقد فرضت السلطات العسكرية البريطانية الاحكام العرفية على القدس، ويصف السكاكيني ذلك بقوله « وقد علقت الاعلانات على الجدر خارج المدينة ، لا يجيزون لاحد ان يخرج من المدينة او يدخل اليها الا بوثيقة من الحاكم العسكري[183] » . وقد صرح المستر تشرشل وزير المستعمرات في 29 ابريل امام مجلس العموم بان « الاضطرابات

---

182 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 148.

183 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 194.

امتدت حتى 8 ابريل، وفرضت الاحكام العسكرية ، وان الاضطرابات لم تتعد مدينة القدس. وبلغ مجموع الاصابات 250 اصابة ، تسعة أعشارها من اليهود. وتم تشكيل لجنة عسكرية للتحقيق (برئاسة بالين Palin)، ودعي الرؤساء الدينيون للمثول امامها او ارسال من ينوب عنهم . وقدم المتهمون الى محكمة عسكرية ، وفرضت عقوبات قاسية . حكم على جابوتنسكي بالجسن 15 عاما لحمله السلاح وحضه على الشغب ، وعلى 19 يهوديا بالسجن 3 سنوات لكل منهم . وحكم على اثنين من المسلمين (امين الحسيني وعارف العارف) بالسجن لمدة 15 سنة ،و7 آخرون ينتظرون المحاكمة[184] » .

قدمت لجنة بالين Palin، التي تشكلت من عناصر عسكريةيرأسها الجنرال موني، تقريرها الى وزارة الخارجية[185]، وظل التقرير سرا الى ان كشف عنه النقاب في عام 1968[186] . واذا كان الجنرال ستورز يتهم اللجنة بانها تعدت اختصاصاتها[187]، فلم يكن ذلك الا لان التقرير كان منصفا للعرب الى حد ما. فقد اعترف تقرير اللجنة بان البريطانيين يواجهون في فلسطين «مواطنين محليين يهيمن عليهم السخط الشديد بدافع من شعورهم بالغبن وخيبة الامل، ويلفهم الذعر بشأن مستقبلهم . ونتيجة ذلك ان 90% منهم يكنون عداء مريرا للادارة البريطانية العامة[188] » . وقال اعضاء اللجنة في استنتاجاتهم النهائية « ان سياسة الادارة الفلسطينية تتعرقل تعرقلا كبيرا بسبب تدخل السلطات المركزية المباشر لصالح الصهيونية . ووجد اعضاء اللجنة انفسهم مضطرين كذلك الى التحذير من ان الحالة الراهنة الناشئة في فلسطين هي حالة بالغة الخطورة ، وتتطلب معالجة قوية تتسم بالجد

---

184 _ P.D. vol. 128,cols. 1398 - 1400.

185 _ op. cit., col. 1993

186 _ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 151.

187 _ Storrs, op. cit., p. 331.

188 _ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 149.

والصبر ، اذا اريد تجنب كارثة خطيرة[189] » . وقد اكدت لجنة التحقيق الملكية في تقريرها على نفس هذا المعنى[190] .

اسفرت انتفاضة ابريل 1920 ، عن تحد جديد للحركة الوطنية العربية في فلسطين . فقد هدد ستورز ، حاكم القدس، موسى كاظم الحسيني ، رئيس البلدية بعدم العمل في السياسة ، بعد خطابه في المتظاهرين ، ثم نحاه عن منصبه وعين بدلا منه راغب النشاشيبي الذي وافق كتابه على قبول المنصب . ويذكر ستورز ان موسى كاظم اشار عليه بالتريث لانه لا يوجد اي عربي يمكن ان يقبل المنصب بعده ، فاذا بستورز يعرض عليه كتاب راغب النشاشيبي ، فشكره موسى كاظم وانصرف[191] . لكن (الشورى) تورد القصة بشكل آخر فتقول «بعد اضطرابات القدس في ابريل 1920 ، وضع الاهالي مضبطة طلبوا فيها من الحكومة البريطانية عزل حاكم القدس المستر ستورز من منصبه . وقد وقع على العريضة اعيان القدس وفي اولهم موسى كاظم رئيس البلدية . وكان راغب النشاشيبي يتردد بكثرة على الاندية الوطنية وعلى الدوائر الحكومية في وقت واحد . فلما علم بامر العريضة المشار اليها اخذ حذره منها وصار يتوارى عن اعين الذين يحملونها ويطلبون من الاعيان توقيعها ، الى ان قطع القوم املهم في العثور عليه ، فارسلوا العريضة الى الحكومة بدون ان يكون توقيع راغب النشاشيبي فيها ، وقيل انه كان ينصح الناس بعدم توقيعها . وقد حفظ المستر ستورز هذه البادرة لراغب ، الى ان جاءت الفرصة المناسبة ، فطلب المستر ستورز باسم الحكومة من موسى كاظم احد امرين : اما ترك التدخل في الامور السياسية والوطنية ، واما ترك رياسة البلدية ، فاختار كاظم السياسة على الرياسة واستقال . فبادر ستورز الى تعيين راغب النشاشيبي رئيسا للبلدية لانه استحق تقدير الاحتلال[192] » .

---

189 ـ المصدر السابق ص 151

190 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 68.

191 ـ Storrs, op. cit., pp. 333 - 4.

192 ـ الشورى 1927/4/14.

ومهما يكن فيما اوردته (الشورى) من نقد، فان قبول راغب النشاشيبي منصب رياسة البلدية يشير الى عدم « التضامن والتصميم في صفوف الوجهاء العرب في وجه الادارة البريطانية»، والى فشل المعارضة العربية في احداث اي تغييرات جوهرية في الصورة العامة للسياسة البريطانية في فلسطين[193].

لم تؤثر احداث انتفاضة ابريل. 1920، على مؤتمر سان ريمو ، بل اسرع المؤتمر في اصدار قراره يوم 25 ابريل، الذي قضى يمنح الانتداب على فلسطين لبريطانيا، مع ادماج نص وعد بلفور في صك الانتداب. وابلغ الجنرال بولز هذا القرار الى زعماء القدس في 29 ابريل 1920 . وعقب ذلك ، اجتاحت البلاد موجة من احتجاجات العرب الفلسطينيين[194] ، وظهرت بوادر القلق والتمرد. وكانت قد وقعت عدة اشتباكات بين القبائل العربية والحرس البريطاني على طول الحدود التي تفصل فلسطين عن سوريا في المنطقة الممتدة بين بيسان وسمخ. فقد اورد امين سعيد عن حوادث بيسان ما يلي « قبضت السلطة البريطانية في بيسان يوم 21 ابريل 1920 على الامير محود الزناتي من امراء عشائر الغور، فهاج ذلك قبائله، فتجمهرت وهجمت يوم الخميس 1920/4/22 على السجن بقيادة الامير بشير الغزاوي ، فأخرجت السجين بالقوة . وجاء الانجليز على الاثر بقوة من حيفا وطبريا ، فطاردت العربان الذين ارتدوا الى الضفة الشرقية للاردن ، ولجأوا الى جبال عجلون واستنفروا العرب، فنفروا معهم وجمعوا جموعا غفيرة اغاروا بها على سمخ وبيسان وبعض القرى اليهودية. وانقطع سير القطارات على اثر هذا الحادث بين حيفا ودمشق، وتعطلت المواصلات البرقية والتلفونية، وارسلت السلطة البريطانية طيارات للاستطلاع، واطلقت النار على الثوار، وتم بعد ذلك توطيد الامن[195] » . وفي 6 مايو 1920 نشرت صحيفة (فتى

---

193 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 151

194 ـ انظر عريضة الاحتجاج المقدمة من الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس الى مؤتمر الصلح في امين سعيد : المصدر السابق ج3 ص 59.

195 ـ امين سعيد : المصدر السابق ج3 ص88

العرب) ان «المسلمين والمسيحيين يعقدون مزيدا من الاجتماعات السياسية التي قد تسفر عن احتجاجات ضد السياسة البريطانية التي اسهمت في تقسيم سوريا» . وبعد ذلك نشرت (صحيفة الكرمل)[196] ان « وفودا قد ارسلت الى منطقتي الجليل وعكا لحث السكان على تقديم المساعدة في مؤتمر القدس» الذي كان سيعقد في مايو 1920 . وبالرغم من السخط والاستياء الذي يكنه العرب الفلسطينيون للسياسة الموالية للبريطانيين، فانّ الزعامة السياسية التقليدية في البلاد كانت تسعى جاهدة ومصممة الى تجنب الاصطدام مباشرة بالسلطات البريطانية في غضون الكفاح ضد الصهيونية. فقد كانت تلك الزعامة تهدف الى احدث تغيير في السياسة البريطانية في فلسطين من خلال التصميم السلمي والاقناع الودي. فقد كشفت الكرمل (13 مايو 1920) في مقال حول طريقة تركيب المؤتمر وهدفه، عن الاستراتيجية التي تنتهجها الجمعيات الاسلامية المسيحية في وجه التحالف الانجلو صهيوني، فقالت «ان الحكومة البريطانية حكومة قوية، ومن ثم فمن الصعب علينا ان نحاربها. فلا بد لنا اذن من جعل ثورتنا تقتصر على محاربة خصومنا». ومع ذلك كله، فقد حظرت السلطات البريطانية لاسباب تتعلق بالامن عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني[197].

ومضت اقلية من الوجهاء السياسيين الى حد التعاون مع الصهيونيين. فبموجب برنامج صهيوني سري وضعه وايزمن، عقد الدكتور ايدر Eder ـ من اعضاء البعثة الصهيونية ـ صفقة مع رئيس تحرير جريدة الاخبار (في يافا) بمبلغ 125 جنيها . وعقد صفقات بمبالغ اكبر مع كل من سعيد النابلسي

---

196 ـ صدرت (الكرمل) بعد الحرب العالمية الاولى في اول فبراير 1920، فقد نشر نجيب نصار هذا الاعلان « ستصدر جريدتنا الكرمل في اول شهر شباط (فبراير) 1920 ان شاء الله . الجريدة ستتبع خطة وطنية وتخدم مصالح البلاد واهلها، وستستقى اخبارها السياسية من خيرة المنابع البريطانية والفرنساوية والاميركية، لتربح ثقة قرائها في المستقبل كما ربحتها في الماضي . نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل » . انظر الكوكب ـ 178 - 1920/2/10 .

197 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص38.

ورشيد ابو خضره من يافا وحيدر طوقان من نابلس. لكن هذه الحملة فشلت، اذ كتب ضباط قسم الاتصال التابع للدكتور ايدر تقريرا يتضمن قيام موجة من الاحتجاجات الفلسطينية ضد المتعاونين. ولقد كانت هذه الحادثة بالذات هي التي دفعت الكرمل (14 مايو 1920) للدعوة الى الوحدة الوطنية لكي تحث الراي العام للضغط على الملاكين حتى لا يبيعوا اراضيهم لليهود[198].

الجمعية العربية الفلسطينية

وتحركت العناصر الفلسطينية في دمشق للعمل. ففي 31 مايو 1920، « اجتمع في النادي العربي في دمشق جمع كبير من رجال فلسطين وقرروا تأليف جمعية باسم (الجمعية العربية الفلسطينية)، وانتخبوا لها لجنة ادارية من كل من عارف العارف، زفيق التميمي، عزة دروزة، معين الماضي، الحاج امين الحسيني، ابراهيم القاسم عبد الهادي، وسليم عبد الرحمن. وقد اجتمعت اللجنة الادارية وانتخبت عارف العارف كاتبا عاما، وعزة دروزة امينا للمال، والحاج امين الحسيني معتمدا للجمعية. وكان اول عمل لها ان دعت جميع الجمعيات والنوادي الفلسطينية للاتحاد في العمل المشترك، واخذت تمهد السبيل لعقد مؤتمر فلسطيني في دمشق، واحتجت على قرار مؤتمر سان ريمو، وعلى تعيين هربرت صمويل مندوبا ساميا لفلسطين. واذاعت بيانا عاما على مسلمي الهند والعالم اجمع لافتة انظارهم الى الخطر اليهودي، ورفعت الى قداسة البابا احتجاجا شديد اللهجة في صدد قضية فلسطين[199]

لم يلق تعيين هربرت صمويل ارتياحا لدى الأوساط الشعبية في البلاد، لانها اعتبرته صهيونيا، يسعى لاقامة دولة يهودية في فلسطين، فهم قد عرفوه عندما كان في فلسطين في فبراير ومارس 1920، ومع ذلك لم تجد المعارضة شيئا، فوصل الى يافا في 30 يونيه 1920. والقى عاصم السعيد خطاب ترحيب مهنئا بسلامة الوصول، وقال « ان هذه البلاد في حاجة شديدة

---

198 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 156 - 157.

199 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 34 - 35.

الى مندوب سام بريطاني ينظر بعدل وثبات ودقة ومقدرة في احوال هذه البلاد وما تحتاجه من كل وجه، ولذلك نتمنى من صميم قلوبنا سعادة هذه المدينة وهذه البلاد، مع وجود سكانها في حماية الأمة البريطانية وذمارها ». ثم وضع خطابه في صندوق مزركش، قدسي الصنع، وقدمه هدية الى هربرت صمويل[200]. وبعد ظهر اليوم نفسه وصل المندوب السامي الى القدس، فرحب به راغب النشاشيبي رئيس البلدية، وقال « ان المدينة المقدسة ترحب بفخامتكم ايها المندوب السامي الموفد من قبل صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى، اعظم ملوك الأرض، لتنوب عن جلالته في ادارة هذه البلاد، ولتجلب السعادة لسكانها، ولتضع لهم طريق التقدم والفلاح، ولتحافظ على ميزان العدالة بينهم بدون تمييز او تفريق. وهذه غايات الحكومة البريطانية في جميع البلدان التي تدير شئونها. اننا واثقون بمساعدة الأمة البريطانية، ام الحرية والسلام[201] ».

وكان ستورز في القدس، وستانتون في حيفا، قد اصدرا اعلانا مؤ رخا في 340 يونيه، طلبا فيه من اهالي الجنوب الأجتماع في القدس يوم 7 يوليو، وان يجتمع اهالي الشمال في حيفا في الثامن منه. ودعا الوطنيون الى مقاطعة الأجتماعين « ولبضعة ايام وفي بعض المناطق، ساد التوتر بعض الوجهاء البارزين بشأن الطريق الذي يسلكونه، ولكنهم في النهاية حضروا جميعا باستثناء عدد ضئيل جدا[202] ». وقد اظهر سلوك الزعامة التقليدية بحضور اجتماعي 7 و 8 يوليو، مدى الوهن في صفوفهم، كما دل على الأسلوب السياسي الذي سوف تتبعه تلك الزعامة في المستقبل.

على ان الظروف السياسية اخذت في التغير سريعا منذ اواخر يوليو 1920. ففي 24 من الشهر المذكور، انهار الحكم العربي الفيصلي في دمشق، وخضعت سوريا للحكم الفرنسي المباشر، مما سبب صدمة عنيفة

---

200 ـ الاهرام 1920/7/2.

201 ـ المقطم 1920/7/3.

202 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 160

للحركة الوطنية العربية في فلسطين بالذات. وكان ضرب ثورة العشرين العراقية في 20 نوفمبر 1920، صدمة ثانية، فرضت على القيادة الوطنية في البلاد ان تعيد النظر في استراتيجيتها واسلوبها السياسي. لقد كانت الحركة الوطنية في فلسطين حتى هذا الوقت تسير ضمن الخط العام للحركة الوطنية العربية، لكن خروج سوريا من الميدان ثم خروج العراق، دفع بالحركة الوطنية في فلسطين الى ان تضع لها اسلوبا جديدا للعمل. يضاف الى هذا كله الأنباء التي وصلت حول عرض الحكومة البريطانية صك الأنتداب لفلسطين على مؤتمر الصلح في 6 ديسمبر 1920.

المؤتمر الفلسطيني الثالث (ديسمبر 1920)

في هذا الجو السياسي عقد المؤتمر الفلسطيني العربي الثالث في حيفا، بين 13 ـ 19 ديسمبر 1920. ويقال ان هذا المؤتمر انعقد « باقتراح سليمان التاجي الفاروقي[203] ». ويبدو اثر المذكور واضحا في قرارات المؤتمر النهائية التي لم تتعرض لنقد السلطات البريطانية، باعتبار ان الفاروقي كان صديق هربرت صمويل. وحضر المؤتمر ممثلوا الجمعيات الاسلامية المسيحية، والهيئات الأخرى، وبعض اعيان البلاد وكبار الملاك، وهم بهذا التكوين لم يمثلوا المصلحة الحقيقية لفئات الشعب الفلسطيني[204]. وتولى رئاسة المؤتمر موسى كاظم الحسيني. ورفع في 18

---

203 ـ جميل البحري : تاريخ حيفا، 1922. ص 24.

204 ـ مثل القدس : عارف الدجاني، موسى كاظم، الحاج امين الحسيني (عفا عنه هربرت صمويل في مؤتمر السلط في 21 اغسطس 1920وعاد الى القدس في اكتوبر)، ابراهيم شماس، بولس شحاده، فؤاد النشاشيبي، صالح الحسيني. الرملة : سليمان التاجي الفاروقي، شكري التاجي. يافا : عمر البيطار، الدكتور برتقش. غزة : رشدي الشوا، شكري الحسيني. نابلس : توفيق حماد، حافظ طوقان، ابراهيم عبد الهادي، امين التميمي، (المقطم 1920/12/15) حيفا والشمال : محمد مراد، عبد الله مخلص، ابو الخير الموقع، امين نور الله، معين الماضي، احمد الامام، رشيد الحاج ابراهيم، رفيق التميمي، ابراهيم صهيون، اسكندر منسى، رجا الرئيس، نجيب نصار، وديع البستاني، توافيل بوتاجي، توفيق الجدع، جميل البحري (انظر جميل البحري : تاريخ حيفا ص 24)، ويلاحظ ان معظمهم كانوا من المنتسبين الى الحزب العربي الموالي لبريطانيا.

ديسمبر تقريرا الى هربرت صمويل طلب فيه « تشكيل حكومة وطنية مسئولة امام مجلس نيابي، ينتخب اعضاؤه من الشعب المتكلم باللغة العربية القاطن في فلسطين حتى اول الحرب ». واشار الى ان الشعب « غير راض عن شكل الأدارة الحالية لانها مخالفة لرغائبه وحقوقه »، ورفع « لبريطانيا العظمى شكره بنسبة ثقته في انها تحل طلبه هذا محل النظر والتلبية[205] ».

واحتج المؤتمر برقيا الى رئيس وزراء بريطانيا حول المجلس الاستشاري المعين الذي « يصدر قراراته باسم الأهالي، واعضاء المجلس ليسوا منتخبين ولا يمثلون الشعب »، وطلب في نهاية البرقية « تأليف حكومة وطنية ومجلس تشريعي منتخب[206] ». كما ابرق المؤتمر « الى الحكومة البريطانية وجميعة الامم » محتجا « بشأن وعد بلفور، وان بريطانيا آخذة في تنفيذه في فلسطين[207] ». وفي نهاية اجتماعاته وضع (الميثاق الوطني الفلسطيني) الذي قام على اساس: (1) شجب السياسة الصهيونية التي تنطوي على اقامة وطن قومي لليهود والمبنية على تصريح بلفور، (2) رفض مبدأ الهجرة اليهودية، (3) اقامة حكومة تمثيلية وطنية[208]. وكان هذا القرار يمثل اول انفصال للحركة الوطنية في فلسطين عن الحركة الوطنية في البلاد العربية الأخرى. وانتخب المؤتمر « لجنة تنفيذية عهد اليها بالسعي لمتابعة وتنفيذ القرارات والاشراف على الحركة الوطنية. واختار موسى كاظم الحسيني رئيس المؤتمر رئيسا لها، وتألفت من: عارف الدجاني، سليمان التاجي الفاروقي، توفيق حماد، ابراهيم شماس، يعقوب برتقش، معين الماضي، عبد الفتاح السعدي[209] ». وتضيف المقطم انه ظهرت في

---

205 ـ وثائق المقاومة ص 16 - 17 .

206 ـ المقطم 1910/12/18.

207 ـ المقطم 1920/12/22.

208 ـ امين سعيد : المصدر السابق ج3 ص 51، عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 165.

209 ـ امين سعيد : المصدر السابق ج3 ص 51 » 54، المقطم 1920/12/20، القبلة ـ - 1920/1/20.

451

المؤتمر فكرة ارسال وفد الى اوروبا والى عصبة الأمم[210].

ومع ان المؤتمر كان مناوئا للصهيونية بشكل جلي، الا انه كان معتدلا من حيث موقفه من الحكومة البريطانية. فالمبادىء الثلاثة المعلنة لم تتحد سلطة الأنتداب على نحو سافر، بل ركزت على الأعتراض على ادخال تصريح بلفور في مواده. وعلى الرغم من اعتدال مقررات المؤتمر، فان حكومة فلسطين ارتأت ان مندوبي المؤتمر اختارتهم اقلية صغيرة من الجماعات، ورفضت بالتالي الأعتراف بانه يمثل الشعب. وعندئذ كان لا بد لزعماء المؤتمر من اثبات صدق تمثيلهم للبلاد، فشنوا حملة ناجحة لهذا الغرض، ولكي يكسبوا التأييد العام لقيادة المؤتمر ومقرراته[211]. وشاركت (مرآة الشرق) في تلك الحملة، فأوردت في ع 71، الصادر في 14 يناير 1921، برقيات تأييد للمؤتمر صادرة من حيفا وجنين، كما كانت افتتاحية نفس العدد «ضد الصحافة الصهيونية وموجة النقد والعداء التي اثارتها ضد المؤتمر».

وفي محاولة لتخفيف حدة المخاوف المتصاعدة، ولاقامة علاقات شخصية بالزعماء، دعا هربرت صمويل موسى كاظم الحسيني وخمسة من زملائه الى دار الحكومة ليبحث معهم على صعيد شخصي «الأمور التي تشغل بالهم». وذكر موسى كاظم مخاوف الشعب من عواقب وعد بلفور والهجرة اليهودية وكذلك قضية الحكومة النيابية. وفي معرض الرد على مطالب موسى كاظم اوضح صمويل بجلاء ان صلاحيته لا تشمل السياسة التي وضعتها حكومة صاحب الجلالة البريطانية وتصريح بلفور، وانما تنحصر مهمته في تنفيذ هذه السياسة. ولكن صمويل اشار على كل حال الى ان من ضمن صلاحياته تنفيذ الجزء الثاني من تصريح بلفور. وقال ان مسألة

---

210 ـ المقطم 1920/12/23. انظر ملخص الجلسات التسع التي عقدها المؤتمر وقراراته في المقطم 1921/1/4.

211 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 165 - 166.

اجراء انتخابات بلدية تحظى الآن بالفعل باهتمامه البالغ. وبالأضافة الى ذلك صرح صمويل بانه مستعد للاعتراف بان هيئة (الذوات) تمثل قطاعا هاما من الشعب، بنفس الطريقة التي اعترف بها بالمجلس الوطني اليهودي، وبنفس الشروط، اي ان لا تكون هناك اية قرارات تتناقض مع شروط الأنتداب. ومع ان الزعماء الفلسطينيين امتنعوا عن الموافقة على مقترحات صمويل، الا انهم تجاوبوا متعاطفين مع امكان قيام علاقات شخصية ودية مع المندوب السامي، ومع الملابسات السياسية التي ترافق ذلك[212].

المطالب العربية والمستر تشرشل (مارس 1921)

ازدادت الحركة الوطنية في فلسطين حدة في اوائل عام 1921، نتيجة فتح البلاد للهجرة الصهيونية، ونشر مسودة صك الانتداب الاولى في الجرائد المحلية، واجراءات الأراضي التي سنتها حكومة الأحتلال. واستعدت البلاد منذ اواخر فبراير 1921، لمقابلة ما يسفر عنه مؤتمر الشرق الأوسط، المزمع عقده في القاهرة، برئاسة ونستون تشرشل. ففي 12 مارس سافر الوفد المكون من: موسى كاظم الحسيني، عارف الدجاني، توفيق حمادة، سليمان التاجي الفاروقي، ابراهيم شماس، يعقوب برتقش، ومعين الماضي، الى مصر لمقابلة المستر تشرشل. وقد علق بولس شحادة، صاحب (مرآة الشرق)، على سفر الوفد فقال « لا نحتاج ان نوصي الأمة بالصبر والحزم والتأني والأبتهال الى الله، كي يلهم اعضاء الوفد بما فيه خير الوطن ونجاح الأمة. ونحن لا نشك ان الحكومة الانجليزية ستحقق امانينا العادلة، فتكسب صداقة العرب ودعاء الملايين من اناس لا يطلبون الا الحق والعدل[213] ». ومع ان تشكيل الوفد كان يمثل الزعامات التقليدية المعتدلة، الا ان تشرشل قابله في القاهرة « على كره منه، لكنه رفض ان يبحث معه المشكلات السياسية في تلك المناسبة قائلا انه ينوي استقبال الوفد في

---

212 ـ المصدر السابق ص 166 - 167.

213 ـ مرآة الشرق ـ 82 - 1921/3/12.

القدس في الثامن والعشرين من مارس[214] ».

وصل تشرشل وبرفقته هربرت صمويل الى القدس في 24 مارس ، بعد ان مرا على غزة ، حيث فوجئا بمظاهرات عربية « تنادي بالقضاء على اليهود[215] » . وفي الموعد المحدد ، اي يوم الاثنين في 28 مارس ، قابل وفد اللجنة التنفيذية المستر تشرشل ، وقدم له مطالبه التي اشتملت على الغاء تصريح بلفور ، ووقف الهجرة اليهودية وقفا تاما ، والموافقة على تعيين حكومة وطنية تكون مسئولة امام برلمان منتخب شعبيا[216] . رد المستر تشرشل قائلا : « انكم تطلبون مني الغاء تصريح بلفور وايقاف الهجرة ، ليس هذا من سلطتي ولست راغبا فيه » . ومضى يتحدث عن حق اليهود في مركز قومي ضمن (وطنهم القديم) . ثم راح يوجه انتباه زائريه الى الشق الثاني من تصريح بلفور ، وانه لا يوجد تعبير اكثر وضوحا في سياسية الالتزام المتكافىء مما قاله تشرشل عن (قداسة الحقوق العربية والدينية) . وقال « اني آسف لانكم تعتبرون الشق الثاني (من تصريح بلفور) عديم القيمة . انه مهما لكم ، ويجب عليكم التمسك به بقوة ، اننا سنعمل على تنفيذ الشقين باخلاص ، دققوا النظر في كلمات المستر بلفور . هناك فرق واضح في المعنى بين ان تصبح فلسطين وطنا قوميا (لليهود) • وبين ان يكون في فلسطين وطن قومي . ان اقامة الوطن القومي لا يعني حكومة يهودية تسيطر على العرب » . اما بالنسبة لما طلبه الوفد من تشكيل حكومة فلسطينية وبرلمان ، فان تشرشل تكلم بصراحة فقال « ان الشكل الحالي للحكومة سيظل قائما عدة سنوات ، وسنعمل تدريجيا على تطوير بعض المؤسسات التمثيلية التي تؤدي الى الحكم الذاتي التام ، ولكن سيموت اولاد اولادنا قبل ان يتحقق ذلك[217] » .

لم ينجح الوفد العربي في مقابلته لتشرشل ، وكانت جماهير حيفا قد

---

214 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 169.

215 ـ Sykes, op. cit., p. 64.

216 ـ انظر نص المذكرة في A.H.C., vol 111, Doc. No. 37

217 ـ Sykes, op. cit., pp. 68 - 9

قامت بمظاهرة في نفس يوم المقابلة ، 28 مارس ، في مهاولة للتأثير والضغط على السلطات البريطانية . ويصف احد المعاصرين تلك المظاهرة فيقول « قامت مظاهرة في حيفا في 28 مارس 1921 ، حصرت فيها الحكومة المسلمين بواسطة رجال الدرك ضمن جامعهم الكبير ، وطاردت المسيحيين الذين كانوا خارجين من احتفال ثاني يوم عيد الفصح الكبير من كنيسة الروم الكاثوليك لينضموا الى المسلمين . وقد اطلق في هذه الاثناء قائد رجال الدرك النار فاصاب فتى مسيحيا في الرابعة عشرة من عمره (ادوارد بن جريس منصور) ارداه قتيلا . وكذلك رجلا عجوزا من المسلمين (مصطفى العجوز) . ومن ثم منعت المظاهرات واكتفى الاهلون بالاحتجاج شفاهيا وكتابة بواسطة البرق والصحف[218] » . واصدرت الحكومة بلاغا رسميا في 29 مارس ، اعترفت فيه باصابة عشرة اشخاص آخرين[219] . وفي 29 مارس ايضا ، اقيمت جنازة مشتركة لشهيدي حيفا ، وقامت مظاهرة معادية للسلطة البريطانية في طولكرم ، وحيل بين الشعب والقيام بمظاهرات في يافا والقدس وسائر مدن فلسطين[220] .

دلت مظاهرة حيفا على نقمة الاهالي ضد سلطات الاحتلال ، هذه النقمة التي امتدت الى مناطق عديدة من فلسطين . فحين زيارة هربرت صمويل لبيسان في 12 و 13 ابريل 1921 ، « قام الشعب بمظاهرة سلمية بشأن الاراضي المدورة (الجفتلك) للاحتجاج على خطة الحكومة ، فغصت شوارع البلدة بجمهور المتظاهرين ، وهم يحملون الاعلام السوداء ، وقد كتب عليها : بلادنا لنا ـ المسلم اخو المسيحي ـ ليحيى المؤتمر العربي ـ لتسقط الصهيونية[221] » . تخوفت الحكومة ان تمتد المظاهرات الى بقية المدن الفلسطينية ، خاصة وان ابريل هو شهر المواسم الدينية التي بدأت

---

218 ـ جميل البحري المصدر السابق ص 17 - 18.

219 ـ الاهرام 1921/4/8.

220 ـ المقطم 1921/4/2.

221 ـ مرآة الشرق ـ 92 - 1921/4/19، الاهرام 1921/4/22.

تأخذ طابعا قوميا ، فأوعزت الى موسى كاظم الحسيني باصدار بيان يدعو فيه الشعب الى الهدوء ، واستجاب موسى كاظم ، فأصدر بيانا رجا فيه « من كل وطني ان يخلد للهدوء والسكينة ، جاعلا اعتماده على الحكومة البريطانية العظمى ، التي اشتهرت بالعدل وبحبها لراحة الاهلين ، وبالمحافظة على حقوقهم وانالتهم رغائبهم المشروعة ، فهي لا تخيب آمال الشعب ، لان ارادة الشعب من ارادة الله[222] » .

هذا هو اسلوب الكفاح الذي تدعو اليه الزعامة التقليدية ، صاحبة المصالح ذات الصلة القوية والمرتبطة بمصالح الاستعمار البريطاني في البلاد . بل ان بعض تلك الزعامات والت علنا الصهيونية وعملاءها . ففي الوقت الذي فشلت فيه الحركة الوطنية في الضغط على تشرشل ، اذا بأسعد الشقيري[223] ، يقيم حفلة في منزله بعكا يوم الثلاثاء في 5 ابريل 1921 ، يدعو اليها روتشلد وخانكين ، والمعروف ان الخواجه خانكين احد كبار سماسرة الارض اليهود في فلسطين . وقد حضرها نحو 30 شخصا ، من بينهم حسن شكري ، خليل طه ، ومحمود الصعيدي من حيفا . وخطب الشقيري في الحفلة موجها كلامه الى روتشلد « ان عكا مدينة تاريخية ، وهذه المدينة التي عجز عن الدخول اليها بونابرت العظيم بقوة السيف ، قد دخلت اليها انت بالسلام والامان . وهي ترحب بك كل الترحيب ، ونذكر ما لوالدك (البارون ادموند دي روتشلد) من الايادي البيضاء في خدمة هذه البلاد . ولا تنس دعوة والدك لمختار صبارين (قرية تابعة لحيفا بالقرب من زمارين) لزيارة باريس ، وهؤلاء الذوات هم يمثلون فلسطين لانهم زعماؤ ها الحقيقيون[224] . وتشير الاهرام بعد ذلك الى (نقمة الامة على

222 ـ الملحق رقم 19.

223 ـ مفتي الجيش الرابع بقيادة جمال باشا السفاح، تصفه جريدة فلسطين بانه « عدو الانسانية جمعاء »، وانه « لم يستعمل نفوذه الا لمنفعته ومنفعة ذويه ». ثم تهدده الجريدة، بعد ان استقدمته السلطات البريطانية الى حيفا، قائلة « فلا بد ان يتذكر الماضي عاضا بنان الندامة، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ». انظر ج ف ع 46 - 1919/2/20.

224 ـ الاهرام 1921/4/12.

الشقيري ومشاريعه) .

في هذا الجو المضطرب الذي ساد البلاد في مارس وابريل 1921 ، نشأت مشكلة اختيار المفتي في القدس بعد وفاة كامل الحسيني .

مشكلة اختيار المفتي

توفي مفتي القدس (كامل الحسيني) في 21 مارس 1921 ، واثيرت بعد وفاته مباشرة قضية انتخاب المفتي الجديد . كان القانون العثماني الصادر في عام 1910 ، يحدد طريقة انتخاب المفتي الجديد ، الذي تعينه الحكومة ، من بين ثلاثة مرشحين تنتخبهم هيئة تتألف من (أ) أئمة ومدرسي ووعاظ المساجد (في الولاية). (ب) الاعضاء المسلمين المنتخبين في المجالس البلدية في الولاية ، (ج) اعضاء (مجلس اداري الولاية) من المسلمين المنتخبين . وتبعا لظروف الحرب ونتائجها فانه حتى عام 1921 لم يكن هناك مجلس اداري في القدس ، واعضاء مجالس بلديات الاقليم غير منتخبين بل عينتهم الادارة العسكرية ، وهكذا فانه لم يعد بالامكان تطبيق القانون العثماني ، واستعيض عن ذلك كله بدعوة الائمة ورجال الدين الآخرين ، والاعضاء المسلمين المعينين في بلديات مقاطعة القدس ، ليشكل لجميع ما يشبه المجلس المنصوص عليه في القانون العثماني .

كان منصب مفتي القدس اهم المناصب الدينية الاسلامية في فلسطين ، لان له طابعا رسميا تقليديا يمنح صاحبه الاشراف على شئون المسلمين وقيادتهم ، فضلا عن انه ذو مساس عميق بحياتهم الدينية والدنيوية . وكان منصب الافتاء من جهة عامة ، ووراثيا في اكثر البلدان التي خضعت للدولة العثمانية ، تتمسك به بعض العائلات لاهميته من جهة ، ولانه دليل ثابت على عراقة تلك العائلات من جهة اخرى[225] . وبعد وفاة كامل الحسيني ارسل قاضي القدس يخبر ستورز بالحادث ، ويضيف بان « اخاه الحاج امين افندي هو خليفته » . ولم يكن هذا تقرير واقع ، لكنه

---

225 ـ سامي الجندي : عرب ويهود، العداء الكبير، بيروت 1963، ص 63.

ابداء رغبة . وفي الايام التالية قدم شيوخ القبائل والاعيان عرائض تطلب تعيين الحاج امين خلفا لاخيه . كانت الاسرة الحسينية وراء هذه الحركة ، لكي تضغط على المندوب السامي لاختيار الحاج امين .

كان الحاج امين هو اصغر اخوة المفتي الراحل ، وكان صغير السن بالنسبة للمركز الذي يصبو اليه . ان مولده غير محدد بالضبط ، فقد ذكر هو نفسه في مرتين قدم فيهما للحصول على جواز سفر ان مولده كان عام 1895 او 1896[226] . لكن مؤرخ حياته يقول انه ولد في القدس عام 1893[227] ، ونحن سنعتمد على هذا التاريخ . وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره ارسل الى مدرسة (دار الدعوة والارشاد) في القاهرة وهي التي انشأها السيد محمد رشيد رضا ، بناء على توجيه من اللورد كرومر ، احتفاء بذكرى الشيخ الامام محمد عبده . اما هدف المدرسة فكان « تعليم طائفة من مختلف الاقطار العلوم الدينية ، مصفاة من الآراء والاهواء ، وكذلك العلوم الاخرى القديمة والحديثة ، بقدر ما يكفي لتثقيفهم واعدادهم للدعوة والارشاد[228] » . ولم يكمل الحاج امين دراسته ليلتحق بالازهر ، بل غادر القاهرة الى مكة لاداء فريضة الحج عام 1913 . ثم خدم كضابط تركي في ازمير ابان الحرب . ولما احتل الانجليز فلسطين كان كاتبا في مكتب جبرائيل حداد ، المستشار العربي لحاكم القدس العسكري . وساعد في عام 1918 على تجنيد عرب فلسطين في الجيش العربي[229] . ووصف في ذلك الوقت بانه « موال جدا للانجليز » . لكن موقفه هذا تغير فجأة حينما رأى المساعدة البريطانية للحركة الصهيونية في فلسطين . واشترك في حوادث 4 ابريل 1920 في القدس ، وحكم عليه غيابيا بعشر سنوات سجن وهرب الى شرق الاردن

---

226 ـ E. Kedourn : op. cit., p. 60

227 ـ Pearlman, M. : Mufti of Jerusalem, London, 1947, p. 10

228 ـ انظر الرابطة العربية ـ 161 - 1939/8/9.

229 ـ خطب الحاج امين الحسيني في يافا في 28 يوليو 1918في (نادي المطالعة) الانجليزي حاضا الناس على التطوع في جيش الامير فيصل. انظرج فـ ع 18 - 1918/8/8، الزمان ـ - 1939/7/29.

564

حيث حمته القبائل العربية . وفي مؤتمر السلط (21 اغسطس 1920) اعلن هربرت صمويل العفو عن الحاج امين وعن عارف العارف . وكتب هربرت صمويل في 26 اغسطس الى القيادة العامة بالقاهرة « لاسباب سياسية ، رأيت من المستحسن ، في المؤتمر اعلان العفو عن المذنبين » . وفي اكتوبر عاد الحاج امين الى القدس ، ووضع في القائمة السوداء ، الواجب مراقبتها بدقة ، باعتباره « محرضا[230] » . وكان الحاج امين حتى هذا الوقت « متطربشا ، فلم يكد اخوه المفتي الشيخ كامل ينتقل الى رحمة الله ، حتى لبس العمامة ، واطلق اللحية ، استعدادا للاحتفاظ بهذا المنصب التقليدي المهم في اسرته[231] » .

كان ينافس الحاج امين في هذا المنصب الشيخ حسام الدين جار الله ، مرشح راغب النشاشيبي وبلدية القدس . لكن ظهرت اشارات على ان صمويل سوف يستعمل سلطته في تعيين الحاج امين . ففي 11 ابريل ، اي قبل يوم واحد من اجتماع المجلس الانتخابي لانتخاب المفتي ، عقد هربرت صمويل اجتماعا مطولا مع الحاج امين ، بحثا فيه « الشئون السياسية ، ومسألة تعيينه في منصب المفتي الاكبر » . ويظهر ان صمويل قد قبل لقب (المفتي الاكبر) كلقب خاص لمفتي القدس . وفي ذلك الاجتماع الذي حضره ستورز ايضا ، افصح الحاج امين « عن رغبته الملحة في التعاون مع الحكومة ، وعن اعتقاده بنيات الحكومة البريطانية الحسنة تجاه العرب . كما قدم تأكيدات بان نفوذ اسرته ، ونفوذه هو شخصيا ، سوف تكرس للمحافظة على الهدوء في القدس » . وبالفعل كان هدف المندوب السامي من هذه المقابلة ان يمهد لاختيار الحاج امين لمنصب الافتاء في القدس ، الذي سيجري في اليوم التالي (12 ابريل) .

واجتمع المجلس الانتخابي في دار الحكومة في 12 ابريل ، وكانت مفاجأة للحكومة ان يحصل الشيخ حسام الدين جار الله على اكثر

230 ـ E. Kedeuri, op. cit., p. 61

231 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص51.

الاصوات ، ويحصل الحاج امين على اقلها (8 اصوات)[232] ، وهكذا فان قائمة المرشحين الثلاثة لم تضم الحاج امين . وقد اثارت هذه النتيجة غضب الاسرة الحسينية ، وسرعان ما عقدت الاسرة اجتماعا في بيت جميل الحسيني لتنظيم الاحتجاجات والعرائض . وقامت حملة عنيفة على الانتخاب ونتائجه . وارسلت عرائض وبرقيات عديدة الى الحكومة . وانتشرت اشاعات بان العلماء الذين اشتركوا في عملية الانتخاب قد تلقوا رشاوى من الحكومة ، وان اليهود وراغب النشاشيبي وضعوا كل ثقلهم ضد المرشح الحسيني . وعلق منشور في 19 ابريل على المدينة القديمة ، كان عنوانه (افيقوا ايها المسلمون ، ان اليهود يتدخلون في انتخاب المفتي)[233] . وفي نهاية مايو عين الحاج امين في منصب (المفتي الاكبر) ، بناء على نصيحة المهندس ايرنست ريتشموند E . Richmond احد سكرتيري صمويل (وصديق الحاج امين الحسيني الحميم)[234] .

ما هي الاسباب التي دفعت هربرت صمويل الى تعيين الحاج امين مفتيا اكبر في القدس ؟ يقول دروزة « ان المندوب جنح الى هذا الاختيار نتيجة لمساعي الحسينيين الذي طعنوا في الانتخابات ، وترضية للحركة الوطنية التي كان هؤلاء يتزعمونها » . ويضيف الى ذلك قوله ان المندوب قصد « استبقاء التنافس بين اسرتي الحسينية والنشاشيبية ، واشغالا للعرب كما وقع فعلا ، ولعل المندوب اراد فيما اراد تقييد الحاج امين بقيود المنصب ، التي كانت خزينة الدولة تدفع نصف مرتبه على حساب ما يدخلها من رسوم المحاكم الشرعية[235] » . ومهما قيل من دوافع ذلك التعيين ، فانه مما لا شك فيه ان « السلطات البريطانية كانت تفضل ان يكون على رأس الحركة العربية قادة نصف ثوريين ، يناضلون من خلال ارتباطهم ومصالحهم

---

232 ـ كان الثاني هو الشيخ خليل الخالدي، والثالث الشيخ موسى البديري.

233 ـ انظر نص المنشور في E. Kedouri, op. cit., pp. 62 - 3

234 ـ op. cit., p. 63 واكد هذا السيد احمد الشقيري في مقابلة جرت يوم 1971/10/12.

235 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 a.51 - 50

العائلية ، مستعدون للمهادنة وقبول الحلول النصفية ، قادة يستطيعون المناورة معهم ، لا يجرؤ ون على حلول ثورية كاملة مما يسهل على السلطة كبح المقاومة وايقافها عندما تأخذ شكلا خطرا [236] » . ولعل ابلغ دليل على موقف الحاج امين من السلطة ما وردفي مقال لمحمد حسين هيكل عن تصريح بلفور . فقد جاء على ذكر الحاج امين وموقفه من اليهود فقال « ولم استطع اقناع السيد امين ، لانه ذكر لي ان فلسطين لا قبل لها بانجلترا ، فلتوجه جهودها الى اليهود عمال انجلترا في فلسطين[237] » .

لم تستطع جهود الادارة البريطانية ، وعلى رأسها هربرت صمويل ، ان تخفف من غضب الاهالي العرب ضد السلطة البريطانية او ضد الحركة الصهيونية . ان فتح ابواب البلاد للهجرة الصهيونية ، واصرار قادة الحركة الصهيونية في فلسطين على تطبيق نظرية (العمل العبري) ، اسفرا عن بطالة عدد كبير من العمال العرب ، خاصة في ميناء يافا ، الذي شهد حوادث اول مايو 1921 .

اضطرابات مايو 1921

في مساء 30 ابريل وزعت مناشير شيوعية باللغات العبرية واليديشية والعربية ، داعية الى التوقف عن العمل احياء لذكرى يوم اول مايو ، والانضمام الى « الشيوعيين الروسيين للجهاد ضد قتلة باريس ولندرا (لندن) الذين يقررون مصيرنا كأننا غير موجودين ، او كأن لا سلطة لنا لتقرير مصيرنا » ، والجهاد « ضد الاغنياء الذين يبيعون البلاد واهاليها للاجانب » . ودعت المناشير بسقوط « الحراب الانجليزية والفرنسية » ، و « اصحاب الثروات العرب والاجانب » ، ونادت باقامة « فلسطين السوفياتية[238] » .

---

236 ـ سامي الجندي المصدر السابق ص 63 - 64.

237 ـ الصراط المستقيم ـ 811 - 1933/2/14.

238 ـ وثائق المقاومة ص 22 - 25

بدأت الاضطرابات بنزاع لم يكن للعرب دخل فيه . ففي صباح الاول من مايو ، اصطدمت مظاهرة صهيونية اشتراكية (احدوت هاعفودا Achduth Haavodah) سمحت بها السلطات البريطانية واشرفت على تنظيمها ، بمظاهرة غير مرخص بها ، نظمها الحزب الشيوعي في فلسطين ويطلق عليه اسم الموبسي Mopsi ، واشترك بها نحو 55 شيوعيا يحملون العلم الاحمر . واجبر الشيوعيون (البولشفيك) ، نتيجة للاصطدام، على الخروج من تل ابيب ملتجئين الى حي المنشية ، شمال يافا ، وهو حي عربي يهودي مشترك . وعندما حاول البوليس تفريق البولشفيك ، شمل ذلك سكان الحي من العرب ، فثارت اضطرابات عامة ، سرعان ما عمت انباؤ ها مدينة يافا بأسرها . واثارت شائعات قيام اليهود بالهجوم على حي المنشية غضبة العرب .

ويستفاد من تقرير وضعه برانتون C . P . Brunton ، رئيس ادارة المخابرات البريطانية في فلسطين في 9 يونيه 1921 ان اليهود بدأوا الحوادث باطلاق النار على المارين من العرب . وان العرب هاجموا منزلا مخصصا لاستقبال المهاجرين اليهود الجدد . ولقد اظهر المسلمون والمسيحيون في هذه المناسبة تضامنا في القتال ضد الصهيونية ، واكثر دلالة مما تقدم ، ما اشار اليه برانتون من حوادث عديدة وقعت في اليوم الاول من الاضطرابات ، وادت الى الاشتباه بتحيز القوات والسلطات البريطانية . فقد اشار برانتون الى « وضع حرس يهودي في سيارات يهودية » ، والى ان « يهوديا مدنيا شوهد وسمع وهو يصدر الاوامر الى الجنود البريطانيين باطلاق النار على الجمهور » ، ثم « قيام اليهود بتفتيش العرب على مرأى من الجنود البريطانيين[239] » . ويؤكد محمد كرد علي ان اليهود استفادوا من « ضباطهم المنخرطين في الجيش ، اذ ساعدوهم كثيرا ، والبسوا شبابهم ثيابا عسكرية ، وسلحوهم ببنادق الجند واوهموا العرب انهم جنود

---

239 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق 174 - 175 ,70- Sykes, op. cit., pp. 69

انجليزية[240] » . اسفر هذا كله عن مظاهرة عنيفة قام بها عرب يافا في اليوم الثاني من مايو ، وطالبوا باحلال قوات هندية محل القوات البريطانية ، وبتسليحهم ليدافعوا عن انفسهم امام اليهود المسلمين[241] .

اصدرت السلطات البريطانية في مساء 2 مايو بلاغا رسميا[242] ، اعلنت فيه ان حاكم يافا طلب « قوة عسكرية من اللد لحفظ النظام ، فجاء قسم من الجيش في الحال ، وجاء ايضا اوتوموبيلات مصفحة من القدس » ، كما اسرع المستر ديدس ، السكرتير المدني الى يافا ، « وجال موظفو الحكومة ووجهاء المسلمين واليهود في احياء المدينة التي حدثت فيها الاضطرابات ، ونجحوا بتهدئة الخواطر واعادة الامن » . وقد نفى البلاغ الرسمي ان يكون الجند قد اطلقوا النار ، مع انه يعترف بأربعين قتيلا من العرب واليهود و169 جريحا ، و46 غادروا المستشفيات .

واستمرت الاضطرابات في المدينة لليوم الثالث ، والقت الحكومة القبض على 66 شخصا ، واعلنت الاحكام العرفية في يافا يوم الثلاثاء في 3 مايو 1921[243] . وقدم المدينة في نفس اليوم القاصد الرسولي ، الذي اوفده البابا « بقصد رؤ ية الحالة التي بلغته اخبارها » . وكان الاهالي المسيحيون والمسلمون في انتظاره عند كنيسة الفرنسيسكان ، فخطب حاثا الاهالي على السكينة والاعتماد عليه ، وقال لهم « انكم ستنالون ما تطلبون . وكان البعض يقاطعه قائلا امنع مهاجرة الصهيونيين ، والبعض الآخر نريد فرنسا ، والبعض الآخر نرفض وصاية انجلترا[244] » . كما قدم الى دار الحكومة قناصل فرنسا وايطاليا واسبانيا « برجاء الاهلين الذين ذهبت جماهيرهم الى

---

240 ـ خطط الشام ج3 ص 226.

241 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 175.

242 ـ الاهرام 1921/5/7.

243 ـ مرآة الشرق ـ 96 - 1921/5/6.

244 ـ الاهرام 9/ 1921/5

القنصليات ، راجين منهم ان يتوسطوا لهم لدى الحاكم ان يحسن الحالة ، وان يكف يد الصهيونيين عنهم وينزع منهم الاسلحة[245] ».

في هذا الجو السياسي المضطرب،لبى الزعماء العرب والزعماء اليهود دعوة الحكومة للاجتماع معا في القدس يوم 4 مايو ، وذلك لتبديد المخاوف الناشئة عن حوادث يافا . واظهر الجميع « عزمهم على معاونة الحكومة في مهمتها الخاصة بصون النظام بان يتولى كل فريق تهدئة ابناء طائفته وحملهم على الاطمئنان[246] » . ولبى الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، صديق الانجليز ، رغبة هربرت صمويل ونشر بيانا الى اخوانه « اهالي القرى[247] » ، اكد فيه ان « الحكومة ساهرة على المحافظة عليهم بدون فرق ، فينبغي ان تثقوا بحكومتكم وبعدلها وسهرها على حياتكم وشرفكم وعلى حسن سمعتها » . وختم بيانه بقوله « وانصحكم والدين نصيحة ، بلزوم السكوت والانصراف الى اشغالكم وعدم تصديق الاشاعات الكاذبة » . كما سافر عمر البيطار رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا ، وديمتري تادرس ، احد الوجهاء المسيحيين فيها ، الى نابلس في 5 مايو للعمل على تهدئة الحالة في نابلس وفي طولكرم[248] .

على ان حوادث يافا دفعت قسما من الاهالي الذين اشتركوا في موسم النبي صالح في الرملة يوم 5 مايو ، الى الهجوم على مستعمرة رحبوت ، فتولت القوات والطائرات البريطانية حمايتها ، واعترف بلاغ الحكومة الصادر في 6 مايو بجرح اثنين من العرب فقط . وقام الفلاحون العرب بهجوم على مستعمرة الخضيرة ، وقاومت قوات البوليس البريطاني المهاجمين ، واشتركت في حمايتها ايضا قوات وطائرات بريطانية ، ولم تعترف المصادر

---

245 ـ الاهرام 1921/5/9

246 ـ الاهرام 1921/5/6.

247 ـ الملحق رقم 20.

248 ـ الاهرام 1921/5/10. (انظر ملحق رقم 21).

البريطانية الا بثلاثة قتلى من العرب[249] ، مع انه قتل في الحادثين اكثر من 60 عربيا .

وتمخضت احداث يافا وما تبعها عن وحدة وطنية رائعة بين المسلمين والمسيحيين ضد الحكومة، فقد ارادت الحكومة ان تقلل من عدد زوار مقام النبي موسى، فحاولت وضع ضريبة قدرها 82 قرشا، وهو مبلغ مرتفع بالنسبة لذلك الوقت، على كل زائر، يعطى بموجبها وثيقة تخوله الزيارة. ولكن الاهالي اعترضوا على ذلك اعتراضا شديدا واعتبروه ماسا بشرائعهم. فقصد المستر ستورس مدينة الخليل، وحاول اقناع الاهالي بالعدول عن التهافت على الزيارة، لكنه فشل في ذلك. وفي يوم (الجمعة الكبرى 1921/5/6) دخل المسيحيين لاول مرة في مثل هذا اليوم الى الحرم الشريف في القدس ، فقابلهم المسلمون بالهتاف الشديد ، وخرج الجميع بعد الصلاة في موكب ضخم ، وكان هتاف المسيحيين للمسلمين يشق عنان السماء . وقد حضر عدد عظيم من المسلمين يوم (سبت النور) ، الصلاة الكبرى في كنيسة القبر المقدس . وردد المسلمون مع اخوانهم المسيحيين الانشودة الشائعة في العيد الكبير ، ومنها « المسيح اتانا ، وبدمه اشترانا فنحن اليوم فراحى واليهود حزانى[250] » . ووجهت اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني الثالث احتجاجات الى كل من ملك انجلترا ، ومجلس العموم ومجلس اللوردات ، ووزير الخارجية البريطانية ، والى وزراء خارجية امريكا وفرنسا وايطاليا واسبانيا والى قداسة البابا تطلب التدخل « لايقاف سيل الهجرة اليهودية » ، و « الغاء وعد بلفور وتغيير سياسة الحكومة الحاضرة في فلسطين[251] » .

واسفرت احداث يافا عن « تيتم كثير من الاطفال المسلمين

249 ـ الملحق رقم 21.

250 ـ الاهرام 1921/5/10.

251 ـ الاحتجاجات في الاهرام 1921/5/17.

والمسيحيين » ، ولذلك نشر عمر البيطار ، رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا ، استغاثة في الصحف العربية ، راجيا ان يقدم المسلمون والمسيحيون الى « اخوانهم في الدين » يد المعونة « باغاثتهم في قوتهم الضروري اليومي وتخفيف بؤسهم وويلاتهم » . كما طلب « تشكيل اللجان من اهل الخير في كل قطر لجمع الاعانات » ، وان يتسابقوا « في فعل الخير وسد رمق الايتام والارامل وتخليص الوطن[252] » . كما اذاعت الجمعية الاسلامية المسيحية دعوة الى عموم الجمعيات في فلسطين « دعتهم فيها الى جمع الاكتتابات لمساعدة عائلات الجرحى الوطنيين[253] » .

كشفت حوادث يافا عن رغبة حقيقية لدى اهالي المدينة والقضاء ، في مقاطعة اليهود وعدم التعامل معهم ، وقد نفذوا ذلك بطريقة منظمة ، مما اسفر عن ارتفاع الاسعار في تل ابيب ارتفاعا فاحشا[254] . ولم يرضى هذا الموقف زعماء تل ابيب ، فقدم يافا يومي 11 و12 مايو ، كل من دزنكوف (رئيس البلدية) ، وشلوش وآروس ، وطلبوا الى رئيس بلدية يافا واعضائها ان يتوسطوا لهم لدى الجمغية الاسلامية المسيحية بان تذيع منشورا الى الاهالي تدعوهم الى بيع اليهود والشراء منهم ، ووعدوا من جهتهم ايضا ان يدعوا عموم اليهود الى معاملة الوطنيين كما كان يحدث في الماضي لكن تلك الوساطة لم تأت بالنتيجة المطلوبة . ونشرت بلدية تل ابيب بيانا باللغة العربية جاء فيه ان « الاشاعة الجارية في البلدة من جهة مقاطعة المسلمين في البيع والشراء من طرف اليهود ليس لها اساس » . واكد البيان اجتماع 12 مايو « مع كثير من وجهاء اخواننا المسلمين ، وفهمنا ان ما يروج من شائعات عن المسلمين ليس لها اصل ايضا » ، وان « عموم العلماء والمدرسين في الجوامع يصرحون في دروسهم بلزوم اتخاذ وسائط السكينة والهدوء ومنع ما من شأنه يورث القلق بين الناس[255] » . ومع كل هذا ومع ضغط الزعماء

---

252 ـ الملحق رقم 22.

253 ـ الاهرام 1921/5/11.

254 ـ انظر مقارنة بين اسعار السلع الغذائية في مدينتي يافا وتل ابيب في الاهرام 1921/5/17.

255 ـ الملحق رقم 23.

على الفلاحين ، فان المقاطعة استمرت بنجاح .

لجنة هايكرافت

وكانت الحكومة قد عينت في 7 مايو لجنة للتحقيق برئاسة توماس هايكرافت T . Haycraft قاضي قضاة فلسطين ، ومستر لوك H . C . Luke مساعد حاكم القدس ، ومستر ستبس J . N . Stubbs ، مساعد مدير دائرة الاراضي ، وعضوية ثلاثة اخرين عن الطوائف الثلاث : عارف الدجاني عن المسلمين ، الياس مشبك عن المسيحيين ، والدكتور الياش M . Eliash[256] عن اليهود ، ولم تكن لهم سلطة حقيقة . واستمعت اللجنة الى شهادت وبيانات العرب والانجليز واليهود[257] . والحقيقة ان تقرير اللجنة كان عادلا ومنصفا الى حد كبير . فقد اكد ان « مظاهرة البلشفيك كانت الشرارة التي اشعلت حنق العرب القابل للانفجار ، واحدثت الهياج الذي آل الى سفك دماء العرب واليهود » . واوضحت رأيها بصراحة من حيث انه « ليس هناك دافع لوقوع الاضطرابات غير الشعور السائد في البلاد ضد اليهود ، وهو ناشىء عن خطة الحكومة فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي . وقد اكد لنا الكثيرون ، وتحققنا نحن بأنفسنا ، انه لولا وجود القضية اليهودية في فلسطين لما لاقت الحكومة اقل صعوبة في ادارة الشئون المحلية . ونعتقد ان كره العرب للحكومة البريطانية نشأ عن مساعدتها للسياسة الصهيونية » . واضافت انه « لا اساس للتهمة التي كان اليهود يوجهونها للعرب بانهم قد دبروا هذه الاضطرابات هم او قادة الافكار بينهم ، ورتبوا وقوعها في اليوم الاول من مايو ، ان يوم اول مايو كان عيد الفصح عند العرب الاورثوذكس ، الذين كانوا صباح ذلك اليوم في كنائسهم ، واخذوا بعد ذلك يتقبلون زيارات المعايدات الاعتيادية من اصدقائهم المسلمين ، وبناء عليه يكون بعيد الاحتمال ان ينتخب المسلمون والمسيحيون ذلك اليوم للقيام

---

256 ـ مرآة الشرق ـ 97 - 1921/5/10 ,P.D. vol. 142, col. 1243

257 ـ الهيئة العربية العليا : اللاجئون الفلسطينيون ضحايا الاستعمار والصهيونية ـ القاهرة 1955ـ ص 8

بفتنة عمومية[258] » . وقد اماط تقرير اللجنة للمرة الاولى اللثام عن شدة مقاومة العرب للوطن القومي والاسباب التي تحملهم على ذلك ، فقال « ان السبب الرئيسي لاضطرابات يافا وما تلاها من اعمال العنف هو شعور الاستياء من اليهود السائد بين العرب ، وعداؤهم لهم لدوافع اقتصادية وسياسية ، ولهذا العداء صلة بالهجرة اليهودية ولفهمهم السياسة الصهيونية كما شرحها اصحاب الفكرة من اليهود » . وجوابا على الحجج التي ادلى بها اليهود من ان المقاومة العربية كانت موجهة ضد الحكم الانجليزي اكثر منها ضد الصهيونية وانها اثيرت تصنعا بين الكتلة الجاهلة من السكان العرب بواسطة طبقة (الافندية) الذين خابت آمالهم على اثر خسارتهم للامتيازات الرابحة التي كانوا يتمتعون بها ابان الحكم التركي ، قالت اللجنة « ان الشعور السائد ضد اليهود هو شعور عام خالص ، لا تشوبه شائبة ، وهو اوسع كثيرا من ان يعزى الى مثل هذه الاسباب السطحية » . وقد كان اساس الاضطرابات في رأي اللجنة خوف العرب من اطراد الزيادة في الهجرة اليهودية الى درجة تؤدي الى التسلط عليهم سياسيا واقتصاديا ، وكان العرب يعلمون ان هذا الهدف لم يكن مطمحا لانظار اليهود المتطرفين مثل جابوتنسكي فحسب ، بل مطمحا لانظار الصهيونية[259] . هذا هو اهم ما ورد في تقرير لجنة هايكرافت ، ذلك التقرير الذي انتقده وايزمن بشدة ، لانه ـ حسب رأيه ـ « لم يستطع تحديد البادىء في الاضطرابات ، ولا مصدر الاشاعات التي انتشرت حينذاك[260] » .

على ان التقارير البريطانية ايضا ايدت النتائج التي توصلت اليها لجنة هايكرافت . فقد ابلغ برانتون ، في تقريره السابق الذكر ، رؤساءه ان الصهيونيين كانوا يحاولون ان يثبتوا ان انفجار اليوم الاول من مايو قد اعده العرب ، ودبره نفر من الوجهاء تشجعهم المناورات الفرنسية ، ولكن ذلك

258 ـ الوثائق الرئيسية ص 124 - 127.

259 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 69.

260 ـ Weizmann, op. cit., pp. 349-50

كما قال « هو ابعد ما يكون من الواقع . فقد درست القضية بعناية بالغة ، وليست هناك ذرة من دليل على ان الفرنسيين او غيرهم اشتركوا في التآمر بل بالعكس ، كان موقف القنصل الفرنسي يبدو على خير ما يمكن ان يرجى . كذلك ليس هناك ما يدل على ان الامر جرى بموجب خطة مدبرة من العرب » . ولكنه اكد ان اضطرابات يافا كانت تعبيرا عن « استياء شعبي عميق الجذور وواسع النطاق من السياسة البريطانية الحالية » . وعزا هربرت صمويل في تقرير رفعه الى المستر تشرشل وزير المستعمرات في 8 مايو ، الاضطرابات الى عوامل سياسية واقتصادية زادتها الهجرة الصهيونية سوءا ، وان العرب يطالبون بمؤسسات نيابية ، ويعتبرون الادارة الفلسطينية ادارة اوتوقراطية خلافا للاصول[261] .

كان ونستون تشرشل هو وزير المستعمرات في هذا الوقت وقد عرف بفحوى تقرير لجنة هايكرافت ، وتلقى تقرير برانتون ، كما تلقى عدة تقارير سرية وخاصة من هربرت صمويل عن الحالة في فلسطين ، ومع كل ذلك لم يكن تشرشل راغبا في استرضاء الزعماء الفلسطينيين من خلال تقديم تنازلات سياسية ، حتى بعد ان اتخذ بعضهم موقفا معتدلا في ظل الظروف التي سادت البلاد في مايو ، « وكان يعارض بنوع خاص المطالب العربية بشأن اقامة مؤسسات نيابية منتخبة[262] » .

اسفرت احداث مايو عن قلق في اوساط الزعامة التقليدية ، ذلك انها لم تكن مستعدة لمواجهة تلك الاضطرابات ، وكان يمكن ان تفقد زعامتها وقيادتها التقليدية فيما لو استمرت تلك الاضطرابات لفترة اطول ، ولذا سارعت التى تلبية دعوة الحكومة ، ودعوة اللجنة الصهيونية الى التخفيف من حدة التوتر في انحاء البلاد المتفرقة ، وشاركت مشاركة جادة في ذلك . وقد قدرت الحكومة البريطانية تلك الخدمات فأنعمت في اواخر مايو على راغب

---

261 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 176 - 177.
262 ـ المصدر السابق ص 179.

النشاشيبي رئيس بلدية القدس ، وقاضي القدس ورئيس بلدية طولكرم ، ورئيس بلدية يافا ، ومفتي عكا ، ومفتي صفد ، بوسام (عضو في الامبراطوية البريطانية » M . B . E [263] وكان هذا عاملا آخر في اضعاف تلك القيادة في نظر الشعب الفلسطيني . لذلك سارعت القيادة الى لم شعثها ، وتداعت الى عقد مؤتمر في القدس (المؤتمر الرابع) في اواخر مايو 1921 .

المؤتمر الفلسطيني الرابع (مايو ـ يونيه 1921)

لم تجر اية عملية انتخاب لاختيار ممثلي الشعب الى المؤتمر ، لكن عملية تحديد الاعضاء تمت داخل الجمعيات الاسلامية المسيحية في مدن فلسطين . وكما هي العادة فان الوجوه التي ظهرت في المؤتمر الثالث ظهرت ايضا في المؤتمر الرابع[264] ، مع زيادة في الاعضاء ، اذ بلغ عددهم نحو 100 عضو ، وقد تلقى المؤتمر قبل انعقاده تأييد العناصر المعتدلة في فلسطين ، فهذا بولس شحاده صاحب (مرآة الشرق) يقول « ومرآتنا كما شدت ازر المؤتمرات الاولى ودافعت عنها ، فهي ستشد ازر هذا المؤتمر وتدافع عن قضية فلسطين بحسب ما يلهمها الله وتراه حقا وعدلا ، لا بالصراخ والتهور بل بالتعقل والاعتدال[265] » .

سمحت الحكومة بعقد المؤتمر في القدس ، يوم الاحد في 29 مايو

---

363 ـ مرآة الشرق ـ 102 - 1921/5/27.

264 ـ القدس : موسى كاظم الحسيني، عارف الدجاني، جودت النشاشيبي، شكري الكارمي، ابراهيم شماس، عبد الحميد ابو غوش، عبد الفتاح درويش، موسى الحويل، دياب حسن، علي محمود، عيسى دكرت، ابراهيم سلامة، يافا : علي النقيب، سعيد ابو خضرة، يوسف الدجاني، يعقوب برتقش، حنا الجلاد، عمر البيطار، شبلي الجمل. حيفا والشمال : محمد مراد، عبد الله مخلص، رفعت الصلاح، معين الماضي، احمد الامام، رشيد الحاج ابراهيم، رفيق التميمي، فؤاد سعد، نجيب نصار، توافيل بوتاجي، قسطندي مدور، جميل البحري. جنين : حيدر عبد الهادي، عبد السلام البرقاوي. تاريخ حيفا ص ٢٤، الاهرام 1921/6/4.

265 ـ مرآة الشرق ـ 102 - 1921/5/27.

1921 [266] ، ليكون تحت رقابتها ، كما ان هربرت صمويل اراد ان يحتفل كالعادة بعيد ميلاد الملك جورج الخامس ، الذي يوافق 3 يونيه ، ويدعو اليه وجوه البلاد واعيانها ، وكانت فاتحة اعمال المؤتمر « قراءة مضابط الاعتماد ، ثم جدد انتخاب الرئيس ونائب الرئيس ، وانتخب كتابا له ليسجلوا الحوادث ، وبعد ذلك قرأت اللجنة (التنفيذية للمؤتمر الثالث) تقريرها ، وبوشر في البحث في المسائل التي قدمتها اللجنة ومنها ارسال وفد الى اوروبا [267] » . وتعرض المؤتمر لضغط الشباب العربي الذي شارك في احداث مايو ، وقدم له شباب يافا عريضة مؤرخة في 31 مايو ، يحتج فيها على اغلاق الحكومة لجريدة فلسطين التي « تدافع عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وتطلعه على جميع ما يتعلق بقضيته الوطنية » ، وطلب الى المؤتمر « الاحتجاج بشدة على تعطيل جريدة فلسطين والتثبت باعادتها ، حتى لا تتهم الحكومة بالتحيز الذي اصبح الشعب العربي يعتقد بوجوده [268] » .

عقد المؤتمر تسع جلسات ، وانهى اعماله بالفعل يوم الخميس 2 يونيه 1921 ، واسفرت اعماله عن : (1) انتخاب وفد الى اوروبا لشرح القضية الفلسطينة . (2) تشكيل لجنة لدراسة حوادث يافا وتقديم تقرير عمومي عنها لرفعه ـ بعد طبعه بالرسوم اللازمة ـ الى العالم المتمدن . (3) انتخاب لجنة تنفيذية جديدة لتوحيد العمل وتنظيم الحركة في البلاد (انتخبت اللجنة برئاسة عارف الدجاني) . (4) تقرير انشاء جريدة عربية انجليزية تكون لسان حال المؤتمر . (5) تنظيم حركة المالية [269] . والواقع ان فكرة الوفد لم تكن وليدة التطورات التي حدثت في البلاد في

---

266 ـ ليس صحيحا ما تذكره المراجع العربية من انه انعقد في 25 يونيه 1921 . انظر عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 38 - 39 ، امين سعيد المصدر السابق ج 3 ص 54 .

267 ـ مرآة الشرق ـ 103 - 1921/6/1.

268 ـ الاهرام 1921/6/4.

269 ـ الاهرام 1921/6/13.

مايو ، بل ان الفكرة نشأت بعد مقابلة وفد المؤتمر الثالث لتشرشل في القدس في 28 مارس 1921 ، واتفق بالفعل منذ ذلك الوقت على ارسال وفد الى اوروبا ، لكن الحوادث التي جرت في ابريل ومايو من ذلك العام حالت دون ذلك كما منع سفر الوفد عدم وجود المال اللازم للسفر . ولا شك ايضا ان فكرة تشكيل وفد للسفر الى اوروبا نبعت من تأثير الحركة الوطنية المصرية على الحركة الوطنية الفلسطينية ، واعتبارها مثالا يحتذى في النضال الوطني .

الوفد العربي الفلسطيني الاول الى لندن (يوليو 1921 ـ اغسطس 1922)

تقرر تشكيل الوفد الفلسطيني الاول المسافر الى اوروبا في 2 يونيه ، واختير لرياسته موسى كاظم الحسيني ، ولعضويته كلا من : توفيق حماد ، ابراهيم شماس ، شبلي الجمل ، ايمن التميمي ، ومعين الماضي . وخطب موسى كاظم باسم هيئة الوفد ، في ختام المؤتمر مؤكدا ان هيئة الوفد تعاهد الشعب الفلسطيني « ويعهدها هذا تعاهد الامة العربية ان تبذل بكل صدق وامانة كل ما تصل اليه مجهوداتها ، وما يدخل في طوقها في سبيل تحقيق الامنية الوطنية وتأييد حق البلاد الى ان تعذر في جهادها او تصل الى غايتها[270] » . ومما يجدر ذكره ان كلام موسى كاظم لم يتحقق حتى وفاته في عام 1934 ، حيث بقي على رأس الحركة الوطنية بين 1920 ـ 1934 .

تأخر سفر الوفد لمدة تزيد على شهر ويرجع ذلك اولا الى نقص المال اللازم لسفر الوفد . وكان قد تقرر ان تكاليف سفر الوفد ونفقاته في اوروبا تبلغ 24 الف جنيه ، واتفق على ان تقسم الى ثلاثة اقسام متساوية يلحق القدس وتوابعها ثمانية اسهم . ونابلس وتوابعها ثمانية اخرى ، اما الاسهم الباقية فتدفعها حيفا وتوابعها . واستلزم هذا ان يتوزع بعض اعضاء المؤتمر الرابع ، مع اعضاء الوفد ليجولوا في انحاء فلسطين المختلفة لجمع المبلغ المقرر جمعه . اما العامل الثاني الذي تسبب في تأخير سفر الوفد فكان

270 ـ فلسطين ـ 1921/6/3.

طلب الاذن بالسماح بالسفر من المندوب السامي ، ثم المحادثات التي جرت معه في اثناء ذلك والتي دارت حول مطالب الوفد ومهمته في اوروبا . واكثر من ذلك كله اهمية تردد الوفد في السفر الى اوروبا اذ انه كان يهدف الى امكانية الحصول على جواب شاف من المندوب السامي في القدس ، دون ان يكلف عناء السفر ومشقته . وقد نشر الوفد اول بيان له في 8 يوليو 1921[271] ، قبيل سفره الى اوروبا ذكر فيه ان بعض اعضاء الوفد قابل المندوب السامي في 23 يونيه « طالبا تسهيل سفر الوفد » . لكن المندوب السامي اجاب بان « الحكومة عازمة على اعداد اساس انتخابي للمجلس الاستشاري وسن دستور للبلاد مبني على مبادىء تصريح بلفور القائل بتأمين وطن قومي لليهود في فلسطين ، وتأمين الهجرة اليهودية اليها » . وان المندوب « لم يبد جوابا صريحا على الاسئلة التي طرحت عليه بشأن صلاحية هذا المجلس » وان رده « لا يطابق ما تتطلبه الامة من الحقوق المشروعة » ولذلك فان الوفد قرر ان « يشمر عن عزمه في السفر الى الغرب متوكلا على الله ، ومستندا الى تضافر الامة الكريمة واتحادها في الثبات والجد وراء هذا الغاية السامية » . ثم طلب من الامة ان « تلبث على مبدئها رابطة الجأش ثابتة الجنان تنتظر نتيجة سعي وفدها الذي عاهدها على العمل في تحقيق امنيتها المقدسة بكل ما لديه من قوة ومجهود » .

إعتبر هربرت صمويل في رسالة بعث بها الى ونستون تشرشل في 13 يونيه 1921 ، ان زيارة « الوفد الاسلامي المسيحي الذاهب الى لندن فرصة سانحة تستطيع الحكومة اهتبالها للتوفيق (بين العرب واليهود) ، سيما وان اعضاءه لم يكونوا من المتطرفين[272] » . والحقيقة ان صمويل كان على علم بتزعزع مكانة القيادة السياسية الفلسطينية ، فقد ابلغ تشرشل ان الاحداث الاخيرة قد كشفت النقاب عن اهتمام الجمهور من فلاحين وبدو وغير متعلمين ، البالغ بالشئون العامة . وكان اكتشافهم لقدرتهم على مقاومة

271 ـ الملحق رقم 24.
272 ـ Sykes, op. cit., p. 74

الحكومة وعرقلة اعمالها عاملا جديدا هاما لا بد من اخذه بعين الاعتبار . بالاضافة الى ذلك يملك العرب سلاحا اخر ضد الحكومة الا وهو سلاح المقاومة السلبية حذر صمويل من انه اذا عمدت الحكومة زجر الوفد فان المشايخ ورجال الدين الذين ظلوا حتى الان في موقف المتفرج سيقدمون على اخذ زمام المبادرة والحلول محل السياسيين في قيادة التحريض والثورة ضد الحكومة ، والخلاصة انه لا بد من القيام بمحاولة جدية للتوصل الى تفاهم مع معارضي السياسة الصهيونية حتى لو كان ذلك بمحاولة على حساب تضحيات كبيرة والبديل الوحيد لذلك هو اللجوء الى سياسة استخدام القوة وهي سياسة خاطئة من حيث المبدأ ومن المرجح ان تثبت عدم جدواها من حيث التطبيق[273] » .

وقد استغلت العناصر الصهيونية تزعزع مركز القيادة الفلسطينية وضعف تشكيل الوفد فسعت بالتعاون مع بعض العناصر الموالية للصهيونية الى محاولة تشكيل وفد اخر لمعارضة الوفد الاول لكن فكرة الوفد المعارض لم تظهر الى حيز الوجود واستطاعت الصهيونية ان تجد لها بعض العملاء الذين ارسلوا برقيات الى لندن « تسفه الوفد الفلسطيني وتكذبه » وكان على رأسهم حيدر طوقان[274] .

غادر الوفد القدس في 19 يوليو 1921[275] وقد رافقته فرانسيس نيوتن التي تعمل في قلم الجاسوسية البريطانية بصفة مستشار[276]،الى مصر ، « ومن هناك ارسل موسى كاظم برقية الى الحسين يخبره فيها بسفر الوفد « لبسط القضية الفلسطينية ويدحض فكرة الوطن القومي اليهودي وطلب تشكيل حكومة نيابية » ثم يطلب من الحسين العناية بتعضيده ورد الحسين ببرقية غامضة ورد فيها انه « وقف موجوديته وذويه بمعاينها في سبيل ما اشرتم

273 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 180 - 181

274 ـ الشورى 1926/8/6.

275 ـ المقطم 1921/7/23

276 ـ Frances Newton, op. cit., p. 178

اليه منذ عام 1333 هـ[277] ثم توجه الوفد بطريق البحر من الاسكندرية الى روما حيث قابل البابا الذي اعرب عن عطفه على القضية الفلسطينية ومما تجدر الاشارة اليه ان وكيل الخاريجة البريطانية اشار في 9 اغسطس 1921 امام مجلس العموم الى هذا الاجتماع وانه لم يحضره « ممثل بريطاني دبلوماسي وان الحكومة البريطانية لم تصرح بتلك الزيارة[278] ».

وصل الوفد الى لندن في اوائل اغسطس 1921[279] وليس صحيحا ما تذكره بعض المصادر العربية من ان البرلمان البريطاني كان غير منعقد[280] ، لان الجزء 146 من مضابط مجلس العموم البريطاني هو للفترة من 8 الى 19 اغسطس 1921 . اما اجازة البرلمان فكانت بالفعل بين 19 اغسطس و18 اكتوبر 1921 [281] .

اعتبرت الحكومة البريطانية الوفد الفلسطيني وفدا غير رسمي[282] . وفي 11 اغسطس ذكر تشرشل امام مجلس الوزراء ان « الحالة في فلسطين تسبب لي الأرتباك والقلق، فالبلاد بكاملها في حالة من الغليان. ولا تلقى السياسة الصهيونية قبولا لدى احد غير الصهيونيين انفسهم، وان كلا الجانبين العربي واليهودي مسلح وماض في التسلح ومستعد للانقضاض على الجانب الآخر. . . وقد رفضنا حتى الآن، لمصلحة السياسة الصهيونية، منح العرب اي مؤسسة انتخابية، ومن الطبيعي ان يقارنوا معاملتهم هذه بتلك التي يلقاها اخوانهم في العراق [283] ». ومن الجدير بالذكر ان لويد جورج امر ونستون تشرشل في 22 يوليو 1921، في الأجتماع الذي تم في منزل المستر بلفور في

---

277 ـ القبلة ـ 504 - 1921/7/28.

278 ـ P.D. vol. 146, col. 408

279 ـ المقطم 1921/7/8.

280 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 183.

281 ـ انظر P.D. vol. 146, vol. 147

282 ـ P.D. vol. 148, col. 42

283 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 183.

لندن بحضور وايزمن، بألا يقيم حكومة نيابية في فلسطين [284]. ومعنى ذلك ان احد مطالب العرب الرئيسية لا يمكن تنفيده، ولا تستطيع الحكومة البريطانية ان تبحثه مع الوفد، وذلك محافظة على مصلحة الحركة الصهيونية.

وفي 12 اغسطس، قدم الوفد الفلسطيني مذكرته الأولى الى الحكومة البريطانية[285]، وطلب « انشاء حكومة وطنية تكون مسئولة امام مجلس نيابي (برلمان) منتخب من السكان الذين قطنوا فلسطين قبل الحرب من مسلمين ومسيحيين ويهود »، و « الغاء فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين »، ووقف الهجرة ريثما تتألف حكومة وطنية، والغاء « جميع الشرائع والقوانين التي سنت بعد الأحتلال البريطاني، وان لا تسن قوانين الا بعد ما تشكل حكومة وطنية »، لم يوافق مجلس الوزراء البريطاني عل هذه المذكرة، واعلن رفضه لقبولها في 18 اغسطس. وانتهت دورة البرلمان في اليوم التالي، وغادر قسم من اعضاء الوفد الى جنيف للاشتراك مع الوفد السوري، في 25 اغسطس، لتشكيل ما عرف باسم (اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني)[286].

وبعد افتتاح الدورة البرلمانية بأسبوع، قدم الوفد في 24 اكتوبر 1921، مذكرة الى ونستون تشرشل، وطلب اليه عرضها على الوزارة. وقد قدم الوفد رأيه في هذه المذكرة في حل قضية فلسطين، ووضع الأسس التالية لذلك:

أ) حكومة نيابية تعطي الأهالي الحق في ادارة شئونهم الداخلية ويستمدون المعاونة من الدولة المساعدة.

ب)حرية دينية تامة ومساواة دينية مضمونة بطريقة من الطرق التي لا يمكن لبرلمان فلسطين ولا لغيره تبديلها.

---

284 ـ Sykes, op. cit., pp. 79-82

285 ـ وثائق المقاومة ص 26 - 33.

286 ـ انظر السياسة الاسبوعية 1928/5/19، السفري ص 92.

ج) ضمانة ادارة المحلات المقدسة من حراسها الحاليين وعدم صلاحية البرلمان وغيره لتبديل الحالة الحاضرة.

د) مسألة الجيش البري تكلف بها الجندرمة الوطنية، وبذلك يتوفر على الخزينة البريطانية مقادير كبيرة من المال. اما مسألة الهجرة فتبقى « في يد الشعب الفلسطيني، اذ الصهيونيين يدعون ان اهالي فلسطين سيعترفون بعد الأختبار الفعلي بفوائد الهجرة الصهيونية للبلاد، فاذا كان الأمر كذلك، فليطمئن اليهود بان الأهالي لا يسمحون لسياستهم في المهاجرة ان تكون مضرة بالبلاد. ولكن اذا كانت سياسة المهاجرة الصهيونية مضرة للاهالي فعندئذ وجب على الأهالي ان يديروها بطريقة هي في صالحهم وليس في صالح اليهود ». واشارت المذكرة في النهاية الى ان الوفد قدم صورة من هذا الحل الى الوزارة، « فاذا لاقى ارتياحا منها يمكننا المذاكرة فيه بالتفصيل ثم نعرضه على اهالي فلسطين للمصادقة النهائية[287] ».

غير ان هذا الحل المعتدل الذي عرضه الوفد الفلسطيني لم تقبله الحكومة البريطانية. فقد صرح وكيل وزارة المستعمرات في 7 نوفمبر 1921 بانه « لم يتم التوصل الى اتفاق مع الوفد الفلسطيني[288] ».

كان الوفد ابان وجوده في لندن يرسل ببرقيات تطمئن الاهالي في فلسطين بان الوفد « يقوم بما يجب عليه خدمة للبلاد بصورة متقنة »، وان الحالة العامة « تقضي باتحادكم واتفاق كلمتكم[289] ». لكن الأوضاع في فلسطين كانت تسير من سيىء الى اسوأ. فابواب البلاد مفتوحة للهجرة اليهودية، وعملية بيع الأراضي لليهود تجري على قدم وساق، وسماسرة الأرض من العرب واليهود يطوفون بالبلاد طولا وعرضا. ويقوم حسن شكري، رئيس بلدية حيفا، والموالي للصهيونية، وتحت تأثير كلفرسكي،

---

287 ـ وثائق المقاومة ص 34 - 37.

288 ـ P.D. vol. 148, col. 42

289 ـ لسان العرب ـ 58 - 1921/9/5.

بتأسيس (الجمعية الأسلامية الوطنية) في حيفا، والتي كان هدفها الأساسي الأعتراف والقبول بالأنتداب البريطاني على فلسطين وبالتالي بتصريح بلفور وبالوطن القومي اليهودي في فلسطين. واخذ الأهالي يقنعون رويدا رويدا بان الحكومة البريطانية لن تستجيب لمطالب الوفد الفلسطيني في لندن، وانه فاشل في مهمته. ولذلك لاقى منشور (اللجنة الفلسطينية بمصر)[290] الصادر في 31 اكتوبر 1921، والذي حض على الأضراب يوم 2 نوفمبر، قبولا لدى اوساط الجماهير في فلسطين. وقد برهنت الجماهير على استجابتها السريعة للاحداث، فقامت في 2 نوفمبر مظاهرة عنيفة في القدس، اتجهت الى الحي اليهودي في المدينة، واشتبكت في صراع دموي، اسفر عن مقتل خمسة يهود، وثلاثة من العرب، واصابة 36 بجراح[291]. الا ان هذه الانتفاضة العفوية، والتي لم يكن للقيادة التقليدية دور فيها، لم ترق لتلك القيادة. ولذلك سرعان ما اجتمعت في 3 نوفمبر، في القدس، وقدمت الى الحكومة بيانا بالعربية[292]، اعلنت فيه « استياءها الشديد من الحوادث الأليمة التي وقعت امس (2 نوفمبر) والتي نشأ عنها موت اشخاص مسالمين ». ثم دعت « الجمهور الى الأحتفاظ بسكينته والمحافظة على السلام العام »، وذلك لان تلك الزعامة مقتنعة بان « الوسائل السلمية هي خير الوسائل التي تحمي صفوفنا وتضمنها ». وختمت الزعامة بيانها بان « الحكومة تقوم بما يجب عليها من المحافظة على الأمن العام »، وطلبت « من جميع قومنا ان يساعدوا الحكومة في مهمتها ». وقد وقع على هذا البيان كل من: الحاج امين الحسيني، محمد يس ابو السعود، الشيخ خليل الخالدي، عارف الدجاني، فيظي العلمي، راغب النشاشيبي، يعقوب فراج، الشيخ موسى البديري، يوسف البينا، القس ابراهيم الباز. ومع ان الزعامة التقليدية استجابت للحكومة واصدرت ذلك البيان المشبوه، الا ان

---

290 ـ برياسة وهبة العيسى، وسكرتارية محمد علي الطاهر.

291 ـ المقطم 1921/11/4

292 ـ المقطم 1921/11/5.

الحكومة قدمت للمحاكمة في فبراير 1922 المتهمين العرب في تلك الحوادث، وحكمت على مسعود القواص، وعبد المسيح بالسجن 15 سنة، وعلى الياس السرياني بالسجن 10 سنوات[293]. ويلاحظ ان الوحدة الوطنية تجلت في مظاهرة القدس على احسن صورة.

في هذا الجو المشحون بالتوتر، ضبطت في 18 ديسمبر 1921 عملية تهريب 300 مسدس وكمية من الذخيرة في ميناء حيفا، مرسلة بصفة ادوات زراعية باسم اسحق روزنبرغ، مما اصبح يقينا لدى الشعب بان هناك عملية يهودية منظمة لجلب السلاح والذخائر. وسرعان ما قدمت الجميعة الاسلامية المسيحية بيافا، في 1921/12/19، مذكرة الى المندوب السامي[294]، اشارت فيها الى ان التوتر « قد تكاثر الى حد يصعب معه تهدئة القلق الذي استحوذ على الوطنيين ». واحتجت المذكرة على تسليح المستوطنات الصهيونية، وعلى « التسامح بعدم تفتيش ما يرد الى البلاد باسم ادوات زراعية في الجمارك »، وعلى « السماح بانزال المهاجرين اليهود الى فلسطين وكلهم في سن الجندية ». وطلبت المذكرة من المندوب السامي ان يأمر « بجمع كل الأسلحة التي وزعتها الحكومة على المستعمرات اليهودية » واتلاف « جميع ما ورد مؤخرا من الأسلحة وذخائرها الى حيفا علنا »، وان يصدر امره « الى جميع جمارك فلسطين بوجوب تحري وتفتيش كل ما يرد باسم اي محل تجاري صهيوني كان او غير صهيوني »، وان « يباشر بعمل تحقيق دقيق عن جميع ما ورد لفلسطين من الأدوات الزراعية ولا سيما ما جاء منها في شهر اكتوبر الماضي »، وان « يقاضي مستوردو هذه الاسلحة وجميع من كان لهم علاقة بها ». ثم طلبت الجميعة الاسلامية المسيحية في ختام مذكرتها من المندوب السامي ان « توقف مهاجرة من كان من اليهود في السن العسكرية »، وانها تلفت نظره « الى ما يترتب من التبعات ».

---

293 ـ لسان العرب ـ 155 - 1922/2/7، P.D. vol. 150, col 1251

294 ـ الملحق رقم 25.

رافق التوتر السياسي الذي ساد فلسطين، تدهور الأوضاع الأقتصادية. وقد شرح الكولونيل سايمس Symes، حاكم لواء حيفا، في تقرير له ذلك التدهور فقال ان « الأعمال في عكا وشفا عمرو متوقفة. وفي حيفا تكاد تكون جميع انوع العمل التي تعود بالربح على العرب في تدهور. . . كما انه من الواضح ان الحواجز الجمركية مع سوريا اخذت تقتل تجارة الترانزيت. . . فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع بالمفرق يكاد يتوقف عن العمل، بل ان الحمالين وغيرهم ممن يمراسون الأعمال في غير الدائمة اخذ وضعهم يتأثر بسبب الأفضلية التي تمنحها المؤسسات اليهودية واصحاب العمل لليهود المهاجرين الجدد من العمال. . . وتعاني جميع طبقات سكان المدن من ارتفاع تكاليف المعيشة. . . اما الطبقات الأعلى نسبيا كالتجار الافندية فانهم يكادون يصلون الى حافة اليأس، فهم يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بدخولهم، او بواسطة اي اعمال اخرى يمارسونها. . . وكثير منهم يواجهون الخيار بين الأفلاس أو الهجرة. وليست حالة ملاك الأرض الكبير خيرا من ذلك بكثير، فهو مثقل بالديون وليس في وسعه ان يحصل على مزيد من القروض. فاسعار الحبوب منخفضة، كما ان الأسواق الخارجية ـ لسبب او آخر ـ مقفلة عمليا في وجهه، بل انه ليجد من الصعب عليه ان يبيع ما يضطر الى بيعه من الأراضي بسعر معقول ». ويرى ان ساكن المدينة ان ما يعانيه من حالات العجز والبؤس انما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عليها من الهجرة اليهودية[295].

كان الوفد الفلسطيني لا يزال في لندن، يسعى دون فائدة في ايجاد حل للمسألة الفلسطينية. ففي رسالة مؤرخة في 12 يناير 1922[296]، بعث بها الوفد الى القدس، ذكر انه اختلف مع تشرشل على مسألة الهجرة، « فالوفد يطلب ان تكون الحكومة الوطنية في فلسطين هي المرجع الأعلى في هذه المسألة، والمستر تشرشل يطلب من الوفد ضمانات على ان لا تقفل البلاد

295 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 183.

296 ـ انظر الاهرام 1922/2/10.

باب الهجرة بالمرة ». والحقيقة ان الوفد لقي في لندن تأييدا معنويا من موظفي وزارة المستعمرات، وفي البرلمان والصحافة وبعض الدوائر السياسية. فقد ايده في مجلس العموم جونسون هيكس Joynson - Hicks، وفي مجلس اللوردات كل من اسلنجتون Islington،وسيدنهام Sydenham، وراجلانRaglan. وايدته صحف Sunday Times و Observor و Spectator؛ وكان ينشر مقالات بالأجر في جريدة التايمز. لكن هذا التأييد كله قام على اساس تخفيض الألتزامات البريطانية العسكرية فيما وراء البحار، وذلك لصالح الأقتصاد البريطاني وبالتالي لصالح المكلف البريطاني، ولم يكن ذلك التأييد لصالح القضية العربية على الأطلاق. والواقع ايضا ان حزب المحافظين لعب دورا هائلا في التأييد المعنوي للقضية الفلسطينية، ولم يكن ذلك كله الا نوعا من الدعاية الأنتخابية.

عرض المستر تشرشل في فبراير 1922، على الوفد الفلسطيني في لندن، ووفد المنظمة الصهيونية ايضا، اقتراحات رسمية لتأسيس مجلس تشريعي طبقا لوعد المندوب السامي (خطاب 3 يونيه 1921). وبالرغم من نصيحة المستر لويد جورج الى المستر تشرشل بعدم تأسيس حكومة نيابية في فلسطين، الا ان تشرشل عرض المشروع على الفريقين وضغط لقبوله. وكانت المقترحات تتضمن توسيع المجلس الأستشاري القائم ومنحه الصبغة الديمقراطية. وكان المجلس يضم 7 عربا، و3 يهود وعشرة موظفين، وكلهم يعينهم المندوب السامي. اما المجلس التشريعي فكان يضم 9 مسلمين عربا، و 3 مسيحيين عربا، 3 يهود، و 11 موظفا، وهم جميعا ـ باستثناء الموظفين ـ من المنتخبين.

ارسل الوفد الفلسطيني رده في رسالة وقعها موسى كاظم وشبلي الجمل في 21 فبراير 1922[297]، واعلن ان البلاد لا يمكنها « قبول اي دستور يقصر عن تخويل السكان حقا تاما في ادارة شؤونهم ». ولكن الوفد اشار في

297 ـ انظر الملحق رقم 10، A.H.C. vol. 111, Doc. No. 38-1

رده الى انه « اذا راجعت الحكومة سياستها في فلسطين، ووضعت حدا لتفوق الصهيونية وللهجرة عموما، واعطت السكان الذين هم خير حاكم لبلادهم، وبالحق والأختيار، السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية، فعندئذ يمكن المفاوضة بامر الدستور ولكن بحالات تختلف عن حالتنا الحاضرة ».

ثم اورد الوفد الفلسطيني الأسباب الثمانية التي بسببها يرفض مشروع الدستور، واشترط في النهاية ان يكون الدستور « (1) ضمامنا لحقوق الأهلين السياسية والمدنية والاقتصادية ومصالحهم فيها (2) ان يهيء انشاء حكومة وطنية مستقلة، بمقتضى روح البند الرابع من المادة 22 في نظام جمعية الامم (3) ان يضمن حقوق الأجانب المشروعة (4) يضمن حقوق الاقليات (5) ويضمن حقوق الدولة المساعدة ». واعلن الوفد ثقته التامة بان « الحكومة البريطانية - بما اشتهرت به من العدالة - ستعير النقط المقدمة اذنا صاغية وفكرا عطوفا، اذ ان اجل غاية للوفد هي ان تشكل في فلسطين حكومة معتبرة من السكان، وكافلة لحماية مصالح الجميع ».

والواقع ان الرد العربي صيغ بشكل دبلوماسي جيد، وبلهجة فيها كثير من الاعتدال، وتضمن الرد قبولا بالانتداب، واعتبر بريطانيا (دولة مساعدة) وليس دولة منتدبة. ومع ذلك فقد رفض تشرشل المقترحات العربية في رسالته المؤرخة في اول مارس 1922[298]، لكنه اعتبر الوفد الفلسطيني ممثلا لقسم كبير من السكان. واكد على ان سير المفاوضات يجب ان يكون على اساس وعد بلفور. اذ انه من المستحيل على حكومة بريطانيا العظمى ان تنكث بوعدها للشعب اليهودي. وان نصوص معاهدة سيفر لا تتضمن مادة تشير الى استقلال فلسطين. ومع هذا فانه يوافق على عرض مقترحات الجمعية الصهيونية على المجلس التشريعي بدلا من عرضها على المندوب السامي، وان يكون اكثر اعضاء المجلس التشريعي من المنتخبين. وان تشكل لجنة خاصة لدراسة مسألة الهجرة وتقدم تقريرها الى المندوب السامي، شريطة ان يكون حق التصديق وعدمه لحكومة جلالة الملك في

298 - لسان العرب - 175 - A.H C. vol 111, Doc. No. 38-2, 1922/3/6

لندن. ثم رد الوفد العربي في 16 مارس 1922[299]، بمذكرة على رسالة تشرشل، اشار فيها الى رفضه تصريح بلفور، وبين اسباب ذلك الأنتدآب وكرر طلبه بشأن انشاء حكومة وطنية في البلاد، ورفض صك الانتداب البريطاني لفلسطين، وكذلك (لجنة المهاجرة). كما طالبت المذكرة بانتخاب جميع اعضاء المجلس التشريعي، وان تكون له صلاحية تغيير مواد الدستور والغائها وشرحها والاضافة عليها.

ولقد صيغ الرد العربي بلهجة اكثر شدة من سابقه، ويبدو ان ذلك كان تحت تأثير فشل الوفد في محادثات لندن وتدهور الأوضاع في داخل فلسطين. ففي 13 فبراير ضبطت كمية من الأسلحة مهربة داخل امتعة مهاجرة يهودية، كانت عبارة عن 35 مسدسا و95 صندوقا من العتاد والذخيرة، مما يدل على ان عملية تهريب الاسلحة لليهود لم تتوقف وان الكميات المضبوطة منها كانت تمثل شحنات صغيرة فقط. وتداعت الشخصيات الفلسطينية الى اجتماع في القدس، عقد في اوائل مارس، واسفر عن تقديم مذكرة احتجاج[300]، فيها شيء من الشدة الى المندوب السامي، اذ نعت على الحكومة تبرئة روزنبرج من تهمة تهريب السلاح، وقالت ان « الأدارة تنظر لتهريب الاسلحة من اليهود بعين الأستحسان ». ثم بينت وظيفة الحكومة من حيث حماية السكان، وانها ان قصرت في ذلك فلا يحق لتأييدها، فقالت ان « الادارة انما هي هيئة منظمة مؤيدة باموال السكان لاجل حماية ارواح الافراد واموالهم، فان قصرت عن ذلك فليس للافراد ان يؤيدوها ». وقدمت المذكرة رأيها بصراحة في حكومة فلسطين فقالت « انا نجد ان عمل الادارة يشير بعجزها عن حماية ارواح السكان واملاكهم باعطاء سلاح لطائفة منهم تستعمله ضد الآخرين ». واحتجت « بشدة على اعمال الحكومة، التي تقود البلاد الى نتيجة مرعبة ». وختمت المذكرة بمطالب الأمة التي تمثلت في وقف الهجرة حتى « يقرر مصير البلاد »، وان تسترد الحكومة جميع اصناف

---

299 ـ A.H.C. vol 111, Doc. No. 38-3

300 ـ الملحق رقم 26.

الأسلحة الموجودة في حوزة السكان على اختلاف انواعهم، والتفتيش عنها وضبطها ثم حرقها ».

واخذ التوتر يزداد في شهر مارس كرد فعل لتصريح 28 فبراير في مصر، وهو التصريح الذي اعلن استقلال مصر بتحفظات خاصة. ومما لا شك فيه ان الحركة الوطنية في فلسطين اتبعت لفترة من الزمن خطى الحركة الوطنية المصرية. فاصدر حاكم يافا منشورا « حظر فيه على الأهالي القيام باية مظاهرة كانت »، معلنا لهم ان « قوة الدرك تفرق المتظاهرين بالقوة وتلقي القبض علس مثيريها لمجازاتهم بصراحة طبقا للاحكام العثمانية الصادرة بحق مثيري القلاقل والفتن[301] ». اصدر 'لجنرال ستروز في 20 مارس اعلانا رسميا[302]، منع فيه اقامة اي « مهرجان او مظاهرة في طريق عمومي الا باذن خطي من الحاكم »، ثم رسم للبوليس طريقة فض الأجتماعات بالقوة، وحدد مدة العقوبة التي يحكم بها على الشخص المشترك في المظاهرة، او حاملا سلاحا، ليلا او نهارا، ثم اعلن ان حمل النبابيت والسيوف والمقامات او الخناجر او السكاكين في الأزقة والشوراع العمومية ممنوع منعا باتا ضمن منطقة لواء القدس لحين اشعار آخر ».

ونتيجة لما عم فلسطين في مارس من توتر شديد، ولمذكرة الوفد العربي المؤرخة في 16 مارس، كان رد تشرشل في 11 ابريل[303] ينم عن اصرار شديد في تنفيذ الألتزامات البريطانية نحو الحركة الصهيونية. فقد جاء فيه ان « النقطة التي سعى المستر تشرشل لايضاحها في مكاتباته مع الوفد الفلسطيني هي تأمين ايجاد ضمانات وافية لتنفيذ الشق الثاني من تصريح بلفور، الذي ينص على صيانة حقوق ومصالح السكان غير اليهود »، وان تشرشل « لا يسعه الا ان يظهر استياءه من رفض الوفد التعاون معه في محاولة

301 ـ لسان العرب ـ 183 - 1922/3/11.

302 ـ الملحق رقم 27.

303 ـ A.H.C. vol. 111, Doc. No. 38-4

ايجاد حل عملي لهذه المشكلة الهامة. وانه كان بامكان الوفد، ما دام يعتبر ان الادارة المقترحة ناقصة، ان يقدم اقتراحاته لادخال تحسينات عليها »، وان « حكومة جلالته، في الوقت الذي تأسف فيه على الخطة السلبية التي انتهجها الوفد، فانها لن تحيد عن السبيل العملي الذي تعتقد انه اقوم السبل المؤدية الى خير فلسطين عموما ».

سارع هربرت صموبل في 20 ابريل[304]، فغادر القدس متوجها الى لندن، ذفعه الى ذلك تقاربه مع القيادة التقليدية في البلاد، وحثها على الهدؤ، وخوفه من جهة اخرى من فشل مهمة الوفد الفلسطيني في لندن. واسفرت رحلته عن اصدار تشرشل لكتابه الأبيض في يونيه 1922، وهو الأساس الذي سارت عليه السياسة البريطانية لمدة طويلة في فلسطين. وكانت موافقة مجلس العموم البريطاني على الكتاب في أوائل يوليو هو آخر خطوة، من الجانب البريطاني، لتقديم صك الانتداب البريطاني لفلسطين الى مجلس عصبة الامم.

نشطت الحركة الوطنية في فلسطين في يونيه ويوليو 1922، وذلك على اثر نشر الكتاب الأبيض رقم 1700، وعرض صك الأنتداب البريطاني لفلسطين على مجلس عصبة الأمم وطلب الموافقة عليه. وتولت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الرابع برياسة عارف الدجاني وسكرتارية جمال الحسيني قيادة الحركة في فلسطين. واجتمعت اللجنة في الفترة ما بين 23 ـ 27 يونيه، واصدرت نداء الى « الأمة الكريمة[305] »، ذكرت فيه ان « مستقبل فلسطين بيد اهل فلسطين رغم تصريح بلفور ومعاهدة سان ريمو »، ونعت على عصبة الأمم تصديقها لصك الأنتداب، فقالت ان « اتمام تصديق عصبة الأمم لصك الأنتداب في الخامس عشر من شهر تموز (يوليو المقبل هو ضربة كبرى على القضية، فلا نعني انه يكون ضربة مميتة، بل ضربة تزيد الأحياء حياة

304 ـ لسان العرب ـ 214 - 1922/4/20

305 ـ الملحق رقم 28.

والأموات موتا ». وطلبت من عصبة الأمم عدم التصديق على صك الأنتداب، وانها تكون بذلك « قد رفعت عنا مصيبة كبرى كان يمكن ان تؤخر قضيتنا لا ان تميتها. وان خاب الظن فيها وصدقت عليه، فيجب ان نقلب تلك المصيبة الى صالحنا ». ثم دعت اللجنة التنفيذية بطبيعة تكوينها الضعيف، واسلوبها الأعتدالي في النضال الى « درء هذه المصيبة قبل حلولها بالطرق المشروعة »، وقالت « ولنذكر الامة بمبدأ حركتنا الوطنية وهو (الحق الصريح لا ينال الا بالطرق المشروعة) فلنسر عليها ».

ووافقت اللجنة على الأضراب يومي 13 و 14 يوليو، احتجاجا على السياسة البريطانية في فلسطين، على ان يتم ذلك في جميع انحاء البلاد، وان تقوم الجمعيات بكل ما يمكن للمحافظة على النظام، وان تستأذن كل بلدة حكومتها في اقامة مظاهرة سلمية، فاذا لم تسمح، انصرف المضربون الى معابدهم في اليومين المذكورين. وطلبت الى الوفد الفلسطيني الرجوع الى البلاد اذا صودق على الأنتداب بحالته الحاضرة، وان يحتج على تصديقه ويعلن عدم قبول الأمة له. كما قررت تأليف وفد مسيحي الى الفاتيكان لطلب مساعدة البابا[306]، ووفد آخر الى مكة. كما قررت البدء بجمع التبرعات في مدن فلسطين المختلفة لبدء حملة دعاية ضد الصهيونية والحكومة البريطانية، وقد بدأت بالفعل حملة جمع التبرعات واللجنة التنفيذية منعقدة. فقد ورد في لسان العرب انه « طاف جماعة من اعضاء اللجنة التنفيذية البيرة ورام الله وبيت لحم وبيت جالا، فجمعوا منها كلها نحو 250 جنيها[307] ». كما قررت ايضا تأسيس فروع للجمعية الاسلامية المسيحية في مدن فلسطين التي لم تؤسس فيها جميعات بعد.

ويبدو ان خلافا قد نشب في داخل اللجنة التنفيذية، بسبب موقف بعض الزعامات من تلك القرارات، وكان عارف الدجاني رئيس اللجنة احد المعترضين عليها، فقدم استقالته من رياسة اللجنة التنفيذية ورياسة الجمعية

306 ـ المقطم 1922/7/7، لسان العرب ـ 272 - 1922/6/30.

307 ـ لسان العرب ـ 269 - 1922/6/27

الأسلامية المسيحية بالقدس، ونشر كتابا في 26 يونيه[308] بين فيه اسباب استقالته. وذكر فيه انه يرى ان « حالة الوطن في الوقت الحاضر خطرة، وان الخطة التي نسير عليها لا توصلنا الى درء الخطر وانقاذ الوطن مما هو فيه ». ثم قال انه رأى « بعض القرارات لا تفي بالمقصود »، ولذلك فانه ترك اللجنة « مصمما على عدم العودة اليها ». ونحن نعتقد ان القرارت الصادرة عن اللجنة كانت تعبيرا عن موقفه وموقف بقية اعضاء اللجنة، ولم يكن عارف الدجاني مستعدا، هو او غيره، لتنظيم الشعب في محاولة لمقاومة السلطة البريطانية، وهو البديل الطبيعي للاسلوب التقليدي الذي اتبعته تلك القيادة. ومهما يكن فان الشيخ محمد مراد اعتذر عن قبول رياسة اللجنة، وقبلها عمر البيطار، رئيس بلدية يافا، ورئيس الجمعية الأسلامية المسيحية فيها.

على ان خروج عارف الدجاني من صف القيادة التقليدية للحركة الوطنية بهذا الشكل، يمثل اول انقسام في داخل الحركة الوطنية، او بمعنى ادق اول انسلاخ عنها. ذلك ان صك الأنتداب البريطاني لفلسطين، والموافقة عليه، لا بد ان يستتبع ظهور فئة ترى فيه الأسلوب الأمثل للوضع، وتناضل من اجل تطبيقه اولا، ثم ادخال بعض (التحسينات) عليه، ان امكن ذلك.

وبعد ان وافق مجلس العموم البريطاني في 6 يوليو على سياسة الحكومة حسب الكتاب الأبيض رقم 1700، اذاعت اللجنة التنفيذية في اليوم التالي بلاغا جاء فيه ان « اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني الرابع تعلن اليوم باسم الأمة العربية الفلسطينية، التي صممت ان تحيا في بلادها عزيزة مكرمة حرة، انها تضرب بقرار مجلس النواب البريطاني الأخير عرض الحائط، كما ضرب مجلس النواب البريطاني ووزارة بريطانيا بعهود الحكومة الأنجليزية لعرب فلسطين في سنة 1915 وسنة 1918 عرض الحائط. وستبقى مثابرة على اعمالها، ثابتة على مطالب الأمة الأساسية ». وان اللجنة دعت

308 ـ لسان العرب ـ 271 - 1922/6/29، المقطم 1922/7/8.

برقيا « الوفد لقطع جميع المفاوضات مع وزارة المستعمرات والرجوع الى البلاد، بعد ان يعلن للحكومة البريطانية وجمعية الأمم قرار الأمة برفض الأنتداب » بانها « ستدعو المؤتمر العربي الفلسطيني حالا بعد عودة الوفد، ليضع الخطط الجديدة التي تراها الأمة اضمن واقرب للوصول الى الغاية الأساسية[309] ».

وكان الوفد المكلف بالسفر الى الحجاز، برياسة الشيخ عبد القادر المظفر[310]، قد وصل الى القاهرة في اول يوليو، واذاع هناك « نداء للامة المصرية الرشيدة من اخوانهم وجيرانهم الفلسطينيين[311] »، بدأه بان البلاد المقدسة « في خطر عظيم من الأعتداء الصهيوني الفظيع »، وان الصهيونية « ترمي الى ان تجعل من فلسطين قاعدة لبسط النفوذ اليهودي على الجزيرة والشرق بأجمعه »، ولذلك فان الدفاع عن البلاد المقدسة « واجب على كل مسلم ومسلمة ». ثم عاب على الأمة الأسلامية السكوت « وهي احق بالأنكار واجدر بالأحتجاج، واولاهم في ذلك الأمة المصرية لما بيننا وبينها من حق الجوار، وحق الأخوة الدينية، وحق الجنسية العربية، وحق التعاون التاريخي وحق احترام الأماكن المقدسة والاهتمام بصيانتها وبقائها في ايدي اخوانهم من اهلها ». واشار الى اجتماع مجلس العصبة في 15 يوليو للنظر في صك الأنتداب البريطاني لفلسطين. ثم طلب الى المصريين والى العالم الأسلامي اجمع، تقديم الأحتجاج « لدى العالم ولدى جميعة الأمم على هذا الأغتصاب الشائن المخالف للحق والعدالة ».

واضربت فلسطين كلها يومي 13 و 14 يوليو 1922[312]، حسب خطة اللجنة التنفيذية، احتجاجا على نظر مجلس العصبة لصك الأنتداب.

---

309 ـ المقطم 1922/7/13

310 ـ تألف من عبد القادر المظفر، رفيق التميمي، اديب ابو ضبة. انظر القبلة 602 - 1922/7/13.

311 ـ الملحق رقم 29.

312 ـ المقطم 14 و1922/7/15، القبلة 603 - 1922/7/17

ونشرت الحكومة في 15 يوليو بلاغا رسميا منعت فيه اقامة مهرجان او مظاهرة الا باذن خطي من الحاكم، وحظرت « حمل النبابيت والسيوف والمقامات او الخناجر او السكاكين في الأزقة والشوراع منعا باتا ضمن منطقة لواء القدس، وذلك حتى صدور بلاغ آخر». كما منعت « التجمع على سطوح البيوت واشاعة الأخبار الكاذبة التي من شأنها الأخلال بالأمن، سواء كان شفاها او تحريرا »، وانذرت المخالفين بالعقوبات القانونية[313]. وكان كل ذلك اجراء احتياطيا قامت به السلطات البريطانية خوفا من ازدياد التوتر في البلاد، نتيجة نظر مجلس العصبة لصك الأنتداب البريطاني على فلسطين.

ومهما يكن فقد وافق مجلس العصبة في 24 يوليو 1922، على صك الأنتداب، واصبح بذلك التزاما دوليا، كان على بريطانيا ان تضمن تنفيذه، وهو ما كانت تعمل له بالفعل بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية العالمية. واستعدت البلاد في يوليو واغسطس لاستقبال الوفد القادم من اوروبا، ولعقد المؤتمر الخامس، الذي كان بداية مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية. ذلك ان (الأنتداب) اظهر فئات من الزعامة التقليدية، وبالتالي جمعيات او هيئات، عملت على التعاون من اجل تنفيذه، واعتبرته غاية الأمة.

---

313 ـ المقطم 1922/7/16.

الفصل السَادِس
السياسة البريطانية والتمهيد للوطن القومي
أغسطس 1922 - ابريل 1936

استمرت الحكومة البريطانية تتمسك ظاهريا بسياسة (الالتـزام المزدوج) نحو العرب واليهود، بناء على تفسير ونستون تشرشل الوارد في الكتاب الابيض رقم 1700 ، بشأن تصريح بلفور. لكن واقع الامر كان مخالفا لذلك، اذ ان الحكومة البريطانية عمدت في جميع التشريعات التي أصدرتها، الى أتباع (سياسة ثابتة) لم تتغير، تهدف جميعها نحو التمهيد لبناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

دستور 1922

لم يكد يمر اسبوعان على موافقة عصبة الامم على صك الانتداب البريطاني لفلسطين (24 يوليو 1922)، حتى منح (صاحب الجلالة البريطانية) دستورا لفلسطين في 10 أغسطس 1922[1] ، تضمنت الفقرة الثانية من مقدمته نص تصريح بلفور بالكامل. وحددت المادة الخامسة منه سلطات المندوب السامي الذي يقوم « بتنفيذ كافة المهام المناطة بمنصبه بالصورة الواجبة وفقا لمنطوق المراسيم التي قد يصدرها جلالته في مجلسه الخاص

---

1 - Davis, Helen Miller : Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East, Darham (V.S.A.) 1947, pp. 217-39

بشأن فلسطين، وأية براءة تصدر اليه موقعة بتوقيع جلالته ومختومة بختمه، ووفقا للتعليمات التي تصدر اليه من آن الى آخر بتوقيع جلالته من أجل تنفيذ أحكام صك الانتداب، ووفقا للتعليمات التي تصدر اليه بمرسوم من جلالته في المجلس الخاص او بواسطة احد وزرائه، ووفقا لكافة التشريعات والقوانين المعمول بها الآن أو التي سيعمل بها فيما بعد في فلسطين ». والى جانب المندوب السامي يقوم مجلس تنفيذي (مادة 10) وذلك « لاسداء المشورة للمندوب السامي، قوامه الاشخاص الذين يشير بهم جلالته بموجب تعليمات يرسلها المندوب السامي من آن الى آخر تحت ختم وتوقيع جلالته، ويشكل بالصورة التي يوعز بها جلالته في تلك التعليمات، ويحتفظ هؤلاء الاشخاص بمراكزهم في المجلس حسب مشيئة جلالته، ويراعي المجلس التنفيذي في تصريف أشغاله القواعد التي قد تقرر في مثل تلك التعليمات من حين الى آخر ».

وانيطت بالمندوب السامي سلطة الاشراف على الاراضي العمومية (مادة 12)، وسلطة هبة الاراضي (مادة 13)، وتعيين الموظفين وعزلهم (مواد 14 و15)، ومنح العفو العام (مادة 16)، وابعاد المجرمين السياسيين (مادة 69)، هذا كله بحيث، « لا يعمل بأي قانون ما لم يوافق عليه المندوب السامي ويقترن بتوقيعه أيذانا بتلك الموافقة، أو ما لم يقره جلالته بمرسوم أو بواسطة الوزير » (مادة 24).

وتضمن دستور فلسطين مادة (85) على جانب كبير من الغرابة، اذ سمحت بتقديم الشكاوى ضد عدم تطبيق صك الانتداب. وقد استغل اليهود هذه المنحة المقدمة لهم، وكانوا يثيرون دائما الشكوى امام جميع اللجان التي قدمت فلسطين للتحقيق. نصت المادة على انه « اذا كانت اية طائفة دينية او فريق كبير من سكان فلسطين يشكو من عدم قيام حكومة فلسطين بتنفيذ صك الانتداب، فيحق للطائفة او الفريق المذكور ان يرفع مذكرة بذلك الى المندوب السامي بواسطة عضو من اعضاء المجلس الاستشاري او

اية هيئة استشارية اخرى بمقتضى المادة 17 (أ و ب) من هذا الدستور، او بواسطة المجلس التشريعي، حسبما تقتضي الحالة. وكل مذكرة ترفع على هذا النحو ينظر فيها بالصورة التي يقررها جلالته وفقا للاصول التي يوصي باتباعها مجلس عصبة الامم ».

ومما يجدر ذكره ان دستور فلسطين اصبح نافذ المفعول من 11 سبتمبر 1922 عندما نشر في الوقائع الفلسطينية[2]. وقد عدل لاول مرة في 4 مايو 1923، وأضيفت اليه المادة 17 (ج) وهي أنه « لا ينفذ أي قانون مخالفا او مناقضا لاحكام صك الانتداب، ولا ينفذ قانون يتعلق بأمور ورد نص خاص بشأنها في احكام صك الانتداب، ما لم يكن مشروع ذلك القانون قد عرض على الوزير وصادق عليه بتعديل او بدون ذلك ». وصدر التعديل الثاني في 7 فبراير 1933، وهو خاص بالارض، فاضيفت المادة 16 (مكرر) التي نصت على انه « يجوز للمندوب السامي، اذا استصوب ذلك، ان يحول بمرسوم يصدره بتوقيعه وينشر في الوقائع الفلسطينية، اية ارض في فلسطين يسميها في المرسوم من صنف (الميري) الى صنف (الملك)[3] ». وصدر التعديل الثالث في لندن في 21 فبراير 1935[4]، والرابع في لندن أيضا في 25 مايو 1939[5].

المجلس التشريعي لعام 1922

تضمن دستور فلسطين أيضا انشاء مجلس تشريعي (مادة 17)، كان الكتاب الابيض رقم 1700 قد أشار الى تأسيسه. ونصت المادة 18 على صلاحيات المجلس من حيث « اصدار ما تدعو الضرورة اليه من القوانين من أجل السلام والنظام وحسن ادارة الحكم في فلسطين دون اخلال بالسلطات

---

2 ـ P.D. vol. 160, col. 1573

3 ـ Davis, op. cit , pp. 217 - 39

4 ـ British and Foreign State Papers, 1935, vol 139, pp. 35-7

5 ـ op. cit., 1939, vol. 143, pp. 55-61

المنوطة بجلالته او المحتفظ له بها في هذا المرسوم، على ان تراعى في ذلك دائما جميع الشروط والقيود المقررة في أية تعليمات يصدرها جلالته بختمه وتوقيعه بشرط ان لا يصدر قانون من شأنه ان يقيد الحرية التامة في العقيدة وحرية القيام بشعائر العبادة على اختلاف انواعها الا بمقدار ما قد يكون ضروريا لحفظ النظام العام والآداب العامة، وان لا يصدر اي قانون من شأنه ان يميز بين اهالي فلسطين على اي وجه كان على أساس العنصر او الدين او اللغة. ولا يجوز ان يصدر قانونا يكون مناقضا او مخالفا لاحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه ». وانيطت بالمندوب السامي سلطة توقيف اعمال المجلس وحله (مادة 22)، وانه « لا يعمل باي قانون ما لم يوافق عليه المندوب السامي ويقترن بتوقيعه » (مادة 24). ويعلق انتوني ناتنج على هذه المواد بقوله انها صيغت بطريقة « تمنح سلطة مطلقة للمندوب السامي البريطاني لنقض اي قانون يقره المجلس التشريعي[6] ».

واصدرت حكومة فلسطين في نفس اليوم (10 اغسطس 1922)، قانون انتخاب المجلس التشريعي[7]، وجعلت الانتخاب بموجبه على درجتين. وسمحت لسكان فلسطين من الذكور من ذوي (التبعية العثمانية) او من يقيم بها حتى ذلك التاريخ، بحق الانتخاب. وحددت اعضاءه باثنين وعشرين عضوا، منهم عشرة موظفين (ستة بريطانيون واربعة يهود)[8]، و12 بالانتخاب (8 مسلمين، 2 من المسيحيين، و2 من اليهود)، ويرأس المجلس المندوب السامي [9]. ولم تتعد صلاحيات المجلس ما ورد في دستور فلسطين بشأنه. لكن اضيفت الى القانون مادة نصت على ان « يحتفظ جلالة الملك لنفسه بحق عدم الترخيص لاي قانون قد يكون المندوب السامي وافق عليه في اثناء سنة واحدة من تاريخ موافقة المندوب السامي

---

6 ـ Anthony Nutting, op. cit., p. 322

7 ـ Davis, op. cit., pp. 240-6

8 ـ المقطم 1922/8/22.

9 ـ P.D vol. 161, col. 2606

عليه، واعلان عدم ترخيص كهذا يكون ساري المفعول اعتبارا من تاريخ نشر اعلان عنه من قبل المندوب السامي في الجريدة الرسمية[10] ». ومعنى هذه المادة ان المندوب السامي يستطيع ان ينفذ اي قانون لمدة سنة قبل اي يصدر ملك بريطانيا امرا بالغائه.

رفضت اللجنة التنفيذية مشروع المجلس التشريعي، واصدرت بيانا في الثاني من سبتمبر 1922[11]، بررت فيه رفضها بانه ليس للمجلس « سلطة تنفيذية مطلقة »، وليس له « ان ينظر في اي نقطة تخالف سياسة الحكومة الاساسية بتمهيد السبل لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ». وانتقدت رياسة المندوب السامي للمجلس، وتشكيل (لجنة الهجرة) من ضمن اعضاء المجلس. وطلبت الى الشعب « مقاطعة الانتخابات المقبلة للمجلس التشريعي »، وقالت انها « على يقين من ان الامة ستقاطع هذه الانتخابات منذ بدايتها ».

حدث كل هذا قبل ان يتولى هربرت صمويل رسميا سلطاته كمندوب سام لفلسطين. وكان الملك جورج الخامس قد اصدر في 14 اغسطس 1922[12]، براءة تعيين هربرت صمويل مندوبا ساميا وقائدا عاما في فلسطين، ومنحه « جميع السلطات والحقوق والامتيازات العائدة لهذا المنصب والمختصة به ». كما خوله « جميع السلطات المنصوص عليها بدستور فلسطين 1922 اجمالا وافرادا »، وامر « جميع موظفي الحكومة واهالي فلسطين اجمالا وافرادا وكل من يهمهم ذلك ان يعلموا هذا الامر علم اليقين ويخضعوا له ». واقام هربرت صمويل في 11 سبتمبر 1922 حفلا خاصا لاعلان البراءة الملكية وتسلم منصبه، واقسم ثلاثة ايمان، اولها بالطاعة للملك، وثانيها بقبول منصب المندوب السامي والقائد العام، وثالثها بان

---

10 ـ انظر عيسى السفري المصدر السابق ص 253 - 256.

11 ـ المقطم 1922/9/8، امين سعيد : المصدر السابق ج3 ص 78 - ا؟

12 ـ لسان العرب ـ 306 - 1922/9/12.

يجري « العدل لجميع الاهالي على اختلاف طبقاتهم بحسب شرائع هذه البلاد وعاداتها بدون خوف او محاباة[13] ».

القى هربرت صمويل في حفل تعيينه، الذي حضره 28 وجيها عربيا، الى جانب الامير عبد الله، خطابا أشار فيه الى ان تعيينه هو « بداية مرحلة اخرى في تاريخ الارض المقدسة الطويل المتنوع »، وان عهده « فاتحة سلام ونجاح لفلسطين في ظل المملكة البريطانية الواسع ». واعلن عن امله في ان « تترك بريطانيا فلسطين في ذلك اليوم الذي تسلم فيه الوديعة التي اؤتمنت عليها، آهلة بالسكان، عامرة معتمدة على نفسها، حاكمة لذاتها، حائزة لجميع صفات الآداب العالمية التي كانت اهلا لها في عصورها السالفة[14] ». والواقع ان اشارة هربرت صمويل الى (مرحلة اخرى وعهد (سلام ونجاح) بناها على امكانية تنفيذ مشروع المجلس التشريعي.

احصاء عام 1922

رافق عملية انتخابات المجلس التشريعي، عملية اخرى هي احصاء سكان فلسطين. وبالفعل وزعت الحكومة (نماذج احصاء)، لكن الشعب لم يقبل عليها على الاطلاق، بل ان اقساما كبيرة منه رفضت استلامها. فأصدرت حكومة فلسطين في 12 سبتمبر 1922[15]، بلاغا رسميا، حددت فيه المواد الجنائية التي يعاقب بموجبها كل من حرض او امتنع عن تعبئة نماذج الاحصاء. وختمت بلاغها بالعبارة التالية « وبناء عليه يعتبر جرما تجاه القانون كل منشور او خطاب يدعو الاهالي الى عدم تعبئة نماذج الاحصاء وعدم تسجيل اسمائهم. وكذلك يعتبر جرما، بموجب قانون المطبوعات العثماني، نشر اي شيء من شأنه ان يثير العداء بين الطوائف المختلفة ».

ترددت اللجنة التنفيذية كثيرا ازاء عملية الاحصاء. فأصدرت في 20

---

13 ـ لسان العرب ـ 306 - 1922/9/12

14 ـ نفس المصدر السابق.

15 ـ لسان العرب ـ 307 - 1922/9/14.

سبتمبر 1922 منشورا حضت فيه الامة « على الاقبال على الاحصاء، لما في ذلك من اظهار القوة الحقيقية التي نعتمد عليها في قضيتنا وهي الاكثرية الساحقة ». ثم عادت « فرجعت عن حضها مبينة للامة عدم استحسانها لتلك الخطط التي لا تضمن المنفعة المتوخاة ». وبعد ان تفاوضت مع الحكومة، التي اخرت موعد استلام نماذج الاحصاء حتى يوم السبت 28 اكتوبر 1922، أصدرت بيانا، في 22 اكتوبر، حضت فيه الامة « على انتهاز هذه الفرصة لبيان اكثريتنا التي هي عمادنا الاول في قضيتنا الحقة[16] ». وأصدرت حكومة فلسطين في نفس اليوم بلاغا رسميا اكدت فيه ان « الاحصاء لم يوضع لاجل الاستعداد لتسجيل المقترعين للمجلس التشريعي فقط، ولكنه ضروري في فلسطين - كما في جميع البلاد المتمدنة - لمقاصد ادارية عمومية ». وان الاحصاء « لا يتعلق بأي امر بشأن الخدمة العسكرية الاجبارية ». كما تعهدت الحكومة بجمع « المعلومات عن الفلسطينيين الغائبين عن فلسطين كجزء من الاحصاء[17] ».

وبالرغم من المقاومة العنيفة التي حدثت في بعض مدن فلسطين[18]، وبالرغم من امتناع قسم لا بأس به من بدو بئر السبع عن التسجيل، وبالرغم من وجود اكثر من 40 الف عربي فلسطيني خارج فلسطين، وبالرغم من الامية المتفشية بين العرب، وبالرغم من عملية تزوير اليهود في التسجيل، بالرغم من كل ذلك جاءت نتيجة الاحصاء كما يلي: 650,641 عربا (مسلمون ومسيحيون)، 83,790 يهوديا[19]. اما محاضر مجلس العموم البريطاني فتشير الى ان العرب كانوا 662,690 نسمة، واليهود 83,794[20]. هذا في الوقت الذي لم ينقض فيه اكثر من خمس سنوات على اصدار تصريح بلفور.

---

16 ـ لسان العرب ـ 341 - 1922/10/23.

17 ـ لسان العرب ـ 341 - 1922/10/23.

18 ـ الاهرام 1922/11/6.

19 ـ Statistical Abstract of Palestine, 1936, p. 26

20 ـ P.D. vol. 161, col. 2144

ان الحكومة البريطانية هي التي اجرت هذا الاحصاء، وتأكدت من ان العرب هم الغالبية العظمى في البلاد، ومع ذلك لم تغير سياستها ازاء فلسطين.

حاولت الحكومة ان تكسر من حدة المعارضة لانتخابات المجلس التشريعي، وذلك بعد انتهاء عملية الاحصاء، فأصدر وندهام ديدس، السكرتير المدني، بلاغا رسميا في 11 نوفمبر 1922[21]، برر فيه رفض الحكومة البريطانية منح دستور (اسمي) لفلسطين، وذلك بسبب « موقف قادة العرب السياسيين، الذين في اثناء وجودهم في انجلترا رفضوا ان يحيدوا عن نظريتهم بوجوب الغاء تصريح بلفور ». وطلب من الاهالي الاقبال على الانتخابات « كي يشتركوا في سن الشرائع وادارة البلاد »، و « يصونوا مصالح العرب الخصوصية ». وختم السكرتير المدني بلاغه بقوله « فاذا اتفق قادة العرب السياسيون على ان يعملوا بهذه الخطة، واظهروا ادلة قاطعة على حسن نواياهم في هذا الامر، فلا يوجد ما يولد الظن بان حكومة جلالة الملك لا ترضى ان تنظر في الاقتراحات المعقولة التي يقترحها المجلس لزيادة سلطة الاعضاء المنتخبين، لان حكومة جلالة الملك عازمة ـ في فلسطين كما في غيرها ـ ان تحكم البلاد على اسس تمثيلية ترضي الجمهور بقدر ما امكن ».

لم تنجح الحكومة في خطتها، بل اخذت الدعوة الى مقاطعة الانتخابات تزداد. وقع الناخبون الاوليون في نابلس وثيقة بالرفض[22]، ووقع 42 مختارا من قضاء الرملة وثيقة احتجاج[23]. وقدم اهالي طولكرم مضبطة برفض الانتخابات والمجلس[24]، ورفع حافظ طوقان، معتمد الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس مذكرة احتجاج الى المندوب السامي

---

21 ـ فلسطين ـ 72/531 - 1922/11/17.

22 ـ فلسطين 83/542 ـ/ 1922/12/26.

23 ـ فلسطين ـ 84/543 - 1922/12/29.

24 ـ فلسطين ـ 90/549 - 1923/1/26.

في 31 يناير 1923[25]. كذلك احتج عليه اهالي طولكرم[26]. وفشل ضغط هربرت صمويل على وفد اللجنة التنفيذية في المقابلة التي جرت في 6 فبراير 1923[27]. واصدرت الحكومة بلاغا رسميا في الاسبوع الثاني من فبراير 1923، حددت فيه يومي 20 و28 من الشهر المذكور موعدا لاجراء الانتخابات الثانوية[28]. واكدت جريدة (فلسطين) على وجود « مقاطعة تامة للانتخابات في جميع مدن فلسطين[29] ». ومع ذلك صرح اورمسبي غور، وكيل وزارة المستعمرات في 15 مارس 1923 بانه « تمت انتخابات المرحلة الاولى، وكانت نتيجتها انتخاب 126 مسلما، 27 مسيحيا، 90 يهوديا، و8 من الدروز كمنتخبين ثانويين. اما الخطوة الثانية فهي تشكيل مجموعات من المنتخبين الثانويين بغرض انتخاب اعضاء المجلس التشريعي. وقد اصدر وزير المستعمرات قرارا في اول مارس 1923 بتأجيل الفترة الثانية للانتخابات مدة شهرين او ثلاثة[30] ». ورفض في نفس الجلسة « نقل الاشراف على فلسطين من وزارة المستعمرات الى وزارة الخارجية[31] ».

وفي اواخر مايو 1923 تيقن هربرت صمويل من فشل تأسيس مجلس تشريعي، فأصدر في 29 مايو 1923 بلاغا رسميا اعلن فيه تأسيس مجلس استشاري جديد، يكون « مماثلا لتأليف المجلس التشريعي الذي كان ينوي تأليفه ». وعين له ثمانية اعضاء مسلمين وعضوين مسيحيين[32]. ولقد كانت

---

25 ـ فلسطين ـ 93/552 - 1923/2/6.

26 ـ بيت المقدس ـ 57/208 - 1923/6/4.

27 ـ المقطم 1923/2/11، فلسطين ـ 95/554 - 1923/12/13.

28 ـ فلسطين ـ 95/554 - 1923/2/13.

29 ـ فلسطين ـ 1/559 - 1923/3/2

30 ـ P.D. vol. 161, cols. 1810-11

31 ـ op. cit., col. 1782

32 ـ انظر اسماءهم في عيسى السفري المصدر السابق ص 86 - 87، المقطم 1923/6/2 عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 45، امين سعيد المصدر السابق ج 3ص 80 - 81، ويصفهم تقرير اللجنة الملكية (ص 75) بانهم من « المعتدلين ».

مهمة المجلس بالفعل « استشارية فقط وليست ادارية[33] ». ومع استعمال جميع وسائل الاغراء الحكومي، الا ان سبعة من العرب استقالوا كتابة من المجلس في 12 يونيه 1923، وبذلك فشل مشروع المجلس الاستشاري أيضا.

أشار بعض أعضاء مجلس العموم في جلسة 4 يونيه 1923 الى ان فشل انتخابات المجلس التشريعي « دليل على سوء الادارة في فلسطين[34] ». وقال اورمسبي غور في 18 يونيه 1923 بشأن استقالة الاعضاء العرب من المجلس الاستشاري انهم « كتبوا الى المندوب السامي رسالة يؤكدون فيها انهم لن يشتركوا في المجلس ما دام دستور 1922 على حاله ». وأضاف بان « التعديل لدستور 1922، والذي صدر اخيرا، يضع المندوب السامي في مركز يستطيع فيه ادارة البلاد اذا تعاونت او لم تتعاون اية طائفة في البلاد، وان حكومة جلالته سوف تؤيده فيما يتخذه من قرارات بهذا الشأن[35] ». ورفض في نفس الجلسة « اعادة النظر في الادارة في فلسطين بعد فشل انتخابات المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري[36] ».

ان اصرار هربرت صموئيل، وبالتالي الحكومة البريطانية، على سياسة تشكيل مجلس تشريعي ثم مجلس استشاري وذلك قبل ان يصبح الانتداب نافذ المفعول، كان وراءه دافعان، اولهما خلق فئة من الزعامة التقليدية في البلاد، تخرج على الخط الوطني، وتتعاون مع الحكومة، وبذلك يستطيع شق الحركة الوطنية وبالتالي اضعافها. اما العامل الثاني فهو تبرير (الالتزام المزدوج) الموجود في صك الانتداب، الملقى على عاتق بريطانيا، امام عصبة الامم على الاقل، وذلك دون الخروج عليه. فقد اعترض اورمسبي غور في الثاني من يوليو 1923، على تسمية الادارة البريطانية في فلسطين

33 - P.D. vol. 164, col. 1734

34 - op. cit., co. 1734

35 - P.D. vol. 165, col. 966

36 - op. cit., col. 967

بادارة يهودية تبعا لرئاسة هربرت صمويل[37]. وقال في نفس الجلسة انه « ليس من السياسة البريطانية خلق دولة او حكومة يهودية في فلسطين ». ثم سئل: هل لا زالت الحكومة البريطانية متمسكة بتصريح بلفور؟ فرد بالايجاب[38]. واعلن في 9 يوليو 1923 ان السياسة البريطانية في فلسطين قد حددها كتاب الحكومة رقم 1700، والذي قدم الى المجلس في يونيه 1922[39].

مشروع الوكالة العربية1923

بعد ان اصبح الانتداب البريطاني لفلسطين نافذ المفعول في 29 سبتمبر 1923، أرسل وزير المستعمرات ديفو نشاير الى هربرت صمويل كتابا مؤرخا في 4 اكتوبر 1923، قال في الفقرة السابعة منه ما يلي: « وبناء على ما تقدم فان حكومة جلالته مستعدة للنظر بعين العطف الى تأسيس وكالة عربية في فلسطين، يكون لها نفس المركز الممنوح للوكالة اليهودية بمقتضى المادة الرابعة من صك الانتداب، اي ان يعترف بهذه الوكالة العربية كهيئة عمومية لاسداء المشورة الى الادارة، والتعاون معها في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي تضر في مصالح السكان غير اليهود، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت رقابة الادارة. اما فيما يتعلق بالمهاجرة (مادة 6 من صك الانتداب) فيكون للوكالة العربية الحق في ان تستشار في الوسائل التي تؤدي الى ضمان عدم الاجحاف بحقوق ووضع فئات السكان الاخرى (اي السكان غير اليهود)[40] ». ويشير وايزمن الى ان الحكومة البريطانية ابلغتهم انها « ستسير قدما في تشكيل الوكالة العربية بشرط موافقة الفريقين، العرب واليهود، عليها[41] ».

---

37 ـ P.D. vol. 166, col. 14

38 ـ op. cit., col. 15

39 ـ Ibid., col. 899

40 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 239.

41 ـ Weizmann, op. cit., p. 403

ترك لهربرت صمويل امر اختيار اعضاء الوكالة « بعد التشاور مع الزعماء المحليين ». وقد اشير الى هذا الاقتراح بانه ينطوي على امتياز كبير في سبيل اجابة الشعور العربي، وان هربرت صمويل « ما كان ليتابع البحث فيه لو لم يكن في حكم المؤكد ان العرب سيؤ يدونه باخلاص[42] ». ولذا دعا المندوب السامي في يوم الخميس، 11 اكتوبر 1923، ستة وعشرين من رجال الحركة الوطنية الفلسطينية، وكان اكثرهم « ينتمون الى الفئة المعتدلة[43] »، وتلا عليهم بيانا خلاصته ان عصبة الامم قد صادقت على صك الانتداب واصبح نافذ المفعول، وان الحكومة البريطانية « انعمت النظر في امر ادارة فلسطين وانها اتخذت الآن قرارا نهائيا بشأنه خلاصته ان الحكومة لا ترى سبيلا للارتداد عن تصريح بلفور الذي قبله جميع الحلفاء. . . وادرج اخيرا في صك الانتداب، فأصبح في نظر حكومة جلالة الملك تعهدا دوليا لا تستطيع الرجوع عنه بتاتا[44] ». ثم عرض مشروع الوكالة العربية، وطلب الاجابة عليه في نفس الاجتماع.

وبعد ان تداول الوجهاء العرب في الامر، اعلن موسى كاظم ان المجتمعين « مجمعون على الاعتذار عن قبول ما عرض عليهم وهو انشاء وكالة عربية لا ترضي اماني الشعب العربي، وان العرب ما اعترفوا قط بمركز الوكالة اليهودية، فلا يرغبون في انشاء وكالة عربية على القاعدة نفسها ». واسف هربرت صمويل على هذا الرد، لكنه قال « لا يسع احدا على كل حال ان يقول ان الحكومة البريطانية لا تريد ان تضع العرب في مركز يساوي في امتيازاته مركز اليهود ». فقال موسى كاظم انهم « سيبلغون الحكومة جوابا مفصلا فيما بعد ». فرد المندوب السامي قائلا ان « الحكومة يسرها ان تقف على آراء هيئة او هيئات عربية في الموضوع[45] ».

---

42 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 75.

43 ـ المصدر السابق ص 75.

44 ـ من رد اللجنة التنفيذية في 1923/11/9. انظر وثائق المقاومة ص 78 - 82.

45 ـ المقطم 1923/10/14.

وفي اليوم التالي ارسل هربرت صمويل تقريره الى وزارة المستعمرات حول مقابلته مع الوجهاء العرب. ورد عليه وزير المستعمرات بمذكرة مؤ رخة في 9 نوفمبر 1923، عدد فيها الاقتراحات الثلاثة التي عرضتها الحكومة البريطانية بغية « توثيق الصلات بين الشعب العربي وادارة فلسطين ». وختم الوزير مذكرته بما يلي: « وقد اتخذ العرب ازاء جميع هذه المقترحات نفس الموقف، وهو رفض التعاون. ولذا اضطرت حكومة جلالته مكرهة الى الاستنتاج ان كل محاولة اخرى من هذا القبيل ستكون عديمة الفائدة، فقررت ان لا تكرر المحاولة[46] ». كما طلب الوزير من المندوب السامي « ضرورة استمراره في ادارة فلسطين بمعونة مجلس استشاري ». وبالفعل تم تشكيل هذا المجلس في ديسمبر 1923، « من كبار الموظفين البرطانيين، وكان بينهم بعض اليهود [47] ». ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان المندوبين العرب طلبوا من لجنة التحقيق الملكية (يناير 1937) تشكيل وكالة عربية موسعة « في لندن وفلسطين، يكون لها نفس الوظائف والمركز كما ورد في مقترحات سنة 1923، على ان تشتمل بالاضافة الى ممثلي عرب فلسطين، ممثلين عن شرق الاردن والعراق والحجاز وسوريا وربما عن مصر ايضا[48] ».

في الوقت الذي فشلت فيه المشاريع البريطانية الثلاثة (المجلس التشريعي، المجلس الاستشاري، والوكالة العربية)، مارس هربرت صمويل، من جديد، ضغطا عنيفا ضد ارادة الشعب العربي بمنحه امتياز مشروع روتنبرغ لليهود.

مشروع روتنبرغ

يرجع التفكير في هذا المشروع الى وقت قدوم البعثة الصهيونية الى فلسطين (ابريل 1918)، وهي التي مثلت حكومة داخل حكومة، وكانت

46 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 76.

47 ـ اميل الغوري : المصدر السابق ص 36.

48 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 240.

تبحث عن المشاريع التي تفيذ تنمية وترقية الوطن القومي اليهودي في فلسطين. واستطاع بنحاس روتنبرغ Pinhas Rutenberg ان يحصل من هربرت صمويل، في فبراير 1921[49]، ولما يمض على تعيينه رئيسا للادارة المدنية نحو ثمانية اشهر، على امتياز لاستغلال نهر العوجا (شمال تل ابيب) لتوليد الكهرباء. وفي 21 سبتمبر 1921، حصل روتنبرغ على امتياز آخر للاستفادة من مياه نهر الاردن وحوضه، ونهر اليرموك وجميع فروعه، وروافد نهر الاردن الواقعة في داخل فلسطين وفي الاراضي الخارجة والواقعة في منطقة الإنتداب الفرنسي، وذلك لتوليد القوى الكهربائية. وسمح له ببناء محطة كهربائية على جسر المجامع، وان يستعمل بحيرة طبريه خزانا للمياه، وان يبني عليها سدا لرفع المياه الى مستوى معلوم ونقله بقنوات خاصة. وسمح له ايضا بان يبني ما يشاء من المحطات، وان يغير مجرى نهر اليرموك، وان يمتلك من الاراضي ما يراه ضروريا لتنفيذ مشروعه[50]. وتضمن الامتياز ايضا تأسيس شركة برأسمال لا يقل عن مليون جنيه، بشرط جمع 200 الف جنيه خلال العامين الاولين. وحدد الامتياز نسبة الارباح، وتأخذ الحكومة نسبة معينة اذا زادت عن 10%، كما اشترط ان يعمل عمال عرب ويهود في المشروع[51].

تعرض المشروع للبحث والمناقشة عدة مرات في مجلس العموم البريطاني. ففي 7 نوفمبر 1921 صرح وكيل وزارة المستعمرات بان روتنبرغ « بموافقة وتعاون المنظمة الصهيونية تقدم الى حكومة فلسطين لمنحه امتياز المشروع. وفحصت حكومة فلسطين ووزارة المستعمرات المشروع، واتفق على انه ذو فائدة عظيمة لفلسطين وسكانها، ولذلك رؤي الموافقة عليه. وعقد اتفاق بشروط معينة بين روتنبرغ وبين حكومة فلسطين ». وأضاف بأنه

49 ـ E.F. vol. I. p. 311

50 ـ كانت الحكومة التركية قد منحت، قبل الحرب، اليوناني بوريبيديس مفرواتس امتياز انارة مدينة القدس بالكهرباء.

51 ـ EF. vol. I, p. 312

« لم يتقدم اي طرف آخر لتنفيذ هذا المشروع، مما اضطر الحكومة الى الاتفاق مع روتنبرغ[52] ». ورفض تشرشل، وزير المستعمرات، في 30 مايو 1922 وضع اتفاقية روتنبرغ في كتاب ابيض، لكنه وافق من ناحية اخرى على وضع نسخ من اتفاقية المشروع في مكتبة المجلس. وقد اشار اعضاء مجلس العموم الى هجوم الديلي ميل على المشروع[53]. وفي اليوم التالي اكد تشرشل ان منح الامتياز تم « بموافقة حكومة صاحب الجلالة »، واضاف بانه « لا يحق للمندوب السامي ان يعقد اي اتفاقات من اي نوع دون موافقة مسبقة من حكومة صاحب الجلالة[54] ». وطلب بعض اعضاء مجلس العموم تشكيل لجنة « للنظر في امتياز روتنبرغ وتقديم تقرير عنه »، ولكن تشمبرلين Chamberlain رفض ذلك في 15 يونيه 1922[55]. كما انه لم يوافق في 26 يونيه 1922 على « تحديد موعد لمناقشة المشروع[56] ».

منحت الحكومة البريطانية امتياز مشروع روتنبرغ قبل ان توافق عصبة الامم على صك الانتداب البريطاني لفلسطين، هذا في الوقت الذي لم ينفذ فيه روتنبرغ نص الامتياز. فبدلا من ان يستعمل القوة المائية في توليد الكهرباء، استعاض عن ذلك باستخدام موتورات توليد الكهرباء تعمل بالوقود. هذا الى جانب ان العمل في تنفيذ المشروع كان يتم ببطء شديد، وهو امر مخالف لمواد الامتياز. ومع كل ذلك رفض اورمسبي غور، وكيل وزارة المستعمرات، في 25 يونيه 1923 ان « يسحب مشروع روتنبرغ نتيجة للتقدم البطيء في تنفيذه[57] ».

بدأ تشغيل التيار الكهربائي في منطقة يافا ـ تل ابيب في 28 يونيه

52 ـ P D. vol. 148, col. 41

53 ـ P.D. vol. 154, col. 1902

54 ـ op. cit , col. 2120

55 ـ P D. vol. 155, col. 532

56 ـ op. cit., cols. 1698-9

57 ـ P.D. vol. 156, col. 1911

1923 . ووقف هربرت صمويل الى جانب روتنبرغ في عملية نصب الاعمدة الكهربائية في مدينة يافا، بعد اتفاقه مع عمر البيطار رئيس البلدية. ونفى وكيل وزارة المستعمرات في 16 يوليو 1923، ان تكون شركة روتنبرغ قد نصبت اعمدة كهربائية في يافا ضد رغبة البلدية، وان هذا العمل سبب قلقا بين الناس[58]. والحقيقة ان « ممثلي الشعب في الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا »، قرروا في 18 نوفمبر 1923 « رفض مشروع روتنبرغ رفضا باتا والثبات على مقاطعته »، واعلنوا « رفع الثقة من المجلس البلدي بيافا لموافقته على هذا المشروع »، كما طالبوا بانتخاب « مجلس بلدي جديد انتخابا صحيحا[59] ». واحتج الاهالي على القاء القبض على كامل الدجاني وموسى الكيالي « بسبب تحذيرهما الشعب من اضرار مشروع روتنبرغ[60] »، كما احتجت الجمعية الاسلامية في حيفا على ذلك ايضا[61].

وبالرغم من كل ذلك استمرت حكومة فلسطين في الضغط لتنفيذ المشروع، وقدمت كل المساعدات الممكنة. وتم عقد الاتفاق النهائي في 5 مارس 1926، على ان يتم العمل كله في المشروع في 5 مارس 1931، « ما لم تجدد المدة لاسباب خاصة ». بل ان الحكومة البريطانية عقدت قرضا بمبلغ 250 الف جنيه تضمنه وزارة الخزانة البريطانية، لاجل اتمام تنفيذ المشروع[62]. ومع ان المشروع تسبب في الحاق اضرار بالغة بالعرب في فلسطين، خاصة الفلاحين الذين يقيمون حول بحيرة طبريه، بسبب انخفاض مستوى ماء البحيرة نتيجة اقامة مشاريع خاصة بالمشروع عليها، الا ان كنليف ليستر، وزير المستعمرات البريطاني، ارجع ذلك في 25 يونيه

---

58 ـ P.D. vol. 166, col. 1850

59 ـ الاهرام 1923/11/23

60 ـ المقطم 1923/11/24.

61 ـ الاهرام 1923/11/23.

62 ـ P.D. vol 216, col. 607

1934 الى « الظروف الطبيعية[63] »!

واستمرت الحكومة البريطانية تعلن عن عزمها على تنفيذ صك الانتداب لفلسطين، دون ان تحاول، ولو مرة واحدة، اعادة النظر فيه تبعا لتطور البلاد الداخلي. فقد اعلن بلدوين Baldwin، رئيس الوزراء في 20 فبراير 1924 ان « حكومة صاحب الجلالة البريطانية قد اخذت على عاتقها مسئولية فلسطين كالتزام دائم[64] ». وصرح المستر توماس Thomas، وزير المستعمرات في 25 فبراير 1924 بان « حكومة صاحب الجلالة قد قررت، بعد الاحاطة بكل الظروف، السير في تنفيذ تصريح بلفور. وان هذه السياسة تضمنها صك الانتداب على فلسطين الذي وافقت عليه عصبة الامم[65] ».

وعلى ضوء هذه السياسة البريطانية، خطا هربرت صمويل خطوة اخرى في التمهيد للوطن القومي اليهودي، والحاق الضرر بالاقتصاد العربي، فوضع مشروع نقد فلسطيني جديد في ابريل 1924.

النقد الفلسطيني

اعلن عن استخدام النقد المصري استخداما قانونيا في فلسطين في 23 نوفمبر 1917. ثم اصدرت بعد ذلك منشورات اخرى نظمت النقد في كل الاراضي المحتلة، معلنة ان النقد الورقي التركي لم يعد قانونيا. وفي 21 فبراير 1921، اصدر هربرت صمويل بلاغا رسميا حدد فيه العملة المستعملة في فلسطين اعتبارا من 22 يناير 1921 بانها « الليرة الذهبية المصرية، النقد الورقي المصري، المسكوكات النكلية والفضية المصرية »، هذا بالاضافة الى (الليرة الانجليزية الذهبية)، التي حدد سعرها بـ 97,5 قرشا مصريا.

وفي اوائل ابريل 1924، شكل هربرت صمويل لجنة لتقرير امكانية سك نقد فلسطيني. وقد ضمت هذه اللجنة اربعة من مديري البنوك

---

63 - P.D. vol - 291, col. 766

64 - P.D. vol. 169, col. 1742

65 - P.D. vol. 170, col. 63

الاجنبية، وثلاثة من اليهود، وثلاثة من موظفي الحكومة، واثنين من العرب، دون ان يسمح للجنة التنفيذية العربية باختيارهما، مع ان الحكومة خولت اللجنة الصهيونية حق اختيار ممثليها. ولقد اثار هذا العمل موجة من النقد والاحتجاج في كل انحاء فلسطين. فقدمت الجمعية الاسلامية بحيفا مذكرة احتجاج الى المندوب السامي في 12 ابريل 1924، واعتبرت « مشروع الحكومة بوضع عملة للتداول بها في فلسطين ضربة قاضية على اقتصاديات البلاد، وذلك لاسباب كثيرة اهمها فتح باب للمصارف (البنوك) للتلاعب بأموال البلاد تلاعبا يجرها الى الخسارة والافلاس المستعجل كما هي الحالة في سوريا الشمالية[66] »، ومنها « عدم وجود الضمان اللازم لهذا المشروع[67] ». وقدمت غرفتا تجارة يافا وحيفا تقريرين الى المندوب السامي بسطتا فيهما الاضرار التي تنجم عن اصدار عملة فلسطينية. وذكرت غرفة تجارة يافا ان « هذا المشروع سابق لاوانه بالنظر الى حالة البلاد السياسية، والى ان الضمانة الذهبية الضرورية غير موجودة في البلاد[68] ». وقدمت اللجنة التنفيذية العربية مذكرة دقيقة الى المندوب السامي، ذكرت فيها ان « المشروع صهيوني، وضعه مدير مصرف انجلو فلسطين الصهيوني، وقدمته جمعية فلسطين الاقتصادية الصهيونية ». ونوهت بالاضرار التي تنجم عن تنفيذ المشروع واهمها: « عدم استقرار النقد على سعر ثابت، لان الحكومة تستطيع ان تصدر من الاوراق النقدية ما تشاء بلا قيد ولا مراقبة، فتتعرض ثروة البلاد لتلاعب الصيارفة والمضاربين من الاجانب، مما يفضي بالسوق المالية الى ما تعانيه سوريا وغيرها الآن »، هذا بالاضافة الى « استثمار الحكومة ثروة البلاد الثابتة في سبيل الاستقراض لسد ما هي فيه من العجز الناشىء عن تبذيرها السابق . . . وتنفيذ بعض المشاريع بقصد ايجاد عمل للمهاجرين العاطلين من اليهود، او للقيام بأعمال لا تفيد

---

66 ـ اشارة الى ربط الاقتصاد السوري بالاقتصاد الفرنسي.

67 ـ الجزيرة ـ 23 - 1924/4/17.

68 ـ المقطم 1924/4/19، الجزيرة ـ 23 - 1924/4/17.

العرب »، وان ذلك كله « يعرض ثروة البلاد للضياع اذا دخلت الدولة المنتدبة في حرب[69] ».

وبالرغم من الاحتجاجات العربية، التي قامت في معظمها على اسس اقتصادية بحتة، الا ان هربرت صمويل لم يوقف عمل اللجنة، التي قدمت في يونيه 1924 تقريرها، محبذة انشاء نقد فلسطيني مؤسس على الجنيه الاسترليني. على انه مرت سنتان على اتخاذ الخطوة الاولى لادخال النقد الجديد. ففي 2 اغسطس 1926، اصدر المستر امري وزير المستعمرات، قانون العملة الفلسطينية، وعين مجلس النقد الفلسطيني، واصدر الاحكام التي تحدد صلاحياته وواجباته[70]. وهكذا تم انشاء هيئة مسئولة لمراقبة النقد، ولكن لم تحدد طبيعة النقد قانونيا الا بعد ذلك ببضعة اشهر. ففي فبراير 1927 صدر مرسوم النقد الفلسطيني[71]، واعلن وزير المستعمرات في 21 فبراير 1927 بان النقد المصري سيستبدل بنقد فلسطيني، « وستكون الكتابة على النقد باللغات الثلاث الانجليزية والعربية والعبرية »، واضاف بان « صورة ملك انجلترا لن تظهر على العملة، وان النقد سيضرب في لندن[72] ». وأصدر المندوب السامي منشورا حدد فيه أول نوفمبر 1927 تاريخا للعمل بمرسوم النقد الفلسطيني. اما النقد المصري فظل ساريا حتى 31 مارس 1928[73].

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة البريطانية اقدمت على تغيير العملة، في وقت كانت البلاد تعاني فيه من ازمة اقتصادية طاحنة، ولم يكن قد انقضى على الزلزال الذي اصاب فلسطين (11 يوليو 1927) الا اربعة اشهر فقط. كذلك عانت البلاد كلها، خاصة طبقة الفلاحين والعمال واصحاب الحرف،

---

69 ـ الف باء ـ 1104 - 1924/4/29.

70 ـ القانون في فلسطين ـ 53/907 - 1926/9/10.

71 ـ British and Foreign State Papers, 1927, part I, vol cxxvi, pp. 19-22

72 ـ P.D. vol. 202, col. 1379

73 ـ انظر سعيد حمادة : المصدر السابق، ص 586 - 588. والشرق الادنى ـ 5 - 1927/11/7.

من الارتفاع المفاجىء في الاسعار الذي رافق عملية تغيير النقد.

بذل هربرت صمويل في اوائل عام 1925، جهودا فائقة في محاولة اخيرة لتشكيل مجلس استشاري، مستعينا بالحزب الوطني ومؤيديه وببعض العملاء البريطانيين من امثال سليمان ناصيف[74]. وقد دفعه الى ذلك رغبة بقائه في منصب المندوب السامي لفترة اخرى، حتى يستطيع ان يكمل المخطط الذي بدأ في تنفيذه تمهيدا لانشاء الوطن القومي اليهودي. وبالرغم من سعي هربرت صمويل ومؤيديه من العرب، فقد اعترف المستر اورمسبي غور، وكيل وزارة المستعمرات، في 19 ابريل 1925، بفشل حكومة فلسطين في اقناع العرب بالتعاون في العمل في المجلس الاستشاري[75].

على ان الخدمة الكبرى التي قدمها هربرت صمويل لليهود، قبل مغادرته فلسطين، هي السعي لاصدار قانون الجنسية الفلسطينية.

قانون الجنسية الفلسطينية

ان المادة السابعة من صك الانتداب البريطاني لفلسطين تفرض (على حكومة فلسطين) بان تتولى « مسئولية سن قانون للجنسية، ويجب ان يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم ». ويبدو من نص المادة التي خلت من ذكر ما هو غير يهودي، ان المقصود بها هو منح اليهود المقيمين في البلاد الجنسية الفلسطينية، وان ذلك كله منوط بحكومة فلسطين، التي كان يتولاها في ذلك الوقت هربرت صمويل.

لقد كانت فلسطين احد الاقاليم الاسيوية التي تنازلت عنها تركيا بموجب معاهدة لوزان، التي عقدت في 24 يوليو 1923، وقد احدثت في تلك الاقاليم الجنسيات التي تم الاتفاق عليها في تلك المعاهدة، والمشار

- 74 انظر البيان الذي اصدره جمال الحسيني في ؟ مارس 1925 في الف باء ـ 1364 - 1925/3/6، الشورى 1925/3/12

P.D. vol. 182, col. 2421 ـ 75

اليها في القسم الثاني منها[76] . ووضعت المعاهدة موضع التنفيذ في 6 اغسطس 1924 . اما في فلسطين ، فقد نفذ القسم المختص بالجنسية من تلك المعاهدة بمرسوم الجنسية الفلسطينية لسنة 1925 (الصادر من مجلس جلالته الخاص) ، ووضع موضع التنفيذ في اليوم الاول من اغسطس 1925 . وبما ان هذا المرسوم لا يسري على ما قبله ، فقد كانت ثمة فترة تبلغ نحوا من عام ، بين التاريخ الذي يجب فيه اقرار الجنسية بموجب المعاهدة (6 اغسطس 1924) ، وبين التاريخ الذي اوجدت الجنسية فيه بموجب القانون المحلي (اول اغسطس1925) . ولذلك عدل المرسوم بمرسوم اخر صدر في 23 يوليو 1931 ، لكي يتسنى اكتساب الجنسية المقررة بالمعاهدة اعتبارا من 6 اغسطس 1924 حسب العقد المبين في معاهدة لوزان[77] .

ينقسم مرسوم الجنسية الفلسطينية لسنة 1925 الى اربعة فصول . تناول الفصل الاول منه الجنسية المقررة في (معاهدة لوزان) ، وهي الجنسية التي جاءت على اثر تغيير السيادة على فلسطين بعد الحرب ، وتنازل تركيا عن البلاد . وتضمن النص على ان جميع الرعايا العثمانيين المقيمين عادة في فلسطين في اليوم الاول من اغسطس 1925 ، يصبحون فلسطينيين[78] . اما مرسوم الجنسية الفلسطينية المعدل لسنة 1931 ، فقد اشترط ان الرعايا العثمانيين الذين كانوا يقيمون عادة في فلسطين في 6 اغسطس 1925 يعتبرون فلسطينيين ، الا اذا كانوا قد اكتسبوا باختيارهم جنسية اخرى قبل اليوم الثالث والعشرين من يوليو 1931[79] وبموجب هذا التعديل تمكن عدة الاف من اليهود ، الذين غادروا البلاد بين عامي 1923 و1925 ان يكتسبوا الجنسية الفلسطينية وهم خارج فلسطين .

وبمقتضى الفصل الاول من مرسوم 1925 ، اصبح جميع السكان

76 ـ انظر P D. vol. 167, col. 511

77 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 432.

78 ـ انظر البلاغ الحكومي في « الاتحاد العربي » ـ 20 - 1925/9/12

79 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 432

العرب فلسطينيين بطبيعة الحال ، لانه وان منح المرسوم حق الاختيار بين الجنسية التركية او جنسيات اخرى خلال سنتين ، الا ان عدد العرب الذين اغتنموا فرصة هذا الاختيار كان ضئيلا .

وتناول الفصل الثاني من المرسوم المذكور تعيين الاشخاص الذين يكتسبون الجنسية الفلسطينية بالولادة ، او فرض شروط خاصة لاكتساب الجنسية الفلسطينية في حالات اخرى من قبل الاشخاص الذين ولدوا في فلسطين قبل تاريخ المرسوم .

اما الفصل الثالث من المرسوم ، وهو اهمها جميعا ، فقد تناول شروط اكتساب الجنسية الفلسطينية عن طريق التجنس . وهذا الفصل يسري بكامله تقريبا على اليهود الموجودين في فلسطين . ونص على توفر الشروط التالية في طلب التجنس : (أ) ان يكون قد اقام في فلسطين مدة لا تقل عن سنتين من الثلاث سنوات السابقة لتاريخ طلبه ، (ب) ان يكون حسن الاخلاق ، وذا المام واف باللغة الانجليزية او العربية او العبرية ، (ج) ان ينوي الاقامة في فلسطين اذا اجيب طلبه . وبالاضافة الى ذلك ، خول المندوب السامي في بعض الاحوال صلاحية منح الجنسية حتى ولو لم تكن مدة اقامة طالب التجنس في البلاد داخلة في الثلاث سنوات السابقة لتاريخ تقديم الطلب .

وتناول القسم الرابع والاخير حالة النساء المتزوجات والاولاد القصر ، وفقدان الجنسية بسبب التجنس بجنسية اخرى والتخلي عن الجنسية الفلسطينية بتصريح[80] .

ويبدو ان اليهود لم يرضوا عما ورد في القسم الثالث من مرسوم 1925 بشأن (التجنس) ، وضغطوا لتوسيع تلك المسألة فأصدرت الحكومة البريطانية في 18 يناير 1926 امرا يقضي بان يعتبر عثمانيا كل من « اقام في المملكة العثمانية في المدة الواقعة بين 1 يناير 1916 و29 ديسمبر 1918 ،

80 ـ المصدر السابق ص 432 - 433.

بشرط ان لا يوجد ما يدعو للاعتقاد بانه نال الحماية الاجنبية » ، وكذلك « كل من يحمل شهادة باسمه صدرت من الحكومة العثمانية او احدى البلديات او المجالس الطائفية خلال المدة المذكورة اعلاه او استطاع ابراز شهادة كتابية مؤيدة بقسم من شاهدين معروفين يعرفانه معرفة شخصية » . وحدد الامر المذكور مسألة (الاقامة) في فلسطين بانها (أ) وجود طالب التجنس بالذات في فلسطين مدة سنتين على الاقل بين المدة الواقعة في اول اغسطس 1922 واول اغسطس 1925 ، (ب) ان يكون للطالب او لامرأته بيت في فلسطين خلال تلك المدة ، (ج) ان يكون لوالدي الطالب ، اذا كان عازبا دون سن الخامسة والعشرين ، بيت في فلسطين خلال تلك المدة ، (د) وجود الطالب بالذات في فلسطين خلال ستة اشهر على الاقل قبل اول اغسطس 1925 ، اذا كان قد اضطر لمغادرة فلسطين لاسباب صحية[81] . ويلاحظ في كل ذلك مدى التساهل البريطاني في منح اليهود الجنسية الفلسطينية .

في هذا الوقت ، كان هناك نحو 40 الف عربي فلسطيني يقيمون في خارج البلاد ، منحوا مهلة سنتين اعتبارا من 6 اغسطس 1924 ، للتجنس بالجنسية الفلسطينية . ولكن مرسوم الجنسية الفلسطينية لسنة 1925 ، جعل مدة السنتين اعتبارا من اول اغسطس 1925 ، وهذا مناقض لنص المادة 34 من معاهدة لوزان ، ولذلك اصدرت حكومة فلسطين مرسوما اخر في 6 نوفمبر 1925 جعلت مدة حق الاختيار للتجنس سنتين ، اعتبارا من 6 اغسطس 1924 . ونتيجة لكل ذلك « لم يكن للرعايا الاتراك المولودين في فلسطين والمقيمين في الخارج الا تسعة اشهر عوضا عن السنتين ليستعملوا خلالها حق الاختيار[82] » .

والحقيقة ان الحكومة البريطانية قد عملت على تأخير وصول المراسيم الخاصة بالجنسية الفلسطينية الى سفاراتها او قنصلياتها في البلدان

---

81 ـ الف باء ـ 1261 - 1920/1/20

82 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 434

الاخرى . فقد اعترف القنصل البريطاني في المكسيك المستر كالي Kally ، في برقيته المؤرخة في 24 مايو 1927 ، والمرسلة الى وزارة الخارجية البريطانية ، بان تلك المراسيم لم تصله الا في يناير 1926 ، ولم يسمح لقنصليته بصرف اي مبلغ من النقود من اجل نشر تلك المراسيم بين الفلسطينيين المقيمين في المكسيك ، والذين بلغ عددهم بين ثلاثة وأربعة آلاف شخص(83) .

ورفضت حكومة فلسطين ما عرضته اللجنة التنفيذية العربية في مذكرتها المؤرخة في 21 سبتمبر 1926 بشأن تمديد المدة الخاصة بطلب التجنس ، ليتمكن الفلسطينيون المقيمون في الخارج من اكتساب الجنسية الفلسطينية(84) وتأسست في البلاد (اللجنة التحضيرية للدفاع عن حقوق المهاجرين في الجنسية الفلسطينية) واصدرت من بيت لحم نداء في 16 مايو 1927 بشأن الدعوة الى عقد مؤتمر خاص بجنسية المهاجرين(85) . وتقدمت في الثاني من يونيه 1927 ، بمذكرة الى المندوب السامي (بلومر) ، تضمنت طلب تعديل قانون الجنسية بحيث يتمكن الفلسطينيون وهم في الخارج من الحصول على الجنسية ، وان يدافع المعتمدون البريطانيون في الخارج عن حقوق الفلسطينيين(86) .

الا ان الجهود العربية لم تسفر عن اي نجاح ، وظلت الحكومة البريطانية مصرة على موقفها . فقد اعلن المستر امري ، وزير المستعمرات ، في 10 مايو 1928 ان « فترة تقديم الطلبات للحصول على الجنسية الفلسطينية تحددها المادة 34 من معاهدة لوزان ، ولا يمكن تمديدها ، ويمكن للرعايا العثمانيين المولودين في فلسطين والمقيمين حاليا

---

83 ـ نص البرقية بالانجليزية في فلسطين ـ 42/994 - 1927/7/5.

84 ـ فلسطين ـ 36/930 - 1926/11/30.

85 ـ الاخاء ـ ع3 س4 ـ يونيه 1927

86 ـ فلسطين ـ 36/988 - 1927/6/11.

خارجها ، الحصول على الجنسية الفلسطينية اذا عادوا الى فلسطين واقر المندوب السامي ان نص المادة 7 من قانون الجنسية الفلسطينية الصادر عام 1925 ينطبق عليهم[87] » وصرح وكيل الخارجية البريطانية في 20 ديسمبر 1928 بان « الحماية البريطانية تمنح للاشخاص الذين حصلوا على الجنسية الفلسطينية بموجب قانون الجنسية الفلسطينية الصادر في عام 1925[88] ولم ينكر ، المستر امري ، وزير المستعمرات في 20 ديسمبر 1928 ، ان قانون الجنسية الفلسطينية الصادر في عام 1925 نشر في الجريدة الرسمية في فلسطين فقط ، ولم ينشر خارجها ، وقال ان « هناك صعوبة في ايصال القانون لكل فرد فلسطيني يقيم خارج فلسطين[89] .

ومما يجدر التنويه به في هذا الصدد ، ان مشكلة العرب الفلسطينيين المقيمين خارج البلاد ، والذين لم يكتسبوا الجنسية الفلسطينية ، قد عرضت على لجنة التحقيق الملكية في عام 1937 . واعتبرته (حيفا) ، وادلت برأيها على النحو التالي : « ومن رأينا ان هذا الحيف ، وان كان يشعر به جميع هؤلاء الافراد ، اشد وطأة على اولئك الذين لم يقطعوا علاقتهم بمسقط رأسهم وينوون الرجوع اليه في سني حياتهم الاخيرة . ونقترح ان تمنح الجنسية الفلسطينية ، على الاقل ، لمن يستطيع ان يثبت منهم عدم انقطاع علاقته الشخصية بصورة دائمة بفلسطين واستعداده لتقديم تأكيد رسمي صريح بنيته على العودة الى البلاد ، هذا اذا لم يكن في النية منحها الى جميع هؤلاء[90] » .

كانت جهود هربرت صمويل عاملا اساسيا في اصدار قانون الجنسية الفلسطينية لعام 1925 ، وهو القانون الذي فتح لليهود ابوابا واسعة متعددة للحصول على الجنسية الفلسطينية . ولم يكن غريبا ان يشير تقرير اللجنة

87 ـ P.D. vol. 217, col. 422

88 ـ P.D. vol. 223, col. 3250

89 ـ op. cit., cols. 3269-70

90 ـ تقرير اللحنة الملكية ص 435

الملكية الى ان « الوطن القومي (اليهودي) اصبحت تتجلى فيه عام 1925 جميع المظاهر الاساسية التي تميزه الان (اي عام 1937)[91] » . ولم يفت المستر امري ، وزير المستعمرات ان يثني على هربرت صمويل واعماله في فلسطين ، في البيان الذي القاه امام مجلس العموم في 27 يوليو 1925[92] ، وذلك بمناسبة انتهاء خدمته في البلاد وقدوم بلومر Plumer ، لتولي منصب المندوب السامي فيها .

لورد بلومر (1925/8/25 ـ 1928/7/31)

وصل لورد بلومر الى البلاد صباح يوم الثلاثاء في 25 اغسطس 1925[93] ، وكان قد اشترط على الحكومة البريطانية ان يتولى منصب المندوب السامي لمدة ثلاث سنوات فقط[94] . ويصفه عارف العارف (الذي وقف الى جانب الحكومة البريطانية بعد عام 1920) بقوله انه « لم يختلط بالشعب ، وكان همه الوحيد توطيد الامن والنظام في البلاد ، فأدارها ادارة عسكرية اكثر مما هي مدنية ، واكثر من توظيف الانجليز في مختلف مصالح الحكومة ودواوينها[95] » .

ولقد عانت فلسطين منذ اوائل عام 1926 من ازمة اقتصادية ، اثرت على « الوطن القومي اليهودي) الى حد ما . ويشير وايزمن الى هذه الازمة بقوله ان « الرخاء الذي غمر البلاد عام 1925 ، نظرا لوجود بعض الرأسماليين ضمن المهاجرين اليهود ، كان يحمل في طياته بداية الازمة الاقتصادية . ففي عام 1926 وجد 6 الاف عاطل ، وارتفع العدد الى سبعة الاف في عام 1927 ، وقامت اضطرابات ومصادمات بين العاطلين والعمال[96] » . وكان

---

91 ـ المصدر السابق ص 67

92 ـ P.D. vol. 187, cols. 91-2

93 ـ انظر بيان الحكومة حول كيفية استقباله في الف باء ـ 1505 - 1925/8/25.

94 ـ P.D. vol. 229, col. 2179

95 ـ عارف العارف : تاريخ القدس، ص 147

96 ـ Weizmann, op. cit., p. 406

احد عوامل تلك الازمة سقوط قيمة العملة البولونية والقيود التي وضعت على اخراج النقود من شرقي اوروبا بصورة عامة ، مما ادى الى افقار المهاجرين اليهود من تلك الجهات ، والذين كانوا يؤلفون نصف مجموع المهاجرين على وجه التقريب . على انه مهما كانت الاسباب التي ادت الى تلك الازمة ، فانها قد اسفرت عن نقص كبير في معدل المهاجرين . ففي عام 1925 قدم فلسطين 33,801 يهودي ولم يغادرها سوى 2151 يهوديا ، وانخفض العدد في عام 1926 الى 13,081 مهاجرا وبلغ النازحون 7365 يهوديا . اما في عام 1927 فقد دخل البلاد 2713 يهوديا فقط وغادرها 5071 يهوديا[97] ، اي ما يقرب من ضعف عدد الداخلين . وبالرغم من هذا الارتداد في تيار الهجرة ، فان عدد العاطلين بين اليهود ارتفع من 400 عامل في بداية عام 1925 الى 7000 عامل في نهاية 1927 .

ومع ان النمو الفعلي للوطن القومي اليهودي قد تأثر بتلك الازمة الاقتصادية ، الا ان ذلك النمو لم يتوقف . ففي الفترة بين عامي 1925 و1928 ، ارتفع عدد السكان اليهود من 121 الف نسمة تقريبا الى 151 الف نسمة . وزادت مساحة الاراضي التي يمتلكها اليهود من 944 الف دونم الى نحو 1,044,000 دونم[98] . وانشأ اليهود في الفترة بين عامي 1926 و1928 نحو 17 مستوطنة بلغت مساحة اراضيها 56,262 دونما[99] .

لقد عمل اللورد بلومر على كسر حدة الازمة الاقتصادية التي اصابت الوطن القومي ، وذلك بالعمل على « تطبيق برنامج الاشغال العامة بغية

---

97 _ Report by His Mafysty's Government in the U.K. of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the L.O.N. on the Administration of Palestine and Transjordan, for the year 1935 (Report 1935), Colonial No. 112, London 1936, p. 43.

98 _ تقرير اللجنة الملكية ص 84.

99 _ Z.O. of America : The Palestine Year Book, (1944-45), pp. 213-25

ايجاد عمل للعمال العاطلين ، واعانتهم على العيش بما يتقاضونه من الاجور[100] » . كما انه ساعد على تطور الانتاج الزراعي والصناعي اليهودي ، فبلغت مساحة الاراضي المغروسة بالبرتقال عام 1927 ضعف ما كانت عليه عام 1923 . وازدهرت صناعة الاسمنت والدقيق والصابون والدخان اليهودية ، حتى الصناعات الصغيرة في تل ابيب اخذت تزيد انتاجها وتوسع اسواقها في فلسطين والخارج . ولاول مرة منذ الحرب العالمية الاولى زادت الصادرات الزراعية عن الواردات الزراعية في عام 1927[101] . وفي سبيل كل ذلك اقدم لورد بلومر على خفض عدد القوات البريطانية[102] ، من جيش وبوليس ، في فلسطين ، مع ان الثورة السورية كانت قد اندلعت منذ يوليو 1925 . وقد انتقدت لجنة الانتدابات الدائمة هذا الامر في دور انعقادها التاسع ، ووجهت نظر الدولة المنتدبة الى « خطر عدم الاحتفاظ بقوات محلية كافية[103] » كذلك فانه سمح « لكل مستعمرة يهودية بان تحتفظ بالسلاح للدفاع عن امنها » ، وقد اكد ذلك المستر شيلز في 19 فبراير 1931 ، وقال « ان تعليمات المستر دوبجن بشأن مخازن السلاح المتعددة قد نفذت[104] » .

ولقد حاول لورد بلومر احياء مشروع المجلس التشريعي ، الا انه لم يحقق نجاحا يذكر ، ذلك ان الحكم النيابي كان « اخر ما يطالب به الصهيونيون . اذ انهم كانوا يرون ان قيام المجلس المنتخب سيعمل على الابقاء عليهم اقلية دائمة في البلاد ، ويخنق الوطن القومي اليهودي بأساليب تشريعية محترمة[105] » . وفي 13 يوليو 1928 ، وقبل ان يغادر لورد بلومر

---

100 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 84.

101 ـ المصدر السابق ص 83 - 84.

102 ـ انظر التفاصيل في Sykes, op. cit., pp. 120-3

103 ـ P.M.C. 9th. S P. 184

104 ـ P.D. vol. 248, vol. 1504

105 ـ Sykes, op. cit., p. 73

البلاد بنحو ثلاثة اسابيع ، ادلى المستر امري ، وزير المستعمرات ، بالتصريح التالي امام مجلس العموم البريطاني : « انه من الواضح ان حكومة صاحب الجلالة لا تستطيع الموافقة على تشكيل حكومة نيابية او مسئولة ، يمكن ان تعرقل تنفيذ الالتزامات المترتبة على الانتداب . ان اي اتفاق بشأن المؤسسات النيابية لا يمكن النظر فيه الا على اساس انه قد يتوافق مع ، او يساعد على ترقية وطنية فلسطينية حقيقية ، وليس على اساس انه يثير المنازعة والاصطدام بين الاقسام المختلفة من السكان . ان علينا في فلسطين التزامات تبدو صعبة التنفيذ في بعض الاحيان ، ولكننا نعتقد ان باستطاعتنا تنفيذها ، وانه يجب علينا المضي في تحمل مسئولية تحقيقها[106] » .

غادر لورد بلومر البلاد في 31 يوليو 1928 ، ولم يعين ملك انجلترا خلفا له الا في 17 اغسطس 1928 . ونشطت الصهيونية في هذه الفترة نشاطا عظيما . وضغطت لتعيين جون روبرت تشانسلور J . R . Chancellor ، وفعلا نجحت في ذلك ووصل البلاد في 6 ديسمبر 1928 ، « وكانت الازمة الاقتصادية (بالنسبة للوطن القومي) قد تلاشت ، وبدت في الافق بشائر الانتعاش في جميع الميادين ، وتوقفت عملية النزوح (اليهودي) من البلاد ، واخذ المد (اي الهجرة) يعود الى سابق عهده[107] » .

ولم تتوقف السياسة البريطانية عن تطوير وترقية الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ففي تصريح ادلى به المستر امري ، وزير المستعمرات ، في 25 فبراير 1929 ، قال « ان المنظمة الصهيونية قدمت في يونيه 1928 اقتراحا الى حكومة صاحب الجلالة بشأن اشتراك المنظمة مع حكومات اخرى في ضمان قرض لتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين . ولم ترفض حكومة صاحب الجلالة الاقتراح ، لكنها اعلمت المنظمة الصهيونية بانها لا تستطيع

---

106 ـ P.D vol. 219, col. 2716

107 ـ من تصريح المستر امري في 30 ابريل 1929، انظر P.D. vol. 227, cols. 1406-7

تقديم اي تشجيع لمثل هذا الاقتراح في ذلك الوقت[108] » . وفي جلسة 30 ابريل 1929 ، حين جرت مناقشة ميزانية وزارة المستعمرات ، قال المستر امري « ان سياستنا تقوم على المحافظة على مصلحة فلسطين ككل ، وعلى القيام بالالتزامات المترتبة على الانتداب[109] » ، واضاف « انا على يقين من ان كل (حكومة) بريطانية سوف تبذل اقصى ما تستطيع لتسهيل تحقيق الهدف الصهيوني ، كما ورد في نص صك الانتداب ووعد بلفور » ، ثم اشار الى انه « صهيوني قوي ومتحمس[110] » . وختم بيانه بقوله انه « بينما تولي الحكومة (البريطانية) والادارة الفلسطينية عنايتهما نحو تحقيق الهدف الاسمى من حيث المحافظة على القانون والنظام ، والحيلولة دون قيام الاصطدامات والمنازعات بين العناصر العديدة المتصارعة من السكان ، فان واجبنا ، ورغبتنا هو تسهيل تحقيق المثل العليا ، وكذلك تسهيل الاستيطان اليهودي في تلك البلاد (فلسطين)[111] » .

على ان الظروف تطورت بسرعة في صيف عام 1929 ، وانتهت فترة السلام الظاهري الذي ساد البلاد نحو ثماني سنوات . ففي اوائل عام 1929 ، كانت الازمة الاقتصادية التي عاناها الوطن القومي قد انتهت . وفي اغسطس من نفس العام ، تم توسيع الوكالة اليهودية لتجمع ممثلين عن كل يهود العالم في لجنتها التأسيسية وطمأن اعضاء هذه اللجنة وايزمن بان مشكلاته المالية انتهت[112] ، وقد فسر العرب ذلك التوسيع بانه « ازدياد ضغط اليهودية العالمية على فلسطين وازدياد القوى المادية التي تدعم هذا التوسيع[113] » . وقد اضافت هذه العوامل كلها (اضافات كمية) الى القهر

---

108 - P.D. vol. 225, col. 1548

109 - P.D. vol. 227, col. 1407

110 - op. cit., col. 1505

111 - Ibid., cols. 1509-10

112 - Weizmann, op. cit., p. 388

113 - تقرير اللجنة الملكية ص 86.

الاقتصادي والسياسي الذي عاناه العرب في فلسطين ، واسفر كل ذلك عن تولد هبة اغسطس عام 1929 .

لجنة شو(اكتوبر ـ ديسمبر 1929) Shaw Commission

على اثر هبة اغسطس 1929 ، رأت بريطانيا ان تمارس سياسة ارسال لجان التحقيق ، وهي السياسة التي اتبعتها في كثير من مستعمراتها ، حتى تستطيع ان تمتص النقمة المتزايدة في البلاد ضدها . ففي 13 سبتمبر 1929 ، اعلن لورد باسفيلد Passfield وزير المستعمرات في الحكومة العمالية الجديدة ، تعيين لجنة تحقيق للبحث في اسباب الاضطرابات(114) . وتألفت اللجنة من السر ولتر شو W . Shaw رئيسا ، والسير هنري بترتون H . Betterton (من حزب المحافظين) ، والمستر هويكن موريس H . Morris (من حزب الاحرار) ، والمستر هنري سنل H . Snell (من حزب العمال) اعضاء(115) .

كانت صلاحيات اللجنة مقيدة ومحصورة في « التحقيق عن الاسباب المباشرة التي ادت الى الانفجار الذي وقع حديثا ، والتوصية بما يتخذ من تدابير لتجنب تكراره(116) » . ووصلت البلاد في 24 اكتوبر 1929 ، ومكثت 66 يوما ، واقامت معظم ايامها في القدس ، الا انها زارت خلال سبعة ايام الكثير من انحاء فلسطين(117) ، وغادرت البلاد في 29 ديسمبر 1929 ، بعد ان عقدت 47 جلسة علنية و11 جلسة سرية ، واستمعت الى 110 شهود من انجليز وعرب ويهود .

وفي الجلسة العلنية الاولى التي عقدت في القدس في 24 اكتوبر 1929 ، القى رئيس اللجنة كلمة الافتتاح ، وقال ان « الحوادث المفجعة

---

114 ـ Report of the Commission on the Palestine Disturbances of August, 1929, cmd. 3530 (The Shaw Report), p. 3

115 ـ P.D. vol. 235, cols. 1958-9

116 ـ Shaw Repport, pp. 3, 184

117 ـ P.D. vol. 235, cols. 1958-9

التي وقعت اخيرا في فلسطين اقلقت العالم اجمع ، وهددت بتوقف تقدم العمران السلمي في هذه البلاد » ، واشار الى شروط اختصاص اللجنة ، وانه سيطلب شهودا من الاطراف الثلاثة : حكومة فلسطين ، اللجنة التنفيذية العربية ، اللجنة التنفيذية الصهيونية ، ثم بين طريقة الادلاء بالشهادة امام اللجنة[118] . وقد مثل الجانب العربي اثنان من المحامين البريطانيين هما المستر ستوكر Stoker والمستر ريجنالد سلي R. Silley بالاضافة الى عوني عبد الهادي ، ومغنم الياس مغنم . ومثل الجانب اليهودي ستة من المحامين ، على رأسهم السير بويد مريمان B. Merriman وهو من اكبر المحامين البريطانيين اللامعين ، ومن ضمنهم ليونارد شتاين[119] .

اتبعت اللجنة اصول المحاكمات البريطانية . ويقول احمد الشقيري ، الذي كان يعمل انذاك في مكتب مغنم الياس مغنم : « كان الاسلوب الذي اتبعته لجنة شو شبيها بالنظام القضائي البريطاني معتبرة نفسها محكمة قضائية تستمع الى الطرفين المتنازعين وما يقدمانه من وثائق وبيانات ، وما يستدعيانه من شهود[120] » . واستمعت اولا الى موظفي حكومة فلسطين ، ثم ممثلي العرب ، واخيرا ممثلي اليهود ، واعتبرت المصادر الصهيونية ان هذا التصرف من جانب اللجنة قد قدم للعرب « فرصة تحويل قضيتهم من دفاع الى هجوم[121] » .

وقبيل مغادرة اللجنة فلسطين في 29 ديسمبر 1929 ، اذاعت منشورا على الاهالي قالت فيه ان « الشهود الذين سمعناهم جيء بهم من طبقات متعددة من سكان فلسطين ومن معظم احزاب البلاد ولا يسعنا الا ان نعترف بان الجميع قد تعونوا معنا وقدموا لنا كل ما يلزم من المساعدة في عملنا » .

---

118 ـ المقطم 1929/10/29 الشورى 1929/10/30.

119 ـ انظر اسماءهم E.F. vol. II p. 615

120 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 119.

121 ـ E.F. vol. II p 616

واشارت الى انها قد اكملت الجزء الاول من مهمتها ، « اما الجزء الثاني من مهمتنا ، وهو الاصعب فانه لا يزال امامنا ، وهو البت في اسباب اضطرابات فلسطين ووضع التوصيات لما يجب اتخاذه في المستقبل » . واعربت اللجنة عن املها في ان كل الذين تعاونوا معها سيعملون على « تنفيذ السياسة المقبلة في هذه البلاد ، على القواعد التي تقرر حكومة صاحب الجلالة اتباعها بعد النظر في توصياتنا[122] » .

عادت اللجنة الى لندن في اوائل يناير 1930 واخذت تعمل على اعداد تقريرها . ورفض المستر شيلز ، وكيل وزارة المستعمرات ، في 29 يناير ان يعد ببيان سياسي حكومي في مجلس العموم بعد صدور تقرير لجنة شو[123] ، وكرر نفس الرد في جلسة 5 فبراير 1930[124] . وفي 19 فبراير قال انه « ليس عمليا نشر تقرير لجنة شو في فلسطين في نفس الوقت الذي يتم فيه نشره في انجلترا[125] » . ويبدو ان اللجنة انتهت من تقريرها في الاسبوع الاول من مارس 1930 اذ اعلن المستر لن Lunn ، وكيل الوزارة لشئون الدومنيون ، في 17 مارس 1930 ان « نسخة من تقرير لجنة شو قد ارسلت الى المندوب السامي وان الوزارة على اتصال معه بشأن النشر » . وقال انه « ليس عمليا نشر التقرير في لندن وفلسطين في آن واحد ، وانه لا يمكن بحث التقرير قبل الاتصال بالمندوب السامي[126] » . واعلن رمزي مكدونالد ، رئيس الوزراء ، في 31 مارس 1930 ان « نسخا من تقرير لجنة شو ستكون بين يدي الاعضاء في مساء اليوم (31 مارس) ، وان الحكومة لا زالت تدرس التقرير ، وهي على اتصال مستمر بالاطراف المعنية[127] » . وبالفعل نشر

---

122 ـ الشورى 1930/1/1، المقطم 1930/1/4.

123 ـ P.D. vol. 234, col 981

124 ـ op. cit., col. 1887

125 ـ P D. vol. 235, col. 1370

126 ـ P.D. vol. 236, col. 1706

127 ـ P.D. vol. 237, col 895

التقرير في اول ابريل 1930 ، الا ان الشهادات السرية لم تنشر[128] . وابتدىء بنشر الشهادات العلنية في اواخر يونيه 1930[129] . ومما هو جدير بالذكر ان رمزي مكدونالد اعلن في 9 يوليو 1930 انه « لا يمكن تخصيص وقت محدد لمناقشة تقرير لجنة شو[130] » .

جاء تقرير لجنة شو مؤكدا مخاوف العرب من الوطن القومي اليهودي ، تلك المخاوف التي اشتدت « من جراء التصريحات المتطرفة التي اذيعت عن السياسة الصهيونية . فاصبح العرب لا يرون في المهاجر اليهودي خطرا على معيشتهم فحسب ، بل السيد الذي قد يسيطر على البلاد في المستقبل » . واوضح تقرير اللجنة ان « عداء العرب العنصري المتسبب عن خيبة الامل في تحقيق مطامحهم السياسية والوطنية ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي ، كان ولا شك السبب الاساسي في اضطرابات اغسطس الماضي » . واشارت الى عدم امكانية تحقيق (الالتزام المزدوج) بقولها ان « وطنا قوميا لليهود بالمعنى الذي كان يفهمه الناس عامة لا يتلاءم مع مطالب الوطنيين من العرب ، والمطالب الوطنية العربية اذا قبلت ، تجعل العهد المعطى لليهود مستحيلا » .

وركزت على اثر الهجرة وشراء الاراضي على العرب فقالت « ومع ان المهاجرة والمشاريع اليهودية اتت بفوائد جمة لفلسطين ، الا ان الفائدة التي جناها افراد العرب مباشرة ـ وهي المنفعة الوحيدة التي يمكن تقديرها ـ كانت في قلتها عير جديرة بالذكر ، بالنسبة الى ما يحتمل ان تكونه لو اتبعت نفس طرق الاستيطان التي كانت مستعملة قبل الحرب[131] » ولذلك اوصت بضرورة « القيام بتحقيق علمي بواسطة خبراء عن امكان ادخال اساليب الزراعة الحديثة » وان « يوضع حد لوقف اجلاء المزارعين الفلاحين عن

---

128 - op. cit., col. 1961

129 - P.D. vol. 239, col. 2137

130 - P D. vol 241, col. 412

131 - تقرير اللجنة الملكية ص 91 ـ 92، ص 94

الاراضي التي يزرعونها » ، وان « ينظر في اعادة البنك الزراعي ، او ايجاد وسائل اخرى لاقراض المزارعين ليتمكنوا من تحسين اساليب الزراعة التي يتبعونها » . وطالبت الحكومة بان تصدر « بيانا صريحا عن الهجرة اليهودية ، وان تدرس وسائل تنظيمها ومراقبتها بقصد وضع حد لتكرار الزيادة في الهجرة » .

اما بالنسبة للحكم النيابي الذي يطالب العرب به ، فقالت « ان الشعب العربي متحد اليوم في مطالبته بنوع من الحكم النيابي . وقد يجوز ان يضعف هذا الاتحاد في الغاية (النهائية) ، غير انه قابل للتجدد على اشده عند وقوع اية مشكلة كبيرة تشتمل على مسائل قومية . ونحن نعتقد ان مشاكل الحكومة تزيدها خطورة حالة الاستياء التي يشعر بها العرب من جراء عجزهم على الدوام عن الحصول على درجة من درجات الحكم الذاتي » . واوصت اللجنة « باصدار تصريح من حكومة جلالة الملك عن السياسة التي تنوي الحكومة اتباعها في فلسطين، يكون اكبر عون على تنظيم شئون الحكم في البلاد . وتزداد قيمة هذا البيان اذا تضمن بجلاء وبعبارات واضحة المعنى الذي تعلقه حكومة جلالة الملك على احكام صك الانتداب ، التي تنص على صيانة حقوق الطوائف غير اليهودية في فلسطين ، وان تجاهر الحكومة البريطانية مرة اخرى بان المقام الخاص المسموح به للجمعية الصهيونية لا يخولها الحق في ان يكون لها نصيب في حكم فلسطين ، كما جاء في الكتاب الابيض لسنة 1922[132] » .

يبدو من تقرير اللجنة انها تعدت حدود اختصاصاتها ، مع ان الحكومة البريطانية كانت قد اوضحت سياستها عدة مرات امام مجلس العموم ، ابان عمل اللجنة في فلسطين . ففي 13 نوفمبر 1929 ، صرح وكيل وزارة المستعمرات بان « الحكومة البريطانية اوضحت انها تنفذ تصريح بلفور الذي ينص على عدم المساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير

132 ـ Survey of Palestıne, vol. I p. 25 والوثائق الرئيسية ص 160 - 161.

اليهودية الموجودة في فلسطين[133] » . وذكر هو نفسه في 20 نوفمبر 1929بان « الحكومة البريطانية قد اعلنت صراحة انها لا تعتزم انهاء انتدابها على فلسطين[134] » . وادلى المستر شيلز بالتصريح التالي في 9 ديسمبر 1929 : « ان حكومة صاحب الجلالة اعتقدت دائما انه لا يوجد في تعهداتها ما يمكن ان يبطل تصريح بلفور او يتناقض مع مواد صك الانتداب[135] » ، واكد المستر رمزي مكدونالد رئيس الوزراء في 23 ديسمبر 1929 بان « تقرير سياسة الانتداب في فلسطين او تغييرها هو خارج عن صلاحيات اللجنة[136] » .

اثار تقرير لجنة شو موجة من الهجوم العدائي العنيف ، شنته الاوساط اليهودية في داخل فلسطين وخارجها . وانتقد وايزمن التقرير بقوله انه « يسلم فقط بان العرب كانوا هم المعتدين ، ولكنه لم يقل شيئا بشأن سلوك الادارة الفلسطينية الغريب ، الذي اقتصر فقط على اصدار بيان تلو الآخر ، معتبرا الاضطرابات بانها عبارة عن (مناوشات) بين العرب واليهود[137] » . وقالت جريدة اسرائيل (القاهرية) في 11 ابريل 1930 ان « من ينعم النظر في الخلاصة الجامعة التي اذاعتها حكومة فلسطين عن تقرير لجنة التحقيق ، يلاحظ ان اللجنة تناقضت في تقريرها ، وانها تعدت اختصاصها من حيث عدم مس المسائل الرئيسية في السياسة الفلسطينية وبحثها ، وان الحيرة تبدو في تقريرها بصورة واضحة جلية . فهي ترتبك وتقع في التناقض عند بحثها في مسئولية الفتنة وتعيين المسئولين ، فتذهب في طرق ملتوية متشعبة لتقول ان الحكومة غير مسئولة ، واللجنة التنفيذية العربية غير مسئولة عن الفتنة » . وتبدي الجريدة اسفها لان « اللجنة لا تملك من الجرأة الادبية ما يمكنها بها من اعلان الحقيقة على الملأ خالصة من الشوائب والاهواء ، وفي ذلك اكبر

---

133 ـ P.D. vol. 231, col. 2066

134 ـ P.D. vol. 232, col. 480

135 ـ P.D. vol. 233, col. 23

136 ـ op. cit., col. 1902

137 ـ Weizmann, op. cit., p. 411

دليل على فشل اللجنة في مهمتها الكبيرة التي عهدت اليها » . وتنقل الجريدة عن ستيفن وايز S . wise (احد زعماء الصهيونيين الامريكيين) قوله ان تقرير اللجنة « يبعث على خيبة امل اليهود فانه لا يعطف عليهم ، وهو يعالج مسائل اساسية دون ان يستند الى بيانات كافية[138] » .

واذا كانت الاوساط العربية قد قابلت تقرير لجنة شو بكثير من الارتياح[139] » ، فان ذلك (الارتياح لم يدم سوى يومين . اذ ادلى رمزي مكدونالد في 3 ابريل 1930 ببيان جاء فيه ان « الحكومة البريطانية ستستمر على ادارة شئون فلسطين بمقتضى صك الانتداب، كما وافق عليه مجلس عصبة الامم ، وهذا التزام دولي لا يمكن الرجوع عنه » . ثم تلا نص تصريح بلفور بشقيه ، واشار الى (الالتزام المزدوج) الواقع على عاتق الحكومة البريطانية ، واورد اختصاصات لجنة شو ، وقال ان اللجنة « في محاولة صادقة لتنفيذ شروط اختصاصها ، قد واجهت صعوبة في رسم الخطوط بدقة ، وان الحكومة تدرس الآن توصيات اللجنة المختلفة لمعالجة الاسباب المباشرة للاضطرابات ولمنع تكرارها ، وهي تقوم بالتشاور مع الاطراف ذات الشأن » . وختم بيانه بقوله انه «يرغب في ان يفهم ان هذا البيان يتضمن الاعداد السريع لقوات الشرطة المطلوبة للمحافظة على الامن في الاحوال القائمة[140] » . وفي 28 اكتوبر 1930 اعلن رمزي مكدونالد ان «تقرير لجنة شولن يغير من سياسة بريطانيا في فلسطين » ، واضاف «ان ما يمكن عمله يقوم على اساس روح صك الانتداب، ولو التزمنا بدقة بحرفية النص، فهو تسوية الاختلافات القائمة بين اجزاء مختلفة من تصريحات معينة[141] » .

عينت الحكومة البريطانية، بعد ان دفعت تعويضات مالية لليهود عن

---

138 ـ اسرائيل 1930/4/11.

139 ـ احمد الشقيري : المصدر السابق ص 122، تقرير اللجنة الملكية ص 95

140 ـ P.D. vol. 237, cols. 1466-7

141 ـ P.D. vol. 244, col. 24

قتلاهم وتخريب املاكهم في هبة اغسطس 1929، ورفضت دفع اي تعويضات للعرب[142]، لجنة لبحث مشاكل الهجرة والاراضي وتطوير البلاد برياسة جون هوب سمبسون.

تقرير جون هوب سمبسون (مايو ـ اغسطس 1930) J. H. Simpson

اعلن المستر سنودن Snowden ، نيابة عن رئيس الوزراء، في 6 مايو 1930 انه «تمت الموافقة على ارسال موظف مختص لزيارة فلسطين في مهمة مؤقتة بغرض بحث مسألة الاراضي والهجرة وتطوير البلاد، وذلك بالتشاور مع المندوب السامي» . وقال ان «السير جون هوب سمبسون قد وافق على القيام بهذه المهمة[143]» . وفي اليوم التالي، اعلن المستر شيلز ، وكيل وزارة المستعمرات ، ان «التعليمات صدرت الى السير جون هوب سمبسون بالذهاب الى فلسطين في مهمة مؤقتة ، للتباحث مع المندوب ورفعه الى الوزارة »، واضاف بان «مهمته قد تمتد الى شهرين او ثلاثة»، وانه يتوقع ان ينشر تقرير سمبسون[144]» .

وصل السير سمبسون الى القدس يوم الجمعة في 20 مايو 1930. واصدر المندوب السامي، تشانسلور، في نفس اليوم ، بيانا حول وصوله من اجل «المهمة المؤقتة التي انتدب لها ، للبحث مع المندوب السامي بشأن مسائل الارض والمهاجرة وترقية اقتصاديات البلاد ، ورفع تقرير عنها الى حكومة جلالته[145] » . كما خصص اثنين من كبار الموظفين الانجليز ، ليعمل احدهما سكرتيرا والثاني مساعدا للسكرتير ، وليكونا الى حانب السير سمبسون. ومكث في البلاد نحو شهرين وعشرة ايام، زار خلالها العديد من القرى العربية والمستوطنات اليهودية، وسمع شهادات مختلفة ، وتلقى تقارير من العرب واليهود. ثم غادرها في اوائل اغسطس1930 ، الى اثينا ،

---

142 P.D. vol 233, cols. 446, 967

143 P.D. vol. 238, cols. 752-3

144 op. cit., col. 950

145 ـ المقطم 1930/5/24.

حيث اكمل كتابة تقريره ، وقدمه الى الحكومة البريطانية في 22اغسطس ونشر مع كتاب باسفيلد الابيض في 20 اكتوبر1930 .

ومما يجدر ذكره ان الصهيونية حاولت التأثير على السير سمبسون في اثناء القيام بمهمته ، فاصدرت لجنة الشئون السياسية ، التابعة للوكالة اليهودية ، بيانا عن موقفها ازاء مهمة سمبسون جاء فيه « اننا برغم عدم الشك في حيدة السير جون هوب سمبسون نصرح باننا لا يمكننا قبول تقرير خبير عن مصير الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وارادة الشعب التي تسمو فوق كل حساب لا يمكن ان تخضع لحسابات فنية رياضية ، فالوطن القومي هو نقطة جوهرية في الانتداب لفلسطين ، والسياسة الوحيدة التي ينبغي اتباعها هي تقوية الهجرة بقدر ما تسمح به حالة البلاد الاقتصادية » . ونوه البيان بان « الثقة المطلقة التي كانت للشعب اليهودي ببريطانيا قد تزعزعت الى حد كبير » ، كما انه « لن ينجح التصديق النظري على سياسة الانتداب ، ما دامت تتلوها اعمال ادارية من شأنها احباط مشروعاتنا[146] » .

جاء تقرير السير سمبسون ، كما كان تقرير لجنة شو ، مؤكدا لوجهة النظر العربية بشأن مشكلتي الاراضي والهجرة . لقد رفض ، فيما يتعلق بالارض الصالحة للزراعة ، تقدير الوكالة اليهودية (16 مليون دونم) ، كما رفض تقدير مندوب دائرة الاراضي (10,592,000 دونم)،واكد ان الارض الصالحة للزراعة تبلغ 6,544,000 دونم ، باستثناء منطقة بئر السبع ، واشار الى ان اليهود لا يطبقون الاساليب الفنية الحديثة في جميع الاراضي التي اخذوها من العرب ، وضرب مثلا لذلك بمرج ابن عامر (400 الف دونم) ، الذي « قل انتاجه وتأخرت اساليب استثماره بعد ان انتقل من ايدي العرب الى اليهود » ، وقال « يقطع المسافر فيه مسافات طويلة ملأى بالاشواك . وقد قيل لي بصفة رسمية ان هذه الحالة سببت ظهور فيران الحقل التي اتلفت

146 ـ اسرائيل 1930/7/4.

المزروعات اليهودية والعربية في المرج ، وجعلت 30 الف دونم من اراضي اليهود في حالة يرثى لها كأنها مرج من الاشواك . ومن الثابت ان العشر الذي يدفعه اليهود في عدد من القرى هو اقل من العشر الذي يدفعه العرب لما كانوا يفلحون هذه القرى . . . فمن الخطأ الاعتقاد ان مرج ابن عامر كان قفرا بلقعا قبل ان يحتله المستوطنون ، اليهود ، وانه اصبح الان جنة من الجنات . . . وليس من العدل ان يقال بان الفلاح العربي الفقير ، الذي اجلي عن هذه الارض ، كان عالة على الارض » ، فهو « ليس كسولا ولا خاملا ،بل هو مزارع قدير فطن،ولو انه تدرب على اساليب افضل من التي يتبعها ، وتيسر له رأس المال ، لاستطاع ان يحسن وضعيته بسرعة » .

وتكلم سمبسون عن (وقف الاراضي اليهودية) حسب دستور الوكالة اليهودية ، وعقود الكيرن كاييمت[147] Keren Kayemeth ، والكيرن هايسود Keren Hayesod (الصندوق التأسيسي) ، وانها اصبحت « قطعة مستقلة من البلاد ، ولم يعد في وسع العربي ان يجني منها اية منفعة ، سواء في الوقت الحاضر او في المستقبل » . ولم يعد الامر فقط « انه لم يبق للعربي اي امل في استئجارها او فلاحتها فحسب ، بل اصبح من جراء الشروط المتشددة المثبتة في عقود الايجار التي يعقدها رأس المال القومي اليهودي مع المستأجرين ـ محروما الى الابد من العمل في الارض » .

وشرح مشكلة الفلاحين العرب المطرودين من الارض ، والذين يبلغون 29,4% من مجموعة الفلاحين العرب ، وانهم لا يستطيعون ايجاد اي عمل خارج الارض التي طردوا منها ، وذلك لان الاراضي العربية في فلسطين لا تكفي لاعالة الفلاحين المقيمين عليها . فالمساحة اللازمة للعائلة الواحدة تبلغ 130 دونما ، وان معدل ما تملكه العائلة العربية لا يزيد عن 90 دونما . وقد

---

147 ـ معناها بالعبرية (الصندوق الدائم) ، الذي يطلق عليه (الصندوق القومي اليهودي) .

ظهر من دراسة احوال 23,573 أسرة عربية (من اصل 61,408 أسرة)، ان الاسرة الواحدةمنها تملك 75 دونما لا اكثر. فالفلاحون النازحون عن الاراضي التي يشتريها الصهيونيون لا يستطيعون ان يعيشوا على الاراضي العربية الباقية، والا نقص المعدل المتوسط للعائلة الواحدة، واصبح لا يكفي سد ربع حاجاتها الاولية، ولا سيما وان السكان العرب يزدادون بسرعة عن طريق زيادة عدد المواليد عن عدد الوفيات. وقال سمبسون « يستفاد من التقارير التي تيسرت لي من مصادر مختلفة ان الفلاح العربي في حالة يأس وقنوط، فليس لديه رأس مال لمزرعته، بل بالعكس يرزح تحت عبء ديون طائلة. والايجار المطلوب منه اخذ يتصاعد، وهو مكلف بدفع ضرائب فادحة، وبلغ معدل ما يدفعه من الفائدة على ديونه درجة غير قابلة للتصديق ». واضاف « وتكاد لا توجد قرية عربية غير مغرقة في الديون، والفلاحون مثقلون بالضرائب، لدرجة انه يتعثر عليهم جدا دفع ضريبة العشر. وفضلا عن ذلك فهم في المواسم الجيدة، لا يستطيعون بيع ما ينتجونه من قمح او شعير او زيت. وقد زرت خمس عشرة قرية في منطقة الجليل، فوجدت هذه الحالة التعسة بادية للعيان في كل منها. وقد شح النقد في بعض الاماكن حتى اصبح الاهالي يبتاعون حاجياتهم عن طريق الاستبدال، وليس في وسعهم دفع الاعشار دون ان يعمدوا الى الاستدانة، فتزيد بذلك الديون الباهظة التي تترتب عليهم للمرابين. ».

خرج سمبسون من هذه الدراسة الواقعية بما يلي :

1) « لو قسمت جميع الاراضي القابلة للزراعة في فلسطين بين الاهالي العرب المزارعين، لما اصاب كل عائلة منهم مساحة من الارض تكفي لتأمين معيشتها في مستوى لائق.

2) ما لم تجر تحسينات اخرى في اراضي اليهود وفي وسائل الري، وما لم يتبع العرب اساليب افضل من الاساليب التي يتبعونها الآن في الزراعة، فلا يوجد مجال لاسكان مهاجر اضافي واحد اذا ظل مستوى الحياة

عند الفلاحين على ما هو عليه الآن. وكذلك الحال في اراضي الحكومة، فليس في هذه الاراضي مجال لاسكان المستعمرين اليهود ما لم تتناولها ايدي التحسين والعمران[148] ».

اما بالنسبة للهجرة، فقد اتهم سمبسون الوكالة اليهودية بانها « المسؤولة عن جميع الحوادث المخالفة للقانون »، واستنتج وجود البطالة بين العرب، وهي التي اصبحت من « المظاهر الخطرة في حياةالبلاد الاقتصادية، وان هنالك عددا كبيرا من العرب بلا عمل، وان ذلك قد افضى الى انخفاض جلي في مستوى المعيشة بين طبقة العمال منهم ». ولذلك فهو يوصي بانه « اذا اسفرت هذه الهجرة عن حرمان العرب من الحصول على الاشغال اللازمة لاعالتهم، وجب على الحكومة المنتدبة بمقتضى صك الانتداب، ان تخفف او توقف عند الضرورة تلك المهاجرة، حتى لا تلحق المهاجرة بمصالح العرب ضررا في الحصول على الاشغال[149] ».

كان تقرير سمبسون آخر مرحلة من التحقيقات التي اعقبت هبة اغسطس 1929. ولما كان هذا التقرير منسجما مع رغبات اللورد باسفيلد، سارع الى اصدار بيان حول السياسة البريطانية في فلسطين، دعي (كتاب باسفيلد الابيض)[150].

كتاب باسفيلد الابيض (20 اكتوبر 1930)

جاء الكتاب الابيض تأكيدا لفكرة (الالتزام المزدوج) بالنسبة لما تدعيه السياسة البريطانية في فلسطين. وقد شرح الكتاب هذه الفكرة كما يلي « حاول البعض ان يجادل، تأييدا للادعاءات الصهيونية، بأن الفقرات المتعقلة بالوطن القومي اليهودي هي الاساس الرئيسي لصك الانتداب،

---

148 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 95.

149 ـ انظر الوثائق الرئيسية ص 164- 166، نجيب صدقة : المصدر السابق ص 130 - 136، E.F. vol. II, pp. 636-44

150 ـ CMD. 3692, 1930. The Passfield White Paper

وبان الفقرات التي ترمي الى صيانة مصالح غير اليهود انما هي اعتبارات ثانوية تقيد، نوعا ما، ما يدعى بانه القصد الرئيسي الذي وضع صك الانتداب من اجله. ان حكومة جلالته ما فتئت تعتبر ان من الخطأ الكلي فهم هذه الاحكام على هذا الوجه. وهي ترى ان من المستحيل ان تحاول حل المشكلة ـ باعتبار ان اي من هذين الالتزامين هو اقل اهمية من الآخر ـ حلا يتفق مع مقاصد صك الانتداب الصريحة مهما كانت الصعوبة التي تعترضها في هذا السبيل[151] ».

وقد استشهد الكتاب في القسم الاول منه بالبيان الذي القاه رمزي مكدونالد في 3 ابريل 1930، واشار الى ان كثيرا من القلق الذي ساور النفوس في الازمة الاخيرة كان نتيجة لتقصير اليهود والعرب معا في ادراك القيود الموضوعة على السياسة بذلك (الالتزام المزدوج). وصرح الكتاب ايضا بان « حكومة جلالته لن تحيد بالضغط او التهديد عن النهج المبينة حدوده في صك الانتداب ». اما بشأن صفة الوطن القومي اليهودي واعمال الوكالة اليهودية، فقد كرر الكتاب ما ورد في كتاب تشرشل الابيض لعام 1922، واكد ان مبدأ مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب سيكون العامل الذي يحدد الهجرة اليهودية.

وتناول القسم الثاني البحث «في المشاكل العملية التي تواجهها حكومة جلالته في فلسطين، وهي: (1) الامن العام (2) التطورات الدستورية (3) التطورات الاقتصادية والاجتماعية». وبصدد الموضوع الاول قررت الحكومة ان «تحتفظ في فلسطين بفرقتين من المشاة. وفضلا عن ذلك سيكون سربان من الطيارات، واربع فرق من السيارات المسلحة ميسورة في فلسطين وشرق الاردن». وبالنسبة للموضوع الثاني قررت الحكومة ان «تشكل مجلسا تشريعيا ينطبق عموما على الاصول المبنية في بيان الخطة السياسية الذي اصدره المستر تشرشل في شهر يونيه سنة 1922». واعربت الحكومة عن املها في انها «ستنال، في هذه

151 ـ الوثائق الرئيسية ص 173.

المرة، معاونة جميع طبقات السكان في فلسطين. وترغب في ان تعلن بكل وضوح وجلاء بانها ـ بينما تأسف كل الاسف لاية محاولة قد يقوم بها اي فريق من السكان للحيلولة دون تنفيذ قرارها ـ ستتخذ جميع التدابير المستطاعة لقمع كل محاولة كهذه ان وقعت، اذ انها ترى ان مصلحة اهالي البلاد اجمالا، ان لا تؤجل الخطوة التي تنوي الآن ان تخطوها[152] ». اما بالنسبة لموضوع (التطورات الاقتصادية والاجتماعية)، فقد اورد الكتاب الابيض تقديرات وآراء وتوصيات السير جون هوب سمبسون بنصها تقريبا.

لكن الكتاب الابيض اغفل امرين اثنين، فهو اولا لم يقيد الحكومة بالفكرة القائلة انه لو امكن تنفيذ سياسة شاملة للتحسين الزراعي، فقد لا يوجد في النهاية متسع لعدد لا يستهان به من المستوطنين اليهود في اراض لم يستولوا عليها حتى ذلك الوقت. والامر الثاني انه حين كرر رأي السير جون هوب سمبسون الخاص بالعلاقة بين البطالة عند العرب ومعدل الهجرة، لم يشر الى فقرته التي انقذت الموقف وهي الفقرة التي تبحث في استخدام المال اليهودي الذي لم يكن بالامكان الحصول عليه بغير ذلك. ثم ان « لغة الكتاب الابيض اظهرت عدم اكتراث بالشعور اليهودي، ولهذا ـ وفي الوقت الذي لم تخرج فيه الحكومة في الحقيقة عن مقررات ومقترحات تقريري شو وسمبسون ـ فان لهجة الكتاب الابيض اظهرت ميلا واضحا نحو الجانب العربي اكثر مما اظهره اي تقرير في ذينك التقريرين[153] ».

اعقب نشر الكتاب الابيض، موجة من النقد العنيف، اثارتها الاوساط الصهيونية في فلسطين وفي خارجها، ضد الكتاب. فقد قابلته جميع الصحف اليهودية التي تصدر في فلسطين بالرفض والانكار، وقالت ان « اليهود سيواصلون النضال في سبيل عودتهم الى بلادهم (اي

---

152 ـ انظر المصدر السابق ص 178 - 187.

153 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 98.

فلسطين)[154] ». ورفض اليهود رسميا الاعتراف بالمجلس التشريعي والاشتراك فيه. ونشرت المورننج بوست في 25 اكتوبر 1930 رسالة لويد جورج التي تبرأ فيها بكل شدة من اشتراكه مع الحكومة في بيانها الخاص بسياستها في فلسطين. وصرح بان هذا البيان هو « انتهاك شديد لحرمة الثقة الوطنية، والغاء لجانب كبير من عهد عظيم القدر قطع في اشد الاوقات خطورة[155] ». وقدم وايزمن استقالته من رياسته المزدوجة للمنظمة الصهيونية وللوكالة اليهودية. وقدمت 47 عريضة احتجاج يهودية من جميع انحاء العالم ضد الكتاب الابيض[156]. ونشر كل من بولدوين واوستن تشمبرلين وامري رسالة في التايمز في 4 نوفمبر 1930، يهاجمون فيها الكتاب الابيض ويؤ يدون وايزمن[157]. كما تجلى في هذا الوقت، ونتيجة للضغط الصهيوني « الخطر الكبير من ان يصبح حكم فلسطين مشكلة من المشاكل المختلف عليها بين الاحزاب البريطانية، فيكون حزب منها في جانب العرب وآخر في جانب اليهود ». وقد تمكن الصهيونيون من ان يظهروا ان « الاسس التي بني عليها تقرير السير جون هوب سمبسون وتقديره لمجموع الاراضي الصالحة للزراعة لم يكن حسابا علميا وقاطعا الى درجة تبرر قلب سياسة المهاجرة. وهنالك بالفعل شك فيما اذا كان قد قصد منه ان يكون علميا وقاطعا ». كما تمكنوا « من ان يقيموا الحجة بشيء من القوة على ان الاحتفاظ بجميع اراضي الحكومة ـ التي يمكن ان تخصص فيما بعد العرب الذين لا ارض لهم، سواء اكانوا قد اخرجوا من اراضيهم من قبل اليهود ام لا ـ هو امر لا يمكن التوفيق بينه وبين ما تتطلبه المادة السادسة من صك الانتداب. وتمكنوا ايضا من استغلال الامور الخاصة التي اغفل ذكرها في الكتاب الابيض، ولهجة ذلك الكتاب العامة[158] ».

154 ـ المقطم 1930/10/25..

155 ـ المقطم 1930/10/26.

156 P.M.C. 20 th S. Annex 7b. pp. 216-7

157 ـ Great Britain and Palestine, p. 82

158 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 99.

ومع ان وكيل وزارة المستعمرات قد اعلن في 30 اكتوبر 1930 ان « الحكومة البريطانية لم تستشر او تتصل بالاحزاب السياسية في فلسطين قبل نشر بيانها السياسي[159] »، واعلن رمزي مكدونالد نفسه في 12 نوفمبر 1930 ان « حكومة صاحب الجلالة تنوي الاستمرار في تنفيذ تعهداتها الانتدابية لليهود والعرب في فلسطين[160] ». الا ان كل ذلك قد تلاشى عندما نوقشت سياسة الحكومة بشأن فلسطين في 17 نوفمبر 1930. فقد القى لويد جورج خطابا مطولا ضد الكتاب الابيض[161]، كما هاجمه المستر امري[162]، وانضم الى جانبهما كل من هربرت صمويل[163] ودي روتشلد[164]. واضطر المستر شيلز، وكيل وزارة المستعمرات، ان يرد بخطاب طويل يفند الهجوم الموجه ضد الحكومة، واكد في خطابه ان « التخلي عن الانتداب لم يكن ابدا من سياسة الحكومة الحاضرة[165] »، وان الحكومة تنوي عقد قرض بضمانها بمبلغ 2,5 مليون جنيه لعملية تطوير الارض والزراعة في فلسطين، ولاسكان نحو 10 آلاف عائلة[166]. وقال ان « هذه الحكومة، وفي اعتقادي كل الحكومات البريطانية، تقدم كل التسهيلات لانشاء الوطن القومي اليهودي الذي يتفق تماما مع التزاماتنا[167] ». ثم اضاف الى ذلك قوله ان « على بريطانيا التزام نحو العناصر غير اليهودية في فلسطين، وذلك يرجع الى عاملين، اولهما الشرق البريطاني والالتزامات الدولية التي قبلتها بريطانيا، والثاني هو ان قادة الصهيونيين يعلمون تماما انه لا يمكن تحقيق الوطن القومي اليهودي الا بوجود مجتمع عربي راض وقانع[168] ». وقد وافق

---

159 - P.D. vol. 244, col. 212
160 — op. cit., col. 1655
161 - P.D.vol. 245, cols. 77-88
162 - P.D. vol. 245, cols. 104 - 115
163 - Ibid., cols. 120-38
164 - Ibid., cols. 175-83
165 - Ibid., col. 92
166 - Ibid., cols. 104 - 115
167 - Ibid., col. 102
168 - Ibid., col. 103

رمزي مكدونالد على كل ما صرح به المستر شيلز، وقال انه « يتحمل مسؤولية كل كلمة نطق بها[169] ».

بعد انتهاء المناقشة في 17 نوفمبر 1930 حول السياسة البريطانية في فلسطين، ظهر واضحا ان قسما من حزب العمال، ومن غلاة الاستعماريين البريطانيين، كانوا ضد سياسة رمزي مكدونالد، مما دفع برئيس الوزارة الى فتح باب المحادثات مع الصهيونية العالمية. يقول وايزمن « وبعد صدور الكتاب الابيض بقليل، عرض رئيس الوزارة البريطانية، نتيجة للحملة الصهيونية، على الوكالة اليهودية تشكيل لجنة تجتمع مع لجنة وزارية خاصة لبحث السياسة البريطانية في فلسطين. وكانت اللجنة الوزارية تضم آرثر هندرسون A. Henderson رئيسا، ومالكولم مكدونالد سكرتيرا، بالاضافة الى اعضاء آخرين. اما لجنة الوكالة اليهودية فتألفت من وايزمن، ليونارد شتاين، هاري ساكر H. Sacher، هارولد لاسكي H. Laski، جيمس دي روتشلد، برودتسكي Brodetsky، وناميير Namier. وعقدت اللجنتان عدة اجتماعات[170] ». واخذ باسفيلد في التراجع، فقد كتب الى تشانسلور في 9 يناير 1931 مشيرا الى رغبة الحكومة البريطانية في التوصل الى صيغة تفاهم مع المنظمة الصهيونية، فقال ان « الحكومة لا تجد مفرا من كتابة ونشر، او السماح بنشر، نص رسالة موجهة الى الدكتور وايزمن، تحدد سياستنا في فلسطين، بعبارات اكثر دقة من تلك العبارات الواردة في الكتاب الابيض، وتلقى من اليهود قبولا اكثر مما تلقاه هذه العبارات، بحيث يصبح مضمون الرسالة هو التفسير الرسمي للامور التي تثيرها[171] ». وفي 11 فبراير 1931، ذكر رمزي مكدونالد امام مجلس العموم ان « لجنة وزارية تباحثت مع زعماء الصهيونيين بشأن تفسير بعض الفقرات الواردة في الكتاب الابيض لعام 1930 »، واقترح « تضمين تلك التفسيرات في شكل رسالة توجه الى الدكتور

---

169 ـ Ibid., cols. 115-8

170 ـ Weizmann, op. cit., pp. 414-5

171 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 261

وايزمن ويمكن نشرها ». كما اعلن ان « اللجنة الوزارية وزعماء الصهيونيين كانوا على اتفاق تام في المحادثات ». واعلن المستر شيلز، وكيل وزارة المستعمرات، في نفس الجلسة انه « لا توجد اية نية لنقل الاشراف على فلسطين من وزارة المستعمرات الى وزارة الخارجية[172] ». وفي اليوم التالي قال رئيس الوزراء ان « الخطاب هو التفسير الرسمي للكتاب الابيض لعام 1930، وهو خطاب رسمي، وسوف يرسل كوثيقة رسمية الى عصبة الامم، وسيرسل ضمن التعليمات الموجهة الى المندوب السامي ». واضاف بان « الرسالة قد تزيل سوء الفهم لدى وايزمن، ولكنها لن تغير من السياسة البريطانية[173] ».

ووجه رمزي مكدونالد رسالة الى وايزمن في 13 فبراير 1931[174]، واكد فيها ان « التزامات الانتداب هي التزامات للشعب اليهودي وليست التزامات للسكان اليهود في فلسطين »، وان « الوكالة اليهودية قد تعاونت دائما وعن طيب خاطر في تنفيذ سياسة الانتداب »، وان « العمل الانشائي الذي تم على يد الشعب اليهودي في فلسطين كان له اثر مفيد في تقدم البلاد ورفاهيتها بصورة عامة ». واعترف مكدونالد « بقيمة الخدمات والاعمال التي قامت بها منظمة نقابات العمال اليهودية (الهستدروت) في فلسطين، والتي تستحق ان تمنح كل تشجيع ». وان « الالتزام بتسهيل الهجرة اليهودية وتشجيع استيطان اليهود المكتظ في الاراضي، يبقى التزاما ايجابيا للانتداب يمكن انجازه، دون الاجحاف بحقوق الطوائف الاخرى من سكان فلسطين ومركزها ». وبالنسبة لتسوية مشكلة الاراضي اكد مكدونالد انه « من الضروري ان تأخذ حكومة جلالته بعين الاعتبار كل حالة تمت الى الغرض الاساسي من الانتداب ». وختم مكدونالد رسالته الى وايزمن بقوله « ان

---

172 ـ P.D. vol. 248, col. 389

173 ـ op. cit., cols. 599-600

174 ـ هي (كتاب مكدونالد الاسود). انظر النص في P.D. vol. 248, cols. 751-7 والوثائق الرئيسية ص 188 - 194.

الالتزامات الملقاة على عاتق الحكومة المنتدبة عند قبولها الانتداب، هي التزامات دولية مقدسة، لم يخطر على بالها اليوم ولا في يوم ما ان تتخلى عنها. وقد صممت حكومة جلالته على القيام بالواجبات الملقاة عليها من قبل الانتداب، ولن تحيد عنها »، واضاف « ولكن اذا ما اردنا ان تكون جهودنا ناجحة، فهنالك حاجة ماسة للتعاون والثقة والاستعداد لدى كل الجهات »، وانه « من الواجب وقبل كل شيء ان يكون هنالك اعتراف مطلق بان لا حل يمكن ان يكون مرضيا او دائما، الا اذا كان قائما على انصاف كل من الشعب اليهودي وطوائف فلسطين غير اليهودية ».

هكذا وقفت السياسة البريطانية بحزم الى جانب الوطن القومي اليهودي، ويؤكد تقرير اللجنة الملكية ان رسالة مكدونالد كانت « في جانب المطالب اليهودية اكثر مما كان عليه الكتاب الابيض[175] ». وفي محاولة لارضاء الصهيونية العالمية، ارسلت الحكومة البريطانية لجنة جديدة برئاسة السير صمويل اودونيل S. O'Donell وعضوية مستر بريتن H. Brittain، من وزارة الخزانة[176]، وذلك للبحث في توفير بعض الاموال من ميزانية حكومة فلسطين لاجل استغلالها في حركة الاستيطان اليهودي.

وقد اعرب تشانسلور، المندوب السامي بفلسطين، منذ اوائل يوليو 1931، عن رغبته في التخلي عن منصبه. وانتهز بن غوريون هذه الفرصة، فعقد اجتماعا مع رمزي مكدونالد في 12 يوليو 1931 في لندن. ويسجل بن غوريون ما دار في ذلك الاجتماع فيقول « كان من ضمن الامور التي عرضتها على مكدونالد ان يقوم باعداد مائدة مستديرة بين اليهود والعرب للتوصل الى اتفاق وتعاون مشترك بين الشعبين، وان تواصل اللجنة الوزارية - التي صاغت رسالة مكدونالد المعروفة - الاجتماع بنا والبحث معنا بشأن الاردن وسياسة الاراضي والهجرة، ونصيب اليهود من خطة التنمية ». ثم يضيف « وقد تطلع مكدونالد بعين الولاء الى اقوالنا هذه. وذكر بأن تصريح بلفور

175 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 99.

176 ـ P.D. vol. 248, col. 1235

والانتداب لم يرميا الى حصول اليهود على نصف البلاد فحسب، اذ ان العرب حصلوا بعد الحرب على عديد من البلاد (يقصد الحجاز والعراق وسوريا)، واما اليهود فان لهم فلسطين فقط. وقد وعد بتعيين مندوب سام جديد يقوم بارضائنا. اما فيما يتعلق بالمائدة المستديرة مع العرب، فهو رغم اعتقاده بان ذلك امر مرغوب فيه، الا انه لا يمكنه في هذه اللحظة التعهد بذلك[177] ».

الجنرال جرانفيل واكهوب A. G. Wauchope

اصدرت حكومة فلسطين بلاغا رسميا في 13 يوليو 1931، ذكرت فيه ان « جلالة الملك وافق على تعيين اللفتنانت جنرال آرثر جرانفيل واكهوب[178]، حامل وسام الحمام، ووسام القديسين ميخائيل وجورج، ووسام امبراطورية الهند من درجة كومبانيون، ووسام الخدمة الممتازة، والقائد العام لولاية ارلندة الشمالية، مندوبا ساميا لفلسطين وشرق الاردن[179] ». وقد ذكر المقطم في افتتاحيته بتاريخ 16 يوليو 1931 ان تعيين قائد عسكري كمندوب سام لفلسطين انما هو « خطة بريطانية لفصل فلسطين عسكريا عن قيادة مصر ». واعتبرت الصحف العربية الفلسطينية هذا التعيين بداية لتغيير الاوضاع في فلسطين[180].

ذكر المستر شيلز، وكيل وزارة المستعمرات، في 20 يوليو 1931 انه « لم يجر اي بحث مع زعماء العرب والصهيونيين بشأن تعيين المندوب السامي الجديد[181] »، ولكن يبدو ان هذا الامر غير صحيح بالنسبة لليهود.

---

177 ـ دافيد بن غوريون : لقاءات مع زعماء من العرب اصدار (عام عويد)، تل ابيب 1967. ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات، ص 28- 29.

178 ـ ولد في عام 1874، دراسته عسكرية، تولى قيادة الفرقة المعروفة باسم (الحرس الاسود) عام 1896، ورقي الى رتبة كابتن في 1901، واشترك في حملة دنقله وحرب جنوب افريقيا والحرب العالمية الاولى، انظر الشورى 1931/7/22.

179 ـ المقطم 1931/7/18.

180 ـ المقطم 1931/7/23.

181 ـ P.D. vol. 255, col. 1058

فقد اكد بن غوريون ان رمزي مكدونالد « وعد بتعيين مندوب سام جديد يقوم بارضائنا »، كما اكد وايزمن انه وافق على تعيين واكهوب مندوبا ساميا لفلسطين « بعد ان استشاره رمزي مكدونالد[182] ». ويقول وايزمن عن واكهوب انه « بخلاف المندوبين السامين السابقين كان يعي القيم الروحية والاخلاقية التي تكمن وراء الحركة الصهيونية ووراء عملنا في فلسطين »، ويضيف « نحن نذكره في فلسطين كصديق ومثقف وجندي واداري ورجل سياسة[183] ».

قدم واكهوب الى فلسطين وهو يزمع تنفيذ امرين، اولهما تمييع الحركة الوطنية العربية، وثانيهما ايجاد نوع من التفاهم او الاتفاق بين العرب واليهود. وبالنسبة للامر الاول اخذ واكهوب « يظهر عطفه على الفلاح (العربي) بتخفيض في الاعشار مرة بعد مرة، ثم بالغائها واستبدالها بضريبة الارض الموحدة. وبتشجيعه الاعمال والمختبرات الزراعية، وباقامته الولائم للاعيان والفلاحين والبدو، وبزيارته للقرى ومحادثاته مع الفلاحين ». وقد انقذ المجلس الاسلامي الاعلى من ازمة مالية « فاكتسب بذلك حمد المجلس وانصاره وهم اكثرية الجبهة الوطنية وزعمائها. وقد توسع في خطة تعيين ابناء الاسر الاسلامية المعروفة من مجلسية (الكتلة الحسينية) ومعارضة (الكتلة النشاشيبية)، حيث عين عددا غير قليل منهم في وظائف عالية »، كما اشرك « بعض رجالات العرب في لجان استشارية مختلفة من موظفين (بريطانيين) وعرب ويهود، وكان المندوب السامي يأمل من ذلك (ازدياد التعاون) بين العرب والحكومة اولا وبينهم وبين اليهود ثانيا[184] ». ويشرح الشقيري اثر سياسة واكهوب فيقول انها « انتزعت الى دوائر الحكومة زبدة البلاد، وربطت العائلات الكبرى بالسلطة البريطانية. والواقع ان هذه الاجراءات في مجموعها قد ساعدت المندوب السامي على

---

182 _ Weizmann, op. cit., p. 415

183 _ op. cit., p. 264

184 _ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 91- 92.

تهدئة الحركة الوطنية وتمييع النضال القومي[185] ».

اما فيما يتعلق بالامر الثاني، فقد حرص واكهوب، في فترة حكمه الاولى والثانية[186]، على ايجاد نوع من التفاهم او الاتفاق بين العرب واليهود. ولم تكن المحادثات التي اجراها دافيد بن غوريون في عامي 1933، و1934 مع بعض الزعامات العربية الفلسطينية الا نتيجة لخطة واكهوب.

واستمرت السياسة البريطانية، التي نفذها واكهوب منذ اواخر عام 1931، تعمل على تأييد ومساندة الوطن القومي اليهودي. وبدت اولى نتائج سياسته في التقليل الى حد كبير من عدد النازحين اليهود من فلسطين، فقد بلغ عددهم في عام 1931 نحو 666 نازحا، مع ان العدد وصل الى 1679 نازحا في عام 1930. وفي عام 1932، حدثت اول وثبة في معدلات الهجرة اليهودية الى فلسطين، اذ بلغت 9553 مهاجرا، وارتفع العدد في عام 1932 الى 30,327 مهاجرا يهوديا[187]. وأنشأ اليهود 19 مستوطنة في عامي 1931 و1932، بلغ مجموع الاراضي التي امتلكوها نحو 14,232 دونما[188]. وقد تعهدت الحكومة البريطانية بحماية هذه المستوطنات، اكد ذلك المستر شيلز، الذي مثل الحكومة البريطانية في لجنة الانتدابات الدائمة اثناء انعقاد دورتها العشرين، في 17 يونيه 1931[189]. كما صرح المستر هاملتون Hamilton، وكيل وزارة المستعمرات، في 7 ديسمبر 1931 بان « من حق المندوب السامي اتخاذ اي اجراء لضمان الحماية والامن في البلاد »، وذلك ردا على سؤال بشأن السماح لليهود بحمل السلاح[190]. وتعهد المستر كنليف ليستر، وزير المستعمرات، في 9 مارس 1932 بان « تبذل حكومة فلسطين

---

185 ـ احمد الشقيري : المصدر السابق ص 130 - 131.

186 ـ استقال واكهوب في سبتمبر 1937.

187 ـ Report 1935, p. 43.

188 ـ Z.O. of American, op. cit., pp. 213-25

189 ـ P.M.C.20 th S. p. 103

190 ـ P.D. vol. 260, col. 1513

العناية اللازمة لحماية سكان المستوطنات اليهودية[191] ».

ولم تخرج سياسة الحكومة البريطانية عن الخط الذي رسمه رمزي مكدونالد في رسالته الى وايزمن في 13 فبراير 1931 وهو ما اعتبرته الحكومة البريطانية استمرارا لفكرة (الالتزام المزدوج). وقد اعلن كنليف ليستر في 2 ديسمبر 1931 بان « محتويات رسالة رئيس الوزراء الى الدكتور وايزمن لا زالت سارية المفعول[192] ». وحين مناقشة ميزانية وزارة المستعمرات في 22 ابريل 1932، صرح المستر هاملتون، وكيل وزارة المستعمرات بما يلي: « لم تكن هناك ابدا اية رغبة لدى هذه الحكومة، او اية حكومة اخرى، في التخلي عن نص صك الانتداب، او التخلي عما ورد في رسالة رئيس الوزراء[193] ». واوضح واكهوب السياسة البريطانية في فلسطين في بيانه الذي القاه في 10 نوفمبر 1932 امام لجنة الانتداب الدائمة حيث قال « نحن نحكم فلسطين طبقا لرغبات الشعبين (اي العرب واليهود)، حتى ولو تعارضت تلك الرغبات. واذا لم تثمر جهود الحكومة (يقصد في العمل على احياء مشروع المجلس التشريعي) فان عليها تنفيذ اية سياسة تعتبرها اكثر ملاءمة بالنسبة لمصالح السكان كمجموع، وذلك طبقا لصك الانتداب[194] ».

واستمرت الهجرة اليهودية في تدفق مستمر ابان عهد الجنرال واكهوب. فقد دخل البلاد 30,327 مهاجرا عام 1933، وارتفع العدد الى 42,359 في عام 1934، وبلغت الهجرة حدها الاقصى في عام 1935، حيث دخل البلاد 61,854 مهاجرا يهوديا[195]. وقد كانت هذه الزيادة في الهجرة « مقرونة بزيادة في رؤوس الاموال المستثمرة في الوطن القومي ومنتجاته

---

191 - P.D. vol. 262, col. 1783

192 - P.D. vol. 260, col. 1058

193 - P.D. vol. 264, col. 1854

194 - P.D. vol. 270, col. 1116

195 - Report 1935, p. 43

الزراعية والصناعية[196] ». كما اسفر ذلك ايضا عن ازدياد ايرادات حكومة فلسطين، فارتفعت من 3,9 مليون جنيه في عام 1933 الى 5,4 مليون جنيه في عام 1934، وبلغت 5,7 مليون جنيه في عام 1935[197]. وقد ابرز ازدياد الهجرة اليهودية على هذا النحو، مسألتين هامتين. اولاهما ان عدد المهاجرين الذين ستستوعبهم الصناعات والمدن في المستقبل سيكون اكثر من عدد الذين ستستوعبهم الزراعة واستيطان الارض. والمسألة الثانية ان الهجرة اليهودية زادت من مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب بدلا من ان تنقصها، اذ انه كلما ازداد عدد المهاجرين اليهود الى البلاد، ازداد العمل الذي يهيئونه للصناعات المحلية سدا لحاجاتهم فيما يتعلق بالبناء، وازدياد العمل معناه ازدياد اتساع البلاد للمهاجرين اليهود الذين يدخلون ضمن جدول العمال. وقد شعرت لجنة التحقيق الملكية بما احدثته الزيادة في الهجرة اليهودية الى فلسطين، فقالت « فاذا لم تتخذ الحكومة (البريطانية) سياسة اكثر تضييقا من ذي قبل، او اذا لم تقع ازمة اقتصادية او مالية، فليس ثمة سبب ـ على ما يظهر ـ يحول دون استمرار الهجرة في التصاعد والازدياد ». وقد كانت هذه الزيادة في الهجرة، التي اسفرت عن ازدياد طبقة العمال العرب العاطلين، وازدياد الفلاحين العرب المطرودين من الارض، احد الاسباب الرئيسية في هبة اكتوبر 1933، واحد الاسباب الهامة في نشأة الحركة القسامية، كما كانت احد الدوافع الاساسية في ثورة فلسطين عام 1936.

ظلت الحكومة البريطانية تعلن دائما ان سياستها تقوم على الحياد او عدم التحيز بين العرب واليهود، وكان هذا في حقيقة الامر مخالفا للواقع. ففي البيان السياسي الذي القاه كنليف ليستر، وزير المستعمرات، في 14 يوليو 1933، ورد فيه ما يلي « ان فلسطين تدار بعدم تحيز مطلق، ويتولى ادارتها المندوب السامي الذي يثق فيه اليهود والعرب، على السواء، ثقة

196 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 106.

197 ـ المصدر السابق ص 114.

تامة، وان علينا جميعا ان نقوم بخدمة مصالح تلك البلاد بالتعاون لتحقيق المصالح المشتركة[198] ». واذا كانت الحكومة البريطانية قد عرضت مشروع تأسيس المجلس التشريعي في اواخر عام 1933، في محاولة لامتصاص النقمة الشعبية على بريطانيا، فان عرضها كان خادعا، بدليل ان وزير المستعمرات، كنليف ليستر، اعلن امام مجلس العموم في 23 نوفمبر 1933 ما يلي « ان تعهداتنا ومسئولياتنا في فلسطين ستظل كما هي، سواء تم تشكيل المجلس التشريعي ام لم يتم[199] ». وسأله النائب (ودوود Wedgewood) عن فائدة اقامة مثل هذا المجلس مع بقاء التعهدات والالتزامات البريطانية كما هي، فرد كنليف « حتى تسنح الفرصة لاصحاب وجهات النظر المختلفة في فلسطين للتعبير عنها في جمعية نيابية ». واكد مرة ثانية على بقاء تعهدات والتزامات الحكومة البريطانية كما هي[200]. ورد كنليف ليستر على سؤال آخر بشأن المجلس التشريعي في 29 نوفمبر 1933 قائلا انه « لن تكون لهذا المجلس سلطة على قوات البوليس، ولن تتجاوز اختصاصاته سلطة المندوب السامي التنفيذية[201] ».

ورفض كنليف ليستر في 31 يناير 1934 القاء بيان سياسي عن فلسطين قائلا انه « لم تحدث تطورات جديدة تستدعي القاء بيان سياسي[202] ». لكنه ادلى في 19 يونيه 1934 بما يلي « لم يحدث اي تغيير اطلاقا في السياسة التي اتبعتها الحكومة في السنوات الخمسة عشر الاخيرة، منذ ان اخذت على عاتقها مسئولية الانتداب[203] ». وفي 3 يوليو 1934 اعاد كنليف ليستر ما كان قد صرح به في 23 نوفمبر 1933، واضاف « لم يحدث اي تغيير في

---

198 _ P.D. vol. 280, col. 1439

199 _ P.D. vol. 283, cols. 259-60

200 _ op. cit., col. 260

201 _ Ibid., col. 866

202 _ P.D. vol. 285, col. 339

203 _ P.D. vol., 291, col. 204

السياسة في السنوات العشر الاخيرة[204] ».

واعلن كنليف ليستر في 5 مارس 1935 بان « معارضة العرب للهجرة اليهودية وشراء اليهود للاراضي انتشرت بشكل واسع ، وظهرت في الصحافة العربية الفلسطينية ». واضاف ان المندوب السامي كان قد استقبل في اول ديسمبر 1934 وفدا من اللجنة التنفيذية العربية ، « وقدم الوفد له (للمندوب السامي) مذكرة بشأن الاراضي العربية والهجرة اليهودية. واوضح المندوب السامي ببساطة ، في بيان نشر في فلسطين ، سياسة الحكومة ازاء الموضوعين المقترحين ». واكد وزير المستعمرات ثقته بالمندوب السامي ، الجنرال واكهوب[205]. والواقع ان وفد اللجنة التنفيذية العربية اعترض ايضا في المقابلة المذكورة على منح امتياز الحولة لليهود.

مشروع امتياز الحولة

تقع ارض الحولة بجوار الحد الفاصل بين سوريا وفلسطين مباشرة. وهي تضم بعض القرى العربية ، ومستنقعا واسعا تكسوه اشجار البردى ، وتجري مياهه جنوبا حتى تتصل ببحيرة طبريه. وهذه الارض تشكل قطعة مثلثة الشكل تبلغ مساحتها 44 ميلا مربعا تقريبا.

وكانت الحكومة العثمانية في اوائل عام 1914 ، قد منحت تاجرين من بيروت (هما سليم علي سلام ومختار بيهم) امتيازا بتجفيف البحيرة والمستنقعات المجاورة لها في القسم السفلي من (المثلث). وحول الامتياز في عام 1918 الى (الشركة الزراعية السورية العثمانية) ، ولكن هذه الشركة لم تفعل شيئا يذكر.

وقد تطرق السير جون هوب سمبسون في تقريره لعام 1930 لهذه المنطقة فقال انها « قابلة للري ، وقد تصبح اراضيها يوما ما ذات قيمة

---

204 ـ op. cit., col. 1744

205 ـ P.D. vol. 298, cols. 1758-9

عظيمة[206] ». ويبلغ عدد السكان العرب فيها بين اربعة وخمسة آلاف نسمة، وهم فلاحون مستأجرون من اصحاب الاملاك الغائبين. وفي عام 1934، منح واكهوب الامتياز لشركة تحسين الاراضي الفلسطينية اليهودية بمبلغ 192 الف جنيه. وبرر واكهوب ذلك في مقابلته لوفد اللجنة التنفيذية في اول ديسمبر 1934، بأن الشركة المذكورة تملك اموالا اكثر من اصحاب الامتياز السابقين، وان الشركة خصصت نحو 15,772 دونما للفلاحين العرب[207]. اما الامتياز نفسه فتبلغ مساحته 56,939 دونما، منها 18,568 دونما صالحة للزراعة، و21,452 دونما اراضي مستنقعات، و16,919 دونما من الاراضي المغمورة بمياه البحيرة[208]. وهكذا عمل واكهوب، بمنحه الامتياز لشركة يهودية، على المضي قدما في تثبيت اسس الوطن القومي اليهودي. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الشركة اليهودية لم تطبق نص الامتياز، واجلت قسما من العرب الزراعيين عن اراضيهم، مما اسفر عن تفاقم مشكلة الفلاحين العرب المطرودين من الارض.

وفي 25 يوليو 1935، ناقش مجلس العموم البريطاني سياسة الحكومة في مناطق الانتداب وفي المستعمرات واراضي الدومنيون، وقد حازت الحكومة العمالية برياسة بلدوين ثقة المجلس، بأغلبية 310 اصوات ضد 76 صوتا فقط[209]. وعقد المؤتمر الصهيوني التاسع عشر في لوسرن Lucerne (سويسره) في الفترة ما بين 20 اغسطس و4 سبتمبر 1935[210]. وتعرضت مقررات المؤتمر، التي اقرتها اللجنة السياسية بالاجماع، الى بحث « احوال اليهود السيئة في المنفى واعتبرت ان اعمال اليهود في فلسطين ـ وهي البلاد المفتوحة ابوابها لمهاجري اليهود على مجال واسع ـ قد اثبتت امكان السير بالهجرة والاستيطان بخطوات اسرع من ذي قبل، واعلنت

206 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 341.

207 ـ P.D. vol. 296, cols. 1533-4

208 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 341 - 342.

209 ـ P.D. vol. 304, cols. 2137-40

210 ـ E.F. vol. II, p. 782

تصميم المنظمة الصهيونية الذي لا يتزعزع على توجيه جهود الشعب اليهودي نحو التوسع في اعادة استقراره في فلسطين، والسير فيه بخطى سريعة. وقد ناشد المؤتمر الصهيوني الحكومة (البريطانية)، مع تقديره للدور الذي قامت به الدولة المنتدبة وتأكيده ثانية لاستعداد المنظمة الصهيونية للتعاون، ان تقوم بالتزاماتها، وذلك باتباع سياسة فعالة ومنتظمة، ترمي الى انجاح الوطن القومي اليهودي على الاساس وبالمدى الذي تقتضيه حالة اليهود في العالم، وتيسره مساعدة الحكومة (البريطانية) الفعالة ». واعاد المؤتمر الصهيوني تأكيد رفضه لفكرة انشاء مجلس تشريعي في فلسطين، واعلن ذلك صراحة[211]. ويورد تقرير اللجنة الملكية تعليقا على كل ذلك فيقول « ولربما لم تكن الحكومة البريطانية على استعداد لتأييد المؤتمر في نظرة التفاؤل هذه حول ما يمكن القيام به في المستقبل[212] ». على ان ذلك لم يكن صحيحا، اذ ان المندوب السامي واكهوب، رفض مذكرة (لجنة الاحزاب) العربية المقدمة اليه في 25 نوفمبر 1935، بعد خمسة ايام فقط من استشهاد الشيخ القسام. وقد تضمنت تلك المذكرة « تأسيس حكومة ديموقراطية طبقا لميثاق عصبة الامم والمادة الثانية من صك الانتداب لفلسطين »، و « منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود، وسن قانون شبيه بقانون الخمسة افدنة في مصر »، و« وقف الهجرة اليهودية حالا، وتعيين لجنة مختصة لبحث مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ». وفي معرض رده، أشار المندوب السامي الى انه « سيعلن في المستقبل القريب اقتراحاته لتأسيس مجلس تشريعي[213] ».

والواقع ان احوال فلسطين الداخلية، وما ساد منطقة الشرق الأوسط من تطورات قبيل نهاية عام 1935، كان عاملا اساسيا دفع الحكومة البريطانية الى عرض مشروع المجلس التشريعي في هذا الوقت. ففي فلسطين كانت

211 - Report 1935, p. 19

212 - تقرير اللجنة الملكية ص 118

213 - Repport 1935, p. 15

الأوضاع العربية سيئة للغاية. فالهجرة اليهودية قد بلغت حدها الأعلى، اذ دخل البلاد 61,854 مهاجرا يهوديا، واشترى اليهود 72,905 دونمات[214] من الأراضي، مما اسفر عن طرد آلاف المزارعين العرب من اراضيهم، هذا بالأضافة الى عمليات تهريب الأسلحة التي كان يقوم بها اليهود، تحت اشراف وحماية السلطات البريطانية، وزيادة العمال العرب العاطلين نتيجة لنظرية (العمل اليهودي) التي طبقتها الوكالة اليهودية والكيرن كايميت والكيرن هايسود. يضاف الى هذا ظهور جناح يساري في الحركة الوطنية العربية، ومحاولة العمل على تأكيد وتعميق الكفاح الوطني ضد الأستعمار البرياطني. فقد عقد اجتماع في يافا في يوم الأثنين 9 ديسمبر 1935، بمناسبة الذكرى السابعة عشرة للاحتلال البريطاني لفلسطين، وخطب فيه كل من محمد نمر عودة (سكرتير الأجتماع وهو شيوعي) ميشيل متري (شيوعي)، عزة دروزة، جورج مطر، حمدي الحسيني، عيسى السفري، اكرم زعيتر، وعجاج نويهض. واصدر المجتمعون قرارا اعلنوا فيه ان « قضية العرب في فلسطين هي قضية كفاح وصراع بين العرب والأنجليز الذين هم مسئولون عن كل النكبات التي حاقت بالبلاد. وكل مهاودة مع الانجليز انفسهم تبدو من الهيئات والأحزاب والأفراد تعتبر جناية على الوطن ». كما اكد المجتمعون على « تقديس ذكرى البطل عزالدين القسام وصحبه »، وطلبوا الى الأمة « تمجيدهم باعتبارهم قد عبروا عن سخط الأمة الشامل »، وانهم « يحيون كل حركة ترمي الى كفاح الأستعمار في مصر وسوريا والأقطار العربية ». وحذر المجتمعون « رؤساء الأحزاب ان يقبلوا اي شيء تعرضه الحكومة ليلتهي به العرب منصرفين عن مكافحة الأستعمار وجها لوجه »، وقرروا « العودة الى السياسة السلبية، وان تبدأ فلسطين في دور جهاد جديد، مستعينة بجيرانها العرب على تأليف جبهة واحدة ضد الأستعمار البريطاني[215] ».

---

214 ـ op. cit., p. 32

215 ـ الفتح ـ 476 - 13 رمضان 1354 هـ ، المقطم 1935/12/11.

وسرعان ما احدث اجتماع يافا رد فعل عنيف في البلاد. فقد اوقفت الجرائد العربية الفلسطينية اعمدتها على حوادث مصر، « مهنئة المصريين بنجاحهم في اعادة الدستور (1923) بانضمام صفوف احزابهم في جبهة واحدة[216] ». واصدر طلاب مدارس نابلس بيانا قالوا فيه « لقد آن للطلاب الفلسطينيين ان يساهموا في الحركة الوطنية، وان يقوموا بواجبهم نحو بلادهم المضطهدة »، وانهم لذلك « قرروا القيام بأداء واجبهم الوطني، فألفوا لجنة منهم تقوم بجمع الأعانات من المحسنين في اليوم الأول من عيد الفطر (لعام 1354، الموافق 27 ديسمبر 1935) لعاتلات الشهداء ». ثم ناشدوا اخوانهم طلاب المدارس في المدن الأخرى ان يسارعوا لتأليف اللجان لهذه الغاية[217]. وفي يوم السبت 21 ديسمبر 1935، تزعم طلاب نابلس مظاهرات كبيرة في المدينة، وهتف المتظاهرون للاستقلال التام، وطلبوا من الزعماء عدم التعاون مع الأنجليز واليهود « وكانوا يهتفون بنوع خاص لذكرى شهداء العصبة الثائرة (اي القساميين)[218] ».

حدث هذا كله في فلسطين، بينما كانت البلاد تعج بقوات صاحب الجلالة البريطانية بعد ان تحولت الى معسكر كبير، منذ سبتمبر 1935، على اثر نشوب الحرب الأيطالية الحبشية. بل ان الحكومة البريطانية حولت ميناء حيفا، الذي افتتح رسميا في 31 اكتوبر 1933، الى قاعدة عسكرية، ترابط فيها السفن الحربية البريطانية باستمرار. ولقد اعتبرت الأوساط العربية انتصار ايطاليا في تلك الحرب « دليلا على ان قوة بريطانيا البحرية في شرق البحر المتوسط لم تعد بعيدة عن ان ينازعها منازع[219] ».

وقد تجاوب عرب فلسطين بسرعة مع احداث مصر التي بدأت في 13 نوفمبر 1935 بمظاهرات الطلبة، بمناسبة الأحتفال بعيد الجهاد، وردا على

---

216 ـ المقطم 1935/12/17.

217 ـ الفتح ـ 477 - 30رمضان 1354هـ (1935/12/26)

218 ـ المصدر السابق، المقطم 1935/12/20.

219 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 124.

تصريح السير صمويل هور وزير الخارجية البريطانية في 9 نوفمبر 1935[220].
وقد امتدت تلك المظاهرات حتى اوائل ديسمبر 1935، واسفرت عن اعادة دستور 1923 في 12 ديسمبر 1935. وفي الوقت الذي كانت فيه المظاهرات قائمة في مصر، ناشدت احدى الصحف العربية في فلسطين اهالي البلاد بقولها « هبوا لتحرير انفسكم من نير الأستعمار اليهودي البريطاني، لقد استيقظ زعماء مصر، فأين زعماؤ نا مختبئون؟[221] ».

في هذه الظروف التي مرت بفلسطين في اواخر عام 1935، عرض المندوب السامي نيابة عن الحكومة البريطانية، في 21 ديسمبر 1935، على العرب، مشروع تأسيس المجلس التشريعي، حتى يضمن ـ الى اقصى حد ممكن ـ احتواء زعماء الأحزاب العربية، ويمتص ـ الى اي حد ممكن ـ نقمة الشعب في البلاد، وذلك بعد ان وصل اليهود الى نحو 30% من مجموع سكان فلسطين.

المجلس التشريعي لعام 1935

في 21 ديسمبر 1935، عرض المندوب السامي، واكهوب، على ممثلي الأحزاب العربية (راغب النشاشيبي، جمال الحسيني، اسحق البديري، عبد اللطيف صلاح، يعقوب الغصين، ويعقوب فراج) مشروع تأسيس المجلس التشريعي. وفي اليوم التالي 22 ديسمبر 1935 عرض المشروع على ممثلي الصهيونيين وهم: حاييم وايزمن، دافيد بن غوريون، موشيه شرتوك، اسحق بن زفي، المالخ Almalech، والرباي بلاو Blau.

وادلى واكهوب ببيان واحد، للعرب واليهود، قال فيه انه « قبل شرح مقترحات الحكومة بشأن تأسيس مجلس تشريعي لفلسطين، طبقا لتعهدات حكومة صاحب الجلالة، اود ان اعيد الى اذهانكم انه منذ ان القيت بياني في جنيف منذ سنوات ثلاث خلت، وانا اتباحث في الأمر، واسمع آراء الآخرين، قبل وضع الخطوط التي يتم بموجبها تأسيس مجلس تشريعي.

220 ـ انظر عبد الرحمن الرافعي: في اعقاب الثورة المصرية ج2 ـ القاهرة 1949. ص 200 - 201
221 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 124.

لقد قلت في جنيف انه قبل تأسيس المجلس التشريعي فاني ارغب ان ارى عمل المجالس البلدية يسير طبقا لقانون البلديات. وفي اعتقادي ان المجالس البلدية تسير الآن سيرا مرضيا. واني واثق بانه لو نفذت مقترحات الحكومة بشأن تأسيس مجلس تشريعي، فان المجلس سيقوم بخدمة المصالح العامة لشعب فلسطين ». واضاف بان تأسيس المجلس هو « تنفيذ لالتزامات حكومة صاحب الجلالة البريطانية[222] ».

يتألف المجلس التشريعي، طبقا لما ورد في بيان المندوب السامي، من 28 عضوا: 5 موظفين و 11 معينين غير موظفين، و 12 منتخبين. والأعضاء المعينون هم: 3 من المسلمين (احدهم من البدو)، و 4 من اليهود، و 2 من المسيحيين، و 2 من التجار، وذلك بالأضافة الى الموظفين الخمسة. اما المنتخبون فهم: 8 مسلمون، و 3 يهود، ومسيحي واحد. . وتوزيع المقاعد في المجلس بين الأعضاء المنتخبين سيكون قائما على عدد افراد الطوائف المختلفة بالنسبة لمجموع سكان فلسطين. ولا يجري اي تعديل في هذا التوزيع خلال السنوات الخمس وهي مدة المجلس.

ويسمى الشخص الذي يترأس ابحاث ومناقشات المجلس (بالرئيس)، ويعين من خارج فلسطين. وفي حالة تساوي الأصوات، يكون لأكبر الأعضاء الموظفين مرتبة، صوت مرجح. ويتألف النصاب القانوني من ستة اعضاء. ويكون للمندوب السامي الحق في افتتاح اية دورة من دورات المجلس، او ان يخاطب المجلس، او ان يوجه رسالة اليه. ودورة انعقاده تمتد ثلاثة اشهر.

واذا رفضت احدى الطوائف الأشتراك في الأنتخابات، يكون للمندوب السامي الحق في ان يعين موظفين بريطانيين او من الأشخاص الذين يرى صلاحيتهم، اعضاء للمقاعد المخصصة لتلك الطوائف، ويكون الرئيس شخصا حياديا لا علاقة له بفلسطين، له خبرة سابقة بالعمل

222 ـ Report 1935, pp. 8-7

القضائي، ولن يشترك في المناقشة او التصويت.

يتولى الأعضاء المنتخبون مناصبهم بالأنتخاب المباشر. ولا يشترط التعليم او النصاب المالي في الناخبين. ويشترط في الناخب ان يكون حائزا على الجنسية الفلسطينية، او مقيما مدة سنتين او ثلاث في فلسطين بصورة مشروعة قبل تاريخ تسجيله. ويطبق هذا الشرط على انتخابات المجلس التشريعي الأول. ولا يسمح في الأنتخابات التالية الا للحائزين على الجنسية الفلسطينية. ويشترط ان يكون الناخب قد بلغ25 سنة من العمر. ويترك لكل طائفة لتقرر فيما اذا كانت ترغب منح السيدات من افرادها حق التصويت ام لا. ولا يمكن انتخاب اي شخص لعضوية المجلس اذا كان يقل عمره عن 30 عاما، ويجب ان يكون فلسطينيا. وستمنح للاعضاء وغير الموظفين رواتب، اقترح المندوب السامي ان تتراوح بين 200 و300 جنيه سنويا.

أولا: سلطات وواجبات المجلس

يتمتع المجلس التشريعي بالسلطات والواجبات التالية بشرط تأمين وفاء التزامات حكومة صاحب الجلالة الدولية، وقيام المندوب السامي بالسلطات المخولة له فيما يتعلق بالمحافظة على القانون والنظام وحسن ادارة الحكومة:

1) مناقشة جميع القوانين التي تعرضها الحكومة، وتعديلها، ثم رفعها الى المندوب السامي للموافقة او عدم الموافقة.

2) تقديم مشروعات القوانين، ما عدا المالية منها، التي تخضع لموافقة المندوب السامي.

3) دراسة ومناقشة الميزانية السنوية. ويقترح المندوب السامي ان تجري مناقشة عامة، ثم يصير اقرار بنود الميزانية ككل، بعد ان يدرسها المجلس بشكل لجنة. وسيجري تحديد عدد الأيام التي يجري خلالها بحث بنود الميزانية. وعلى العضو الذي يقدم اقتراحا بشأن تخفيض اي بند من بنود

الميزانية ان يبين الأسباب التي حملته على ذلك.

4) اقتراح اي مسألة تتعلق بالمصلحة العامة للمناقشة، بشرط ان لا يطرح للتصويت اي اقتراح يتعلق بانفاق اموال الخزينة العامة، او بفرض ضريبة الا بايعاز من المندوب السامي. ولا يجوز اتخاذ اي قرار يرى فيه المندوب السامي انه يعرض الأمن العام للخطر. (ستتاح للمجلس فرصة المناقشة عند بحث الميزانية او عند الرد على خطاب الأفتتاح او عند طرح القرارات للتصويت).

5) توجيه اسئلة الى السلطة التنفيذية تتعلق بادارة الحكومة.

ثانيا: سلطات وواجبات المندوب السامي

ان سلطات وواجبات المندوب السامي بموجب الدستور الجديد، يجب ان تكون ذات صبغة تمكنه من القيام باعباء الحكومة والوفاء بالتزامات حكومة صاحب الجلالة الدولية.

بعد ان يقر المجلس التشريعي مشروع اي قانون، لن يصبح ذلك المشروع قانونا الا بعد موافقة المندوب السامي عليه.

اذا رأى المندوب السامي انه من المناسب اتخاذ اي قرار حفاظا على المصلحة العامة او لحسن ادارة الحكومة، وفشل المجلس في الموافقة على القرار خلال المدة التي يراها المندوب السامي معقولة وملائمة، فان له حق تقديمه مرة اخرى، فاذا لم يقر خلال المدة التي يعينها المندوب السامي، فان له ان يعلن وضع ذلك القانون موضع التنفيذ، ومن ثم يعتبر قانونا نافذ المفعول.

اذا كان من رأي المندوب السامي ان ضرورة ملحة قد نشأت خلال المدة التي يكون فيها المجلس غير منعقد، تقضي باتخاذ اجراءات للمحافظة على الأمن والنظام العام، او لاعتماد نفقات عاجلة او غير ذلك لحسن ادارة الحكومة، فانه يمكن للمندوب السامي في المجلس التنفيذي،

وبموافقة وزير المستعمرات، اصدار قوانين تمكنه من اتخاذ الأجراءات الضرورية. وللمندوب السامي الحق في تمديد او حل المجلس. ويكون للمندوب السامي ايضا، في ظروف استثنائية وبموافقة حكومة صاحب الجلالة، حق تأجيل الأنتخابات العامة بعد حل المجلس الى ما بعد مدة الأثني عشر شهرا الأعتيادية.

ويظل تحديد جداول هجرة العمال منوطا بالمندوب السامي كما هي حتى الآن، ولكن سيفسح المجال لأي عضو غير موظف في المجلس التشريعي ان يقترح اصدار قرار بالأعتراض على اي جدول او انتقاده.

ولا يجوز طرح اي قرار او تعديل اي قانون على المجلس للتصويت اذا كان من رأي الرئيس انه:

أ) يضع صحة الأنتداب الذي قبله صاحب الجلالة على فلسطين موضع الريب، او يرمي الى الغاء الأنتداب او عدم اعتباره.

ب) يمس كرامة الحاكم او الحكومة في الأقاليم المجاورة، او يمس اية دولة اجنبية، مرتبطة بعلاقات ودية مع جلالته[223].

هذا هو مشروع المجلس التشريعي الذي عرضه المندوب السامي في 21 و 22 ديسمبر 1935. ويذكر التقرير البريطاني لعام 1935 ان الزعماء العرب قالوا انهم « سيبحثون المقترحات ويقدمون ملاحظاتهم بعد فترة وجيزة »، وان تلك الملاحظات لم تصل حتى نهاية عام 1935. واوضح الزعماء الصهيونيون ان مقترحات تأسيس مجلس تشريعي في فلسطين قد رفضها مسبقا المؤتمر الصهيوني المنعقد في لوسرن في اغسطس من ذلك العام، وانهم قرروا منذ الآن رفض المشروع بقوة، وانهم سيمتنعون عن الأشتراك في الأنتخابات.

وانتقدت الصحافة العربية المشروع، كما اوضحت كل الصحف

223 ـ Report 1935, pp. 10-2 عيسى السفري : المصدر السابق ص 250 - 253

تقريبا عدم موافقتها على السلطات المخولة للمجلس، وركزت هجومها على سلطات المندوب السامي، وان نسبة الأعضاء المعينين كانت اكثر من اللازم، ونسبة الأعضاء العرب اقل من الواجب ان تكون عليه، « وهناك دلائل قوية تشير الى ان الرأي العام العربي يميل عموما الى المشاركة في الأنتخابات ». اما الصحف العبرية فقد ايدت موقف الزعماء اليهود[224].

ان عدم رفض الزعماء العرب في الحال لفكرة المجلس التشريعي يدل على ان بعضهم ان لم يكن معظمهم، يميل الى قبول المجلس والتعاون مع الحكومة، وقد كان اختلافهم فقط هو الذي يحول دون اتخاذ موقف موحد. اذ لم يتفق رؤساء الأحزاب في الأجتماع الذي عقدوه يوم الثلاثاء في 7 يناير 1936 الا على تقديم مذكرة الى المندوب السامي، يطلبون رد الحكومة على مذكرتهم المقدمة في 25 نوفمبر 1935. وقد رد المندوب السامي على مذكرة 7 يناير 1936 بقوله « تذكرون انني عندما قابلتكم في تلك المناسبة (25 نوفمبر 1935)، اكدت لكم ان المسائل التي سجلتموها في المذكرة تحتاج الى امعان نظر من قبل حكومة جلالته، وانه ليس من الممكن ان تجيب عليها الا بعد مضي مدة من الزمن، وعلى الأخص بسبب الأنتخابات البرلمانية. وذكرت لكم ان مدة الشهر الواحد التي اقترحتموها هي بالتأكيد غير كافية. وقد تلقيت الآن برقية من وزير المستعمرات، طلب الي فيها ان قول لكم بانه قد تلقى مذكرتكم، وانه ينظر فيها بعناية، وسيخابرني باقصى سرعة ممكنة[225] ». وكان رد المندوب السامي يحمل في ثناياه ضغطا على الذين يعارضون في قبول مشروع المجلس التشريعي.

وفي 28 يناير 1936، دعا المندوب السامي زعماء الأحزاب العربية، وعرض عليهم رد وزارة المستعمرات على مطالبهم. وتضمن الرد تأكيد الحكومة البريطانية على فكرة المجلس التشريعي، وبذلك رفضت طلب تأسيس (حكومة ديمقراطية) كما ورد في مذكرة (لجنة الأحزاب) في 25

224 ـ Report 1935, p. 13

225 ـ المقطم 1936/1/18.

نوفمبر 1935. اما بالنسبة للهجرة، فقد اكد الرد البريطاني انه «لا يمكن البحث في مسألة وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين رفضا تاما، لان المبدأ الذي تسترشد به الحكومة في امر الهجرة هو الأستناد ال مقدَرة البلاد الأقتصادية ولا تحيد الحكومة عن هذا المبدأ». اما فيما يتعلق بمسألة الأراضي، فقد وافق الوزير مبدئيا على اقتراح وضع مشروع لا يسمح بموجبه لصاحب الأرض ان يبيع اي قسم من أرضه الا اذا استبقى له الحد الأدنى منها [226].

كان الرد البريطاني ايذانا بكشف مواقف الأحزاب العربية من مشروع المجلس التشريعي. فحزب الدفاع قابل بالمشروع وراض عنه، وينتهي الأمر بالحزب العربي الى القبول وخوض معركة الأنتخابات. ورحب حزب الأصلاح بالمشروع من دون قيد ولا شرط، لان شعاره (خذ وطالب). ومؤتمر الشبان كان مؤيدا للحزب العربي في موقفه. اما حزب الكتلة الوطنية فلم يقرر رأيا خاصا بالنسبة للمشروع. ويؤكد اميل الغوري ان العرب «لم يرفضوا المشروع، بل طلبوا ادخال بعض التعديلات عليه، واعربوا عن رغبتهم في التعاون على اساسه[227]». وذكر المستر ترستد Trusted، ممثل الحكومة البريطانية في لجنة الانتدابات الدائمة، في أول يونيه 1936 أن «العرب كانوا موافقين على المجلس التشريعي، مع تقديم بعض ملاحظات على بنوده[228]».

ذكر المستر توماس Thomas، وزير المستعمرات، امام مجلس العموم في 10 فبراير 1936 ان «المندوب السامي قد ارسل في اواخر ديسمبر 1935 الى زعماء العرب واليهود مقترحات الحكومة الخاصة بتشكيل مجلس تشريعي، واعلن اليهود انهم لن يتعاونوا مع الحكومة في هذا السبيل»، واشار الى انه لم يتلق من المندوب الساميَ «تقريرا عن وجهة نظر

---

226 ـ فلسطين 1936/1/30 المقطم 1936/1/31.

227 ـ اميل الغوري: المؤامرة الكبرى ص 38 - 39.

228 ـ P.M.C. 29th S. p. 67

العرب »[229] . ومع ذلك كانت الحكومة البريطانية تقوم باتخاذ الأجراءات لاصدار قانون المجلس. فقد اعلن المستر توماس في 12 فبراير 1936 ان « الأعداد لتأسيس مجلس تشريعي في فلسطين سيصدر بقانون من مجلس الملك الخاص طبقاً لقانون الأختصاصات في البلاد الأجنبية لعام 1980 »، وقال انه قد اوعز اليه بانه « اذا وضع القانون بشكل (مشروع قانون) فانه يكون مخالفاً للتطبيق التشريعي ». ثم اضاف « ان اتصالات المندوب السامي مع زعماء العرب واليهود قد تمت بموافقة مجلس الوزراء، الذي وافق ايضا على المقترحات المقدمة[230] ».

عرض مشروع المجلس التشريعي على مجلس اللوردات في 26 فبراير 1936، واسفرت المناقشة على رفض المشروع[231]، بعد ان هاجمه معظم اعضاء المجلس الذين كانوا يؤيدون وجهة النظر الصهيونية، وكان هذا أول ضربة موجهة لسياسة الحكومة البريطانية بشأن المشروع. ومع ذلك استمر المستر توماس يدافع عن المشروع في مجلس العموم. ففي 4 مارس 1936 صرح بأنه « لم يطرأ اي تعديل على المقترحات الخاصة بتأسيس مجلس تشريعي، وان تأسيس المجلس يفي بالوعد المقطوع للشعب اليهودي بانشاء وطن قومي، ولا يمكن لاحد ان يدعي بان المجلس التشريعي مناقض لصك الأنتداب ». ثم اشار الى المجلس التشريعي الذي اقترحه هربرت صمويل في عام 1922 وقبول اليهود به بينما رفضه العرب[232] . وفي 11 مارس 1936، ذكر المستر توماس ان « المجلس التشريعي المقترح لا يمكنه بحث صك الأنتداب، لكن من صلاحياته البحث في مسألتي الأرض والهجرة، الا ان السلطة العليا ستظل في يد

---

229 _ P.D. vol. 308, col. 552

230 _ op. cit., cols. 927-8

231 _ P.D. (Lords)., vol. 99, cols. 750-95

232 _ P.D. vol. 309, cols. 1363-4

المندوب السامي[233] ». وبعد زيادة الهجوم عليه، اعلن في نفس الجلسة انه « يمكن لمجلس العموم مناقشة المقترحات التي قدمتها الحكومة بشأن المجلس التشريعي[234] ». وبالفعل جرت مناقشة المشروع في مجلس العموم في 24 مارس 1936[235]، وفشلت الحكومة في الحصول على ثقة المجلس.

وهكذا انتصرت وجهة النظر الصهيونية وفشلت الحكومة البريطانية في اقرار المشروع. وتعلق اللجنة الملكية على هذه النتيجة بقولها « غير ان البرلمان وان كان قد ابدى حكمه في المشروع بالنظر لما ينطوي عليه من المزايا والمساوىء، فمن سوء الحظ ان تكون الناحية اليهودية من القضية قد أوضحت بشكل أوفى من الناحية العربية. فقد جاءت هذه المناقشة، والحق يقال، دليلا ساطعاً على الوضع السيء الذي يئن منه العرب عندما ينتقل ميدان النزاع من فلسطين الى المملكة المتحدة[236] ».

حاولت الحكومة البريطانية ان تغطي فشلها في الحصول على موافقة البرلمان على المجلس التشريعي، خاصة وان العرب لم يعلنوا رسميا رفضهم للمشروع، فاوعزت الى المندوب السامي بدعوة وفد عربي الى لندن لعرض وجهة نظره على الحكومة البريطانية. ففي 2 إبريل 1936[237]، عرض واكهوب اقتراح الحكومة البريطانية، وقبل العرب به، « واخذوا يتباحثون فيما بينهم في انتقاء اعضاء الوفد، ولكن قبل ان يستطيعوا الأتفاق على ذلك الأمر، نشبت الثورة في فلسطين[238] »، فلم تعد هناك ضرورة لأرساله.

---

233 ـ op. cit., col. 2111

234 ـ Ibid., col. 2137

235 ـ P.D. vol. 310, cols. 1079-1150, 1166-73

236 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 121

237 ـ انظر البلاغ الحكومي عن هذه المقابلة في المقطم 4/4/1936.

238 ـ اميل الغوري: المؤامرة الكبرى ص 39.

الفصل السابع
الانسلاخات والانشقاقات في الحركة الوطنية
اغسطس 1922

اشارت احداث الحركة الوطنية الفلسطينية الى انه منذ اواخر يوليو 1922 ، اخذت تظهر في الجو الوطني والسياسي فئتان متميزتان ، دعت احداهما إلى التسمك بالطرق السلمية المشروعة في النضال، بينما دعت الثانية الى انتهاج اسلوب اكثر ثورية ضد السلطة البريطانية في فلسطين . واستعدت البلاد للمؤتمر الخامس ، ولاستقبال الوفد العائد من اوروبا . وكان من المقرر ان يعقد المؤتمر في يافا في 20 اغسطس[1] ، اي قبل وصول الوفد الى حيفا بيوم واحد . لكن اللجنة التنفيذية قررت بعد ذلك ، « وللضرورة » ، عقد المؤتمر في نابلس ، ويبدو ان ذلك حدث تحت تأثير الجماعات التي حاولت انتهاج اسلوب اكثر ثورية . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان نابلس ، وهي مدينة عريقة ، لا تقل اسرها عراقة عن اسر القدس ، لم يعقد فيها حتى ذلك الحين اي مؤتمر .

المؤتمر الفلسطيني الخامس (اغسطس 1922) والانسلاخات الاولى

انتخبت الجمعيات الاسلامية المسيحية ممثليها في المؤتمر

---

1 ـ المقطم 1922/8/8.

الخامس ، وقد بلغ عدد المندوبين مائة مندوب[2] ، ولم تتخلف مدينة واحدة عن ارسال ممثليها ، مما دل على اهمية الفترة التي تمر بها البلاد . على ان انتخاب المندوبين لم يكن على اسس سليمة ، اذ اتبعت فيه الاساليب العائلية والاسرية وتبادل المصالح ، مما دفع نجيب نصار الى ان يقول عن اعضاء المؤتمر : « الذاهبون الى المؤتمر واحد من ثلاثة : طالب جاه من وراء التظاهر بالوطنية ، وطالب منفعة او حظوة من وراء الجاسوسية الدنيئة ، ومخلص يريد خدمة وطنه[3] » . ومع ان نجيب نصار كان مواليا لبريطانيا ، الا انه لم يتجاوز الحقيقة فيما ذهب اليه .

وصل الوفد الى حيفا صباح يوم الاثنين في 21 اغسطس ، وغادرها فورا الى نابلس ، مارا بالناصرة وجنين وسيلة الظهر وبرقة[4] ، وقد استقبل فيها جميعا استقبالا رائعا ، وكان المؤتمر الخامس قد عقد جلسته بعد ظهر الاحد في 20 اغسطس ، في حديقة نابلس للتعارف ، واعلن تأجيل جلسات المؤتمر الى صباح الثلاثاء 22 اغسطس . وقد عززت الحكومة قوات البوليس في مدينة نابلس ، ثم وزعت منشورا على اهل القرى ، طلبت منهم فيها البقاء في قراهم بسبب الازدحام في المدينة من كثرة الوافدين بمناسبة انعقاد المؤتمر[5] . ولم يكن ما ادعته السلطات البريطانية حقيقة ، لكنها ارادت ان تقلل من اهمية المؤتمر ، وبالتالي تضعف عملية التأييد له ولمقرراته .

افتتح عمر البيطار ، باعتباره رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الرابع ، المؤتمر الخامس صباح الثلاثاء في 22 اغسطس ، ثم انتخب موسى كاظم الحسيني رئيسا للمؤتمر وتوفيق حماد نائبا له . وتألفت سكرتارية المؤتمر

---

2 ـ لسان العرب ـ 295- 1922/8/30.

3 ـ لسان العرب ـ293 - 1922/8/28.

4 ـ اسعد منصور: تاريخ الناصرة ص 121

5 ـ انظر المقطم 1922/8/25.

من احمد الامام ، وجمال الحسيني ، وعزة دروزة[6] . وقدم الوفد تقريره عن مباحثاته في لندن ، وختمه بقوله ان « سياسة انجلترا الخاصة بالقضية الصهيونية لا تزال على حالها لم يحدث فيها تعديل جوهري ، وان صك الانتداب جاء معززا لها » . وان « الحكومة البريطانية لا تزال مصرة على تنفيذ سياستها غير ملتفتة الى عهودها للعرب ، ومصدر ذلك تفرق كلمة هؤلاء وتشتت شملهم » . وقدم اربعة اقتراحات تضمنت « تنمية التضامن بين العرب وتوطيده بطريقة عملية » من خلال العلاقات الاقتصادية والعلمية ، و « بذل الاهتمام لتوثيق عرى الاتحاد باخواننا العرب » ، وشكر الحسين على عنايته بالقضية العربية العامة والفلسطينية خاصة » ، وارسال وفد الى ملوك العرب وامرائهم لابلاغهم « الظلم الواقع ، والبحث عن فوائد الاتفاق والتفاهم[7] » . وطلب توفيق حماد من المؤتمر (تقرير مقاطعة مشروع روتنبرغ ، وعدم الاشتراك في انتخابات المجلس التشريعي ، ومقاطعة اليهود مقاطعة تامة ، فلا تباع لهم اراض ، وان يؤسس مصرف زراعي يشترك في اكتتاب فيه اهالي فلسطين المتخلفين والمهاجرين ، وتأسيس فروع للجمعية الاسلامية المسيحية في كافة نواحي فلسطين وقراها وتوحيد انظمتها)[8] .

ولقد اثار اقتراح مقاطعة اليهود اقتصاديا ثائرة طبقة كبار التجار واصحاب المصالح مع اليهود ، واشتد الجدل داخل المؤتمر ، وانقسم المجتمعون الى مؤيد ومعارض وكان على رأس المعارضين رشيد الحاج ابراهيم ، احد ممثلي حيفا ومن اوائل الذين انضموا الى الحزب العربي الموالي لبريطانيا ، وقال انه « لا يرى نفعا من المقاطعة » وانه « اذا كان لا بد منها فتكون بعد ستة شهور على الاقل[9] » .

---

6 ـ لسان العرب ـ 295 - 1922/8/30.
7 ـ امين سعيد: المصدر السابق ج3 ص 55 - 56
8 ـ لسان العرب ـ 292 - 1922/8/26.
9 ـ لسان العرب ـ 292 - 1922/8/28.

وتبنى المؤتمر 17 قرارا ، كان اهمها رفض دستور فلسطين (الصادر في 10 اغسطس) ومقاطعة انتخابات المجلس التشريعي ، وتأسيس مكتب عربي فلسطيني في لندن ، ومقاطعة اليهود في الشراء وبيع الاموال غير المنقولة ، ومشروع روتنبرغ ، وتنفيذ نظام مالي لجمع التبرعات ، كما قرر المؤتمر اعتبار اول المحرم عيدا وطنيا[10] . ووضع في ختام اجتماعاته الميثاق الوطني الفلسطيني الذي نصه : « نحن ممثلي فلسطين ، اعضاء المؤتمر العربي الخامس ، نقسم امام الله والامة والتاريخ ، بان نواصل المساعي المشروعة لتحقيق الاستقلال والاتحاد العربي ورفض الوطن اليهودي والمهاجرة الصهيونية » . ووقف موسى كاظم رئيس المؤتمر وقال « اعاهد الله والشرف والانسانية على مقاطعة المجلس التشريعي الذي قررت الحكومة انشاءه ، فهل تعاهدونني على ذلك ؟ » فوقف جميع الاعضاء صائحين « اننا نعاهدك على ذلك ، ولنفقد الاولاد والاحفاد اذا لم نقاطعه[11] » .

ان قرارات المؤتمر الوطني الخامس التي بلغت سبعة عشر قرارا ، تدل بصورة قاطعة على مختلف الاتجاهات التي سادت المؤتمر ، ولقد كان بامكان المؤتمر ان يتخذ قرارا واحدا يمكن ان يكون بديلا عن جميع تلك القرارات . فلو اكد على رفض الانتداب وشدد على ذلك ، لامكنه ان يحدد الطريق الصحيح للنضال الوطني ، كذلك فان الميثاق الوطني الذي وضعه المؤتمر الخامس لم يتعرض حتى لذكر كلمة الانتداب ، وهو الاساس الحقيقي للقضية الفلسطينية ، انما اكد على (المساعي المشروعة) كوسيلة (مثالية) للكفاح ضد الاستعمار البريطاني في فلسطين . وهذا كله يعكس صورة واضحة لتكوين القيادة والزعامة التقليدية التي تولت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين لفترة طويلة من الزمن .

---

10 ـ لسان العرب ـ 291 - 1922/8/25 المقطم 25- 1922/8/27

11 ـ امين سعيد : المصدر السابق ج3 ص 56، المقطم - 1922/8/27، عزة الدروزة المصدر السابق ج3 ص 43 - 45، اميل الغوري : المؤامرة الكبرى ص 35 - 36، ناصر الدين النشاشيبي : تذكرة عودة ص 277 - 278.

وقد عبرت التقارير البريطانية في هذه الفترة عن الحالة السياسية في فلسطين اصدق تعبير . فقد كتب الكولونيل ديدس في 15 سبتمبر 1922 يقول ان اعضاء الوفد الذين عادوا من لندن كانوا « موالين جدا للبريطانيين » ، وكانوا جميعا باستثناء توفيق حماد معتدلين ومعقولين . ومع انه كانت تهيمن على جو المؤتمر الرغبة في مقاطعة « انتخابات المجلس التشريعي المقترح ، الا انه ظهرت دلائل تشير الى امكان قيام حزب يبدي بالتدريج رغبته في التعاون مع الحكومة وتقديم مرشحين للانتخابات . ولم يكن ظهور هذا الحزب الجديد بدافع من الاعتبارات السياسية فحسب ، بل كان منبثقا من « العداءات العائلية البالغة الحدة والتي تعود الى اجيال بعيدة » بين آل الحسيني وآل النشاشيبي[12] .

اسفر فرض الانتداب على فلسطين عن ظهور انسلاخات بسيطة ، ثم انشقاقات في الحركة الوطنية ولقد كانت حفلة تنصيب هربرت صمويل في 11 سبتمبر 1922 كمندوب سام على فلسطين ، هي المحك الذي خرج على اثره انشقاق كبير ، تزعمته الاسرة النشاشيبية ، فاصبحت الاسرة ومن والاها في جانب ، والاسرة الحسينية ومن والاها في جانب آخر ، هو الجانب الوطني مع ما فيه من اعتدال الاسلوب النضالي . فقد دعا آل الحسيني ، والجمعيات الاسلامية المسيحية بصورة عامة ، الى اعلان الاضراب في البلاد كلها يوم 11 سبتمبر ، وعدم حضور حفل التنصيب ، لكن الذي حدث بالفعل ان راغب النشاشيبي كان على رأس قائمة الحاضرين الذين بلغوا 28 شخصية عربية[13] . ويلاحظ ان تسعة من الحاضرين كانوا رؤساء بلديات ،

12ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 202.

13 ـ الحاضرون هم : راغب النشاشيبي، الشيخ عمر زعيتر، الحاج نافع عبد الهادي، حيدر طوقان، عبد الرحمن الحاج ابراهيم، عبد الرحيم الحاج، احمد الشيخ مطر، عبد الفتاح السعدي، الشيخ عبد الله الجزار، الشيخ ياسين ابو السعود، الشيخ سعود العوري، الشيخ عطا الخالدي، عاصم السعيد، الشيخ مخلص الحموري، محمود ابو خضرة، الشيخ توفيق طهبوب، الشيخ عبد الحي الخطيب، عبد الفتاح العزة، الحاج سليم شنيتر، امين الخواجة، زكي نسيبة، علي المستقيم، امين عبد الهادي، قاسم اغا النمر، سعد الدين الخليلي، يعقوب فراج، يوسف البينا، حافظ العلمي. انظر لسان العرب ـ 306 - 1922/9/12.

ومفتي عكا ومفتي الشافعية بالقدس (ابو السعود) ، اما الباقي فكانوا من الوجاهات الرئيسية في مدن فلسطين . كما يلاحظ ايضا ان احدا من آل الحسيني لم يحضر الحفل المذكور مما رفع من سمعة ومنزلة الاسرة في البلاد .

وفي نفس الفترة ايضا حدث انسلاخ جديد ، تمثل في ظهور (الجمعيات الاسلامية الوطنية) ، وهي جمعيات مشبوهة ، ساعد في انشائها ومدها بالمال الخواجة كلفرسكي . ففي اوائل سبتمبر 1922 ،اصدر مؤسسو (الجمعية الاسلامية الوطنية) في القدس ، بيانا عاما[14] ، ضربوا فيه على وتر الدين حتى يمكن التأثير على الشعب واعتبروا تأسيس الجمعية واجبا وطنيا ، واكدوا ان الحكومة وافقت على قانون الجمعية الذي ينص على « قبول الانتداب البريطاني لفلسطين بشرط ان يراعي مركز الاكثرية الاسلامية ، وهي الاكثرية الساحقة في فلسطين ، والسعي لتأليف ذات البين بين العناصر المستوطنة فلسطين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، وازالة سوء التفاهم والشقاق » ، وبطبيعة الحال ليس بين العرب وبعضهم البعض ، بل بين اليهود والعرب ، ثم اورد البيان اهدافا اخرى اجتماعية وعلمية ، وذلك لتغطية الاهداف الاساسية للجمعية ، وحاولت الجمعية ان تبرر اهدافها من الناحية الدينية فاوردت ست آيات قرآنية وحديثين شريفين ، تحض جميعا على فعل الخير . وبررت الجميعة طلب الانتداب بان الزعماء « هم اول من وقع على هذا الطلب : اذا لم ترض جمعية الامم باستقلالنا التام » ، وما دامت جمعية الامم لم ترض بالاستقلال ، وقبلت الانتداب ، فلا بأس على مؤسس (الجمعية الاسلامية الوطنية) من القبول بالانتداب . والواقع ان هذا التبرير هو الذي نادى به الامير عبد الله حين قبل حضور حفل تنصيب هربرت صمويل في 11 سبتمبر . ومما لا شك فيه ايضاانه كان ذا دور فعال في تأسيس مثل هذه الجمعيات .

---

14 ـ الملحق رقم 30.

على ان هذه الجمعيات ، لم تتعد الثلاث في كل البلاد ، ولم تستطع ان تستقطب عناصر اخرى غير الذين قاموا على تأسيسها ، اذ اعتبرها الشعب خائنة ، وعميلة ، قامت على اموال الصهيونيين وتأييد الحكومة . ولذلك فانها لم تدم طويلا . لكن مؤسسيها حاولوا بعد ذلك تأسيس احزاب مشبوهة (احزاب الزراع) ، رفضها الشعب بالفعل لان مؤسسيها كانوا غير وطنيين .

ونشطت الحركة المعادية للانجليز في البلاد في سبتمبر ايضا ، بعد وصول اخبار انتصارات مصطفى كمال على اليونانيين في ازمير . ففي 14 سبتمبر احتفلت نابلس بانتصار (الغازي) مصطفى كمال ، وقامت مظاهرة صاخبة في المدينة[15] ، وفرقها البوليس بالقوة ، والقى القبض على ثلاثة اشخاص ، دفع كل واحد منهم خمسة جنيهات غرامة[16] . وقررت اللجنة التنفيذية في 14 اكتوبر 1922 ، بعد قبول الحلفاء الدخول في معاهدة صلح مع الاتراك ارسال وفد الى الاستانة ولندن ولوزان لعرض قضية البلاد[17] . وقد شجعها على ذلك استقالة وزارة لويد جورج الائتلافية بعد فوز المحافظين ، الذين كانت في داخلهم كتلة مناهضة للصهيونية وايدتها صحف التايمز والديلي ميل .

وثابرت اللجنة التنفيذية من جهة اخرى على تنفيذ مقررات المؤتمر الخامس . ففي جلستها في اول سبتمبر ، وافقت على عقد جلسة في كل شهر دون تحديد مدة انعقادها ، وطبع صورة اعضاء الوفد (الاول) وبيعها بقرشين للانفاق على المشاريع الوطنية. وقد احيلت مسألة طبع (طوابع وطنية) الى جمال الحسيني وشبلي الجمل ، اللذين اخذا على عاتقهما طبعها في لندن . وقررت تأليف لجنة من كبار التجار لوضع خطة مقاطعة

---

15 ـ لسان العرب ـ 309 - 1922/9/15.

16 ـ لسان العرب ـ 312 - 1922/9/19.

17 ـ تشكل الوفد من : موسى كاظم، امين التميمي، توفيق حماد، شبلي الجمل، الشيخ عبد القادر المظفر، وسافر في 6 نوفمبر الى مصر، ووصل الى الاستانة في 13 منه.

اليهود ، طالبة من الاهالي معاضدتها[18] . وتشير (لسان العرب) الى ان اللجنة باشرت بيع (صورة الوفد الاول) صباح 21 سبتمبر ، وانها باعت في ذلك اليوم نحو 250 صورة في القدس ، وان (الهمة مبذولة لتعميم هذا المشروع في انحاء فلسطين[19] » . واستمرت اللجنة من جهة اخرى في تقديم الاحتجاجات على ما قدمته الحكومة من اراضي الدولة لليهود . وانصرفت جهود بعض الوطنيين الى محاولة التوفيق بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي ، ولكن بدون جدوى . وفي ديسمبر 1922 « عقد اجتماع في النادي العربي بحثت فيه الفوائد المرتقبة من قيام حركة ثورية عند هذا المفترق من الطرق ، ولكن السيد جميل الشهابي احد الاعضاء ، ارتأى ضرورة انتظار وصول انباء من الوفد[20] » ، الذي سافر الى الاستانة ولندن ولوزان .

وهنا تبنى هربرت صمويل موقفا جديدا نحو المعارضة الفلسطينية عندما انتهج سياسة التشجيع على قيام حزب معتدل . ففي دراسة اعدها عن الظروف السياسية والاقتصادية في فلسطين ، حث صمويل وزير المستعمرات الجديد ديفونشاير Devonshire على مواصلة انتهاج سياسة سلفه (تشرشل) في فلسطين كوسيلة لخلق استقرار سياسي ، مع العمل على تعزيز قوة العناصر الموالية للحكومة في صفوف العرب ، فقال اذا عاد الوفد الحالي الى فلسطين دون ان يحقق شيئا في لوزان ولندن واقترنت عودته باعادة التأكيد على السياسة السابقة ، فان الحزب المعتدل يتشجع كثيرا ، وتنحط سمعة حركة الامتناع عن التعاون ، وتزداد فرصة نجاح الجهود التي سأبذلها عندئذ في اتجاه مشاركة عامة في الانتخابات[21] » . وقد قابل وزير المستعمرات الوفد في لندن يوم الخميس في 12 يناير 1923 ، واستغرقت

---

18 ـ لسان العرب ـ 303 - 1922/9/8.

19 ـ لسان العرب ـ 315 - 1922/9/22.

20 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 204.

21 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 204 - 205.

المقابلة « ساعة واحدة ، بسط الوفد في اثنائها آراءه بصراحة امام وزير المستعمرات . فاجاب الوزير الوفد ان قضية فلسطين سينظر فيها من قبل حكومة جلالة الملك بدون محاباة ، ولكنه لا يأمل وقوع اي تغيير في خطة حكومة جلالته الاخيرة المعينة في الكتاب الابيض الصادر في يونيه 1922 »[22] . وهكذا نفذ ديفونشاير وصية هربرت صمويل . ومع ذلك اشتدت المعارضة في جميع انحاء فلسطين ، خلال يناير وفبراير ، لانتخابات المجلس التشريعي .

وكان جمال الحسيني ، سكرتير اللجنة التنفيذية قد نشر بيانا جعل عنوانه (دعوة عامة للامة العربية الفلسطينية)[23] في ديسمبر 1922 ، شرح فيه الازمة الاقتصادية التي تمر بالبلاد ، وان الحكومة المحتلة « لم تقم بشيء محسوس لتلافي هذه الحالة السيئة ، ولم تعمل شيئا لانماء وحماية الموارد التي ترتكز عليها اقتصاديات البلاد » . ودعا الى عقد « مؤتمر اقتصادي زراعي في اقرب مدة يصير الاتفاق عليها » . وطلب الى كل فرد من افراد الشعب ارسال « ما يعن له في هذا الامر لمكتب اللجنة التنفيذية في القدس ، او ينشره على صفحات الجرائد الوطنية ، تنويرا للاذهان وتنبيها لافكار الذين سيعقدون هذا المؤتمر » . وبالفعل عقد المؤتمر في اول فبراير 1923 ، وانتخب له لجنة تنفيذية مرتبطة باللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الخامس . وتقرر ان تتعاون اللجنتان في الشؤون الاقتصادية والسياسية على السواء . كما تقرر مطالبة الحكومة بالغاء بعض الضرائب والعوائد بقصد تشجيع زراعة الدخان وغرس الاشجار وفتح مدرسة زراعية ، واعادة تأسيس البنك الزراعي ، ولكن اهم القرارات كان « مطالبة الحكومة بسن قانون يحظر على الفلاح بيع ارضه اذا كانت مساحتها تقل عن 200 دونم بغية تأمين اسباب الحياة له » وذلك على اساس مشابه لقانون الخمسة افدنة

22 ـ بلاغ رسمي في فلسطين ـ 88/547 - 1923/1/19، المقطم 1923/1/18.
23 ـ انظر الملحق رقم 31.

في مصر[24] .

وفي محاولة للتأثير ، دعا هربرت صمويل كلا من حافظ طوقان ، عبد القادر المظفر ، عوني عبد الهادي ، ابراهيم شماس عيسى بندك ، وجمال الحسيني للاجتماع به يوم الثلاثاء في 6 فبراير 1923 . وشرح الظروف السياسية التي احاطت بعقد مؤتمر لوزان في تركيا وفي لندن ، ثم قال ان « الحوادث الاخيرة في تركيا ولوزان ولندن لم تحدث تبديلا ما (في القضية الفلسطينية) ، ولا تزال الحالة على ما كانت عليه سابقا ، وقد وضحت تماما للشعب الفلسطيني » . ثم تكلم عن انتخابات المجلس التشريعي والتي تتم في الاسبوع الاول من مارس ، واضاف « واني ارغب من صميم الفؤاد ان تشترك طبقات الشعب كلها في هذا الانتخاب » ، وان « مشروع عدم الاشتراك في الانتخابات اتبع في بلاد متعددة وفي ازمنة مختلفة في قبرص وجمايكا والهند ففشل » . ثم قال « ان بقاء الحكومة (اي البريطانية) امر لا بد منه ويجب ان نبقى ، والتأثير الوحيد هو ان الذين لا يشتركون في الانتخابات يفقدون ما لهم من النفوذ والتأثير على مجرى التشريع والادارة . وقد دلت الاختبارات على ان احسن واسطة لترقية مصالح الشعب هي في داخل التشريع لا خارجه[25] » . ورد حافظ طوقان باسم المجتمعين قائلا ان « المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس قد بحث في امر الدستور وهذا المجلس (اي التشريعي) بحثا دقيقا ، ثم قرر رفضه ومقاطعة الانتخابات للمجلس التشريعي لانه فرع منها . وقد اكدت الامة ارتياحها لهذا القرار وقدمت بذلك مضابطها في عموم الجهات . اما التفرعات التي دخل فيها المندوب السامي فيمكن الاجابة عليها في وقت اخر[26] » . ويبدو ان رد حافظ طوقان معتمد الجميعة الاسلامية المسيحية بنابلس ، قد شجع هربرت

---

24 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص Hans Kohn, op. cit., p. 143,206

25 ـ بلاغ رسمي ـ المقطم، الاحد 1923/2/11.

26 ـ من بيان اللجنة التنفيذية، فلسطين ـ 95/554 - 1923/2/13

صمويل على شق حركة المقاطعة للمجلس التشريعي ، فكتب في 11 فبراير الى وزير المستعمرات يقول انه تلقى عرضا باسم قطاعات هامة من العرب ابدت استعدادها للتخلي عن معارضة تصريح بلفور والتقدم للتعاون مع الحكومة وخوض معركة الانتخابات اذا توفرت الشروط التالية :

1) تحديد العدد السنوي للمهاجرين (اليهود) .

2) زيادة عدد الاعضاء العرب الذين يعينهم المندوب السامي في المجلس التشريعي بحيث يجري اختيار العدد الاضافي المطلوب من بين قوائم تقدمها للمندوب السامي الهيئات المحلية ، وبحيث يشكل مجموع عدد الاعضاء العرب المعينين ، مضافا الى الاعضاء الذين ينتخبهم الشعب اكثرية اعضاء المجلس .

3) بقاء الموظفين البريطانيين محتفظين بجوهر السلطة التنفيذية ، على ان يزداد في المستقبل عدد الفلسطينيين الذين يشغلون مناصب ادارية هامة زيادة كبيرة .

4) تعيين امير عربي لفلسطين مع احتفاظ المندوب السامي بسلطاته الحالية .

ومع ان هربرت صمويل اعترض على الشرط الأخير كما ابدى بعض التحفظات الاخرى الا انه اقترح مواصلة الحوار في انتظار ورود قرار ايجابي من وزير المستعمرات . غير ان جواب وزير المستعمرات في 16 فبراير لم يكن مشجعا[27] ، واعتبر ذلك كله انتصارا للحركة المناوئة لانتخابات المجلس على العناصر الموالية للحكومة البريطانية .

وفي يوم الاربعاء 14 مارس 1923 ، قدمت الى القدس وفود مختلفة من كافة انحاء فلسطين ، وتجمعت في المحطة لاستقبال الوفد العائد من لندن ، « واخذت في انشاد الاناشيد الوطنية ، وتدخل البوليس البريطاني

---

27 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 206 - 207.

بحجة ان هذه الاناشيد ضد اليهود ومؤيدة للاتراك ، وقبض على بعض الشباب » ، ذلك ما صرح به اورمسبي غور وكيل وزارة المستعمرات في مجلس العموم في 19 مارس[28] . ولكن الحقيقة ان هذه المسيرة الشعبية كانت تعبيرا صادقا عن روح العداء للاستعمار البريطاني ، وردا على الاستقبال السيء الذي استقبل به وزير المستعمرات ، ديفونشاير ، الوفد الفلسطيني .

وكان اقتراب موعد موسم النبي موسى ومهرجاناته فرصة اتيحت للجنة التنفيذية لكي تضغط على الحكومة وتثبت مدى قوتها . ولكنها بدلا من ان تفعل ذلك اتخذت « ترتيبات عامة تكفل السيطرة على الجماهير والمواكب » . وكان جمال الحسيني قد قال لديدس ، السكرتير المدني ، في مقابلة خاصة جرت في مارس 1923 ، ان هناك واحدا من طريقين للوصول الى الحقوق السياسية الكاملة في فلسطين : « اما الوسائل الدستورية او الثورة . وان الوسيلة الاولى هي المفضلة وان كانت الوسيلة الثانية تكفل حصول الفلسطينيين على ما يطلبونه بحق ، في غضون ستة اشهر » . والواقع ان جمال الحسيني قد عبر بصدق عن الاسلوب الافضل من وجهة نظر الزعامة التقليدية في فلسطين .

وفي ابريل 1923 ، اجرى جمال الحسيني مقابلة مع احد اعضاء الحكومة قال خلالها ان اللجنة التنفيذية تتعرض لضغط من جهات عديدة بقصد الدعوة الى عقد مؤتمر عربي (فلسطيني) وتحديد الموقف الذي ينبغي ان تتبناه البلاد بكاملها نحو الحكومة . وبالاضافة الى ذلك « كان هناك قطاع كبير من الرأي العام يعطف على الامتناع عن دفع الضرائب ، باعتبار ذلك الخطوة التالية التي ينبغي اتخاذها دون توجيه مزيد من النداءات الى انجلترا والحكومة البريطانية . وقال انه هو شخصيا لا يعطف على سياسة الاندفاع نحو سياسة عدم دفع الضرائب ، بل هو يفضل توجيه نداء آخر الى

28 _ P.D. vol. 161, col. 2097

انجلترا[29] » .

وفي اواخر مايو تيقن هربرت صمويل من فشل تأسيس مجلس تشريعي ، فأصدر في 29 مايو 1923 بلاغا رسميا اعلن فيه تأسيس مجلس استشاري جديد ، عين له عشرة من العرب هم : عارف الدجاني ، اسماعيل الحسيني ، راغب النشاشيبي ، عبد الفتاح السعدي ، امين عبد الهادي ، محمود ابو خضرة ، الشيخ فريح ابو مدين ، سليمان عبد الرازق طوقان ، سليمان ناصيف ، وانطون الجلاد[30] . ولكن اللجنة التنفيذية مارست ضغطا شديدا على الاعضاء العرب في المجلس الاستشاري من اجل تقديم استقالاتهم ، وبالفعل انسحب الاعضاء من الجلسة الاولى التي عقدت في 12 يونيه ، وقدموا استقالاتهم[31]

والواقع ان الظروف السياسية التي مرت بالبلاد في اواخر مايو واوائل يونيه 1923 ، كانت تستدعي عقد مؤتمر وطني فلسطيني. فبالاضافة الى تشكيل المجلس الاستشاري الجديد ، كانت هناك مفاوضات بين انجلترا والحسين من اجل عقد معاهدة ، وكانت الفقرة الثانية من المادة الثانية من مشروع المعاهدة تتعلق بمركز الحكومة البريطانية « الخاص » في فلسطين وشرق الاردن والعراق . وبالفعل نشرت حكومة فلسطين مشروع المعاهدة في شكل بيان رسمي في 5 يونيه 1923 . وقد اثار هذا العمل ثائرة اللجنة التنفيذية ، فأرسل موسى كاظم الى الامير عبد الله يستفسر منه عن مشروع المعاهدة . فرد عليه الامير بكتاب في 6 يونيه[32] ، اكد فيه ان « المعاهدة لم تبرم حتى الآن » ، وان « القول الفصل بشأن فلسطين هو بين الفلسطينيين الذين هم الجزء الحساس في الجسم العربي » . يضاف الى هذا كله رغبة اللجنة التنفيذية في فتح الحوار مرة اخرى مع الحكومة البريطانية حول مصير

---

29 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 207 - 208.

30 ـ انظر المقطم 1923/6/2.

31 ـ المقطم 1923/6/15.

32 ـ الرسالة في الشرق العربي ـ 3 - 1923/6/11.

فلسطين . وانعقد المؤتمر الفلسطيني السادس في ظل هذه الظروف السياسية جميعها .

المؤتمر الفلسطيني السادس (يونيه 1923)

دعت اللجنة التنفيذية الى عقد هذا المؤتمر في يافا في يوم السبت 16 يونيه 1923، واستمرت اجتماعاته حتى العشرين من الشهر المذكور. وكان اعضاؤه في معظمهم ممن اشترك في المؤتمرات الخمس السابقة، بالاضافة الى بعض عناصر الشباب التي اخذت تبرز في الحياة السياسية في فلسطين. وانتخب موسى كاظم رئيسا للمؤتمر، وتوفيق حماد وميشيل بيروتي نائبين للرئيس، ثم رحب عمر البيطار باعتباره رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا، بأعضاء المؤتمر باسم المدينة[33]. وقدم سكرتير الوفد الفلسطيني الثاني الى لوزان ولندن تقريرا عن اعماله[34]. ثم دار البحث حول المسألة الهامة الاولى وهي المعاهدة الحجازية البريطانية، فقرر المؤتمر رفض المعاهدة لانها «مخالفة للعهود المقطوعة للعرب ولحقوق الشعب الفلسطيني»، كما قرر «رفض كل مشروع لا يتضمن تحقيق مطالب الامة[35]».

اما المشكلة الثانية التي ناقشها المؤتمر فكانت قضية الامتناع عن دفع الضرائب للحكومة. وقد تبنى جمال الحسيني، في خطاب طويل مدعم بالحجج القوية، الدفاع عن سياسة الامتناع عن دفع الضرائب، ويبدو انه غير موقفه على اثر انتشار هذه الدعوة بين طبقة الفلاحين في البلاد. فقد قال مبررا دعوته ان الحكومة تجمع الضرائب وتوزعها على الجمعيات الصهيونية والمهاجرين اليهود، وان الحكومة امتنعت، بضغط من الصهيونيين، عن تزويد المزارعين العرب بالقروض الزراعية، الامر الذي يتسبب في قتل الفلاح اقتصاديا. وان المندوب السامي يمنح الاراضي والامتيازات لليهود

---

33 ـ المقطم 1923/6/17.

34 ـ وثائق المقاومة ص 69 - 72.

35 ـ امين سعيد: المصدر السابق ج3 ص 56 - 57.

دون استشارة العرب. واختتم خطابه بطلب محدد وهو ان تنظر اللجنة الاقتصادية في امر الامتناع عن دفع الضرائب مستندة الى مبدأ « لا ضرائب بدون تمثيل ». وفي اللجنة الاقتصادية نشبت خلافات عدة، وتقرر في النهاية احالة « درس موضوع مقاطعة الضرائب الى اللجنة التنفيذية وتطبيقها عند مسيس الحاجة، بعد استشارة وفود البلاد او مؤتمرها[36] »: ولقيت الفكرة معارضة في الاجتماع العام على اساس انه من المتعذر تنفيذها دون احداث ثورة، وان من العبث ان يؤمل بنجاح ثورة ضد الحكومة البريطانية في بلد صغير وفقير كفلسطين. ويتضح موقف الزعماء الذين امتنعوا عن تأييد سياسة (عدم دفع الضرائب) مما كتبه حاكم السامرة (نابلس) في يونيه 1923، فقال « قبل ان يجري عقد المؤتمر تلقيت من رئيس البلدية (عمر زعيتر) ضمانات بان لا يتبنى المؤتمر اية قرارات تدعو الى الامتناع عن دفع الضرائب. ولقد اخبرني ان الحاج سعيد الشوا (اكبر ملاك في جنوب فلسطين) حريص جدا على ان لا يتبنى المؤتمر قرار الامتناع عن دفع الضرائب، لانه ملاك كبير للاراضي، وسيكون اول من يعاني من اي اجراء قد تتخذه الحكومة[37] ».

وكانت حصيلة قرارات المؤتمر بعد خمس جلسات 27 قرارا[38]، تضمن اهمها اعلان « مقاطعة مشروع روتنبرغ »، و« احالة النظر في امر مقاطعة اليهود الى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاقتصادي »، و« طلب الافراج عن مسجوني ثورة يافا والقدس »، و« مقاطعة كل شخص يقبل عضوية المجلس الاستشاري »، و« الابراق الى وزارة المستعمرات بان اهالي فلسطين غير راضين عن الحالة الحاضرة »، و« استنهاض همم المهاجرين في امريكا لتنفيذ فكرة تأسيس المصرف (البنك) الزراعي الوطني في فلسطين، والسعي لاجتذاب رؤوس اموال من مصر والمهاجرين في

---

36 ـ القرار الرابع من قرارات المؤتمر. المقطم الاحد في 1923/6/24.
37 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 209 - 210.
38 ـ المقطم 1923/6/24.

امريكا، لمشاريع اقتصادية ».

وفي الجلسة الخامسة للمؤتمر، وكانت في 20 يونيه، اتفق على ارسال وفد الى اوروبا، برياسة موسى كاظم، وعضوية امين التميمي ووديع البستاني[39] . كما اتفق على تأليف لجنة تنفيذية للمؤتمر السادس تكونت من 21 عضوا[40] . اما موقف الحكومة البريطانية من المؤتمر، فقد اعتبرته « مؤتمرا غير رسمي ». صرح بذلك اورمسبي غور وكيل وزارة المستعمرات في 25 يونيه[41] ، كما اكد هو نفسه في 9 يوليو ان « قرارات مؤتمر يافا غير ملزمة للادارة في فلسطين[42] ». ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان هربرت صمويل غادر البلاد يوم 20 يونيه لقضاء اجازته في انجلترا[43]، وعاد الى فلسطين في 18 سبتمبر 1923[44]. اي انه كان في لندن في الفترة التي قضاها الوفد الثالث في محادثاته هناك، بين 23 يوليو و13 سبتمبر 1923، وذلك للعمل على تعطيل محادثات الوفد، وعدم تمكينه من الحصول على اي وعد من الحكومة البريطانية بادخال تعديلات ظاهرية على سياستها ازاء فلسطين.

الوفد الفلسطيني الثاني الى لندن (يوليو ـ سبتمبر 1923)

غادر الوفد القدس في 15 يوليو 1923، ووصل لندن في 22 منه، وغادرها في 14 سبتمبر. وقد حاول خلال هذه المدة (من 7/23 ـ 1923/9/13) مقابلة اللجنة الوزارية المكلفة ببحث المشكلة الفلسطينية،

---

39 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 96 - 97.

40 ـ المقطم 1923/6/23. تألفت اللجنة التنفيذية من: موسى كاظم، امين التميمي، وديع البستاني، توفيق حماد، حافظ طوقان، عمر البيطار، شكري التاجي الفاروقي، عبد القادر المظفر، خليل السكاكيني، عوني عبد الهادي، رفيق التميمي، سليم عبد الرحمن، حسين العبيد الزعبي، اسعد الحاج يوسف، طاهر الطبري، طالب مرقة، ابراهيم ابو رقيق، حسن السعدي، عيسى شطارة، عيسى البندك، جمال الحسيني، انظر الشورى 1924/12/31.

41 ـ P.D. vol. 165, col. 1911

42 ـ P.D. vol. 166, col. 900

43 ـ المقطم 1923/6/22.

44 ـ المقطم 1923/9/20

لكنه لم ينجح في ذلك، لانه « لم يكن لها (اي اللجنة الوزارية) ان تقابل الوفد لاسباب رسمية اعلنت في الصحف في 17 اغسطس، وهي ان هذه اللجنة، مثل كل لجنة وزارية اخرى، لا يجوز لها ـ بموجب التقاليد والاصول المرعية ـ ان تقابل احدا من غير الموظفين الرسميين البريطانيين ». ولكن الوفد نجح في تقديم مذكرتين في 24 يوليو و22 اغسطس، الى المستر بولدوين، رئيس الوزراء، عرض فيهما « انشاء حكومة وطنية نيابية دستورية في فلسطين، على اساس العهود البريطانية العربية القائمة على روابط المصلحة والمودة بين البريطانيين والعرب[45] ». ونشر الوفد بيانا في المقطم في 31 اغسطس 1923، استنكر فيه محاولة الحكومة تأسيس مجلس استشاري جديد، وقال « فنحن الوفد العربي الفلسطيني المتكلم باسم هذه الاكثرية الساحقة (أي 700 الف عربي) نحتج بكل شدة على مواصلة مثل هذه المحاولات ومثل هذه السياسة. ونكرر ايضا ان غرضنا من القدوم الى لندن هو الرغبة في تنوير الحكومة البريطانية والشعب البريطاني عن حقائق الحال في فلسطين، والدفاع عن مصالح شعبنا وحقوقه، ورفض كل مشروع غير متفق مع تلك العهود والمصالح، التي قطعت العهود للاعتراف بها، ولتأييدها من قبل بريطانيا العظمى. وان اعتقادنا الثابت الراسخ في الاخلاص هو ان المبادرة الى انشاء حكومة نيابية وطنية في فلسطين، هو الدواء الوحيد للحالة الحاضرة ».

ومع كل ذلك فشل الوفد في مهمته، ووصل الى القدس مساء 26 سبتمبر 1923[46]. وبعد ثلاثة ايام من وصوله، اي في 29 سبتمبر، اصبح صك الانتداب البريطاني لفلسطين نافذ المفعول. ولم تحرك اللجنة التنفيذية ساكنا، اللهم الا عقدها اجتماع في 2 اكتوبر لسماع بيان الوفد الثاني

---

45 ـ من بيان الوفد الثالث امام اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس في 8 اكتوبر 1923. انظر المقطم 1923/10/10.

46 ـ المقطم 1923/9/28.

عن نشاطاته في لندن، مما سمح للعناصر المناوئة للتيار الوطني، والعناصر الموالية للسياسة البريطانية، بالظهور على مسرح الحياة السياسية في البلاد. وقد اخذت هذه العناصر في الكشف عن وجهها ونواياها تدريجيا، واصبحت سافرة بعد رفض اللجنة التنفيذية مشروع (الوكالة العربية) التي عرضها هربرت صمويل في 13 اكتوبر. وكان عليها ان تسعى لتأليف كتلة جديدة اطلقت عليها اولا (الحزب الحر المعتدل) ثم اسمته في النهاية (الحزب الوطني).

الحزب الوطني

ان الخلافات التي حدثت في جلسات المؤتمر السادس حول (سياسة الامتناع عن دفع الضرائب) و (مقاطعة اليهود)، تعطي صورة واضحة ودلالة اكيدة على بداية انحراف بعض الزعامات التقليدية عن التيار الوطني. وزاد نشاط هذه الزعات وتقاربها بعد سفر الوفد الثاني الى لندن في 15 يوليو 1923. فبدأت المقطم منذ النصف الثاني من يوليو، تتكلم عن «حزب سياسي جديد يسمى (الحزب الحر المعتدل)يشبه الحزب العدلي (الاحرار الدستوريين) في مصر، وغايته مفاوضة الحكومة البريطانية مباشرة والاتفاق معها على تسوية القضية الفلسطينية بعد ان طال الاخذ والرد. ويناصر الحزب الجديد جريدتا الكرمل (نجيب نصار) ومرآة الشرق (بولس شحادة)، ويعطف عليه بعض المفكرين الذين يرون ان من مصلحة فلسطين الاتفاق على تسوية مرضية مع بريطانيا[47] ». وانكر نجيب نصار في رسالة مؤرخة في 20 يوليو 1923، بعث بها الى المقطم، انتسابه الى الحزب[48]، ورد مراسل المقطم من القدس في 22 يوليو على بولس شحادة، مؤكدا ان خبر تشكيل الحزب صحيح[49]. واورد المقطم مقالا للشيخ عبد القادر

---

47 ـ المقطم 1923/7/18.

48 ـ المقطم 1923/7/24.

49 ـ المقطم 1923/7/29.

المظفر في يوم السبت 28 يوليو، اتهم فيه اعضاء الحزب بالخيانة. وعاد الحديث مرة اخرى عن الحزب بعد عودة الوفد الثاني من لندن (سبتمبر 1923) وفشله[50]. واكد جلبرت كلايتون، الذي اصبح سكرتيرا مدنيا محل ديدس، والخبير بالشئون العربية، في تقريره عن شهر سبتمبر انه « بدأت تظهر في الافق علائم العمل على تشكيل حزب اطلق على نفسه اول الامر اسم الحزب الحر المعتدل ثم عاد فغير اسمه الى الحزب الوطني. اما سياسته المعلنة فهي وان كانت وطنية، الا انها تتعارض مع سياسة الجمعيات الاسلامية المسيحية، من حيث انها ترى تحقيق اهدافها من خلال التعاون مع الحكومة لا معارضتها[51] ».

وقد نشرت جريدة (مرآة الشرق) في اول اكتوبر 1923 خلاصة مبادىء الحزب الوطني وهي (السعي للوحدة العربية، وعدم الاعتراف بوعد بلفور ومقاومته، سن دستور مطابق لنزعات الامة واحوالها ورفض الدستور الذي وضعته الحكومة، تأليف مجلس نيابي، تشكيل حكومة وطنية وقبول ما يمكن الحصول عليه من الحكومة). وأخذت (مرآة الشرق) و (الكرمل) تدعوان بعد ذلك للحزب الوطني، وتنشران اهدافه. كما اخذ مؤسسو الحزب يطوفون البلاد للدعوة اليه. وفي 9 و10 نوفمبر 1923، عقد الحزب الوطني مؤتمره الاول في القدس، وحضره الكثير من الوجهاء بزعامة عارف الدجاني، الذي عرف بعدائه للجمعيات الاسلامية المسيحية. وانتخب الشيخ سليمان التاجي الفاروقي رئيسا، وعبد الله مخلص (احد اعوان نجيب نصار في تأسيس الحزب العربي الموالي لبريطانيا) سكرتيرا. كما انتخبت لجنة تنفيذية من ثمانية اعضاء من بينهم راغب النشاشيبي، و(لجنة مركزية للاشراف) من 20 عضوا. واكد المقطم ان عدد الاعضاء بلغ 120 عضوا[52]، لكن الذين حضروا المؤتمر فعلا 83 عضوا[53]. واختيرت جريدة

---

50 ـ المقطم 1923/9/29.
51 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 212.
52 ـ المقطم 1923/11/11.
53 ـ فلسطين ـ 71/629 - 1923/11/13.

(مرآة الشرق) لتعبر عن اتجاهات الحزب وميوله. ثم نشر الحزب برنامجه السياسي في سبع نقاط[54]، ولم يتعرض للانتداب والحكومة البريطانية بكلمة واحدة، حتى ولا لذكر كلمة الاستقلال. وقد وصف هربرت صمويل مؤسسي الحزب بأنهم « تواقون لحياة هادئة ولا يودون التورط في صراعات سياسية، فهم يرغبون في زيادة ثرواتهم، ويعتقدون ان الادارة والسيطرة البريطانية في الوقت الراهن، هما خير ما يمكن ان يجعل البلاد وانفسهم اكثر ازدهارا. وبعضهم مدفوعون الى مواقفهم هذه بدوافع اقوى، ناجمة عن الحزازات داخل صفوف معسكر المعارضة (اي الجمعيات الاسلامية المسيحية). وهناك من يعتقدون انهم قد يظفرون بمزايا وفوائد مباشرة اوغير مباشرة من خلال الوقوف الى جانب الحكومة[55] ». وذكر دروزة ان هذا الحزب ظهر « كحزب معارض للسياسة السلبية التي سارت عليها المؤتمرات والجمعيات الوطنية، وقد لمست يد انجلترا في هذا الحزب قوية حيث لعب كلايتون دورا هاما في ظهوره ». وكانت خطة الحزب تقوم على اساس (خذ وطالب). اما الذين اتصل بهم كلايتون فكانوا « ممن لم يرضوا في قرارة نفوسهم عن مقاطعة المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري، ولكنهم لم يجرؤ وا على معارضة التيار الجارف، وممن كانوا ناقمين من بروز منافسيهم المحليين في الحركة الوطنية، وممن كانت مصالحهم العائلية تدفعهم الى الوقوف في موقف يضمن لهم هذه المصالح ». ولقد اشترك فيه « رؤساء البلديات واعضاء لجان حكومية واعضاء سابقون في المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري وبعض الوجهاء. واشترك فيه كذلك بعض اشخاص كانوا مندمجين في الحركة الوطنية بل وبارزين في مؤتمراتها ولجانها التنفيذية، ثم نقموا وشذوا استجابة لداعي الانانية[56] ». ومن اطرف التعليقات على الحزب وبرنامجه ما اوردته جريدة (النظام) القاهرية

---

54 ـ انظر الملحق رقم 32.

55 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 214.

56 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 47 - 49.

اذ قالت « ربما اشبه ما قرره الحزب الجديد ببرنامج الاحرار الدستوريين عندنا. . . مقررات خلابة جذابة ولكن ينطبق عليها وأسفاه قول الشاعر:

يا صاحب القبر المنقش سطحه   ولعله من تحته مغلول[57]

وتعرض الحزب الجديد بعد اعلان برنامجه لنقمة الشعب وغضبه. فقد استنكر المسلمون الذين كانوا في الحرم الشريف يوم الجمعة في 16 نوفمبر 1923 هذا الحزب وهتفوا ضده[58]. وأصدرت (اللجنة الفلسطينية بمصر) بيانا استنكرت فيه تأسيس الحزب، ووصفت مؤسسي الحزب بانهم نفذوا « اكبر رغبات العدو بشق وحدة الامة وتمزيق كلمتها[59] ».

هذا انشقاق جديد في الحركة الوطنية، ايده اصحاب المصالح المرتبطة مع الاستعمار البريطاني، وغذته بعض العناصر المسيحية في البلاد، تلك العناصر التي خافت من انتصارات مصطفى كمال، كما خافت من الدعوة الى الوحدة الاسلامية التي بدأت تظهر بين أوساط المثقفين المسلمين في البلاد. وقد اضعف هذا الانشقاق من نشاطات الجمعيات الاسلامية المسيحية في فلسطين. ولذلك طاف موسى كاظم، ومعه بعض اعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس، مدن فلسطين « لتثبيت الناس على معاضدة اللجنة التنفيذية والجمعيات الاسلامية المسيحية، وتنفيرهم من الحزب الوطني[60] ». كما قررت اللجنة التنفيذية في 24 نوفمبر اعادة انتخاب الجمعيات الاسلامية المسيحية لمواجهة ازدياد التأييد للحزب الوطني. وقد اختارت منها لجنة لترتيب الانتخاب والاشراف عليه. فأعلنت ان « الانتخاب يبدأ من صباح يوم الجمعة 30 نوفمبر، وان لكل من بلغ 25 سنة فما فوق ان ينتخب. وقسمت الناس الى اقسام(1) متعلمين (2) تجار (3) اصحاب مهن. وجعلت لكل شخص ان ينتخب ثلاثة من طبقته، يكتب

57 ـ النظام ـ 11874 - 1923/11/16.
58 ـ المقطم 1923/11/18.
59 ـ الاهرام 1923/11/19
60 ـ المقطم 1923/11/29.

اسماءهم في رقعة، ويمضيها (يوقعها) ثم يدفعها للمشرفين. وبعد ان يتم الانتخاب تجمع الاصوات، وتكون جماعة من اكثرهم اصواتا، وهذه الجماعة تنتخب الجمعية الاسلامية المسيحية[61] ». لكن هذه العملية لم تتم كما كان مقررا لها، لان الحزب الوطني دفع ببعض عملائه لتخويف الناس وتثبيط هممهم وتنفيرهم. ومع ذلك نجح موسى كاظم في جولته، اذ تلقت اللجنة التنفيذية استقالة جماعية وقع عليها 12 عضوا من الذين حضروا المؤتمر الاول للحزب الوطني[62]، ثم قدم كل من الشيخ سعود العوري، الشيخ عبد الرحمن العلمي، وعبد الرحمن الغزاوي استقالاتهم من الحزب. وقدم اهالي قرى عبوين، البيره، صرده، فشه، دورة الشمالية، جفته، عرائض ضد الحزب، واعلنوا تأييدهم للجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني السادس[63]. ومع ضعف الحركة الوطنية، استمر الحزب يمارس نشاطاته المشبوهة حتى عام 1928، وكانت له مواقف خاصة زادت من تمزيق الوحدة الوطنية المطلوبة.

حزب الزراع

وحدث في نفس الفترة انسلاخ آخر، كان اقل تأثيرا، لكنه اوسع نشاطا واكثر فروعا، ذلك هو (الحزب الزراعي)، او (حزب الزراع)، وقد اطلق عليه في بداية تشكيله (الحزب القروي). وذكر دروزة ان تشكيل هذا الحزب كان يحمل في باطنه « فكرة التفريق بين المدينة والقرية، والمدني والفلاح، وتغذى بدعاية خبيثة تستهدف ايقاظ الريبة وسوء الظن في الفلاح نحو المدني »، واضاف « وقد لمست ايدي موظفي الحكومة من انجليز وعرب في هذه الحركة، وشوهدت مشاهد واتصالات متنوعة بينهم وبين القائمين بهذا الحزب. . . ولم يترك اليهود التشكيلة (يقصد الحزب) وشأنها، فقد رأوا فيها مجالا للدس واللعب والنفوذ الى ضمائر الطامعين من

61 ـ المقطم 1923/12/1.

62 ـ انظر اسماءهم في القبلة ـ 742 - 1923/12/3.

63 ـ القبلة ـ 742 - 1923/12/3

المشتغلين فيها، فنشطوا هم ايضا في مجالها ». ويؤكد دروزة ان الحكومة « غذت الحركة ببعض تحسينات عمرانية وثقافية ». ومع تضاؤل نفوذ هذه (التشكيلة) الا انها « ظلت تعمل عملها كفكرة في ابقاء الوهم وسوء الظن بين القروي والمدني، كما ظل أثرها يظهر حينا بعد حين، وظل موظفو الحكومة يتعهدونها بالتحريض والتوجيه مدة اخرى غير يسيرة[64] ». وقال اميل الغوري عن الحزب « شكل الاستعمار وانصاره (حزب الزراع) العرب، فابتعد عنه الفلاحون ابتعاد السليم عن المجذوم، وقتل زعيمه (يقصد موسى هديب)[65] ».

والواقع ان بداية ظهور هذا الحزب كانت في منطقة الخليل في قرية الدوايمة، بزعامة موسى هديب، وفي منطقة نابلس وفي قرية سبسطيه بالذات، في اواخر عام 1923. ولا شك ان هناك اسر معينة ساهمت في العمل على تشكيل هذه التجمعات مدفوعة بحزازات عائلية، او تحقيق اهداف ذاتية، او خدمة لمصالح الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية، وبالتالي اضعاف التيار الوطني. وباعتبار الحزب زراعيا، فانه اهتم ظاهريا بحماية المحصولات وتخفيض الضرائب وتحسين الطرق الزراعية وتعميم التعليم الزراعي في القرى، وانشاء بنك زراعي، وتأسيس صندوق توفير عام للزراع. اما سياسيا فانه اهتم بايجاد دستور مطابق لرغبات اهالي فلسطين، وتأسيس حكومة وطنية مسئولة امام مجلس نيابي منتخب، و« التعاون مع الحكومة على غير رضى بالسياسة الصهيونية، والتدخل في المسائل السياسية، والاشتراك مع باقي الاحزاب العربية كحزب مستقل[66] ». ويلاحظ ان برنامج هذا الحزب كان مطابقا لحد كبير لبرنامج الحزب الوطني وقد شكلا سويا جبهة واحدة في جميع المشاكل السياسية التي مرت بالبلاد.

---

64 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 46- 47.

65 ـ اميل الغوري : المؤامرة الكبرى ص 62.

66 ـ فلسطين ـ 86/644 - 1924/1/4.

والحقيقة ان تشكيلات هذا الحزب لم تكن (فلاحية) بل كانت سياسية بكل معنى الكلمة، اضرت بالحركة الوطنية، وحرفت طريق النضال عن مساره الصحيح. ولقد تيقن الشعب بحسه الصادق دور التشكيلات الزراعية في البلاد، واتهمها بالخيانة، وبالعمالة للصهيونية، وظهرت خلال عام 1924 و1925 حركة استقالات واحتجاجات واستنكارات ضد (التشكيلات الزراعية) ومؤسسيها.

في هذا المناخ السياسي الذي ساد البلاد، وظهور انسلاخ وانشقاق في الحركة الوطنية، كتب المستر كوكس Cox، حاكم السامرة، في تقريره عن ديسمبر 1923، ذاكرا ان الجو السياسي اصبح اقل توترا خلال الاشهر القليلة الماضية، وان الشعب بدأ يفقد ثقته في زعمائه، « اما الزعماء فانهم اصبحوا من جهتهم ميالين الى اتخاذ مواقف اكثر ودية من الحكومة بعد ان احسوا بتضاؤل نفوذهم[67] ».

وشغلت البلاد في يناير وفبراير ومارس عام 1924 بزيارة الحسين لعمان، وهي الزيارة التي كان الهدف الاساسي منها محاولة الوصول الى اتفاق مع انجلترا حول القضية العربية عامة، وقضية فلسطين خاصة، والتي انتهت بتقلد الحسين منصب الخلافة الاسلامية، ذلك المنصب الذي ادى في النهاية الى خلعه نهائيا عن الملك والخلافة.

لم تنجح محادثات وفد اللجنة التنفيذية برئاسة موسى كاظم الذي قابل الحسين في 21 يناير 1924 في عمان. لكن الحسين لم يكتف بهذا الوفد، بل استقدم ممثلين عن الحزب الوطني وحزب الزراع الى عمان للمشاورة. وعلم الشعب، فضرب اعضاء الوفدين بالحجارة ونادى بسقوطهم وعمالتهم للصهيونية. واضطر الديوان الاميري بعمان الى اصدار بيان يعتذر فيه الامير عبد الله عما جرى من اعتداء على الوفدين في 20 يناير 1924 [68]. وحاول

67 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 219.
68 ـ الف باء - 1924/2/3.

مندوب الحسين، الدكتور ناجي الاصيل، ان يستغل الخلاف الواقع بين الحزب الوطني وحزب الزراع من جهة، وقيادة الحركة الوطنية من جهة اخرى، فصرح في 15 فبراير ان « هناك شروطا لحل الخلاف بين العرب والصهيونيين، وان هذه الشروط قبلها عرب فلسطين، وانهم مستعدون لتسوية هذه المشكلة »، وكأن الخلاف قائم فقط بين العرب والصهيونيين. فسارع مكتب اللجنة التنفيذية بأصدار بيان استنكر فيه تصريح ناجي الاصيل، واعلن ان اللجنة التنفيذية « لا يمكنها ان تتحول في سيرها السياسي عن اتباع مقررات المؤتمر العربي الفلسطيني السادس، ولا تستطيع ان تبدل شيئا من تلك المقررات، او تبت في امر يتعلق بمصير البلاد، ما لم يؤخذ رأي الامة في مؤتمرها السابع[69] ». واصدر موسى كاظم بيانا آخر في 29 فبراير، اكد فيه ان اللجنة التنفيذية « مقيدة بتنفيذ مقررات المؤتمر السادس والمؤتمرات التي سبقته من السعي المتواصل في سبيل الاستقلال والحرية، ورفض تصريح بلفور والهجرة الصهيونية والانتداب، لا تقبل مساومة ولا هوادة، وان الرأي الاخير في كل مفاوضة هو للامة[70] ». وعلى كل حال فان مفاوضات الحسين مع هربرت صمويل في عمان لم تنجح، مما زاد في تعميق الهوة بين اللجنة التنفيذية من جهة، وبين التشكيلات الحزبية الاخرى من جهة ثانية.

وقد نشطت في هذه الفترة عناصر الشباب، التي حاولت ان تأخذ دورها في توجيه الحركة الوطنية. لكن الزعامات التقليدية كانت مصرة على ان تتولى الزعامة دون غيرها. فقد اصدر حسن فهمي ومحمد كامل الدجاني جريدة اطلقا عليها اسم (الجزيرة)، وصدر العدد الاول منها في 31 يناير 1924. وحاولت هذه الجريدة ان تعمل على اتفاق الاطراف المتنازعة في الحركة الوطنية، فكتب درويش ابو العافية مقالا حول (وجوب التفاهم بين الاحزاب في فلسطين)، ونشرته الجزيرة في العدد 2 الصادر في 3 فبراير

69 ـ الجزيرة - 10 - 1924/3/2.
70 ـ الف باء - 1060 - 1924/3/5, الاهرام 1924/3/8، المقطم 1924/3/9.

1924. ولكن نشاطات الشباب وجهودهم لم تسفر حتى نهاية عام 1924 عن اي اتفاق بين قيادة الحركة الوطنية.

تميّع الحركة الوطنية

وفي الوقت نفسه، وبينما حاول الشباب التوفيق، اظهرت الزعامات صلاتها العلنية مع الحركة الصهيونية. فقد اقام عبد اللطيف صلاح في 10 فبراير 1924 حفلة في نابلس للمستر بنتويتش، النائب العام الصهيوني في فلسطين، وحضر هذه الحفلة كل من توفيق حماد، عمر زعيتر، نمر حماد، فريد العنتباوي، احمد الشكعة، سليمان عبد الرازق طوقان، عبد الرحيم النابلسي، عبد اللطيف النابلسي، سعيد كمال، وشافع عبد الهادي(71). وكان معظمهم من انصار الحزب الوطني، ومن زعامات نابلس. وقد استاء الشعب جدا من هذا العمل. وزاد في استيائه ما وقع من اعتداء اليهود على العرب في (عيد المسخرة) اليهودي في يافا في 20 مارس. وقد اصدرت الحكومة بيانا جاء فيه «حدث شجار بين اليهود والعرب في حي المنشية جرح فيه روشتاين وبروشين من اليهود. وقد دل البحث على وجود ثلاثة من العرب مجروحين قرب تل ابيب وهم محمد ابو عوينه، واسماعيل محمد نصر الله واخيه الحاج احمد نصر الله. وتوفي احمد ابو عوينه وبروشين متأثرين بجراحهما، وذلك في مساء الخميس (20 مارس) الساعة السابعة(72)». وقد اشار المستر توماس Thomas، وزير المستعمرات، في 31 مارس امام مجلس العموم الى هذا الحادث فقال انه «في هذا اليوم (20 مارس) وهو عيد الكرنفال عند اليهود، قتل يهودي واصيب آخر في حي المنشية في يافا. وفي اثناء تحقيق البوليس قتل وجرح ثلاثة من العرب، وتوفي يهودي وآخر عربي نتيجة اصابتهما. وامكن محاصرة الاضطرابات وجرت عدة اعتقالات(73)». وقدم موسى كاظم كتابا مؤرخا في 3 ابريل الى

---

71 ـ الف باء - 1924/2/15

72 ـ المقطم 1924/3/26.

73 ـ P.D. vol. 171, col 1796

المندوب السامي اعترض فيه على اعتداء اليهود وعلى اعتقالات الحكومة، ورد عليه كلايتون برسالة شديدة اللهجة، ذكر فيها ان كتاب موسى كاظم « مملوء بالمغالطات البادية للعيان والبيانات الغير صحيحة، مما يجعل الرد عليه باسهاب غير ضروري ». واضاف انه « من المناسب قبل ان تكتبوا كتبا من هذا النوع الى الحكومة في المستقبل، ان تتأكدوا ذلك بالاستعلام من المراجع الايجابية صحة البيانات التي تودون ادراجها فيها[74] ». ولا شك ان رد كلايتون كان قاسيا ودليلا على فقدان الانسجام في داخل الحركة الوطنية.

وقد شعر آل الحسيني، نتيجة للانقسام في داخل الحركة الوطنية، بامكانية فقدان مركزهم ونفوذهم في الحقل الوطني، فحاولوا عن طريق (النادي العربي) الذي سيطروا عليه، تنظيم (سوق عكاظ) في القدس، يعقد في مايو 1924 بمناسبة موسم النبي موسى. ونشر محمد منيف الحسيني، سكرتير النادي، بيانا في 18 ابريل 1924[75]، عرض فيه الدخول في مسابقة للكتابة في احد الموضوعين الآتيين: « (1) في وصف الحالة العامة في فلسطين وسوريا والبلاد العربية الاخرى اثناء مهاجمة الصليبيين لها، وكيف عالجها بطل الشرق العربي صلاح الدين الايوبي وما هو الغرض الذي كان يرمي اليه في احيائه المواسم في فلسطين دون سواها. (2) في خدمة اللغة العربية ماضيا للحضارة الاسلامية في الشرق، وفيما ينبغي ان يكون لهذه اللغة حاضرا ومستقبلا من الشأن والخطورة في تكوين الجامعة الشرقية ». وختم البيان بهذه العبارة « عزز الله النهضة ووفق تضامن الامة واسعفنا بقدرة منه على احياء مواسم الادب احياء تستعاد به حضارة العرب والاسلام ». ومن المعروف ان موسم النبي موسى لم يعد احتفالا دينيا فحسب، بل اصبح احتفالا قوميا عربيا.

ونتيجة للشلل التام الذي اصاب الحركة الوطنية، رأت اللجنة

---

74 ـ رسالة كلايتون في الجزيرة - 26 - 1924/4/17.

75 ـ البيان في الشرق العربي- 52 - 1924/4/28.

التنفيذية للمؤتمر السادس دعوة عدة وفود من مدن فلسطين[76]، الى القدس، للبحث في امكانية عقد المؤتمر السابع. وعقدت هذه الوفود اجتماعات في 17 و18 مايو 1924، وقررت عقد المؤتمر السابع في 15 يونيه في القدس. وحددت في بيان اصدرته في 19 مايو[77]، طريقة انتخاب الاعضاء، وان كل عضو يمثل خمسة آلاف من الاهالي. كما سمحت « لكل ناد عربي او جمعية عربية ـ اذا كانت لها هيئة ادارية عاملة ـ ان توفد للمؤتمر مندوبا عنها ». وسمحت للصحافة الوطنية، والمهندسين، والصيادلة، وخريجي المدارس العالية، والغرف التجارية بارسال مندوب منتخب عن كل منها. اما الاطباء والمحامون فيمثلهم اربعة مندوبين. وكان من الممكن ان تتخذ الترتيبات الضرورية لعقد المؤتمر، لكن الحزب الوطني لم يرض عن هذا الاتجاه. فقرر « عدم اشتراك الحزب في ذلك المؤتمر لانه مؤتمر حزبي (يقصد ان آل الحسيني يسيطرون عليه)، ولذلك رأى ان يعقد مؤتمرا خصوصيا ليتداول في امر البلاد »، وجعل اعضاء مؤتمره محدودا ومن « اصحاب الكفاية »، اي اصحاب المصالح المرتبطة مع الاستعمار البريطاني. واتفق حزب الزراع مع الحزب الوطني في نفس الاتجاه، فقرر عقد مؤتمر آخر منفصل، يضم نوابا من نابلس وجنين وطولكرم والخليل والقدس ورام الله « للبحث فيما اصاب البلاد من الشلل ». ثم طلب من الحزب الوطني ان ينضم اليه لتأليف مؤتمر واحد، فرضي الحزب الوطني بذلك مشترطا عقد المؤتمر المشترك في القدس[78]، وذلك للتشويش على المؤتمر العربي السابع.

شعر الشباب بضرورة تجديد انتخاب اعضاء الجمعيات الاسلامية المسيحية في البلاد، كي تكون قادرة على مواجهة الانسلاخات والانشقاقات

---

76 ـ مثل يافا · قيصر عرقتنجي، علي المستقيم، محمد بيدس، عمر البيطار، يوسف الدجاني، وسعيد ابو خضرة، انظر الجزيرة 1924/5/18.

77 ـ الشرق العربي - 55 - 1984/5/26 الجزيرة - 32 - 1924/5/22، الف باء 1924/5/22.

78 ـ الاهرام 1924/5/31، الف باء 1924/5/29.

في الحركة الوطنية، ولكي يقوموا بدورهم في تيار الحركة الوطنية، وان امكن ليغيروا الخط السياسي الذي اتبعته الزعامة التقليدية حتى ذلك الوقت. وقد بدأت هذه الحركة في يافا بعد ان وقفت البلدية، ورئيسها عمر البيطار، وهو في نفس الوقت رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية فيها، موقفا مؤيدا لمشروع روتنبرغ في المدينة. فقدم اثنان وعشرون من الشباب[79]، عريضة الى عمر البيطار، جاء فيها « يصعب علينا ان نرى جمعيتنا في يافا اليوم قد خمدت حركتها، ودب الضعف في نفوس افرادها، واصبحت لا تقوم بعمل يذكر. . . واننا لنأسف كل الاسف ان نراها وقد اضاعت مركزها السياسي والادبي. وقد رأيتم الحملة الاخيرة التي حملها الشعب على الجمعية وقرر تجديدها ». واصروا على « لزوم تجديد الجمعية حرصا على اعادة مركزها السياسي والادبي »، ولان « الفكرة اصبحت مختمرة وضرورية ». واضطر عمر البيطار تحت ضغط الشباب الى عقد اجتماع للجمعية في 6 يونيه[80]، واجراء انتخابات، اسفرت عن انتخاب اعضاء جدد، وانسحب عمر البيطار من الجمعية لحصوله على اقل الاصوات[81].

ولقد عبر الادب العربي الفلسطيني في هذه الفترة عن الشلل في الحركة الوطنية وعن حركة الشباب اصدق تعبير. ففي قصيدة لمصطفى الغلاييني بعنوان (الى الشباب)، والتي القيت في حيفا في 27 ابريل 1924، ورد فيها:

حي الشباب الناهضين ... الى المعارف والادب
واقر السلام العاملين ... لرد حق مغتصب
وأشد بذكر القائمين ... بنشر امجاد العرب

وجاء فيها أيضا

---

79 ـ انظر اسماءهم في الجزيرة - 34 - 1924/5/29

80 ـ الجزيرة - 34 - 1924/5/29.

81 ـ الف باء 1924/6/12، الجزيرة - 37 - 1924/6/8.

ظنوا الزعامة قبة	تبنى على اسس الذهب
فتمجدوا، والمجد يأبى	نفسه ان يغتصب
ما المجد الا للذي	ركب المصاعب واغترب[82]

ونشر اسكندر الخوري البيتجالي في مايو 1924 قصيدة بعنوان (فعودي يا سما سلمى) جاء فيها:

بكيت ولم ازل ابكي	على الدنيا ومن فيها
فهل تبكي معي سلمى	على الدنيا واهليها؟
فقد بتنا كوحش الغاب	يأكل بعضنا بعضا
وضاع الحق في الدنيا	وبات الغالب الاقوى

نعم فلنبك يا سلمى

لقد نمنا فلا عجب	اذا جعنا اذا متنا
اذا الغربي ارهقنا	فلا عجب فقد نمنا
اذا بتنا بلا وطن	فذاك لاننا مرضى
اذا لم تشف اخلاق	لنا فوا لهفي

على الاوطان يا سلمى[83]

ونشر مصطفى الغلاييني قصيدة اخرى بعنوان (فخر الشباب) في حيفا في 7 يونيه 1924 جاء فيها:

يا ايها النشء الكريم عليك قد	عقد الرجاء وانت خير عقيد
عز الدواء، وفي يديك شفاء من	حزبوا بداء في الصميم شديد
فانهض الى العرب الذين يفتهم	جهل يسوقهم الى التعبيد
ويسودهم خلف أذل شراتهم	فعنوا، كما تعنوا ظبى لاسود
انهض بهم، واثر نفوسهم وخذ	ابدا بأيديهم الى التجديد

---

82 - الزهرة - ع 1 - س 4 - مايو 1924، ص 6- 8.

83 - الزهرة - ع 1 - س 4 - مايو 1924، ص 56 — 57.

واضمم شتاتهم وألف بينهم   واجمع قلوبهم على التوحيد[84]

المؤتمر الصحفي ومؤتمر المصالحة الوطنية (يونيه 1924)

دفع الشلل التام في الحركة الوطنية اصحاب الصحف العربية الى عقد مؤتمر في حيفا في 8 و9 يونيه 1924[85]، في محاولة لرأب الصدع القائم في البلاد. واعلن المؤتمر في بيانه الاول ان هدفه « ايجاد حل يوفق بين آراء الصحف والهيئات السياسية التي تشتغل في القضية وذلك فيما يتعلق بالمؤتمر السابع ». واصدر المؤتمر خمس قرارات، بعد جلسات ثلاث، تضمنت اعتبار « الصحافة العربية الفلسطينية متضامنة متكافلة في خدمة المصلحة العامة، ولا يجوز ان تتعدى في الانتقاد الى المطاعن الشخصية والتشفي ». وندد القرار الثالث بالحزب الزراعي الذي تشكل في الخليل « لخروجه على ما قررته الامة من رفض الانتداب وتصريح بلفور ». اما القرار الرابع وكان اهمها فقد نص على « مقاومة النعرات الطائفية التي تؤدي الى الانقسام والتفرقة بين الوطنيين من مسلمين ومسيحيين[86] ». واخذ المؤتمر في السعي من اجل (المصالحة الوطنية)، واستغل وجود الشيخ عبد العزيز الثعالبي في القدس، فقدم له نجيب نصار وبولس شحاده، وانضم اليهما خليل السكاكيني، ثلاث قوائم باسماء الزعامات التي يمكن ان تجتمع في (مؤتمر المصالحة الوطنية). ووجه الثعالبي الى المدعوين لمؤتمر المصالحة رسالة دعاهم فيها الى الاجتماع في صباح يوم الثلاثاء 24 يونيه في مدرسة دار الايتام الاسلامية بالقدس وذلك « للسعي في كل سبب يفضي الى سوء التفاهم بين عناصر الفكرة الوطنية المكونة للوحدة

---

84 ـ الزهرة ـ ع 2 ـ س 4 ـ يونيه 1924، ص 117 - 118.

85 ـ حضره كل من . علي ناصر الدين (المنبر)، نجيب نصار (الكرمل)، عيسى العيسى (فلسطين)، بولس شحادة (مرآة الشرق)، خليل نصر (الاردن)، عيسى البندك (صوت الشعب)، حسن فهمي الدجاني (الجزيرة)، ايليا زكا (النفير)، جميل بحري (الزهرة). انظر الطائف المصورة - 490 - 1924/6/30

86 ـ الاهرام 1924/6/16، السودان - 2089 - 1924/6/21.

الفلسطينية[87] ». وقد فشل المؤتمر بسبب امتناع الحزب الوطني وحزب الزراع عن ارسال ممثلين الى المؤتمر. وقد حضره بالفعل نحو 200 مندوب من 400، وكان معظمهم يؤيد اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس.

ونتيجة للظروف السياسية والوطنية التي مرت بها البلاد وفشل مؤتمر المصالحة الوطنية، قررت اللجنة التنفيذية تأخير عقد المؤتمر السابع الى 20 يوليو. وتبع ذلك ان دعا الحزب الوطني والحزب الزراعي الى تأخير مؤتمريهما الى يوم 20 يوليو، وذلك « للنظر في حالة البلاد الفلسطينية الخاصة والعامة، والحضور مباح للجميع، والدعوة عامة[88] ». ثم اجلت اللجنة التنفيذية عقد المؤتمر السابع الى اجل غير مسمى، فاجل الحزب الوطني وحزب الزراع عقد مؤتمرهما ايضا[89] . وكأن مسألة الوطن ومصيره بالنسبة للحزبين المذكورين لا تعدو تنافسا شخصيا ذاتيا اوسعيا وراء مكسب خاص. وزاد الأمر سوءا ظهور انسلاخ جديد في الحركة الوطنية، تزعمه في هذه المرة آل الماضي، من اجزم قضاء حيفا، وهم ملاك كبار، يسيطرون على عدة قرى في شمال البلاد. وبدا ان القضية الوطنية لم تعد في حسبان الزعامات والوجاهات التقليدية. فقد عز على آل الماضي ان يسيطر الحسينيون على اللجنة التنفيذية ومركزي الأفتاء والمجلس الأسلامي الأعلى، كما عز عليهم ان يسيطر الفاروقي والنشاشيبية على الحزب الوطني، وان تسيطر بعض الأسر العميلة على فروع حزب الزراع في وسط البلاد، فسعوا لتأسيس (جمعية تعاون القرى).

جمعية تعاون القرى(يوليو 1924)

اجتمعت الجمعية التأسيسية لجمعيات تعاون القرى في اجزم في اول يوليو، وضم الأجتماع كثيرا من آل الماضي، كما ضم الشيخ اسعد الشقيري، ونجيب نصار، وابراهيم سليم نجار وغيرهم. وفي هذا الأجتماع

87 ـ الجزيرة - 42- 1924/6/26.

88 ـ المقطم 1924/7/4.

89 ـ الف باء - 1924/7/20.

ووفق على قانون الجمعية[90] . وكان هدف الجمعية الأجتماعي والأقتصادي هو بذل « جهدها لازالة الضغائن والأحقاد بين اهل القرى، ومنع وقوع الجرائم باصلاح ذات البين وازالة الخوف بواسطة المحكمين، وترقية الزراعة، وتنشيط غرس الأشجار، ومحافظة (على) المسائل الأقتصادية العائدة للاهالي، مع تحريض الزراع على محافظة شعائر دينهم ومعابدهم واوقافهم ومصالحهم الملية الخاصة والعامة واحكامهم المدنية »، وهذا تعريض بشئون واختصاصات المجلس الأسلامي الأعلى. اما هدف الجمعية السياسي فيتلخص في « السعي لتأمين الأستقلال والوحدة العربية، ولهذا فهي لا تقبل بتصريح بلفور والتجزئة وحرمان البلاد من الحكم الذاتي »، واكدت المادة الخامسة من القانون ان « الجمعية مستقلة في مقاصدها وسائر معاملاتها ، وليست تحت تأثير حزب او جمعية ما ».

ويتضح من قانون الجمعية انها لم تختلف في مبادئها السياسية عن الحزب الوطني او حزب الزراع، فهي قابلة بالانتداب راضية به، وكلامها من تصريح بلفور ليس شديدا، وليس هناك ما يمنعها من قبوله بشرط المحافظة على مصالح المنتسبين لتلك الجمعية. وفي ختام الاجتماع التأسيسي، قام محمود الماضي شاعر الجمعية، والقى قصيدة (تعاون القرى)[91]، شكر فيها الحاضرين وعرض بالزعامات التقليدية، وامتدح الشقيري ونجيب نصار وابراهيم نجار. ومما يجدر ذكره ان الجميعة انتخبت معتمدا لها في حيفا هو نايف الماضي، وان الحكومة صادقت على قانونها الأساسي بعد عدة ايام من صدوره.

واجتاحت البلاد في اغسطس 1924، حملة عنيفة ضد حزب الزراع. وكانت جريدة (مرآة الشرق)، لسان حال الحزب الوطني، قد اشارت في عددها 333 الصادر في 6 أغسطس، الى ان فرعاً للحزب الزراعي قد تأسس

---

90 ـ انظر الملحق رقم 33.

91 ـ الزهرة ـ ع 3 س 4 ـ يوليو 1924، ص 180 - 182.

في قرية (بيت جيز) من قضاء الرملة. فأرسل محمود عمر مختار القرية، وثمانية من اعيانها، احتجاجا شديد اللهجة على تأسيس الحزب، الى جريدة فلسطين، واعلنوا جميعا ان « عموم اهالي قرية بيت جيز يؤ يدون اللجنة التنفيذية ولا يعتبرون غيرها ممثلا عنهم[92] ». ونشر أهالي بيسان وقراها عريضتهم المرفوعة الى الحكومة، والتي وقع عليها 27 مندوبا عنهم، واتهموا الحزب الزراعي بان غايته « ادخال الفساد بين الفلاحين واشغالهم عن اعمالهم بالمشاحنات، لتبور اراضيهم وتقل وارداتها فيضطرون لبيعها لليهود »، وطلبوا حل هذا هذا الحزب، « وايقاف المنتمين اليه عند حدهم، ومنعهم عن تهديد الفلاحين واستعمال الضغط عليهم »، والا فانهم يلقون « تبعة كل ما ينتج عن ذلك من العواقب الوخيمة على عاتق الحكومة »[93].
كما نشر اهالي بيسان عريضة مؤ رخة في 18 اغسطس وقع عليها 21 مندوبا عنهم، يعلنون فيها ان « حزب الزراع في بيسان قد تألف من الأشخاص الذين كانوا ولا يزالون يشتغلون للصهيونية بصورة عامة وفي سمسرة الأراضي لهم بصورة خاصة، وهم الذين يغرون الأهالي على بيع اراضيهم لليهود ».
ثم اعلنوا انهم لا يقبلون بتمثيل سليم الصالح ورشيد الشيخ حسين لهما باعتبراهما من حزب الزراع[94]. وتبع الهجوم على حزب الزراع من ناحية اخرى تأييد اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس. فاصدر عبد الرحمن النحوي، نيابة عن رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بصفد، بيانا اعلن فيه تأييد صفد للجنة التنفيذية « لان جميع ما قامت به اللجنة من الأعمال الجليلة المرضية للرأي العام لجدير بتقديرها والاعتماد عليها بالأمور الجزئية والكلية[95] ». وتلاه سعيد احمد يوسف، رئيس الجميعة الأسلامية المسيحية بصفد، ببيان مؤكدا ما اعلنه عبد الرحمن النحوي، من تأييد صفد للجنة

92 ـ فلسطين - 44/702 - 1924/8/12.
93 ـ فلسطين - 47/705 - 1924/8/22.
94 ـ فلسطين - 49/707 - 1924/8/29.
95 ـ فلسطين - 42/700 - 1924/8/5.

التنفيذية[96] .

على ان البلاد اضطربت لقضية من اخطر القضايا التي شهدها عام 1924، ألا وهي قضية تهود عرب الشمالنة.

قضية تهود عرب الشمالنة (1924)

كان عرب الشمالنة يقطنون حول الشمال الغربي من بحيرة طبرية، ويعملون بالزراعة كعمال زراعيين وفلاحين، في ارض تعود ملكيتها الى آل مراد في صفد. وقد وقع خلاف بين عرب الشمالنة وآل مراد حول ارض (تلاوية ابو زينة)، اذ ادعى كل من الطرفين ملكيتها. ويبدو ان آل مراد بما لهم من الجاه والسلطة والنفوذ في المنطقة، كانوا قادرين على اثبات ملكيتهم للارض، وطرد الفلاحين والمزارعين منها. ونتيجة لضعف الحركة الوطنية التام، ولعدم توجهها لحل مشاكل الفلاحين او غيرهم، ولأن الفلاحين وجدوا ان سلطات الأحتلال تؤيد الحركة الصهيونية في البلاد من جميع الوجوه، ولان بعض العناصر الصهيونية حاولت ان تستميل اليها عرب الشمالنة، فقد عرض هؤلاء العرب ان يعتنقوا الديانة اليهودية، لعلهم بهذا الأسلوب يستطيعون ان يعيدوا الأرض التي قد انتزعها آل مراد. وبالفعل اقدم 24 شخصا منهم على اعتناق الدين اليهودي، فقامت في الصحف[97] حملة عنيفة حول هذا الموضوع استمرت نحو شهرين من الزمان.

ونتيجة للحملة الصحفية اضطر مصطفى الصالح، مختار عشيرة عرب الشمالنة، ان يرد على الأتهام الموجه الى العشيرة. فنشر بيانا في الصحف، انكر فيه قضية تهود بعض افراد العشيرة، وقال ان « غاية ما في الأمر هو انه منذ شهرين كان اغرى بعض افراد عشيرتنا، يعقوب الموسوي المقيم بالمستعمرة اليهودية الشهيرة (بعين الرانية)، والذي له تماس معنا، بانه اذا

---

96 ـ فلسطين - 47/705 - 1924/8/22

97 ـ انظر الف باء 1924/8/30 و 1924/9/10 ، فلسطين ـ 48/706 ـ 1924/8/26 و 49/707ب 29/8/1924 ، المقطم 1924/9/2 و 19240249/20 .

دخل افراد عشيرتنا بالديانة اليهودية، فالجمعيات الصهيونية بفلسطين تساعدنا على استرجاع اراضي (تلاوية ابو زينة) الشهيرة (بالشمالية) من آل مراد الصفديين، التي وقع الخلاف عليها فيما بيننا وبينهم لدى الحاكم وذلك بسعي الجمعيات المذكورة مع الحكومة على اخذ الأراضي من آل مراد وتسليمها لنا. وبالنظر لاعتقادنا ان الجمعيات الصهيونية لها تأثير وقادرة على تنفيذ ذلك، وطمعا باستيلائنا على الأراضي المبحوث عنها، اقبل البعض من افراد العشيرة على تقديم استدعاءات للحكومة بفلسطين متضمنة طلب تسجيل اسمائهم مع اليهود[98] ».

لم تصدق الصحف العربية ذلك، وزادت حملتها، واقترب الناس من حافة اليقين بالنسبة لهذه القضية، فاسرع مفتي صفد، الشيخ اسعد محمد يوسف، بالتدخل لوضع حد للقضية كلها. كما تدخل الحاج امين الحسيني، وارسل لجنة من مفتي عكا (عبد الله الجزار)، ومفتي حيفا (محمد مراد)، ومأمور اوقاف عكا (حسن بدر) للتحقيق في الأمر. ثم نشر مفتي صفد في النهاية بيانا تفصيليا حول الموضوع. قال ان « الحقيقة هي ان 24 شخصا طلبوا من الحكومة باستدعاء قدموه لها تسجيل اسمائهم مع اليهود، على اثر تشويقهم واغرائهم من احد يهود المستعمرات الذي سول لهم انهم بعملهم هذا يتوصلون لاسترداد الأراضي المختلف عليها فيما بينهم وبين آل مراد الصفديين ». واضاف انه استقدم « اولئك الأفراد، وبعد البحث معهم والوقوف على حقيقة ما ذكر، قمت بما يتطلبه الشرع المصون من ارشادهم وردهم الى الدين الحنيف، فثابوا وآبوا ونطقوا بالشهادتين واستغفروا الله تعالى وندموا على ما فرط منهم[99] ». وهكذا انتهت هذه القضية التي شغلت الرأي العام في البلاد نحو شهرين من الزمان.

واصدر المندوب السامي في اواخر سبتمبر بلاغا رسميا حول لجنة

---

98 ـ فلسطين 49/707 - 1924/8/29.

99 ـ فلسطين - 54/712 - 1924/9/16.

الأنتدابات الدائمة واجتماعاتها في اكتوبر 1924، للنظر في تقرير الحكومة البريطانية عن الأدارة في فلسطين[100]. فاجتمعت اللجنة التنفيذية في القدس في يوم الثلاثاء في 30 سبتمبر 1924، « ووافقت على التقرير الذي وضعه سكرتيرها (جمال الحسيني) باللغة الأنجليزية لاجل رفعه الى عصبة الأمم بمناسبة عزم لجنة الأنتدابات فيها على البحث في امر فلسطين ». وتضمن التقرير « مقدمة وثماينة فصول في سياسة الحكومة التي اتبعتها لاسقاط سعر الأراضي، واضرار المهاجرة، وتلبك الأمن العام، وسياسة الحكومة المالية والأقتصادية[101] ». كما تضمن طلب اللجنة التنفيذية « اقامة حكومة وطنية دستورية في فلسطين، يشترك فيها الجانبان العربي واليهودي كل بنسبة عدد سكانه كما كان قبل تطبيق السياسة الصهيونية[102] ». والواقع ان هذا تراجع عن الميثاق الوطني الفلسطيني، اظهره ضعف الحركة الوطنية، والانسلاخات والانشقاقات الظاهرة فيها، وعدم تأييد الحزب الوطني وحزب الزراع للجنة التنفيذية في نضالها الوطني المعتدل.

استمرار التصدع في الحركة الوطنية

وفي الأجتماع التالي الذي عقدته اللجنة في 8 اكتوبر، عرض اقتراح ارسال وفد الى جنيف ليكون على مقربة من لجنة الأنتدابات الدائمة اثناء نظر قضية البلاد. لكن الأقتراح فشل، لعدم توفر المال اللازم لسفر الوفد. وهنا رأت اللجنة التنفيذية (للمؤتمر السادس) ان تنشر ميزانيتها لعامي 1922/1923 و1923/1924 بالتفصيل[103]. والمدقق في هذه الميزانية، يشعر منذ اللحظة الأولى، بخيبة امل شديدة. لقد كان هناك عجز بلغ نحو 316 جنيها، ومعنى ذلك في ابسط الحالات، ان الحركة الوطنية ضعيفة،

---

100 ـ انظر نص البلاغ في فلسطين - 58/716 - 1924/9/30.

101 ـ من بيان اللجنة التنفيذية، فلسطين - 62/720 - 1924/10/14.

102 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 222، عبد القادر يوسف : مستقبل التربية ص 69- 70.

103 ـ انظر الملحق رقم 34.

لاتستطيع ان تقوم باي عمل وطني او اعلامي او دعائي، او حتى تسيير الأمور الذاتية المتعلقة باللجنة التنفيذية. يتضح ذلك من ان خليل السكاكيني، سكرتير ديوان رياسة اللجنة، لم يقبض مرتب اربعة شهور، وان مساعده اسحق الحسيني لم يقبض رواتب سبعة شهور، وقد اعترف بذلك في رسالة وجهها الى جريدة (الشورى) في 29 اكتوبر 1924. وحتى بواب اللجنة (عوض) لم يقبض رواتب شهور ثلاثة. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان الأمر المحزن جدا، والباعث على المرارة والالم، هو ان اعضاء اللجنة التنفيذية وهي مكونة من 21 عضوا، كلهم من كبار الملاك، لم يتبرعوا للحركة الوطنية على مدى عامين كاملين الا بعشرة جنيهات. ومع كل هذا يبقى سؤال محير: لمصلحة من نشرت ميزانية اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس؟

ولقد شعر جمال الحسيني بهذه الورطة، فاصدر بيانا في 15 اكتوبر 1924، يعتبر من اقسى البيانات التي اصدرها لهجة ومرارة[104]. لقد اعتبر فلسطين في حالة « حرب مشتعلة، احد طرفيها (ويقصد اليهود) في يديه ازمة الاذاعة والنشر في العالم، والطرف الآخر (يقصد العرب) لا يملك من تلك القوة الهائلة الا ما تجود به عليه الصدقة والأنفاق، وذلك لان نوال تلك القوة فوق استطاعته من الوجهة المالية ». ثم اشار الى ان الأحزاب في كل بلاد العالم « مهما اختلفت منازعها وتصلبت شرايين اعضائها حقدا على بعضهم بعضا، تلقي سلاح نزاعها يوم تنفخ الحرب ببوقها وتقرع بطبلها، فتصبح كلها حزبا واحدا ». ثم يوجه الدعوة الى الأحزاب « للرجوع الى الوحدة المقدسة »، واكد ان الأمة « معذورة في القاء الشبهة في نوايا حزب الزراع، اذ ترى ان الكولونيل كيش هو الذي يذهب الى بيسان مع رهط من رجال هرتسل لتأسيس فرع له في بيسان. وان موسى اهديب، وهو ذنب المسيو كلفرسكي وبطل الجمعيات الكلفرسكية، يؤسس حزبا زراعيا في الخليل ». وكذلك لا يجب ان نعتب على الأمة « لاشتباهها في الحزب

104 ـ الملحق رقم 35.

الوطني عندما نرى اعظم ركن فيه، ذلك الشيخ (يقصد اسعد الشقيري) الذي ادمى قلب الأمة واسال دموع عذاراها اذ كان جاثما بجانب السفاح جمال باشا وهو يعلق اجسام اخلص شبان هذه الأمة في ساحات بيروت ودمشق. . . والذي طأطأ رؤوسنا اذ اقبل بعمته الضخمة على الكونت دي روتشلد يقبل يده عند زيارته لفلسطين قبل سنين ». وعرض في نهاية بيانه ان يكون المؤتمر القادم « من حزب واحد وتدخل اليه الأمة كحزب واحد »، واقترح على اللجنة التنفيذية عندما تعقد اجتماعها المقرر لتعيين موعد ومكان وبرنامج المؤتمر ان « تدعو ستة اعضاء منها وستة اعضاء من الحزب الوطني وحزب الزراع، لكي يقرروا بالاشتراك ذلك، وعندها تنحل الأحزاب، وتبقى اللجنة في الفترة التي بين جلستها الأخيرة ويوم انعقاد المؤتمر، لكي تسلم له الأمر، وعندئذ فالأمة الممثلة بكليتها في المؤتمر تنتخب لجنة جديدة من اتباع اي فئة ارادت »، وبذلك « ترجع الأمة الى وحدتها وتضامن ابنائها تضامنا كليا لا يشوبه خرق او خسف ».

التقط الفاروقي مبادرة جمال الحسيني وقرر قبولها. فعقدت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس جلسة خاصة في يوم الثلاثاء 25 نوفمبر، للنظر في استجابة الفاروقي، فقررت قبولها، وعينت اربعة اعضاء يمثلونها هم خليل السكاكيني، احمد شكري التاجي الفاروقي، عيسى البندك، ورفيق التميمي، واشترطت ان يكون الاجتماع « لاجل التفاهم بدون ذكر الماضي ولا وضع شروط للتفاهم »، اي شروط مسبقة. وانتدب الحزب الوطني من جانبه اربعة اعضاء هم عبد الغني الخالدي، مغنم مغنم، عمر الصالح البرغوثي، وبولس شحادة[105]. وعقدت (الهيئة المشتركة) جلساتها في فندق ماجستيك في القدس ايام 11/30، و1 و3 و4 ديسمبر 1924[106]، وتمخضت اجتماعاتها عن وضع (قرار تفاهم)[107]، تقرر بموجبه تشكيل

---

105 ـ الشورى 1924/12/3.

106 ـ اليرموك - 26 - 1924/12/4 ، الف باء 1924/12/7، فلسطين 77/735 - 1924/12/5.

107 ـ انظر النص في فلسطين - 81/739 - 1924/12/19 ، اليرموك - 30 - 1924/12/18، المقطم 1924/12/27.

هيئة مركزية، من ثمانية اعضاء، اربعة من اللجنة التنفيذية، واربعة من الحزب الوطني وكتلة (حزب الزراع ، جمعية تعاون القرى، جمعية الشبيبة الاسلامية) مهمتها ان « تدعو الى عقد المؤتمر العمومي المنوي عقده وتهيمن على كيفية انتخابه ». ثم حددت شروطا خاصة بالناخبين والمنتخبين، وقسمت البلاد الى 19 دائرة انتخابية، تنتخب 127 عضوا للمؤتمر، وسمحت للغرف التجارية والمحامين والأطباء والصيادلة والمدارس الثانوية بارسال عضو عن كل منها، واعتبرت اصحاب الصحف الوطنية « مندوبين طبيعيين في المؤتمر ».

والواقع ان (قرار التفاهم) كان يعني عدم الثقة باللجنة التنفيذية، ومحاولة لتغيير قيادات الجمعيات الأسلامية المسيحية في البلاد. وبالرغم من ذلك كله، لم تبد اللجنة التنفيذية رأيها فيه، وتركت الأمر لمؤتمر يعقد في نابلس يومي الخميس والجمعة في 18 و 19 ديسمبر 1924.

(مؤتمر التفاهم) بنابلس - ديسمبر 1924

اشترك في (مؤتمر التفاهم) 31 مندوبا عن عشر مدن فلسطينية[108]، واصدر المؤتمر قرارا في 19 ديسمبر، ذكر فيه انه تم بحث (قرار التفاهم)، الا ان الوفود المشتركة « وجدت بالاجماع ان كثيرا من مواد ذلك القرار غامض وغير قابل للتطبيق، لا سيما فيما يتعلق باجراء انتخابات وتشكيل لجنة مركزية ولجان فرعية وما يتفرع عن ذلك من المشاكل ». وان وفود المؤتمر ترى « بدلا من رفض تلك المقررات الغير قابلة التطبيق، او تعديل بعض ما فيها مما يكون سببا للتعقيد والرفض واتساع شقة الخلاف، ان يشيروا على اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس بان تستعمل صلاحياتها المعطاة لها من المؤتمر، بدعوة الهيئات المعارضة لتنتدب خمسة منها ينضمون الى اللجنة التنفيذية، ويشتركون في الأعمال الوطنية التي تباشرها منذ الآن حتى عقد المؤتمر السابع، على ان تلغى الأحزاب حالا، وتهيء

---

108 - انظر الاسماء في اليرموك - 31 - 1924/12/21.

اللجنة التنفيذية ـ التي يكون قد اشترك فيها مندوبو الهيئات المعارضة ـ الخطط الأيجابية والمواضيع اللازمة لعقد المؤتمر ». وانه « اذا لم توافق الهيئات المعارضة على هذا الأقتراح، فان وفود البلاد تلقي تبعة بقاء الانقسام والشغب على تلك الهيئات، وتشير على اللجنة التنفيذية بالسير في اعمالها ».

هذا قرار بالثقة منحه مندوبو البلاد للجنة التنفيذية للمؤتمر السادس. وكان يقضي، لو ارتضاه الفاروقي وكتلته، الى وقف مؤقت للانسلاخات والانشقاقات في الحركة الوطنية. لكن الفاروقي لم يقبله، وقدم بذلك خدمة عظمى الى هربرت صمويل، الذي كان قد صرح امام لجنة الأنتدابات الدائمة في دور انعقادها الخامس، بين 23 اكتوبر و6 نوفمبر 1924، بان « العرب في فلسطين ذوو آراء مختلفة مشتتة بالأحزاب المتعددة، وان هذه الأحزاب وان كانت تظهر انها تعارض الصهيونية الا انها توافق على سياسته، وتود الأشتراك معه في العمل عليها، مخالفة في ذلك اللجنة التنفيذية التي تعارض السياسة المتبعة في فلسطين، والتي اصبح اكثر الأهالي يخالفونها في فلسطين ». واضاف بان « اكثر الجرائد (يريد بذلك مرآة الشرق والكرمل ولسان العرب) تتمشى على برنامج الأحزاب لا اللجنة. وان عائلة كاظم باشا (يقصد آل الحسيني) تعارض السياسة الحالية بخلاف اكثر العائلات القديمة الأخرى التي لا توافقه[109] ».

نشاط الفاروقي في اضعاف الحركة الوطنية

ولم يكتف الفاروقي بذلك، بل وجه اسئلة محددة، نشرها في الصحف، الى موسى كاظم باعتباره رئيس اللجنة التنفيذية، وطلب منه الأجابة عليها. كان اهمها سؤالين، اولهما: لو تمسك بعض الأحزاب او كلها بشخصيته واشترك في اللجنة او قبل الأشتراك فيها، فما هو العمل؟ فرد عليه موسى كاظم بان « اللجنة التنفيذية تتمتع بحرية الرأي والفكر ضمن

---

109 ـ من منشور اللجنة التنفيذية، انظر الشورى 1925/1/14.

دائرة قرارات المؤتمر، فيمكن، والحالة هذه، ان يكون ضمن اللجنة التنفيذية حلقات تتألف من اعضائها، لكل حلقة منها خطة في التنفيذ، ويمكن ان تسمى هذه الحلقات بالأسماء التي يريدها مؤلفوها، على ان تكون تابعة للأكثرية فيها. فاذا كان للأحزاب كلها او بعضها خطط جديدة لتنفيذ مقررات المؤتمر المتفق عليها، فيمكن لممثليها في اللجنة، عندما يصبحون اعضاء كغيرهم، ان يضعوا هذه الخطط للبحث، ويضموا اليهم من يقنعونه بالحجة بصواب ارائهم، فاما ان تكون الاكثرية بجانبهم او بجانب غيرهم. وفي هذه الحالة تبقى الأختلافات الفرعية محصورة ضمن اللجنة، لا يعلم بها الأخصام، ولا يستفيدون منها في مضرة الأمة ».
وثانيهما: هل هذا قرار قطعي (ويقصد به الغاء الأحزاب) او يحتاج الى تعديل؟ فاجاب موسى كاظم بان القرار (ليس هو قرار اللجنة، بل قرار الوفود (في مؤتمر التفاهم بنابلس) واللجنة، ولذا فليس من صلاحية اللجنة تبديل شيء منه، والمفهوم من القرار نفسه انه غير قابل للتعديل »[110]. والواقع ان رد موسى كاظم كان ردا ديموقراطيا، لانه لم يتعرض بالنقد للمقررات الوطنية التي اصدرها المؤتمر السادس، بل تعرض لخطة التنفيذ، على اساس ان المقررات وضعتها الوفود الممثلة للشعب في كل انحاء فلسطين، وان الخلاف لم يكن على المقررات التي يشترك الجميع بقبولها، لكن على اساس خطط التنفيذ. كذلك فانه سمح بقيام معارضة في داخل نطاق اللجنة التنفيذية، فاذا فازت المعارضة بالأكثرية، فانه يجب الموافقة على ذلك.

وقد امعن الفاروقي في العمل على الأنشقاق عن الحركة الوطنية، فوجه في 3 يناير 1925 رسالة الى موسى كاظم حول هل « كان قرار اجتماع وفود البلاد المنعقدة في نابلس اخيرا ينص على الغاء الجمعيات الأسلامية المسيحية، كما ينص على الغاء الأحزاب؟ ». ورد موسى كاظم فقال ان الجمعيات الأسلامية المسيحية، « اصبح اسمها مقرونا بالقضية الفلسطينية الى درجة يصح ان نقول معها ان العالم يعتبر ان القضية قد انحلت

---

110 انظر فلسطين - 84/742 - 1924/12/30.

بانحلالها، لهذا لم تر الوفود من الحكمة الغاء الجمعيات اتباعا لالغاء الأحزاب ». واضاف ان الوفود تؤيد الفاروقي اذا طلب « اجراء الأنتخابات السنوية لهذه الجمعيات الأسلامية المسيحية، وادخال اي نظام جديد فيها يوافق الحالة الحاضرة، على ان لا يمس بمقررات المؤتمر ». وهكذا كشف موسى كاظم عن ضعف الحركة الوطنية وتهالكها للاتفاق مع الفاروقي وكتلته، كما ابدى « رغبته القصوى في العمل » مع الفاروقي « يدا بيد لخير هذه الأمة التي لا رجاء لي في هذه الأيام القليلة الباقية (وكان موسى كاظم قد بلغ الثمانين) الا ان اراها مكللة بنصر هذا الجهاد العنيف[111] ».

وقد اسفر موقف الفاروقي وكتلته عن زيادة التأييد للجنة التنفيذية، فاصدر فوزي الدجاني نيابة عن الأسرة الدجانية بيانا يؤيد فيه بقوة موقف اللجنة التنفيذية[112]. وقام الشباب بتوقيع « مضابط وطنية للبراءة من الحزب الوطني » في انحاء كثيرة من فلسطين[113]. ونشر خليل السكاكيني مقالا في (الشورى) في 7 يناير 1925 بعنوان (ومن لا يكرم نفسه لا يكرم) يعيب فيه على زعماء فلسطين التزلف والتملق للحكام البريطانيين. وقامت بعض الصحف العربية بحملة نقد وجهتها الى بلدية القدس ورئيسها راغب النشاشيبي[114]، الذي كان يعتبره الشعب الرأس المفكر والعقل المدبر وراء تخطيطات الشيخ الفاروقي. وعاود موسى كاظم الكرة مرة اخرى مع الفاروقي، فارسل اليه رسالة مؤرخة في 16 يناير، يطلب منه فيها الأتفاق على الغاء الأحزاب في البلاد لان « وجود الأحزاب يضر بالبلاد ويقوي حجة اخصامها عليها[115] »، ولم يقبل الفاروقي ايضا هذا الرجاء، وقام بحركة اخرى مضادة، فقد اوعز الى الحكومة بان تنظر في خطب ائمة المساجد في

---

111 ـ الف باء - 1329 - 1925/1/24.

112 ـ انظر فلسطين - 91/749 - 1925/1/30

113 ـ انظر صور هذه المضابط في اليرموك - 43 - 1925/2/5.

114 ـ الشورى 1925/1/22

115 ـ الرسالة في الشورى 1925/1/22

ايام الجميع والمناسبات، لان هؤلاء يتبعون المجلس الأسلامي الأعلى، الذي يرأسه الحاج امين الحسيني، وللاسف « اجاب المفتي بما يرضي الحكومة[116] ».

قضية العلم الصهيوني (يناير 1925)

وشهد شهر يناير عام 1925، ازمة اخرى عانت منها الحركة الوطنية، ذلك ان فرقة يهودية لكرة القدم، اقامت مباراة مع فرقة انجليزية في يوم 12 يناير، وحضرها هربرت صمويل نفسه، ورفعت الفرقة اليهودية العلم الصهيوني الى جانب العلم البريطاني. وقد اثار هذا العمل جماهير القدس، فقدم جمال الحسيني مذكرة مؤرخة في 13 يناير الى المندوب السامي محتجا على رفع العلم الصهيوني، في مباراة يحضرها المندوب السامي، الى جانب العلم البريطاني[117]. وبعد ثلاثة عشر يوما من تقديم مذكرة اللجنة التنفيذية، اجاب ستورز، حاكم القدس، في 26 يناير، بان « العلم الذي كان يخفق هو علم فرقة كرة القدم (هاكوا) الذي يشابه لونه لون العلم الصهيوني، وانه قد رفع حسب العادات العمومية تحت علم البلاد او النادي الذي جرت فيه المباراة ». وان علم الفرقة « ليس بعلم دولة ما، وايضا بانه لم يرفع او يحمل لاجل اية مظاهرة حزبية[118] ». ورد جمال الحسيني بمذكرة فند فيها ما جاء على لسان ستورز، وانه « منقوض » لان « فرقة الهاكوا الصهيونية هي اعلم الناس بالعلم الصهيوني. فلو كان العلم المرفوع علمها الخاص لوجدنا عليه اشارة خاصة تدل على انه علم لفرقة كرة القدم ». واستنادا الى تبرير ستورز ذكر جمال الحسيني انه « يمكن للمعاهد والفرق العربية ان يتخذ كل منها العلم العربي شعارا خاصا ويرفعه، وينجو بنفس الجدل الذي اردتموه من المسئولية القانونية »، وتساءل « فهل ذلك صحيح؟ ». ثم اورد حادثة جنازة سعيد ابو خضرة في يافا، وكيف ان حاكمها

---

116 ـ الشورى 1925/1/22.

117 ـ انظر الشورى 1925/1/22.

118 ـ من رد الحكومة، انظر اليرموك - 43 - 1925/2/5 ، الشورى 1925/2/5.

العسكري منع رفع اعلام النادي العربي « لكون تلك الأعلام العربية تشابه الأعلام العربية في الوانها، مع انه كان يوجد عليها علامات وكتابات تظهر جليا ان تلك الأعلام كانت لفرقة خاصة ». وبناء على تبرير ستورز ايضا، ذكر جمال الحسيني ان « عموم الفرق والجمعيات والمعاهد العربية، متخذة نفس جدلكم حجة قانونية لها، يمكنها على مسئوليتكم ان ترفع الاعلام العربية في غير المظاهرات الحزبية[119] ».

ومع كل ذلك فان الفاروقي وكتلته لم يحركا ساكنا بالنسبة لقضية رفع العلم الصهيوني. يضاف الى ذلك ان المقطم في 27 يناير 1925، اتهمت اللجنة التنفيذية بانها مشغولة بمناقشة الأحزاب الأخرى عن قضية الوطن وبيع الأراضي، وان المجلس الأسلامي الأعلى مشغول ايضا بقضية اصلاح المسجد الأقصى عن بيع الأراضي لليهود، وطالبت (المقطم) بالحاح، عقد المؤتمر السابع. ونظرا لما تعرفه (المقطم) عن الفاروقي، تقدمت اليه في 5 فبراير 1925 باقتراح يتضمن « اذاعة بيان ينفي فيه موالاته لسياسة الحكومة البريطانية في فلسطين ». ولم يحرك الفاروقي ساكنا، الا عندما وصل البلاد خبر مفاده ان لورد بلفور قادم الى فلسطين لتدشين الجامعة العبرية في القدس.

زيارة اللورد بلفور (مارس - ابريل 1925)

اصدرت اللجنة التنفيذية، بعد وصول خبر قدوم لورد بلفور، بيانا في 7 فبراير[120] وجهته الى « الجمعيات والمعاهد الوطنية »، اعلنت فيه انه « تقرر ان تضرب البلاد عن الأعمال يوم وصوله ». وانه « لكي يكون الأضراب عاما شاملا نرجو ان تهتموا من الآن باتخاذ الوسائل الفعالة لجعل الأضراب في ذلك اليوم عموميا ». وعقدت على مدى يومين، 23 و 24 فبراير، اجتماعات متصلة اصدرت على اثر انتهائها برنامجا يمكن ان يطلق

119 ـ انظر بيان جمال الحسيني في الف باء - 1344 - 1925/2/11 ، الشورى 1925/2/19.

120 ـ اطر نص البيان في الف باء - 1925/2/11، الشورى 1925/2/12.

عليه (برنامج العمل الوطني) ابان زيارة بلفور. وقد تضمن هذا البرنامج عشر نقاط[121]، ودعا الى الأضراب العام في كل فلسطين، وكل مدينة على حدة اذا زارها. ولم يشجع القيام بالمظاهرات بل « الأجتماع في المعابد ايام الأضراب للدعاء لخلاص فلسطين ». وطلب الى جميع الهيئات الوطنية رسمية وغير رسمية، والى الأفراد « الأمتناع عن مقابلته » في « الأحتفالات او الاجتماعات الرسمية والخصوصية »، وعدم السماح بزيارته للاماكن المقدسة. كما طلب الى الصحف ان تصدر « يوم دخول اللورد بالحداد »، وان تنشر قطعة بالأنجليزية حول تصريح بلفور. ووجه نظر الحكومة الى « المحاذير التي تنجم عن سماحها لليهود باقامة اي مظاهرة عمومية او خصوصية مدة اقامته في فلسطين والقاء مسئولية ذلك عليها ». وارسلت اللجنة التنفيذية برقية الى اللورد بلفور والصحف البريطانية ملخصة هذه القرارات، ومعلنة عن تنفيذها يوم وصوله البلاد.

وفي محاولة لتوضيح خطر الصهيونية على فلسطين والعالم العربي، نشر جمال الحسيني بيانا في الصحف العربية[122]، ذكر فيه ان الصهيونية « حركة سياسية غايتها تأسيس مملكة يهودية في فلسطين، ويمكنها على مدار الزمن من الأستيلاء على شرق الأردن ثم سوريا فالعراق »، وانها بعد ذلك « تبسط فيها نفوذا سياسيا واقتصاديا على جميع اطراف البلاد العربية، فتصبح هي نقطة الأتصال بين الشرق والغرب، والقديم والحديث ». وان فلسطين ليست « الا مستنبت نواة هذه الحركة البعيدة المرمى، القاتلة للقومية العربية، الساعية الى الأستيلاء على جميع الأماكن المقدسة الأسلامية المسيحية ». ثم اشار الى (برنامج العمل الوطني) ابان زيارة بلفور، وطلب لى العالم العربي والأسلامي تأييد الشعب العربي في فلسطين.

واستعد اليهود في فلسطين للقيام بمظاهرات ترحيب لبلفور، مما

---

121 ـ انظر المقطم 1925/2/28، الف باء - 1360 - 1925/3/1، الشورى 1925/3/5.

122 ـ البيان في الف باء - 1366 - 1925/3/8، الاهرام 14614 - 1925/3/9.

سبب استياء لدى عامة الشعب. فقدمت اللجنة التنفيذية في 8 مارس[123]، مذكرة الى المندوب السامي لفتت فيها نظر الحكومة « الى هذه الحالة، وتلقي تبعة كل ما يؤ ول الى ايجاد الأضطراب من مظاهرات السرور، التي يسمح لليهود باقامتها مدة اقامة اللورد المذكور في فلسطين على كاهل الحكومة والصهيونيين انفسهم ». ورجت المذكرة الحكومة ان تبلغ « الرأي العام عن يوم دخول اللورد قبل ذلك بأسبوع على الأقل »، وذلك « خوفا من وقوع خطأ في تقدير يوم دخوله، يضطر البلاد الى الأضراب يومين بدلا من يوم واحد ». وفي هذا تعبير دقيق عن الأسلوب الذي ما زالت تتبعه اللجنة التنفيذية في نضالها السياسي.

بعد كل هذا النشاط الاعلامي الذي قامت به اللجنة التنفيذية ، وخوفا من غضب الاوساط الشعبية على الحزب الوطني وكتلته، اضطر الفاروقي الى اصدار بيان في 8 مارس[124] ، دعا فيه الى مقاطعة زيارة بلفور ، كما دعا الى الاضراب يوم وصوله . ويبدو ان هذا العمل ارضى اللجنة التنفيذية ، فسارع جمال الحسيني ، في 13 مارس ، الى اصدار بيان اشار فيه الى انه « اتفقت الآراء ووحدت المساعي واشتدت العزائم في جميع انحاء البلاد على تنفيذ الخطة التي رسمتها الامة لمقابلة اللورد بلفور » ، وان العالم سيرى ان « الامة الفلسطينية ما زالت كما كانت كتلة واحدة تسير في طريق واحدة ، نحو غاية واحدة » ، ثم قرر الغاء المادة الثانية من (برنامج العمل الوطني) بحيث يصبح « يوم الاضراب في جميع انحاء فلسطين واحدا ، وهو اليوم الذي يدخل فيه اللورد الى البلاد » وختم البيان بهذه العبارة « لتحيا الامة ، وليحيا اتحادها وتضامن ابنائها[125] .

ان برنامج العمل الوطني الذي وضعته اللجنة التنفيذية ، والبيانات

---

123 ـ الف باء - 1368 - 1925/3/11 ، الشورى 1925/3/12.

124 ـ المقطم 1925/3/19.

125 ـ البيان في الاهرام - 14620 - 1925/3/16.

والمنشورات التي تلته ، لم تقدم اي عمل ايجابي ، بل اكتفت بالاضراب كتعبير عن سخط الشعب وغضبه على زيارة بلفور ، لان ذلك يتفق والميثاق الوطني الفلسطيني ، كما اقره المؤتمر الخامس ، وموافق في نفس الوقت لطبيعة تكوين القيادة التقليدية ، التي قد تخسر مواقعها وامتيازاتها ومصالحها فيما لو اقدمت على اي عمل ايجابي . ومع كل ذلك ، اشارت المقطم في 22 مارس ، على اللجنة التنفيذية ، بان « تتجنب مقاطعة بلفور » ، وتحاول « الاستفادة من مقابلته لامكان تغيير السياسة في فلسطين » . لكن امر (تغيير السياسة) لم يكن متعلقا بشخص بلفور ، انما بالعمل الوطني الايجابي في داخل فلسطين وخارجها .

قضى اللورد بلفور عدة ايام في القاهرة قبل مغادرتها لفلسطين في مساء الثلاثاء 24 مارس . ونتيجة لمحادثاته مع الحكومة المصرية ، وافقت على ارسال احمد لطفي السيد ليمثلها في حفلة تدشين الجامعة العبرية . وكان وقع هذا الخبر « غير محمود في جميع البلاد الفلسطينية ، وقابله الشعب باستغراب كبير ، لانه لم يكن ينتظر صدوره من الشقيقة المصرية[126] » . وارسلت عدة برقيات احتجاج من مختلف انحاء فلسطين الى الحكومة المصرية[127] ، واعتبرت (الشبيبة العربية بفلسطين) عمل الحكومة المصرية طعنة « لفلسطين العربية في الصميم » ، وطلبت العدول عن ذلك لئلا « يسجل التاريخ على مصر الناهضة اشتراكها في عمل يرمي الى القضاء على النهضة العربية في فلسطين » ، كما ورد في برقيتها في 27 مارس 1925[128] . الا ان احمد لطفي السيد صرح بأنه « سافر بناء على طلب الحكومة المصرية التي مثلها فقط[129] » .

في 24 مارس ، اصدر موسى كاظم الحسيني بيانا اكد فيه على

126 ـ المقطم 1925/4/3.

127 ـ انظر الشورى 1925/4/2 .

128 ـ البلاغ - 1925/3/29.

129 ـ المقطم 1925/4/11.

(برنامج العمل الوطني) ابان زيارة بلفور ، وان الامة تقف « تحت لواء واحد ، شعارها الاتحاد التام وغايتها الحياة الكريمة ، فمن خرج عن اجماعها فقد اراد لها المذلة والموت » . وختم بيانه بقوله « لتحيا الامة العربية الفلسطينية ، وليحيا اتحاد ابنائها . ليسقط تصريح بلفور[130] » . وفي يوم الاربعاء 25 مارس ، وصل بلفور الى فلسطين ، فأضربت البلاد اضرابا عاما شاملا ، وصدرت الصحف في ذلك اليوم مجللة بالسواد[131] . والقى خليل السكاكيني خطابا وطنيا من فوق منصة الحرم الشريف ، وعلى الاثر اتخذ قرار بصيغة ليست مهذبة كثيرا ، يدعو اللورد بلفور الى مغادرة البلاد التي دخلها خلافا لرغبات سكانها واهلها . ويبلغ القرار الى المندوب السامي بواسطة حاكم اللواء (ستورز)[132] . ومع ان (برنامج العمل الوطني) لم يتضمن القيام بمظاهرات ، الا ان لورد بلفور قوبل بمظاهرات عربية عدوانية في فلسطين ، « ومن المؤكد ان سكرتيره الشخصي قد اتلف مئات من برقيات الاحتجاج التي كانت تنتظره في دار الحكومة ، ولم يخبره بوجودها[133] . وقد اختير جورج انطونيوس لمرافقة بلفور اثناء زيارته ، حاول انطونيوس ان يوضح له ان معارضة وطنية آخذة في الازدياد ضد الصهيونية ، اصغى اليه باهتمام ، واشار الى انه مهما كانت المتاعب المتوقعة التي تجابهه نتيجة لسياسته ، فان (التجربة) ونتائجها التالية مثيرة للاهتمام الى حد كبير[134] . وتولت حكومة فلسطين حراسته ، كما تولت دفع نفقات تلك الحراسة ، كما صرح بذلك اورمسبي غور وكيل وزارة المستعمرات في 30 مارس 1925[135] .

---

130 ـ الف باء 1925/3/25، المقطم 1925/3/25.

131 ـ الشورى 1925/3/26، انظر ايضا Frances Newton, op. cit. p. 194

132 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 223.

133 ـ Sykes, op. cit., p. 96

134 ـ op. cit., p. 97

135 ـ P.D. vol. 182, col. 923

وجهت سكرتارية الجامعة العبرية الدعوات لبعض الوجاهات العربية لحضور حفل التدشين في اول ابريل[136] . فحضر الحفل وجيه مراد وراشد الحداد من القدس ، وثلاثة من بيسان قدم بهم الخواجه كلفرسكي وقد عرف اثنان منهما وهما الشيخ محمد الزيناتي والشيخ عبد الله الحسين[137] . كما اشترك راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس ، والشيخ علي جار الله عضو محكمة الاستئناف الشرعية[138] . وكان لاشتراك الاخيرين رد فعل عنيف في الاوساط الشعبية ، لم تغتفره لهما مدى حياتهما .

ولم تسمح دائرة الاوقاف ، التي يشرف عليها المجلس الاسلامي الاعلى بزيارة بلفور للحرم الشريف ، والغيت صلاة كان يعتزم ان يؤديها في الكنيسة الانجليزية ، لان طلبة مدرسة المطران « رفضوا ان يرتلوا الاناشيد اللازمة في مثل هذه المناسبة[139] .

زار بلفور يافا بعد حفلة التدشين ، فقابلته المدينة باضراب ومظاهرات معادية ، والقي القبض على 16 شخصا ، اتهمهم اورمسبي غور في 6 ابريل بانهم « من الشيوعيين الذين وزعوا منشورات معادية تندد بالمستر بلفور[140] » . وصرح المستر امري ، وزير المستعمرات ، في 11 مايو بان « القاء القبض على المتهمين الستة عشر تم طبقا لقانون منع الجرائم الصادر في عام 1920 واستمر سجنهم اسبوعا للتحقيق ، وافرج عن اثنين بأمر حاكم لواء يافا ، واستمر الباقون في السجن ستة ايام اخرى ، ثم رؤي اطلاق سراحهم بدون دفع الكفالة ، لانهم غير قادرين على دفعها[141] » . ورأي هربرت صمويل بعد حوادث يافا ، ان تقتصر زيارة بلفور على المستعمرات

---

136 ـ ملحق العدد 24 من الشورى 1925/4/2.

137 ـ فلسطين - 9/966 - 1925/4/3.

138 ـ الشورى 1925/7/9.

139 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما، ص 79.

140 ـ P.D. vol. 182, col. 1804

141 ـ P.D. vol. 183, col. 1449

اليهودية فقط ، فزار (بلفورية) شمال العفولة وهي التي اسسها اليهود عام 1922 تخليدا لاسمه ، واوردت (اللطائف المصورة)[142] صورة لزيارة بلفور لمستوطنة تل حي (في مقاطعة صفد) والاعلام الصهيونية مرفوعة على جانبي الطريق .

وبعد زيارته لفلسطين ، غادر بلفور البلاد الى دمشق في 8 ابريل ، فقوبل بمظاهرات عدائية ، غادرها على الاثر الى بيروت في اليوم التالي . ويصف محمد كرد علي ما قابل بلفور في دمشق وبيروت فيقول « واخطرت الحكومة اللورد ان يخرج الى بيروت،فأركب البحر ، والبيروتيون يحتجون عليه كاحتجاج الدمشقيين . ولم يستطع ان يرى اللورد من دمشق غير جدران الفندق ، ومن بيروت الا الطريق الى السفينة فقط[143] » .

لم يؤد (برنامج العمل الوطني) الذي نفذته الامة ، باستثناء بعض الزعامات العميلة ، ابان زيارة بلفور ، الى عودة الوحدة الوطنية الى ما كانت عليه . ومع ان الشعب ، في بعض المناسبات ، اسقط هذا البرنامج ، لانه لم يكن يعبر فعلا عن المرحلة الوطنية التي تمر بها الامة ، الا ان الامور عادت الى ما كانت عليه بعد هدوء العاصفة ورحيل اللورد بلفور .

دفع هذا الوضع ببعض العناصر الشابة المثقفة ، التي تمثل الطبقة البورجوازية المتوسطة ، الى العمل بأسلوب اكثر ايجابية ، واكثر جدية ، بالاشتراك مع بعض القيادات التقليدية في نابلس ، على تأسيس (حزب الاهالي) في المدينة . وقد اشارت جريدة (الف باء) في اول ابريل 1925 الى ان عبد اللطيف صلاح وعادل زعيتر يسعيان لتأليف الحزب . وفي الاسبوع الاول من ابريل قدم (أعضاء الادارة) برنامجهم الى الحكومة للتصديق عليه .

---

142 ـ عدد 530 - 1925/4/6، ص 4.

143 ـ خطط الشام ج 3 ص 200.

حزب الاهالي (ابريل 1925)

نصت المادة الثانية من (برنامج حزب الاهالي)[144] ان غايته « نشر المبادىء الديموقراطية بين الاهالي ، اتخاذ الطرق العملية والتدابير الايجابية الموصلة الى تحقيق مثل الامة الاعلى وهو الاستقلال السياسي التام والتي ليس من شأنها الاعتراف بوعد بلفور ، جعل الوطن العربي الفلسطيني من القوة المادية والادبية بحيث يتمكن من دفع الخطر المحدق به ، وذلك بالسعي سعيا شرعيا وراء انكشاف تجارة البلاد واقتصادياتها وترقي الزراعة والفلاحة وتخفيف اعباء الضرائب الباهظة عن عاتق الفلاح ، والتشويق (وليس الردع والمنع) الى عدم بيع الاراضي من قبل الوطنيين ، وتكثير مواد الزراعة والثروة ، والسعي وراء فتح اسواق لها في البلدان الاجنبية ، وانتقاد المشاريع القانونية المخالفة لعادات البلاد والمضرة بها انتقادا نزيها والاحتجاج عليها لدى جميع المراجع ، مراقبة اعمال الادارة والقضاء ، تعليم ابناء الامة اللغات الضرورية وتدريبها على محاربة العدو بالعلم الصحيح » . وقد عبر مؤسسو الحزب عن طبقتهم في المادة الثالثة التي تنص على ان « يسعى الحزب في اقامة العرب الوطنيين على رأس الادارة والقضاء بحسب نسبة نفوسهم » .

والحزب لا رئيس له ، اذ يتناوب الاعضاء رئاسة العمدة (هيئة اعضاء الادارة) في كل جلسة . اما هيئته العامة فتتألف من « جميع اعضاء الحزب الذين يدفعون الدخولية (رسم الانضمام) والاقساط الشهرية بانتظام » . وتجتمع كل ثلاثة اشهر مرة واحدة ، في الساعة الثامنة من كل ليلة جمعة تصادف اوائل فبراير ومايو واغسطس ونوفمبر . اما العمدة (هيئة اعضاء الادارة) فتتألف من « ثلاثين عضوا تنتخبهم الهيئة العامة بالتصويت العام » ، ومدتها « سنة كاملة ، ويجوز تجديد انتخاب اعضائها » ، واجتماعاتها اسبوعية « الا في الظروف الاستثنائية » . ووظيفتها « ادارة الحزب ، تعيين موظفيه ، نشر غاية الحزب ومقاصده كتابة وخطابة ، تنفيذ

144 ـ الملحق رقم 36.

مقررات اللجان والهيئات العاملة والعامة ، جمع الاقساط الشهرية » ، وتقديم ميزانية الحزب وقبول الاعضاء الجدد .

وللحزب لجان (اقتصادية ، زراعية ، تجارية ، ومعارف) كل لها اختصاص . وانشأ الحزب مستوصفا عاما في نابلس ، يقوم عليه الاطباء اعضاء الحزب ، ومكتبا استشاريا يقوم بتقديم « النصائح القانونية والحقوقية الى اعضاء الحزب فيما يحتاجون اليه » . كما ان له (لجنة تحكيم) لحل المنازعات الداخلية . وحدد الحزب وارداته ونفقاته . اما قراراته على جميع المستويات فتكون « بأكثرية الحضور » . سمح الحزب في الجلسة الاولى للهيئة العامة بادخال اي (تحوير وتغيير) على برنامج الحزب ، وترفع الى الحكومة للتصديق عليها .

والواقع ان حزب الاهالي يمثل انشقاقا هاما في الحركة الوطنية ، قام على العناصر الشابة المثقفة ، ذات المصالح الاقتصادية الخاصة ، وذات التطلعات الطبقية الخاصة . فهي تسعى الى توسيع نطاق التجارة والصناعة والزراعة باشرافها ، كما تسعى الى الوظائف في دوائر الحكومة بالقدس وفي ادارة لواء نابلس . كذلك فان الحزب هو اول من وضع برنامجا حزبيا متكاملا . وقد علقت الشورى على هذا البرنامج فقالت « هو برنامج جميل متقن لا يفرط بشيء من حقوق الامة[145] » . ويدافع احد مؤسسي الحزب ، محمد صلاح ، عن الحزب مؤكدا ان الحزب « لم ينشأ الا بعد تفكك الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس[146] » .

وفي 20 ابريل ، عقدت الهيئة العامة للحزب اول جلسة لها في نابلس ، واختارت العمدة (هيئة اعضاء الادارة) من ثلاثين عضوا[147] . كما اصدرت في نفس اليوم « نداء الى الامة الفلسطينية » حددت لها فيه الموقف القائم « وما آلت اليه حالة البلاد » ، ودعت الى انشاء فروع للحزب

---

145 ـ الشورى 1925/4/16.

146 ـ الشورى 1925/4/23.

147 ـ اسماؤهم في الشورى 1925/4/30.

في كافة انحاء فلسطين[148] . لكن الدعوة اليه لم تنتشر في البلاد ، وانما اقتصرت على منطة نابلس وقراها ، ذلك ان الحزب لم يكن شعبيا بالمعنى المفهوم ، بل كان حزبا (للخاصة) ومع ذلك ، ومع ضعف الحركة الوطنية وانشقاقها ، استمر حزب الاهالي يمارس نشاطاته حتى عام 1928 .

زيارة المستر امري لفلسطين (ابريل 1925)

وبعد رحيل بلفور ، وهدوء العاصفة ، قدم البلاد يوم الخميس في 16 ابريل[149] . المستر امري Amery وزير المستعمرات البريطاني فلم تقم في وجهه مظاهرات عدائية ، كما كان الحال يوم قدوم تشرشل في مارس 1921 . ذلك ان الحركة الوطنية كانت مصابة بعجز تام عن اتخاذ موقف موحد تجاه اية ازمة او طارىء جديد . فقد رحب راغب الامام في 17 ابريل 1925 ، بالوزير في يافا ، وقال ان « الحب الوطيد الذي بين الشعب العربي والشعب الانجليزي باق على ما عرفه التاريخ ، لم يغيره مجرى السياسة السيئة التي جرت عليها الوزارات البريطانية منذ الاحتلال الى قيام وزارتكم الجديدة (حزب المحافظين) من الابتعاد عن سماع شكايات العرب وانصافهم[150] » . وانهى خطابه بتحية الشعب الانجليزي واعقبه هتاف وتصفيق من الحاضرين .

وفي 21 ابريل ، استقبل المستر امري وفدا فلسطينيا يمثل اللجنة التنفيذية والحزب الوطني وحزب الزراع[151] . وبعد ان قدم موسى كاظم

---

148 ـ الشورى 1925/4/30

149 ـ اقام هربرت صمويل في 16 ابريل حفلة لوداع جلبرت كلايتون (السكرتير المدني)، واستقبال المستر امرى والمستر صمويل هور (وزير الطيران)، حضرها الحاج امين الحسيني والامير عبد الله وراغب النشاشيبي وعمر البيطار ومعظم رؤساء البلديات في فلسطين، انظر الاتحاد العربي - 1 - 1925/4/22.

150 ـ الاتحاد العربي - 1 - 1925/4/22.

151 ـ تألف الوفد من : سعيد الحسيني،عمر البيطار، محمد مراد، امين التميمي ، رفيق التميمي ، عوني عبد الهادي، شكري التاجي الفاروقي، نجيب بيروتي، الشيخ راغب الدجاني، سليم عبد الرحمن، عزة دروزة، وعيسى البندك، بالاضافة الى الشيخ سليمان التاجي الفاروقي وموسى كاظم، انظر الاتحاد العربي - 1 - 1925/4/22.

اعضاء الوفد للوزير ، طلب ان يسمح لرئيس الحزب الوطني بالتحدث باسم الوفد . وكان الموضوع الرئيسي لخطاب الشيخ سليمان التاجي الفاروقي هو رغبة الفلسطينيين بان يتعاونوا مع البريطانيين باخلاص على اساس الصداقة والمصلحة المشتركتين . واكد الفاروقي ان الآمال والمطامح العربية لا تتناقض مع المصالح البريطانية بل هي في الواقع ضرورة لا غنى عنها لتحقيق المصلحة والنفوذ البريطانيين في المنطقة ، « ففلسطين هي القلب الذي يشع المشاعر على مختلف انحاء العالم العربي بل والعالمين الاسلامي والمسيحي ايضا . ونحن لا نريد ان نسأل بريطانيا عن الاسباب التي حملتها على اصدار تصريح بلفور بل نقول لها ان التصريح ظالم . . . وان الطبيعة والتاريخ ستمكناننا من ان نثبت لبريطانيا اننا خير من اي شعب آخر من زاوية مصالح انجلترا الخاصة » . وتكهن الفاروقي بان بريطانيا ستصل مستقبلا الى الاستنتاج بان السياسة الصهيونية « غير قابلة للتطبيق » . ثم دخل في صلب الشكليات والتظلمات العربية الفلسطينية مثل فرض الضرائب الحالية التي بدت لبعض العرب انها اجراء متعمد قصد به اكراه السكان على بيع اراضيهم والرحيل عن البلاد ، ومثل حرمان الشعب من المشاركة في وضع التشريعات اللازمة للبلاد ، واكراهه على شق طرقات توصل الى المستوطنات اليهودية خدمة لمصالح الاستعمار اليهودي . واختتم الفاروقي كلمته مطالبا باقامة حكومة وطنية « ممثلة لجميع عناصر البلاد ومسؤولة امام الشعب ، لان احكام الانتداب تنص على صيانة الحقوق المدنية لسكان البلاد[152] » . ثم وقف امين التميمي ليطالب بريطانيا بالوفاء « بالوعود التي قطعت للعرب » ، وبتأسيس « حكومة نيابية تكون مسؤولة امام البرلمان » ، كما طلب ان « يضع مجلس وطني دستورا للبلاد يشمل السلطات الادارية والتشريعية ، وينص على ان تكون الاماكن المقدسة في البلاد تحت حماية السكان ، ويضمن المساواة في الحقوق بين

152 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 224 - 225.

جميع العناصر ، وصيانة المصالح البريطانية التي تتفق مع مصالح الامة[153] » .

ثم وقف المستر امري يرد على الجميع ، فشكر « سعادة الباشا (موسى كاظم) وسماحة الفاروقي بشأن العلاقات الانجليزية العربية » ، وقال ان « الحكومة الانجليزية تعمل ما فيه الخير لسعادة العرب والشعب الفلسطيني . وقد رأيت بعيني تعاون العراق السعيد . ان الحكومة البريطانية لا ترى اختلافا بين العراق وفلسطين » . واشار الى ان « مصالح الشعب العربي مصونة في نظر الحكومة البريطانية ، حتى ان نفس تصريح بلفور يشير الى المصالح العربية » . ثم اكد على ما ورد في الكتاب الابيض رقم 1700 ، الذي اصدره تشرشل عام 1922 . وانتقل الى الكلام على المجلس التشريعي الذي رفضته الامة ، وقال ان « الاهالي اضاعوا الفرص التي قدمت لهم ، واصغوا لمشورة غير صالحة باضاعة هذه الفرص » ، لكن « الحكومة مستعدة ان تعمل هذه الامور ثانية اذا اعترف الاهالي بخطئهم[154] » .

وقدم الوفد في النهاية مذكرة الى الوزير طالب فيها بحق العرب في الحكم التشريعي ، وانهم « لم يريدوا ان يغمطوا حقوق اليهود الذين يساكنونهم ، ولكنهم يريدون ان يتمتعوا بحقهم باعتبار انهم اكثرية ساحقة في العدد والمصلحة » . وحددت المذكرة المطالب العربية بما يلي « تأسيس حكومة وطنية مسئولة امام مجلس نيابي منتخب من الاهالي الفلسطينيين بحسب التمثيل النسبي » ، وتأسيس « جمعية وطنية » تسن القانون الاساسي « الذي يضمن بقاء الاماكن المقدسة بيد اهلها القديمين على ان لا يغير شيء فيها وحفظ حقوق الاجانب ، ومصالح الدولة المساعدة (انجلترا) المتفقة مع مصالح البلاد ، وضمانة مشاركة اليهود الوطنيين

---

153 ـ الشورى 1925/4/30.

154 ـ الف باء - 1406 - 1925/4/28.

بالحكم والتشريع بحسب النسبة ، على ان يراعى في وضعها تحمل حالة البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وضمانة التعهدات الدولية التي تحملتها الدولة المساعدة وهي التعهدات الصحيحة ، وحفظ الآثار وحرية الاديان ونحوها ، على النمط الوارد في المعاهدة المعقودة بين الحكومة الانجليزية والعراق[155] » .

هذا تحول واضح في موقف الحركة الوطنية في فلسطين ، وهو في واقع الامر تراجع عن الميثاق الوطني الفلسطيني الذي اصدره المؤتمر الخامس . اذ ان المذكرة العربية قبلت باشتراك اليهود في الحكم بنسبتهم العددية ، وقبلت « مشاركة اليهود الوطنيين بالحكم والتشريع بحسب النسبة » ، بل اكدت على وجود ضمانات لهم في الدستور المقترح . اما بالنسبة لانجلترا ، فقد قبلت المذكرة بتعهداتها الدولية « التي تحملتها الدولة المساعدة وهي التعهدات الصحيحة » . ولا ندري ما هي (التعهدات الصحيحة) التي تحملتها انجلترا ؟ اهي المساعدة على ايجاد دولة او حلف دول عربية مستقلة في الشرق العربي؟ واذا كان كذلك فان تصريح بلفور اصبح (تعهدا دوليا) بعد ادخاله في صك الانتداب البريطاني لفلسطين، وبعد ان وافقت عصبة الامم على الصك في 24 يوليو 1922، واصبح نافذ المفعول في 29 سبتمبر 1923. ثم تشير المذكرة الى المعاهدة الانجلو عراقية لعام 1922، والمعدلة عام 1924، وتطلب ان يعقد بين انجلترا وفلسطين معاهدة مشابهة، مع ان تلك المعاهدة لم تقلل من السيطرة البريطانية على العراق، بل اكدت وثبتت النفوذ البريطاني فيه.

ولا شك ان (وحدة الصف) التي اظهرتها القوى السياسية في البلاد ، في 21 ابريل ، امام وزير المستعمرات ، لم تكن لتخدع الشعب ، عن مدى الضعف والوهن والشلل الذي اصاب الحركة الوطنية . لكن (وحدة الصف) المؤقتة دلت على عجز القيادة الوطنية التقليدية في مواجهة

---

155 ـ وثائق المقاومة ص 95 - 97، خطط الشام ج 3 ص 201 - 203.

التطورات التي حدثت في البلاد . واذا كانت اللجنة التنفيذية قد اوعزت باعادة انتخاب الجمعيات الاسلامية المسيحية ، فان ذلك لم يسفر عن زيادة نفوذها وفاعليتها في الحركة الوطنية . وقد حاولت الصحف الوطنية وضع اسس جديدة للحركة الوطنية بعد زيارة المستر امري ، ففي مقال (للاتحاد العربي) بعنوان « العظة من زيارة وزير المستعمرات » ورد ما يلي : « وبعد هذا افلا يتعظ الذين لا يزالون يعلقون الآمال الكبار على السياسة الانجليزية بانها يوما ما ستنصفهم وترفع عنهم ذلك الكابوس الثقيل ، فيستريحون مما يقاسون من مصائب ويعانون من اهوال ؟ والا يتقي الله في امته وبلاده من لا يزال يعتقد ان في ارسال الوفود الى بلاد الغرب وفي تحبير الاحتجاجات وعقد المؤتمرات نجاحا للبلاد ما دمنا لم نسلك سبيلا عمليا يمكننا بواسطته ان ندرأ الاخطار المحدقة بنا[156] » . كذلك فقد فشلت محاولتان للتفاهم بين الاحزاب ، قام بهما عوني عبد الهادي ، الاولى في 15 مايو[158] والثانية في 22 منه[157] ، واشترك فيهما اكثر من سبع عشرة شخصية ، مثلت جميع القوى الوطنية في البلاد .

واعلن رسميا في القدس في 20 مايو ، نبأ تعيين لورد بلومر[159] Plumer مندوبا ساميا وقائدا عاما للجيش خلفا لهربرت صمويل . ولا شك ان سياسة هربرت صمويل كانت عاملا هاما في اضعاف وشل الحركة الوطنية ، حتى ان المقطم ، وهي المعروفة بميولها البريطانية ، ذكرت في 23 مايو 1925 ان لسياسة هربرت صمويل « يعود معظم الفضل في تخدير اعصاب الوطنيين واخماد جذوة الحركة الوطنية التي كانت متقدة قبل قدومه ، فقد اثرت خطة الرفق واللين التي اختطها في النفوس فاذعنت واستكانت . وهناك من يعتقد ان المندوب السامي اتخذ سبيلا خفيا لمقاومة

---

156 ـ الاتحاد العربي - 3 - 1925/5/9

157 ـ الف باء - 1427 - 1925/5/22.

158 ـ الشورى 1925/5/28.

159 ـ من مواليد عام 1856، اشترك في الحرب العالمية الاولى، وحصل على لقب فيلد مارشال عام 1919، ثم عين حاكما لمالطة.

الحركة الوطنية » .

جاء هذا التعيين فاتحة امل ورجاء ، على اعتبار ان بلومر كان مسيحيا ولم يكن يهوديا . فحاولت الهيئات الوطنية ، خاصة المسيحية منها ، ان تتصل به قبل قدومه ، وتشرح له سياسة سلفه ، وتطلب تعديل هذه السياسة بما يلائم المصلحة العربية البريطانية « التي تقوم على العدالة الصحيحة[160] » . واشارت المقطم الى امكانية التعاون مع بلومر فقالت « ان الطريق ممهد امام الوطنيين ، والفرصة سانحة لهم للتقرب من المندوب الجديد الذي يظهر انه ينطوي على مقاصد حسنة ، فليعملوا على خطب وده وليقربوا منه ويشجعوه في سياسة التعاون ، فيستفيدوا منه ويقطعوا الطريق على الذين يحاولون ان يستغلوا عزلتهم وتنحيهم » . وتضيف « ولعل المندوب نفسه ايضا يساعد في اعماله المقبلة على تشييد دعائم هذه السياسة ، سياسة التعاون والولاء التي لا نهضة لفلسطين بدونها[161] » . وقد اكد هذا الاتجاه التقرير السياسي لشهر يوليو 1925 فقال ان « الاحزاب العربية المختلفة تود ان تتقدم للمندوب السامي الجديد جبهة متحدة ، ولكنها تقف موقفا وديا ، وتبدو مقتنعة بان عهد السياسة السلبية الخالصة قد انقضى[162] » .

وصل لورد بلومر في 25 اغسطس الى البلاد ، التي كانت تعاني من ازمة خطيرة هي ازمة انتخابات المجلس الاسلامي الاعلى ، تلك الانتخابات التي اسفرت عن تقسيم البلاد الى فئتين (مجلسي) اي مؤيد للمجلس الاسلامي الاعلى وبالتالي مؤيدة للاسرة الحسينية ، و (معارض) ، اي ضد المجلس الاسلامي الاعلى وبالتالي مؤيدة لاسرة النشاشيبي .

---

160 ـ من برقية الجمعية الوطنية البيتلحمية في الف باء - 1441 - 1925/6/7.

161 ـ المقطم 1925/6/25.

162 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 225.

المجلس الاسلامي الاعلى

صرح الفيكونت صمويل (هربرت صمويل سابقا) في مجلس اللوردات في 8 ديسمبر 1938 بان النظام الملي (اي نظام الطوائف الدينية) ، كما طبقته الدولة العثمانية ، هو من الانظمة الملائمة لاحوال بلاد الشرق الاوسط ، وانه عند استلامه الادارة المدنية (اول يوليو 1920) تيقن من ان « نظام الطوائف ، على الاغلب ، هو النظام الصحيح[163] » . ذلك ان اليهود والمسيحيين ، في ظل الحكم العثماني ، كانت لهم طوائفهم الدينية الخاصة ، ولم تكن هناك حاجة للمسيحيين ، باعتبار الحكم العثماني حكما اسلاميا ، لان يكون لهم مثل ذلك النظام . ويرى صمويل انه لم يكن من مصلحة الادارة البريطانية ان تشرف على الاوقاف وتقوم بتعيين الوعاظ والقضاة ، خاصة وان واجب الادارة البريطانية كان العمل على « ترقية وانشاء الوطن القومي اليهودي[164] » .

والواقع ان قدوم البعثة الصهيونية الى فلسطين (10 ابريل 1918) قد كشف عن مخاوف الاهالي من الاوضاع الجديدة . فقد قارنوا بين اوضاع اليهود في البلاد قبل عام 1914 ، ووضعهم عام 1918 ، وكيف ان سلطات الاحتلال العسكرية البريطانية قد خضعت لهم ، وخافوا ان يتسلط اليهود حتى على اوقافهم الاسلامية . ولذلك قدم اهالي الخليل في يوم الاحد 26 مايو 1918 ، الى الجنرال موني الذي زار المدينة عريضة « مسترحمين تخويلهم حق التصرف » بواردات الاوقاف « حسب نص الحجج الشرعية المحفوظة لديهم » ، وان « ما كان يجري في الزمن الغابر من جباية هذه الواردات وارسالها الى نظارة الاوقاف كان مناقضا تمام المناقضة لمنطوق الصكوك[165] » . وكان يقوم بعملية الجباية في فلسطين ، (مجلس اوقاف) يتصل مباشرة بالآستانة .

---

163 _ P.D. (Lords), vol. III, col. 423

164 _ Memoirs, p. 167

165 _ ج ف ع - 10 - 1918/6/13.

وذكرت (الكوكب)[166] ان مجلس الاوقاف اجتمع في القدس في اواخر يناير 1919 ، برياسة مفتي القدس (كامل الحسيني) وبحضور كل من مدير اوقاف فلسطين عارف حكمت النشاشيبي ، والكابتن يونغ ، مستشار الاوقاف ، ومأموري اوقاف البلاد الفلسطينية جميعا ، ووضع ميزانية السنة القادمة التي تبتدىء في مارس (1919) وان « الاهالي لا يزالون ينتظرون تحقيق وعد حداد بك (جبرائيل حداد مساعد حاكم القدس) الرسمي لهم بتسليم اوقاف المسلمين للجنة اسلامية كما هو الحال عند الطوائف الاخرى » . واشتدت المطالبة بتسليم الاوقاف الاسلامية للمسلمين . فكتب حمدي الحسيني مقالا جعل عنوانه (الاوقاف الاسلامية في فلسطين وحاجتنا اليها) قال فيه « لهذا اقترح على عقلاء بلادي ان ينتخبوا من كل بلد فردا ، ويؤلفوا وفدا يوفدونه الى مدير فلسطين العام ، ليفهمه قضية الاوقاف الاسلامية ، ويطلب اليه ان يوكل امر الاوقاف الى اهلها . فاذا تم ذلك يؤلف مجموع عام (اي مجلس عام) ، افراده ممن تغذت ارواحهم بلبان الفضيلة والاخلاص لادارة هذه الاوقاف وصرف ريعها بين اداء الواجبات الدينية والوطنية ، فيصرف منها شيء على ضروريات الاوقاف ، والباقي تفتح بها كليات وطنية لتتميم دروس الطالبين في هذه الكليات ، حتى نفهم معنى الدين ومعنى الحياة ، وبذلك نكون احسنا التصرف[167] » .

يبدو هنا واضحا ان المسلمين هم الذين طالبوا بتشكيل (مجلس عام) لادارة الاوقاف الاسلامية والاشراف عليها . وزاد قلقهم عندما تولى بنتويتش ، اليهودي الصهيوني ، منصب السكرتير القضائي في عهد ادارة هربرت صمويل المدنية ، وكان بنتويتش يشرف تبعا لمنصبه على المحاكم الشرعية والاوقاف وما يتبعها من مساجد ومدارس ومؤسسات اسلامية . فعقد زعماء البلاد والمفتيون وكبار العلماء والقضاة مؤتمرا في القدس في 9 نوفمبر 1920 ، قرروا فيه « تأسيس (مجلس شرعي اسلامي اعلى) يتولى جميع

---

166 ـ الكوكب 130 - 1919/2/4.

167 ـ الكوكب - 176 - 1920/1/27.

الشئون الاسلامية لفلسطين[168] » ، مع الاحتفاظ باشراف الحكومة المالي على ادارة الاوقاف[169] . وصدر في 12 مارس 1921 (نظام المجلس) ، ونشر في الجريدة الرسمية الفلسطينية بتاريخ 15 مايو 1921 ، وتتلخص سلطة المجلس التي حددت في المادة الثانية بادارة « الاوقاف الاسلامية وترشيح قضاة الشرع الاسلامي واعضاء محكمة الاستئناف ومفتشي المحاكم وتعيين المفتيين ومأموري الاوقاف وموظفي الشرع وعزلهم[170] » ، ومعنى هذا استمرار اشراف الحكومة المالي على ادارة الاوقاف .

وفي اواخر مايو 1921 ، كان الحاج امين الحسيني قد تقلد منصب (المفتي الاكبر) ، وارضاء له اختفى شرط الاشراف المالي الحكومي على الاوقاف الاسلامية نهائيا[171] . وتطلب الامر بعد ذلك سن قانون للاوقاف الاسلامية . وشرح (عارف الموقت) في مقالة (كتاب مفتوح لفخامة المندوب السامي والامة الاسلامية)[172] كيف وضع ذلك القانون فقال « والذي زادنا رسوخا في اعتقادنا بعدلها (اي الحكومة البريطانية) وايمانا بعهودها ووعودها هو اجابة الحكومة طلبنا في تشكيل لجنة اسلامية يعهد اليها امر نظارة اوقافنا ومحاسبة مأموريها وعزل المرتبكين وغير اللائقين وعديمي الاقتدار منهم . . فللحال اوعزت الحكومة لبعض علماء ووجهاء البلاد الفلسطينية فاجتمعوا بالقدس وسنوا نظاما لها . ولما تردد بعضهم في صلاحية ذلك القانون ورفعوا شكواهم الى الحكومة طالبين اليها اعادة النظر فيه ، وان تنقحه هيئة تمثل الرأي العام الاسلامي الفلسطيني ، اجابتهم الى طلبهم بان اوعزت الى الاقضية في اجراء الانتخابات طبقا للاصول العثمانية ، فتم ذلك ، وحضر المنتخبون ودققوا في القانون ، فنقحوا بعض

---

168 ـ عارف العارف : تاريخ القدس ص 276.

169 ـ E. Kedourie: Chatham House, p. 72

170 ـ عارف العارف، المصدر السابق ص 276.

171 ـ E. Kedourie, op. cit. p. 72

172 ـ لسان العرب - 88 - 1921/10/11.

مواده حافظين للجنة الاوقاف الاسلامية صلاحية العزل والتعيين وتفتيش الحسابات ، وللحكومة حق التصديق والمناقشة ، ومن ثم عرضوه عليها للموافقة عليه » .

في نهاية عام 1921 ، نشر قانون تضمن انشاء المجلس الاسلامي الاعلى الذي تألف من (رئيس العلماء) وهو يتولى منصبه مدى الحياة ، ومن اربعة اعضاء ينتخبون لمدة اربع سنوات . ويتولى المجلس ادارة الاوقاف الاسلامية والاشراف على النفقات ، وتعيين وخلع كل موظفي المحاكم الشرعية والاوقاف ، وتعيين القضاة . وقد نوه هربرت صمويل ، في رسالة مؤرخة في 29 ديسمبر 1921 ، عن اعتقاده بان « التسوية النهائية لقضية المسلمين الدينية سوف تكون مقبولة لدى السكان المسلمين في البلاد ، وانها ستمنحهم الثقة بان الحكومة راغبة بكل الوسائل في ان يتولوا الاشراف التام على امورهم واوقافهم الدينية » .

وتضمنت التنظيمات ايضا ان يقوم المنتخبون الثانويون ، الذين تم انتخابهم في آخر انتخابات عثمانية وهي التي جرت في مايو 1914 ، بانتخاب المجلس الاسلامي الاعلى ، واجتمعت هيئة الناخبين الثانويين في القدس في 9 يناير 1922 ، وحضر منهم 53 من اصل 56 ناخبا . وفشل اقتراح ايده راغب النشاشيبي بتأجيل الانتخابات ، بتصويت 43 ضد عشرة ، وانسحب راغب النشاشيبي وخمسة آخرون معه احتجاجا على ذلك . وتمت عملية الانتخاب بحضور 47 ناخبا ، وحصل الحاج امين على اربعين صوتا ، واصبح بذلك رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى[173] ، لمدى الحياة . وبعد انتخابه القى خطابا شكر فيه الحاضرين وختمه بقوله « وانما نعاهدكم امام الله والناس على ان نبذل كل جهد في سبيل المصلحة العامة ، فلا تأخذنا في الحق لومة لائم ، ولا تلعب بنا الاهواء ، ولا يؤثر علينا مؤثر . وان مقصدنا الاسمى ومثلنا الاعلى خدمة هذه البلاد ، ونرجو الله ان يجعل اعمالنا خيرا

173 _ E. Kedourie, op. cit. p. 72

من اقوالنا ، والله الهادي الى سواء السبيل[174] » . اما الاعضاء الاربعة فهم سعيد الشوا (غزة) ، عبد الله شفيق الدجاني (يافا) محمد مراد (حيفا) ، وعبد اللطيف صلاح (نابلس)[175] .

ان تأسيس المجلس الاسلامي الاعلى وقبـول المسلمين به ، جعلهم ، وهم الغالبية العظمى في البلاد ، في منزلة (الطائفة الدينية) التي كانت طابع الاقليات . وهذا ما كان يسعى اليه هربرت صمويل ، تؤيده في ذلك الحكومة البريطانية ، التي لم تكن ترى في البلاد اجناسا بل (طوائف دينية) . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان قبول المسلمين بالمجلس الاسلامي الاعلى كان يعني رضاهم على الاقل بطريق غير مباشر ، بالشق الثاني من تصريح بلفور ، وهو الذي يؤكد على انه « لن يؤتي بعمل من شأنه ان ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير المسيحية المقيمة الآن في فلسطين » . اذ ان المسلمين ، بعد قبولهم بالمجلس الاسلامي الاعلى ، اصبحوا يتمتعون فعلا بجميع حقوقهم الدينية ، ولا سلطان اطلاقا للحكومة البريطانية على شئونهم الدينية .

ومن جهة ثالثة مثل المجلس الاسلامي الاعلى برياسة الاسرة الحسينية التي اصبح لها اكبر مركزين دينيين في البلاد ، انشقاقا خطيرا في الحركة الوطنية . واخذت الاسر الاخرى خاصة الاسرة النشاشيبية ، تعمل على هدم نفوذ الاسرة الحسينية ، فانضمت الى الجناح المؤيد للاحتلال البريطاني والصهيونية . كما ان المجلس من جهة رابعة ، خلق في البلاد قضية لم تكن البلاد في حاجة لها بعد الشلل الذي اصاب حركتها الوطنية ، الا وهي قضية (المجلسية والمعارضة) .

واورد عزة دروزة ، بكثير من المرارة والالم ما ترتب على تأسيس

---

174 ـ الاهرام 1922/1/19.

175 ـ كون الحاج امين الحسيني وسعيد الشوا ومحمد مراد وعبد الله شفيق الدجاني كتلة واحدة، وبقي عبد اللطيف صلاح وحده.

المجلس الاسلامي الاعلى وقانونه من آثار سيئة ، فقال ان « قانون (المجلس الاسلامي الاعلى) فيه انتفاخ ، يكاد يجعل المجلس بمثابة حكومة اسلامية ، يستطيع المسلمون ان يطمئنوا به رغباتهم وعاداتهم الخاصة والعامة ، والنفسية والدينية ، في ما منحه للمسلمين من حق الاشراف والتدقيق والتشريع والانتخاب العام الواسع ، والاجتماعات والمداولات البرلمانية من جهة ، وفي ما كان له من ميزانية ومؤسسات ومحاكم ومدارس ورسوم وضرائب من جهة ثانية . وقد انبثقت في نفس رئيس المجلس (الحاج امين الحسيني) رغبة في التوسع في المظاهر والدعاية والاتصالات والمراسم الداخلية والخارجية توسعا يتسق مع المفهوم الانف الذكر . وكان حرمان العرب من الحكم دافعا لهم الى الاتجاه نحو المجلس والتلهي به وتعليق اوسع الامال عليه ، كاستجابة ايحائية الى تلك الرغبة . فكان في هذا مثار غيرة وحسد ومنافسة ، حتى جاء وقت كاد المسلمون ينسون فيه الحكومة . . . لتنحصر انظارهم في المجلس ، يدققون في اعماله وتصرفاته » . واضاف « وما دام المجلس بمثابة حكومة اسلامية ، فليكن لهذه الحكومة جهة مؤيدة تدعي (المجلسية) ، وجهة معارضة تشتغل بالنقد والتجريح وتعداد العيوب وتطالب بالاصلاح تدعي (المعارضة) . وانقلبت مفهومات الامور حتى صارت هذه (المعارضة) عنوانا لمعارضة المجلس بدلا من ان تبقى عنوانا لمعارضة الحركة الوطنية[176] » .

اثار قانون المجلس ، الصادر في اواخر عام 1921 ، كثيرا من الجدل والنقد في السنوات التالية ، ذلك انه لم تكن هناك اية سلطة تقوم بالاشراف على اعمال واموال المجلس ، واصبح وكأنه (ضيعة حسينية) . ومع انه اوكل الى المجلس وضع قانون لانتخاب المجلس الثاني (يناير 1926) ، الا انه تمهل في ذلك ، وتأخر كثيرا . ذلك ان المجلس الاول رغب في ان

---

176 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 52 - 53.

يستمر للدورة الثانية (اربع سنوات اخرى) ، كما انه اراد ان يضمن الفوز في الانتخابات التي ستجري في يناير 1926 . وقد فجر الازمة في اغسطس 1925 ، عاملان ، اولهما تراكم النقد الموجه الى المجلس ، وثانيهما الصراع القائم بين عمر البيطار وبين عبد الله شفيق الدجاني عضو المجلس عن يافا . فعقد اجتماع للهيئة الانتخابية (حضرها 48 عضوا) في القدس في 24 و25 اغسطس 1925[177] ، لم يسفر الا عن تعديل الفقرة الثالثة من المادة الخامسة من قانون المجلس ، بحيث اصبح للبلديات ، بالاشتراك مع الهيئة المنتخبة لهيئة المجلس الاسلامي في المدينة ، الحق في الترشيح والانتخاب ، مع ان المطلوب كان تعديل القانون باجمعه . وقد اسفر هذا كله عن ازدياد حملة النقد على المجلس . فاحتج مخاتير قضاء يافا ، الذين اكدوا على سحب ثقتهم من المجلس « لما اتاه من سوء الادارة والتصرف بالاموال[178] » بدون حساب . وارسل علماء يافا برقية احتجاج الى المندوب السامي ضد المجلس الاسلامي الاعلى « لفضه الاجتماع بدون تعديل القانون » ، وطالبوا بتشكيل « لجنة لمحاسبته على سوء تصرفه » ، لانه « لم يكترث بحقوق الامة الاسلامية[179] » . وبعث حافظ طوقان ، معتمد الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس ، بكتب الى العديد من الشخصيات الفلسطينية ، محتجا على اعمال المجلس ، وداعيا اياها للمطالبة الجماعية بتعديل قانون المجلس[180] . وخاض الشيخ عبد الله القلقيلي ، المعروف بولائه التام للسلطات البريطانية ، معركة عنيفة ضد المجلس ، فنشر مقالا في جريدته (الصراط المستقيم) بعنوان (ما هذه المواربة ايها المجلسيون)[181] ، وفتح صفحات الجريدة لحملة النقد ضد

---

177 ـ انظر محضر الاجتماعات في الشورى 1925/9/3، الف باء - 1515 - 1925/9/5 و- 1925/9/6، 1516

178 ـ الصراط المستقيم - 2 - 1925/9/7.

179 ـ الصراط المستقيم - 2 - 1925/9/7.

180 ـ الصراط المستقيم - 3 - 1925/9/13.

181 ـ الصراط المستقيم - 8 - 1925/10/18.

المجلس . وخاضت (جمعية تعاون القرى) المعركة ضد مرشحي المجلس ، ونشطت نشاطا كبيرا في ذلك[182] . وفي المقابل قام المجلسيون بحملة عنيفة ضد المعارضين للمجلس[183] ، واتهموا الحكومة بتأييد (المعارضين) .

وشغلت البلاد في ديسمبر 1925 ويناير 1926، بانتخابات المجلس الاسلامي الاعلى على حساب الحركة الوطنية . وقدمت (المقطم) صورة رائعة لما كان يجري في البلاد فقالت « منذ شهر او اكثر وفلسطين منهمكة في انتخابات المجلس ، وقد مثلت في اثنائها ادوار محزنة ، فقد انقسم العرب على انفسهم انقساما مؤلما ، فالاكثرية يعملون لاسقاط المجلس ، والباقي يؤيد اعضاء المجلس ويحرص على مناصرتهم . وقد انضم الى القسم المعارض كثير من انصار المجلس السابق ، وحجتهم ان اعضاء المجلس السابق اساءوا استعمال الوظيفة ، وتصرفوا باموال المسلمين تصرفا غير لائق ، وكانوا السبب في انقسام البلاد على نفسها والقضاء على الحركة الوطنية . وقد بذل اعضاء المجلس السابق ما في استطاعتهم للفوز بالانتخابات والمحافظة على كراسيهم ، ولم يقصر منافسوهم عن مباراتهم في هذا المضمار » . ثم اضافت « وهناك من يعتقد ان للحكومة يدا في اذكاء نار الخلاف بين ابناء فلسطين لاسباب لا تخفى على احد[184] » .

ووصفت (الف باء) الوضع فذكرت ان « جميع مدن فلسطين مشغولة في يناير 1926 بالانتخابات ، يتنازع عليها المجلسيون والمعارضون . وقد صرح احد المسئولين البريطانيين بقوله (كادت حوادث سوريا ان تؤثر على الحالة السياسية في فلسطين . ولكن البلاد لحسن الحظ مشغولة بانتخابات المجلس الاسلامي الاعلى) . المجلسيون يصرفون النقود في طول البلاد

---

182 ـ انظر مذكرتها الى المندوب السامي والى رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في الصراط المستقيم - 11 - 1925/11/8.

183 ـ انظر الشورى 1925/9/24.

184 ـ المقطم 1926/1/12.

وعرضها لاكتساب الاصوات حتى آل الامر بهم الى المجاهرة بهذه الاعمال ، الامر الذي جعل اخصامهم يمسكون البعض من المرتزقة في حالة قبض المال[185] » .

هذه هي الصورة التي سادت البلاد اثناء الانتخابات للمجلس الاسلامي الاعلى ، وهي صورة قاتمة اضرت بالحركة الوطنية ، وزادت شللها وضعفها . ومع كل ذلك ، ومع ما تبع الانتخابات من رفع قضايا امام محكمة العدل العليا في القدس ضد عمليات التزوير ، وعدم قانونية الانتخابات ، فقد الغت الحكومة في 11 فبراير 1926 انتخابات المجلس الاسلامي الاعلى، وعينت مجلسا جديدا ضم اربعة اعضاء هم : محمد مراد وسعيد الشوا (عضوين سابقين) ، وامين التميمي وعبد الرحمن التاجي الفاروقي . وتعاهد المجلسيون « على رفضه اولا ، ثم قبلوا به حينما رأوا ان اكثريته في جانبهم » . وعلق عزة دروزة على عملية الانتخابات فقال « ولم يظفر في هذه المعركة غيرها (اي الحكومة البريطانية) لانها حققت غرضها في هذا التحطيم ، واوهنت قوى الامة وكادت تضمن عدم قيام اي حركة ضدها . وخرج المعارضون من هذه المعركة اكثر بروزا وشمولا ، لان طبيعة الانتخابات يسرت ان يكون لها مناصرون في كل مكان بقطع النظر عن التفاوت في الكثرة والقلة ، والقوة والضعف[186] » .

وعينت الحكومة بعد ذلك لجنة لتنقيح قانون المجلس برياسة الحاج امين الحسيني ، وعضوية محمد التميمي ، عارف الدجاني ، عبد الله الدجاني ، راغب الامام ، عوني عبد الهادي ، امين عبد الهادي ، معين الماضي ، موسى البديري ، وتوفيق الطيبي . وللعضوين الأخيرين صفة استشارية فقط . وقد اذاعت هذه اللجنة بيانا طلبت فيه الى المسلمين واصحاب الرأي والخبرة ان يوافوها باقتراحاتهم وما يرتأون في صدد قانون

---

185 ـ الف باء 1926/1/7.

186 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 54.

المجلس ، وذلك حتى 20 يونيه 1926[187] . » وقد لبثت اللجنة شهورا طويلة في مهمتها ، محاولة ان تجعل القانون اكثر مرونة تطبيقية من جهة ، واوسع شمولا من حيث العمل من جهة ثانية ، وتخليص انتخاباته من تلك العمومه من جهة ثالثة ، وكان يعتور اجتماعاتها فتور وتباعد بسبب ما بدا من رغبات واعتبارات شخصية. وقد اضطرت اخيرا الى مسايرة بعض هذه الرغبات والاعتبارات حتى انتهت مهمتها وارسلت مشروعها الى الحكومة . غير انه نام عند هذه نوما عميقا لم يستفق منه ، مما جعل الملاحظين يشعرون انها تفضل بقاء الحالة التي انتهى اليها المجلس ، لانها اكثر تمكينا لها من الهيمنة عليه وعلى اعضائه ، الذين يدينون لها بفضل التعيين ، واكثر تقيداً له . ولم يشتد الالحاح على الحكومة في امره تحاشيا من مزعجات الانتخابات ومكروهاتها[188] » .

هكذا انتهت بسلام اول مشكلة قابلت المندوب السامي الجديد ، لورد بلومر ، الذي قدم البلاد في يوم الثلاثاء 25 اغسطس 1925 . وقد امطرته اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس بسيل من المذكرات وعرائض الاحتجاج في اغسطس وسبتمبر . ففي 29 اغسطس قدمت مذكرة حول السجناء العرب وطلبت الافراج عنهم[189] ، وفي اول سبتمبر قدمت مذكرة ثانية حول طلب الغاء رفع العلم الصهيوني [190] ، وفي 14 سبتمبر قدمت مذكرة ثالثة حول حماية حقوق المزارعين العرب وطلب سن قانون يشبه قانون الخمسة افدنة في مصر[191] ، وفي اليوم التالي قدمت مذكرة رابعة بشأن طلب العرب الاشراف على التعليم الخاص بهم[192] . وفي 21 سبتمبر قدمت مذكرة خامسة تتعلق بالهجرة اليهودية والغلاء في فلسطين[193] . وفي 22 سبتمبر

187 ـ الف باء 1926/6/3.

188 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 55- 56.

189 ـ الف باء- 1512 - 1925/9/2، الاتحاد العربي - 19 - 1925/9/5.

190 ـ الف باء 1519 - 1925/9/10.

191 ـ الف باء • 1525 - 1925/9/17.

192 ـ الف باء- 1526 - 1925/9/18.، الصراط المستقيم - 4 - 1925/9/20.

193 ـ الف باء - 1532 - 1925/9/25.

قدمت مذكرة سادسة حول مشروع روتنبرغ[194] ، وفي 24 سبتمبر قدمت مذكرة سابعة حول منح اليهود امتياز ملح عتليت[195] . كما رفع موسى كاظم الحسيني قضية امام محكمة العدل العليا في القدس ضد الحكومة بسبب كتابة حرفي (أ ، ي . ـ ايرتز يسرائيل ـ اي ارض اسرائيل) على طوابع البريد الفلسطينية[196] .

لورد بلومر والمطالب العربية

طلب المندوب السامي ، في محاولة لوقف سيل الاحتجاجات والعرائض ، ولسبر غور الحركة الوطنية « مقابلة ممثلي الامة » في يوم الثلاثاء في 13 اكتوبر[197] . ويلاحظ انه لم يطلب مقابلة اعضاء اللجنة التنفيذية فقط ، ذلك لان الحركة الوطنية في البلاد ، والتي انشغلت بقضية انتخابات المجلس الاسلامي الاعلى ، قد افرزت نتيجة لضغطها وشللها ، العناصر المعارضة للحركة الوطنية .

وعقد (ممثلو الامة) اجتماعا تحضيريا في القدس في 12 اكتوبر ، حضره ستون ممثلا[198] ، وذلك للتمهيد للاجتماع بالمندوب السامي في اليوم التالي . وفي الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء 13 اكتوبر ، استقبل بلومر (ممثلي الامة) وحدد لهم مدة ساعة للمقابلة ، ثم قال « علمت انه سيتكلم منكم اربعة ، فليتكلموا على ان يعلن كل منهم عن اي حزب يتكلم » ، فرد عليه موسى كاظم واعلن ان اهل البلاد يطلبون « حكومة وطنية تكون مسئولة امام مجلس منتخب على نسبة عددهم » ، وان « تكون اللغة العربية اللغة الرسمية دون الانجليزية والعبرية » ، وان « يسن قانون مثل قانون الخمسة افدنة في مصر » وان يضع المندوب « ضريبة العشر عن كاهل

---

194 ـ الف باء - 1533 - 1925/9/26.

195 ـ الف باء - 1536 - 1925/9/30.

196 ـ الف باء - 1514 - 1925/9/4.

197 ـ انظر بلاغ جمال الحسيني في اول اكتوبر في الصراط المستقيم - 6 - 1925/10/4.

198 ـ الشورى 1925/10/22.

الفلاح » . واشار الى ازدياد الهجرة اليهودية وخطرها على البلاد ، وطلب ان يتولى العرب الاشراف على المعارف . وتلاه امين التميمي فتكلم عن العهود البريطانية للعرب « بان يكونوا مستقلين » ، ثم انتقد المجلس التشريعي ، وطلب من المندوب ان « ينظر في مطالب الوفود ويعمل فيها بمقتضى عهد جمعية الامم والعدل البريطاني » . وافتتح راغب الامام كلامه « ببيان الصداقة بين العرب والانجليز » ، ورجا ان « يعامل الانجليز العرب معاملة الصديق صديقه » . وكان آخر المتحدثين عادل زعيتر ، الذي اشار الى احتجاج فلسطين على صك الانتداب « لانها لم تر فيه وفق مصلحتها ، وان فلسطين تدار بعناصر مختلطة غريبة عن اهل البلاد ، وان الوظائف لم يعدل في توزيعها بين ابناء فلسطين » . وانهى خطابه بطلب « حكومة وطنية نيابية تراعى فيها النسبة العددية لطوائف فلسطين قبل الحرب » . وفي ختام الاجتماع شكر المندوب السامي (ممثلي الامة) وقال « اؤكد لحضراتكم جميعا ان هذه المطالب هي قيد البحث ومحل الاعتبار ، وستتأكدون من ذلك بالاختبار[199] » .

يتضح هنا ان اللجنة التنفيذية تابعت اسلوبها السلمي في المطالبة بحقوق البلاد ، وهو نفس الاسلوب التي اتبعته مع هربرت صمويل ، مع الاعتراف بحقوق اليهود بنسبتهم العددية في الحكومة الوطنية المطلوبة . ومع كل ذلك لم يرد لورد بلومر على مطالب اللجنة التنفيذية حتى فبراير 1926 ، مما يدل بوضوح تام على ان الحكومة البريطانية لم تكن لتعير المطالب العربية اي اهتمام ، وذلك تبعا لضعف وتفكك الحركة الوطنية العربية في فلسطين . ففي صباح يوم الاثنين 22 فبراير 1926 ، استقبل المندوب السامي وفدا مؤلفا من عوني عبد الهادي ، خليل السكاكيني ، جمال الحسيني ، وديع البستاني وعيسى البندك . وكانت المقابلة بشأن المطالب العربية المقدمة في 13 اكتوبر 1925 .

---

199 ـ الصراط المستقيم - 8 - 1925/10/18.

رفض لورد بلومر بحث طلب العرب الخاص بانشاء حكومة وطنية نيابية في البلاد بنسبة عدد السكان . ووعد بان تبذل الحكومة جهدها « لاتخاذ التدابير التشريعية والادارية التي تستفيد منها الزراعة ، وبذلك تضع اسس عهد رخاء للمزارعين » غير ان ذلك لن يتم في رأيه الا اذا امكن تسهيل « الطرق المتبعة في فرض الضرائب وحمايتها » ، ووعد باحلال ضريبة اخرى محل ضريبة العشر ، وبتخفيض « غلاء المعيشة الحاضر » . ورفض اشراف العرب على المعارف قائلا ان « الحكومة لا تقصد ان تتخلى عن الاشراف على المدارس الوطنية العربية المنشأة الآن في البلاد . ولكن بينما هي تدير وتحسن هذه المدارس فانها تقصد ايضا ان تساعد المدارس الخصوصية التي تديرها الطوائف المختلفة والبالغة حدا معلوما من الكفاءة » . ووعد باجراء انتخابات المجالس البلدية . وانهى حديثه بقوله « غير انه لا يمكن القيام بأية اصلاحات او الحصول على نجاح حقيقي ما لم يحافظ على القانون والنظام ويستتب الامن في البلاد » . واضاف « قد توطد الامن العام الآن ، وسيوطد ايضا في المستقبل ، اذا عرف جميع الاهالي على اختلاف طبقاتهم ، وجميع ذوي السلطة والنفوذ ، اهمية هذا الامر ، وقرروا ان لا يفوهوا بقول او يقوموا بعمل مما قد يكون خطرا على الامن العام ، بقطع النظر عن آرائهم ومصالحهم الخاصة . ان مسئولية كبرى تقع على كل شخص يقصر في معرفة المسئولية الملقاة على عاتقه والعمل بموجبها[200] » .

يتضح من هذا ان الفيلد مارشال بلومر ، وهو رجل عسكري ، قد استخدم خبرته العسكرية وكفاءته في حفظ الامن فقط دون ان يستخدمها في معالجة الوضع السياسي في البلاد . ذلك انه كان على معرفة تامة بعجز الحركة الوطنية عن القيام باي عمل حاسم . ففي غضون فبراير 1926 ، اجرى راغب النشاشيبي وحسام الدين جار الله وموسى البديري وخليل

---

200 ـ من بيان الحكومة الرسمي في فلسطين - 97/854 - 1926/2/26.

الخالدي اتصالات سرية مع العديد من الزعامات والوجاهات التقليدية لتشكيل كتلة جديدة باسم (جماعة انصار الحق) ، وذلك بغرض التفاهم مع حكومة فلسطين[201] . ولا شك ان سعي راغب النشاشيبي المتواصل في تفتيت الحركة الوطنية كان بتوجيه من الحكومة البريطانية . فقد اورد عزة دروزة ان راغب النشاشيبي قال للحاج امين الحسيني ان من العبث انتظار الانسجام والتوافق بينهما حتى ولو ارادهما هو « لأن الانجليز لا يريدونهما[202] » .

وفي محاولة من الحاج امين الحسيني لدعم نفوذه ومركزه في البلاد ، وجه دعوة الى احمد زكي (من مصر) لزيارة فلسطين في ابريل 1926 . ولبى احمد زكي الدعوة ، ووجه في 6 مايو رسائل الى جميع زعماء فلسطين « يقترح عقد مؤتمر في الحرم يوم الجمعة الموافق 14 مايو[203] » . وعقد الاجتماع بالفعل في الزمان والمكان المحددين ، « وتم فيه التصافي والتصالح الى حد كبير » ، وطرحت في هذا الاجتماع مسألة عقد المؤتمر السابع[204] . الا ان ذلك كله لم يسفر حتى عن (وحدة الصف) في الحركة الوطنية .

مفاوضات المستر ميلز والعرب (يوليو 1926)

ان ضعف وعجز الحركة الوطنية دفع بعض السياسيين ، من ذوي المصالح الخاصة مع الاستعمار البريطاني ، الى الدخول في مفاوضات مع المستر ميلز Mills ، مساعد السكرتير العام لفلسطين ، الذي عرف بعدم عدائه للصهيونية[205] ، بهدف « اشتراك اهل فلسطين في شئون الحكومة التشريعية والتنفيذية » وقد تولى الدعوة الى هذه المفاوضات بولس شحادة ،

---

201 ـ الشورى 1926/2/4.

202 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3ص 50.

203 ـ فلسطين - 19/873 - 1926/5/11.

204 ـ فلسطين - 21/875 - 1926/5/18.

205 ـ E. Kedourie, op. cit., p. 71

وقد قبل الدعوة رفيق التميمي ، عزة دروزة ، رشيد الحاج ابراهيم ، معين الماضي وعمر الصالح البرغوثي . والثلاثة الاوائل مرتبطون باللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس ، ومعين الماضي من (جمعية تعاون القرى) ، وعمر الصالح البرغوثي وبولس شحادة من اعمدة الحزب الوطني . وقد رفض عوني عبد الهادي وفخري الحسيني الانضمام الى هيئة المفاوضات ، واعتذر جمال الحسيني نهائيا[206] . وعقد المفاوضون مع المستر ميلز اربع اجتماعات،خلال اسبوع في منتصف يوليو1926[207] . وقد جرى البحث حول الاسباب التي تمنع العرب من التعاون مع الحكومة ، وخاصة فيما اخذته على عاتقها من انشاء الوطن القومي ، وما ينطوي فيه من تعارض لمصالح العرب واخطار لكيانهم . وقالوا ان التعاون المطلوب يتوقف على تعديل الدستور على الاقل بحيث يرفع منه كل نص يتصل بتصريح وعد بلفور ، ويدخل عليه نصوص تيسر قيام حكم وطني برلماني يشترك فيه الفلسطينيون بنسبة عددهم ، ويمهد لقيام كيان سياسي فلسطيني ، وينتهي الى انهاء ، عهد الانتداب وابداله بمعاهدة على ما جرى في العراق » . ويقول دروزة ان ميلز كان قد « اظهر في الجلسة الاولى استعداده للبحث الواسع ، وامله في الوصول الى نتيجة . ورأى الوفد هذا تطورا عجيبا ، لان الحكومة الانجليزية لم تكن تقبل قط البحث في هذا الامر » . ودون المستر ميلز مذكرة[208] جاءت غير صحيحة في التعبير ، فأرسل الوفد تصحيحا للوقائع[209] ، كما ارسل مذكرة معدلة تتعلق بالتعديلات الدستورية . وعلق دروزة على المذكرة العربية الاخيرة فقال « وكانت مقترحاتها معتدلة ، لان الحالة الروحية وفتور الحركة الوطنية كانت تملي الرغبة في الحصول على شيء ما[210] » .

---

206 ـ انظر فلسطين 41/895 - 1926/7/30

207 ـ سجل احداثها عزة دروزة في فلسطين 55/909 - 1926/9/17، و 57/911 - 1926/9/24.

208 ـ راجع النص في عزة دروزة ج 3 ص 271 - 274.

209 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 274 - 227.

210 ـ المصدر السابق ص 50.

جاءت المذكرة العربية في 23 بندا[211] ، اعلن واضعوها ان هدفهم « انشاء حكومة دستورية يشترك الاهالي في امورها التشريعية والتنفيذية » . وهم يعرفون بان « صك الانتداب يفرض على الدولة المنتدبة مسئوليات دولية قبلت بها » لكنهم « يرغبون في ان لا تتعارض هذه المسئوليات مع حقوق العرب المدنية والقومية والسياسية والدينية » . اما بالنسبة لتصريح بلفور فقد اقترحوا ان يدمج في الدستور نص صريح « مفاده ان اهالي فلسطين لم يستشاروا فيما اتخذته حكومة صاحب الجلالة البريطانية في التعهدات الدولية بشأن بلادهم » . وهذا يعني بطريق غير مباشر انهم لن يعترضوا على تصريح بلفور . وتناولت البنود من 4 ـ 23 التعديلات المقترح ادخالها على الدستور ، والخاصة بانشاء برلمان بمجلسيه واختصاصات كل منهما وسلطاته . وقد اجاب المستر ميلز على المذكرة العربية برسالة مؤ رخة في 11 اغسطس[212] ، وجهها الى المفاوضين ، واشار فيها الى ان مذكرتهم رفعت الى المندوب السامي الذي سر من ان المذكرة « تكشف القناع عن ميل بين العرب لان يعدلوا عن السياسة السلبية المحضة التي اتبعوها بشأن مصالحهم الخاصة ، وان يتبعوا بدلا منها خطة يتمكنون بواسطتها من وضع اقتراحات قيمة لتشكيل حكومة دستورية » . وان « حكومة جلالة الملك قد تعهدت بان ترقي وتشجع مؤسسات الحكم الذاتي في هذه البلاد ، وبالطبع ان المرغوب فيه تحقيق جميع الاماني الصحيحة التي ترمي الى هذه الغاية ، مما لا يتعارض مع القيام بالتعهدات الاخرى التي على جلالته » . ولم يمانع المندوب السامي في « رفع اقتراحات اهالي البلاد للاشتراك في حكومة دستورية الى وزير المستعمرات » ، لكنه يجب ان يقتنع قبل ذلك بان « الاقتراحات المقدمة تعبر عن آراء هيئة عامة من اهالي البلاد » .

لم يعتبر الرد البريطاني (وفد المفاوضين) ممثلا لاهالي فلسطين ، بل طالب (بهيئة عامة) تقدم اقتراحات البلاد، او بمعنى ادق طلب ان يقدم

211ـ نفس المصدر ص 277 - 280.

212 ـ نفس المصدر ص - 280 - 281.

الاقتراحات مؤتمر وطني عام. ومع ان الحكومة البريطانية في ردها، لم تتنازل عن اي شيء من التزاماتها الدولية بشأن فلسطين ، الا ان الصحافة اليهودية اشارت الى ان « الحكومة لا تعتبر المفاوضات التي جرت بين المستر ميلز وبين ممثلي العرب ذات قيمة كبيرة[213] ». وهذا في الواقع صحيح الى حد كبير ، فان السياسة البريطانية كسبت من تلك المفاوضات ولم تخسر ، كسبت تعميق الخلافات في داخل الحركة الوطنية.

اصبحت الحاجة ماسة الى دعوة المؤتمر الوطني الفلسطيني الى الانعقاد ، بعد مرور اكثر من اربع سنوات على المؤتمر السادس ، وتفكك وانحلال القيادة التقليدية نتيجة الضعف والشلل الذي اصاب الحركة الوطنية . وقد تولى في هذه الفترة ، الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، الدعوة الى عقد المؤتمر السابع ، ونشر بيانا يدعو فيه زعماء فلسطين الى عقد مؤتمر وطني عام[214] . كما بعث برسائل الى زعماء البلاد « يبين فيها حالة فلسطين ويعرض عقد المؤتمر الوطني[215] ». وقد استجاب الزعماء لدعوة الفاروقي ، وشكلت (لجنة تحضيرية) من 40 عضوا ، واجتمعت في القدس في 15 اغسطس ، وحضر الاجتماع 25 عضوا فقط يمثلون سائر الاحزاب . ووفق في هذا الاجتماع على عقد المؤتمر السابع في القدس ، وكلف موسى كاظم الحسيني بتعيين موعد انعقاده[216] .

ومع كل هذا ، فان المؤتمر لم يعقد حتى عام 1928 ، ذلك ان البلاد شغلت منذ اكتوبر 1926 حتى 29 مايو 1927 بالانتخابات البلدية . وخاضتها الاحزاب والكتل والاسر والزعامات ، واسرفت في المزايدات الوطنية . وفشلت حملة قامت بها الصحف الوطنية ، مؤيدة من الجمعيات الاسلامية المسيحية ، ومن الحاج امين الحسيني ، رئيس المجلس الاسلامي

---

213 ـ الف باء 1926/8/29.

214 ـ فلسطين - 40/894 - 1926/7/27

215 ـ الشورى 1926/7/30.

216 ـ الشورى 1926/8/19.

الاعلى ، بجعل الانتخابات البلدية طائفية ، بمعنى ان تنتخب كل طائفة مرشحيها الخاصين في المجالس البلدية . ذلك ان المرشحين اليهود كانوا يفوزون بالتزكية لان عددهم كان مساو لعدد المقاعد المخصصة لهم . وقد عمل اليهود على التدخل في الانتخابات وتأييد من يتعاون معهم في المستقبل فأيدوا راغب النشاشيبي علانية في القدس . وكتب بن آفي Ben Avi مقالات افتتاحية في جريدة (دوار هايوم) بعنوان (انا لراغب)[217]. واتصلوا بمرشحي المجلسيين في القدس ، وعرض كلفرسكي على جمال الحسيني تأييد اليهود له ، لكن جمال الحسيني رفض كما يدعي[218]. وناصروا حسن شكري في حيفا ، وايدوا عاصم السعيد في يافا . وكانت نتيجة الانتخابات البلدية عموما نجاح راغب النشاشيبي وكتلته في معظم مدن فلسطين ، وهو امر كانت تؤيده وترعاه وتحافظ على وجوده السياسة البريطانية في فلسطين.

ويبدو ان المطالب الوطنية في هذه الفترة انبثقت من المذكرة العربية المقدمة الى المستر ميلز في يوليو 1926 . اذ كتب محمد عبد الله عنان ، مراسل (السياسة الاسبوعية) في القدس ، رسالة مؤرخة في 14 مايو 1927[219] ، ذكر فيها انه قابل موسى كاظم الحسيني ، رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس ، الذي صرح له بان مطالب العرب هي انشاء « حكومة وطنية دستورية تستند الى برلمان ينتخب ممثلا للامة » ، او بمعنى ادق يطلب « حكومة كحكومة العراق ، بمعنى انها تقوم على اساس الاستقلال الداخلي والحكم الدستوري والتآلف مع الانجليز وتسوية العلائق بالتعاهد المتبادل والاستعانة بالفنيين والمستشارين منهم » . اما بالنسبة للهجرة اليهودية فقد قال موسى كاظم انه لا مانع بعد تأسيس الحكومة الدستورية « ان يهاجر اليهود الى فلسطين في حدود القانون وعلى قدر موارد البلاد الاقتصادية » .

217ـ الشورى 1926/12/2.
218ـ فلسطين 92/946 - 1927/2/4.
219ـ السياسة الاسبوعية 1927/5/21.

ورد على سؤال بشان تأخير عقد المؤتمر السابع فقال « ان السبب هو اختلاف الاحزاب ولكننا نعتزم اتخاذ العدة لعقده قريبا ، فاذا لم نوفق الى عقده فرأيي اننا ننشىء حزبا سياسيا مكان اللجنة التنفيذية يعمل للقضية الوطنية » . واضاف ان القضية الفلسطينية الان تجتاز فترة من السكون لا لانها تنوسيت ، ولكن لما حدث من خلاف بين الاحزاب والزعماء . فقد خرج على اللجنة بعض الزعماء بحجة انها شديدة متطرفة ، وان الاعتدال واجب ، والتفاهم اجدى وانفع ، وعلى ذلك انشأوا لهم شعبا واحزابا خاصة ، صدع أنشاؤ ها من قوة اللجنة » .

ولم تلق دعوة جادة وجهها حمدي الحسيني الى الصحافة العربية الفلسطينية خاصة ، والعربية عامة ، اية استجابة . فقد اقترح « توجيه دفة القضية العربية في فلسطين وشرق الاردن الى رفض الانتداب ومقاومته بالطرق المشروعة » ، وان لا يتم اي نوع من التعاون مع حكومة الانتداب في فلسطين وشرق الاردن ، وان لا يكون هناك مفاوضة مع الحكومة البريطانية « الا بعد الجلاء التام عن فلسطين وشرق الاردن » . كما دعا الى « عقد مؤتمر شعبي عام يسمى مؤتمر الاستقلال الاول ، يضع ميثاقا قوميا للعرب في فلسطين وشرق الاردن وطريق تنفيذه[220] » . لقد حاول حمدي الحسيني اي يرسم الاتجاه الصحيح للحركة الوطنيةالفلسطينية ، لكن الظروف التي كانت تمر بها الحركة الوطنية في البلاد ، ونتيجة للانسلاخات والانشقاقات ، وعدم قبول الزعامات التقليدية بتغيير اسلوب نضالها ، كل هذا حال حتى دون الالتفات او بحث اقتراح حمدي الحسيني . ولقد عبر الشيخ سليم اليعقوبي (مفتي يافا السابق) ، عن الاوضاع السائدة في فلسطين في هذه الفترة فقال في قصيدة له :

اسرفت في عدائها الزعماء وبلاء البلاء ذاك العداء

ضربوا في صميم شعب فلسطين كما يضرب القلوب الوباء

---

220 ـ الشورى 1927/6/9.

ومنها :

واذا كانت الزعامة حربا فعلى السلم والسلام العفاء[221]

واصيبت البلاد بكارثة جديدة ، اذ حدثت فيها زلازل ارضية في يوم الاثنين الحادي عشر من يوليو 1927 ، مما زاد في الازمة الاقتصادية الخانقة التي مرت بالبلاد .

ان وحدة المصلحة التي جمعت بين راغب النشاشيبي وكتلته لخوض الانتخابات البلدية التي اسفرت عن نجاحهم الساحق ، لم تستمر طويلا . ذلك ان زعامة الشمال بقيادة اسعد الشقيري وحسن شكري ارادت ان تستقل عن قيادة القدس . ولم يوافق راغب النشاشيبي على ذلك ، لان معناه اضعاف الكتلة النشاشيبية . فغادر القدس يرافقه علي جار الله ، مصطفى الخالدي ، اسحق البديري ، عاصم السعيد ، فخري النشاشيبي ، عمر البيطار ، وعبد الرحمن التاجي الفاروقي ، الى حيفا حيث اجتمعوا بحسن شكري واسعد الشقيري ، « لبحث الطريقة التي تؤدي الى التفاهم والوفاق بين الاحزاب[222] .

مؤتمر وادي حنين (اكتوبر 1927)

وزاد الامر سوءاً اكتشاف محاولة لاغتيال حسن صدقي الدجاني من الكتلة النشاشيبية ، اتهم فيها كل من احمد العوري الموظف في المجلس الاسلامي الاعلى ، وصالح سلامة وحسن سلامة وشاكر احمد وعودة احمد حسين من بيت نوبا[223] (على طريق اللطرون - رام الله) . كما اكتشفت محاولات اخرى كان هدفها اغتيال معارضي المجلس الاسلامي الاعلى واللجنة التنفيذية[224] . فسارعت الكتلة النشاشيبية الى الاتصال بالحاج امين الحسيني ، ودعوته الى (مؤتمر وادي حنين) في 14 اكتوبر 1927 في

---

221 - الشورى 1927/7/7.

222 - المقطم 1927/6/23.

223 - المقطم 1927/9/28.

224 - المقطم 1927/10/4.

بيارة (بستان) عبد الرحمن التاجي الفاروقي . حضر هذا المؤتمر بالاضافة الى المضيف كل من موسى كاظم الحسيني ، راغب النشاشيبي ، الحاج امين الحسيني ، علي جار الله ، خليل بسيسو ، سعيد الشوا ، يوسف الدجاني ، علي المستقيم ، عاصم السعيد ، الشيخ محمد مراد ، خليل طه ، عبد الفتاح السعدي ، توفيق العبد الله ، الشيخ عبد الله الجزار ، سلميان عبد الرازق طوقان ، امين التميمي ، الشيخ راغب ابو السعود الدجاني ، وعبد اللطيف ابو خضرة[225] . ولم ينجح هذا المؤتمر فعلا ، وان تصافى الجميع ظاهرا ، في وضع حد لتفكك وعجز وانحلال الحركة الوطنية .

وقد فشل ايضا احسان الجابري[226] ، الذي قدم فلسطين في اواخر اكتوبر 1927[227] ، بهدف محاولة ايجاد نوع من المصالحة الوطنية . فقد ذكر للباحث (في مقابلة جرت مساء 23 نوفمبر 1970) انه جمع زعماء الكتلة الحسينية والكتلة النشاشيبية في منزل راغب الخالدي في القدس ، وشرح لهم القضية وبين اهداف اليهود ، وان العرب سيخرجون من البلاد حفاة لا يلوون على شيء ، ورجاهم متضرعا ان يقبلوا توحيد الكلمة وان يهجروا الاحقاد والغيرة بينهم . لكن جواب راغب الخالدي كان (علينا وعلى اعدائنا يا رب) .

شاركت الصحافة العربية بفلسطين بدورها في اضعاف الحركة الوطنية، اذ انقسمت الى مؤيد للكتلة الحسينية، او معارض لها. وبدا ذلك واضحا في الحملة الصحفية القاسية التي وقعت بين جريدة فلسطين (كتلة نشاشيبية) وبين جريدة (الجامعة العربية) الناطقة بلسان الكتلة الحسينية. ونجح بعض الصحفيين في الدعوة الى مؤتمر عقد في يافا في 12، 13، 14،

225 ـ المقطم 1927/10/21، السياسة الاسبوعية 1927/10/15.

226 ـ كان احسان الجابري عضو الوفد السوري الفلسطيني (الذي تألف من احسان الجابري، وشكيب ارسلان ورياض الصلح) الذي اوكل اليه امر الدفاع عن القضية الفلسطينية في اوروبا.

227 ـ السياسة الاسبوعية 1927/10/29

نوفمبر[228] ، ضم مندوبين عن الكرمل، فلسطين، مرآة الشرق، صوت الشعب، اليرموك، الجامعة العربية، الصراط المستقيم، صوت الحق، والزهور. وقرر المؤتمر ان يدعو الصحفيون الى « جمع كلمة الامة وتسهيل عقد مؤتمر عام يمثل آراء الامة في قضيتها السياسية العامة، والدفاع عن مصالح الامة امام الحكومة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ». اما بالنسبة للصحفيين فقد طلب منهم « تبادل الاحترام على اختلاف الآراء، ومراعاة حقوق الزمالة وآداب الصحافة ومقاومة كل حركة من شأنها احياء النعرات الطائفية والنزعات الدينية » .

الحزب الحر الفلسطيني (ديسمبر 1927)

ومنيت البلاد بانسلاخ جديد في الحركة الوطنية ، قام به بعض شباب مدينة يافا ، فقد اجتمع في اوائل الاسبوع الثاني من نوفمبر 1927، في مكتب حلمي ابو خضرة، كل من : عيسى العيسى ، فهمي الحسيني ، سليمان ابو غزالة، سعد الصايغ، عبد القادر ابو رباح الدجاني، حمدي الحسيني، موسى الكيالي، ويوسف عاشور. وبحثوا في تأليف (الحزب الحر الفلسطيني) بحيث يقوم على الاسس التالية: (1) ان لا يتكلم الا بلسان اعضائه (2) ان يعتبر الانتداب صفة مؤقتة يعمل على ازالتها بتحقيق الاماني الوطنية والسيادة القومية والدفاع عن حقوق البلاد سياسيا واقتصاديا وعلميا، والاهتمام بالاشغال العامة والعمال. وقد عهد الى عيسى العيسى، فهمي الحسيني، عبد القادر ابو رباح الدجاني، سعد الصايغ، حلمي ابو خضرة، وموسى الكيالي بسن قانون الحزب[229] . وقد انسحب حمدي الحسيني من الحزب، لان مبادىء الحزب لا تتفق ومبادئه .

لقد مثل هذا الحزب الطبقة المتوسطة . فقد ضم اصحاب صحف ،

---

228 السياسة الاسبوعية1927/11/19.

229ـ السياسة الاسبوعية 1927/11/19، الشرق الادنى - 8 - 1927/11/30.

ومحامين ، وتجار ومدرسين ، ولم يكن ينتظر منه ان يقوم بعمل مضاد لكتلة الحسيني او لكتلة النشاشيبي . ذلك ان مصالحه مرتبطة باحدى الكتلتين معا . ومع ذلك اعلن تاسيس الحزب في الاسبوع الاول من ديسمبر 1927 . وتشكلت لجنة ادارة الحزب من فهمي الحسيني ، عبد القادر ابو رباح الدجاني ، عبد الرؤوف البيطار ، فوزي ابو خضرة ، الفرد روك ، سعد الصايغ ، يوسف السعيد ، عيسى ابو الجبين ، فائق طلماس ، موسى الكيالي ، وعيسى العيسى . وعقدت اول جلساتها في 8 ديسمبر ، وانتخبت عبد القادر ابو رباح الدجاني سكرتيرا ، وحلمي ابو خضرة مساعدا له ، وفهمي الحسيني مندوبا للحزب لدى الحكومة(230) . كما اتفق ان تعقد لجنة الحزب الادارية جلسة اسبوعية كل يوم اربعاء(231) .

المؤتمر التبشيري (مارس - ابريل 1928) وتأسيس جمعيات الشبان المسلمين

وفي اواخر مارس 1928، افزع البلاد المقدسة ، عقد مؤتمر تبشيري على جبل الزيتون في القدس ، دعا اليه المجلس الدولي للارساليات التبشيرية . وحضره مندوبو 51 دولة ، دون ان يكون بينهم مندوبا واحدا يمثل المسيحيين العرب . وانهى جلساته يوم السبت في 7 ابريل 1928(232) . وشاع في فلسطين ان غاية هذا المؤتمر التبشيري البروتستانتي ، التي كانت جلساته سرية، هي « غزو الدين الاسلامي خاصة وبقية المذاهب غير البروتستانتية عامة(233) » . واثار المؤتمر موجة من الاستنكار والاحتجاج ، فارسلت مدن جنين وطولكرم ويافا برقيات احتجاج الى المجلس الاسلامي الاعلى في الثاني من ابريل(234) . واحتجّ علماء وتجار واعيان القدس ببرقية

230ـ الشرق الادنى 10 - 1927/12/14.

231ـ الشرق الادنى - 14 - 1928/1/10.

232ـ عيسى السفري : المصدر السابق ص 117.

233ـ الشرق الادنى - 26 - 1928/4/11.

234ـ البلاغ - 1551 - 1928/4/8.

مماثلة في 5 ابريل ، واحتجت غزة والناصرة ويافا (للمرة الثانية) في 7 ابريل ، وغزة (للمرة الثانية) وعكا وطبريا في 8 ابريل ، والمجدل في 14 منه[235] ، ضد المؤتمر .

وقامت مظاهرة في غزة يوم الجمعة 13 ابريل ، ضد الحكومة ، وهاجمت مركز بوليس المدينة ، واطلق البوليس النار فأصيب ثلاثة اشخاص بجروح مختلفة ، واضطرت الحكومة ان تقطع سبل الاتصال بين غزة وباقي المدن الفلسطينية، وذلك خوفا من زيادة الاضطرابات ، فيما لو وصل الامر الى الجماهير التي تحتفل بموسم النبي موسى . ومع ذك وصلت الاخبار الى المحتفلين بالموسم ، فقامت مظاهرة في القدس ، وعدت الحكومة على اثرها بعدم تقديم متهمي غزة الى المحاكمة، لكنها عادت فحاكمتهم في منتصف مايو 1928.

كان رد الفعل السريع ، بالاضافة الى المظاهرات والاضطرابات ، ان عقدت النوادي الاسلامية مؤتمرا لها في يافا ، في الاسبوع الثالث من ابريل 1928. وقد وقعت مشادات بين اعضاء المؤتمر حول برنامجه وانتهت بتغلب الروح الوطنية ، ووضع المؤتمر قرارات كان اهمها « تعميم النوادي الاسلامية في البلاد وربط هذه النوادي في المستقبل بجمعية الشبان المسلمين بمصر» . ومطالبة الحكومة بالمزيد من المدارس ، وحث الاهالي على مقاطعة المدارس التبشيرية . كما ابرق المؤتمر للحكومة محتجا على القسوة التي استعملها مدير البوليس مع مسلمي غزة[236] . والواقع ان مؤتمر يافا قرر تأسيس جمعيات الشبان المسلمين في فلسطين ، واكد ذلك احمد الشقيري احد اعضاء وفد القدس الى المؤتمر ، اذ قال « ونجح المؤتمر نجاحا عظيما باهرا وقرر تأسيس جمعيات الشبان المسلمين في كل انحاء البلاد . ولقد حرصنا ان تظل الجبهة الوطنية في فلسطين الاسلامية المسيحية

---

235 ـ البلاغ - 1559 - 1928/4/16.

236 ـ السياسة الاسبوعية 1928/4/28.

قوية متماسكة . وبات مفهوما لدى الاوساط المسيحية ان تأليف جمعيات الشبان المسلمين هو قوة جديدة للحركة الوطنية وليس انفصاما للجبهة القومية ». [237] والواقع ان جمعيات الشبان المسلمين في فلسطين ، وهي جمعيات دينية ، لم تنشأ الا بعد ازدياد عدد جمعيات الشبان المسيحية، التي كان الاهالي يعتقدون ان السلطات البريطانية تقوم على حمايتها ومساعدتها ماديا وادبيا . وقد اشارت (الاخاء) وهي مجلة عنيت بالشئون المسيحية الى ظاهرة انشاء « انديةمسيحية دون انتظام المسلمين فيها[238] » .

ومهما يكن ، فقد اسرعت عناصر الشباب الى تأليف جمعيات الشبان المسلمين في المدن الفلسطينية ، وقامت اولى هذه الجمعيات في مدينة نابلس ، برئاسة عزة دروزة ، في 17 و 18 مايو 1928 . واعلنت في 12 يونيه ، قانونها بعد موافقة حكومة فلسطين عليه . وقد جاء في قانونها ان الجمعية « دينية اجتماعية ادبية لا تتدخل في السياسة ولا تنتسب الى حزب ما » ، وانها تعنى بتنظيم « شئون الشباب الاسلامي وجمعه في حلقات ادبية وتوثيق عرى الصداقة والالفة بين افراده ، ورفع مستوى ثقافته بالقاء المحاضرات العلمية والادبية ، ومساعدته على اتمام تعليمه وتحسين مركزه بما تيسر لها من الوسائل الادبية والمادية . وستهتم كذلك بالشئون الصحية والرياضية والكشفية والفنية اهتماما وافيا » . كما نوه القانون بان حركة انشاء جمعيات الشبان المسلمين « حركة انشائية اساسية في وضع النهضة في هذه البلاد على اسس متينة . وليست هي رد فعل لاية حركة من الحركات . ومن اجل ذلك فلن تنتهج خطة عدائية لاحد ، ولن تتعارض في اعمالها مع اية غاية وطنية او هيئة وطنية مهما كانت طائفيتها ونزعتها[239] .

المؤتمر الفلسطيني السابع (يونيه 1928)

عجل المؤتمر التبشيري الذي عقد في القدس بالدعوة الى عقد

---

237 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 110 - 111.

238 ـ الاخاء ـ ع 2 س— 5 مايو1928.

239 ـ وثائق المقاومة ص 101 - 111.

المؤتمر السابع . واجتمع موسى كاظم وعمر البيطار في القدس في يوم الجمعة 18 مايو ، بعدد من الوطنيين ، وتقرر عقد المؤتمر في 15 يونيه في القدس ، وان يناقش الشئون الاقتصادية والادارية والتشريعية والزراعية بوجه عام ، والحالة الزراعية لعام 1928 بوجه خاص ، ومسألة الضرائب ومشروع البحر الميت والمعارف وتنظيم الحركة الوطنية ، وان يؤلف لكل موضوع لجنة تنيب عنها مقررا يفصل نظريات موضوعه ، وانتخب موسى كاظم وعمر البيطار وعوني عبد الهادي ورشيد الحاج ابراهيم وشكري التاجي الفاروقي وعيسى البندك لتنفيذ قرارات المجتمعين . كما تقرر ان تصدر الدعوة الى المؤتمر باسم اللجنة التحضيرية من غير توقيعات ، وان يكون عدد اعضاء المؤتمر 193 عضوا[240] . ثم اعلنت اللجنة التحضيرية تأجيل عقد المؤتمر الى 20 يونيه ، وان يكون لكل ثلاثة آلاف مواطن مندوب واحد ، وان لا تقبل « انابات او وكالات في المؤتمر ». وقالت اللجنة ان « سبب التأجيل هو الرغبة في توحيد الصفوف توحيدا متينا[241] ».

اجتمع المؤتمر في القدس يومي الاربعاء والخميس في 20 و 21 يونيه 1928 ، وحضره 227 مندوبا[242] . وقرر المطالبة بحكومة برلمانية ، وتحية الجمعية التأسيسية في سوريا، وشكر الوفد السوري في اوروبا ، والاحتجاج على كثرة الموظفين الانجليز في الحكومة الفلسطينية ، وعلى منح امتياز البحر الميت لشركة اجنبية ، وعلى تفضيل العمال اليهود على العمال العرب في الاشغال الحكومية، والمطالبة بوقف سن القوانين ريثما تؤلف الحكومة البرلمانية[243] . كما اتخذ قرارا ضعيفا بتأييد مقررات المؤتمرات السابقة . ويلاحظ على هذه المقررات انها لم تتضمن اية اشارة او نقد موجه ضد الصهيونية ، ويعود الفضل في ذلك الى احسان الجابري ، الذي ضغط على

---

240 ـ انظر توزيعهم في المقطم 1928/5/29، الشرق الادنى - 31 - 1928/5/23.

241 ـ الشرق الادنى - 34 - 1928/6/20.

242 ـ انظر توزيعهم في الشورى 1928/6/28.

243 ـ امين سعيد : المصدر السابق ج3 ص57، 1928/6/23، الشورى 1928/6/28، السياسة الاسبوعية 1928/6/23.

المؤتمر ، كما قال دافيد بن غوريون[244] حتى يحول دون صدور او اصدار اية كلمة تمس الصهيونية . وانتخب المؤتمر لجنة تنفيـذية من 48 عضوا[245] ، 18 عضوا من المسلمين ينتمون الى الكتلة الحسينية ، و18 اخرين ينتمون الى الكتلة النشاشيبية ، و12 مسيحيا منهم 4 للحسينية و8 للنشاشيبية[246] . وعلى ذلك فان اكثرية اللجنة التنفيذية كانت من الكتلة النشاشيبية .

علق عزة دروزة (احد اعضاء المؤتمر وعضو لجنته التنفيذية) على المؤتمر السابع ولجنته التنفيذية ، وتأثير كل ذلك على الحركة الوطنية فقال «واشترك فيه ممثلون لمختلف الفئات بقطع النظر عن السابقة والاخلاص ، بحيث دخله مخلصون مجاهدون ، كما دخله منافقون بل وسماسرة وباعة اراضي وجواسيس . وكان اضعف مؤتمرات فلسطين من ناحية الحماس وقوة القرارات وشمولها ، وطابع النضال . وكاد يسفر عن المطالبة بحكومة وطنية في نظام الانتداب القائم ، لولا ان انتبه بعض الوطنيين الى مغبة ذلك ، فأتخذوا قرارا بتأييد مقررات المؤتمرات السابقة ، وامكن اخذ الموافقة عليه . وقد انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية كثيرة العدد (48شخصا) لتتسع لتمثيل جميع الفئات والاقضية ، على اساس عضوين مسلمين عن كل قضاء ، واحد مجلسي واخر معارض ، مع اضافة عدد معين من المسيحيين ، وكانت اللجنة التنفيذية فعلا ممثلة للفئات جميعها مجلسية ومعارضة ومخلصة ومنافقة ، وسماسرة وباعة اراضي وجواسيس . وانتخب لها ثلاثة امناء سر : واحد مجلسي (جمال الحسيني) واخر معارض (عوني عبد الهادي وثالث مسيحي (مغنم الياس مغنم) ، فكان هذا مظهرا لمدى الانقسام الذي حل في صفوف المسلمين ، ومدى ما كسبته المعارضة ـ التي

---

244 ـ دافيد بن غوريون : المصدر السابق، ص 58.

245 ـ انظر اسماءهم في الشورى 1928/6/28.

246 ـ السياسة الاسبوعية 1928/6/30.

شجع عليها الانجليز في الاصل ـ من خطورة ، وما اصاب الجبهة الوطنيةمن تضعضع وبالتالي ما اصاب الانجليز من نجاح عظيم في توجيهاتهم ودسائسهم وخططهم[247] » .

لا شك ان الكتلة النشاشيبية هي التي كسبت من عقد المؤتمر السابع ، الا انها لم تستطع ان تقود الحركة الوطنية في البلاد ، او ان تضع لها برنامجا وطنيا جديدا يقوم على اسس ايجابية كما كانت تدعي . ذلك ان الصحف اليهودية هاجمت بشدة مطلب العرب بتأسيس مجلس نيابي ، ووصفته بانه « خطر داهم على مقدرات واماني شعب اسرائيل » ، وحضت اليهود على مقاومة تلك الفكرة ، مشترطة لقبولها شرطين : الاول ان يكون عدد اليهود مساويا لعدد العرب في المجلس ، والثاني ان يرجأ انشاء هذا المجلس حتى تصبح غالبية السكان في فلسطين من اليهود[248] .

هدأت الحركة الوطنية في البلاد بعد عقد المؤتمر السابع ، وكأن المؤتمر كان اشارة لذلك الهدوء ، وارتفعت بالمقابل اسهم الكتلة النشاشيبية ، وسماسرة الارض والوطنية . وفي حفلة نهاية العام الدراسي التي اقامتها (كلية النجاح الوطنية) في نابلس ، القى ابراهيم طوقان قصيدته الشهيرة ، ومطلعها :

كفكف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل

والتي جاء فيها :

وطن يباع ويشترى — وتصيح فليحيا الوطن
لو كنت تبغي خيره — لبذلت من دمك الثمن
ولقمت تضمد جرحه — لو كنت من اهل الفطن[249]

حادث البراق (سبتمبر 1928)

لم يستمر الهدوء طويلا ، ذلك ان البلاد فوجئت في يوم الاحد 23

---

247 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3، ص59.

248 ـ السياسة الاسبوعية 1928/7/7.

249 ـ البدوي الملثم : ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته، بيروت 1964، ص 28 - 29.

سبتمبر 1928 ، باليهود وهم ينصبون ستارا على حائط المبكى للفصل بين الرجال والنساء ، وكان معنى هذا الفصل ان يتحول حائط المبكى ، وهو الحائط الغربي من الحرم الشريف ومن ممتلكات المسلمين المقدسة ، الى كنيس يهودي . واشارت السلطات البريطانية على اليهود بان ينزلوا الستار (تطبيقا لنص المواد 13 و 14 من صك الانتداب لفلسطين) ، الا انهم لم يستجيبوا للامر . وفي اليوم التالي ، الاثنين 24 سبتمبر ، وهو عيد الكفارة (الغفران) عند اليهود ، نزع البوليس البريطاني الستار بالقوة .

وساد المسلمين شعور من الغضب والخوف ، فقد اغضبهم ما وقع عند الحائط من اعتداءات يهودية متكررة بعد عيد الغفران ، واخافهم ما رأوه من نوايا اليهود المبيتة لامتلاك الاماكن المقدسة الاسلامية . وسرعان ما رفع الحاج امين الحسيني ، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، مذكرة مؤرخة في 8 اكتوبر[250] الى القائم باعمال الحكومة (كان لورد بلومر قد غادر البلاد منذ 31 يوليو) اوضح فيها ان المسلمين يعرفون « ما تنطوي عليه صدور اليهود من المطامع التي لا حد لها في هذا الموضوع ، وان غايتهم هي امتلاك المسجد الاقصى تدريجيا بزعم انه (الهيكل) ، مبتدئين بالجدار الغربي منه ، وهو قطعة لا تنفصل من المسجد الاقصى » . ولفت نظر الحكومة الى قوة الشعور الديني في البلاد وذلك لكي « تنصح اليهود بتوقيف هذه الدعاية العدائية التي يتولد منها بطبيعة الحال قيام دعاية اسلامية تقابلها في العالم الاسلامي بكامله ، تلقى مسئوليتها على اليهود » . واكد الحاج امين ان المسلمين « مصممون تصميما نهائيا على ان يقفوا سداً منيعا حائلا دون كل طامع في مسجدهم بجميع جدرانه ، او في اوقافهم واماكنهم المقدسة . وانهم لن يتقهقروا خطوة واحدة امام اي عدوان » .

ودعا الحاج امين الحسيني الى عقد مؤتمر اسلامي في القدس في 2 نوفمبر، اشتركت فيه وفود من سوريا ولبنان وشرق الاردن[251] ، وقرر

---

250 ـ نجيب صدقه، المصدر السابق، ص 114 - 115.

251 ـ انظر المقطم 2، و1928/11/3.

الاحتجاج الشديد على اعتداء اليهود باسم مسلمي العالم للحكومة البريطاينة وجمعية الامم والدول الاجنبية والرأي العام الشرقي والغربي » ، وتشكيل جمعية حراسة المسجد الاقصى) ، وتصميم شعار وشارة خاصتين بها ، كما ووفق على تعيين لجنة لوضع قانون الجمعية[252] .

وقد وجهت عدة اسئلة في مجلس العموم البريطاني حول حادث البراق لعام 1928 ، واضطر المستر امري ، وزير المستعمرات ، الى ان يعلن في 12 نوفمبر ان « هدف الحكومة البريطانية وحكومة فلسطين بالنسبة لهذة الحوادث هو المحافظة على الوضع الراهن Status Qho بين العرب واليهود ، طبقا لنص المادة 13 من صك الانتداب . وان العمل الذي قامت به سلطات حكومة فلسطين هو فعلا لحفظ ذلك التوازن الدقيق » . واعلن اسف الحكومة البريطانية لما اصاب جموع اليهود في ذلك اليوم المقدس بالنسبة لهم . ثم اكد ان اليهود لم يثيروا قضية ملكية حائط المبكى ، ولم يطالبوا باي شيء مناقض لحرمة الاماكن المقدسة الاسلامية . وعبر عن اقتناعه بان « الازمة القائمة سوف يمكن تفاديها وديا باتفاق يتم بين الجانبين ، وان هذا الاتفاق تؤ يده حكومة صاحب الجلالة ، وسوف تبذل جهدها للوصول اليه[253] »
. واثيرت المسألة مرة اخرى في 19 نوفمبر ، فصرح المستر اورمسبي غور ، وكيل وزارة المستعمرات ، بان « الحكومة البريطاينة وحكومة فلسطين عازمتان على عدم تغليب طائفة على طائفة اخرى ، وانه لا يمكن اتهام لورد بلومر ولا سلفه بانهم نقضوا نص وروح صك الانتداب[254] » . واعرب المستر امري في 26 نوفمبر عن ثقته بالقائم باعمال المندوب السامي ، وانه سيبذل جهده للمحافظة على (الوضع الراهن) ، ووعد بان ينشر قريبا كتابا ابيض عن كل القضية[255] .

---

252 ـ المقطم 1928/11/3، الرابطة الشرقية ع2 س1 - 1928/12/15.

253 ـ P.D. vol. 222, cols. 472 - 3

254 ـ op. cit., col. 1362

255 P.D. vol. 223, cols. 10 - 11

واعترض اليهود على بعض الاصلاحات والمنشآت التي قامت بها (هيئة تعمير المسجد الاقصى) ، واحتجوا على ذلك لدى الحكومة البريطاينة . لكن المستر امري صرح في 28 نوفمبر بانه « غير مقتنع بان السلطات الاسلامية قد قامت بانتهاك الوضع الراهن في القدس . وطبقا لاخر التقارير الواردة من القدس فانه يظهر ان حائطا صغيرا بني فوق العمارة التي تحيط بجزء من حائط المبكى ، وان هذا الجدار جزء متمم لبناء بدىء في تشييده منذ عدة شهور ». ثم قال « وانا على علم تام بانه عندما بدىء في تشييد هذا الجدار لم يصدراي احتجاج يزعم ان اقامة هذا الجدار فيه نقض للوضع الراهن في المدينة[256] ».

اصدرت الحكومة البريطانية كتابا ابيض رقم 3229[257] ، عن حادث البراق لعام 1928 ، ورد فيه انه من وظيفتها المحافظة على حقوق اليهود في اداء الصلاة في المبكى ، كما ان لهم ان يأخذوا معهم الاشياء الجوهرية التي كان مسموحا بها ايام الحكم العثماني . وسيعهد للبوليس اليهودي ان يتولى المحافظة في البراق ايام اعياد اليهود في المستقبل ، وان ذلك لم يتم هذا العام لان جميع افراد البوليس اليهودي كانوا قائمين باجازة عيد الكفارة بناء على طلب رئيس الحاخامين المستعجل . وكان البوليس (البريطاني) مضطرا لان يقوم بالاجراءات العاجلة لانه لم يكن في الامكان تأخير تلك الاجراءات الى ما بعد يوم العيد ، اذ يكون قد تحدى قاعدة (الوضع الراهن) التي عهد الى الحكومة البريطاينة في صك الانتداب ان تحافظ عليها كل المحافظة . وكانت حكومة فلسطين قد اقترحت ان يقوم المجلس الاسلامي الاعلى واللجنة الصهيونية بالتفاهم بين بعضهما على طريقة ممارسة الحقوق في البراق ، على ان يكون ذلك مرضيا لليهود دون ان يمس حقوق المسلمين المشروعة . والحكومة البريطانية ترحب بأي حل او اتفاق من هذا النوع ، لانها تود ان تحول دون تكرار اي حادث في البراق .

---

256 - op. cit., col. 438

257 - CMD. 3229. The Western or Wailing Wall in Jerusalem. Memorandum by the secretary of state for the colonies, 1928

ولكن المبادرة البريطانية باءت بالفشل، لان كلا الجانبين الاسلامي واليهودي رفض التعاون في هذا الصدد. وظل (الوضع الراهن) هو القائم. وصرح المستر امري في 3 ديسمبر بانه « مقتنع تماما بان السلطات الاسلامية لم تنقض (الوضع الراهن » في المدينة المقدسة[258] ».

لا شك ان دراسة مواقف اطراف النزاع المختلفة ، العرب والصهيونيين والحكومة البريطانية ، تكشف النقاب عن ان القيادات المختلفة لهذه الاطراف قد افادت من الفرص التي اتاحتها لها تطورات الاحداث . فالحكومة البريطانية افادت من تحول العداء المتصاعد للحركة الوطنية الفلسطينية ضدها ، الى حركة صراع ديني بين المسلمين واليهود . اما بالنسبة للصهيونيين فقد جاء حادث 24 سبتمبر في وقت حرج ، كان وايزمن قد بدأ رحلته الى الولايات المتحدة محاولا اثارة حماس اليهود لجمع التبرعات لبناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ومن المحتمل ان يكون الحادث قد ساعد على التقارب بين العناصر الصهيونية وغير الصهيونية من اليهود الامريكيين في اثناء النصف الثاني من عام 1928 . فقد كتب وايزمن ، وهو في نيويورك ، في 31 اكتوبر ، الى شكبورغ ، في وزارة المستعمرات ، يصف ذلك التقارب فقال ان حادث حائط المبكى « قد اثار مشاعر الطائفة اليهودية في مختلف انحاء البلاد » . والحقيقة ان نشوب نزاع ديني في فلسطين يمكن ان يستغل كسلاح دعائي رئيسي في حملة ناجحة لجمع التبرعات . ولا شك ان ضعف المشاعر الصهيونية لدى اليهود خارج فلسطين ، كان من اشد اعداء الصهيونية . ولكن نشوب نزاع بشأن حائط المبكى كانكفيلا باثارة اهتمام اليهود وحفزهم على الاقبال للتبرع[259] لبني دينهم في فلسطين .

اما بالنسبة للعرب، فان الحادث أسفر اولا عن تأييد البلدان المجاورة تأييدا تاما للقضية العربية الفلسطينية ،يدل على ذلك اشتراك وفود شرق الاردن

---

258 _ P.D. vol. 223, cols. 813 - 4

259 _ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 231 - 232.

وسوريا ولبنان في المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس في 2 نوفمبر . كما اسفر عن امكانية استغلال الشعور الاسلامي في العالم كله ، خاصة في الهند ، وامكان استخدام هذا الشعور في الضغط على الحكومة البريطانية . واخيرا فانه يمكن القول ان حادث 24 سبتمبر كان بداية طيبة لزعامة الحاج امين الحسيني ، الذي تعرض في عام 1928 لنقد شديد . فقد ذكر احمد الشقيري ما يلي « تصديت للحاج امين الحسيني في عدة مقالات عام 1928 ، اندد بسياسته في المجلس الاسلامي ، وانعي عليه تعيين اقاربه واهله في المحاكم الشرعية ودوائر الاوقاف . وكان اشد هذه المقالات بعنوان (أتعظ بعثمان بن عفان يا حاج امين) . كنت اقصد احراج الحاج امين واخراجه ، ليخرج من المجلس الاسلامي ويقود الحركة الوطنية مباشرة وعلانية . فقد كنت اراه مؤهلا للزعامة . ولكن الحاج امين لم يحرج ولم يخرج ، وقنع ان يبقى في منصبه يسند الحركة الوطنية من وراء ستار ، دون ان يثير حفيظة الانجليز [260] » .

انعش حادث 24 سبتمبر الحركة الوطنية في البلاد الى حد ما . وحاولت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع ان تضغط على المندوب السامي الجديد ، السير جون روبرت تشانسلور J. R. Chancellor ، الذي وصل فلسطين في 6 ديسمبر 1928 ، في محاولة لاعادة فتح باب المفاوضات من اجل تأسيس مجلس نيابي . ففي يوم الخميس 3 يناير 1929 ، قابل المندوب وفدا مكونا من موسى كاظم ، يعقوب فراج ، عوني عبد الهادي ، جمال الحسيني ، ومغنم مغنم . وقدم اعضاء الوفد مذكرة [261] اشاروا فيها الى العهود المقطوعة للعرب ، وفشل السياسة البريطانية في عهد صمويل وبلومر في فلسطين . وابدوا استغرابهم « كيف ان بريطانيا العظمى التي سبقت العالم في تطبيق نظام الحكومة البرلمانية ، ترغم اهالي فلسطين على

---

260 ـ مقابلة مع السيد احمد الشقيري في 1971/10/12، انظر كتابه (اربعون عاما) ص 108.
261 ـ نص المذكرة في الشورى 1929/1/16.

الرضوخ لقاعدة (فرض الضرائب بلا تمثيل) ، مما يجعلنا ان نؤكد انه لو لم يكن للاهلين سوى شعاع امل ضعيف بالعدالة البريطانية لما استطاعوا ان يقيموا لحظة واحدة على هذا الظلم الفادح الذي يذكيه ويزيده فداحة تطبيق قاعدة اخرى الا وهي (تشريع بلا تمثيل) ، وما الى ذلك مما لا يتحملة اي شعب مهما كان عريقا في الوحشية والهمجية » . وطلب الوفد من تشانسلور العمل « على تغيير السياسة التي اتبعها سلفاكم باتباع سياسة رشيدة ، تخول العرب حقهم في ادارة بلادهم ، على يد حكومة نيابية تكون في صالح جميع العناصر في فلسطين » . واقترح الوفد « ان تبدأ المفاوضات مباشرة » بين المندوب السامي واللجنة التنفيذية « لوضع الاسنس التي تقوم عليها تلك الحكومة التمثيلية قياما بما عهد الى الدولة المنتدبة من الواجبات » . وختم الوفد مذكرته قائلا « اننا لن نكتفي بجواب يشبه الاجوبة السابقة بأنكم سترفعون مذكرتنا الى وزارة المستعمرات ، او انكم في حاجة الى درس الموضوع من جميع نواحيه والاخذ بأطرافه وما شاكل ذلك، ولكننا نرجو ان تعملوا على ايجاد الاسباب التنفيذية لحقوقنا التي اقرتها حكومة جلالة الملك في (دستور فلسطين) بشكل لم نستطع الا رفضه » .

واصدرت حكومة فلسطين بلاغا رسميا حول مقابلة 3 يناير [262] ، جاء فيه ان المندوب السامي ذكر الوفد « بان الحكومة خطت الخطوة الاولى في سبيل تمثيل الاهالي وذلك بتشكيل مجالس بلدية منتخبة » ، وان « الحكومة سمحت فعرضت انشاء مجلس تشريعي منتخب يمثل الاهالي ، ولكن رفضه من يتكلم الوفد باسمهم » . واضاف البلاغ ان المندوب السامي « يقدر ما لهذا الامر من منتهى الاهمية ، وينعم النظر فيه باهتمام زائد » ، لكنه يأسف اذ يتعذر « الاجابة على المذكرة فورا . غير انه يؤمل بعد اجراء ما يلزم من التدقيق وجمع الآراء بشأنه ، ان يستطيع وضع نتيجة ابحاثه قبل ذهابه الى انجلترا بالاجازة في الصيف المقبل ، كي يتمكن في اثناء وجوده فيها من

---

262 ـ المقطم 1929/1/12.

البحث في ذلك الشأن مع وزير المستعمرات ، وعند ذلك يخاطب اللجنة التنفيذية بما يقرره بهذا الشأن » .

عملت الازمة الاقتصادية التي سادت البلاد في اواخر عام 1928 وعام 1929 على التقليل من فاعلية الحركة الوطنية ، اذ تأثر بها الفلاحون والعمال الزراعيون ، والطبقة المتوسطة من سكان المدن ، حتى ان عددا كبيرا من المحلات في القدس وحيفا ويافا اعلن افلاسه . وطالبت بعض الصحف باعلان الموراتوريوم (تأجيل دفع الديون المستحقة) . وكانت محاصيل عام1928/ 1929اقل من معدلها السنوي ، فمحصول الزيتون كان رديئا جدا في جميع انحاء فلسطين ، وكذلك محصول السمسم . واسفر كل ذلك عن اقبال الفلاحين على بيع اراضيهم لليهود بأثمان بخسة . يضاف الى هذا ان عام 1929 شهد بداية نشطة لهجرة يهودية الى فلسطين بعد ازمة الاعوام التي تلت عام 1925 .

مضت خمسة اشهر ونصف على مذكرة 3 يناير 1929 ، ولم يرد تشانسلور عليها . واخذ المندوب يستعد لقضاء اجازته في انجلترا ، فانتهز امناء سر اللجنة التنفيذية هذه الفرصة ، وقدموا له في 17 يونيه مذكرة [263] شديدة اللهجة ، غاضبة ، عبرت بصدق عن القلق السياسي والاقتصادي الذي كان يساور نفوس الاهالي في هذه الفترة . قال الامناء انهم لبثوا ينتظرون جواب المندوب « طيلة هذه المدة دون الاتيان بأي عمل وبصبر وهدوء تامين ، آملين انكم بعد الاطلاع بنفسكم على اضرار الحكم المطلق الحاضر ، الذي تئن البلاد اليوم تحت اثقاله ، ان تسعوا لتحقيق فكرة الحكم النيابي الذي ينشده اهل هذه البلاد » . وقالت المذكرة ان « اهل هذه البلاد لم يعد في وسعهم ان يتحملوا اضرارا جديدة فوق الاضرار التي لحقت بهم حتى اليوم ، والتي هي من نتائج الحكم الحاضر . وفي الحق ان هذه الادارة اوقعت البلاد في ازمات اقتصادية هائلة ، اضطر فيها قسم لا يستهان به من

263ـ الشورى 1929/6/26.

العرب الى بيع اراضيهم من الاجانب ، الذين انما يشترونها منهم بغايات سياسية وهي بناء قومية اجنبية على انقاض القوميةالعربية » . واضافت بان « هذه البلاد التي جاءت اليها حكومة بريطانيا العظمى لارشادها وتدريبها على الحكم الذاتي ، لا ترزح اليوم تحت اثقال الحكم الاجنبي فحسب ، ولكنها مهددة اليوم ايضا باضاعة كيانها وباضمحلال قوميتها تماما » .

وتابعت مذكرة الامناء الهجوم على الحكومة ، فقالت ان « الذي لا شك فيه هو ان لنظام الحكومة الحاضرة التأثير الاعظم على اشتداد الازمة الاقتصادية الحاضرة . وان لاشتداد هذه الازمة الاقتصادية كل التأثير على تخلي اهل البلاد عن اراضيهم التي هي تراث آبائهم واجدادهم والتي هي منبع ثروتهم الوحيد » . ثم طالبت بحكم نيابي ، و « تبديل نظام الحكومة الحاضر الغير طبيعي بنظام حكومة يكون اكثر موافقة ، يعيد الحالة الطبيعية » . وبررت طلبها هذا بقولها ان « الحصول على هذين الامرين ضروري جدا لاستبقاء حياة الامة العربية . ان افراد هذه الامة بأجمعهم موقنون بهذه الحقيقة ، فلا يجب ان يفسر سكوتهم طيلة هذه المدة قبولا منهم بالحالة الراهنة ، ولكنه تعقل منهم في انتظار قرار عادل يضع حدا للمصائب العظيمة التي صبت عليهم حتى اليوم » .

اشارت مذكرة 17 يونيه الى زيادة النقمة ضد الحكومة البريطانية ، وضد حكومة فلسطين القائمة على « الحكم المطلق » ، ذلك ان الفلاحين والمزارعين كانوا قد طردوا بالقوة من اراض واسعة كانوا يستغلونها او يعملون فيها بسبب سياسة الاستيطان والاستعمار الصهيوني للارض ، تلك السياسة التي تمهد لها وتؤيدها الحكومة البريطانية ممثلة في حكومة فلسطين . وامتلأت المدن بالعمال العرب العاطلين عن العمل ، وبالفلاحين والمزارعين والحرفيين (من عمال صناعات محلية صغيرة قضى عليها النشاط الصناعي الصهيوني) ، للبحث عن عمل . كذلك فان الملاك الكبار والتجار من سكان المدن بدأوا يرون ان تجارة فلسطين الخارجية وجزءا كبيرا من التجارة الداخلية قد انتقل الى الصهيونيين ، والصناعات المحلية الوطنية

اخذت في التقهقر تبعا لزيادة النشاط الصناعي الصهيوني واستيراد البضائع الاجنبية بأسعار اقل من الانتاج المحلي . يضاف الى كل ذلك ان المشروعات التي كان الاغنياء العرب يرون فيها أحقيتهم ، مثل مشروع استغلال البحر الميت ، قد منح للصهيونيين . ورأت بريطانيا في كل هذه الامور خطرا على وجودها في فلسطين ، فكان لا بد من ان توجه النقمة ضد اليهود ، وتبررها بنزاع ديني طائفي ، حتى تستطيع في النهاية ان تقوم مقام الحكم ، وتعلن للرأي العام العالمي ضرورة بقائها كقوة فاصلة بين العرب واليهود .

كان مظهر القلق والاضطراب السياسي والاقتصادي في فلسطين بعد يونيه 1929 ، يدور حول النزاع بشأن حائط المبكى . فقد انهالت البرقيات على لندن خلال الاسبوع الاول من اغسطس احتجاجا على « اعمال العدوان اليهودية على البراق المقدس » . وقالت السلطات الدينية الاسلامية ان تلكؤ الحكومة في تطبيق مضمون الكتاب الابيض (رقم 3229) شجع العدوان اليهودي على البراق . يضاف الى ذلك ان المسلمين الفلسطينيين احتجوا بشدة على « محاولة المؤتمر الصهيوني في زيورخ الراميةالى نشر المفاهيم السياسية الصهيونية تحت ستار الادعاءات الدينية الباطلة بشأن البراق »[264] . ذلك ان المؤتمر الصهيوني السادس عشر ، المنعقد في زيورخ في 11اغسطس ، ارسل احد اعضائه البارزين ، الكولونيل كش Kisch ، الى لندن ، لحمل الحكومة البريطانية على سحب قرارها المعترف بحقوق المسلمين في البراق . ولقد اعتبرت الصحف العربية هذا الامر « دلالة صريحة على ان المؤتمر الصهيوني يحاول التأثير على حكومة جلالة الملك كي تلغي قرارا اتخذته الحكومة في القدس لمصلحة المسلمين ، وتحول دون تنفيذ مبادىء الحالة الراهنة التي نص عليها الكتاب الابيض لسنة 1928 » . كذلك اصدرت جماعة (حراس المبكى) اليهودية ، في 12 اغسطس نداء « الى شعب اسرائيل في جميع انحاء العالم » ، قالت فيه

---

264 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 235.

« ايها اليهود المنتشرون في جميع انحاء العالم ، أفيقوا واتحدوا ، لا تسكتوا او تتوانوا الى ان يعاد الينا حائط المبكى بأجمعه . ألفوا جمعيات للدفاع عن حائط المبكى . اعقدوا اجتماعات للاحتجاج . تظاهروا امام القنصليات البريطانية في جميع الاقطار » ، واضافت « هلموا الى مساعدتنا ، وعاونونا في هذا الكفاح العادل لاسترداد هذا الحائط ، ولا شك ان النصر سيكون حليفنا [265] » .

وهكذا كانت الاحوال والظروف السائدة في فلسطين مهيأة لهبة اغسطس 1929 .

هبة اغسطس 1929

في يوم الاربعاء 14 اغسطس 1929 (يوافق 9اغسطس في التاريخ العبري وهو يوم صيام احياء لذكرى خراب الهيكل) ، قامت مظاهرة في تل ابيب ، وهتف المتظاهرون « الحائط حائطنا . . . عار على كيث روتش Keith - Roach » ، وهو حاكم القدس الذي امر برفع الستار في حائط المبكى في عام 1928 . وفي يوم الخميس 15 اغسطس ، وهو عيد الغفران عند اليهود ، قام يهود القدس بالاشتراك مع جمهور من الشباب اليهود ، بقيادة اقلية من المتطرفين الصهيونيين القادمين من تل ابيب و « المتلهفين على خلق الاضطرابات » ، بمظاهرة لم يسبق لها مثيل حتى ذلك الحين عبر شوارع القدس حتى وصلوا الى حائط المبكى ، ورددت هتافات (الحائط حائطنا) ، ورفع العلم الصهيوني ، وانشد المتظاهرون نشيد (الهاتكفا) ، وشتموا المسلمين ، وذلك خلافا للتعليمات المحددة التي اصدرها المندوب السامي بالوكالة [266] ، في اليوم السابق .

في يوم الجمعة 16 اغسطس (الموافق 12ربيع الاول 1348هـ، ذكرى المولد النبوي الشريف) قام المسلمون من الحرم الشريف ، بعد صلاة

---

265 ـ نجيب صدقه المصدر السابق ص 117 - 118.

266 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 236.

الجمعة ، بمظاهرة ضمت آلاف الفلاحين القادمين للاحتفال بذكرى المولد . واتجه المتظاهرون « الى البراق مارين في الشوارع الكائنة في وقف ابي مدين الذي يشتمل على الرصيف الواقع امام الحائط [267] » . والقى الشيخ حسن ابو السعود ، احد شيوخ المسجد الاقصى ومن المقربين الى الحاج امين الحسيني ، خطابا حماسيا الهب المشاعر . وسرعان ما حطم المتظاهرون منضدة لليهود كانت موضوعة فوق الرصيف [268] ، « واخرجت من شقوق الحائط اوراق تتضمن صلوات واسترحامات فأحرقت [269] » . ولما كان المندوب السامي متغيبا في لندن ، فقد تعين على القائم بأعمال الحكومة ان يبحث عن وسيلة لحمل المسلمين واليهود على السواء ، على سلوك سبيل التعقل ، ولكن مهمته كانت صعبة « بسبب تغيب جميع الزعماء اليهود المسئولين عن البلاد [270] » .

وفي يوم السبت 17 اغسطس ، وقعت حادثة كرة القدم في ملعب لفتا [271] (شمال غربي القدس على طريق القدس - يافا) . ويروي احد مواطني لفتا ، السيد عبد الرحمن علي [272] ، الذي ساهم واصيب بعدة رصاصات في هبة 1929 ، هذه الحادثة كما يلي « كان بعض الشباب اليهود يلعبون في ملعب (الحاشموناي) شمال الشيخ جراح ، فسقطت الكرة في بستان يعقوب سعيد نعمه من قرية لفتا ، فلحق بها شباب اليهود وداسوا على مزروعات البستان (كوسه وطماطم) ، وتلاحم اليهود مع يعقوب ، واضطر هذا امام تكاثرهم علية الى استخدام خنجره ، وفعلا قتل واحدا من اليهود وفر الباقون . وقد تم سجن يعقوب هذا ، الا ان المجلس الاسلامي

---

267 ـ من بلاغ الحكومة في 17 اغسطس، الشورى 1929/8/28.

268 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 236.

269 ـ من بلاع الحكومة في 17 اغسطس.

270 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 236 - 237.

271 ـ عيسى السفري هو الوحيد الذي اشار الى هذه الحادثة . انظر السفري المصدر السابق ص - 124. 125

272 ـ في مقابلة مع الباحث في 23 اكتوبر 1971.

توسط ، وارسل الشيخ عارف يونس [273] واخرج يعقوب من السجن » .

وفي الايام الاربعة التالية ، قامت السلطة البريطانية باعتقالات ، القت القبض خلالها على عناصر عربية ويهودية . وفي 21 اغسطس ، تحولت جنازة القتيل اليهودي (يوم 17 اغسطس) الى مظاهرة صاخبة ، والقيت فيها خطب تحريضية ضد الحكومة وضد العرب ، وحاولت اختراق الاحياء العربية فمنعها البوليس البريطاني من ذلك [274] . وخشيت الحكومة تطور الاحداث ، فاستدعت قوات مسلحة ومصفحات من شرق الاردن ، وضعتها في مدينة الرملة . وتخوفت جريدة (فلسطين) من مغبة ما يتوقع ، فكتبت في 22 اغسطس « الجو في القدس مكهرب ، ويخاف من انه غدا الجمعة (23 اغسطس) عندما يأتي الفلاحون من القرى الى القدس لتأدية الصلاة ، ان يقدم رد واضح على حوادث اليهود . فنأمل ان تقوم الحكومة باتخاذ اجراءات لمنع هذه المحاولات ، التي يمكن ان تكون ذات نتائج خطيرة جدا » . لقد كانت جريدة (فلسطين) في هذا الوقت احدى الجرائد التي تعبر عن الكتلة النشاشيبية .

وبالفعل تدفق على القدس في اليوم التالي ، اعداد كبيرة من الفلاحين الناقمين ، مسلحين بالعصي والهراوات واسلحة نارية وحتى سيوف . ويذكر عبد الرحمن علي ان « المصلين خرجوا من المسجد الاقصى متجهين الى البراق هاتفين (دين محمد قام بالسيف) ، وخربوا لليهود ما نصبوه في البراق » . ويضيف « وبعد المظاهرة اتجهنا ، عن طريق الشيخ جراح وشعفاط (قرية شمالي القدس) ، الى لفتا ، متخطين المستعمرات اليهودية . في حين اخذ اليهود يتجمعون من البلاد والمستعمرات المختلفة ، في القدس . وكانت تنقلهم سيارات تابعة لشركة ايجد اليهودية . فاصطدمنا معهم (في لفتا) . ولما انتهت ذخيرتنا بدأت

---

273 ـ يقول السيد عبد الرحمن علي ان الشيخ عارف يونس اغتيل عام 1937 بتهمة التعاون مع سلطات الانتداب البريطاني .

274 ـ نجيب صدقه المصدر السابق ص 120.

النساء يناولننا الحجارة ، ويزغردن ونحن نقذف اليهود بها » . ثم قال « كان للانجليز 70 شرطيا فقط في القدس (وهو رقم صحيح ، اعترفت به لجنة شو ، انظر تقريرها ص 61) ، وارسلوا عددا منهم الى لفتا . وطلب الينا المستر ليز ، من مكتب حاكم القدس ، عدم اطلاق النار على كل من يلف حول ذراعه قطعة قماش » ، (استخدم الانجلير هذه العملية للتفريق بين البريطانيين وبعض اليهود الذين ارتدوا زي الشرطة) ، وعندما وصلت اخبار حوادث القدس الى نابلس والخليل ، اندلعت مظاهرات الجماهير ضد الانجليز واليهود .

ومما هو جدير بالذكر ان الحاج امين الحسيني ، وجمال الحسيني ، لم يشتركا مع الجماهير الغاضبة في القدس يوم 23 اغسطس ، بل اختفيا عن الانظار ، فقد عرض احد شباب القدس بهما في مقال بجريدة مرآة الشرق[275] ، اذ قال « اعود فاكرر انه في اليوم الثالث والعشرين من الشهر الثامن من سنة 1929 ، بينما كان مفتي القدس متحصنا في بيته ، وبينما كان المجاهد الاكبر (يقصد جمال الحسيني) قابعا في عقر داره ، واخترق رصاص الجند صدور اولئك المساكين الذين ذهبوا ضحية امثالكم من المجاهدين ، اخرجت السلطة الاستعمارية اولئك المتزعمين من اوكارهم وقادتهم الى باب العمود في القدس لتهدئة الخواطر الثائرة » . وبالفعل قوبل الحاج امين الحسيني في يوم 24 اغسطس ، بهتاف (خائن) عندما حاول اقناع الجماهير بعدم الهجوم على الحكومة وانما بالاقتصار على (حماية الاراضي المقدسة)[276] .

وفي 24 اغسطس قام العرب في الخليل بهجوم على الحي اليهودي ، اسفر عن قتل 71 يهوديا وجرح نحو 50منهم . ويذكر المعاصرون من ابناء

---

275 ـ مرآة الشرق - 851 - 1931/11/15.

276 ـ انظر (الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة 1929، أ شليشتر)، مجلة Agrar - Probleme موسكو 1929، ج2، م3، و4، ترجمة رياض يونس في دراسات عربية، ع 10 ـ اغسطس 1970.

الخليل ان « ضابط البوليس البريطاني في الخليل كفراتا Cafferata ، قام بنقل خبر لاهالي الخليل يفيد ان المنظمات الصهيونية في القدس هاجمت المسلمين بعد خروجهم من صلاة الظهر في المسجد الاقصى ، واطلقوا عليهم النيران مما ادى الى مقتل المئات من ابناء الخليل[277] » . والمعروف ان عددا كبيرا من سكان القدس هم اصلا من الخليل . وفي نابلس ، حيث اقيم مهرجان كبير ، اشترك فيه سكان طولكرم وجنين ، دار الحديث عن الهجوم ضد الحكومة ، وعن انتزاع الاراضي التي استولى عليها اليهود ، وطرد من الاجتماع الملاك الكبار الذين باعوا اراضيهم لليهود . واتجه المجتمعون الذين شكلوا مظاهرة عنيفة ، الى ثكنات الحكومة والبوليس ، الذي استقبل الجماهير باطلاق الرصاص فقتل 9 منهم ، وبعد هجمات متتالية طرد البوليس من احد المراكز ، ورفع العلم العربي على مبنى الحكومة . وفي نفس اليوم ، شن العرب هجوما على اليهود في بيسان ، وعلى بعض المستوطنات اليهودية المجاورة .

وفي 25 و26 اغسطس قام العرب بهجوم مركز على المستوطنات اليهودية في مرج ابن عامر ، وتم تدمير ست مستوطنات يهودية تدميرا كاملا . وقامت حول هذه المستوطنات معارك طويلة مع القوات البريطانية التي كانت تقوم بحمايتها . واستعملت تلك القوات الطائرات في ضرب العرب . وقامت معركة حامية حول معسكر بريطاني بالقرب من قرية حطين . واستخدم البريطانيون الدبابات في ضرب البدو والفلاحين الذين تقدموا لمهاجمة قاعدة الطيران البريطاني في غزة .

وفي يافا ، عقد اجتماع كبير في 26 اغسطس في جامع (حسن بك) في وسط المدينة ، دعا فيه حمدي الحسيني ومحمود الافغاني الى الهجوم على الحكومة . واسيئت معاملة الشيخ عبد القادر المظفر وطرد من الجامع لانه وقف ضد (الاضطرابات) كما وصفها . ونجح البوليس البريطاني في

---

277 ـ عرفات حجازي : مدينة الخليل والصهيونية، بغداد 1971، ص 27.

صد هجوم عربي على الحي اليهودي بين يافا وتل ابيب . ومع ذلك ، وبعد ايام قليلة ، نجح هجوم ثان قام به العرب ضد دار الحكومة في يافا . وفي حيفا وقعت معارك حامية بين العرب والقوات الانجليزية وبحارة الاسطول البريطاني . وهاجم العرب احد القطارات العسكرية الخارجة من المدينة ، وجردوا الجنود الانجليز الموجودين فيه من السلاح .

وفي 29 اغسطس قام العرب بهجوم على اليهود في صفد ، فاصيب نحو 45 بين قتيل وجريح ، واضرمت النار في عدة محال وبيوت يهودية . وفي هذا اليوم ايضا وصل تشانسلور الى فلسطين عائدا من لندن .

هذه صورة مختصرة لحوادث هبة اغسطس عام 1929 ، التي اشتركت فيها القوات البريطانية وكأنها جبهة قتال . فقد صرح قائد الاسطول البريطاني في 6 نوفمبر بانه « ارسل عند بداية الاضطرابات : سفينة حربية وحاملة طائرات ، وطرادا ومدمرتين الى فلسطين . وانها بقيت حوالي ثلاثة اسابيع . واستمرت سفينة حربية وحاملة طائرات وطرادان ومدمرتان تزور فلسطين يوميا . وترسو سفينة حربية في يافا منذ 2 نوفمبر[278] » . وارسلت الحكومة البريطانية قوات من البوليس البريطاني بلغت تكاليفها لفترة لا تزيد على اسبوعين نحو 3900 جنيه ، دفعتها حكومة فلسطين[279] . واشتركت الى جانب القوات البريطانية قوات حدود شرق الاردن ، ووادي جزرائيل ، وسهل مرج ابن عامر » ، كما صرح بذلك المستر لن Lunn وكيل وزارة المستعمرات في 20 نوفمبر 1929[280] . واعلن وكيل وزارة الطيران في 18 مارس 1930 ان « طائرات سلاح الجو الملكي نقلت الجنود من مصر الى فلسطين ، وانها وقفت في وجه الهجمات العربية ضد المستوطنات اليهودية المنعزلة قبل وصول القوات العسكرية ، وان الطائرات قامت بـ 11 هجوما

---

278 _ P.D. vol. 231, cols. 1017 - 8.

279 _ op. cit. col. 1019

280 _ P.D. vol. 232, col. 475

وانه لم يصب اي شخص باضرار[281] » .

وكانت حصيلة هبة اغسطس التي انتهت تقريبا في 30 منه ،مقتل 133 يهوديا ، وجرح نحو 339 ، اما العرب فبلغ قتلاهم 116 ، وجرحاهم نحو 232[282] . اما محاضر مجلس العموم فتعطي تقديرات مغايرة . فقد صرح المستر لن في 6 نوفمبر 1929[283] ، بان « الاصابات في الحوادث الاخيرة في فلسطين هي كما يلي حتى 31 اغسطس : 196 اصابة قتلى (مسلمون 83 ، مسيحيون 4 ، يهود 109) . اما الجرحى في المستشفيات فقد بلغوا 315 حالة (مسلمون 122 ، مسيحيون 10 ، يهود 183 » . ثم عاد واعلن في 20 نوفمبر بان « الاصابات نتيجة لحوادث اغسطس كانت 207قتلى ، و379 جريحا[284] » .

والقي القبض اثناء هبة اغسطس وبعدها على اكثر من الف شخص ، كان نحو 90% منهم عربا . . . وقد اعلن المستر (لن) في 6نوفمبر 1929 ان الاحكام الصادرة بلغت 792 حكما ضد العرب (منها 26حكما من محكمة الجنايات العليا) ، اما الاحكام ضد اليهود فقد بلغت 76 حكما ، ولم يصدر حكم منها عن محكمة الجنايات العليا ، « وان هذه الاحكام تشمل القضايا حتى 27 اكتوبر . اما احكام الاعدام التي صدرت حتى 20 اكتوبر ، فقد كانت خمسة احكام ، والمحكومين جميعا من العرب ، وان هذه الاحكام منظورة امام محكمة الاستئناف حسب القوانين الفلسطينية[285] » . وعاد وكيل وزارة المستعمرات فصرح في 9 ديسمبر بانه « حكم على يهودي واحد و8 من العرب بالاعدام منذ الحوادث الاخيرة ، وان اربع قضايا استئناف نظر

---

281 - P.D. vol. 236, col. 1927

282 - Survey of Palestine, vol. I, p. 24

283 - P.D. vol. 231, col. 1020

284 - P.D. vol. 232, col. 479

285 - P.D. vol. 231, col. 76

فيها في الاسبوع الماضي [286] » . واعلن في 12 فبراير 1930 انه « تمت محاكمة 1094 شخصا نتيجة حوادث اغسطس 1929 ، منهم 40 شخصا حوكموا امام محكمة الجنايات العليا ، و200 امام محاكم الالوية . والباقي امام المحاكم العادية [287] » . وفي 26 فبراير 1930 ادلى بنتيجة المحاكمات ، فقال ان « محكمة الجنايات اصدرت حكمها على يهوديين بالاعدام ، ولم تنظر فيهما محكمة الاستئناف بعد ، كما حكمت على 17 عربيا بالاعدام ، وايدت محكمة الاستئناف هذا الحكم ، وان المندوب السامي لم يعدل اي حكم من هذه الاحكام [288] » . وبالرغم من جميع العرائض والاسترحامات التي قدمت ، فقد تم تنفيذ الحكم باعدام عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي في يوم الثلاثاء في 17 يونيه 1930 .

ان تحليل مواقف الاطراف الثلاثة المشتركة في هبة اغسطس 1929 ، يقدم لنا صورة واضحة عن مرحلة جديدة في العلاقات بينهم ، خاصة ما طرأ على موقف الجماهير العربية ازاء القيادة التقليدية للحركة الوطنية في البلاد . ولا شك ان الانجليز وقفوا موقفا سلبيا من الاحداث في بدايتها ، وعندما اتسعت بشكل يهدد نفوذهم وسيطرتهم في البلاد ، استقدموا قوات اضافية من مصر ومالطة وشرق الاردن ، كانت مؤلفة من قوات برية وبحرية وجوية ، لضرب الهبة . ولم يكتفوا بذلك ، بل سلحوا بعض العناصر الصهيونية ، يدل على ذلك ان وكيل وزارة المستعمرات اعلن في 20 نوفمبر 1929 ، امام مجلس العموم البريطاني ، انه « تم نزع سلاح عدة كونستبلات يهود في القدس في 27 اغسطس 1929 [289] » . ويمكن تفسير موقفهم السلبي في بداية الاحداث بانه نوع من الضغط على الصهيونيين ، وردا على مقررات المؤتمر الصهيوني السادس عشر المنعقد في زيورخ . كذلك فانهم

---

286 _ P.D. vol. 233, col. 76

287 _ P D. vol. 235, col. 406

288 _ P.D. vol. 235, col. 2238

289 _ P.D. vol. 232, cols. 474 -5

كانوا يهدفون الى الوقوف موقف الحكم في النزاع القائم ، وتصويره على انه نزاع ديني بين المسلمين واليهود .

اما بالنسبة للصهيونيين ، فقد عبر وايزمن عن موقفهم العام حينما قال ان هبة اغسطس كانت بمثابة « رد القيادة العربية على الاجتماع المشترك الذي عقده المؤتمر الصهيوني والوكالة اليهودية[290] » . وعلق على نتيجة الاحداث قائلا : « كانت تلك الاضطرابات اقوى محاولة قام بها الزعماء العرب ، حتى ذلك الوقت ، لارهابنا بعمل الغوغاء ، من تنفيذ مخططنا في فلسطين . لكنهم فشلوا في ذلك . واذا كان هدف تلك الاضطرابات هدم بناء الوطن القومي ، فانها جاءت متأخرة . لقد بنينا برسوخ وقوة تامين[291] » .

وبالنسبة للعرب ، فقد اسفرت تلك الاحداث عن اقتناع تام لديهم ، بعد ضربهم بالطائرات والدبابات البريطانية وهم يهاجمون المستوطنات ، ان الوطن القومي اليهودي تحرسه الاسلحة البريطانية . واذا كان لديهم ادنى شك في الماضي بذلك ، فان حوادث اغسطس قد نزعت ذلك الشك من نفوسهم والى الأبد .

هناك اتهامات وجهت الى الحاج امين الحسيني بشأن التحريض على هبة اغسطس . والواقع ان مؤرخ حياته بيرلمان Pearlman يؤكد ان « الاعداد للثورة كان مخططا ، ساعد على ذلك ان القوات البريطانية كانت قد خفضت في فلسطين ، وان المندوب السامي كان خارج البلاد ، وان الزعماء اليهود في فلسطين كانوا مشتركين في مؤتمر صهيوني في اوروبا[292] » . ويذكر عزة دروزة ان الحركة الوطنية نشطت في البلاد بعد هبة البراق « وهو ما كان توخاه الذين اثاروها من وراء الستار[293] » . ويعتقد

---

290 _ Weizmann, op. cit., p. 410

291 _ op. cit., p. 415

292 _ Pearlman, op. cit., p. 16

293 _ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص90.

السيد احمد الشقيري ان « الحاج امين الحسيني هو مدبر هبة 1929 » ، وان صديقه ريتشموند ، عالم الاثار والذي كان يعمل في المخابرات البريطانية ، هو الذي دفعه الى هذا العمل[294] . والحقيقة التي يجب التنبيه اليها هنا ، ان هبة اغسطس في اسبوعها الاول (من 16 ـ 23) يمكن ان يكون للحاج امين دور فيها ، دور تنظيم وتخطيط لكي تكون موجهة ضد اليهود وليس ضد الانجليز . اما في فترتها الثانية وهي التي امتدت من بعد ظهر يوم 23 اغسطس وحتى 29 منه ، وهي التي استهدفت ضرب الانجليز واليهود معا ، فانه لم يكن للحاج امين الحسيني دور فيها . ذلك لان القيادة التقليدية للحركة الوطنية في تلك الفترة ، ومن ضمنها الحاج امين الحسيني ، كانت « اجبن من قيادة الثورة او التحريض عليها » . اكد ذلك السيد عبد الرحمن علي احد اصدقاء واعوان الحاج امين الحسيني من عام 1936 وحتى عام 1950 . ولم يكن الحاج امين يستطيع ايقاف الهبة لان « الناس انفجروا كالبركان ، وما كان بامكان احد ايقافهم » . واضاف السيد عبد الرحمن علي الى ذلك قوله حول مسئولية قيادة الحركة الوطنية التقليدية « كان الزعماء ممالئين للانجليز ، وقد تخلفوا عن القيادة وتركوا الجماهير بلا قيادة[295] » .

وهكذا اخذ يتضح للجماهير العربية الفلسطينية عجز وجبن وفشل القيادة التقليدية ، وان اسلوبها في مهاجمة الصهيونية لم يكن هو الاسلوب الصحيح للنضال الوطني . وكان على الجماهير بالضرورة ، اذا ارادت ان تحقق اهدافها في صراعها ضد الصهيونية ، وان تواجه البريطانيين اولاً وقبل كل شيء ، وكان هذا الاتجاه هو المسار الصحيح لنضال الجماهير في الفترة التي اعقبت هبة اغسطس عام 1929 .

---

294 ـ مقابلة مع السيد احمد الشقيري في 1971/10/12.

295 ـ مقابلة مع السيد عبد الرحمن علي في 1971/10/23.

الفصل الثامن
الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار البريطاني

1929 - 1935

شهدت هذه الفترة بداية انفراج الازمة الاقتصادية العالمية ، وزيادة الهجرة الصهيونية الى البلاد ، وما تبعها من زيادة رأس المال القادم للاستغلال الاقتصادي او لشراء الارض . كما شهدت نمو البورجوازية الوطنية العربية في فلسطين ، الذي تمثل في تأسيس البنوك والشركات ، وفي ظهور الاحزاب الفلسطينية . واسفر ذلك كله عن زيادة غضب ونقمة الفلاحين والعمال على الاستعمار البريطاني ، الذي استطاع في النهاية الاجهاض على اول طليعة ثورية تمثلت في حركة الشيخ عز الدين القسام .

موقف تشانسلور ورد اللجنة التنفيذية عليه

اصدر تشانسلور في اول سبتمبر 1929 ، وبعد عودته من لندن ، بيانا شديد اللهجة[1] ، فيه تعنت ظاهر واتهام للعرب . فقد (استفظع) ما علم به « من اعمال القسوة التي اقترفتها جماعات من السفاحين الظمآنين الى الدم ، والاشرار الذين ارتكبوا جنايات قتل وحشية ضد اشخاص آمنين من السكان اليهود على اختلاف اعمارهم » . كما اعلن وقف المفاوضات التي

---

1 ـ الملحق رقم 37

اجراها مع الحكومة البريطانية بشأن موضوع احداث تغييرات دستورية في فلسطين بسبب « الحوادث الاخيرة » .

اثار بيان المندوب السامي سخط وغضب عرب فلسطين ، فسارعت اللجنة التنفيذية الى اصدار بيان مضاد في اليوم التالي 2 سبتمبر[2] ، وصفت فيه بيان المندوب بانه « صادر على عجل وسابق لاوانه » ، وانه « كان ينبغي اصداره بعد اجراء التحقيقات التي ينشدها العرب وليس قبلها » . واكد بيان اللجنة التنفيذية ان « اكثر اليهود كانوا مسلحين من انفسهم » وان « الحكومة سلحت عددا منهم » ، كما انه « لم يوجد في جثث قتلى اليهود تمثيل او تشويه حتى في الخليل ، ويؤيد هذا تصريح ادارة الصحة البريطانية » . واشار البيان الى ان « اضطرابات فلسطين السابقة والحالية ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية الرامية الى القضاء على القومية العربية في وطنها الطبيعي لتحل محلها قومية يهودية غير موجودة » . كمّا عرض مطالب العرب الذين « يلحون بطلب تحقيق نزيه يقوم به اشخاص من خارج فلسطين ، ولا يتأثرون في اثناء قيامهم بواجبهم نحو العدل بالنفوذ الصهيوني » . واصدرت (جمعية حراس المسجد الاقصى) بيانا في 3 سبتمبر ردا على بيان المندوب السامي[3] . وقدم المحامون[4] في 4 سبتمبر احتجاجا مماثلا[5] ، وتلاهم الاطباء في 6 سبتمبر[6] 1929 .

واصدر تشانسلور ردا على بيان اللجنة ، بيانا آخر في 4 سبتمبر جاء فيه

---

2 ـ الشورى 1929/9/11 ، امين سعيد المصدر السابق ج 3 ص102 - 103.

3 ـ المقطم 1929/9/8.

4 ـ عوني عبد الهادي، محمد توفيق الحليلي، حسن البديري، مغنم الياس مغنم، عمر الصالح البرغوتي، جورج صلاح، امين درويش، فؤاد عبد الهادي، صبحي الخضرا، ابراهيم كمال، احمد زكي الاسطة، نصري نقولا نصر، سليمان الصالح، انسطاس حنانيا، يعقوب فرح، سعيد الشهاي

5 ـ المقطم 1929/9/10، وثائق المقاومة ص 144 - 148.

6 ـ وثائق المقاومة ص 148 - 149، الشورى 1929/9/18.

ان « حكومة فلسطين اصدرت تعليمات تقضي بجمع الادلة قبل انطماسها على ما اذا كانت الاضطرابات التي وقعت في 23 اغسطس كانت مدبرة او بنت ساعتها » . وقال ان السلطات تتخذ « تدابير فعالة لمحاكمة المجرمين » . كما اشار البيان الى ان وزارة المستعمرات بناء على طلب المندوب السامي ، « تهتم بتعيين لجنة تحقيق ، وسيسافر اعضاؤها في هذا الشهر (سبتمبر 1929) الى فلسطين ، لكي يحققوا الاسباب المباشرة التي ادت الى الاضطرابات الحاضرة ، وهل حدثت عرضا او كانت مدبرة » . وان اللجنة تتكون من السير والتر شو Shaw « رئيس اللجنة القضائية في تسوية المضايق ، ومعه ثلاثة اعضاء من البرلمان ، ينتخبون من كل حزب من الاحزاب الثلاثة[7] » .

عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا في 5 سبتمبر ، قررت فيه ان « يداوم الاتصال مع الحكومة بالمخابرات ، ومقابلة المندوب السامي ، وعرض بيان واف ردا على منشوره الاول الذي اساء الى جميع اهل البلاد العرب ، وعمل ما يلزم من هذا القبيل » ، وان « يطلب من جمعية الامم ارسال لجنة تحقيق يكون اعضاؤها من الدول غير المنتدبة للبحث في مطالب اهل البلاد الشرعية ، والسياسية البريطانية الصهيونية التي سببت الاضطرابات الحاضرة » . كما تقرر « باجماع الآراء ارسال وفد الى بلاد الانجليز واوروبا للدعاية ، تمهيدا لوفد اكبر يرسل بعد انتهاء التحقيق الذي سيجري من قبل لجنة التحقيق ، وان يكون هذا الوفد مؤلفا من ذاتين (ذوات) فقط[8] » .

ويلاحظ على قرارات اللجنة التنفيذية امران ، اولهما محاولة نقل الصراع الانجلو فلسطيني الى نطاق عصبة الامم ، وهي خطوة كان يمكن ان تنجح فيما لو ركزت عليها اللجنة التنفيذية ، وواصلت السعي من اجل تحقيقها . ذلك ان الانتداب البريطاني لفلسطين اصبح التزاما دوليا بعد ان

---

7 ـ امين سعيد المصدر السابق ج 3 ص 103 - 104.

8 ـ المقطم 1929/9/8.

اقرته ووافقت عليه عصبة الامم ، وكان على اللجنة التنفيذية بالضرورة ، فيما لو كانت جادة في ذلك المسعى ، ان تشدد في طلب لجنة تحقيق منبثقة من عصبة الامم . وثانيهما ان اللجنة التنفيذية عادت الى سيرتها القديمة ، واسلوبها السياسي الفاشل، حينما قررت ارسال وفد الى اوروبا ، وبطبيعة الحال الى انجلترا اولا ، في محاولة لعرض القضية الفلسطينية على الاوساط السياسية فيها .

واثار الصهيونيون في هذه الفترة مشكلة قتلاهم في الخليل ، وقدمت اللجنة التنفيذية الصهيونية الى المندوب السامي طلبا رسميا لفحص جثث القتلى اليهود (في الخليل) . فاصدر المندوب السامي تعليماته الى مدير الصحة العامة بتشكيل لجنة خاصة مؤلفة من اطباء بريطانيين لفحص تلك الجثث بحضور ممثلين عن العرب واليهود ، للتأكد مما اذا كان قد مثل فيها اولم يمثل . وحاول الصهيونيون التراجع عن طلبهم ، الا ان العرب اصروا على اجراء التحقيق . وفي 13 سبتمبر ، قدمت اللجنة الخاصة تقريرا ذكرت فيه انها لم تعثر على دلائل تثبت تهم وقوع (التمثيل) في حالة الجثث العشرين التي تم نبشها من القبور ، والتي قدم اربعا منها ممثلو اليهود انفسهم[9] . هذا ومما يذكر ان المستر (لن) ، وكيل وزارة المستعمرات ، اعلن في 20 نوفمبر 1929 ، ان « المستر كفراتا ، مدير بوليس الخليل ، قد استطاع حماية الكثير من اليهود في المدينة في 24 اغسطس 1929 ، ومنح الميدالية الملكية للشرطة اعترافا بخدماته[10]» .

نفذ تشانسلور بيانه الصادر في 4 سبتمبر ، فألف لجانا حكومية اولية للتحقيق في حوادث اغسطس 1929 ، وضمت هذه اللجان موظفين صهيونيين ، بموافقة بنتويتش ، النائب العام . ولم تأبه الحكومة لاحتجاج اللجنة التنفيذية العربية على ذلك[11]. وعقد المحامون العرب اجتماعا في

9 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 42، المقطم 1929/9/17.

10 ـ P D. vol. 232, col 478

11 ـ المقطم 1929/9/19.

القدس في 16 سبتمبر ، وطلبوا تنحية الصهيونيين من لجان التحقيق الحكومية[12] . كما عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا آخر في 28 سبتمبر ، وقررت الاضراب العام في البلاد في يوم الاربعاء الثاني من اكتوبر ، احتجاجا على بقاء المستر بنتويتش كنائب عام ، والاستمرار في الاضراب كل يوم اربعاء حتى يجاب مطلبهم[13] . لكن اللجنة التنفيذية لم تصدر بيانا بشأن الاضراب يوم 2 اكتوبر ، مما اسفر عن ارسال برقيات من انحاء كثيرة من فلسطين الى اللجنة التنفيذية تستهجن موقفها ، وتطالب بالاضراب العام في البلاد احتجاجا على موقف الحكومة[14] . واضطرت اللجنة التنفيذية تحت الضغط الجماهيري الى الرضوخ ، واعلنت عن اضراب عام يتم في يوم الاربعاء 16 اكتوبر ، وبالفعل تم الاضراب ونجح نجاحا باهرا[15] . وقد نجحت فعلا الحملة العربية ضد بنتويتش ، اذ ابلغ تشانسلور الزعماء الفلسطينيين بان التعليمات قد صدرت الى النائب العام بان يعالج جميع القضايا المتعلقة بالعرب بعد التشاور مع المستر درايتون Drayton محامي الحكومة العام[16] .

المقاطعة الاقتصادية

لم يقتصر عمل الجماهير العربية في فلسطين على استخدام الاسلحة ضد الاستعمار البريطاني والصهيونية ، بل اقدمت على القيام بحركة مقاطعة عربية للانتاج الصهيوني . فتألفت في القدس لجنة عربية لمقاطعة التجار والبضائع اليهودية[17] . وانتقلت حركة المقاطعة من القدس الى باقي المدن الفلسطينية[18] . حتى ان التجار العرب رفعوا الكتابة العبرية عن يفطهم

12 ـ المقطم 1929/9/20.
13 ـ المقطم 1929/10/2
14 ـ المقطم 1929/10/9.
15 ـ انظر وصف الاضراب في المقطم 1929/10/19
16 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 243.
17 ـ المقطم 1929/9/8
18 ـ المقطم 1929/9/18.

واعلاناتهم[19] . كما نشرت اعلانات في الصحف تطلب عمالا فنيين من البلدان العربية المجاورة للاستغناء عن اليهود ولاستكمال حركة المقاطعة[20] . وقد بلغت حركة المقاطعة حدا باهرا في يافا ، حيث اجبرت الجماهير مجلس بلدية المدينة على اتخاذ قرار بمقاطعة شركة كهرباء فلسطين (روتنبرغ) وانارة المدينة بالمصابيح (لوكسات)[21] .

وفي محاولة من جانب حكومة فلسطين لشل حركة المقاطعة ، سلمت بعض اليهود في اسواق القدس ويافا وحيفا ، صفارات تنبيه ، لاستخدامها حين يرون احد الشبان العرب يحث على حركة المقاطعة . وقد استخدمها اليهود بكثرة بالغة وقدم العديد من الشباب العرب الى المحاكمة بتهمة التحريض على المقاطعة[22] . وقد اشار تشانسلور في تقرير مؤرخ في 5 اكتوبر 1929 الى اخطار المقاطعة فقال « هنالك في الوقت الحاضر خطر بالغ من ان يلتهب الرأي العام ، وان يتطور حادث صغير ذو صلة بالمقاطعة الى اضطرابات على نطاق واسع » . واضاف ان على العرب « ان لا ينسوا ان في البلاد الآن عددا كبيرا من القوات ، وان اية اضطرابات قد تؤدي الى سفك الدماء » .

والواقع انه لم يكن ثمة داع لكي يلمح تشانسلور الى ان وقوع اية اضطرابات قد يؤدي الى اصطدام بين العرب والقوات البريطانية . ذلك ان اللجنة التنفيذية كانت قد بدأت بالفعل بالنصح بالاعتدال ، وكان اعضاؤها يتلهفون على الظفر بمساعدة الحكومة لهم على تعزيز سيطرتهم على الشعب . ولكن تشانسلور ، خلافا لما كانت تأمله اللجنة التنفيذية العربية من تقديم بعض التنازلات لها كايقاف الهجرة اليهودية مؤقتا ، امر بتوسيع

---

19 ـ المقطم 1929/10/1.

20 ـ المقطم 1929/10/8.

21 ـ المقطم 1929/11/1، الشورى 1929/11/6.

22 ـ انظر الشورى 1929/11/13.

نطاق الاماكن التي تناولها قانون العقوبات المشتركة ، بحيث اصبح هذا القانون يطبق على البلاد باسرها[23] . واضطرت اللجنة في اجتماعها يومي 12 و13اكتوبر 1929[24] الى اصدار قرار بالاحتجاج « على قانون العقوبات المشتركة الذي اصدره المندوب السامي لمصلحة اليهود » ، وان المندوب السامي لفلسطين « غير مرغوب فيه من قبل الشعب العربي » . كما دعت الى عقد مؤتمر « يحضره الزعماء والمسئولون في فلسطين يوم 27 تشرين اول (اكتوبر) لاجل البحث في الاحوال العامة ، والمذاكرة في ما اذا اصرت الحكومة بالقوة على فرض الغرامات ، واذا لم ترجع الحكومة عن غيها للنظر في امر اقتراح الامتناع عن دفع الضرائب » . كما قررت « انتداب وفد مؤلف من عوني عبد الهادي وعمر الصالح وعيسى البندك وعزة دروزة باسم اللجنة التنفيذية ليذهبوا لزيارة البراق والقسم امامه بان اللجنة ستحافظ على البراق ما دام في الشعب العربي عرق ينبض » .

موقف الحاج امين الحسيني من السياسة البريطانية الاستعمارية

ويبدو ان اللجنة التنفيذية (للمؤتمر السابع) بطبيعة تكوينها من اقلية وطنية معتدلة ، واكثرية عميلة متعاونة ، قد اخذت تنقسم على نفسها ، واخذ يظهر على السطح ما اعتمل في داخلها من تناقضات . وانعكست تلك التناقضات على مكتب اللجنة التنفيذية المكون من ثلاثة امناء ، فلم يعد يهتم بتنفيذ القرارات والاوامر التي تصدرها اللجنة . بدا ذلك واضحا في القرار الاول الذي اتخذته اللجنة التنفيذية في اجتماعها يومي 12 و13 اكتوبر ، اذ نص على ما يلي « لا يجوز لمكتب اللجنة التنفيذية فسخ اي قرار تقرره هذه اللجنة الا بقرار عملي ، ويجب تنفيذ جميع القرارات حالا في ساعتها[25] » .

استغل الحاج امين الحسيني ، الذي اخذ نجمه السياسي في الارتفاع

---

23 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 233 - 244.

24 ـ المقطم 1929/10/16

25 ـ المقطم 1929/10/16

تدريجيا ، ذلك التناقض القائم داخل اللجنة التنفيذية ، وبينها وبين مكتب اللجنة ، فنشر رسالة في اول اكتوبر 1929 في جريدة التيمز[26] ، وجهها الى الشعب البريطاني ، وصف فيها موقف العرب (السلمي) قبل حوادث اغسطس وفي خلالها وبعدها . ونوه بطغيان السياسة الصهيونية التي من شأنها استفزاز العرب دينيا وسياسيا ، ولا سيما محاولتها احتلال البراق الشريف بوسائل قسرية بعد مؤتمر زيورخ . ثم اشار الى تسامح المسلمين مع اليهود في الماضي ، والسماح لهم بزيارة البراق حينما كانوا لا يطمعون بالاستيلاء عليه او لا يظهرون مثل هذا الطمع . وقال « ان العرب لا يقاومون اليهود لانهم يهود ، بل انهم يضطرون الى مقاومة السياسة الصهيونية الغاشمة ، السالبة لحقوقهم السياسية ، والتي جاءت لتسلبهم الآن حقوقهم الدينية . اما الطريقة الوحيدة لانصاف الجميع فهي انشاء حكومة نيابية تمثل الفريقين تمثيلا نسبيا » .

لم يتعرض الحاج امين الحسيني في رسالته المذكورة الى السياسة البريطانية الاستعمارية في البلاد ، ذلك لانه بدأ يعمل على توطيد زعامته السياسية ، تلك الزعامة التي توافق اهواء واهداف السياسة البريطانية . كما انه رجع بمطالب الامة الى الوراء حينما طالب بحكومة « نيابية تمثل الفريقين تمثيلا نسبيا » . ولم يحاول ان يستثمر شعور الامة المعادي لبريطانيا في محاولة للضغط عليها لكسب بعض التنازلات لصالح الشعب ، بل اكد في رسالته العداء لسياسة بريطانيا الصهيونية فقط ، دون التعرض للسياسة البريطانية الاستعمارية في البلاد . واكد تشانسلور على نفس هذا المعنى في رسالة مؤرخة في 12 اكتوبر الى وزير المستعمرات البريطاني ، حيث قال ان المفتي « وعد بتقديم المساعدة فيما يتعلق بحفظ النظام والتعاون مع الحكومة . وكان يتخذ هذا الموقف على الدوام ولا يزال كذلك ، بل انه سيستمر في اتخاذه حتى ولو لم تصغ الحكومة الى اعتراضاته وشكواه . فهو

---

26 ـ انظر الرسالة في الشورى 1929/10/9.

يعتبر ذلك مسئوليته ، لا امام الحكومة فحسب بل امام الله والشعب وضميره الشخصي[27] » .

المؤتمر النسائي العربي (اكتوبر 1929)

على ان نقمة الشعب على سلطات الاستعمار البريطاني لم تنقص بالرغم من موقف الحاج امين الحسيني ، وبالرغم من موقف اللجنة التنفيذية . فقد كتب تشانسلور الى وزير المستعمرات في 19 اكتوبر 1929ما يلي « يبدو ان السكان المسلمين يقتربون من حالة اليأس بالنظر الى تخلف الحكومة عن تلبية مطالبهم بأي شكل من الاشكال ، وهذا الشعور لا يقتصر على القيادة فحسب ، بل هو منتشر في صفوف الطبقات الادنى وسكان الارياف ايضا[28] » . وقد اسفر كل ذلك عن انعقاد اول مؤتمر نسائي عربي في القدس في يوم السبت 26 اكتوبر 1929 ، اشتركت فيه نحو 300سيدة من انحاء فلسطين . وقرر المؤتمر رفض تصريح بلفور ، والهجرة اليهودية ، وايد تكوين حكومة وطنية مسئولة امام مجلس نيابي . كما اكد على ان تقوم المرأة العربية الفلسطينية « بنهضة نسائية وطنية عربية اسوة بالاقطار الاخرى المجاورة » ، وعلى « تنشيط التجارة والصناعة الوطنية بكل الوسائل ، وتعزيز الارتباط الاقتصادي مع سوريا وغيرها من البلاد العربية[29] » . واعقب المؤتمر مظاهرة صامتة استخدمت فيها سيدات المؤتمر 80 سيارة للسير في شوارع القدس احتجاجا على سياسة المندوب السامي[30] . وكانت هذه المظاهرة مظاهرة ارستقراطية (محمولة) .

الاجتماع العربي العام (اكتوبر 1929)

وفي يوم الاحد 27 اكتوبر ، عقد في القدس ، (الاجتماع العربي

---

27 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 244.

28 ـ المصدر السابق ص 247.

29 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 136.

30 ـ الشورى 1929/10/30.

العام) ، وحضره مندوبون من جميع انحاء فلسطين وسوريا ولبنان وشرق الاردن ، ورفع الى لجنة شو بيانا ورد فيه انه « ما دام وعد بلفور قائما ، وما دامت الادارة البريطانية على غيها من ظلم العرب والاعتداء على حقوقهم السياسية والدينية ، فلن يتحقق في فلسطين السلام » . كما رفع الى وزارة المستعمرات برقية اعلن فيها « عدم ثقة الامة العربية بالسير تشانسلور المندوب السامي لفلسطين ، للسياسة السائرة التي تمشى عليها متحيزا لليهود ضد العرب » . واقسم اعضاء المؤتمر وقوفا على عهد منع بيع الاراضي لليهود ، وهو « نعاهد الله والوطن على الاحتفاظ بالاراضي لبقائها عربية ، وعدم بيعها لليهود رأسا او بالواسطة ، وعدم السمسرة في بيعها ، وعلى مقاطعة المصنوعات والمتاجر اليهودية ، وتنشيط المصنوعات والمتاجر العربية . ونناشد كل عربي على اعتناق هذا المبدأ والعمل على تنفيذه بكل وسيلة ، وان نقاطع كل عربي يشتري من اليهود غير الارض » . كما طالب المؤتمر بحق الشعب في مراقبة امواله وطرق انفاقها اذا اريد ان يستمر على دفع الضرائب ، وقرر الاضراب العام في البلاد يوم 2 نوفمبر[31] . واصدر يعقوب فراج باعتباره رئيس الاجتماع العربي العام (بيانا الى العالمين الاسلامي والمسيحي)[32] في 27 اكتوبر ، اعلن فيه ان زيارة اليهود لحائط المبكى هي « منحة من المسلمين ، وان كل تجاوز على كيفية استعمال هذه المنحة هو عدوان صريح على حقوق العرب الدينية سواء كان من الحكومة او من اليهود . ولذلك فان العرب يرفضون كل الرفض كل تجاوز في استعمال هذه المنحة . . . ويلقون تبعة ما ينجم عن ذلك على الحكومة المسببة » .

والواقع ان (الاجتماع العربي العام) الذي اشترك فيه ممثلون عن جماهير البلاد العربية المجاورة ، عبر تعبيرا صادقا من حيث تكوينه ، ومن

---

31 ـ المقطم 1929/10/30، الشورى 1929/10/30.

32 ـ الملحق رقم 38.

حيث قراراته ، عن الروح الثورية التي كانت تعتمل في نفوس الاهالي الساخطين على الاستعمار البريطاني وتأييده للحركة الصهيونية . فقد سجلت تقارير البوليس ان « المندوبين ابدوا حماسة وتصميما بالغين (لانقاذ البلاد) حتى على حساب ارواحهم . ويستدل من الموقف الذي ساد المؤتمر ان الشعب كان في حالة من الهياج المتطرف اقتربت من حدود الثورة . ويقال ان العرب ينتظرون الآن قرار (لجنة شو) ، فاذا لم يكن مرضيا كان الطريق الوحيد امامهم هو الثورة العامة[33] » .

وعم البلاد في يوم السبت ، الثاني من نوفمبر 1929[34] ، اضراب شامل ، لم تشذ فيه مدينة او فئة ، وقامت المظاهرات في كثير من مدن فلسطين وذلك بالرغم من ان اللجنة التنفيذية طلبت « زيارة قبور الشهداء في ذلك اليوم[35] » . لقد اخذت الهوة تزداد اتساعا ، منذ هبة اغسطس 1929 ، بين الجماهير العربية في فلسطين وبين زعامة الحركة الوطنية التقليدية . ويقدم اميل الغوري تفسيرا لذلك فيقول « اتهم بعض الشباب العرب زعماء الحركة الوطنية حينئذ بانهم يتعاونون مع الانجليز ويهادنونهم ويأملون الوصول الى نتائج طيبة لمصلحة العرب عن ذلك الطريق ، وانهم يوجهون الحركة الوطنية ضد اليهود فقط ، بينما هم فرع من اصل ، ولم يسلم امين الحسيني نفسه من توجيه مثل تلك التهم اليه . والواقع ان عددا من زعماء البلاد الوطنيين ومنهم المفتي الاكبر نفسه ، كانوا يبذلون جهودا صادقة لحمل الانجليز على تعديل سياستهم والوصول الى تفاهم معهم لمصلحة العرب والبريطانيين انفسهم . وكثيرا ما اتصلوا بالمندوب السامي وكبار الموظفين الانجليز ، واعربوا في مختلف المناسبات والظروف عن رغبتهم في التعاون معهم والتفاهم على خطة سياسية تصون للعرب حقوقهم . بل

---

33 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 248.

34 ـ انظر وصف الاضراب في الشورى 1929/11/6.

35 ـ بيان اللجنة التنفيذية في 1929/10/29.

انهم (اي الزعماء) حاولوا ايضا منع تطور حركة الشباب العربية الوطنية الجديدة الى خصومة سافرة للانجليز ، كل ذلك في سبيل تحقيق فكرة التعاون مع الانجليز ، واعتقادا منهم ان في اتباعها خير للبلاد[36] » . ومع كل مجهودات الزعامة التقليدية للحركة الوطنية فان سيطرتها لم ترجع الى سابق عهدها بعد هبة عام 1929 .

مؤتمر البرجوازية العربية (نوفمبر 1929)

في هذه الفترة ايضا ، اخذت البرجوازية العربية النامية التي استفادت اقتصاديا من حركة المقاطعة العربية للانتاج الصهيوني ، تخطط من اجل مزيد من السيطرة الاقتصادية . فعقدت مؤتمرا خاصا في حيفا في يوم الخميس الرابع عشر من نوفمبر ، وحضر المؤتمر 45 مندوبا يمثلون البرجوازية العربية في كافة المدن الفلسطينية . وانتخب لرياسته نمر النابلسي[37] ، ولنيابة الرئاسة رشيد الحاج ابراهيم (من اكبر تجار حيفا) ، وللسكرتارية حسن صدقي الدجاني[38] ، وتوفيق الزيبق . وقرر المؤتمر الاحتجاج على وضع ضريبة جمركية باهظة لحماية المصنوعات اليهودية بفلسطين كالاسمنت والكبريت وغيرهما ، وتأليف شركة برأسمال قدره مائة الف جنيه لتنشيط الزراعة والتجارة والصناعة الوطنية ، وطلب تأسيس بنك زراعي ، وانجاز مشروع بنك مصر ـ فلسطين بتسديد الاسهم المطلوبة من فلسطين[39] . اما من الناحية السياسية فقد قرر « تأييد مطالب الامة العربية

---

36 ـ اميل الغوري : المؤامرة ص 69 - 70.

37 ـ صاحب مصانع صابون في نابلس، يملك بيارة مساحتها 1300 دونم، ويقول صاحب الشورى عنه انه « لم يدفع قرشا من نفقات الوفود الفلسطينية الى اوروبا ». الشورى 1929/8/6. انظر الاخاء ـ ع 6 س 10 ـ نوفمبر 1933

38 ـ من الكتلة النشاشيبية، ذكرت عنه الشورى (1924/11/26) انه تاجر بيرة، وان اسمه مطبوع على الزجاجات، ومتعهد انارة مدينة القدس داخل السور في عام 1925.

39 ـ كان طلعت حرب قد زار فلسطين في عام 1928 لتأسيس بنك مصر ـ فلسطين، ووفق على مشروعه، لكن يوسف قطاوي وشيكوريل، الاعضاء في مجلس ادارة بنك مصر، حالوا دون تأسيس بنك مصر ـ فلسطين، حتى لا ينافس البنوك اليهودية.

الفلسطينية السياسية » ، وارسل المؤتمر برقيتين الى المندوب السامي والى لجنة شو يطلب الغاء تصريح بلفور « بالنظر لما احدثه من الاضرار الاقتصادية في البلاد[40] » . ووضع المؤتمر قسما طلب الى الاعضاء ان يقسموا على تنفيذه وهو « نقسم بالله على ان نحافظ على اراضينا وعقاراتنا الفلسطينية ، وان لا نبيعها الا من العرب الذين نثق باخلاصهم ووطنيتهم ، وان لا نسمسر على بيعها الا من العرب ، وان لا نشتري جميع ما يلزمنا الا من العرب الذين نثق بانهم تناولوا تلك الحاجيات من غير اخصامنا . وان لا نشتري شيئا من اخصام الوطن لا مباشرة ولابالواسطة الا الارض والعقارات . وان نشجع الصناعات الوطنية ، ونبذل جهودنا لترويج الصناعة الوطنية ، وان الله وكيلنا على ما نقول[41] » . وبقطع النظر عن نفس القسم ، فقد كان وضعه بهذه الصورة دليلا على ان المؤتمرين لم تكن بينهم ثقة متبادلة من حيث مقاطعة الانتاج الصهيوني ، او من حيث التعامل العام مع الصهيونيين .

تخوف القيادة التقليدية من حركة الجماهير

كان الحاج امين الحسيني قد ارسل ، منذ 19 اكتوبر ، جمال الحسيني الى لندن للتفاوض مع وزارة المستعمرات . اما حقيقة مهمته فهو السعي لتبرير ما وجه الى المفتي من اتهامات بشأن هبة اغسطس 1929 ، وبالتالي التركيز على زعامة الحاج امين ، كما طلب اليه ان ينقل الى الحكومة البريطانية تخوفات المفتي وزعامة الحركة الوطنية التقليدية من امكانية حدوث اصطدام عربي بريطاني فيما لو لم تغير الحكومة البريطانية من سياستها ازاء القضية الفلسطينية . ولقد سعى جمال الحسيني الى تنفيذ مهمته بكل اخلاص ! فنشر في الديلي ميل في الثاني والعشرين من نوفمبر 1929 مقالا بعنوان (خطر فلسطين ـ ازدياد سخط العرب ـ 10,000غاز مسلح)[42] ، جاء فيه ما يلي « ونحن العرب ما كنا ننفر من الانتداب

---

40 ـ الشورى 1929/11/20.

41 ـ الشورى 1929/11/27.

42 ـ نقلته الشورى في 1929/11/27.

البريطاني على فلسطين لو كان لنا امل بنيل استقلال مماثل لاستقلال العراق ، ولا نعترض على دخول اليهود الى بلادنا لو كان دخولهم يجري على نسبة ملائمة لحالة البلاد الاقتصادية ومصالحنا الاجتماعية ، ولو كانوا يدخلون البلاد بصفة كونهم يهودا لا بصفة كونهم صهيونيين » . واضاف « غير اننا نستاء اشد استياء من ان نحرم نصيبنا في ادارة البلاد ، في حين ان اليهود الذين لا يبلغون سوى سدس عددنا ، والذين نصفهم من الصهيونيين الذين هاجروا الينا حديثا ، لهم نفوذ شديد في حكومة فلسطين » . ثم ختم مقاله بما يعبر عن خوف الزعامة التقليدية من حركة الجماهير اذ قال « ولكننا نعلم اننا اخذنا نضيع نفوذنا عند الفلاحين ، فاذا لم نفعل شيئا لازالة الجور ، فاني اخشى من تجدد الاضطرابات والمشاكل لا محالة » .

هذا هو موقف زعامة الحركة الوطنية ازاء الفلاحين . ولقد كان تخوف جمال الحسيني حقيقيا ، ليس من طبقة الفلاحين فحسب ، بل ايضا من مثقفي الطبقة الوسطى من سكان المدن . ففي اليوم التالي من نشر مقاله في الديلي ميل ، اي في 23 نوفمبر ، حاول شباب يافا ، وعلى رأسهم حمدي الحسيني ، تحريك اهالي المدينة ضد الاستعمار البريطاني . فألقي القبض على عشرة منهم وارسلوا الى سجن عكا ، « وذلك بمقتضى قانون منع الجرائم[43] » ، كما حكم بابعاد حمدي الحسيني الى الناصرة مدة 12 شهرا ، وجودت الهباب الى اريحا مدة 12 شهراً ايضا[44] . وفي نفس اليوم (السبت) 23 نوفمبر ، حاول محمد عبد الغني (من جنين) اغتيال نورمان بنتويتش[45] ، لكنه اخطأه ، ومع ذلك حكم عليه بالسجن 15 سنة مع الاشغال الشاقة[46] .

في الوقت الذي كان على اللجنة التنفيذية والحاج امين الحسيني

43 ـ P.D. vol. 234, cols. 1889 - 90

44 ـ المقطم 1929/11/28، الشورى 1929/12/4

45 ـ P.D. vol. 232, cols. 991 - 2

46 ـ الشورى 1930/3/19.

استغلال النقمة والغضب الشعبي ضد سلطات الاحتلال البريطاني ، اصدرت اللجنة ، في ذكرى احتلال القدس ، بيانا في يوم الاثنين 9 ديسمبر 1929 [47] ، امتاز بلهجة رقيقة مؤدبة . فقد جاء فيه ان « الشعب العربي الفلسطيني يعتقد من صميم قلبه ان السياسة التي اتبعتها بريطانيا العظمى في فلسطين الى الآن هي سياسة غير رشيدة ، وليست في مصلحة العرب كما انها ليست في مصلحة البريطانيين . وهو يرجو ان يدرك الرجال المسئولون ان مصالح بريطانيا العظمى في الشرق لا تصان بمصانعة افاقي اليهود ارضاء لبضعة افراد من متموليهم في بريطانيا العظمى ، بل بمصادقة الامة العربية صاحبة الشأن الاول والاكبر في الشرق الاوسط ، والتي على صداقتها يجب ان تشاد علاقات بريطانيا بالشرق سواء اليوم او في مستقبل الايام » . ثم مضى البيان بلهجة رجاء « من بريطانيا العظمى ان تتفهم خطأ الموقف ، فتسعى الى تصحيحه فيما يتعلق بمستقبل فلسطين » ، وتهبط لهجة البيان الى ادنى مستوى حين يدعو « رجال حكومة فلسطين الى التبصر والتؤدة » في معاملة افراد الشعب « فلا يتبعون سياسة الارهاق والاعنات كما وقع في معاملة وجهاء يافا (نوفمبر 1929) الذين لم يرتكبوا جرما ولم يأتوا وزرا » .

واصدرت اللجنة التنفيذية بيانا آخر يوم الجمعة في 17 يناير 1930 [48] ، استنكرت فيه « تطبيق قانون منع الجرائم على الزعماء والشبان العرب الوطنيين » ، كما استنكرت اغلاق الحكومة للصحف العربية الفلسطينية ، واعلنت « استياءها الشديد من سياسة القهر والاعنات التي تتمشى عليها حكومة فلسطين مع الشعب العربي ، والتي تزيد في اعتقاد هذا الشعب بتحيز الحكومة ومحاباتها » . وقدمت اللجنة التنفيذية نصيحتها الى افراد الشعب وهيئاته « بالانقطاع عن مراجعة الحكومة في مثل هذه الاعمال القهرية التي تقع عليهم » . وبدلا من ان تطلب من الشعب تنظيم صفوفه

47 ـ الشورى 1929/12/18.

48 ـ الملحق رقم 39.

لمقاومة سلطات الاحتلال البريطاني ، طلبت منه ان « يتذرع بالصبر ، وان يتحمل هذه الشدة بعزيمته الوطنية الصادقة ، التي اثبت بها انه يعرف كيف تكون التضحية في سبيل الوطن » . وقالت ان « المطلب الوطني العظيم الذي يسعى وراءه لن يتحقق الا بذلك الصبر وهذه التضحية » .

على ان الشعب ، وخاصة عناصر الشباب فيه ، لم يكن ينتظر من اللجنة التنفيذية ان تكون على مستوى المواجهة مع حركة النضال ضد الاستعمار البريطاني ، فأخذ في تنظيم العصابات المسلحة لمهاجمة الجيش والبوليس البريطاني والمستوطنات الصهيونية ايضا ، وكان اشهر هذه العصابات عصابة (الكف الاخضر)

ثورة الكف الاخضر

كانت فكرة تنظيم عصابات مسلحة لمحاربة الانجليز والصهيونيين قد بحثت منذ صيف عام 1929 ، لكنها لم تكتمل الا على اثر هبة اغسطس 1929 ، حيث اشترك بعض الشباب (بلغ عددهم نحو 27 شابا) ، في تلك الهبة ، وبعد انتهائها اضطروا الى الالتجاء الى التلال المحاذية للحدود السورية .

وفي اكتوبر 1929 ، تمكن احمد طافش من تنظيم عصابة (الكف الاخضر) لتعمل في منطقة صفد ـ عكا ـ سمخ . وفي نفس الشهر شنت هجوما على الحي اليهودي في صفد ، بالتعاون مع انصارها داخل المدينة . وفي نوفمبر من العام نفسه ، تعززت هذه العصابة بعدد من الثوريين الدروز الذين حاربوا الفرنسيين ابان الثورة السورية عام 1925 وبعده ، والذين سرعان ما اصبحوا العمود الفقري لهذه العصابة الموسعة ، التي شنت هجوما على صفد في منتصف نوفمبر ، الامر الذي حمل الادارة البريطانية على ارسال تعزيزات من البوليس البريطاني والفلسطيني الى المنطقة . وبعد وقت قصير من وصول التعزيزات الى صفد ، ظهر رجال (الكف الاخضر) في قضاء عكا ، حيث بدأوا يعدون الكمائن لدوريات البوليس . غير انه بحلول ديسمبر 1929 ، كان ظهور تعزيزات كبيرة من الجيش قد جعل السلطات قادرة

على مكافحة الثوار . وقدم الفرنسيون من ناحيتهم مساعدة قيمة من خلال تسيير دوريات كبيرة من قواتهم على الجانب السوري من الحدود . وكانت الحكومة البريطانية قد قدمت شكرها الى الحكومة الفرنسية في اوائل سبتمبر 1929 على « التدابير العسكرية التي اتخذتها على حدود فلسطين لمنع العصابات من اجتيازها[49] » .

وبرهنت عصابة (الكف الاخضر) على قدرتها على الحركة والمناورة لانها كانت تعمل في منطقة كان فيها الكثير من القرويين الذين يعطفون عليها . بيد ان الافتقار الى التنسيق والتعاون بينها وبين القيادة السياسية الفلسطينية ، جعل امكانيات اتساع المقاومة المسلحة وامتدادها الى مناطق اخرى ولا سيما منطقة نابلس ، امرا متعذرا . وهكذا فان العمليات العسكرية المشتركة التي شنت ضد (الكف الاخضر) خلال الشهرين الاولين من عام 1930 ، قد سببت انهيارا مؤقتا ، وتم اعتقال 16 شخصا من افرادها الاصليين المؤسسين . وفي 22 فبراير 1930كتب تشانسلور تقريرا ذكر فيه ان (الكف الاخضر) عادت الى التجمع من جديد ، وان مزيدا من عمليات القمع العسكرية يجري توجيهها ضد بقاياالثوار .

وكان حلول فصل الصيف لعام 1930 ، والقاء القبض على زعيم (الكف الاخضر) في شرق الاردن ، ثم الجهود المشتركة للبوليس والجيش ، وفشل تنظيم العصابات المسلحة في اجزاء اخرى من البلاد ـ نظرا لعدم تجاوب القيادة السياسية مع فكرة المقاومة المسلحة ـ هي بعض الاسباب التي يحتمل ان تكون قد ادت في نهاية المطاف الى فشل (الكف الاخضر)[50] .

الوفد العربي الفلسطيني (الثالث) الى لندن (مارس ـ مايو 1930)

ولم يقنع التنظيم الشعبي المسلح قيادة الحركة الوطنية التقليدية بتغيير

---

49 ـ المقطم 1929/9/4.

50 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 252 - 254

اسلوبها في مواجهة الاستعمار البريطاني ، بل انتهزت تلك القيادات علمها بتوصيات لجنة شو المشجعة ، وتولى حزب العمال البريطاني الحكم برياسة رمزي مكدونالد R . MacDonald ، وتشجيع تشانسلور الشخصي ، فقررت تشكيل وفد الى لندن لعرض المطالب العربية . وفي 10 يناير 1930 تم انتخاب الوفد برياسة الحاج امين الحسيني ، وعضوية راغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي والفرد روك وجمال الحسيني [51] كان لا يزال في لندن) . ويلاحظ في تشكيل الوفد رغبة بعض اعضاء اللجنة التنفيذية والحاج امين الحسيني في ابعاد موسى كاظم ، لان اسمه لم يرد ضمن تشكيل الوفد . وقد ادى هذا الى حدوث خلاف حول تشكيل الوفد[52] ، امكن حله في جلسة يوم الثلاثاء في 21 يناير ، اذ تخلى الحاج امين الحسيني كتابة عن رئاسة الوفد الى موسى كاظم . ويشير تشكيل الوفد بهذه الصورة ، وهو الذي ضم الكتلة الحسينية والكتلة النشاشيبية والمسيحيين ، الى رغبة القيادة التقليدية للحركة الوطنية في الوصول الى اي شكل من اشكال الاتفاق مع الحكومة البريطانية . ووجهت جريدة (اسرائيل) الصهيونية النقد الى الوفد ، فقالت انه حكومي ، وان اعضاءه يتناولون مرتباتهم من خزينة الحكومة . واضافت « رمت الحكومة من تسفير الوفد الى لندن ان تلهي الاهالي لبعض الوقت وتضعف من نفوذ الاحزاب الوطنية المتطرفة ، اذ ارادت ان تعرض هؤلاء على الملأ كممثلين للشعب العربي الفلسطيني ، مع تحديد مهمتهم التي توافق هوى الحكومة[53] » . والحقيقة ان الحاج امين الحسيني كان موظفا حكوميا مرتبه 600 جنيه سنويا[54] ، وجمال الحسيني كان يعمل سكرتيرا للمجلس الاسلامي الاعلى ، فهو اذن موظف حكومي ، وراغب النشاشيبي كان رئيسا لبلدية القدس . اما الفرد روك فتقول جريدة (اسرائيل) في

---

51 ـ المقطم 1930/1/12، الشورى 1930/1/15

52 ـ الشورى 1930/1/22

53 ـ اسرائيل 1930/5/16

54 ـ P.D vol. 237, cols 2149 - 50

(16 / 5 / 1930) انه « كان قد افلس قبل سفره »،وان الوفد « فك الحجز عن محله » . ومع كل ذلك كان نص تفويض الوفد كما يلي « يكون للوفد ملء الحرية باستعمال ما يراه من الوسائل لنيل العرب في فلسطين حقوقهم السياسية والقومية والاقتصادية ، وعلى ان يرجع الى الامة في البت نهائيا في الحلول التي تصل اليها مجهوداته[55] » .

وتقرر في نفس الجلسة (21 يناير) اصدار نداء « بعدم بيع الاراضي » ، وتم تشكيل لجنة من تسعة اشخاص[56] وذلك « للنظر في وضع الخطط لدرء كارثة بيع الاراضي ودرس الاسباب التي تؤ دي الى حماية الفلاح من الربا الفاحش » . واتفق كذلك على تشكيل لجنة مالية « لترتب وتجمع المال الذي يحتاج اليه الوفد واللجنة التنفيذية على اساس نسبة توزيع مخصصات اللجنة السابقة » . ثم تقرر اجراء تعديل في مكتب اللجنة في القدس ، بحيث اصبح يضم عزة دروزة وعمر الصالح البرغوثي ، بدلا من عوني عبد الهادي وجمال الحسيني عضوي الوفد ، وذلك الى جانب مغنم الياس مغنم ليشكلوا مكتب اللجنة ، الذي يرأسه صبحي الخضرا[57] . وكتب موسى الحسيني الى المندوب السامي يبلغه خبر تأليف الوفد رسميا ، وانه سيسافر قريبا الى لندن[58] .

لم يغادر الوفد البلاد الا بعد شهرين من تشكيله ، اذ كان عليه الحصول على تصريح رسمي من الحكومة البريطانية بدخول بريطانيا ، كما كان عليه ان يجمع الاموال اللازمة لنفقاته . وتأخرت الحكومة البريطانية في منح تأشيرات الدخول للوفد ، ذلك انها في هذه الفترة كانت تجري مفاوضات مع العراق لاجل عقد المعاهدة التي وقعت في يونيه 1930 . كما كان الوفد المصري برئاسة مصطفى النحاس في لندن ، يقوم بمباحثاته مع

55 ـ امين سعيد المصدر السابق ج3 ص 113 - 114، المقطم 1930/1/26، الشورى 1930/1/29

56 ـ انظر اسماءهم في الشورى 1930/1/29.

57 ـ الشورى 1930/1/29

58 ـ الشورى 1930/2/5.

هندرسن . ولا شك ان الوفد الفلسطيني اختار فترة حرجة لسفره ومهمته ، ذلك ان العراق ومصر كانتا من وجهة النظر البريطانية اهم من فلسطين . وهذا ما دفع المستر شيلز وكيل وزارة المستعمرات ، لان يصرح في 5 فبراير 1930 بانه « لا يمكن معرفة ما اذا كانت الاحوال العامة ستسمح باستقبال الوفد[59] » .

ومهما يكن ، فقد غادر الوفد البلاد في 21 مارس ، وودعه ابراهيم طوقان بقصيدة جاء فيها :

يا وفد سر بأمان يا وفد لا ترج جلفا
فكل راج ذليل ولو جنى القول الفا[60]

ووصل الى لندن بطريق مصر ، في 30 مارس ، ولم تستقبل حكومة لندن الوفد رسميا[61] . وفي اليوم التالي ، 31 مارس ، قابل الوفد رئيس الحكومة رمزي مكدونالد ، ولورد باسفيلد Pasfield ، وزير المستعمرات ، واستمرت المقابلة ساعتين ، عرض فيها الوفد مهمته ، وقدم مذكرة طلب فيها « سن تشريع لمنع بيع الاراضي من العرب لغير العرب » ، ووقف الهجرة اليهودية ، و« تأسيس حكومة وطنية نيابية وفقا للمادة 22 من نظام عصبة الامم » .

وفي 3 ابريل القى رمزي مكدونالد ، رئيس الوزارة ، بيانا في مجلس العموم[62] ، اكد فيه ان « الحكومة البريطانية ستستمر على ادارة شئون فلسطين بمقتضى صك الانتداب كما وافق عليه مجلس عصبة الامم ، وهذا التزام دولي لا يمكن الرجوع عنه » . ثم اورد نص تصريح بلفور بشقيه ، وقال « والحكومة البريطانية عازمة عزما اكيدا على ان تنفيذ التصريح بالمساواة نحو كلا الفريقين ، وتعامل بالعدالة على السواء كل طوائف

---

59 ـ P.D. vol. 234, col. 1891

60 ـ البدوي الملثم . المصدر السابق ص 44.

61 ـ المقطم 1930/4/1

62 ـ P.D. vol. 237, cols. 1466 - 7

السكان في فلسطين » . ونوه باختصاصات لجنة شو وتقريرها ، وان « الحكومة تدرس الآن توصيات اللجنة المختلفة لمعالجة الاسباب المباشرة للاضطرابات ولمنع تكرارها ، وهي تقوم بالتشاور مع الاطراف ذات الشأن » . وختم بيانه بقوله انه « يرغب في ان يفهم ان هذا البيان يتضمن الاعداد السريع لقوات الشرطة المطلوبة للمحافظة على الامن في الاحوال القائمة » .

وكان على الوفد ، بعد هذا البيان الصريح الواضح لرئيس الحكومة ، ان يغادر لندن لو انه كان يمثل حقيقة مصالح الشعب العربي الفلسطيني . لكنه لم يكن كذلك ، ولذا فقد ظل في لندن ليفتح باب المحادثات ، لعله يصل في النهاية الى شيء يغطي به فشله .

ومع ذلك اصرت الحكومة البريطانية على موقفها ، وبينت للوفد « بصراحة عدم استعدادها لقبول تأسيس حكومة ديمقراطية في فلسطين ، بحجة ان تأسيس مثل هذه الحكومة مخالف لصك الانتداب على فلسطين ، وانه لا حول لها ولا طول في العمل بما ينافي احكام هذا الصك » . ولكن الوفد « لم يكن ليقتنع بهذه الحجة التي فندها بشدة » ، وقدم « الحجج والدلائل الحقوقية بشأن مسئوليتها عن تأسيس حكومة ديمقراطية في البلاد ، حتى وفقا لاحكام صك الانتداب الذي يمقته العرب ويعملون على الغائه بكل ما لديهم من وسائل مشروعة » . وذكر الوفد في تقريره المقدم الى اللجنة التنفيذية ، ان وزير المستعمرات فاجأهم قائلا « اسمحوا لي ان اعلن لكم هنا سرورنا بمقابلتكم ، وقد اخذنا علما بكل ما قلتموه لنا ، واننا سوف نعيره اهتماما كبيرا . وانه من الواضح ومنذ الآن لزوم اتخاذ بعض التدابير فيما يختص بالمهاجرة بالكيفية التي ترغبون فيها ، وكذلك فيما يختص بمسألة الاراضي . غير اننا لا نستطيع ان نعطيكم جوابا شافيا من الآن في هاتين المسألتين ، قبل ان نأخذ تقرير السير جون هوب سمبسون الذي ارسل الى فلسطين خصيصا لدرسهما . اما فيما يختص بالمسائل الدستورية فلقد فهمنا كل ما قلتموه فيها ، ولكنه بالنظر لاهمية هذه المسألة ، فالحكومة

الانجليزية سوف لا تتخذ اي قرار كان قبل إستشارة المندوب السامي لفلسطين في هذا الامر ، ولكنها ترجو ان تتوصل الى ايجاد شكل تقترحه على امتكم ، آملة ان يكون مقبولا منها[63] »

وذكر الحاج امين الحسيني انه قال للمستر مكدونالد ، تعليقا على ارسال السير سمبسون : « لقد دلت التجارب على ان كل تقرير يكون في صالحنا ولا يريده اليهود لا ينفذ ، وان كان التقرير في صالح اليهود نفذ فورا ، وانا لنخشى ان يكون مصير هذا التقرير كذلك ، والدليل على هذا ازماعكم ارسال السير سمبسون ولما يجف مدار تقرير لجنة شو ، ونخشى ان يؤثر اليهود على اعضائها » . فقال مكدونالد « ان هذه اللجنة هي لجنة فنية لبحث شئون الاراضي ومقدار استيعابها . وزاد مازحا : لا يستطيع اليهود ان يؤثروا على السير سمبسون مطلقا ، فهو اسكتلندي اصيل مثلي[64] » .

وانقطعت المفاوضات في 12 مايو ، وارسل موسى كاظم برقية الى القدس تفيد هذا المعنى ، وقال « ولما كنا مقتنعين بان الاستمرار في هضم حقوقنا اكراما للسياسة الصهيونية يؤدي الى ابادتنا كافة ، واخيرا ملاشاتنا واجلائنا عن بلادنا ، وان المسألة عندنا هي مسألة حياة او موت ، فنعتقد ان شعبنا سيكافح هذه السياسة بجميع الوسائل السلمية[65] » . وفي اليوم التالي 13 مايو اصدرت الحكومة البريطانية بلاغا حول انقطاع المفاوضات جاء فيه ان الوفد بسط « وجهات نظره في عدة موضوعات وخصوصا في مسألتي الاراضي والمهاجرة ومنح دستور . فأخذت حكومة جلالة الملك علما بذلك . وقد افهم الوفد ان التغييرات الدستورية الشاملة التي يطلبها لا يمكن قبولها كلها لانها تعرقل عمل حكومة جلالته في القيام بالتزاماتها بمقتضى الانتداب[66] » . واعلن المستر رمزي مكدونالد في مجلس العموم في 15

---

63 ـ من بيان الوفد الى اللجنة التنفيذية، انظر وثائق المقاومة ص 181 - 188.

64 ـ محمد امين الحسيني، حقائق عن قضية فلسطين، القاهرة 1954، ص 45 - 46.

65 ـ المقطم 1930/5/14، امين سعيد المصدر السابق ج 3 ص 115 - 116.

66 ـ الشورى 1930/5/21، امين سعيد المصدر السابق ج 3 ص 116 - 117، المقطم 1930/5/15

مايو انه « عقدت سلسلة من المحادثات مع الوفد العربي ، وقد عرض فيها الوفد وجهة نظره بطريقة ودية ومتعاونة ، على اعضاء الحكومة . وانتهت المحادثات في الوقت الحاضر ، ولا اقول انها قطعت . وستأخذ الحكومة وجهات نظر الفرقاء المعنيين قبل اتخاذ اي خطوات في المستقبل[67] » . وفي 20 مايو اصدرت حكومة فلسطين بلاغا رسميا[68] ، اكدت فيه رأي الحكومة البريطانية ، واضافت بان « المخاوف التي اعربت عنها بعض الدوائر من ان سياسة حكومة جلالته تعرض كيان الشعب العربي في فلسطين للخطر، فلا مسوغ لها ». وهدد البلاغ الحكومة ، الرسمي بان « كل محاولة يقوم بها اشخاص مخدوعون لاذاعة اخبار مضللة بشأن نيات حكومة جلالته ، مما يجحف بالقانون والنظام في فلسطين عموما ، سيعاقبون عليها اشد العقاب » .

وعاد الوفد ، الذي لم يذكر كلمة (الاستقلال) في مطالبه، بخفي حنين ، ووصل القدس في يوم الخميس 5 يونيه 1930[69] ، بعد ان ترك الحاج امين الحسيني في جنيف ليجتمع الى شكيب ارسلان واحسان الجابري ، لتنظيم الموقف العربي امام لجنة الانتداب الدائمة .

اعدام الشهداء الثلاثة (17 يونيه 1930)

عاد الوفد والبلاد يلفها حزن عميق ، بعد فشل جميع المحاولات[70] لتخفيض احكام الاعدام على 17 عربيا ، من المتهمين بالاشتراك في هبة اغسطس 1929 . واضربت فلسطين كلها في يوم الاحد 15 يونيه احتجاجا على اصرار الحكومة على اعدام عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي .

---

67 ـ P.D vol. 238, cols. 2038 - 9

68 ـ المقطم 1930/5/24، اسرائيل 1930/6/6، امين سعيد المصدر السابق ج3 ص 117 - 118، عيسى السفري المصدر السابق ص 150 - 151.

69 ـ المقطم 1930/6/8

70 ـ انظر جهود المحامي ميب ابكاريوس في الشورى 1930/4/30

واصدرت اللجنة التنفيذية بيانا في 16 يونيه[71] ، طلبت فيه « الاضراب الهادىء والصلاة » في يوم الثلاثاء 17 يونيه ، وهو يوم تنفيذ حكم الاعدام في الشهداء الثلاثة .

وكان الشهداء الثلاثة قد وجهوا قبل اعدامهم بيوم واحد ، اي في 16 يونيه[72] ، كتابا الى سليم عبد الرحمن ، عضو اللجنة التنفيذية ، الذي امضى معهم في سجن عكا نحو ستة اشهر بتهمة التحريض في احداث هبة اغسطس1929، رجوا فيه «لامة العربية في فلسطين ان لا تنسى» دماءهم « المهراقة »، وارواحهم « التي ترفرف في سماء هذه البلاد المحبوبة » . وقالوا « اننا قدمنا عن طيب خاطر انفسنا وجماجمنا لتكون اساسا لبناء استقلال امتنا وحريتها ». واوصوا العرب « ان لا يثقوا بالاجانب وسياستهم ». وطلبوا في ختام رسالتهم ان يكتب على قبورهم « الى الامة العربية، الاستقلال التام او الموت الزؤ ام، باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت» .

نفذ حكم الاعدام في صباح الثلاثاء17 يونيه ، وقدمت جريدة الزهور (حيفا) في 19 يونيه 1930وصفا اليما لذلك اليوم ، فقالت « لم تجتز فلسطين في ادوارها السابقة يوما مثل يوم 17 حزيران (يونيه) الرهيب . لقد تصاعدت اصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات ، وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس ، وولولت النساء ، وتصاعد عويلها في البيوت ، وتساقطت الدموع عزيرة من مآقي الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد . وانشدت الجماهير (يا ظلام السجن خيم) . وقد خيمت روعة الموت وسادت رهبة الموقف ، بينما وقف الجند (البريطاني) يتبخترون ذهابا وايابا ، والمدفع معد ، والسيف مسلط ، والطائرات سابحة في الفضاء الواسع ترقب الحالة عن كثب » . وفي الساعة الثامنة نفذ الحكم في الشهيد فؤاد حجازي ، وفي الساعة التاسعة نفذ في محمد جمجوم ، وتلاه عطا الزير في العاشرة . « وكانت الجماهير تقف خاشعة كلما دقت الساعة معلنة الثامنة والتاسعة

71 ـ الشورى 1930/6/25.

72 ـ الشورى 1930/7/2.

والعاشرة ، ويملأ القضاء اصوات المؤذنين وقرعات اجراس الكنائس حزنا على الشهداء » . واعلن الحداد في فلسطين لمدة 40 يوما . واصدر مكتب اللجنة التنفيذية قرارا في 10 يوليو[73] للاحتفال بأربعين الشهداء في 27 يوليو ودعيت الهيئات العربية والاسلامية الى ذلك . لكن الحكومة البريطانية الحت على اللجنة التنفيذية ان تطلب من الشعب عدم الاحتفال بذكرى شهدائه ، « ولم تخيب اللجنة التنفيذية امل الانجليز ، فاجتمعت في 25 يوليو 1930 ، واصدرت بيانا طلبت فيه من الشعب ان يلغي الاحتفالات ويكتفي بالابتهالات الدينية[74] » .

ولم تراع الحكومة البريطانية شعور العرب الفلسطينيين بعد اعدام الشهداء الثلاثة ، وبعد طلب اللجنة التنفيذية الى الشعب عدم القيام بمظاهرات في ذكرى الاربعين ، بل اسرفت في القهر ، واصدرت بلاغا رسميا رقم 21 في اوائل اغسطس 1930 ، تعلن فيه تبديل حكم الاعدام على اليهودي يوسف مزراحي اورفلي ، المتهم بجريمة قتل عربيين في يافا في 25 اغسطس 1929 ، بالسجن لمدة عشر سنوات . فقدمت اللجنة التنفيذية في 10 اغسطس 1930 [75] ، مذكرة احتجاج الى القائم بأعمال الحكومة ، وقالت « ان اعدام الاورفلي لا يرضي الامة العربية ، ولم يكن يوما ضمن مطالبها . وقد لفتت اللجنة نظر حكومة فلسطين الى ما في سياسة الاعدام من الخطر على مستقبل السلام في هذه البلاد المقدسة » . واضافت بانها « ترى من العبث سرد الامثلة على تحيز حكومة فلسطين الانجليزية ، التي لا يعوزها معرفة عدد المحكومين من الفريقين وانواع الاحكام وظروف القضايا المحكوم بها عليهم . وهذا التحيز الذي كانت حادثة الاورفلي آخر مظاهره ، قد جعل الامة العربية تعتبر بحق جميع الذين تناولتهم الاحكام من العرب شهداء السياسة الاستعمارية الغاشمة » .

73 ـ المقطم 1930/7/12.

74 ـ الشرة السورية : حريدة اللجنة التنفيدية للمؤتمر السوري الفلسطيني، القاهرة، 1930/8/3

75 ـ الملحق رقم 40.

مؤتمر الطلبة الثاني (اغسطس 1930)

في ذلك الجو القاتم الذي ساد البلاد بعد 17 يونيه ، واختلاف الزعامة التقليدية حول « حسابات نفقات لجنة منكوبي فلسطين[76] » ، التي كان يشرف عليها الحاج امين الحسيني ، وعجز اللجنة التنفيذية عن تغيير اسلوب (العرائض والمذكرات والاحتجاجات) ، بدت ظاهرة صحية في انعقاد مؤتمر الطلبة الفلسطينيين الثاني في عكا ، في 12 ,13 ,14 اغسطس 1930 [77] . وكان اول قرار للمؤتمر هو تأليف (كشافة عربية) في فلسطين ، تكون « مستقلة عن كشافة بادن باول » . ولقد لعبت الكشافة العربية في فلسطين دورا نضاليا رائعا ، خاصة بعد عام 1933 ، ذلك ان لباسها التقليدي كان يحميها الى حد كبير من مراقبة الحكومة ، كما قرر المؤتمر « مقاطعة البضائع الاجنبية مهما امكن والاستعاضة عنها ببضائع وطنية » . وطالب معارف حكومة فلسطين بتدريس « تاريخ البلاد العربية وجغرافيتها في الصفوف العالية » ، واستنكر « التحيز البريطاني ازاء قضية الاورفلي » ، كما شكل (لجنة الطلبة العليا) .

وفي محاولة لتغطية موقف اللجنة من احتفالات البلاد بأربعين الشهداء الثلاثة فى 27 يوليو ، اصدرت اللجنة التنفيذية بيانا في 19 اغسطس 1930 [78] ، طلبت فيه ان « تضرب البلاد اضرابا عاما سلميا في البر والبحر يوم السبت 23 آب (اغسطس) 1930 ، احياء لذكرى مائة وعشرين شهيدا[79] قتلوا في الاضطرابات التي ابتدأت يومَ 23 آب (اغسطس (من العام الماضي » . وان يقيم المسلمون « صلاة الظهر في المساجد » ، ويختار المسيحيون « الوقت المناسبْ للصلاة عن ارواح الشهداء » . ورجت اللجنة في ختام اعلانها ان « تبرهن الامة الفلسطينية على حبها للسكينة ومراعاتها للنظام في ذلك اليوم » .

---

76 ـ انظر الشورى 1930/6/25 ، اسرائيل 1930/6/20

77 ـ انظر مقررات المؤتمر في الشورى 1930/8/20

78 ـ وثائق المقاومة ص 188 - 189

79 ـ انظر اسماءهم في الشورى 1930/9/3

لكن الشعب لم يرحب ببيان اللجنة[80] ، وطلب اليها ان تغير ذلك الاسلوب ، خاصة وان البلاد لا زالت تعاني ازمة اقتصادية ، ولا زالت عملية بيع الاراضي لليهود سائرة على قدم وساق . وزاد غضب الشعب على اللجنة بسبب تسرب اخبارها الداخلية الى الحكومة والى رجل الشارع ، نتيجة عدم التقيد بالنظام ، وانتشار الفوضى بين اجهزتها ، حتى ان (المقطم) دعت اللجنة في 11 سبتمبر الى « اعادة النظر في تنظيم اعمالها بدلا من اتهام الناس بالتجسس » . وبدت في الافق السياسي الفلسطيني دعوة الى عقد المؤتمر الثامن ، « ولكن الذين يخشون الفضيحة اخذوا يعملون على تأجيل يوم الاجتماع من يوم الى آخر مماطلين[81] » . ثم ساد البلاد « جمود سياسي غريب[82] » مع اقتراب موعد وصول المستر شيلز وكيل وزارة المستعمرات . ولكنه لم يستمر طويلا ، اذ تفجر النزاع الطائفي ، ولاول مرة ، في حيفا في اواخر سبتمبر 1930 ، بين الروم الكاثوليك وبين المسلمين حول ملكية مقبرة . واصر المطران حجار على تأليف (جمعية مسيحية) منفصلة عن (الجمعية الاسلامية المسيحية) في حيفا[83] . واشتد النزاع بعد مقتل جميل بحري (وهو مسيحي) صاحب مجلة الزهرة ، في حيفا ، ثم انتقل الى يافا . فاصدر الحاج امين الحسيني نداء « الى الشعب العربي الكريم في فلسطين » في 6 اكتوبر 1930 [84] ، اعلن فيه اسفه لوقوع تلك الحوادث ، التي كثيرا ما يقع مثلها « بين ابناء الطائفة الواحدة ، بل بين ابناء الاسرة الواحدة » . وقال بان « هناك ايد تعمل في الخفاء للاستغلال وايقاد نار الفتنة » . ثم ناشد « العقلاء والمخلصين ان يتلافوا الامر بالحكمة والموعظة الحسنة ، وان يدفعوا بالتي هي احسن ، وان يبذلوا جهدهم للقضاء على هذه الفتنة في مهدها » ، واعتبر العمل على اشعال نار الفتنة وتوسيع شقة

---

80 ـ انظر بالمقطم 1930/8/20

81 ـ المقطم 1930/9/14

82 ـ المقطم 1930/9/28

83 ـ المقطم 1930/9/30 ، الشورى 1930/10/8.

84 ـ الملحق رقم 41.

الخلاف « خيانة وطنية عظمى وجريمة كبرى ».

زيارة دراموند شيلز (اكتوبر 1930)

وصل دراموند شيلز الى القدس يوم السبت في 4 اكتوبر 1930 . وقابل وفد اللجنة التنفيذية يوم الاربعاء في 8 اكتوبر « وجرى البحث في المواضيع الرئيسية التي كان الوفد قد بحثها مع الوزارة في لندن » ، فطمأن شيلز الوفد بان « السير سمبسون قد قدم تقريرا مفصلا عن مهمته ، وان التقرير سينشر في اواخر هذا الشهر (اكتوبر) » . واضاف بان الحكومة ستنشر في اواخر اكتوبر ايضا « بيانها الموعود عن السياسة التي سوف تتبعها في فلسطين بعد الآن » ، وانه « يأمل ان لا يقنط العرب ، وان ينتظروا الى حين نشر هذين البيانين[85] » . وزار تل ابيب حيث قابلته مظاهرات يهودية صاخبة[86] ، واتجه منها الى حيفا . وهناك قال ان رحلته « كانت عملا بالسياسة البريطانية العامة وهي ايفاد الوزراء المسئولين الى ما وراء البحار للوقوف بأنفسهم وعن كثب ، على المعلومات التي تساعدهم في عملهم » ، واكد ان قرار الحكومة البريطانية في قبول مسئولية الانتداب بني على الاعتقاد بان في وسعها القيام بالتزامات الانتداب بالانصاف والعدل للجميع[87] » ، ومعنى هذا من وجهة النظر البريطانية تطبيق سياسة (الالتزام المزدوج) نحو العرب واليهود . وفي ختام بيانه امام الصحفيين في حيفا قال شيلز « وهنا في فلسطين قوى هامة تستطيع العمل في سبيل السلام . وآمل ان تتاح لاصحاب هذه القوى الفرصة لذلك . فان الصلح يمكننا من ان نضمن لفلسطين احتياجاتها الحقيقية ، وهي السكنى الطيبة ومنع الامراض وتعليم كل طفل في البلاد[88] » . وكان شيلز اول مسئول بريطاني يصرح بامكانية التفاهم العربي ـ اليهودي ويدعو اليه . والواقع ان الياهو ساسون مسئول القسم

---

85 ـ مں بيان مكتب اللحىة التنفيذية الصادر في 1930/10/8، الشورى 1930/10/15، المقطم 1930/10/14.

86 ـ المقطم 1930/10/14

87 ـ المقطم 1930/10/15

88 ـ المقطم 1930/10/17

العربي في الوكالة اليهودية ، كتب في جريدة اسرائيل في 11 يوليو 1930مقالا بعنوان (داء فلسطين الشقاق ودواؤ ها الوفاق والوسيلة التفاهم) ، دعا فيه الى التفاهم بين العرب واليهود ، واخذت الجرائد الصهيونية في فلسطين منذ ديسمبر 1930 ، تسعى الى ابراز فكرة التفاهم والاتفـاق بين العرب واليهود[89] ، وكان ذلك استجابة لدعوة بعض اعضاء الكتلة النشاشيبية الذين حبذوا الفكرة اصلا . فقد ايد مغنم الياس مغنم فكرة عقد مؤتمر عربي يهودي لبحث قضية فلسطين ، اما عوني عبد الهادي فاشترط « تحديد السياسة الصهيونية تحديدا جليا » بالنسبة لفلسطين قبل عقد المؤتمر[90] . ومع ذلك فقد ابتدأت بالفعل ، منذ ربيع عام 1933 ، محادثات بين العرب واليهود في سبيل ايجاد نوع من التفاهم والاتفاق بالنسبة للقضية الفلسطينية .

جاء تقرير سمبسون متفقا مع رغبات اللورد باسفيلد[91] ، الذي سارع في 20 اكتوبر 1930الى اصدار كتاب ابيض[92] عن سياسة الحكومة ، تضمن جميع توصيات سمبسون بالنسبة للاراضي والهجرة والعمل ، حاذفـا التحفظات المؤيدة لاستيراد رأس المال الصهيوني . وقد اثار الكتاب الابيض موجة عنيفة من الاضطراب السياسي بين اليهود ليس في فلسطين فحسب ، بل في جميع انحاء العالم . وقدم وايزمن استقالته من رياسة المنظمة الصهيونية العالمية ومن الوكالة اليهودية احتجاجا عليه . وقد افزع هذا العمل حكومة العمال ، « فحملها على الاعتدال اولا ثم التراجع ، اذ عارضه ايضا جميع الاعضاء الاحياء من حكومة الائتلاف التي اصدرت تصريح بلفور[93] » .

---

89 ـ المقطم 1930/12/12

90 ـ المقطم 1930/12/24.

91 ـ هو سيدني وب S. Webb، احد اركان الجمعية الفابية التي اشتهرت في انجلترا بالدعوة الى الاصلاح الاجتماعي بالطرق السلمية والاساليب التدريجية.

92 ـ Cmd. 3692, 1930

93 ـ Sykes, op. cit., p. 197

موقف العرب من الكتاب الابيض لعام 1930

اما العرب فقد قابلوه « بشيء من الارتياح[94] » . ويقول احمد الشقيري معلقا على الكتاب « ولم نستطع ان نكتم سرورنا . فقد كان الكتاب الابيض خطوة على الطريق . فقد نص على انشاء مجلس تشريعي ووضع قيود على الهجرة وبيع الاراضي . ولم تكن هذه كل مطالبنا الوطنية . ولكن كنا في حاجة الى وقف النمو الصهيوني ريثما نستطيع ان نجد لنا سبيلا للخلاص[95] » . ويقول اميل الغوري ان الكتاب « لم يرفضه العرب كما كان الانجليز انفسهم يتوقعون . فعلى الرغم من انه لم يشتمل على شيء جديد بالنسبة للعرب ، ولم يكن من شأن تنفيذه تعديل الاوضاع العامة في البلاد ، وانه بني على اساس الانتداب ووعد بلفور . . على الرغم من ذلك كله اراد العرب ان يظهروا حسن نيتهم ، وان يمدوا ايديهم للتعاون مع الحكومة البريطانية ، فأعربوا عن استعدادهم للمساهمة في تنفيذ المشروعات التي انطوى عليها الكتاب الابيض المذكور[96] » . اما الحاج امين الحسيني فيقول انه لما صدر الكتاب « اقبل عليه العرب وجهروا بقبوله » ، وانهم لم يقفوا « حياله سلبيين بل رحبوا به وقبلوه وكانوا ايجابيين[97] » .

هذا هو الموقف العربي الرسمي من الكتاب الابيض لعام 1930 . وبسبب هذا الموقف لم تصدر اللجنة التنفيذية ، ولاول مرة ، بيانا بالاضراب العام في ذكرى وعد بلفور في 2نوفمبر 1930 . فقد اصدرت بيانا في 29 اكتوبر 1930[98] جاء فيه ان مكتب اللجنة « لا يزال جادا في درس الخطة السياسية الجديدة لحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى فى

---

94 ـ المقطم 1930/11/14.

95 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 124.

96 ـ اميل الغوري : المؤامرة ص 37

97 ـ امين الحسيني : المصدر السابق ص 45 - 46

98 ـ الشورى 1930/11/5.

فلسطين » ، ولذلك « فانه لا يرى ان يعلن احتجاجه هذه السنة بالاضراب العام على وعد بلفور » ، وطلب من « الشعب الفلسطيني النبيل ان يكف عن الاضراب هذه السنة ويكتفي بالابراق للحكومة باستمرار الامة العربية على استنكار هذا الوعد » . لكن الدعوة الى الاضراب هذه المرة جاءت من (لجنة الطلبة العليا) التي اصدرت في اول نوفمبر 1930 (99) نداء دعت فيه « اخوانها داخل فلسطين وخارجها الى اضراب عام شامل . . . مشاركة للامة في شعورها ، واشمئزازا من اعمال السياسة الاستعمارية الخرقاء » . وقالت اللجنة انها « اذ تفعل ذلك تعرب عن عزيمة الطلبة على سحق كل ما جاء في ذلك الوعد المشئوم وكل وعد آخر من شأنه ان يمس كرامة الامة او يخدش عزتها » .

واستغرب الشعب كثيرا موقف اللجنة التنفيذية، وسرت نغمة جديدة بين اوساطه تطالب بحلها (100) . واقترحت الجمعية الأسلامية المسيحية بيافا في الأسبوع الثاني من نوفمبر على مكتب اللجنة التنفيذية عقد المؤتمر الثامن، « بمناسبة التحول الجديد والأخبار التي جاء فيها ان الحكومة ستعدل في الكتاب الأبيض ». لكن اللجنة « تسوف، والشعب يستغرب ذلك، كما يستغرب عدم نشر رد اللجنة على الكتاب الأبيض لعام 1930 حتى الآن (منتصف نوفمبر1930) (101) ». والواقع انه في 14 نوفمبر، وبعد موجة الأضطراب السياسي التي اثارها اليهود ضد الكتاب الأبيض، دعيت الوكالة اليهودية للتباحث، في لندن، مع الحكومة البريطانية بشأن اعادة النظر في السياسة البريطانية الصهيونية بفلسطين. ودليلا على رغبة بريطانيا في التفاهم مع الصهيونيين، اصدرت اذنا بالسماح بدخول 1500 مهاجر يهودي الى فلسطين. واستاء عرب فلسطين كثيرا لهذا العمل. وابرقت اللجنة التنفيذية

---

99 ـ وثائق المقاومة ص 189 - 190.

100 ـ الشورى 1930/11/12

101 ـ المقطم 1930/11/15

في 15 نوفمبر [102] 1930، احتجاجا على دعوة الحكومة البريطانية للوكالة اليهودية للتباحث لتفسير بعض مواد الكتاب الأبيض لعام 1930، وقالت انها « تخشى ان يكون التفسير داعيا ليأس العرب من حسن نوايا الحكومة بخصوص المحافظة على الأراضي القليلة الباقية بأيديهم والمهاجرة اليهودية. ».

ومع ذلك لم تتخذ اللجنة التنفيذية اية خطوة اخرى خلاف الأحتجاجات، مما زاد في غضب الشعب واستيائه منها. ولا شك ان موقفها المعتدل المتساهل، والمتردد في نفس الوقت، قد دفع ببعض انصار الكتلة النشاشيبية، الى القيام بحركة (مناورات) للترشيح للمجلس التشريعي المرتقب. وكان جمال الحسيني قد سبق بالقيام بحركة مناورة مكشوفة. فقد قدم في اوائل اكتوبر 1930 استقالته من سكرتارية المجلس الأسلامي الأعلى [103]، ثم سحب استقالته ليسافر الى لندن « مستشارا للمؤتمر الهندي [104] » في الظاهر، وممثلا للحاج امين الحسيني في الواقع. وفي ديسمبر 1930 اجرى جمال الحسيني محادثات مع بعض موظفي وزارة المستعمرات البريطانية. وقد وافق في محادثاته على عقد مؤتمر مع ممثلي اليهود حول مائدة مستديرة، شريطة ان يقتصر الأمر على ممثلي اليهود الفلسطينيين، وان يستبعد وايزمن وغيره من اليهود غير الفلسطينيين، وذلك ان المفاوضات مع وايزمن تعني « الموافقة على الصهيونية »، وهو ما لا يقبله الفلسطينيون تحت اي ظرف من الظروف. ولم ينس جمال الحسيني حين عودته الى البلاد في يناير 1931، ان « يجوب البلاد وهو يتحدث بحماس عن الضيافة والأحترام اللذين عامله بهما موظفو وزارة المستعمرات الذين يكنون، كما قال، عطفا على القضية العربية [105] ».

---

102 ـ وثائق المقاومة ص 190، المقطم 1930/11/21

103 ـ الشورى 1930/10/15.

104 ـ الشورى 1930/10/29

105 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 260

وبعد تردد طال امده، اجتمعت اللجنة التنفيذية في يوم الأحد 28 ديسمبر 1930[106] للنظر في (مشروع) الرد على (الكتاب الأبيض). وبعد بحث استمر عدة ساعات، أرجأت الأجتماع الى ما بعد الظهر، اذ عقدت اجتماعا ثانيا طويلا، ثم وافقت على (المشروع)، الذي صاغه عوني عبد الهادي، بعد ادخال تعديلات طفيفة عليه، وقدمته الى حكومة فلسطين في 30 ديسمبر. والواقع ان رد اللجنة التنفيذية طويل جدا [107]، فهو اطول من الكتاب الأبيض البريطاني نفسه، كما لم ترد فيه اشارة واحدة الى القبول او الرفض. فبالنسبة لمشروع المجلس التشريعي المقترح قالت اللجنة انها « تعتقد ان مشروع المجلس التشريعي المقترح في (الكتاب الأبيض) ناقص ولا يوافق رغبات الأمة وامانيها. وهي من اجل ذلك ترى لزاما عليها ان تستمر على المطالبة بحقوق الأمة الى ان تتحقق تلك الأماني والرغبات كاملة ». اما بالنسبة لمسألة بيع الأراضي فان اللجنة « تلح باصرار على ان يقرر حالا منع انتقال الأراضي من العرب لغيرهم ». كما اقترحت بالنسبة لمسألة ديون الفلاحين العرب ان « تعين الحكومة لجنة خاصة لتصفية هذه الديون على وجه يلائم مصلحة الفلاح العربي ». وختمت اللجنة التنفيذية مذكرتها قائلة « ليس في (الكتاب الأبيض) من جديد في حقوق العرب السياسية، وان النصوص والمبادىء الواردة فيه عن حقوقهم الأقتصادية والأجتماعية لا تضمن للعرب حقوقهم القومية ومصالحهم الأقتصادية. فالمهم ليس بالنصوص والمبادىء، ولكن بتنفيذها ».

موقف العرب من رسالة ماكدونالد (الكتاب الأسود) في 13 فبراير 1931

نجحت الحملة البارعة التي اثارتها الصهيونية العالمية وغلاة الأستعماريين البريطانيين ضد الكتاب الأبيض لعام 1930، فتراجعت الحكومة البريطانية، ووجه رمزي مكدونالد رسالته الى وايزمن في 13 فبراير

---

106 ـ الشورى 1931/1/7.

107 ـ انظر وثائق المقاومة ص 191 - 228.

1931. وقد جاءت تلك الرسالة تجاوبا مع حملة النقد الموجهة الى الكتاب الأبيض، والتي اطلقتها الأوساط الأستعمارية البريطانية، التي كانت ترى في توطيد الوطن القومي اليهودي توطيدا لمواقعها في العالم العربي، وكانت ترى في الكتاب الأبيض مناورة انتهى مفعولها ودورها. وهذه الأوساط الأستعمارية هي التي دعمت المنظمة الصهيونية وروجت مواقفها في الصحافة البريطانية، ونجحت في خلق جو موافق لاصدار رسالة مكدونالد. ولم تكن استقالة وايزمن من رياسة المنظمة الصهيونية ومن الوكالة اليهودية الا مناورة سياسية بارعة، اذ « لم يتوقف عن العمل لحظة واحدة، وكان يتنقل في محافل لندن السياسية، متفقا مع كبار الأستعماريين البريطانيين الذين مارسوا ضغوطهم عن طريق نوابهم في البرلمان البريطاني [108] ».

ومهما يكن، فان رسالة مكدونالد قد الغت بالفعل الكتاب الأبيض لعام 1930، وانهت تماما ما تعلق بتشكيل مجلس تشريعي في البلاد، الذي كان يمكن عن طريقه ايجاد نوع من التفاهم او الأتفاق بين العرب وبين اليهود. ولقد عبر جمال الحسيني بحق حين قال ان الرسالة « تحول دون كل مصالحة بين العرب واليهود [109] ». كما صدم الوجهاء السياسيون من الرسالة، ولم يترددوا في ابلاغ تشانسلور، خلال اول مقابلة اجروها معه ان مركزهم امام الجماهير قد اصبح « مزعزعا وقلقا ». وفي نهاية تلك المقابلة سلم الوجهاء الى تشانسلور مذكرة احتجاج اعلنوا فيها فقدان ثقتهم بحكومة صاحب الجلالة البريطانية، واعتراضهم بقوة على ما اعتبروه تكريسا لسياسة مقاطعة اليهود « عملا بمبدأ المقابلة بالمثل [110] ».

وتحركت اللجنة التنفيذية العربية لتصدر في 12 فبراير 1931 [111]، بيانا الى (الأمة العربية) مؤكدة ان « العرب وجميع العالم المتمدن في سائر

---

108 ـ اميل توما : دراسات في القضية الفلسطينية، حلقة 10 ـ الحديد ـ ديسمبر 1969، ص 8

109 ـ المقطم 1931/2/17.

110 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 262.

111 ـ وثائق المقاومة ص 228 - 231.

البلاد ينظرون الى هذه الوثيقة الجديدة (رسالة مكدونالد) كخرق جديد للعهود التي قطعتها الحكومة البريطانية باسم الشعب البريطاني للعرب ولعصبة الأمم نفسها » . وقالت اللجنة « لنطلب النجدة من انفسنا ومن العالم العربي والاسلامي ، لنتذرع بالوسائل الفعالة المشروعة التي توصلنا الى حقوقنا المهضومة » . وانه « مهما يكن من امر الحكومة البريطانية وتقلبها الفظيع في سياستها العامة في فلسطين ، فعلينا نحن العرب ان ندافع عن حقوقنا المقدسة بكل ما أوتينا من قوة وايمان وثبات في الوطنية عظيم » . ثم ختمت بيانها قائلة « فيجب على كل عربي ، الى اي قطر ينتمي ، والى اي عمل ينتسب ، ان يذكر فلسطين العربية ، وان يعامل اليهود مثل ما يعاملون اخوانهم في فلسطين من ضروب المقاطعة والأضطهاد ، وان يعمل بدون انقطاع للمحافظة على هذه البلاد المقدسة وعلى اهلها الذين يمتون اليهم بصلة الوطنية ، وان لا يمل الكفاح حتى يقضي على السياسة الصهيونية قضاء مبرماً ، ويعيد الى فلسطين المقدسة عهد السلام الذي كانت تنعم فيه من قبل » .

هذه بداية تحول في تكتيك الحركة الوطنية الفلسطينية ، الا وهو الدعوة الى (قومية) القضية الفلسطينية . وقد اخذ هذا التيار يتضح شيئا فشيئا في الحركة الوطنية في فلسطين ، حتى برز واضحا في المؤتمر العربي في القدس في 13 ديسمبر 1931 ، وفي مؤتمر الشباب العربي الأول في يناير 1932 . وقد واكب هذا التيار تيار آخر ، صور النزاع العربي الصهيوني على انه نزاع ديني ، وحاول تغليب الطابع الأسلامي على صورة النزاع كله . وقد تجسد هذا التيار في انعقاد المؤتمر الأسلامي العام في القدس في ديسمبر 1931 .

اسفرت رسالة مكدونالد (13 فبراير 1931) عن ازدياد نقمة الشعب وغضبه على سلطات الأستعمار البريطاني من جهة ، وعلى اللجنة التنفيذية العربية من جهة اخرى ، لعجزها عن مواجهة التطورات الجديدة في البلاد . ونتيجة لضغط الرأي العام ، عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا في يوم الاحد

الثاني من مارس 1931 [112] لتعلن تأسيس (مشروع القرش)، وتدعو الشعب العربي « الى ارتداء الملابس الوطنية واستعمال المصنوعات العربية في ثيابهم وحاجياتهم الأخرى، تشجيعا وترويجا للصناعة العربية، واقتصادا في النفقات ». كما قررت « استحالة اي تفاهم بين العرب واليهود »، واستنكار ما جاء « في بيان الحكومة الأنجليزية الجديد من عدم منع اليهود من مشترى اراض اضافية بالرغم من اعترافها بعدم وجود اراض كافية للعرب، ومن عدم منع الهجرة اليهودية بقطع النظر عن البطالة التي تكون منتشرة بين العرب، وجعل مقاطعة العرب لليهود مشروعة ». واصدرت اللجنة بيانا آخر اعلنت فيه ان كل من يتفاوض مع اليهود يعد « مرتكب خيانة عظمى [113] ». واعلنت في 12 مارس عن تأليف (لجان المقاطعة) في فلسطين [114] .

جهود وايزمن لتفاهم عربي يهودي

حاول وايزمن في هذه الفترة، استغلال مهاجمة الرأي العام في البلاد للجنة التنفيذية العربية، فقدم الى فلسطين في محاولة لايجاد تفاهم عربي يهودي. الا ان اللجنة التنفيذية قابلته باصدار بيان في 24مارس 1931 [115]، اكدت فيه ان « مفاوضة العرب بصورة رسمية او شبه رسمية للصهيونيين. . . هي في حد ذاتها اعتراف بتصريح بلفور والأنتداب الذي بني عليه »، وانها لذلك قررت مقاطعة وايزمن لانه « انما يسعى للتفاهم مع العرب تسهيلا لتحقيق المطامع الصهيونية »، واتهمته بانه يسعى للتفاهم « مع بعض افراد يجذبهم اليه بطريق الأغراء السياسي وغير السياسي (الرشوة)، بقصد نشر الدعاية في العالم اليهودي لاستدرار الأموال لاجل انتزاع ما بقي في ايدي العرب من اراض قليلة ». واكدت اللجنة انها لن تتردد « في نشر اسم كل

---

112 ـ الشورى 1931/3/11.

113 ـ الشورى 1931/3/18.

114 ـ الشورى 1931/3/25.

115 ـ الشورى 1931/4/1.

مخدوع مهما كانت غايته ومهما كان مركزه بصفته خارجا على اجماع الأمة ومرتكبا خيانة عظمى ». ولم تكن اللجنة التنفيذية في تخوفها من رشوة بعض الزعامات التقليدية بعيدة عن الصواب، ذلك ان وايزمن كان قد ابلغ تشانسلور في 20 مارس 1930 انه « يعتقد ان بامكانه رشوة معظم الزعماء العرب[116] ».

اشتداد النقمة الشعبية على اللجنة التنفيذية العربية

ويبدو ان اسلوب وايزمن في التعامل مع بعض الزعامات التقليدية لم يرق لتشانسلور، ذلك انه فضل عقد اجتماع في لندن يحضره العرب واليهود وممثلو الحكومة البريطانية. ففي رسالة المستر يونغ، السكرتير العام لحكومة فلسطين، والمؤرخة في يوم الخميس الثاني من ابريل 1931، والمرسلة الى موسى كاظم، عرض السكرتير العام على اللجنة التنفيذية ان « تقبل الدعوة لارسال مندوبين عنها الى لندن للاشتراك في ابحاث (لجنة العمران) التي تنوي الحكومة البريطانية تشكيلها ». واشار الى ان الوكالة اليهودية سترسل من ينوب عنها للاشتراك في هذه الأبحاث التي ستبتدىء ـ حسب الترتيبات المتخذة الآن ـ في اليوم الثالث عشر من شهر نيسان (ابريل) ». ورد عليه موسى كاظم برسالة مؤرخة في يوم السبت الرابع من ابريل، اعلن فيها قبوله للفكرة بشرط ان « يكون البحث مع حكومة جلالته دون سواها »، وان « لا يكون التفسير الأخير الذي ارسله المستر مكدونالد الى الدكتور وايزمن، الذي احتج عليه العرب في حينه، اساسا من اسس البحث ». ثم طلب تأجيل موعد عقد المؤتمر « مدة مناسبة يتمكن فيها مندوبو العرب من الأستعداد للسفر[117] ».

وفي يوم الأثنين 13 ابريل 1913، عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا في القدس، لتقرير تشكيل الوفد العربي. وبعد مناقشات حادة، انقسمت اللجنة

---

116 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 263.

117 ـ الشورى 1931/4/22

التنفيذية الى ثلاثة اطراف: الأول رفض المفاوضة نهائيا، والثاني وهو الأغلبية قال بالمفاوضة في فلسطين، والثالث قال بارسال وفد الى لندن، ومن مؤيدي هذا الفريق موسى كاظم، عوني عبد الهادي، جمال الحسيني، وعمر الصالح البرغوثي. ولما طرح القرار للتصويت حاز رأي الفريق الثاني الاغلبية. ونص قرار اللجنة ان « يكون البحث في فلسطين بواسطة لجنة مفوضة وليس في لندن، لان الخطة التي سيجري البحث فيها ستطبق في فلسطين »، وان « لا يكون بيان مكدونالد او اي بيان آخر مؤيدا لتلك السياسة اساسا من اسس البحث »، وان « لا يشترك مندوبو العرب مع مندوبي اليهود في هذه الأبحاث[118] ».

والواقع ان قرار اللجنة التنفيذية في 13ابريل، كان انعكاسا لنفوذ العناصر الشابة النشطة في داخل اللجنة، وتخوفا مما يمكن ان يحدث. ذلك انه وقعت منذ اوائل ابريل حوادث اعتداء ضد اليهود، « فقد اغتيل عدد من اليهود من قبل اناس مجهولين، وضربت سيارات برتقال لليهود وشوهت مواشي لهم، واعيقت حركة شرائهم للأراضي بواسطة تعديات منظمة[119] ». ومع ذلك اصرت الحكومة البريطانية على ان تكون المفاوضات في لندن[120]، ورفضت مطالب اللجنة التنفيذية. واستقال موسى كاظم من رئاسة اللجنة التنفيذية بعد اصرار الحكومة البريطانية على اجراء المفاوضات في لندن، وكان موسى كاظم من مؤيدي ارسال وفد الى لندن. الا ان الصحف اليهودية عزت استقالة موسى كاظم الى سيطرة الحاج امين الحسيني على اغلبية اعضاء اللجنة[121]. لكن الرئيس استرد استقالته في النهاية تلبية لطلب اعضاء مكتب اللجنة[122].

---

118 ـ المقطم 1931/4/19، الشورى 1931/4/22.

119 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 107.

120 ـ المقطم 1931/5/10.

121 ـ المقطم 1931/5/19.

122 ـ المقطم 1931/5/21.

وحل اليوم السادس عشر من مايو 1931 ، وهو (يوم فلسطين) [123] حسب قرار المؤتمر الاسلامي الهندي في مايو 1930· ولم تقبل اللجنة التنفيذية اعلان الاضراب ، بل طلبت الى المسلمين والمسيحيين تأدية الصلاة في معابدهم الخاصة ، وقدمت في اليوم التالي احتجاجا الى المندوب السامي « على الظلم الفاحش والجور الفاضح والخطأ المزري الذي بني عليه الانتداب في فلسطين وانطوت عليه السياسة الصهيونية » ، واعلنت ان اهل فلسطين « يجددون اليوم مساعيهم لرفع هذا الظلم ، ويؤلبون قواهم الشرعية لمناضلةهذه السياسة الغاشمة » ، وان « جميع المساعي التي تبذل لاسترضاء العرب على نحو كيانهم القومي بالرضاء بالصهيونية هو سعي فاشل ، وان كل قول بامكان تطبيق الانتداب في فلسطين وتعاون اهل البلاد والمعتدين من الغرباء(اي الصهيونيين) هو قول ضال مضلل ايا كان مصدره ومهما كانت الغاية منه [124] .

ومع ان البلاد كانت تعاني من ازمة اقتصادية ومن موسم ماحل في عام 1931 ، الا ان اللجنة التنفيذية لم تحاول ان تغير اسلوبها في مواجهة الاستعمار البريطاني في البلاد . وامتلأت الصحف خلال شهر مايو 1931 ، برسائل نقد موجهة الى اللجنة التنفيذية من كل انحاء فلسطين ، حتى بلغ الامر ببعض هذه الرسائل انادعت بان تشكيل اللجنة بشكلها الحالي هو « سبب الغلاء في فلسطين [125] . وامتلأت الصحف العربية منذ اوائل يونيه ، بنغمة جديدة « تتغنى بايام الاتراك وحكمهم في فلسطين [126] . ودعت تلك الصحف الى الاضراب العام في 71 يونيه ، احياء لذكرى الشهداء الثلاثة [127] . واضطرت اللجنة التنفيذية ازاء هذه الدعوة الى اصدار

---

123 ـ انظر P.D. vol. 238, col. 603.

124 ـ وثائق المقاومة ص 233 - 234.

125 ـ الشورى 1931/5/20.

126 ـ الشورى 1931/6/7

127 ـ المقطم 1931/6/18

بيان في 14 يونيه 1931 ، طلبت فيه من ابناء الامة « ان يذكروا ضحايا الاستقلال الذين قضوا على المشانق في السجون ، والذين لفظوا انفاسهم وراء هذا المطلب الاسمى في الحوادث الاخيرة . . . وجميع الذين ما زالت السجون تردد صدى انينهم وهم قانعون مطمئنون لانهم هناك في سبيل الواجب » . وطلبت الاضراب في يوم الاربعاء 17 يونيه 1931 احياء لذكرى « طلائع ضحايا الاستقلال » ، وان « يهرع الناس في هذا اليوم الى المساجد والمعابد يطلبون من الله الرحمة للشهداء الذين قضوا في سبيل الحق ، ويجددون امام الله والناس العهد القاطع ، على ان لا يقبلوا ثمنا لهذه الضحايا غير ما ماتت لاجله ، وان يجددوا قواهم ويوحدوا مساعيهم ويسيروا الى الامام نحو الاستقلال والعزة القومية [128] » .

على ان ذلك كله لم يغير من رأي الاهالي في اللجنة التنفيذية ، التي اخذت النقمة الشعبية تشتد عليها . ففي نابلس ، قرر عزة دروزة في 10 يوليو 1931 بموافقة اعضاء (الجمعية الاسلامية المسيحية-بنابلس) تغيير اسمها الى (الجمعية الوطنية العربية بنابلس) [129] . ولا شك ان هذا التغيير يحمل في ثناياه الاشارة الى الاتجاه القومي العربي الذي بدأ على مسار الحركة الوطنية الفلسطينية . ذلك ان الحكومة البريطانية قد بدأت منذ ابريل 1931 ، باعادة تسليح المستوطنات اليهودية في فلسطين ، وذلك على شكل « اعادة بناء مخازن السلاح المغلقة [130] » ، فيها ، ولم تكتف بذلك بل « عينت بعض المدربين لتدريب شبانهم [131] » . واصدرت في 27 يونيه بلاغا رسميا [132] جاء فيه انه « قد اعطيت بعض المستعمرات اليهودية المنعزلة بنادق من النوع المسمى (جريير) موضوعة في مستودعات مختومة

---

128 ـ وثائق المقاومة ص 235 - 236.

129 ـ الشورى 1931/7/15

130 ـ P.D. vol 256, cols. 1628 - 9

131 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 75.

132 ـ المقطم 1931/7/2.

لاستعمالها بقصد الدفاع ، على الا تفتح هذه المستودعات الا في الاحوال الاضطرارية الماسة » . واضاف البيان الحكومي الرسمي ان ضباط البوليس قاموا « بتجربة هذه البنادق بحضور اهل المستعمرات اليهودية ، ولم يطلق غير 50 خرطوشة من كل مستودع في اثناء هذه التجربة » . ورد موسى كاظم في 29 يونيه 1931 [133] بمذكرة رفعها الى المندوب السامي محتجا على بيان الحكومة الرسمي الذي كان له « تأثير سيء جدا في نفوس عموم السكان العرب ، بالنظر لانه يدل دلالة صريحة لا يمكن تأويلها على ان الحكومة تعد اليهود للقتال » ، وانه « لا يفيد الاعتذار عن ذلك بان هذا الاستعداد هو من قبيل الاحتياط للدفاع عن النفس عند الحاجة ، لان من المستغرب جدا ان حكومة تنفق ما يقرب من ربع ميزانيتها على الامن العام ، تعلن بمثل هذا التصريح انها غير قادرة على حماية السكان » . وختم موسى كاظم مذكرة الاحتجاج بتحميل الحكومة « كل ما ينتج عن هذه الاعمال من المسؤوليات » .

مؤتمر نابلس وتسليح اليهود (يوليو 1931)

دعت (الجمعية الوطنية العربية) الى مؤتمر يعقد في نابلس في يوم الجمعة 13 يوليو 1931 للبحث في مسألة تسليح المستوطنات اليهودية . وبالفعل شهد المؤتمر وفود عديدة من جميع انحاء فلسطين [134] معظمها من الشباب الذي اخذ يدعو الى الاستقلال ضمن الوحدة العربية . وقد ساد « الحماس والهياج [135] » المؤتمر ، الذي انتقده مراسل المقطم في رسالة بعث بها من نابلس في اول اغسطس وذلك بسبب« عدم النظام [136] »فيه .

133 ـ الشورى 1931/7/8.

134 ـ من الذين حضروه : حمال القاسم، يونس الخطيب، اكرم زعيتر، عبدالقادر المظفر، الحاج خليل طه، عبد الرحمن الحاج، عزة دروزة، حمدي الحسيني، فهمي العبوشي، صبري عابدين، صدقي ملحس، عبد الله سمارة، محمد علي دروزة.

135 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3ص 75.

136 ـ المقطم 1931/8/5

ومع ذلك اصدر المؤتمر عدة قرارات تضمنت الدعوة الى الاضراب العام في البلاد يوم السبت في 15 اغسطس ، وتأليف (لجنة خاصة) لاتخاذ الاجراءات اللازمة في حالة اصرار « الحكومة على سياسة تسليح المستعمرات اليهودية » ، ونشر « بيان على العالم الاسلامي وملوكه وامرائه يبين الاخطار المحدقة بفلسطين من جراء تسليح المستعمرات اليهودية » . كما قرر المؤتمر « رفع كتاب الى المندوب السامي يطلب منه فيه ان تعدل الحكومة عن هذه السياسة الخطرة ، وان تسترد السلاح الموزع على مستعمرات اليهود ، او ان تعامل القرى العربية النائية بمثل ما عاملت به اليهود » . ووافق المؤتمر في النهاية على تشكيل لجنة تنفيذية للمؤتمر من : فهمي العبوشي ، عبد الله سمارة ، محمد علي دروزة ، اكرم زعيتر ، وجمال القاسم ، ومنحها « مدة شهر للقيام بالمهام التي القيت على عاتقها (137)

أخذت الصحف العربية، لعدة ايام، تكتب حول المؤتمر ومسألة تسليح المستوطنات اليهودية، مما اضطر السلطات البريطانية الى ان تذيع بلاغا آخر زعمت فيه ان « الأخبار بولغ فيها كثيرا (138) » وقابل اصحاب الصحف العربية، المستر يونغ، السكرتير العام، في يوم الأربعاء 5 اغسطس 1931، والقى السكرتير العام بيانا تهديديا حول منع كل خبر عن تسليح اليهود. ورد اصحاب الصحف باصدار بيان في نفس يوم المقابلة اعلنوا فيه اضراب صحفهم عن الصدور من يوم الأثنين 10 اغسطس وحتى يوم الأثنين السابع عشر من نفس الشهر « احتجاجا على بيان الحكومة بشأن تسليح اليهود (139) ». ولم تستطع اللجنة التنفيذية اصدار اي بيان في اجتماعها يوم 5 اغسطس، وذلك لوجود خلافات داخلية، بين مؤيد ومعارض لمقررات مؤتمر نابلس. ودخلت الجمعية الأسلامية المسيحية بيافا الصراع، فاصدرت بيانا في 14 اغسطس، تدعو فيه الأهالي الى عدم الأضراب في 15

---

137 ـ المقطم 1931/8/5 ، الشورى 1931/8/5، الفتح ـ 236 - 29 ربيع اول 1350 هـ.

138 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 75 - 76.

139 ـ المقطم 1931/8/11.

اغسطس [140]. ومع ذلك، ونتيجة للضغط الشعبي، رضخت اللجنة التنفيذية وعقدت اجتماعا مشتركا بينها وبين اللجنة التنفيذية لمؤتمر نابلس في القدس في اليوم السابع عشر من اغسطس، قررت فيه ان تضرب البلاد اضرابا شاملا في يوم الأحد 23 اغسطس، وذلك « لاصرار السلطة على تسليح اليهود [141] ». كما قررت عقد (اجتماع عام) في نابلس في يوم الأحد 20 سبتمبر 1931 وذلك للنظر في « جميع الأعمال التي تقوم بها الحكومة مخالفة للقوانين والتقارير الرسمية الصادرة لمصلحة العرب، ووضع خطة حازمة امام هذه الوضعية الشاذة [142] ».

وفي صباح يوم الأحد في 23 اغسطس، اضربت البلاد كلها، ووصفت جريدة (الجامعة العربية) الصادرة في 25 اغسطس مدينة القدس بانها كانت « تعلوها الكآبة ». وقام اعضاء اللجنة التنفيذية الموجودون في القدس بمسيرة الى دار الحكومة، فاعترضتها قوات البوليس، وهددت بتفريقها بالقوة اذا استمرت وسمحت لعشرة [143] من الاعضاء فقط بالسير الى دار الحكومة وتقديم احتجاج [144]. وفي مساء اليوم نفسه القت السلطة القبض على ثلاثة من اعضاء مؤتمر نابلس هم صبري عابدين (الخليل) وصدقي ملحس وجمال القاسم (نابلس)، فقامت في المدينة « مظاهرات صاخبة ليلة الأعتقال ثم في اليوم التالي، واصطدم المتظاهرون مع البوليس في معركة حامية واصيب كثيرون من العرب [145] ». واعتقلت السلطة محمد علي دروزة، وقدري طوقان، وعادل كنعان، وفوزي الخياط وآخرين، وحكمت على كل منهم بالسجن لمدة سنة [146]. ويؤكد تقرير اللجنة الملكية انه « لم

---

140 ـ المقطم 1931/8/20.

141 ـ المقطم 1931/8/23.

142 ـ وثائق المقاومة ص 238

143 ـ انظر اسماءهم في وثائق المقاومة ص 241.

144 ـ انظر المقطم 1931/8/26.

145 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص76.

146 ـ المقطم 1931/8/27.

يكن في الأمكان اخماد المظاهرات التي اقيمت في نابلس الا باستعمال الشدة من قبل البوليس [147] ». ويقول عزة دروزة انه كان من نتائج اعمال السلطة « تشكيل بعض الجماعات السرية الجهادية التي ابلت بلاء حسنا قبيل ثورة 1936 الكبرى وفيما بعده [148] ». لكنه لم ينتظر لهذه الجماعات استمرار كفاحها المسلح، وذلك بسبب سياسة القمع البريطاني من جهة، وبسبب عدم استجابة الزعامة التقليدية ومعاونتها لها من جهة اخرى.

المؤتمر الصحفي بيافا (سبتمبر 1931)

لم تكن عملية قمع مظاهرات نابلس هي السبيل الوحيد الذي اقدمت عليه السلطة البريطانية، بل انها عمدت ايضا الى الأنتقام من الصحف العربية بتطبيق (قانون منع الجرائم) على أصحابها ومحرريها. وفي محاولة للاحتجاج على تطبيق ذلك القانون، عقد اصحاب الصحف العربية مؤتمرا في يافا في 18 سبتمبر 1931 [149]، واعلنوا احتجاجاتهم واستنكارهم « لخطة الظلم والارهاق التي تسير عليها الحكومة البريطانية بفلسطين في سياستها التي تستمد روحها من مبادىء الاستعمار والصهيونية منذ الأحتلال البريطاني الى اليوم »، وان اتباع تلك السياسة « انما هو اعتراف من الحكومة بافلاس سياستها، وتوسلها بوسائل شاذة استثنائية لخنق حرية الفكر المقدسة. ».

مؤتمر نابلس الثاني (سبتمبر 1931)

وعقد بعد يومين من انعقاد المؤتمر الصحفي، اي في 20 سبتمبر 1931، مؤتمر آخر كان مظهرا للدعوة الى الأستقلال ضمن الوحدة العربية، ذلك هو مؤتمر نابلس، الذي لم يشهده اي مندوب عن الكتلة النشاشيبية، وكان تنفيذا للقرار الصادر في 17 اغسطس في اجتماع اللجنة التنفيذية العربية

---

147 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 107.

148 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 76.

149 ـ وثائق المقاومة ص 245 - 246

ولجنة مؤتمر نابلس التنفيذية. وهاجم المؤتمر « السياسة الفاشلة » التي سارت عليها اللجنة التنفيذية العربية والهيئات الوطنية في البلاد مدة ثلاثة عشر عاما، وانه يجب عليها « ان تفهم هذه الحقيقة وتترك هذه السياسة الفاشلة، وان لا تتفاوض مع الحكومة الا على اساس المطالبة بالأستقلال ضمن الوحدة العربية، او ما يوصل الى هذا الأستقلال من المشاريع الأقتصادية والسياسية ». واشار المؤتمر الى ضرورة ان يعلن العرب مرة اخرى ان مسألة التفاهم بين العرب واليهود مستحيلة، « ما دام الصهيونيون يصرون على اتباع مبادىء تخالف مبادىء العرب الوطنية والسياسية ». واكد على ضرورة مقاطعة جميع البضائع التي ترد بواسطة الجمارك، ذلك ان رسوم الجمارك تدخل الى خزينة الحكومة البريطانية التي تعمل على ضرب الشعب، وفي المقابل حض على ترويج الصناعة الوطنية ». ثم تولى دعوة « الشبان في البلاد الى عقد مؤتمر ينظمون فيه صفوفهم، ويقررون هذه المبادىء، ويجعلون تنفيذها باكورة اعمالهم »، وفي النهاية وضع المؤتمر قسما اقسم الجميع بالمحافظة عليه وهو « نقسم بالله ان نعاضد صندوق الأمة بكل قوانا ونسعى لتنفيذه، وان نقاطع السماسرة والخونة والجواسيس بكل ما لدينا من قوة، وان لانبيع اراضينا الى اليهود [150] ».

المؤتمر الاسلامي العام (7 - 17ديسمبر 1931)

على ان اخطر المؤتمرات التي عقدت في فلسطين عام 1931 كان المؤتمر الاسلامي العام، الذي عقد في القدس، في مناسبة اسلامية هامة، هي ذكرى الاسراء والمعراج (27 رجب 1350هـ) الموافق 7 ديسمبر 1931.

والواقع ان فكرة هذا المؤتمر ترجع الى ما بعد هبة عام 1929، الا ان اقدام الحكومة البريطانية على تشكيل (لجنة البراق) حال دون الأستمرار في تنفيذ الفكرة ولما نشرت (لجنة البراق) تقريرها في 8 يونيو 1931، تجددت الفكرة لعقد المؤتمر مرة اخرى. فقد اخذ (مولانا شوكت علي)،

---

150 ـ الفتح ـ 270 - 19 جمادى الاول 1350 هـ، المقطم 1931/9/23.

الزعيم الهندي، يدعو من 4 سبتمبر 1931 الى عقد المؤتمر [151]، وايده في ذلك عبد العزيز الثعالبي، الزعيم التونسي. ومما لا شك فيه ان سعي الزعيمين الاسلاميين لم يكن بعيدا عن رغبات الحاج امين الحسيني او مناقضا لها، بل على العكس من ذلك، لاقت في نفسه هوى لتوطيد وتثبيت نفوذه السياسي في فلسطين، بعد الاتهامات التي وجهت اليه بموالاته للسلطات البريطانية.

وشكلت لجنة تحضيرية للمؤتمر برياسة الحاج امين الحسيني [152]، وعضوية كل من عبد العزيز الثعالبي، امين التميمي، عزة دروزة، احمد حلمي عبد الباقي، الشيخ محمود الداوودي (الدجاني)، الشيخ حسن ابو السعود، وعجاج نويهض [153]. وارسل الحاج امين، باسم اللجنة التحضيرية، دعوات الى شخصيات اسلامية وعربية وفي صيانة الاماكن المقدسة الاسلامية من الأيدي الممتدة اليها الطامعة بها، وفي شئون اخرى تهم المسلمين جميعا وتعود عليهم بالخير العميم والنفع العظيم [154] ».

اثارت الدعوة لعقد المؤتمر معارضة قوية في مصر خوفا من تعرضه لمسألة الخلافة. ويروي السيد رشيد رضا هذه القضية في رسالة مؤرخة في 18ديسمبر 1931 ومراسلة الى الأمير شكيب ارسلان. يقول رضا « فلما هب الأزهر للطعن في عقد المؤتمر ورميه بالتهم، واستغل ذلك خصوم السيد امين الحسيني في وطنه، وفي مقدمتهم راغب بك النشاشيبي وحزبه، والشيخ الشقيري وغيره بالطعن والتنفير والتشهير، حضر الحسيني الى مصر للسعي في تلافي فتنة الأزهر. وكان حضوره برأي عبد الحميد (بك) سعيد ومن كان يشتغل معهم، ومنهم التفتازاني وسليمان فوزي صاحب الكشكول

---

151 ـ المقطم 1931/9/9

152 ـ انظر عزة دروزة المصدر السابق ح3 ص 79.

153 ـ درزي ـ عينه الحاج امين الحسيني سكرتيرا للمجلس الاسلامي الاعلى بناء على توصية الامير شكيب ارسلان.

154 ـ الاهرام 1931/10/18.

والثغر)، وكلاهما من اعوان الحكومة (يقصد حكومة مصر)، وبرأيي انا ايضا، ولكن من حيث لم اعلم من امر غيري شيئا. وقد تلقاه عبد الحميد بك سعيد عند وصوله، وجمعه باسماعيل باشا صدقي (رئيس الحكومة)، واتفقنا على ما نشر في الجرائد. وكان (اي عبد الحميد سعيد) يسعى لمقابلة جلالة الملك فؤاد له والعطف على المؤتمر ومساعدته، كما قال لي هو (اي عبد الحميد سعيد) والتفتازاني، فحال دون هذا ان اجاب الحسيني دعوة مصطفى باشا النحاس وفتح الله باشا بركات ونجله بهي الدين وبركات الى طعام ودعوة مكرم عبيد سكرتير الوفد الى الشاي [155] ».

والواقع ان الحاج امين الحسيني نشر، وهو في القاهرة، بيانا اشار فيه الى ان هدف المؤتمر هو « البحث في نشر اساليب التعاون الاسلامي ونشر الثقافة الاسلامية والدفاع عن البقاع المشرفة الاسلامية، والعمل لوقاية الدين الاسلامي في بيت المقدس، والنظر في قضية الخط الحديدي الحجازي ». واكد ان « مسألة الخلافة ليست من المسائل التي يراد طرحها على المؤتمر او وضعها في برنامج ابحاثه [156] ». وبذلك استطاع ان يحل الخلاف مع اسماعيل صدقي ومع الملك فؤاد الذي كان يأمل في منصب الخلافة.[157]

ولقد اثار المؤتمر ايضا موجة من النقد ضد الحاج امين الحسيني، قام بها اعضاء الكتلة النشاشيبية، التي خصصت جريدة(مرآة الشرق) للهجوم على المؤتمر وعلى الحاج امين الحسيني نفسه. فقد اتهمت الجريدة المفتي بانه « لم يصرح باسماء اللجنة التحضيرية ولا باسماء لجنة الاعلام »، وان « هدفه في اول الامر الخلافة، لكن معارضة مصر حولته عن هدفه ». وقالت « ثم اتجه هدف المؤتمر الى بناء جامعة اسلامية انتهت

155 ـ شكيب ارسلان : السيد رشيد رضا ص 564 - 565.

156 ـ السياسة ـ 2630 - 1931/10/31

157 ـ تؤكد الكرمل ـ ع 1624 ـ في 1931/11/11 ان الذين يعارضون المؤتمر الاسلامي في مصر هم « انصار مؤتمر الخلافة الذي عقد في عام 1926، وكذلك المحفل الوطني المصري الذي يرعاه الملك فؤاد ».

الى كونها مدرسة ثانوية [158] » . وتابعت الجريدة اتهامها للمفتي بانه « يوجه خطابات الى القضاة والمأذونين لجباية الاموال لنفقات المؤتمر الاسلامي [159] » .

واصدر 48 شخصا من الكتلة النشاشيبية، من بينهم عبد الرحمن التاجي ومحي الدين عبد الشافي، عضوي المجلس الاسلامي الاعلى، بيانا في 19 نوفمبر 1931بعنوان « الى العالم الاسلامي [160] » ، اتهموا فيه الحاج امين الحسيني بانه لم يستشر « ذوي الرأي والمكانة من مسلمي فلسطين »، وبانه ارسل الدعوة لعقد المؤتمر باسم المجلس الاسلامي الاعلى « في الوقت الذي لم يكن هذا المجلس ليقرر عقد المؤتمر » . كما اتهموا المفتي بانه لم ينشر برنامجا واضحا « عن الموضوعات التي ستعرض للبحث » في المؤتمر. ثم طالبوا بدعوة « قادة الرأي وذوي المكانة من مسلمي فلسطين لانتخاب لجنة تحضيرية ممثلة ، تنظم كل ما من شانه ان يكمل نجاح انعقاد المؤتمر » ، وان تنشر اللجنة التحضيرية الجديدة برنامجا تحدد فيه الابحاث التي سيتناولها المؤتمر ، وتتولى ارسال الدعوة « لبعض افراد المسلمين وللهيئات الفلسطينية الممثلة ، وذلك لتمثيل فلسطين نفسها في المؤتمر » . وكان تنفيذ بيان الكتلة النشاشيبية يعني هدم جميع الاعمال التحضيرية لعقد المؤتمر ، ولذلك لم يوافق عليه الحاج امين الحسيني . ونشر في 25نوفمبر 1931 [161]، ردا فند فيه جميع التهم التي وجهت اليه ، وختم رده بقوله « وارجو من الجميع على اختلاف الآراء والنزعات ان يحذروا الدسائس الكثيرة والجهود الكبيرة والوسائل المختلفة التي يقوم بها الصهيونيون ، رأسا وبالواسطة ، لاحباط هذا المؤتمر الاسلامي وافساد اعماله » .

---

158 ـ مرآة الشرق ـ 851 - 1931/11/15.

159 ـ مرآة الشرق ـ 852 - 1931/11/17.

160 ـ اسرائيل ـ 1931/11/27

161 ـ السياسة ـ 2657 - 1931/11/29.

والواقع ان الوكالة اليهودية نشرت بيانا مطبوعا ، ابان الدعاية للمؤتمر والدعاية لمقاصده ، جاء فيه ان « المفتي عمد الى دعوة المؤتمر لتحويل تيار المعارضة ضد سلطته واعماله [162] » . ولم يعترض يهود فلسطين على عقد المؤتمر ، فقد نشرت جريدة (اسرائيل) في 27نوفمبر 1931ان « يهود فلسطين بوجه خاص يرحبون بكل مؤتمر يقصد به وجه الله لعمل اصلاحات مستلزمة ، وهم يؤيدون كل محاولة غرضها نشر العلم والثقافة بين جيراننا العرب ، لتوحيد الجهود في سبيل مثل الحضارة الاعلى وتوطيد السلام بين ابناء الوطن المشترك . وهم يرحبون بكل مؤتمر اسلامي يبحث المسائل الدينية والاسلامية » . كما اعلن المستر هاملتون ، وكيل وزارة المستعمرات ، امام مجلس العموم في7 ديسمبر 1931 وهو يوم انعقاد المؤتمر ، انه يعلم « ان من اهداف المؤتمر الاسلامي حماية الاماكن المقدسة في فلسطين ، وانه لا يعتقد بوجود محاولات لاثارة النعرات الدينية ضد اليهود او المسيحيين » ، وان المندوب السامي كتب اليه بان « المفتي يعي مسئولياته تماما ، وانه شديد الرغبة في الا يسبب المؤتمر اي ازعاج او مضايقة لحكومة صاحب الجلالة او حكومة فلسطين [163] » . وقال المستر تشرشل ان « المؤتمر الاسلامي لا يمكنه ان يؤثر في تقدم الوطن القومي . وليس لدى الحكومة البريطانية ادنى قلق من ناحية هذا المؤتمر ، وليس ثمة موضع لتخويف اليهود من التئامه في القدس [164] » . واكد ارثر واكهوب ، المندوب السامي لفلسطين ، في بيانه امام لجنة الانتدابات الدائمة في 10 نوفمبر 1932 ، انه « لم يتلق اية بيانات جادة [165] » في المؤتمر .

ومهما يكن فقد انعقد المؤتمر في 7 ديسمبر 1931 ، وعقد 17 جلسة استمرت حتى يوم 17 ديسمبر . وقد وضع دستور للمؤتمر « يشمل فكرة

---

162 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص82.

163 ـ P.D. vol. 260, col. 1514

164 ـ اسرائيل 1931/12/25

165 ـ P.M.C. 22d. S. p 84

بقائه وانعقاده دوريا ، وفكرة ايجاد تشكيلات قوية له في جميع انحاء العالم الاسلامي . ووضع مبدأ انشاء جامعة اسلامية كبرى في القدس باسم جامعة المسجد الاقصى . وتقرر تأليف دائرة معارف اسلامية ، واعلان قدسية البراق واستنكار اي مطمع فيه ، وعزم المسلمين جميعا على الدفاع عنه ، واعلان خطورة فلسطين في نظر العالم الاسلامي ، واستنكار السياسة الانجليزية الاستعمارية واليهودية فيها ، وتشكيل شركة اسلامية كبرى لانقاذ اراضيها . والمطالبة بسكة حديد الحجاز [166] » .

بقيت قرارات المؤتمر الاسلامي العام حبرا على ورق ، ذلك انها لم تكن جادة ، كما ان هدف المؤتمر كله لم يكن الا توطيد وتثبيت نفوذ الحاج امين الحسيني في فلسطين . يضاف الى هذا ان (مولانا شوكت علي) ، وهو الرجل الثاني في المؤتمر ، كان مواليا لبريطانيا في سياستها في الهند . ويذكر السيد رشيد رضا انه « اتهم في مصر ثم في القدس بانه من انصار الانجليز الغلاة في المسالة الهندية وغيرها ، وانه يحاول في المؤتمر (الاسلامي) منع التشنيع عليهم (اي على الانكليز) وعلى الفرنسيين والطليان المستعمرين . وظهر منه هذا في المؤتمر (الاسلامي) ، فتحامل عليه الوطنيون بعض التحامل ، وفندوا بعض آرائه واقتراحاته [167] » . كما تسبب (المؤتمر الاسلامي العام) في زيادة العداء والمواجهة بين الكتلة الحسينية وبين الكتلة النشاشيبية ، التي حاولت التشويش على المؤتمر ، فعقدت في 11 ديسمبر واثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي العام ، مؤتمرا في فندق الملك داوود في القدس ، ودفعت ، « اموالا طائلة لمن حضره [168] » ، اطلقت عليه اسم (مؤتمر الامة الاسلامية الفلسطينية [169]) . وقد حضر

166 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص84، عارف العارف : تاريخ القدس ص 154، بحيث صدقة المصدر السابق ص 160

167 ـ من رسالة رشيد رضا الى شكيب ارسلان في 18 ديسمبر 1931. انظر شكيب ارسلان، المصدر السابق ص 564 - 565.

168 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص82.

169 ـ تكونت (هيئة المؤتمر) من 25 عضوا، انظر اسماءهم في المقطم 1931/12/15

المؤتمر اكثر من 1200 شخص ، وتولى رياسته راغب النشاشيبي ، والقى كل من حسن صدقي الدجاني ، وفخري النشاشيبي، والشيخ اسعد الشقيري ، وسليمان التاجي الفاروقي ، والشيخ عبدالله القليقلي وعمر الصالح البرغوثي ، كلمات موجهة الى المجلس الاسلامي الاعلى والمؤتمر الاسلامي العام والى الحاج امين الحسيني شخصيا.

كان المؤتمر الاسلامي العام دليلا ، من جهة اخرى ، على افلاس اللجنة التنفيذية العربية واسلوبها السياسي في معالجة القضية الفلسطينية ، مما دفع بعض زعماء حزب الاستقلال القديم ، الذين حضروا المؤتمر الاسلامي العام ، الى عقد (مؤتمر عربي) ووضع ميثاق قومي عربي .

المؤتمر العربي (13 ديسمبر 1931)

حضر المؤتمر الاسلامي العام عدد كبير من اعضاء جمعية (العربية الفتاة) وجمعية(العهد) ، وكان معظمهم قد شارك في ادارة الحكومة العربية الفيصلية (1918 ـ 1920). ولما رأوا الاتجاه العام المسيطر على جو المؤتمر الاسلامي ، دعوا الى عقد مؤتمر ، ضم نحو 50 منهم [(170)] ، في منزل عوني عبد الهادي في القدس ، وذلك لبحث « ما يجب عمله لدرء النازلات الاستعمارية التي نزلت ببلادهم ، والقضايا الاقليمية التي غمرها بها المستعمرون » . واصدر المؤتمر بيانا في 13 ديسمبر 1931 [(171)] نوه فيه بالجهود العربيةالسابقة التي كان غايتها « تحقيق كيان عربي مستقل يشمل

---

170 ـ من الدين حضروا المؤتمر : السيد رشيد رضا ـ محمد بهحت الاثري ـ ابراهيم الواعظ ـ خير الدين الزركلي ـ ابراهيم الحطيب ـ علي عبيد ـ علي ناصر الدين ـ صلاح عثمان بيهم ـ رياض الصلح ـ شكري القوتلي ـ سالم هنداوي ـ محمد طاهر الحقة ـ محمد علي بيهم ـ نبيه العظمة ـ صالح العوران ـ مصطفى العلاييي ـ حسين الطراونة ـ عوني الكعكي ـ حليل التلهوني ـ سامي السراج ـ محمد مونة ـ سعيد ثابت ـ سليمان السوري ـ محمد حسين الدباغ المكي ـ عوني عبد الهادي ـ صبحي الحضرا ـ عحاج نويهض ـ اسعد داعر وعزة الدرورة. انظر احمد الشقيري : حوار واسرار ص 43.

171 ـ وثائق المقاومة ص 253 - 255، الفتح 282 - 14 شعبان 1350 هـ

الاقطار العربية المختلفة ، ويوصل الامة العربية الى الاستقلال الذي تتمتع به امم العالم الحرة » ، وكيف اقدم الاستعمار على تجزئة العالم العربي وذلك بقصد « اشغال اهل كل قطر من الاقطار العربية عن اخواتهم في الاقطار الاخرى ، بقضايا اقليمية مصطنعة واوضاع محلية متقلبة ، ونكبات متنوعة ، حصرا للجهود في دوائر ضيقة ومناطق محدودة ، وحرفا لها عن الامتداد الى افق اعلى تتلاقى في مستواه العام القضية العربية ، مترابطة الاجزاء ، متضافرة الاقسام » . ويسبب هذا كله اتفق المؤتمر على وضع (الميثاق العربي) الذي ينص :

« المادة الاولى : ان البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ ، وكل ما يطرأ عليها من انواع التجزئة لا تقره الامة ولا تعترف به .

المادة الثانية : توجه الجهود في كل قطر من الاقطار العربية الى وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة ، ومقاومة كل فكرة ترمي الى الاقتصار على العمل للسياسيات المحلية والاقليمية .

المادة الثالثة : لما كان الاستعمار بجميع اشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الامة العربية وغايتها العظمى ، فان الامة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها » .

وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية [172] ، وذلك لنشر « الميثاق في العالم العربي » ، ولتهيئة « الوسائل لعقد المؤتمر » ، الذي سيبحث في « الوسائل المؤدية الى نشر الميثاق ورعايته ، والخطط التي ينبغي السير عليها لتحقيقه » ، ثم « لتكون صلة المراسلة بين اقطار العربية في الشئون المتعلقة بهذا الامر » . وقد فشلت جهود اللجنة التنفيذية (للمؤتمر العربي) في عقد المؤتمر المنتظر في بغداد ، وذلك لتخاذل الملك فيصل ومعارضة الانجليز في ذلك [173] .

---

172 ـ من عوني عبد الهادي، خير الدين الزركلي، صبحي الخضرا، عجاج نويهص، اسعد داغر، وعزة دروزة

173 ـ عرة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 88.

كان المؤتمر العربي علامة بارزة في الحركة الوطنية العربية ، وانعكس اتجاهه القومي على الحركةالوطنية العربية في فلسطين . وحاولت الكتلة الحسينية ان تستغل هذا الاتجاه القومي في محاولة منها لاعادة سيطرتها ونفوذها الى سابق عهدهما ، فتولت الدعوة الى عقد مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني الاول .

مؤتمر الشباب العربي (الفلسطيني) الاول (4 ـ 6 يناير 1932)

ترجع فكرة(مؤتمر الشباب) الى مؤتمر نابلس الثاني الذي عقد في 20 سبتمبر 1931 . ففي اليوم التالي ، 21 سبتمبر ، عقد اجتماع في دار اللجنة التنفيذية في القدس ، حضره عدد من شبابها [174] ، وتباحثوا في عقد (مؤتمر الشباب) . ويبدو انه اتفق في ذلك الاجتماع على تشكيل (لجنة تحضيرية) لعقد (مؤتمر الشباب) ، في يافا ، مما دفع حمدي الحسيني ، الذي كان يعمل آنذاك رئيسا لتحرير جريدة (الصراط) ، الى القيام بحملة صحافية ضد المؤتمر بصيغته التي كانت تمثل فرعا من اللجنة التنفيذية العربية . فقد كتب يقول ان « اللجنة التنفيذية تريد ان تحملهم (اي الشباب) على تنفيذ سياستها التي اثبتت التجارب حبوطها ، وان الشباب الفلسطيني لا يعترف بهذا المؤتمر ، ولا يعترف بنيابة اللجنة التنفيذية عن الأمة العربية في فلسطين [175] » . لكن حملة حمدي الحسيني لم يقدر لها النجاح ، اذ عقدت (اللجنة التحضيرية) لمؤتمر الشباب جلسة عامة في قاعة الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا ، في يوم الاربعاء الموافق 11 نوفمبر 1931 ، وانتخب راسم الخالدي لرياسة مكتب اللجنة التحضيرية ، ومحمد علي دروزة للسكرتارية . وتم الاتفاق على ان يكون هدف المؤتمر تشجيع المصنوعات الوطنية ومقاطعة البضائع الاجنبية ، وتقوية (صندوق الامة) والتعليم الاهلي ، وان يوضع ميثاق قومي على الوجه التالي : (1)استقلال

---

174 ـ المقطم 1931/9/25.

175 ـ المقطم 1931/10/31.

فلسطين استقلالا تاما ضمن الوحدةالعربية، (2) عدم الاعتراف بالانتداب ووعد بلفور وبكل سياسة تتنافى مع استقلال البلاد، (3) تنمية العلاقات السياسية والاقتصادية والادبية مع الاقطار العربية، (4) اراضي فلسطين برمتها أراضٍ عربية مقدسة ، وكل من سعى او سمح ببيع جزء منها الى الصهيونيين يعد مقترفا للخيانة الكبرى [176] . واتفق على ان يعقد المؤتمر اولى جلساته في يافا في الرابع من يناير 1931 . ويبدو ان هذا التأخير يرجع الى عقد (المؤتمر الاسلامي العام) في القدس في ديسمبر 1931 .

وزعت (اللجنة التحضيرية) في اواخر ديسمبر 1931 رقاع الدعوة على فريق كبير من الشباب لحضورالمؤتمر ، الذي افتتح في دار الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا ، في يوم الاثنين الموافق 4 يناير 1932 . وانتخب راسم الخالدي في الجلسة الاولى رئيسا للمؤتمر . وقد بحث المؤتمر مسائل هامة كالتعليم القومي وتشجيع المصنوعات الوطنية ومشروع صندوق الامة والنشاط الرياضي والكشفي . ووضع المؤتمر (ميثاقا قوميا) [177] من اربعة بنود ، كانت الثلاثة الاولى منها مطابقةتماما للميثاق القومي الذي وضعه المؤتمر العربي في القدس في 13 ديسمبر 1931 . اما البند الرابع فقد نص على ان « اراضي فلسطين برمتها أراض عربية مقدسة ، وكل من سعى او سمح او ساعد ببيع كل او جزء من هذه الاراضي يعتبر مقترفا خيانة عظمى » .

وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية من 38 عضوا [178] ، للعمل على تنفيذ مقرراته . وانتخبت هذه اللجنة (مكتبا) لادارة اعمالها ، تألف من : راسم الخالدي رئيسا ، عيسى البندك نائبا للرئيس ، حمدي النابلسي امينا للمال ، يوسف عبده وسعدي الشوا لامانة السر ، وفؤاد سابا عضوا محاسبا

---

176 ـ المقطم 1931/11/19.

177 ـ انظر نصه في عيسى السفري المصدر السابق ص 196 ـ 195 ، نجيب صدقة المصدر السابق ص 162 ـ161 ، الفتح ـ 6 ـ 285 رمضان 1350هـ .

178 ـ انظر اسماءهم في المقطم 1932/1/12

في (المكتب) . واخذت هيئة (المكتب) تعمل على تنفيذ مقررات المؤتمر بمعونة اللجنة التنفيذية العربية ، « الا ان ظروفا خاصة اضطرت هيئةالمكتب الى تقديم استقالتها الى لجنة المؤتمر التنفيذية ، فقبلتها » ، وانتخبت في 5 سبتمبر 1932 مكتبا جديدا قوامه : يعقوب الغصين رئيسا ، ادمون روك نائبا للرئيس ، سعيد الخليل ولطف عودة لامانة السر ، وسليم شهاب الدين امينا للمال . كما رأى المكتب ضرورة ايجاد فروع له تعمل على تنفيذ مقرراته وتكون صلة الوصل بين الشباب ، فأسس فروعا في : يافا ، الرملة ، اللد ، غزة ، المجدل ، الخليل ، بيت لحم ، طولكرم ، حيفا ، عكا ، صفد ، طبريه ، الناصرة ، بيسان ، بيت دجن ، جنين ، جمزو (جنوب شرقي اللد) ، سلمة ، كفر قرع [179] (شمال شرق الخضيرة على طريق العفولة) .

والواقع ان (مؤتمر الشباب) الموالي للكتلة الحسينية ، زاد من حدة الصراع السياسي داخل اللجنة التنفيذية (العربية) وخارجها ، بين الكتلة الحسينية وبين الكتلة النشاشيبية . ففي الاجتماع الذي عقدته اللجنة التنفيذية في القدس في يوم الاحد الموافق 6 مارس 1932 ، حدث نزاع بين اعضاء الكتلتين ، مما اضطر موسى كاظم الى الانسحاب من الاجتماع احتجاجا على ذلك . وامكن تسوية النزاع باصدار قرار نص على انه « نظرا للحزبية القائمة في فلسطين ، فان اللجنة التنفيذية تعلن انها فوق الاهواء ، ولا تسيرها الاغراض الحزبية ، وان الامة الفلسطينية لا تقتدي الا بهيئتها السياسية وهي اللجنة التنفيذية ، التي تعمل للمصلحة الوطنية الصرفة ، ولا تشوبها اية شائبة حزبية [180] » .

اتبع راغب النشاشيبي نفس اسلوب اللجنة التنفيذية والكتلة الحسينية ، فقدم الى المندوب السامي ، بعد يومين من اجتماع 6 مارس ، مذكرة

---

179 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 196 - 195.

180 ـ المقطم 1932/3/10.

طلب فيها تأسيس حكم نيابي في فلسطين اسوة بما حدث في شرق الاردن والعراق ، لان « فلسطين لا تقل تقدما عنهما [181] » . وكان راغب يهدف من وراء طلبه الى التلميح للحكومة بتأسيس المجلس التشريعي ، وهو احد المؤيدين والداعين الى تأسيسه . كما انه رفع قضية امام محكمة العدل العليا في القدس ضد الحاج امين الحسيني ، بخصوص الجمع بين منصبي رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى والافتاء . الا ان المحكمة ردت القضية ، وكان هذا نصرا للحاج امين الحسيني ، واشارة الى ان السلطات البريطانية لن تتعرض لنفوذه او تحاول التقليل من زعامته داخل فلسطين .

عمت البلاد في مارس وابريل من عام 1932 ، موجة من الاحتجاجات ضد ا(المشروع الانشائي) ، الذي حاولت الحكومة عن طريقه توطين بعض الاسر العربية التي طردها اليهود بعد استيلائهم على الارض ، وكذلك ضد قانون (ضريبة الاملاك في المدن) ، وضد (قانون المعارف) الذي كان مجحفا بالفعل بحقوق العرب التعليمية . وقد رفعت (موجة الاحتجاجات) من مكانة (الاستقلاليين القدامى) في فلسطين ، الا ان ذلك لم يغير من واقع الامر شيئا ، لان الزعامات والوجاهات التقليدية لم تغير من اسلوبها او خطها السياسي ، وبقي الحال كما وصفة (خليل زقوت) صاحب جريدة (الزمر) في مقال له بعنوان (على منبر الوطنية) [182] . فقد قال « الحمد لله والشكر لله على ما اعطانا الله من زعامة واهية ، وحركة وطنية ساهية ، وهيئات احزاب لاهية ، ومستقبل مخيف تختفي وراءه كل داهية ، ومؤتمرات واجتماعات فاهية ، وخطابات عاتية ، وصحافة ثرثارة غير خافية ، وضمائر ومبادىء في بعض الرجال متراخية . فالبلاد تجتاز ازمات ، والشعب محتاط بالمصائب والملمات ، والاراضي تذهب من ايدي الوطنيين العرب بمئات الدونمات » .

---

181 ـ المقطم 1932/3/12.

182 ـ الملحق رقم 42.

هذه الاحوال التي سادت في فلسطين في ربيع عام 1932 ، كانت احد العوامل الهامة في اعلان تأسيس (حزب الاستقلال العربي) في البلاد .

حزب الاستقلال العربي

لم تقم الاحزاب العربية الفلسطينية ، التي ظهرت في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين ، من حيث التنظيم والاسس ، حسب النظام الديمقراطي ، بل كانت عبارة عن تكتلات عائلية ، يعوزها التنظيم الذي يميز الاحزاب السياسية . ويقول عزة دروزة ان « اكثر الاحزاب والكتل السياسية التي نشأت في بلادنا هي متقاربة في المبادىء والمناهج والاساليب ، والمميز لها هو اشخاص القائمين . وكثيرا ما نشأت الاحزاب عندنا كانشقاقات عن الهيئة الاولى (اي اللجنة التنفيذية العربية) التي حملت لواء النضال الوطني ، بتأثير الاعتبارات الشخصية وحدها ، او على الاقل بتأثيرها في الدرجة الاولى ، كما حدث بالنسبة للحزب الوطني الفلسطيني الذي قام سنة 1922 ، والذي كان كثير من القائمين به من جماعة المؤتمرات واللجان التنفيذية . وبعض هذه الانشقاقات كانت تتأتى عن انفقاد التمازج والتجانس بين فريق وفريق ممن هم مندمجون في الهيئة الام ، كما كان شأن احزاب فلسطين الخمسة التي نشأت في عام 1932 وبعده [183] » . ويؤكد احمد الشقيري انه « لم يكن بين هذه الاحزاب خلاف على المبادىء الوطنية ، فقد كان ميثاق كل حزب هو ميثاق الحزب الاخر ، وانما هي (الشهوة) في الزعامة والقيادة ، ولم تكن لهذه الاحزاب قواعد شعبية عريضة [184] » .

بدأ التفكير في تأسيس (حزب الاستقلال) منذ ربيع عام 1930 . فقد اعلن في القدس في 7 مارس 1930 انه « تألف حزب الاستقلال ، ومن مؤسسيه عوني عبد الهادي ، ومغنم مغنم ، وعمر الصالح واكرم زعيتر » . واوردت (المقطم) في 8 مارس بعض بنود برنامجه الاساسي . الا ان عوني

183 ـ عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ج 6 ص 140.

184 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 139

عبد الهادي ارسل بيانا مؤرخا في 8 مارس، ونشره (المقطم) في12 منه، ينفي فيه نبأ اشتراكه في تشكيل الحزب ، لانه يرى ان « تأسيس الاحزاب يكون بعد عودة الوفد الفلسطيني (الثالث) من لندن ». لكن عمر الصالح اعلن فعلا برنامج الحزب في 10 مارس 1930 ، واوردت مجلة (الرابطة الشرقية) [185] بعض بنود برنامجه ، وحثت مجلة (الفتح) ، ع 190 ـ 13 مارس 1930 ، على « الانضمام الى الحزب » . لكن سفر الوفد الفلسطيني الثالث الى لندن وفشله ، والمفاوضات العراقية البريطانية من اجل توقيع معاهدة يونيه 1930 ، والظروف التي مرت بالبلاد ، كل ذلك حال دون اتخاذ الاجراءات اللازمة لاعلانه.

ثم تجدد الأمل في تأسيس الحزب في صيف عام 1932. ويقول عزة دروزة « سبق انشاء الحزب اجتماعات عديدة بين بعض اركانه وبين الحاج امين الحسيني وبعض زعماء المجلسيين (الكتلة الحسينية) ، جرت فيها الاحاديث في صدد تجديد شباب الحركة الوطنية وتصحيح سيرها ، بحيث يدخل في منهجها النضال ضد الانجليز ومصارحتهم العداء ، واعتبار مواراتهم منافية للاخلاص والصفة الوطنية . وكان من نتيجة هذه الاجتماعات ان اقتنع جماعة الاستقلاليين بانشاء حزب مستقل عن المجلسيين (الكتلة الحسينية) ، الذين كانت لديهم اعتبارات تحملهم على السير على اسلوب آخر [186] » .

لم يكن الحاج امين الحسيني ليؤ يد فكرة تأسيس (حزب الاستقلال) ، ذلك انه ، وموسى كاظم ايضا ، كانا يهادنان الانجليز في هذه المرحلة ، ولم يكن في برنامج اي منهما ان يرفع شعار مقاومة الانتداب ومعاداته ، لان رفع هذا الشعار سيؤدي الى خسارة الحاج امين لرئاسة المجلس الاسلامي ووظيفة المفتي الاكبر ، وهو حريص على الاحتفاظ بهما احتفاظا بسيطرته

---

185 ـ عدد 6 ـ س 2 ـ 1930/3/15.

186 ـ عزة دروزة : المصدر السابق ج 3 ص 103.

ونفوذه ، شخصيا ووطنيا . يضاف الى هذا ان الحاج امين كان يعمل لزعامته الشخصية ، وكان نشوء حزب على مستوى من التنظيم ، يرفع شعارات معادية للاستعمار البريطاني ، يهدد زعامته الشخصية بالخطر ، وكان صعبا عليه ان يوافق على تزعم الحزب الجديد لانه موظف ومسئول ، وينهج نهج مهادنة وتعاون ، وكان صعبا عليه ايضا ان يرضى عن تأسيسه دون زعامته [187] . واكد السيد رشيد رضا في رسالة مؤرخة في 10 سبتمبر 1932 الى الامير شكيب ارسلان ، ان المفتي كان يقاوم الحزب ، وانه (اي رشيد رضا) « اوصى اسعد داغر حين سفره لفلسطين بان يسعى للتوفيق بين المفتي وبين الحزب » ، واشار الى امكانية توسط الملك فيصل في ذلك الامر [188] . وهذا يشير بوضوح الى علاقة حزب الاستقلال بالملك فيصل ملك العراق .

بعد فشل المفاوضات مع الحاج امين الحسيني ، اصبح على الاستقلاليين ان يعملوا على تشكيل الحزب . وكان رأي الاغلبية منهم ان « لا يكون الحزب قائما على عمليات انتخابية ، وان لا يكون قائما على فكرة تكثير المسجلين فيه انسياقا وراء الاعتبارات الشخصية والسياسات الحزبيةالمحلية . وان لا يهتم لان يكون من هذه الناحية قلة او كثرة ، وانما يهتم لان يمثل مبادىء وان يكون قويا فيها ، وان يكون اعضاؤه مختارين اختيارا من العاملين المخلصين ، وان يبتعد عن اخذ من عرف عنه لوثة وطنية او اخلاقية ، وان يكون قائما بصراحة على كفاح الاستعمار ومعالنة الانجليز بالعداء ، وان يباعد اعضاؤه عن زج انفسهم وزج الحزب في تيار السياسة المحلية والشخصية [189] » . ومعنى هذا كله ان حزب الاستقلال العربي كان (حزب الخاصة) ، ولم يكن حزبا شعبيا على الاطلاق .

---

187 ـ باحي علوش : المصدر السابق ص 77 - 78.

188 ـ شكيب ارسلان : المصدر السابق ص 677 - 678.

189 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 104. ـ 103

تكونت هيئة الحزب المركزية من : عوني عبد الهادي ، عزة دروزة ، معين الماضي ، صبحي الخضرا ، رشيد الحاج ابراهيم ، اكرم زعيتر ، فهمي العبوشي ، سليم سلامة . عجاج نويهض . ثم انضم اليهم حمدي الحسيني وحربي الايوبي . وهنا تبدو مسألة على جانب كبير من الاهمية ، تلك هي ظاهرة (تعدد الانتماءات) في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية . فعوني عبد الهادي هو عضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع ، وأحد امناء سر اللجنة التنفيذية نفسها ، واصبح معتمد حزب الاستقلال . وعزة دروزة هو معتمد الجمعية العربية الوطنية بنابلس ، وعضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع ورئيس جمعية الشبان المسلمين في نابلس . ومعين الماضي احد مؤسسي (جمعية تعاون القرى) وهو في نفس الوقت عضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع . وصبحي الخضرا عضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع ورئيس مكتب اللجنة التنفيذية في القدس . اما عجاج نويهض فكان يعمل سكرتيرا للمجلس الاسلامي الاعلى . ورشيد الحاج ابراهيم كان عضوا في مجلس بلدية حيفا ، ورئيس مؤتمر جمعيات الشبان المسلمين ، وعضو الجمعية الاسلامية في حيفا . وفهمي العبوشي كان عضوا في اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع . هذه الظاهرة لم تكن ظاهرة صحية في حياة الحركة الوطنية في فلسطين ، اذ ان اللجنة التنفيذية العربية لم تكن قد حلت في صيف عام 1932 ، بل انها استمرت حتى عام 1934 . وهذا ما دفع الشقيري لان يقول ان « عددا من اعضاء الحزب كانت لديهم روابط بالحاج امين الحسيني [190] » . واكدت (الزمر) ان القائمين بالحزب « اغلبهم من موظفي البلديات ومن موظفي المجلس الاسلامي الاعلى [191] » .

قدم الحزب برنامجه واسماء اعضائه الى حكومة فلسطين في 13 يوليو 1932 ، وادعت الحكومة بعد ذلك ان اوراق الحزب المقدمة قد فقدت .

---

190 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 131.

191 ـ الزمر ـ 32ـ 1933/9/15.

ومهما يكن فقد اعلن تأسيس الحزب في يوم الثلاثاء الموافق 2 اغسطس 1932 . وليس صحيحا ما ذكر بان اعلان التأسيس كان يوم 4 اغسطس [192]، ذلك ان جريدة (الجامعة العربية) الصادرة في القدس ، نشرت بيان الحزب وقانونه في 4 اغسطس 1932 ، كما نشرت (المقطم) برنامج الحزب في 4 اغسطس 1932 ايضا .

قامت مبادىء (حزب الاستقلال العربي) على اساس ما ورد في المادةالثالثة من قانونه [193] ، التي نصت على « استقلال البلاد العربية استقلالا تاما » ، وانها تكون « وحدة تامة لا تقبل التجزئة » ، وان فلسطين « بلاد عربية ، وهي جزء طبيعي من سوريه » . اما خططه فقد تركزت على « العمل على تحقيق المبادىء الواردة في المادة السابقة (الثالثة) بما يستطيعه بنفسه وبالاشتراك مع الهيئات الاستقلالية في الاقطار العربية » ، وان يحتفظ « باراضي البلاد ومنابع الثروة للعرب » . كما طالب الحزب بالغاء « الانتداب ووعد بلفور » ، واقامة حكم عربي برلماني في فلسطين ، وتوجيه العناية الى « انهاض البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا» .

ولقد كسب الاستقلاليون تأييدا شعبيا بدعوتهم الى الاحتفال بذكرى موقعة حطين وانتصار صلاح الدين على الصليبيين، الا انهم لم يحاولوا الاستفادة من ذلك التأييد او على الاقل تنظيمه . ففي مساء يوم السبت 27 اغسطس 1932 (الموافق 25 ربيع الثاني 1351 هـ) [194] ، اقيمت في جميع انحاء فلسطين احتفالات شعبية احياء لتلك الذكرى ، والقيت فيها الخطب التي ركزت على الكفاح ضد الصليبيين . واشار السكاكيني في رسالة الى ولده (سري) مؤرخة في يوم الخميس ، الاول من سبتمبر 1932 ، الى تلك الاحتفالات فقال ان « اهم حوادث هذا الاسبوع هي هذه

---

192 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 244.

193 ـ انظر (قانون حزب الاستقلال) في عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 309 - 310.

194 ـ كانت ذكرى موقعة حطين تصادف يوم 4 يوليو ، لكن الاستقلاليين لم يقبلوا اقامة الاحتفال حسب التاريخ الميلادي ، وفضلوا ان يكون الاحتفال حسب التاريخ الهجري .

الحفلات التي اقيمت في طول البلاد وعرضها احيا ء لذكرى حطين » ، واضاف « ولكن انت ترى في الوقت نفسه ان اقساما كبيرة من ارض فلسطين تباع لليهود بيع السماح [195] » .

سياسة (اللاتعاون) مع حكومة فلسطين

وفي الاجتماع الذي عقدته اللجنة التنفيذية العربية في القدس ، يوم الجمعة في 9 سبتمبر 1932 ، والذي حضره 20 عضوا فقط من 48 ، انقسمت اللجنة بشأن مسألة اشتراك اعضاء اللجنة افرادا في اللجان الرسمية الحكومية . وكان جمال الحسيني من المؤيدين لفكرة الاشتراك ، لكن اقتراع اللجنة جاء يرفض الفكرة نهائيا ، واعقب ذلك ان قدم جمال الحسيني استقالته من اللجنة . وعلقت (المقطم) على ذلك بقولها « ان رجال اللجنة التنفيذية لا يزالون متمسكين بالسير في السياسة السلبية تجاه الحكومة واليهود على السواء [196] » . ومع ذلك كتب واكهوب الى وزير المستعمرات في 16 سبتمبر 1932 يقول ان المفتي وعددا من اعضاء حزب آل النشاشيبي الذين يؤيدونني ، سيتخذون على الارجح اجراءات لعرقلة تنفيذ هذا القرار ، ويضيف « لقد استجاب المفتي بالتأكيد الى مدى الثقة التي وضعت فيه ، ومن المرضي جدا للحكومة انه وبعض اعضاء حزب آل النشاشيبي الاكثر اعتدالا ، يعملون الآن معا مع الحكومة [197] » . وقد انتقدت (الكرمل) هذه الاوضاع كلها في مقال بعنوان « المندوب وزعماؤ نا » جاء فيه « واما من الناحية السياسية فلا يمكننا ان نقول عن دعاة الزعامة فينا الا انهم عملة في حقل السياسة الاستعمارية ، يأتمرون بأوامر فخامته (واكهوب) ، ويقبضون منه رواتب ومنافع بأيديهم وهم صاغرون ، لينفذوا سياسة حكومته [198] » .

---

195 ـ حليل السكاكيني المصدر السابق ص 236.

196 ـ المقطم 1932/9/14.

197 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 273

198 ـ الكرمل ـ 1710 - 1932/10/5.

حاول حزب الاستقلال ان يبدأ حملة جديدة من اللاتعاون مع الحكومة ، فأصدر في اكتوبر 1932 [199] ، بيانا حض فيه على مقاطعة سياسة واكهوب في الحفلات والمناسبات العامة . وأخذ الحزب ينشط في فلسطين ، خاصة بعد دخول العراق عصبة الامم في 3 اكتوبر 1932 . ففي ذكرى تصريح بلفور، 2 نوفمبر 1932،عقد الحزب اجتماعا شعبيا في نابلس ، وأصدر بيانا جدد فيه « العهد على الكفاح والجهاد في سبيل حرية البلاد العربية وانقاذها من مخالب الاستعمار والصهيونية ، التي جرها هذا الاستعمار وراءه واتخذها لعبة يستعين بها على استمرار بقائه فيها ، يحكمها بالاساليب الاستعمارية الفظيعة » . وبعد ان ندد الحزب بسياسة الحكومة البريطانية التي تنفق ثلث ميزانية فلسطين « على الحراب التي تحمي المشروع الصهيوني » ، الذي يقوم على سلب الاراضي العربية وفتح « باب الهجرة على مصرعيه لدخول شذاذ الآفاق من اليهود » ، هاجم بعض (أبناء الامة) ممن لا يزال يتطوع لتوطئة مناكبها للاستعمار وترويضها على الاساليب الاستعمارية ، وبث روح الاستخذاء للسلطة واعتبارها ذات الصفة الشرعية في البلاد » ، وممن « لا يزال يتزلف الى السلطات الاستعمارية فيشترك في لجانها ، ويتنعم في بحفلاتها ومآدبها ، ويساعد على الحفاوة بممثليها » . ثم اعلن الحزب ان « البلاد لم تعد تطيق هذه السياسة الاستعمارية الغاشمة التي فشلت فشلا شائنا ، وافلست افلاسا يسجل به اكبر الاثم والعار على القائمين بها . وان من حق هذه الامة العربية ان تتمتع بحريتها واستقلالها في بلادها ، وانها لن ترضى عن ذلك بديلا [200] » .

واستغل حزب الاستقلال ذكرى احتلال القدس ، فاذاع بيانا في 9 ديسمبر 1932 [201] ، اعلن فيه انه قرر ان يقيم في مثل هذا اليوم من كل سنة « اجتماعا وطنيا يندد فيه بفكرة الفتح والاستعمار التي يقيم المستعمرون في

---

199 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 107.

200 ـ المصدر السابق ص 311 - 314.

201 ـ نفس المصدر ص 315 - 316.

هذه البلاد حفلاتهم باحدى ذكرياتها ، ويجدد العهد في مثل هذا اليوم على مكافحة الاستعمار بأصله وفرعه ، واستنكار اساليبه الفاحشة ، وخططه المنافية لمصلحة العرب ، والمطالبة بحق العرب الطبيعي في الحرية والاستقلال والاتحاد مع الاقطار العربية الاخرى » . ثم وجه الحزب تحذيرا الى البريطانيين ، مؤكدا ان العرب سيقسمون في مثل هذا اليوم « جهد ايمانهم ان لا يغفلوا عنكم ، وان يناوئوكم وان يساجلوكم الخصومة ، بالمشروع من السبل والواضح من الاساليب ، حتى تخرجوا من ديارهم ، وتنزحوا عن اوطانهم ، وتعود اليهم حريتهم ويخفق علمهم ويعلو لواؤ هم وتتحقق وحدتهم » .

يتضح من بيان 9 ديسمبر 1932 ، ان (حزب الاستقلال) حرص فقط على رفع شعار رفض الانتداب وتصريح بلفور ، دون ان يعمل نضاليا من اجل تحقيقهما ، ودون ان ينظم قاعدة شعبية عريضة ، كان بإمكانه بالفعل ان ينظمها ، من اجل تحقيق الشعار الذي رفعه . وعلى ذلك فانه لم يقدم دفعة جديدة الى الحركة الوطنية ، بل سار على نفس اسلوب اللجنة التنفيذية العربية من حيث الاحتجاجات في المناسبات ، وتقديم المذكرات حول المواضيع المختلفة التي كانت تشغل بال الاهالي . حدث ذلك في المناسبات التي مر ذكرها ، كما حدث بعد البيان الذي القاه واكهوب امام لجنة الانتدابات الدائمة في 10 نوفمبر 1932 [202] . فقد نشر الحزب رده ، وبذلك حل محل اللجنة التنفيذية العربية ، على بيان المندوب السامي ، وكرر رفضه الانتداب وتصريح بلفور ، وتعرض لمسألة الامن العام في البلاد ، والهجرة والاراضي ، ومعاناة الشعب من الضرائب الباهظة [203] . كما وجه الحزب نداء في 28 يناير 1933 [204] ، الى « العرب في جميع الاقطار » ، دعا فيه « كل عربي كريم وكل هيئة عربية وكل صحيفة عربية في انحاء

202 ـ P D . vol 270 , col . 1116

203 ـ انظر وثائق المقاومة ص 298. ـ 284

204 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 317 - 318

الارض . . . الى التضافر والتازر مع اخوانهم عرب فلسطين في رد هذه النكبة (اي الهجرة اليهودية واستيلاء اليهود على الاراضي) التي كادت تأتي عليهم ، والى الوقوف في وجه السياسة الانجليزية موقف المدافع عن حياته وبقائه وكيانه ، ابتغاء وضع حد لهذه الحالة المروعة التي كادت تفتك بقطر عربي ، وتذهب به فريسة المطامع الاستعمارية والصهيونية » .

اجتماع القدس (فبراير 1933)

حمل استمرار الهجرة الهيودية وزيادة عمليات بيع الاراضي ، بعض اعضاء اللجنة التنفيذية العربية الى الدعوة لعقد اجتماع عام في القدس ، يوم الجمعة في 24 فبراير 1933 ، لبحث مسألتي الهجرة وبيع الاراضي . وقد عقد الاجتماع بالفعل في دار اللجنة التنفيذية بالقدس ، وحضره 70 مندوبا [205] من جميع انحاء فلسطين ، يمثلون الحسينية والنشاشيبية وحتى السماسرة ، وافتتحه موسى كاظم بكلمة موجزة شكر فيها الحاضرين وشرح اسباب الاجتماع ، وتكلم عن صندوق الامة ، ثم قال « الاجتماع عام للمشاركة في الرأي ، ومع ان البعض يعترض على انه لم يدع ، فوالله العظيم انهم هم الذين عينوا الاسماء . وأنا لا اعرف جميع الحاضرين ، وهم من خيرة الناس والحمد لله ، أما كون البطاقة مكتوبا عليها (خصوصية) فخوفا من تسرب الجواسيس [206] » . هكذا تكلم موسى كاظم الذي ترأس اللجنة التنفيذية ، وبالتالي الحركة الوطنية ، مدة لا تقل عن اثنتي عشرة سنة . وتلاه عوني عبد الهادي فتكلم عن الهجرة وبيع الاراضي ، وقال الشيخ عبد القادر المظفر ان « الخطط السلبية لا تفيد ، فالبلاد مهددة بالخطر ، والواجب يقضي بان نحول دون وقوع الكارثة » . وأشار جمال الحسيني الى عمليات السمسرة فقال « ان التهمة لصحيحة » ، ثم تساءل « الا يجب ان نطهر انفسنا اولا من السماسرة ؟ » ، وكشف النقاب عن ان اللجنة التنفيذية كانت قد شكلت منذ

---

205 ـ انظر اسماءهم في (الحامعة العربية) ـ 1933/2/26.

206 ـ انظر وصف الاجتماع في وثائق المقاومة ص 317 ـ 305

نوفمبر 1932 لجنة أطلق عليها (لجنة كشف الستار) [207]، اختصت بفضح السماسرة والذين يبيعون الارض، وانها لم تفعل شيئا. وعرض عمر الصالح ومحمود الدجاني مسألة الامتناع عن دفع الضرائب، اما فخري النشاشيبي فتكلم بصراحة عن مسألة (العصيان المدني).

ثم اتفق المجتمعون على تشكيل وفد برئاسة موسى كاظم ، لمقابلة المندوب السامي ، وتقديم مذكرة احتجاج ضد سياسة الحكومة بشأن الهجرة وبيع الاراضي ، وان المجتمعين « يرون ان لا علاج لهذه الحالة الا حماية العرب كمجموع حماية قانونية ، وذلك بوضع تشريع يمنع انتقال الارض العربية الى اليهود منعا باتا ، وباغلاق باب البلاد دون الهجرة اليهودية . ويقررون ان يطلبوا من السلطات ذلك بكل اصرار وحزم ، وان يرفضوا سياسة التعاون مع الحكومة ، ويمتنعوا عن حضور اجتماعات المجاملة في المآدب والحفلات والاعياد مع رجال السلطة الانجليزية » . وأنهم سيدعون « في حالة عدم اجابة مطاليب البلاد في ظرف شهر ، الى عقد اجتماع آخر ، ليقرر فيه الطرق التي من شأنها درء الاخطار المحدقة بهم ، والمحافظة على كيانهم القومي على اساس اللاتعاون » .

ونشرت حكومة فلسطين في اليوم التالي ، 25فبراير ، بلاغا رسميا حول مقابلة الوفد العربي للمندوب السامي الذي قال ـ ردا على طلب الوفد سن تشريع خاص يمنع انتقال الاراضي لليهود ـ ان « من واجبي ان اقوم بتنفيذ احكام الانتداب الذي عهد به لحكومة جلالته . وبحسب هذه المبادىء لا ارى مبررا لي في منع بيع الاراضي ، وليس من العدل ان تقف الحكومة في سبيل من يريد ان يبيع املاكه ، وذلك بأن تجعل مثل هذا العمل غير قانوني » . اما بشأن الهجرة فقد قال بأنها « تقوم على مقدرة البلد على الاستيعاب » ، ومعنى ذلك ان المندوب السامي رفض المطالب العربية .

---

207 ـ تألفت اللجنة عن عوني عبد الهادي وعزة دروزة وعبد القادر المظفر .

وعقب ذلك قرر المجتمعون في مساء 24 فبراير « عقد اجتماع في يافا يوم 26 آذار (مارس) القادم للبحث في وضع اسس اللاتعاون مع الحكومة » ، وتوجيه « نداء الى الامة العربية ، يبين حقيقة الموقف الحاضر فيما يختص بمسألتي بيع الاراضي والهجرة [208] » .

وأصدر موسى كاظم ، بصفته رئيس اللجنة التنفيذية العربية ، بيانا في 22 مارس 1933 [209] ، ذكر فيه ان الامة قد عرفت نوايا الحكومة البريطانية « حق المعرفة ، ووقفت على ما تبتغيه هذه السياسة من تمهيد السبيل لاجلاء هذه الامة عن بلادها وإحلال الغرباء محلها ، وإنها لن ترجو من هذه الحكومة خيرا ومن تعسفها نجاة ، ولن تنظر اليها الا نظرها الى الخصم الحقيقي الذي يجب التخلص منه بكل طريقة مشروعة » . ثم طلب الى الامة ان « تعد نفسها للاعمال الجريئة » التي ستفرضها قرارات اجتماع 26 مارس . وختم بيانه بقوله « ان الوطن يدعو جميع ابنائه الى العمل والتضحية في هذا الوقت العصيب ، فكل من يتخلف عن تلبية دعوته فهو خارج عليه ، ومن لم يعمل مع امته فهو ليس منها » .

لقد عبر خليل السكاكيني بصدق ووضوح عن مدى التخبط الذي ساد البلاد ، وعن موجة الاجتماعات والاحتجاجات التي قام بها وجهاء البلاد وزعماؤها التقليديون ، فكتب في احدى رسائله الى ولده في يافا في 22 مارس 1933 قائلا يبيعون الاراضي ويسمسرون عليها ويعاملون اليهود بيعا وشراء ثم يصيحون ويحتجون ويطلبون من الحكومة ان تسن لهم قانونا يمنعهم من بيع الاراضي . . . يعقدون الاجتماعات تلو الاجتماعات بدعوى انهم يريدون دفع الخطر ، على حين ان لهم في هذه الاجتماعات مآرب شخصية يحاولون قضاءها . هذا الحزب يقاوم ذلك الحزب ، لا لانقاذ البلاد من الخطر ، ولكن لينتزع هذا الحزب الوجاهة والنفوذ من ذلك

---

208 ـ اسرائيل 1933/3/3.

209 ـ وثائق المقاومة ص 318 ـ 320 ، تقرير اللجنة الملكية ص 110.

الحزب . يتقاتلون على الوجاهة والنفوذ وينسون الخطر الذي يهدد البلاد . واذا فكروا في انقاذ البلاد فليس الا الاحتجاج [210] » .

مؤتمر التوريط (26 مارس 1933)

حضر هذا المؤتمر « نحو 500 أو 600عربي من جميع الطبقات ، من المدن والقرى ، ومن جميع الاحزاب وأعضاء اللجنة التنفيذية العربية ، بما فيهم مفتي القدس ورؤ ساء بلديات اكثر المدن العربية [211] » . كما حضره « رجال حزب الاستقلال التسعة ، واتخذوا مقاعدهم في الصف الخلفي ، يراقبون ويستمعون ، وهم يعتبرون ان دعوتهم قد بلغت غايتها ، فقد اتجهت الحركة الوطنية لمصارحة بريطانيا بالعداء وكفى ، ولم يكن عندهم ما يقدرون عليه بعد ذلك [212] » . ولم يحضره راغب النشاشيبي . ويلاحظ على المؤتمر بصورة عامة ان اغلبية اعضائه كانوا من أنصار المفتي ومن مؤ يدي الكتلة الحسينية .

افتتح جمال الحسيني المؤتمر باسم الرئيس موسى كاظم ، وقال ان هدف المؤتمر هو البحث في مسائل اللاتعاون والهجرة اليهودية وبيع الاراضي [213] .ويدأ شباب حزب الاستقلال بعرض فكرة اللاتعاون التدريجي « نظرا للحالة القائمة في البلاد » . واقترح عبد الغني سنان ان « يستقيل رئيس المجلس الاسلامي ورئيس بلدية القدس وغيرهما» . فرد عليه الشيخ صبري عابدين بقوله ان « الوظائف الدينية لا علاقة لها باللاتعاون ، وإنه لا يجب دعوة رجال الدين الى الاشتراك في خطة كهذه ، وان نوضح الوظائف التي يجب الانسحاب منها » ، وهو يعني بطبيعة الحال البلديات اولا . وأشار الخطباء الى سياسة اللاتعاون في مصر والهند ، واقترح راغب الدجاني انتخاب « لجنة تدرس المسألة عن طريق الحكمة

---

210 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 246

211 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 110.

212 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 133.

213 ـ انظر وقائع المؤتمر في المقطم 1933/3/29 ، وثائق المقاومة ص 331. ـ 320

والتعقل ، وليس عن طريق العاطفة » . وتعرض المؤتمر لهزة عنيفة بعد اقتراح احمد الشقيري استقالة المفتي وراغب النشاشيبي معا . ووصفت جريدة الجامعة العربية (وهي حسينية) في 27مارس ذلك فقالت « حدث هرج وضوضاء من بعض المشاغبين الذين كانوا مبيتين نية الشغب وافساد الاجتماع » . ثم وقف عاصم السعيد ، رئيس بلدية يافا ومن الكتلة النشاشيبية ، وأعلن انه تلقى من راغب النشاشيبي مكالمة تليفونية مؤداها ان « الامة اذا اقرت استقالته فانه يستقيل » ، وان عاصم السعيد نفسه « مستعد للاستقالة » . وعندما بلغ الامر هذا الحد ، وقف الحاج امين وخطب قائلا « قبل قدومي اليوم الى هنا ، حاول بعض الناس ان يثنوني عن عزمي قائلين ان في المسألة محاولة للتوريط ، وان بين المجتمعين من سيطلب مني الاستقالة . فقلت لهم احسنوا الظن ، فاني لست ممن يتورطون » . وهكذا رفض المفتي ان (يتورط) ويقدم استقالته من منصبيه ، كاعلان لبدء سياسة اللاتعاون .

والواقع ان اعضاء المؤتمر من كبار الملاك هم الذين قاوموا بدء سياسة اللاتعاون بعدم دفع الضرائب ، لان ذلك مناقض لمصالحهم الخاصة . وقد اشار الى ذلك عبد القادر المظفر في خطابه امام المؤتمر فقال « اروني من بينكم عشرة اشخاص فقط من كبار الملاكين ، لا يدفعون الضرائب ويتحملون التضحية ، فاذا وجد هؤلاء العشرة ، يتبعهم الفلاح والطبقات الأخرى » . ومع ذلك وافق المؤتمر ، بعد انسحاب أنصار الكتلة النشاشيبية ، على سياسة (اللاتعاون الاجتماعي) ، وهي التي حددها قرار المؤتمر بانها « مقاطعة الحفلات والمجاملات مع الحكومة ، ومقاطعة لجان الحكومة » . كما وافق المؤتمر على « مقاطعة البضائع الانجليزية ، ومقاطعة البضائع والمصنوعات والمتاجر الصهيونية » ، وعلى « تأليف لجنة من اعضاء مكتب اللجنة التنفيذية ، وعضو يمثل كل حزب من الاحزاب في البلاد ، لاجل اتخاذ الطرق الموصلة الى تنفيذ فكرة اللاتعاون بصورة اوسع » ، ومنحت مهلة شهرين لتقديم تقريرها . واتفق على ان تطوف

« لجنة صندوق الامة العليا برفقة عدد من التجار الموثوقين والوجهاء ، أنحاء فلسطين ، لحض الاهلين على شراء أسهم (شركة انقاذ الاراضي » ، وبذل الجهود لانجاح مشروع صندوق الامة [214] » .

لقد نجح الحاج امين الحسيني في « تمييع فكرة اللاتعاون مع الحكومة البريطانية واتفق في ذلك مع أنصار ومؤيدي الكتلة النشاشيبية . كما ان اللجنة المقترح تشكيلها « لاجل اتخاذ الطريق الموصلة الى تنفيذ فكرة اللاتعاون بصورة أوسع » لم تظهر الى الوجود على الاطلاق . ولم يتم تطبيق فكرة اللاتعاون على اي مستوى . ففي ابريل 1933 ، حصل عبد القادر الحسيني على وظيفة في دائرة المساحة ، وتمت عدة اجتماعات بين راغب النشاشيبي وبين حاكم القدس ، واجتمع حسن شكري ـ رئيس بلدية حيفا ـ وجميع اعضاء المجلس البلدي مع حاكم حيفا في 24 ابريل 1933 . وهذا يؤيد ما أورده عزة دروزة من ان الكتلة النشاشيبية لم تنفذ سياسة اللاتعاون فعلا [215] ، مع ان موسى كاظم نشر في 3 ابريل 1933 نداء بوجوب تنفيذ سياسة اللاتعاون وقال ان كل فرد من ابناء الامة لا يقوم « بتنفيذ قراراتها فهو خارج عليها ، منبوذ منها ، مشترك في العمل للقضاء عليها » . وطلب من اعضاء اللجان الحكومية الاستقالة « ناشرين ذلك في الصحف ، تطمينا للرأي العام ، وأن ينقطع الجميع عن الحفلات والولائم الرسمية تنفيذا لارادتها ، فتعتز بهم وتستوثق من حسن نواياهم [216] » .

الشعب ينفذ سياسة (اللاتعاون)

ان الذي نفذ سياسة اللاتعاون والمقاطعة هو الشعب نفسه ، وقد بدأ ذلك واضحا ابان زيارة وزير المستعمرات البريطاني (كنليف ليستر) للبلاد في الاسبوع الثالث من ابريل 1933 . وقد عبر عن ذلك موسى كاظم في بيان

---

214 ـ وثائق المقاومة ص 332

215 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص ..211

216 ـ وثائق المقاومة ص 334. ـ 333

اصدره في 23 ابريل [217] ، فقال ان الامة وقفت « افرادا وجماعات موقفا يسطر لها بمداد الفخر ، على اثر زيارة وزير المستعمرات لهذه البلاد ، ومقاطعتها اياه مقاطعة كادت تكون تامة شاملة ، تنفيذا لقرارها الذي اتخذته في اجتماعها الاخير » . وطلب موسى كاظم من افراد الامة ان « يتقدموا خطوة اخرى في سبيل تنفيذ قرار اللاتعاون الاخير ، عن طريق المحافظة على كيان الامة الاقتصادي ، بتشجيع المصنوعات العربية ومقاطعة البضائع والسلع الاجنبية ، يهودية ام انجليزية ، من فلسطين او من الخارج ، وبعدم التردد على المحال والمتاجر الاجنبية » .

على ان ذلك كله لم يكن كافيا لدفع الخطر الاستعماري الصهيوني ، لان مسألة اللاتعاون تمس مظهر القضية وليس جوهرها ، ولان حالة البلاد العامة كانت في تدهور سريع . فقد ذكر خليل السكاكيني في رسالة الى ولده ، مؤرخة في 27 ابريل 1933 ، ما يلي « حالة البلاد تسير من سيء الى اسوأ ، كل يوم تقذفنا السفن بمئات من المهاجرين اليهود ، وكل يوم تباع الارض قطعة كبيرة بعد قطعة كبيرة ، والناس يتخبطون في دفع الخطر خبط عشواء [218] » . حدث هذا في البلاد بينما قام الحاج امين الحسيني بتشكيل وفد اسلامي لاستجداء الاموال من اجل عمارة المسجد الاقصى . وبالفعل زار الوفد العراق في 8 مايو 1933 [219] ، ثم اتجه الى الهند بعد ذلك .

اشتدت لهجة الصحف العربية في هذه الفترة ضد السلطات البريطانية ، التي حاولت تطبيق (قانون المطبوعات) الصادر في 19يناير 1933 [220] ، وهو الذي منح المندوب السامي الحق في ان « يأمر بأخطار الجريدة التي من شأنها ان تجعل الطمأنينة العامة في خطر » ، وان ينظر

---

217 ـ المقطم 1933/4/27 ، وثائق المقاومة ص 335 - 334.

218 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 250 - 251.

219 ـ انظر المقطم 1933/5/14

220 ـ انظر نص القانون في (اسرائيل) ـ 1933/2/10.

المجلس التنفيذي في امر تعطيلها . كما منحه سلطة تعطيل الجريدة « بعد اعلام المجلس التنفيذي » . ولكن الانذارات العديدة التي وجهت الى بعض الصحف لم يكن لها الا القليل من التأثير ، هذا اذا صح انه كان لها تأثير بالمرة . ولم تعطل جريدة ما في سنة1933 (221) .

رافق اشتداد الحملة الصحفية في صيف 1933 ، محاولة بعض عناصر حزب الاستقلال تبني المفهوم اليساري للوطنية . ففي غضون حملة عنيفة شنها عزة دروزة على النفعيين من الفلسطينيين ، نشر مقالا في جريدة (العرب) ، الناطقة باسم الحزب ، في 21 يونيه 1933 ، قال فيه : « ان القضية الوطنية هي في الحقيقة قضية السواد الاعظم من الشعب ، لانه هو الذي تقع عليه اعباء وشرور الاستعمار والصهيونية في بلادنا في الدرجة الاولى . . . ونحن اذ نحصر طبقات الشعب في بلادنا نعرف بالبداهة من اي منها السمسار وبائع الارض ، ومن اي منها ذلك الذي يستمد جاهه ونفوذه ومركزه من السلطات الاستعمارية مقابل ما يمنحه لها من الولاء والطواعية والتطوع . ثم من اي منها الذين تواروا تحت اطباق الثرى او ظلمات السجون في سبيل بلادهم ، ومن اي منها الذين يشردون في كل يوم عن اراضيهم تنفيذا لجريمة السمسرة وبيع الاراضي التي يرتكبها السماسرة والملاك » . وأضاف « ان الذي يستطيع ان يترك الدار تنعي من بناها هو الثري الذي يكونله من المال ما يساعده على الانتقال . . . اما الذين لا يملكون ارضا ، وليسوا بأصحاب ثروة ، فهم الذين يبقون في الميدان ، وهم الذين يسقطون في المعركة ضحايا الظلم واللؤم (222) » . الا ان حزب الاستقلال ، باعتباره حزب الخاصة ، لم يحاول توسيع ذلك المفهوم ، وبالتالي فشل في تكوين قاعدة شعبية تسانده .

وجهت الى الحكومة البريطانية ، منذ يوليو 1933 ، تهم شديدة بأنها

---

221 ـ تقرير اللحنة الملكية ص 110.

222 ـ انظر عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 279.

« تغمر البلاد باليهود بقصد اجلاء العرب عن اراضيهم وحرمانهم من اعمالهم » ، وإنها « شجعت وسمحت بهجرة اعداد ضخمة من اليهود حتى يصبح اليهود اكثرية عند تشكيل المجلس التشريعي [223] » . وفي اغسطس من نفس العام ، ازداد الهجوم على الحكومة على اثر انعقاد المؤتمر الصهيوني في براغ ، وهو الذي طالب ـ مسيرا بصورة خاصة الى الحوادث في المانيا ـ بأن « يبني الوطن القومي اليهودي بكل سرعة ممكنة وعلى اوسع اساس » . وازدادت البلاد اضطرابا على اثر انتشار الاخبار القائلة بان عشرة آلاف مهاجر يهودي غير شرعي ، قد استقروا في البلاد مؤخرا [224] .

مظاهرة القدس (13 سبتمبر 1933)

اجبرت الاحداث اللجنة التنفيذية العربية على اتخاذ موقف اكثر صلابة في مواجهة الاستعمار البريطاني ، فقررت القيام بمظاهرات دورية في جميع المدن الفلسطينية ، بدون طلب اذن من السلطات البريطانية . وكانت اولى المظاهرات في القدس ، في يوم الاربعاء ، 13 سبتمبر . 1933 وتقول فرانسيس نيوتن انها حذرت موسى كاظم من القيام بالمظاهرة ، لان البوليس البريطاني سيتصدى لها ، وانه اجابها قائلا « لقد جربنا جميع الوسائل والاساليب مع الحكومة البريطانية ، وهذا هو السبيل الوحيد الباقي لاسماع صوتنا » . ثم اتصلت بدار الحكومة ، وطلبت الى المسئولين ان يسمحوا للمظاهرة السلمية بالمرور ، ولكنها اخبرت بان « المظاهرة غير قانونية ، وان البوليس سيقوم بواجبه [225] » .

وحاولت الحكومة في اول الامر ان تقنع الزعماء بعدم اللجوء الى هذا التحدي لسلطتها ، فاستجاب راغب النشاشيبي لها ، لكنها طلبت فيما بعد ان لا تتجاوز مسيرة المظاهرة حدود البلدة القديمة في القدس ، ومهما يكن ، فقد نفذت فكرة القيام بالمظاهرة وسار في طليعتها العديد من زعماء

---

223 ـ Report 1933 , p . 5

224 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 111

225 ـ Frances newton , op . cit p . 293

الفئات السياسية ، الامر الذي اوحى بقيام وضع من الوحدة والتصميم لم يسبق له مثيل[226] . لكن البوليس البريطاني استخدم « القوة في تفريق المظاهرة[227] » ، كما قدم عدد من المشتركين فيها للمحاكمة . ومما يذكر ان الحاج امين الحسيني لم يشترك في المظاهرة ، بل « كان يطل عليها من شرفة مكتبه في دار المجلس الاسلامي الاعلى » . ويقول احمد الشقيري « واحسب ان الحاج امين كان الى ذلك الوقت يمسك العصا من وسطها يد مع الحكومة البريطانية ويد مع الشعب[228] » .

استمرار النشاط الوطني في البلاد

في اعقاب مظاهرة القدس ، قررت اللجنة التنفيذية ، التي اجتمعت في منزل موسى كاظم ، القيام بالمظاهرة الثانية في يافا في 13 اكتوبر 1933 . ويذكر اميل الغوري انه « دعى عدد من الشباب المخلصين من ابناء القدس » لاجتماع عقد في بيته في 25 سبتمبر 1933 ، وذلك « للبحث في الوضع العام ، وماذا ينبغي على العرب القيام به من اعمال . وتقرر في ذلك الاجتماع ان يقوم العرب بمظاهرات شعبية ضد الحكومة ، سواء قبلت السماح بها او لم تقبل ، وان يرفع العرب راية العصيان على الظلم والعدوان ، وان تكون المظاهرات باكورة اعمال الوطنيين في هذا السبيل . وكان من الذين حضروا ذلك الاجتماع التاريخي وتعهدوا بتنفيذ مقرراته : ابراهيم درويش ، مينا الحلبي ، موسى عبد الله الحسيني ، محمد منيف الحسيني ، انسطاس حنانيا ، نافذ الحسيني ، يوسف عيدة ، ومحمد طاهر الفتياني وغيرهم » . ويلاحظ ان المجتمعين خليط من المسلمين والمسيحيين ، وهم يمثلون الكتلة الحسينية وحزب الاستقلال . ويضيف اميل الغوري « واخذ المجتمعون يعملون على تنفيذ مقرراتهم ، وطلبوا الى اللجنة التنفيذية تبني تلك المقررات ، باعتبارها الهيئة الممثلة للبلاد رغم

---

226 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 277.

227 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 114. ـ 113

228 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 138. ـ 137

ضعفها وهزالها[229] » .

رافق نشاط شباب القدس ، نشاط آخر قام به (مؤتمر الشباب العربي) ، الذي قدم الى المندوب السامي ، في 24 سبتمبر 1933 [230] ، مذكرة حول الهجرة اليهودية ، جاء فيها ان « الامة العربية ناقمة اشد النقمة على السياسة التي تتبعونها ، والتي فتحتم بموجبها ابواب الهجرة الى فلسطين على مصراعيها »واكدت المذكرة ان « البلاد قد اصبحت قلقة على مصيرها بعد مؤتمر براغ الصهيوني » ، وان « عرب فلسطين يستطيعون ان يحافظوا على كيانهم ، ولكنهم يطلبون قبل كل ذلك منك ايقاف الهجرة واقفال ابوابها » ، وان الحكومة « لا تعجز عن مقاومة النفوذ الصهيوني » .
وفي اليوم التالي 25 سبتمبر ، قرر مكتب (مؤتمر الشباب العربي) ، اذاعة بيان على الامة ، يستنكر فيه « اهمال الحكومة لاحتجاجات الامة وصيحاتها » ، ويلفت نظرها الى خطورة الموقف ، كما قرر دعوة الصحافة والهيئات الوطنية في البلاد العربية لضرورة معالجة الموقف والحيلولة دون تهديد البلاد ، وكذلك دعوة « جمعية الشباب العرب واعضاء لجنة مؤتمر الشباب الى الاهتمام بالامر ، وعقد اجتماعات متوالية في المدن لاطلاع الشعب على الاخطار المحدقة به من جراء تدفق الهجرة الصهيونية [231] » .
وفي 30 سبتمبر ، قدم عدد من الوطنيين العرب في نابلس مذكرة الى الحكومة ، اتهموها فيها بالعمل على القضاء على عرب فلسطين واحلال اليهود محلهم ، كما هددوا باللجوء الى اجراءات للدفاع عن النفس ضد السيل المتدفق من المهاجرين اليهود [232] .

ونتيجة لموجة النشاط ضد الحكومة في فلسطين ، عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا في اول اكتوبر 1933 ، وذلك لبحث مسألة الهجرة اليهودية

---

229 ـ اميل الغوري المؤامرة ص 73 ـ 72

230 ـ الجامعة الاسلامية 1933/9/27

231 ـ الجامعة الاسلامية 1933/9/28.

232 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 278

المتزايدة [233] . ويبدو ان الاجتماع لم يسفر عن اية نتيجة ، اذ تقرر عقد اجتماع آخر في الثامن من اكتوبر . وعقد حزب الاستقلال مؤتمرا في حيفا لبحث مسألة الهجرة اليهودية . كما عقد مكتب اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب اجتماعا في اول اكتوبر ، وقرر فيه رفع قضية على الحكومة امام محكمة العدل العليا في القدس بتهمة الاخلال بصك الانتداب ، والحاقها اضرار فادحة بعرب فلسطين . وسادت في البلاد ايضا ، في اوائل اكتوبر ، فكرة العصيان المدني ، وكذلك فكرة رفع قضية على الحكومة امام عصبة الامم ، لان ميثاق العصبة فيه ما يسمح لاحد الاعضاء ان ينوب عن قطر تحت الانتداب ، وكانت الفكرة متجهة الى توكيل العراق .

وفي يوم الاحد 8 اكتوبر 1933[234] عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا في القدس ، وقررت رغم اعتراض اعضائها من الكتلة النشاشيبية ، دعوة الامة « الى الاضراب برا وبحرا في جميع مدن فلسطين وقراها يوم الجمعة 13 تشرين الاول (اكتوبر)1933 » . وان تقوم (مظاهرة كبرى) في القدس « على ان يكون على رأسها رئيس اللجنة وجميع اعضائها الحاضرين والغائبين » ، وان تخاطب « الحكومة في شأن الترخيص بها ، وكذلك الحال في المظاهرات الاخرى التي ستقام ، ويجب على المتظاهرين ان يقوموا بمظاهراتهم مهما كلفهم الامر » . كما طلب الى جميع اعضاء اللجنة التنفيذية « الاشتراك في كل مظاهرة تقام ، وان يكونوا على رأسها . وكل عضو يتخلف عن هذا الواجب ، فان اللجنة تبحث في امره ، ولها الحق في فصله » . واكدت مقررات اللجنة « العدول عن سياسة الاحتجاجات والخطب غير الجدية » ، لان « عرب فلسطين قد يئسوا يأسا تاما من الحكومة ، فهم لا يخاطبونها في شيء ولا يطلبون منها شيئا » .

ونشرت الحكومة في القدس في اليوم التالي ، بلاغا رسميا تضمن

---

233 ـ المقطم1933/10/7.

234 ـ وثائق المقاومة ص 339 ـ 338 ، المقطم 1933/10/11

نص المادة 32 من قانون البوليس لسنة 1926 ، وطلبت العمل بها لمدة خمسة اسابيع[235] ، وذلك تمهيدا لضرب مظاهرة القدس . كما نشرت البلاغ الرسمي رقم 33/38 ، والتي اعلنت فيه ان « الحكومة سوف لا تعطي اذنا للقيام بأي مظاهرة او موكب شعبي في اي شارع عمومي ، وينذر الشعب بان كل من يشترك في اي مظاهرة سيعرض نفسه لعقاب القانون[236] » ، وفي 10 اكتوبر قابل وفد اللجنة التنفيذية برياسة موسى كاظم القائم بأعمال المندوب السامي ، الذي حذرهم « بأن مثل هذه المظاهرة ستمنع ، مؤكدا لهم في نفس الوقت ان اية اقتراحات تقدم بالطرق المناسبة سترفع حالا الى المندوب السامي حين عودته من اجازته بعد ايام قلائل[237] » ، الا ان موسى كاظم رفض الامتناع عن القيام بالمظاهرة . وتلا ذلك توجيه انذار رسمي الى الصحف بتطبيق نص المادة 19 من قانون المطبوعات ، اذا هي استمرت على التحريض للقيام بالمظاهرات .

مظاهرة القدس الثانية (13 اكتوبر 1933)

كان الاصرار على القيام بالمظاهرة امر لم تعهده البلاد من قبل ، وكان تحدي السلطات البريطانية والوقوف امامها وجها لوجه تحول جذري في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية . وبالرغم من تحذيرات الحكومة ، قامت مظاهرة القدس في الموعد المحدد[238] ،لكن البوليس فرقها بالقوة . وقد اكد تقرير اللجنة الملكية ان (الجمهور الساخط) لم يتفرق « الا بعد هجمات عديدة بالعصي قام بها البوليس[239] » . ومما يجدر ذكره ان نساء القدس اشتركن في هذه المظاهرة ، وكن اكثر جرأة من الرجال ، ووجه موسى كاظم تحية لهن على « الثبات والشجاعة والتضحية التي ظهرت منهن

---

235 ـ المقطم 1933/10/12.

263 ـ اسرائيل 1933/10/20.

237 ـ P d ' vol . 28 — 30

238 ـ انظر وصفا لها في المقطم 1933/10/18.

239 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 111.

في ذلك اليوم » ، وهي التي تدل « دلالة واضحة محسوسة على ان سيدات البلاد هن جزء حي يعتمد عليه في الملمات ، ويحسب حسابه في النوائب وانهن على استعداد للعمل وبذل ما تقتضيه المصلحة العامة من التضحية بالنفس والنفيس [240] » .

وبعد قمع السلطات البريطانية مظاهرة القدس في 13اكتوبر ، عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا قررت فيه « اقامة مظاهرات على التوالي في مدن فلسطين ، اولها في يافا ، يوم الجمعة في 27 الجاري (اكتوبر 1933) حيث تقام مظاهرة عامة مع اضراب ، ويسير على رأس المتظاهرين رئيس واعضاء اللجنة التنفيذية العربية » . وتركت للجمعية الاسلامية المسيحية بيافا واللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب « امر تعيين خطة سير المظاهرة » . كما قررت « ارسال برقيات لعصبة الامم والحكومة الانجليزية ووزارة المستعمرات وحكومة فلسطين ببيان غايات المظاهرات واستنكار اعمال البوليس وتصرفاته وخصوصا مع السيدات [241] » .

ان مهلة الاسبوعين الواقعة بين مظاهرة القدس وبين مظاهرة يافا ، كانت كافية تماما للاعداد لمواجهة السلطات الحكومية في يافا ، كما كان قدوم وفدين من سوريا ومن شرق الاردن للاشتراك في مظاهرة يافا [242] ، دليلا على بداية الانفجار . ذلك ان الاستعدادات كانت تجري لافتتاح مرفأ تل ابيب في اواخر اكتوبر 1933 ، ليحل محل ميناء يافا ، وبالتالي يترك قسما كبيرا من العمال عاطلين عن العمل . هذا بالاضافة الى تجمع الآلاف من العرب الذين طردوا من اراضيهم ، ومن الحرفيين الذين قضت الصناعة الصهيونية عليهم وعلى حرفهم . وكانت مظاهرة يافا هي بداية ما اطلق عليه (هبة اكتوبر 1933) .

---

240 ـ وثائق المقاومة ص 341 - 340.

241 ـ المصدر السابق ص 240 ـ 239

242 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 114.

هبة اكتوبر 1933

شهدت البلاد عام 1933 موجة من الهجرة اليهودية لم تشهدها من قبل . ذلك انه على اثر تولي هتلر الحكم في المانيا في 30 يناير 1933« اخذ سيل من الهاربين اليهود يتدفق من المانيا بعدد يتزايد يوما عن يوم ، ووجد كثير من هؤلاء ملجأ مؤقتا لهم في البلاد المجاورة لالمانيا ، ولكن الابواب التي اوصدت بعد الحرب في وجه المهاجرة الواسعة الى ما وراء البحار ، لم تكن قد فتحت ثانية . وفي الوقت نفسه اخذت حالة اليهود في بولونيا ورومانيا تزداد سوءا من يوم لآخر . ولذلك كان طبيعيا ان تتجه انظار اليهود الى فلسطين ، اي الى البلاد التي يمكنهم ان يدخلوها كحق وليس كمنة » . ويضيف تقرير اللجنة الملكية الى ذلك قوله « وفي تلك السنة ، اي سنة 1933 ، ارتفع عدد المهاجرين اليهود دفعة واحدة من 9553 مهاجرا (عام 1932) الى 30,327 مهاجرا ، وهي زيادة تفوق الثلاثة اضعاف . وقد جاء اغلب هؤلاء (اي 13,125 منهم) من بولونيا كما كانت الحال في السنين السابقة . ولكن المقام الثاني في القائمة احتله الآن اليهود القادمون من المانيا الذين كان عددهم 353 في سنة 1932 ، فبلغ 5392مهاجرا في سنة 1933 . وهناك ناحية واحدة كانت فيها هذه الموجة الجديدة من الهجرة منقطعة النظير . فالمهاجرون القادمون من المانيا كانوا يضمون رجالا من ذوي المواهب الفائقة ، منهم من يتمتع بشهرة عالمية في مختلف العلوم والمهن الحرة . وقد جاء مع العلماء والاطباء والمحامين رجال لهم خبرتهم ومقدرتهم في الامور المالية وفي تنظيم الاعمال التجارية . فتعززت قوة الوطن القومي كثيرا من الوجهة المالية . وبلغ مقدار الاموال التي استثمرت في شراء الاراضي وفي تحسين زراعة الاشجار الحمضية والصناعة والنقل 2,422,000 جنيه في سنة 1932 ، و 4,060,000جنيه في سنة 1933[243] » .

كانت الهجرة اليهودية عام 1933 عاملا اساسيا في تحويل الكثير من العمال العرب الى عاطلين ، وكانت الاموال التي وجهها مهاجرو عام 1933

---

243 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 108 - 109.

نحو شراء الاراضي ، عاملا آخر في طرد الفلاحين العرب وتحويلهم الى اجراء او الى عاطلين ، انتقلوا من الريف الى المدن ، للبحث عن اعمال موسمية او حرف جديدة .

وحسب تقدير المصادر اليهودية انشأ اليهود 26 مستوطنة في عام 1933 ، وقبل اكتوبر بالذات ، بلغت مساحتها 41,240 [244] دونما، هذا بالاضافة الى الاراضي التي سجلت وضمت الى مستوطنات قائمة قبل عام 1933 . ويقول بن غوريون ان الارض التي اشتراها اليهود في عام 1933 بلغت 36,991 دونما [245] . اما عيسى السفري فيقول انها بلغت 150الف دونم [246] . ومهما يكن ، فان المهم هو ان عملية شراء اليهود للاراضي قد اسفرت عن طرد آلاف الفلاحين من اراضيهم ، وبذلك فقدوا مورد رزقهم الاساسي . يتضح ذلك اذا عرفنا ان 71 ٪ من العرب يعتبرون من سكان الريف حسب احصاء عام 1922 ، بينما كانت نسبة المزارعين عند اليهود 18 ٪ ومع تزايد السكان ظلت هذه النسبة دون تغيير يذكر فيما يتعلق بالسكان العرب ، اذ انخفضت الى 70 ٪ في احصاء عام 1931 ، على انها ارتفعت ارتفاعا محسوسا للسكان اليهود اذ بلغت 26 ٪ .

يضاف الى هذا ان اليهود طبقوا نظرية (العمل اليهودي) في مشاريعهم الخاصة ، وكانت نسبة العمال اليهود اعلى من العمال العرب في جميع المشاريع والاعمال الحكومية ، وكانت اجرتهم اليومية او الشهرية اعلى من العرب . اما اعمال انشاء ميناء حيفا فقد قامت بها شركات يهودية ، ولم تستخدم الا عددا ضئيلا جدا من العمال العرب . هذا بالاضافة الى ان موسم عام 1933 كان ماحلا بالنسبة للفلاح الفلسطيني الذي ظل في ارضه . وهكذا كانت الاوضاع في فلسطين ، بين العمال والفلاحين ، مواتية ومناسبة لهبة اكتوبر 1933 .

---

244 ـ Zionist Organization of America, op. cit, pp. 213 - 225

245 ـ بن غوريون، المصدر السابق ص 90.

246 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 218.

ويبدو ان القيادة التقليدية شعرت ، بل تخوفت ، مما يمكن ان يحدث في مظاهرة يافا المقبلة ، فتوجه موسى كاظم ووفد من اللجنة التنفيذية لمقابلة المندوب السامي يوم 25 اكتوبر 1933 . وفي هذه المقابلة اجاب المندوب السامي « على تساؤلاتهم بشأن الهجرة اليهودية ، كما اخبرهم انه لا يسمح بقيام اي مؤتمر سياسي او مظاهرة في يافا ، ولكن يمكن لاعضاء اللجنة الذهاب الى دار الحكومة في يافا ، وتقديم عريضة مكتوبة الى حاكم اللواء الذي يرفعها بدوره الى المندوب السامي[247] » . واوضح موسى كاظم ووفد اللجنة (المأزق) الذي وجدوا انفسهم فيه فقالوا « لم يسبق لنا قط ان لجأنا حتى الى المظاهرات السلمية ، ولكننا نجد الان انفسنا مدفوعين اليها بواسطة الشعب نفسه . ولقد كنا نأمل ، ونحن نواجه هذا المأزق ، ان تقوم الحكومة بمساعدتنا بدل ان تكرهنا على قيادة الشعب الى اضرابات اشد خطورة[248] » . على ان الحكومة لم تستجب لتوسلاتهم ، ولم يكن امامهم من منفذ الا الاشتراك في مظاهرة يافا في 27 اكتوبر 1933 .

شمل المدينة منذ الصباح الباكر اضراب عام ، وزاد من حدته ان اليوم كان يوم جمعة ، ويقبل الفلاحون والبدو من المناطق المجاورة للصلاة في جامع يافا الكبير (جامع حسن بك) . وبالفعل قدم الفلاحون وهم مسلحون بالعصي والهراوات والحجارة والسكاكين . وبعد الصلاة خرجت الجماهير الى الشوارع ، وانضم اليها متظاهرون جدد ، وسار اكثر من 7 الاف رجل الى مبنى الحكومة ، وطالبوا بايقاف الهجرة اليهودية واستيلاء اليهود على الاراضي . وكانت قد اقيمت امام مبنى الحكومة حواجز من الاسلاك الشائكة ، ووقفت خلفها ، في حالة استعداد تام للقتال ، فرق من البوليس ، قسم منها يمتطي الخيول ، ومعها حاميات من حرس الحدود . ووقفت بجانب هذه القوات حامية من سلاح الطيران الملكي ، وفرقة من قناصة (اولستر الايرلندية) في سيارات مصفحة ومسلحة بالرشاشات . وما

247 ـ P d . vol 281 , col . 28 - 30

248 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 279

كاد المتظاهرون يقتربون من الاسلاك الشائكة ، حتى فتح البوليس والجيش النار عليهم ، ولكن طلقات الرصاص لم تستطع تفريق المتظاهرين ، الذين سحب بعضهم نفرا من افراد الجيش والبوليس من على الاحصنة وطرحوهم ارضا . واقتحموا مواقع فرق البوليس والجيش بالرغم من السيارات المصفحة والرشاشات والاسلاك الشائكة . لكن النار الكثيفة اجبرتهم على التراجع وهم يهتفون بسقوط الاستعمار البريطاني والحكومة الانجليزية . وتحولت شوارع يافا الى ساحة حرب ، استمرت حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ، واعلنت الحكومة البريطانية حالة الطوارىء في المدينة .

في اليوم التالي ، 28 اكتوبر ، قامت مظاهرة في حيفا ، اشترك فيها اكثر من الفي رجل ، معظمهم من العمال العاطلين ، وحاولوا احتلال محطة سكة الحديد ومركز البوليس الرئيسي . الا ان البوليس اطلق عليهم النار واصاب عددا منهم . وقام اكثر من ثلاثة الاف رجل في نابلس بمظاهرة في نفس اليوم ، وحاول المتظاهرون احتلال محطة سكة الحديد وضرب بنك باركليز .

ووقعت في القدس يومي 28 و 29 اكتوبر ، اصطدامات حامية بين الشعب وبين قوات الحكومة ، واقفل المتظاهرون المحلات اليهودية ، وحثت النساء من الاسطحة وشرفات المنازل المتظاهرين على الكفاح ، لكن قوات الجيش والبوليس تسببت في مجزرة دموية في البلدة القديمة . وفي الليل اطلقت النار على قوات الجيش التي تحمي مبنى الحكومة .

وفي غزة ، افشل الزعماء التقليديون مظاهرة توجهت لضرب المطار البريطاني ، وارسل البريطانيون فرقة سيارات مصفحة لحماية المطار . ووقعت اضطرابات اخرى في عكا حيث وقع هجوم على السجن ، الا ان اسعد الشقيري استخدم نفوذه للحيلولة دون استمرار المظاهرات . وفي جنين اضرمت الجماهير النار في مبنى الحكومة وجردت البوليس من سلاحه . وفي طولكرم نسف المتظاهرون خط السكة الحديدية ، ومع ان زعامة المدينة التقليدية حالت دون القيام بمظاهرات ، الا ان الشعب

استخدم الحجارة في ضرب القوات البريطانية التي احتلت المدينة منذ صباح 28 اكتوبر . وقدم فلاحو وادي الحوارث المطرودين من اراضيهم للتظاهر في المدينة ، الا ان طائرات سلاح الطيران الملكي استطاعت تفريقهم . اما في نابلس فلم تقع اصطدامات وذلك بفضل نفوذ رئيس البلدية [249] .

يصف السكاكيني ما حدث في البلاد يومي الجمعة والسبت(27و28 اكتوبر) فيقول في يومياته بتاريخ 28 اكتوبر ما يلي « لقد كانت فلسطين امس واليوم ساحة حرب ، مظاهرات في كل مكان ، هجوم على مراكز البوليس ومحطات سكك الحديد ، قتلى وجرحى بالمئات ، المستشفيات غاصة والنفوس تضطرم غضبا » . ثم يضيف بان هذه الحوادث « تعلن افلاس سياسة الحكومة في بناء الوطن القومي ، وفي التوفيق بين العرب واليهود في المحافظة على مصالح العرب . واما اليهود فقد استولى عليهم رعب عظيم يرون شعبا اعزل لا يملك من السلاح شيئا غير احذيته ومداساته يهاجم المتر اليوزات ويهاجم الفرسان ، فيخطف الفرسان عن صهوات خيولهم ويدوسهم باقدامه [250] » .

واصدرت الحكومة قانونا للطوارىء في 30 اكتوبر [251] ، طبقته على جميع انحاء فلسطين . واستقدمت قوات عسكرية من مصر وشرق الاردن لمواجهة الحالة . ومع كل ذلك ظل الاضراب مستمرا في كل المدن الفلسطينية حتى يوم 3 نوفمبر 1933 . وفرضت الرقابة على الصحف العربية فاحتجبت عن الصدور . ومنعت الاحتفال بدفن الشهداء ، الذين صرعهم رصاص القوات البريطانية ، فاخرجت الجماهير بعض الجثث واحتفلت

---

249 ـ انظر لوتسكي : الامبريالية الانكليزية وثورة تشرين الاول (1933) في فلسطين ، ترجمة رياض يونس ، ص 22- 25، وارد في (المقاومة الفلسطينية الواقع والتوقعات) . كتاب خاص صادر عن مجلة دراسات عربية ، بيروت ، ط 1، يوليو 1971.

250 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 257.

251 ـ انظر ملخصا له في المقطم 1933/11/5.

بدفنها ثانية .

ارهبت انتفاضة اكتوبر القيادة التقليدية في فلسطين وهي التي لم تستطع كبح جماحها ، فحاولت السيطرة عليها عن طريق التهدئة ، فاصدرت في 3 نوفمبر 1933، بيانا طلبت فيه « ان يكف كل عربي عن المظاهرة والاضراب لاشعار آخر ، راجية من الشعب العربي النبيل ان يعمل بقرار لجنته التنفيذية التي تعمل على تحقيق مثله الاعلى [252] » ، وأيد حزب الاستقلال اللجنة التنفيذية في موقفها .

اسفرت هبة اكتوبر 1933 عن مقتل بوليس واحد ، واصابة 56آخرين . وقتل 26 مواطنا عربيا ، وجرح نحو 187 شخصا[253] . ومما يجدر ذكره انه لم يصب يهودي واحد في خلال الحوادث التي وقعت ، ذلك لان « العرب وجهوا نضالهم ضد الاستعمار البريطاني مباشرة[254] » . كما اسفرت عن تعيين لجنة موريسون ـ ترستد للتحقيق في حوادث اكتوبر[255] ، وبدأت عملها في 6 ديسمبر 1933 ، ، وانهته في اوائل يناير 1934 [256] . وكان نتيجة تقريرها تقديم عدد من المقبوض عليهم امام محكمة يافا ، التي اصدرت في 19 مارس 1934 ، احكاما مختلفة بالسجن والاشغال الشاقة[257] .

وتعرض مجلس العموم البريطاني ، خلال شهر نوفمبر 1933 لبحث هبة اكتوبر . واضطر وزير المستعمرات كنليف ليستر Cunliffe - L ISTER الى القاء بيان غاضب في 7 نوفمبر 1933 ، حول احداث تلك الهبة نفى فيه

---

252 ـ المقطم 1933/11/7

253 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 112

254 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 74 ,176 Sykes, op. cit., p

255 ـ انظر اسرائيل 1933/12/8، الجامعة الاسلامية 1933/12/17.

256 ـ المقطم 1934/1/11.

257 ـ انظر الاحكام في امين سعيد المصدر السابق ج3 ص128 ، المقطم1934/3/20 ، P D col 288, col 1556

تدخل قوات الجيش البريطاني في تلك الاحداث[258] . وفي 15نوفمبر 1933 ، طلب النائب الصهيوني ودوود Wedgewood « اتخاذ اجراءات لمنع قيام العرب باعمال العنف في فلسطين » . وتساءل اذا كان بعض الاشخاص قد استغلوا اموال الوقف في ذلك السبيل . فرد عليه كنليف ليستر قائلا انه « يمكن الاعتماد على المندوب السامي لاتخاذ كافة الاجراءات للحيلولة دون وقوع اضطرابات في فلسطين » ، وانكر علمه بالشق الثاني من السؤال[259] . وانكر نفس الوزير في 29 نوفمبر 1933بان تكون الهجرة اليهودية هي السبب المباشر لحوادث 1933 ، ورفض ان يغير سياسته بشأن قبول المهاجرين اليهود الى فلسطين[260] ، مع ان واكهوب ، المندوب السامي ، كان قد رفع اليه تقريرا مؤرخا في 6 نوفمبر، عزا فيه الاسباب المباشرة لهبة اكتوبر الى الرغبة الجامحة في الاحتجاج على الهجرة اليهودية[261] .

ومهما يكن ، فقد كشفت الاحداث التي وقعت بين 27 اكتوبر ، و3 نوفمبر 1933 ، عن تصميم اكيد لدى الشعب العربي في فلسطين على سلوك سبيل العنف حيال تنفيذ صك الانتداب البريطاني على فلسطين . ومما يذكر في هذا الصدد اشتراك (عصابة ابو جلدة) في احداث هبة اكتوبر 1933 ، وبالذات في مدينة نابلس .

عصابة ابو جلدة

ابو جلدة فلاح فلسطيني ، اسمه احمد المحمود ، من قرية (طمون) الواقعة على سفح الجبل المسمى باسمها في شمال شرقي نابلس . وقع نزاع بينه وبين بعض اقاربه حول الارض ، فقتل ثلاثة منهم ، والقت الحكومة القبض عليه ، واصدرت حكمها عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة ، لكنه لم

---

258 ـ P.D vol. 281, cols. 28 - 30

259 ـ op. cit., col . 908

260 ـ P.D. vol. 283, col. 865

261 ـ بد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 282.

يلبث في سجنه طويلا اذ استطاع الهرب ، واصبح خارجا على القانون . وقد اشتهر ابو جلدة بخروجه على الحكومة ، والتف حوله عدد من الفلاحين المطرودين من اراضيهم . واشهر من انضم اليه صالح احمد المصطفى الملقب (العرميط) ، وهو من قرية (بيتا) الواقعة جنوب نابلس .

تركز نشاط (ابو جلدة) في منطقة جبال نابلس وفي الجليل ، وقد بدأ نشاطه الفعلي في صيف 1933 . نشرت له (الجامعة الاسلامية) نداء حارا بالدعوة الى مقاومة حكومة الانتداب ، ورفع شعار (رمي الانجليز في البحر) . وقد ساهم فعلا في بعض الاكتتابات التي فتحت لمقاصد وطنية ، خاصة مشروع صندوق الامة . ووجه نشاطه الى ضرب رجال البوليس الذين تعاونوا مع الحكومة البريطانية ، وارسلت الحكومة في 4 اغسطس 1933 ، الطائرات الى جهات نابلس وطولكرم للبحث عنه[262] . الا ان احد افراد عصابته وهو (محمود ابو دولة) سلم نفسه الى سلطات البوليس ، في 25 سبتمبر 1933 ، التي استخدمته في محاولة للكشف والقبض على باقي افراد العصابة[263] . واشترك ابو جلدة وعصابته في هبة اكتوبر 1933 ، فقاد ورجاله هجوما على مركز البوليس وقتل جنديين .

كتبت عنه المقطم تقريرا فقالت ، « ابو جلدة رجل ثائر على الحكومة ، محاصر في جبال نابلس وقتل عدة اشخاص من البوليس والناس ، وانزل الرعب في القلوب ، فاعدت له الحكومة قوات كثيرة ، وسيرت لمطاردته الطيارات والدبابات ومئات الجنود ، ولكنها لم تقو على اسره او القاء القبض عليه . ولقد ذهبت اخباره بين الناس مثلا ، وكان له صيت طويل عريض . وشاع مؤخرا ان هذا الرجل فتك باربعة من الجند ، وانه قام بنصيبه في هذه الثورة الاخيرة (اكتوبر 1933)[264] » .

---

262 ـ المقطم 1933/8/8.

263 ـ الجامعة الاسلامية 1933/9/27.

264 ـ المقطم 1933/11/7.

وبعد اشتراكه في هبة اكتوبر في نابلس ، خرج الى منطقة الحولة « للقضاء على عملية تهريب اليهود برا الى فلسطين[265] » . وكانت عملية تهريب اليهود من سوريا الى فلسطين عملية نشطة جدا في اواخر عام 1933 . واستمر ابو جلدة ورفاقه يزاولون عملهم الوطني في منطقة الحدود السورية الفلسطينية حتى صيف 1934 ، اذ تمكنت السلطات البريطانية من القاء القبض عليه ، وحكمت محكمة جنايات نابلس على ابو جلدة ورفيقه بالاعدام[266] . وايدت محكمة الاستئناف في القدس الحكم الصادر عليهما . وتذكر المقطم ان ابا جلدة ، وهو خارج من المحكمة « والابتسامة تعلو شفتيه » قال : « خاطركم (مع السلامة) يا شباب ، الدنيا فانية[267] » . وتضيف انه عثر على (محمود ابو جبرون) وهو الذي ارشد السلطة الى مقر ابي جلدة مذبوحا ، « ويظهر ان انصار ابو جلدة هم الذين ذبحوه[268] » .

حدث آخر ظهرت نتائجه بعد هبة اكتوبر 1933 ، ذلك هو غياب الحاج امين الحسيني عن البلاد . لقد كان يجول في الهند على رأس وفد اسلامي لجمع تبرعات لتعمير المسجد الاقصى . ومما لا شك فيه ان الحاج امين الحسيني علم باحداث اكتوبر ، لكنه لم يعد الى البلاد ، ذلك انه فضل (حرق) الزعامات والوجاهات التقليدية سياسيا ، حتى يخلو له الجو لتولي زعامة البلاد ، وقد ساعده في ذلك عاملان ، اولهما ان التناقض بينه وبين الكتلة النشاشيبية بزعامة راغب النشاشيبي لم يكن تناقضا اساسيا ، اذ ان كليهما كان يسعى للتقرب من السلطات البريطانية ومعاونتها ، اما العامل الثاني فقد كان انحلال حزب الاستقلال في ديسمبر 1933 ، وهو القوة الوحيدة التي كان يمكن لها ، لو اتجهت الى القاعدة الشعبية ، ان تشكل

---

265 ـ الجامعة الاسلامية 1933/11/19

266 ـ المقطم 1934/6/28.

267 ـ المقطم 1934/7/27.

268 ـ المقطم 1934/8/23

خطرا على نفوذ الحاج امين الحسيني . ويشير عزة دروزة في كلامه حول انحلال الحزب فيقول « رأت المعارضة (اي الكتلة النشاشيبية) فيه جبهة مجلسية (اي كتلة حسينية) ، ورأى المجلسيون فيه اضعافا لقوتهم[269] » .

عاد المفتي الى البلاد في اعقاب هبة اكتوبر 1933 ، وحافظ على موقفه الودي مع البريطانيين ، دون ان يعلق آمالا كبيرة على امكان احداث اي تغيير بارز في السياسة البريطانية . وكان المندوب السامي ، واكهوب ، مقتنعا بان الحاج امين رجل معتدل وراغب في مساعدة الحكومة على حفظ النظام . فقد كتب في تقريره المؤرخ في 5 يناير 1934 والمقدم الى وزارة المستعمرات ما يلي : « انني واثق من ان المفتي يحبني ويحترمني ويحرص على تقديم العون لي . . . وهو يدرك حماقة الاصطدام والتظاهر غير القانونيين بالسلطة ، ولكنه يخشى ان تؤدي الانتقادات التي يوجهها اليه خصومه الكثيرون ، ويتهمونه فيها بانه موال جدا للبريطانيين ، الى الانتقاص من نفوذه في البلاد . وعلى كل حال فالحقيقة هي ان نفوذه الذي يضع ثقله الى جانب الاعتدال وهو ذو قيمة مؤكدة . ولو وضع هذا الثقل في الجانب الآخر ، فانني واثق من ان نشوب اضطرابات واسعة يصبح امرا لا مفر منه[270] » .

عود على بدء ، او اسلوب المظاهرات

لم تغير الزعامة التقليدية اسلوبها في مواجهة السلطات البريطانية ، اثر تخوفها من الحوادث التي وقعت في اكتوبر ونوفمبر 1933 ، فعادت الى اسلوب المظاهرات الاحتجاجية السلمية . وقررت اللجنة التنفيذية في اجتماعها في اوائل يناير 1934 ، القيام بالمظاهرات في جميع انحاء فلسطين في اول ايام عيد الفطر لعام 1352هـ (الموافق 17 يناير 1934) . وقدمت كتابا الى حاكم القدس تطلب فيه السماح بالقيام بالمظاهرة ، كما اتصلت

---

269 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3ص 110.

270 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 285.

بانصارها في المدن الفلسطينية لتقديم طلبات مماثلة[271] . الا ان بعض الصحف العربية[272] ، لم توافق اللجنة على قرارها بالاضراب والقيام بالمظاهرات ، واخذت في مهاجمة اللجنة ، وقالت عن (يوم المظاهرات) القادم :

يوم مريع فظيع بشع المحيا شنيع
له عيون وراس ومعدة لا تجوع
يسود فيه البيان وفيه يحلو البديع[273]

قررت الحكومة اجابة طلب اللجنة التنفيذية ، فسمحت بالقيام بالمظاهرات في اول ايام عيد الفطر لعام 1352هـ . واصدرت اللجنة التنفيذية على اثر ذلك بيانا في 13 يناير 1934[274] . وذكرت فيه انها قررت « اقامة مظاهرة في جميع انحاء البلاد بعد صلاة عيد الفطر المبارك ، احتجاجا على مظالم الحكومة ، وارهاقها البلاد بسياستها المتبعة التي وضعت لاجل استعبادها ، وخلق حالات ادارية وسياسية واقتصادية من شأنها تحقيق انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين » . وفعلا قامت مظاهرات في انحاء البلاد يوم الاربعاء في 17 يناير 1934 ، لكنها كانت (مظاهرات حكومية) ، اذ وضعت السلطات البريطانية ، في كل مدينة من مدن فلسطين ، خطة سير وانتهاء كل مظاهرة .

اخذت الصحف العربية في فلسطين تقوم بحملات شديدة على الزعامة التقليدية في البلاد ، بسبب عجزها عن تطوير اسلوبها في مواجهة الاستعمارالبريطاني ، ونقلت (المقطم) عن احدى هذه الصحف قولها ان « الامة لا تطالب الزعماء ببذل دمهم ، بل تطالبهم بالنزول عن المغانم والاسلاب[275] » . وزاد في تفكك الجبهة الوطنية الداخلية وفاة موسى كاظم

---

271 ـ المقطم 1934/1/12.
272 ـ الصراط المستقيم ـ 816 ـ 1934/1/4.
273 ـ الصراط المستقيم ـ 817ـ 1934/1/8.
274 ـ وثائق المقاومة ص348 ـ 349.
275 ـ المقطم1934/2/10.

الحسيني في 26 مارس 1934 ، وهو الذي تولى رياسة الحركة الوطنية في البلاد بين عامي 1920 و1934 ، وعدم الاتفاق بين الزعامات التقليدية على الشخص الذي يحل محله . والحقيقة ان موسى كاظم كان وطنيا مخلصا ، الا انه لم يكن في مستوى قيادي يمكنه من مواجهة القيادة في الجانب اليهودي .

لجنة حراسة السواحل والحدود

نشطت في صيف عام 1934 ، حركة تهريب اليهود الى فلسطين ، عن طريق الحدود الفلسطينية السورية واللبنانية المشتركة ، وعن طريق البحر . ولما كانت اجراءات السلطات البريطانية غير فعالة بالنسبة لهذا الوضع ، قام شباب فلسطين بجهود ذاتية في محاولة لمقاومة هذه العملية . واخذ مؤتمر الشباب على عاتقه تنظيم عملية حراسة سواحل وحدود فلسطين ، فقرر في 13 يوليو 1934 تشكيل (لجنة حراسة السواحل والحدود) . وقد ابتدأت اللجنة عملها اعتبارا من 23 يوليو ونظمته على الشكل التالي :

1) حدود سوريا عهد بها الى كامل الحسين وفريد فخر الدين .

2) من حدود فلسطين على ساحل البحر المتوسط شمالا الى حيفا جنوبا عهد بها الى احمد العكي وعاطف نور الله وعبد المطلب فضة مع معونة كشافة حيفا .

3) من حيفا الى قرية سيدنا علي (شمال تل ابيب) عهد بها الى سليم عبد الرحمن وتوفيق عبد الرزاق مع كشافة ابي عبيدة (بقيادة توفيق عبد الرزاق) .

4) من سيدنا علي الى مجدل عسقلان عهد بها الى رئيس واعضاء مكتب مؤتمر الشباب انفسهم وهم : يعقوب الغصين ، سعيد الخليل ، احمد يانس ، اميل الغوري ، حسين يانس ، محمد علي الغصين ، نمر المصري .

5) من المجدل حتى غزة عهد بها الى عاصم بسيسو والسيد ابو شرخ

وفـائق بسيسو . وكـان مكتب الشبـاب يشـرف ايضـا على المنـاطق الاخرى[276] . كما ارسل مكتب الشباب وفدا الى بيروت ودمشق لمنع بعض العملاء العرب من تشجيع الهجرة اليهودية ، وكانوا يقبضون 18 جنيها فلسطينيا مقابل ادخال النفر الواحد من اليهود الى فلسطين[277] .

ولم تمض ثلاثة اسابيع على بداية عمل (لجنة حراسة السواحل والحدود) حتى حدث صدام في17سبتمبر1934 بين كشافة ابي عبيدة وبعض المسلحين اليهود ، الذين قدر عددهم بنحو 150 يهوديا ، قرب قرية (ام خالد) المجاورة لمستوطنة ناتانيا على ساحل البحر . فنشبت معركة بين الفريقين اسفرت عن جرح 8 من الكشافة العرب بجراح مختلفة . وعلى الاثر اصدرت الحكومة بلاغا رسميا في نفس اليوم ، جاء فيه ان المندوب السامي « يتفق الان مع وزير المستعمرات لاتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية حدود فلسطين ضد جميع الهجرة غير الشرعية ، وسيصير في القريب العاجل ادخال اجراءات ينتظر منها ان تمنع بصورة فعالة الهجرة غير المشروعة عن طريق البر والبحر » . واعتبر البلاغ الرسمي عمل (لجنة حراسة السواحل والحدود) العربية « عرقلة اكيدة وتشويشا من شأنه ان يساعد على اخلال الامن » . وانذر البلاغ بان الحكومة « ستمنع جميع المحاولات التي يقوم بها افراد وهيئات لاخذ القانون في ايديهم ، ومن يخالف يعرض نفسه للاجراءات بموجب قانون منع الجرائم[278] » . وردت اللجنة التنفيذية العربية باسم وكيلها يعقوب فراج ، في اليوم التالي ، على بلاغ حكومة فلسطين محتجة « بشدة على ضعف الحكومة امام هذه الاعمال الغير مشروعة والمثيرة للنفوس » ، وانها « تضع مسئولية هذه الحادثة على عواتق الحكومة والمسئولين[279] » .

---

276 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص222. ـ 221

277 ـ المقطم 1934/7/26.

278 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص223 ـ 222

279 ـ وثائق المقاومة ص353

واتخذ الشباب العربي خطوات اخرى للدفاع والتنظيم الذاتيين ، مدفوعين الى ذلك بمحاولات الهستدروت ، منذ سبتمبر 1934 ، لمنع اصحاب الاعمال اليهود من تشغيل الايدي العاملة العربية وذلك بارهاب اصحاب العمل والعمال على السواء . وهكذا تألفت في كل من القدس ويافا وحيفا ، حاميات عمالية عربية لمواجهة عمليات الارهاب والعدوان التي يشنها العمال اليهود[280] .

تميز عام 1934 بهدوء نسبي بالنسبة لعام 1933 ، وهو امر مذهل اذا اخذنا في الاعتبار الهجرة اليهودية الضخمة في ذلك العام . ويمكن ارجاع ذلك الهدوء النسبي الى العوامل التالية :

1) فشل جميع المحاولات المبذولة لعقد المؤتمر الثامن . فقد قررت اللجنة التنفيذية في اجتماعها في 6 اغسطس 1934 ، في القدس ، والذي حضره 18 عضوا من 48« تأجيل عقد المؤتمر (الثامن) بسبب حالة البلاد وعدم ملاءمة الظروف الحاضرة ، الى اجل غير مسمى[281] » . واسفر ذلك عن انحلال اللجنة التنفيذية تدريجيا ، وبالتالي عودة الاحزاب الى الظهور مرة اخرى .

2) زعامة الحاج امين الحسيني التي كانت تقوم على مهادنة السلطات البريطانية .

3) سياسة المندوب السامي واكهوب ، وهو الذي بذل جهودا فائقة في محاولة للتوفيق بين العرب واليهود .

المحادثات العربية اليهودية (1933 - 1934)

بدأت هذه المحادثات في صيف 1933 ، بتحريض من واكهوب ، بين

---

280 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص240، عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص287.

281 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص244 ـ 243، المقطم1934/8/10.

موسى العلمي[282] ، الذي كان يعمل مستشارا قضائيا في حكومة فلسطين في ذلك الوقت ، وبين دافيد بن غوريون . ففي اواخر يونيه 1933 ، اجتمع الاثنان في القدس ، وبعد المجاملات المعتادة عرض بن غوريون سؤاله : هل هناك اية امكانيات للتوصل الى تفاهم حول انشاء دولة يهودية في فلسطين[283] ، وان تضم هذه الى شرق الاردن ؟ فأجاب موسى العلمي متسائلا : ولماذا يوافق العرب على ذلك ، انكم قد تنجحون في هذا حتى اذا لم نوافق ، ولكن لماذا يترتب علينا ابداء موافقتنا على امر كهذا ؟ . فرد بن غوريون : اننا متفقون على تأييد انشاء فدرالية عربية في البلدان المجاورة ، وارتباط الدولة اليهودية بهذه الفدرالية ، بحيث انه اذا ما اصبح العرب في فلسطين اقلية في هذه المنطقة ، فانهم لن يكونوا في وضع اقلية تماما ، حيث انهم سيكونون مرتبطين بملايين العرب في البلدان المجاورة . وبعد تفكير اجاب موسى العلمي : ان من الممكن البحث في هذا العرض ، ولكن ما الذي يحدث في الوقت ذاته . فها هم الانجليز يعرضون انشاء مجلس تشريعي . والحقيقة ان كل هذه العروض ليست الا للتعمية ، اذ ستظل القوة في ايدي الانجليز ، والمنتخبون ـ سواء كانوا من العرب او من اليهود ـ يمكنهم ان يتكلموا فقط اما الحكومة فانها ستعمل ما تشاء . ولكن برغم كل ذلك يبدو ان العرب سيسيرون الى هذا المجلس ، حيث اننا لم نربح شيئا من رفضنا الاشتراك في المجلس الذي سبق عرضه منذ اثنتي عشرة سنة . وسأله بن غوريون « جوابا سلبيا مطلقا » ، اذ قال : ولماذا ؟ او ليس العرب هم اربعة اخماس سكان البلاد ؟ او ليسوا هم بابناء البلاد ؟ فلماذا يقومون بتساهل كهذا ؟ . فقال بن غوريون : انني افهم هذا الموقف . ولكن من الجائز ان يكون هناك عرض آخر فبدلا من هذا المجلس

---

282 ـ كان موسى العلمي يعمل في هذا الوقت بالاضافة الى منصبه في ادارة النائب العام ، احد سكرتيري المندوب السامي (واكهوب) الخصوصيين في المسائل العربية ، انظر: Furlong, G. Palestine is My Country, the Story of Musa Alami,London, 1969, p. 100

283 ـ يستعمل بن غوريون في مذكراته كلمة (ارض اسرائيل) بدل كلمة (فلسطين) .

الذي ليس له اية قوة فعلية ، قد نتقدم معا فنطالب بنصيب في السلطة التنفيذية . والانجليز طبعا غير متحمسين لاشتراكنا في الحكم . ولكن اذا اتفق اليهود والعرب فيما بينهم وطالبوا بهذا الامر ، فهل ترى العرب يوافقون على هذا ؟ فأجاب موسى العلمي قائلا : ان مشروعا كهذا يمكن ان يكون اساسا لمباحثات بين اليهود والعرب[284] . وانتهت المحادثات بينهما الى هذا الحد ، واختفى موسى العلمي عن الساحة العامة فترة من الوقت وذلك بعد مقتل ارلوزوروف في 16 يونيه 1933 ، اذ كان هو نفسه المدعي العام في هذه القضية .

فتحت المحادثات مرة اخرى في 18 يوليو 1934 ، بين عوني عبد الهادي وبين بن غوريون في القدس، وبعد حديث عن مشكلة بيع اراضي العرب لليهود ، والمضاربات التجارية التي اوجدها اليهود في البلاد ، ومعارضة عوني عبد الهادي لها ، عرض بن غوريون ما يلي : (ان هدفنا الاخير هو استقلال الشعب اليهودي في البلاد على كلا ضفتي الاردن ، وليس كأقلية بل كشعب مؤلف من ملايين كثيرة . ومن رأيي ان من الممكن ان يوجد في البلاد ، بما فيها شرق الاردن[285] ، في خلال اربعين سنة ، سكانا من اربعة ملايين يهودي ، وكذلك عربا من مليوني نسمة . ان هدف الشعب العربي هو النهوض ووحدة جميع الشعوب العربية وبلدانها . فاذا كان العرب يوافقون على عودتنا الى بلدنا ، فاننا سنساعد بنفوذنا السياسي وبعوننا المادي ومساعدتنا الادبية على نهوض الشعب العربي واتحاده » . فتحمس عوني عبد الهادي لما طرحه بن غوريون ، وقال : اننا اذا كنا بمساعدتكم سنحقق اتحادنا ، فانني اوافق لا على اربعة ملايين فحسب ، بل على خمسة ملايين وستة ملايين يهودي في فلسطين . . . انني سأسير مناديا في الشوارع وقائلا الى سائر معارفي ، سواء في البلاد او في سوريا او

---

284 ـ دافيد بن غوريون . المصدر السابق ص31 ـ 33، انظر ايضا Furlong, op. cit , pp. 102 - 3

285 ـ ترددت في الصحف العربية في فلسطين اخبار حول ضم شرقي الاردن الى فلسطين منذ ابريل 1934. انظر الجامعة الاسلامية1934/4/10::1934، 3 و 1934/6/4.

العراق وفي دمشق وبغداد ، ان اعطوا اليهود قدر ما يشاؤ ون على ان نحقق اتحادنا فقط .

وعندما هدأ حماس عوني عبد الهادي عاد الى نغمة التردد والتشكك فقال : ولكن من يضمن لنا ذلك ؟ فانكم بينما ستصبحون اربعة ملايين ، سنظل نحن مع الانجليز والفرنسيين ومع وعدك هذا . او هل تعتقد ان في امكاننا الاعتماد على وعودكم وتصريحاتكم ؟ فقال بن غوريون : اننا اذا توصلنا الى الاتفاق حول المبدأ فاننا سنبحث معا عن طريق عملي في كيفية تأمين لكل طرف شئون الثاني ، كما اننا لسنا الان اربعة ملايين . ان طريق تحقيق الصهيونية طريق طويل ، كما ان نهضة الشعب العربي لن تتأتى دفعة واحدة . فسأل عوني عبد الهادي عما اذا كان اليهود سيساعدون العرب في التخلص من فرنسا وانجلترا . وقال بن غوريون : علي ان اتكلم بصراحة في هذا الشأن ايضا . اننا لن نقاتل الانجليز حيث لنا ادعاءات تجاه حكومة الانتداب لا تقل عن مطالب العرب ، كما ان الانجليز ساعدونا ونحن نرغب في ان يساعدونا في المستقبل ايضا وانا ممن يخلص لاصدقائنا . ان بناء الاقتصاد العربي ورفع ثقافة وتعليم الشعب وتنمية البلدان ، تسبق التحرر السياسي وتمنحه ونرانا في هذا الواجب الايجابي على استعداد لان نقدم مساعدتنا الى الشعب العربي ، ولكن المسألة تتعلق فيما اذا كان العرب على استعداد لان يمكنونا من القيام بعمل هادىء ودون عرقلة في البلاد .

واستمرت هذه الجلسة ثلاث ساعات ، دون ان يتم الاتفاق فيها على اي شيء ، ويقول بن غوريون انه « في الحديث الذي جرى مع المندوب السامي ، الجنرال واكهوب ، يوم 30 يوليو 1934سردت عليه خلاصة الحديث الذي تم لي مع عوني ، ولمزيد دهشتي فانه طلب مني الاستمرار في هذه المحادثات (286) » .

وفتح بن غوريون ، بناء على توصية واكهوب ، المحادثات مع موسى

---

286 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص38 ـ 42 .

العلمي للمرة الثانية في 14 اغسطس 1934في القدس . وتكلم موسى العلمي عن المشاكل الاقتصادية الناجمة عن الهجرة اليهودية وبيع الاراضي ، وتناول بن غوريون الجانب السياسي . يقول بن غوريون « اما المشاكل السياسية فقد قسمتها الى قسمين : (1) الترتيب التأسيسي خلال فترة الانتقال ، (2) الترتيب النهائي . وقد اقترحت اشتراكا متساويا في فترة الانتقال بين اليهود والعرب في السلطة التنفيذية بالاشتراك مع البريطانيين والتوسع في الحكم المحلي الذاتي (في البلديات وفي القرى) . ولم ير العلمي صعوبة في هذا الترتيب . واما فيما يختص بالترتيب النهائي فقد اقترحت ان تكون فلسطين دولة مستقلة مرتبطة بفدرالية عربية » . وسأل موسى العلمي : من ذا الذي يضمن هذا الارتباط ؟ فنحن العرب لا نعتمد على الانجليز او على عصبة الامم ، اذ انهم خدعونا مرارا ، وانه بدون ضمان كاف لا يمكن الموافقة على هجرة يهودية . ولهذا اقترح الترتيب عكسيا ، بحيث يتم اولا انشاء الفدرالية ويكون من ضمنها حرية الهجرة حتى ليس الى فلسطين فقط . وهنا اوضح بن غوريون انه بالنسبة لليهود فان فلسطين فقط هي التي في الحساب كوطن لهم . اما فيما يتعلق بالضمانات فقد طلب من موسى العلمي تحديدها ، لانه لا يمكن لليهود تأجيل تجربتهم حتى تتم الفدرالية .

قال موسى العلمي انه بدون ضمانة موثوقة بشأن الفدرالية فان هذا الامر سيواجه صعوبة ، لان العرب انفسهم لا يفكرون في دولة واحدة . فهم يرون ان هناك ثلاث كتل هي : (أ) سوريا وفلسطين ، (ب) العراق وشرق الاردن (جـ) الحجاز واليمن . كما ان هناك مشاكل الاسر المالكة ، وكذلك فوارق ثقافية مما سيعرقل انشاء دولة عربية واحدة (حتى فيما لو لم يقم الاستعمار بعرقلة ذلك) . وانه بعد وفاة فيصل (سبتمبر 1933) لم تعد هناك شخصية عربية واحدة يمكن اعتبارها ممثلة للعرب . فالاسرة الهاشمية غير محترمة ، وابن سعود نجم صاعد ، ولكن ليست هناك ميول في سوريا للانضمام الى مملكة ابن سعود ، وان اكبر العقبات القائمة في سبيل وحدة

البلاد العربية هو احتلال فرنسا . ولذلك فانه يجب الا يتناول الحديث في الوقت الحاضر فيدرالية شاملة ، بل التحدث عن العراق وشرق الاردن وفلسطين ، اي جميع البلاد الواقعة تحت حكم بريطانيا فقط .

وردا على سؤال بن غوريون عن القوى العربية في فلسطين والتي يجب الاهتمام بمفاوضتها ، قال موسى العلمي ان هناك مجموعات ثلاث : (أ) الاستقلاليون : وهم قلة في البلاد ولا تأثير لهم باستثناء الشبان ، حيث ان زعماءهم لا يثق بهم الجمهور . (ب) والقوة الرئيسية في البلاد هي المفتي ، وهذا يرى فيه اليهود انه عدوهم الرئيسي ، ولكنه في الحقيقة لم يكن سيئا لهذه الدرجة . وان له تأثيرا مرجحا كما انه مقبول ايضا سواء من قبل العالم الاسلامي او من قبل العرب من خارج فلسطين . وان الاستقلاليين من خارج فلسطين لا يمكنهم ان يعملوا شيئا دون الرجوع الى رأي المفتي . كما ان المفتي يهتم بدوره برأي الاستقلاليين الذين من خارج فلسطين ، خاصة برأي احسان الجابري وشكيب ارسلان . (جـ) المعارضة : ورؤ ساؤ ها فاسدون ولا تأثير لهم ، وان لبعضهم فقط قيمة ما ، وهم لا يهتمون بالمسائل العامة بل بمصالحهم المحلية فقط . ثم اقترح موسى العلمي على بن غوريون الاجتماع بالمفتي ، وان من المفهوم في حد ذاته وجوب جعل هذه المقابلة سرية ، وانه ما دام الامر لم يخرج الى حيز التنفيذ ، ولم يتم توقيع اتفاق من قبل الجانبين ، فان كل امر يتم بينهما يعتبر كأنه لم يكن .

واكد بن غوريون لموسى العلمي ان كل امر يتم التحدث بشأنه معه او مع اي زعيم آخر سيظل سرا بينهما مؤ كدا ، وقال (انني اتكلم الان بصفة شخصية ، خاصة وانني لم اتباحث بعد مع زملائي بشأن هذه المسائل) . ثم اقترح تأجيل الاجتماع بالمفتي الى ان يلتقي مع زملائه في الخارج ، وان يتم الاجتماع اولا بزعماء الاستقلال (الجابري وشكيب ارسلان) في

سويسرا ، ثم يجتمع بالمفتي بعد عودته الى فلسطين[287] .

وبعد اسبوعين ، اي في 27 اغسطس 1934 ، اجتمع بن غوريون وموسى العلمي للمرة الثالثة في القدس . ويقول بن غوريون ان موسى العلمي (عرض على اسئلة لم تكن سهلة اطلاقا . السؤال الاول : اذا اصبح اليهود اكثرية في البلاد ، واصبحت فلسطين دولة خاصة ، من الذي يضمن مسجد عمر وهو اعظم المقدسات الاسلامية خارج الحجاز ؟ فوجهت اليه سؤالا عما اذا كان حقا يوجد عرب عقلاء يخشون من رغبتنا في اخذ مسجد عمر . فاجاب موسى العلمي بانه يوجد كثيرون ، وان لديهم اساسا لهذا الخوف وان المفتي من بين هؤلاء الخائفين ايضا . وان هناك بعض الوقائع والاثباتات التي تشهد على عزم اليهود اعادة بناء الهيكل في المكان القائم عليه مسجد عمر . او لم يخطب السير الفرد موند عن اعادة بناء الهيكل[288] ؟) . وبعد ان شرح بن غوريون الظروف التي خطب فيها السير الفرد موند ، وبين موقف بعض اليهود المتدينين ، قال « وليس هناك اي يهودي يخطر على باله النيل من مقدسات الشعوب الاخرى ، واذا احتاج الامر للتأكيد فانه سيصير تقديم كافة الضمانات اللازمة » .

سأل موسى العلمي بعد ذلك عما اذا كان بن غوريون يوافق على ان يكون العراق وشرق الاردن وفلسطين دولة واحدة ، فاجابه بالنفي ، لان (استقلال الشعب اليهودي لا يتم دون ان تكون فلسطين وحدة سياسية مستقلة ، اي يهودية » . ويضيف بن غوريون ان العلمي سأل (فيما اذا كنت اوافق على ان تكون هذه الدول الثلاث مرتبطة ببعضها ؟ فأجبت باننا نرغب ان يكونوا دولتين فقط ، دولة فلسطين وتشمل شرق الاردن ، ودولة العراق) . وبعد ان تكلم بن غوريون حول ضرورة فتح ابواب شرق الاردن للهجرة اليهودية ، وجه موسى العلمي سؤالا ثالثا : فيما اذا كان بن غوريون

---

287 ـ المصدر السابق ص54 - 59

288 ـ انظر قصة التصريح في : حقائق عن قضية فلسطين ، ص119. ـ 118

يوافق على تحديد الهجرة اليهودية خلال فترة العشر سنوات القادمة ، بحيث يضمن عدم ازدياد عدد اليهود بعد هذه السنوات العشر عن مليون نسمة . فأجابه بن غوريون بالنفي .

وبعد الحديث عن تعاون اقتصادي عربي يهودي في فلسطين والعراق وشرق الاردن ، قال بن غوريون : (سألت موسى العلمي عن كيفية تنفيذ الاتفاق ومن الذي سيوقع عليه من جانب العرب ، فأجاب : ان القضية ليست قضية فلسطينية فحسب ، انه في حدود فلسطين فقط لا يوجد حل للخلاف اليهودي العربي ، ولكن في نطاق عربي عام يمكن ايجاد حل . وانه في هذا البلد يجب الاتصال اولا بالمفتي . اما في خارج فلسطين فانه يجب الاتصال بجماعة الاستقلاليين . وانه اذا ما اتفق حول هذا الامر ، فستوجه الدعوة الى عقد مؤتمر عربي عام ، من سوريا وفلسطين والعراق والسعودية واليمن ، وينتخب المندوبون لجنة تنفيذية تقوم بتوقيع الاتفاق) . واخبر بن غوريون موسى العلمي بانه يعتزم السفر قريبا الى لندن ، وسينقل جميع هذه الامور الى زملائه . ومن لندن سيسافر الى جنيف ليلتقي بشكيب ارسلان واحسان الجابري . فأشار موسى العلمي الى انهم سيرجعون في ذلك الى رأي المفتي ، وانهم لن يعملوا شيئا ضده . وسأله حول ما اذا كان يرغب في ان يتحدث في ذلك الى المفتي ، فأجابه بن غوريون بان هذا امر مرغوب فيه كثيرا ، وحتى قبل سفره . فوعد موسى العلمي بالاجتماع بالمفتي ، ثم التوجه الى يافا لمقابلة بن غوريون . اما فيما يختص بالجابري وارسلان ، فقد وعد (اي موسى العلمي) بتزويده برسالة لهما ، الا ان بن غوريون طلب منه ان يكتب اليهما بمضمون حديثهما . .

اجتمع موسى العلمي بالمفتي ، ونقل اليه خلاصة حديثه مع بن غوريون . وكان رد المفتي كما يلي : « انه حتى الان لم يصدق بان هناك يهودا يرون ضرورة للتفاهم مع العرب ، وانه من جهته لا يعارض فقط اذا كان من الممكن تأمين المصالح الدينية والاقتصادية والسياسية لعرب فلسطين . وهو في الوقت الحاضر لا يمكنه ان يقوم باية خطوة . فالرأي العام

العربي بعيد جدا عن الاقتراح . وليس في استطاعة اي زعيم ان يعمل شيئا من وراء ظهور العرب . . . لذلك يجب تغيير الرأي العام وايجاد جو آخر كما يحتاج الى اصدار تصريح علني مؤثر » . وقال الحاج امين انه يتحتم على بن غوريون الاجتماع اولا مع الجابري وارسلان ، وبعد ذلك يجب الادلاء ببيان علني دون الحاجة للدخول في التفاصيل ودون الاشارة الى اية مفاوضات ، اذ ان الاحاديث يجب ان تبقى في سرية مطلقة .

وافق بن غوريون على رأي المفتي ، في اجتماع عقد في 31 اغسطس 1934 ، في منزل موسى العلمي بالقدس . ووضع الاثنان الخطوط العامة للتصريح وهي (ان مشكلة فلسطين ليست امرا خاصا بالعرب واليهود القاطنين فيها ، فهي من ناحية مشكلة الشعب اليهودي باجمعه ، وهي من ناحية اخرى مشكلة عربية عامة . وان تحقيق كافة اماني الشعب اليهودي في فلسطين لا تتضارب مع اماني الشعب العربي ، بل على العكس ، فان كلا من هذه الاماني يتمم الاخر . وان المساعدات المتبادلة بين الشعبين ستكون نعمة ، سواء لفلسطين او لسائر البلدان العربية)[289] .

كانت اخر جولة من المحادثات التي قام بها بن غوريون مع احسان الجابري وشكيب ارسلان ، في جنيف ، في 23 سبتمبر 1934 . يقول احسان الجابري[290] انه تلقى من موسى العلمي برقية تطلب اليهما مقابلة بن غوريون لامكان التفاهم معه ، وان بن غوريون قال « يجب ان اعلمكم على وجه اليقين ان بريطانيا مرتبطة باليهودية العالمية ارتباطا محكما لا تنفصم عراه . واذا تراءى لكم انها تلعب تارة على حبلين ، وتظهر لنا ولكم ذات وجهين ، انما الهدف من ذلك تحقيق الوطن القومي اليهودي ، رضاء او

---

289 ـ بن غوريون ، المصدر السابق ص68 ـ 61 ويقول بن غوريون ان المحادثات مع موسى العلمي انقطعت بعد ان عمد احسان الجابري وشكيب ارسلان الى نشر المحادثات في مجلة (الوطن العربي) انظر لقاءات ص 177

290 ـ في مقابلة اجراها الباحث معه في القاهرة في مساء18 نوفمبر 1970

كرها منكم . فهي تراوغكم ولكن لا تجسر ان تراوغنا . ان نوابنا في مجلس العموم ، ورجالنا في كل مكان هم لها بالمرصاد كلما ارادت الانحراف عن سياستها الاساسية لبعض مصالحها الطارئة ، يكشفون امرها ويفضحون سريرتها ، فتتراجع صاغرة . يكفي ان نذكركم كيف ان رئيس الوزارة مكدونالد انقلب على عقبيه ، وانكر الكتاب لابيض (اكتوبر 1930) المتضمن منع الهجرة بعد توقيعه بيده ، اثر شدة ضغطنا عليه ، وامثال هذا الحادث تتكرر عدة مرات . وقد تبين لكم ان 54 دولة تعضدنا في عصبة الامم (كان عدد الدول المنضمة 55 ، الا ان ايران لم تكن تؤيد اليهود) ، ولربما تمتنع بعض الاحيان دولة او دولتان عن التصويت ضدكم ، ولكن لا تجسر على ان تتظاهر ضدنا . لا تنخدعوا بمظاهرهم الودية ، ولا بتأميناتهم الخداعة . انتم متفرقون وضعفاء ومن المحال ان تجمعوا كلمتكم ، وان جمعتم فمن الصعب ان تنظموا صفوفكم . انتم اسرى في قبضة الدول الكبرى ، ولا حول لكم ولا طول حيالها . والدول العظمى هي معنا ، جيوشها وحرابها في خدمتنا ، فانتم مضطرون الى قبول مطالبنا » . ويضيف احسان الجابري بان بن غوريون قدم اليهما خريطة الوطن القومي التي تصل حدودها الى شمال المدينة المنورة ، كما عرض تأمين استقلال سوريا وتعميرها ، ومنح قروض للعراق بدون فائدة ، ومساعدة السعودية واليمن على التقدم . ولما وصل بن غوريون في كلامه الى هذا الحد ، لم يتحمل الامير شكيب ، فقال : هل سمعت في حياتك ان انسانا يمكن ان يبيع وطنه ؟ وطلب اليه الخروج . ويقول بن غوريون ان احسان الجابري اتخذ « موقفا اكثر اعتدالا » من شكيب ارسلان ، وانه رافقه « حتى محطة السكة الحديدية ، وفي الطريق قال لي بان هذه ليست الكلمة النهائية وان البحث سيستأنف[291] » .

لم تسفر المحادثات التي اجراها بن غوريون في عام 1934 مع بعض الزعامات العربية عن اي اتفاق ، ذلك ان الوكالة اليهودية ، منذ اغسطس

291 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص77.

1933 ، كانت قد اخبرت المندوب السامي ، واكهوب ، انها « تعارض كليا اي اصلاح دستوري في سبيل الحكم الذاتي في فلسطين[292] » . ومعنى ذلك انها رفضت اقامة مجلس تشريعي في البلاد ، في الوقت الذي كان العرب فيه ميالين الى انشاء المجلس ، الذي يمكن ان يمثل سكان البلاد جميعا ، بما فيهم اليهود ، حسب النسبة العددية . لكن المندوب السامي كان يميل الى تأييد وجهة النظر الصهيونية ، ولذلك قرر اجراء الانتخابات البلدية في عام 1934 بعد ان رفض اجراءها في موعدها المحدد وهو عام 1932 . وكانت نتيجة تلك الانتخابات « فوزا ساحقا للوطنيين على العناصر المعارضة (نجح حسين فخري الخالدي في القدس وسقط راغب النشاشيبي) رغم جميع الجهود التي بذلتها الحكومة ، وحافزا للشباب العاملين على تكتيل العناصر الوطنية المخلصة في هيئة واحدة او حزب واحدة ، يسود صفوفه التجانس والانسجام والتعاون ، تخلصا من الفوضى وعدم التنظيم في الحركة الوطنية ، ومن اللجنة التنفيذية التي ضمت عضويتها ـ نتيجة لسياسة المسايرة والترقيع ـ مجموعة عجيبة من المتناقضات والمفارقات . فبينما كان في عضويتها الوطني والمخلص والمجاهد والمستميت ، كان فيها ايضا الجاسوس والخائن والسمسار وبائع الارض » . ويضيف اميل الغوري « ونظرا لعدم اتفاق الكلمة على انتخاب رئيس جديد للجنة التنفيذية (بعد وفاة موسى كاظم في 26 مارس 1934) ، ولصعوبة ترميم كيان تلك المؤسسة وجعلها صالحة للعمل وقادرة على قيادة حركة النضال الجديدة ، ونتيجة لتفاقم الاختلافات الحزبية والداخلية ، وظهور عناصر جديدة من الزعماء تطمع في الظهور وترغب في حماية مصالحها وتحقيق اغراضها السياسية الخاصة ، رؤ ي ان يستغنى عن اللجنة التنفيذية ، وان ينتظم الوطنيون المخلصون (يقصد الكتلة الحسينية) في جهاز سياسي يسوده الانسجام والتفاهم والتعاون الصحيح . وبينما كان الوطنيون يتداولون فيما بينهم لتنظيم ذلك الجهاز ، اخذت سائر الجماعات

---

292 ـ Sykes, op. cit., p 177

والشخصيات من معارضة (كتلة النشاشيبية) وغيرها ، تعمل على تشكيل احزاب خاصة بها ينتظم فيها رجالها[293] » .

حزب الدفاع الوطني

كان سقوط راغب النشاشيبي في انتخابات بلدية القدس ، وبالتالي الاخلال بالتوازن الحسيني ـ النشاشيبي ، الذي وضع منذ عام 1920 ، عاملا اساسيا في ظهور (حزب الدفاع الوطني) . ويقول دروزة عن تلك الانتخابات « وقد اعتزم المجلسيون (الكتلة الحسينية) زحزحة راغب النشاشيبي عن كرسي البلدية مهما كلف الامر ، وتفاهموا على هذا مع الدكتور حسين الخالدي وجماعته الذين كانوا الى ذلك الوقت مع المعارضين (الكتلة النشاشيبية) ، بل من اشدهم في المعارضة لرئيس المجلس (الحاج امين) ، واكثرهم انتقادا لتصرفاته . فتألفت جبهة انتخابية قوية انتصرت على جبهة راغب ، وعين الدكتور (الخالدي) رئيسا للبلدية . وقد بذل المفتي وانصاره جهودا كبيرة في هذه المعركة كان النجاح من نتائجها[294] » .

سبق اعلان تأسيس الحزب اجتماع عقدته الكتلة الناشيبية في يافا ، يوم الاثنين 15 اكتوبر 1934 ، في منزل عاصم السعيد[295] . والقى عمر البيطار كلمة قال فيها ان « البلاد تتجه في سياستها اليوم اتجاها جديدا ، ولا بد من اخذ رأي المفكرين وزعماء البلاد واصحاب المصالح الحقيقية منها امثال حضراتكم ، والسير في خطة جديدة تطابق مصالح الوطن المقدس في هذا الاتجاه الجديد . وحيث ان الحزبية او المعارضة في فلسطين ليست ذات برنامج عملي ، دعوناكم اليوم لنستشيركم في كيفية اعادة العمل على اساس عملي منظم » . وقد تقرر في هذا الاجتماع طرد حسين الخالدي من

---

293 ـ اميل الغوري : المؤامرة ص75. ـ 74

294 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص117

295 ـ المقطم 1934/10/17.

الكتلة النشاشيبية ، وتجديد الثقة براغب النشاشيبي ، وتم تشكيل لجنة تحضيرية لتأليف الحزب من راغب النشاشيبي رئيسا ، مغنم مغنم سكرتيرا ، وعمر البيطار ، نمر النابلسي عبد الرحمن التاجي الفاروقي ، يعقوب فراج ، عيسى العيسى (صاحب جريدة فلسطين لسان حال الحزب) ، عادل الشوا ، توفيق طهبوب ، عبد اللطيف ابو هنطش ، توفيق حقي ، طالب عبد المجيد ، عبد الرحمن العزة ، وسعيد ابو غوش اعضاء . وقد وصفتهم جريدة فلسطين في 26 مارس 1935بقولها انهم كانوا « فريقا متجانسا من اغنى الشخصيات في البلاد » .

ويعد ان طافت لجنة الحزب التحضيرية مدن فلسطين عقدت اجتماعا آخر في القدس في يوم الاحد ، الثاني من ديسمبر 1934 . وقد حضر هذا الاجتماع اكثر من 500 شخص . وبعد ان تكلم عدد من الحاضرين ، طلب حلمي الفتياني (من نابلس) من الحضور « القسم على الامتناع عن السمسرة ، وعفا الله عما مضى » ، فاقسم الحاضرون اليمين التي وضعها محي الدين عبد الشافي عضو المجلس الاسلامي الاعلى[296] . وانتخب راغب النشاشيبي رئيسا ، اما هيئة الحزب المركزية فتكونت من : نمر النابلسي (امين صندوق) ، مغنم مغنم وحسن صدقي الدجاني (سكرتيرين) ، يعقوب فراج ، عبد الرحمن التاجي الفاروقي ، عمر البيطار ، عاصم السعيد ، سليمان طوقان ، الشيخ مصطفى الخيري ، عادل الشوا ، عيسى داود العيسى اعضاء[297] .

كان راغب النشاشيبي ، ومعظم اعضاء هيئة الحزب المركزية من رؤساء البلديات ، او من اصحاب (المصالح الحقيقية) على حد زعمهم ، ولذلك لم يكن غريبا ان يطلق عليه الشعب اسم (حزب البلديات) . اما برنامج الحزب فقد قام على « (1) السعي لاستقلال فلسطين استقلالا

---

296 ـ المقطم 1934/12/5

297 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص244.

يكفل لها السيادة العربية ، وعدم الاعتراف باية تعهدات دولية تؤدي الى اي سيطرة اجنبية او نفوذ خارجي ، او وضع سياسي او اداري يمس ذلك الاستقلال . (2) تأمينا للوصول الى الغاية المنوه عنها فيما تقدم ، يسعى الحزب ، بجميع الطرق الممكنة ، لتأليف حكومة وطنية في البلاد تتفق مع رغبات الشعب العربي في فلسطين ، وتستمد قوتها من ارادته . (3) السعي لتقدم البلاد اقتصاديا وعلميا واجتماعيا وزراعيا ، وتحسين حالة الفلاح والعامل العربيين وترقية شئونهما[298] » . ويلاحظ على برنامج الحزب انه برنامج (فضفاض) ، واكبر من ان يقوم مؤسسو الحزب بتحقيق اي هدف من اهدافه ، وذلك لارتباطاتهم المشبوهة مع الاستعمار البريطاني ، ولكونهم اصحاب مصالح حقيقية مع سلطات الاحتلال .

اشتداد المعارك حول الارض

كتب السكاكيني في يومياته ، الخميس 10 يناير 1935 ، ، ما يلي « الحالة في البلاد تدعو الى القلق ، فان ابواب المهاجرة المشروعة وغير المشروعة كما يقولون ، مفتوحة على مداها وكل يوم قذفنا البحر بالوف المهاجرين ، وان الاقبال على شراء الاراضي في السهل والجبل عظيم[299] » . ولواقع ان الهجرة اليهودية المتزايدة احدثت ضغوطا اضافية على المؤسسات الصهيونية لشراء المزيد من الاراضي لاستيطان المهاجرين الجدد من اليهود . ففي تقرير قدمه واكهوب الى وزير المستعمرات ، كنليف ليستر ، مؤرخ في 6 مارس 1935 ، ذكر انه في عام 1933 بلغ عدد صفقات بيع الاراضي 673 صفقة ، معظمها صفقات اراضي باعها العرب لليهود . وبلغ عدد الصفقات التي لم تزد مساحة ارض الصفقة الواحدة منها على 100 دونم نحو 606 صفقات . وفي عام 1934 ، ازداد عدد الصفقات المعقودة ، فبلغ 1178 صفقة ، بينها ما لا يقل عن 1116 صفقة تقل مساحة الارض المباعة في

298 ـ المقطم 1934/12/5.

299 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص267

كل منها عن 100 دونم[300] . ومعنى هذا بطبيعة الحال ترك الاف الاسر الفلاحية بلا مورد اساسي للرزق ، لان عملية البيع كانت تعني طردهم من الارض . وفي محاولة للحد من عملية السمسرة والبيع ، تشكلت في فلسطين (الجمعية السرية العربية لمقاومة السمسرة) بقصد اغتيال السماسرة والتنكيل بهم بعد فشل النصح والتهديد معهم . لكن هذه الجمعية لم تتسع اعمالها لظروف خاصة. واخذ الفلاحون في التصدي للقوات البريطانية التي كانت تقوم بعملية طردهم من الاراضي وتسليمها الى اليهود . ففي 30 يناير 1935 ، قام 43من افراد القوات العسكرية البريطانية بطرد عرب الزبيدات ، الذين يقيمون في منطقة الحارثية بالقرب من حيفا ، وتسليم الارض الى (الشركة الفلسطينية لاستصلاح الاراضي) وهي شركة يهودية . واضاف كنليف ليستر وهو يلقي بيانه في مجلس العموم في 26 فبراير 1935 ، حول القضية ، فقال ان العرب قاوموا القوات « بالحجارة » ، الا ان قائد الفرقة « امر باطلاق النار ، وقتل عربي ، وتم طرد العرب من الارض وتسليمها للشركة[301] » . واصدرت حكومة فلسطين في مساء 30 يناير البلاغ التالي « بينما كان مأمور الاجراء والبوليس يقومون بتسليم بعض الاراضي لليهود في الحارثية ، هاجمهم العرب ورموهم بالحجارة ، فاضطر البوليس لاطلاق النار ، واصيب عربي (وهو سعد محمد العلي) في فخذه ، وتوفي قبل ان ينقل الى المستشفى[302] » . لكن البلاغ البريطاني اغفل اصابة سبعة من البوليس البريطاني وخمسة من البوليس الفلسطيني بجراح نتيجة قذفهم « بالحجارة العربية » .

في الوقت الذي كانت فيه احوال البلاد تسير نحو التدهور ، بزيادة الهجرة اليهودية وبالتالي تضخم البطالة بين العمال ، وازدياد عدد الفلاحين

300ـ عبد الوهاب الكيابي المصدر السابق ص290.

301ـ P D. vol. 298, cols. 966 - 8 Report 1935, p. 5

302ـ المقطم 1935/2/1.

المطرودين من اراضيهم ، عقد الحاج امين الحسيني « مؤتمر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » في 24 يناير 1935في القدس . وقد حضر المؤتمر نحو 400 رجل من رجال الدين المسلمين . واكتفى الحاج امين بالقاء خطاب في المؤتمر ، هدد فيه باتخاذ (اجراءات دينية) ضد الذين يبيعون اراضيهم او الذين يقومون بعمليات السمسرة[303] .

واستمر المفتي متمسكا ، في علاقاته بالبريطانيين ، بالتزام المواقف الودية . وفي معرض الرد على الاتهامات التي وجهها حزب الدفاع الوطني الى المفتي بانه يتآمر مع الايطاليين ، كتب واكهوب في ابريل 1935 ، تقريرا الى وزير المستعمرات جاء فيه « لم الحظ تغييرا في موقف الحاج امين من الحكومة ، فان موقفه الان ، كما كان طيلة العامين الماضيين هو بالتأكيد موقف ودي ، ولا سيما بالنسبة لي شخصيا كما تعرفون ذلك . على ان ما يقض مضجعه هو الخوف من ان يفقد نفوذه بسبب هذا الموقف ، ولكنني لا اجد دلائل تشير الى تضاؤل نفوذه او انتهاجه موقفا عدائيا من الحكومة[304] » .

علاقة المفتي (وشكيب ارسلان واحسان الجابري) بايطاليا (1922 - 1935)

والواقع ان تقرير المندوب السامي في ابريل 1935 ، كان ردا على ما نشرته جريدتا فلسطين والجامعة الاسلامية ، حول علاقة المفتي وشكيب ارسلان بايطاليا . فقد نشرتا صورة فوتوغرافية لرسالة مؤرخة في 20 فبراير 1935 [305] ، موجهة من شكيب ارسلان الى الحاج امين الحسيني ، يخبره فيها بانه « تم الاتفاق على المبادرة في بث الدعاية لايطاليا في البلاد العربية باسرع ما يمكن ، اذ ان الرجل (موسوليني) قال انه يخشى من حرب عاملية ، واذا لم تكن الاسباب متوفرة حتى الان ، فان الفائدة التي نتوخاها تضيع » . كما نقل اليه انه قام بالتمهيدات اللازمة في مجلة La Nation

303 ـ انظر الخطاب في الفتح ـ431 - 26، شوال1353 هـ (1935/1/30)

304 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص291

305 ـ الملحق رقم43.

Arabe،وهي مجلة الوفد السوري الفلسطيني التي تصدر في جنيف وان من رأيه انتهاز فرصة خلاف الحبشة معهم (اي مع الايطاليين) وان نظهر مساوىء الاحباش للمسلمين » . ومما يجدر ذكره ان الامير شكيب ارسلان ارسل من جنيف برقية مؤرخة في 24 ابريل 1935 ، الى جريدة (المقطم)[306] ، ينفي فيها صحة تلك الرسالة ، وهدد برفع قضية ضد جريدة (الجامعة الاسلامية) كما اعتبر المسألة كلها تزوير لا اصل له[307] . وبعث احسان الجابري برسالة مؤرخة في 17 ابريل 1935من الحمة (على بحيرة طبرية) الى جريدة (فلسطين) ينفي فيها صحة الرسالة ايضا[308] .

حمل الباحث الرسالة الى السيد احسان الجابري (ذلك ان اسمه وارد فيها) في مساء 13 سبتمبر 1971 ، وقرأها عليه ، بعد ان اخفى اسم المرسل واسم المرسل اليه ، واذا به يقول : « هذه رسالة الامير شكيب الى المفتي ، وهي صحيحة » . واضاف ان الامير شكيب « اخبره بما تم من الاتفاق بينه وبين موسوليني لاشعال ثورة في فلسطين ضد بريطانيا ، وبيان مقدار الاسلحة والاموال التي يمكن تقديمها وكذلك بيان الهيئات التي يمكن ان تساعد في هذا العمل » . يضاف الى هذا ان محب الدين الخطيب واسعد داغر ، وهما من جماعة الاستقلاليين ومن رفاق واصدقاء ارسلان والجابري ، « لا ينفيان اطلاقا ان تكون الرسالة صحيحة[309] » .

ان علاقة شكيب ارسلان بموسوليني بدأت منذ اواخر عام 1921 ، وقبل ان يصل الى الحكم في ايطاليا . وتوطدت العلاقة بينهما بعد توليه الحكم . يؤكد هذا شكيب ارسلان نفسه في مقال مؤرخ في 14 اكتوبر 1923 ، من جنيف،ومنشور في (السياسة) بتاريخ 26 اكتوبر 1923 . يقول شكيب ان الوفد السوري اختلف « الى ايطاليا لاقناعها بعدم تصديق

306 ـ المقطم 1935/4/25

307 ـ شكيب ارسلان : السيد رشيد رضا ص663.

308 ـ المقطم 1935/4/30

309 ـ انظر شكيب ارسلان المصدر السابق ص783 ـ 782

الانتداب » الفرنسي على سوريا ، وانهم حصلوا على تأييد كل الاحزاب الايطالية .ويضيف « وكان اسرعهم اجابة واشدهم انتصارا لقضية سوريا وفلسطين هو موسوليني، وله في جريدته (بوبولو ديتاليا) تحت امضائه المقالات الافتتاحية الرنانة في ذلك[أ]، ولم يكن ذلك منذ عهد بعيد ، بل في صيف العام المنصرم (1922) قبل وصوله الى (حكم) ايطاليا باشهر قلائل » . واستمرت علاقات التفاهم والتعاون بينهما حتى الحرب العالمية الثانية . ويعلق شكيب ارسلان على رسالة للسيد محمد رشيد رضا مؤرخة في 24 مارس 1932بقوله عن علاقته بايطاليا : « وما كنت في التفاهم الذي وقع بيني وبين زعيم ايطاليا الا متوخيا للسياسة العملية التي لا يوجد امام العاقل غيرها عند فقد اسباب المقاومة بالقوة الحربية[310] » . ويقول في مكان اخر من كتابه عن السيد رشيد رضا : « واننا نقدر ان نصرح وضميرنا مستريح بان الذي نلناه بحسن التفاهم مع موسوليني ، سواء في معاملة ايطاليا للطرابلسيين او لمسلمي الحبشة ، لم ينله احد قبلنا من الشرقيين من دولة اوروبية[311] » . ونشرت مجلة (الفتح) ع 433 في 10ذي القعدة 1353 هـ ، رسالة لشكيب ارسلان من جنيف مؤرخة في 21 يناير 1935 ، اي قبل شهر واحد فقط من رسالته الشهيرة ، بعنوان « ما تفاهمنا مع ايطاليا الا لاجل تخفيف ويلات المسلمين »[ب].

لم تكن علاقة الحاج امين الحسيني بايطاليا علاقة مباشرة ، بل كان

---

310 ـ شكيب ارسلان : المصدر السابق ص 644هذا موقف استسلامي من شكيب ارسلان وكان الاحدر به الا يعرصه او يوافق عليه

311 ـ المصدر السابق ص 746 نسي شكيب ارسلان فظائع الطليان في ليبيا، من قتل ونفي واعتقال وتشريد، بالاصافة الى قمع حركة الجهاد العربي الليبي. كما نسي ايصا ان الطليان هم الذين اعدموا شيخ الشهداء عمر المختار في 16 سبتمبر 1931.

أ ـ لم تكن هذه المقالات دفاعاً عن الشعب العربي في سوريا وفلسطين ، بل محاولة من الحزب الفاشستي الايطالي للاشتراك في المخطط الاستعماري البريطاني الفرنسي في المشرق

ب ـ في الفترة التي نشر فيها شكيب ارسلان هذا المقال كانت تتم في ليبيا عملية غزو استيطاني ، لا شبيه لها الا ما كان يقوم به الصهاينة في فلسطين .

يتولاها احسان الجابري وشكيب ارسلان . وفي مقابلة اجراها الباحث مع السيد احسان الجابري بالقاهرة في مساء 17 فبراير 1972 ، تكلم السيد احسان الجابري عن هذه العلاقة فقال : بعد عقد المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف (25 اغسطس 1921) ، غادر احسان الجابري وسليمان كنعان والامير شكيب جنيف الى روما لطلب مساعدة ايطاليا في القضية العربية . وبعد ان قابل عدة شخصيات ايطالية قيل له انه لا بد من مقابلة موسوليني، وكان موسوليني عضوا في البرلمان وله 7 نواب فيه ، وكان في سبيل تكوين الحزب الفاشستي . تقابل احسان وموسوليني في اوتيل سافويا ، وشرح له احسان انهم يطلبون عونه من اجل القضية العربية . ثم تكلم موسوليني عن العالم العربي بدقة وقال انه ضد الاستعمار الانجليزي والفرنسي في العالم العربي . ثم خرج احسان من عند موسوليني ، وقابل مدير مكتبه ، الذي اخبره ان موسوليني في سبيل تأسيس الحزب الفاشستي ، وانه في حاجة الى العون المادي ، وانهم سوف يرون اثر هذا العون في الهجوم على الاستعمار الانجليزي والفرنسي في العالم العربي ، ثم طلب المدير مبلغ 30 الف جنيه استرليني كعون مالي . وذكر احسان انه سافر الى سويسرا لمقابلة حبيب لطف الله ، الذي كان يقيم في احد مصايفها ، وعرض عليه مسألة المقابلة مع موسوليني ومدير مكتبه ، فرحب حبيب لطف الله بالفكرة ، واستعد لتقديم العون ، الا انه اعتذر لعدم وجود نقود لديه ، وان اخاه جورج (لطف الله) موجود في جنيف ، وانه لا بد من الذهاب اليه . وبالفعل سافر احسان وشكيب وسليمان وحبيب لطف الله الى جنيف ، واذا بجورج لطف‌الله كان قد سافر قبل يوم واحد الى القاهرة .

وتم بحث الأمر بين اربعتهم . فقال شكيب انه يتبرع بمبلغ 500 جنيه ، وعرض احسان التبرع بمبلغ 3500 جنيه [312] ، وهكذا تم جمع 4 الاف جنيه . وعاد احسان الى روما لتقديم المبلغ الى موسوليني فقيل له انه

312 ـ اكد احسان الحابري للباحث اكثر من مرة ، انه عندما حرج من استانبول عام , 1918 (وكان يعمل سكرتيرا ثالثا للسلطان محمد رشاد الخامس) ، كان يملك محو 85 الف ليرة ذهبية

في ميلانو . فذهب الى ميلانو وقابل موسوليني وابدى له عذره في قلة المبلغ ، الا ان موسوليني شكره وطلب تسليم المبلغ الى اخيه . وبالفعل ذهب احسان الى ارنالدو (أخي موسوليني) ، وسلمه المبلغ ، ووعده ارنالدو خيرا . ويقول احسان ان (صحيفة الشعب) الناطقة بلسان الحزب الفاشستي ، كانت تكتب مقالا في كل يوم اثنين ويوم خميس ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي في العالم العربي ، وان هذا الوضع استمر حتى عام 1935.

ويتابع احسان الجابري الحديث فيقول : ولما وصل خبر عقد مؤتمر لوزان [313] الى احسان الجابري (اكتوبر 1922) قرر الذهاب الى استانبول لمقابلة رشدي آراس وزير خارجية تركيا ، للعمل معه في المؤتمر . وفي البندقية ، حيث نزل احسان ، بلغه خبر تولي موسوليني الحكم (30 اكتوبر 1922) ، فأبرق له يهنئه ، ورد عليه موسوليني يشكره بسرعة غريبة .

وشرح احسان الجابري قصة العلاقة التي اوجدها بين الحاج امين الحسيني وبين موسوليني فقال : بعد وفاة موسى كاظم (26مارس 1934) وتولي الحاج امين قيادة الحركة الوطنية ، وكان الوفد السوري الفلسطيني يتولى منذ المؤتمر الأول في جنيف في صيف عام 1921 ، عرض القضية الفلسطينية والدفاع عنها بتوكيل مكتوب ، تولى كذلك في عام 1934 الدفاع عن القضية الفلسطينية بتوكيل مكتوب آخر (من الحاج امين) . ووصل الى الوفد السوري الفلسطيني جواب من فلسطين بمقابلة موسوليني . قصد احسان روما وقابل موسوليني . وفي هذه المقابلة تحدث موسوليني عن استعداده لمد الحركة الوطنية في فلسطين بالمال والعتاد والذخائر في سبيل تجهيز ثورة في فلسطين ضد الاستعمار البريطاني ، ووافق احسان على هذا الامر . وطلب موسوليني من احسان السفر الى القدس والاتصال بقيادة الحركة الوطنية (اي الحاج امين) . وبالفعل جاء احسان الى القدس وقابل

313ـ افتتح المؤتمر في 20 نوفمبر . 1922

الحاج امين . ويقول احسان ان الحاج امين ارسل في طلب فوزي القاوقجي من العراق . وكتب القاوقجي قائمة بالاسلحة والمعدات المطلوبة . وعاد احسان الى روما وقابل موسوليني مرة اخرى . واعطاه موسوليني في المرتين 16 الف جنيه استرليني . ويقول احسان انه سلم الحاج امين 7 آلاف جنيه ، وشكيب ارسلان ثلاثة آلاف ، والسيد رشيد رضا الف جنيه . (وأمتنع عن ذكر باقي الاسماء) . وبالنسبة للاسلحة قال احسان انه تم توريد قسم كبير منها الى فلسطين وذلك عن طريق قنصل ايطاليا في القدس[314] .

اسفر نشر رسالة 20 فبراير 1935 عن ازدياد التناحر بين الكتلة الحسينية وحزب الدفاع هذا في الوقت الذي صرح فيه كنليف ليستر في 5 مارس 1935 بان « معارضة العرب للهجرة اليهودية وشراء اليهود للاراضي انتشرت بشكل واسع،وظهرت واضحة في الصحف العربية الفلسطينية[315] » . كذلك فان النداء الذي وجهه (الاتحاد النسائي الفلسطيني) في اواخر مارس 1935 الى الحسينية والنشاشيبية ، والذي جاء في مقدمته « نحن فريقا من نساء هذه الامة المنكوبة بزعمائها وبالاستعمارين الانجليزي والصهيوني ، قررنا في اجتماعنا الاخير المعقود في حيفا ، ان نوجه اليكم هذا النداء ، وان ندعوكم الى تناسي خلافاتكم والعمل متعاونين لنجاة الوطن وانقاذ المستقبل ، او نلقي عليكم تبعة هلاكنا وخراب الوطن[316] » ، لم يسفر هذا النداء عن شيء جديد ، ذلك ان المصالح الذاتية طغت على مصلحة الوطن الحقيقية ، ولان آل الحسيني كانوا يسعون لتأسيس حزب سياسي جديد يقف امام حزب الدفاع .

---

314 ـ كان احسان الجابري موجودا في الحمة (على بحيرة طبريه) في ابريل 1935 ، وظل في البلاد حتى اواخر يوليو 1935 انظر المقطم 4/20 - 1935/7/20 .

315 ـ P D . Vol 298, COLS 1758 - 9

316 ـ المقطم 1935/3/31 .

الحزب العربي الفلسطيني

دعا جمال الحسيني ، الذي رفع شعار (لا فوز الا بالموز)[317] في اوائل الثلاثينات ، الى اول اجتماع لرجال الحاج امين في يوم السبت 16 فبراير 1935 ، في كلية روضة المعارف بالقدس . ويبدو ان كثيرا من المدعوين لم يحضر ولذلك لم يصدر عن الاجتماع اي قرار . وفي 24 مارس ادلى جمال الحسيني بحديث للصحف حول الحزب الجديد ، مشيرا الى قرار اللجنة التنفيذية الصادر في 17 اغسطس 1934 ، والذي اعيد نشره في 16 ديسمبر 1934 ، الخاص بدعوة الكتل المختلفة الى تأسيس « احزاب وجماعات سياسية منظمة ، ببرامج واضحة وقواعد صالحة لخدمة البلاد طبقا لتلك المناهج الوطنية مما يجدد الحركة الوطنية وينشطها ، على ان تترك اللجنة التنفيذية لهذه الفئات مدة ستة اشهر لتنظيم كيانها على هذا الاسس[318] » . وقال جمال الحسيني انه « تنفيذا لهذا القرار عقد بعض الاخوان المتجانسين في المبدأ والاساليب الوطنية ، عدة اجتماعات ، وضعوا فيها مشروع تأسيس حزب يضم اخوانهم في العقيدة والاسلوب ، كي يتمكنوا من تنظيم عملهم حسب الطرق والانظمة القويمة التي تقتضيها عقائدهم ومبادئهم الوطنية » . وفي 27 مارس ، اجتمع الاعضاء المؤسسون واختاروا جمال الحسيني رئيسا للحزب . واما مكتب الحزب فتكون من : جمال الحسيني ، الفرد روك ، فريد العنبتاوي ، ابراهيم درويش ، الشيخ محمد علي الجعبري ، يوسف ضيا الدجاني[319] . ثم اصدر (الحزب العربي الفلسطيني) بيانا جاء فيه « لقد تحققت رغبة الامة في استئناف الجهاد بنظام سياسي جديد ، يكفل لها الجد في العمل والاستمرار فيه ، ويحشد للدفاع عن كيانها المهدد بالزوال جميع قواها ، وينظم اعمالها ، ويستثمر

---

317 ـ مقابلة الباحث مع السيد احمد الشقيري في 12 اكتوبر 1971 بالقاهرة ، وقد رفع جمال الحسيني هذا الشعار لانه كان يقوم بزراعة مساحات واسعة من الارض بالموز في اريحا

318 ـ المقطم 1935/4/1 .

319 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 245

للصالح العام جهودها ، فتألف الحزب العربي الفلسطيني بتأييد جماعي من المؤتمر الوطني الكبير المنعقد في القدس في 27 آذار (مارس 1935) ، على المبادىء القويمة التي وضعتها الامة نصب عينيها منذ بدء جهادها القومي ، وهي العمل لاستقلال البلاد ضمن الوحدة العربية ورفع الانتداب ودفع الخطر الصهيوني[320] » .

يرى اميل الغوري ، احد رجال الحاج امين الحسيني المخلصين ، ان الحزب العربي تأسس « للقيام بعبء الجهاد والحركة الوطنية » ، ويضيف الى ذلك قوله « وقد رؤي ـ تقديرا لاعتبارات لا تخفى على اهل فلسطين ـ ان تسند الرئاسة الى السيد جمال الحسيني . وكان الحزب العربي الفلسطيني حزب الاكثرية الساحقة ، وقد اعترفت بذلك رسميا حكومة الانتداب في تقريرها المرفوع الى لجنة الانتدابات عام 1936 . وكان الحزب العربي يعرف عند الجميع بحزب المفتي والحقيقة ان اكثرية الفلسطينيين الساحقة التفت حول هذا الحزب على اساس هذا الاعتبار[321] » . وفي الواقع كان الحزب العربي اقرب الاحزاب جميعا الى الشعب ، كما كان « كثير العدد والفروع[322] » ، وبذل جهودا خاصة لانشاء (فرق الفتوة) في كافة انحاء البلاد[323] .

وفي 24 ابريل 1935 ، نشر الحزب قانونه ونظامه الداخلي[324] . وتركزت (غايات الحزب) حول « فلسطين ورفع الانتداب » ، و « المحافظة على عروبة فلسطين ومقاومة تأسيس وطن قومي يهودي » . واعلن عن اهتمامه بتحسين « حالة الامة العربية في فلسطين اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا » . وخلافا لحزب الدفاع اصر الحزب العربي

320 ـ انظر ناجي علوش : المصدر السابق ص 92 - 93

321 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 75

322 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 118 ، المقطم 1935/7/20 .

323 ـ المقطم 1935/9/26 .

324 ـ انظر وثائق المقاومة ص 359 - 368

على « ارتباط فلسطين بالاقطار العربية في وحدة قومية سياسية مستقلة استقلالا تاما » .

وبدأ الحزب نشاطه منذ مايو 1935 ، فقدم مذكرة الى المندوب السامي حول الفلاحين الفلسطينيين وحاجتهم الى الارض[325] . واتبعها بمذكرة اخرى الى البرلمان البريطاني ختمها بما يلي « ان فلسطين تغمر بسرعة زائدة بسيل من الهجرة اليهودية غير الاقتصادية وغير المعقولة ، ومن وجهة الانتداب غير القانونية ، وهذا سيؤدي حتما الى اخراج العرب اصحاب البلاد من بلادهم ،، ويسهل هذا الخروج حل رابطة الزراع بالاراضي بانتقالها لليهود وباخراج العرب منها[326] » . وقدم مذكرة ثالثة الى الملك جورج الخامس ، مؤكدا فيها ان « عرب فلسطين ، مسلمين ومسيحيين يشعرون ويرون ويتحققون ان السياسة الصهيونية التي تتبعها حكومة جلالتكم ، تدفع بهم كل يوم الى حلقة الانحلال القومي والتشتيت والامحاء النهائي » ، وانهم « في نضالهم للبقاء ضد القوى الهائلة المتألبة عليهم ، والتي تزيد على قواهم اضعافا مضاعفة . . . ينظرون اليكم كملجئهم الاخير للانصاف والعدل[327] » . وفي مذكرته الى لجنة الانتدابات الدائمة ، شرح الحزب مؤسسات الحكم الذاتي وشكل الحكم المحلي ، وتكلم عن المعارف والهجرة اليهودية والاراضي ، وختمها بقوله « تحت هذا الضغط الناتج عن السياسة الحاضرة ، يرى عرب فلسطين يرغمون على النزوح عن بلادهم ، ولا دواء لذلك الا العلاج السياسي وهو الرجوع الى المبدأ السامي في تقرير المصير[328] » .

مؤتمر الشباب الثاني (مايو 1935)

ودخل يعقوب الغصين حلبة الصراع السياسي والحزبي ، فدعا

---

325 ـ Report 1935 , PP 16 - 7

326 ـ الفتح ـ 445ـ 1935/5/16

327 ـ الفتح ـ 446 ـ 1935/5/23

328 ـ الفتح ـ 447 ـ 1935/5/30 ، المقطم 1935/5/29 .

باعتباره رئيس اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب ، الى عقد المؤتمر الثاني للشباب في حيفا في 10 مايو 1935 . وتعرض المؤتمر لبحث : (المسائل الوطنية) و (بيوع الاراضي) و (المعارف والتعليم القومي) و (الصحة العامة) و (مسائل العمال) ، ونادى بمكافحة « الاستعمارين الانكليزي واليهودي » ، والعمل « للوحدة العربية » ، واتخذ اول يوليو « من كل عام عيدا قوميا ، تجمع فيه الاموال للمشاريع القومية ويخصص لذلك صندوق يدعى (صندوق الشباب)[329] » . وانبثق عن المؤتمر (لجنة مؤتمر الشباب) برياسة يعقوب الغصين ، وكان الدافع لها « بواعث وسياسة شخصية[330] » .

حزبا الاصلاح والكتلة الوطنية

ونشأ خلال عام 1935 ايضا حزبان آخران ففي 18يونيه 1935 ظهر (حزب الاصلاح) ، الذيكان تعبيرا عن زعامة اسرتي الخالدي والبديري . ولم يكن له رئيس بالاسم لكن الرئيس الفعلي كان الدكتور حسين فخري الخالدي ، رئيس بلدية القدس . وكان للحزب ثلاثة سكرتيريين هم : محمود ابو خضرة وشبلي الجمل والدكتور الخالدي . اما اللجنة التنفيذية للحزب فتألفت من : محمود ابو خضرة ، حسين الخالدي ، شبلي الجمل ، اسحق البديري ، فهمي الحسيني ، الدكتور سعد الله قسيس ، حسني خليفه ، الحاج نمر حماد ، المحامي جورج صلاح ، ابراهيم حقي التاجي الفاروقي ، عيسى البندك ، حامد عمر ، والدكتور يعقوب برتقش[331] . وكان للحزب « انصار او فروع في بعض المدن[332] » . اما برنامجه السياسي فقد تركز حول « السعي لاستقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية ، واعتبار قضية فلسطين جزءا من القضية العربية الكبرى ، ومقاومة

---

329 ـ عيسى السمري المصدر السابق ص 197 ـ 200 ، فلسطين 1935/5/11

330 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 118

331 ـ عيسى السمري المصدر السابق ص 246 ، المقطم 1935/6/25

332 ـ عزة الدروزة المصدر السابق ح 3 ص 118

السياسة الاقليمية والطائفية ، والعمل على تنمية الصلات السياسية بين فلسطين والاقطار العربية » . وطالب « بتأسيس الحكم الذاتي في البلاد » ، وبوقف « الهجرة اليهودية وبيوع الاراضي لخطرهما على كيان العرب وعلى رخاء البلاد والامن العام » . كما اخذ على نفسه « السعي عند الحكومة لعقد معاهدة بين العرب والانجليز كالمعاهدة المعقودة بين انجلترا والعراق [333] » . وهكذا فان حزب الاصلاح كان « متحد الميول في السياسة المحلية مع الحزب العربي نتيجة لانتخابات بلدية القدس [334] .

اما الحزب الثاني فهو (حزب الكتلة الوطنية) ، الذي بدأت الدعوة له من ابريل 1935 . فقد اصدر عبد اللطيف وعبد الفتاح طوقان ، وكلاهما من نابلس ، بيانا في 15 ابريل 1935 ، جاء فيه ان « الحالة الحاضرة دعت البعض في البلد الى التفكير في تأليف كتلة محايدة ، تقوم بالقسط الواجب عليها من الاشغال في الحقل الوطني ، وتوحيد جبهة الدفاع . وترى اول واجب عليها ان تؤلف هذه الكتلة من المخلصين الذين لا يدينون الا بدين الوطن ، ولذلك تدعو جميع الذين يعتنقون هذا المبدأ الى الاشتراك معها ، لتخرج هذه الفكرة من القول الى العمل [335] » . وكان هذا البيان هو الاساس الذي اجتمع حوله (حزب الكتلة الوطنية) ، الذي تأسس في نابلس في 4 اكتوبر 1935 برئاسة عبد اللطيف صلاح . اما مكتب الحزب فتألف من : عبد اللطيف صلاح ، عبد الله مخلص ، عبد الله متري ، حمدي النابلسي ، شفيق عسل [336] . والحقيقة ان (حزب الكتلة الوطنية) كان تركيزا لزعامة نابلس والشمال ، ويقول عزة دروزة انه « لم يخل تشكيله من باعث او سياسة شخصية محلية [337] » . وكانت له فروع في بعض المدن

---

333 ـ المقطم 1935/6/30

334 ـ عزة دروزة المصدر السابق ح 3 ص 118

335 ـ فلسطين 1935/4/16 .

336 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 246 - 247

337 ـ عزة درورة المصدر السابق ح 3 ص 118

الفلسطينية . اما موقفه السياسي فهو « حيادي نوعا ما في السياسة المحلية والمعارضة » ، وكانت اهدافه متقاربة مع اهداف الحزب العربي الفلسطيني .

ولقد كانت البواعث الانانية وراء تعدد الاحزاب العربية الفلسطينية واضحة امام انظار الفلسطينيين جميعا ، واثارت خصوماتهم سخرية الرأي العام كله ، وساد الاعتقاد في القرى ان الزعماء لا يعملون الا لانفسهم[338] . واشار التقرير البريطاني لعام 1935[339] ، الى حملة طويلة من النقد العنيف وجهتها الصحف العربية الى الزعماء « الذين نسوا المصلحة الوطنية في الجري وراء منازعاتهم الشخصية » ، وطلبت اليهم العمل على « نسيان خلافاتهم » . على ان ضغط الرأي العام ، وضغط الحوادث التي وقعت في البلاد ، كانت تجبر الاحزاب على الظهور بمظهر الوحدة ، حين ترفع الى المندوب السامي بعض المطالب الوطنية . حدث ذلك بالفعل بعد اكتشاف عملية تهريب اسلحة لليهود في ميناء يافا في 16 اكتوبر 1935 .

حادثة تهريب السلاح (اكتوبر 1935)

اكتشفت شحنة من الاسلحة المهربة الى اليهود في ميناء يافا في 16 اكتوبر . 1935 وذكر البيان الرسمي الذي اصدرته حكومة فلسطين حول هذا الحادث ان السفينة (ليوبولد الثاني) وصلت الى يافا في 16 اكتوبر تحمل « شحنة من البضائع ، قيل في قائمة الشحن انها 537 برميلا من الاسمنت البلجيكي ، وهذه الشحنة مرسلة من شركة بلجيكية في انتفرب Antwerp اسمها محفوظ في البوليس . اما المرسل اليه فأسمه (أ . كاتان) في تل ابيب . وجاء شخص ادعى انه اسحق كاتان Isaac Katan وامضى باسمه انه تسلم البضاعة . وعهد الى شركة نقل محلية في نقلها الى ارض فضاء ، ثم

---

338 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 289

339 ـ REport 1935 , P . 15

بدىء بنقل البضاعة من الجمرك . اما (اسحق كاتان) فغير معروف ، ولم يوقف له بعد على اثر ، ولكن اوصاف هيئته في يد البوليس ، ولما نقل اكثر من نصف البراميل لوحظ ان برميلا من البراميل الباقية في منطقة الميناء مكسور ، وانه يحتوي على صندوق من الصفيح يحيط به اسمنت ، ففتح الصندوق ووجد انه يحتوي على خرطوش ومسدسات . وفي الحال عمل تحقيق سري ، قام به موظفو الجمرك والبوليس . ثم عمل محضر دقيق لجميع براميل الشحنة ، سواء منها ما نقل قبلا من الميناء وهو 304 براميل ، وما كان لا يزال باقيا فيه وهو 233 برميلا . واسفر الفحص عن العثور على كميات كبيرة من الذخيرة ، وعدد من المسدسات الاوتوماتيكية . ووجد ان 359 برميلا من اصل 537برميلا ، تحتوي ذخيرة وسلاحا في داخل صناديق البحث في فلسطين وفي الخارج بكل همة للقبض على المجرمين ايا كنوا ، وتقديمهم الى المحاكمة واعتقل اربعة اشخاص حامت حولهم الشبهة[340] » . ولقد ثبت من التحقيق ان عدد البراميل وصل الى 1666 برميلا .

كان اكتشاف شحنة الاسلحة « دليلا على ان اليهود يتسلحون بالسر تسلحا واسعا[341] » . وادى الى « هياج ورعب شديدين » بين العرب ، واسفر عن حملة شديدة شنتها الصحافة العربية ضد الحكومة البريطانية وضد اليهود[342] . ووجه المفتي ، عن طريق لجنة مؤتمر الشباب ، الدعوة الى الاحزاب الفلسطينية لتعمل في سبيل « التآلف والاتحاد ، وايده الرأي العام (العربي) في دعوته هذه ، فاستجابت الاحزاب للدعوة ، وبعضها تحت ضغط الرأي العام ، وتشكلت في 21 اكتوبر 1935 (لجنة الاحزاب الفلسطينية)[343] » ، وقد تألفت من رؤساء الاحزاب ما عدا حزب

340 ـ المقطم 1935/10/23 .

341 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 117

342 ـ REport 1935 , PP 6 , 125

343 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 75 - 76 ، المقطم 1935/10/22

الاستقلال الذي لم يشترك فيها[344] . وقابلت اللجنة المندوب السامي في 23 اكتوبر ، وقدمت مطالب البلاد بشأن مصادره السلاح الموجود في المستوطنات اليهودية ، ومواصلة التحقيق للقبض على المهربين وشركائهم ، واتخاذ التدابير اللازمة لمنع ادخال السلاح في المستقبل ، وانشاء حاميات عربية لحراسة السواحل . وقد حملت الصحف اليهودية على هذه المطالب ، وطالبت الحكومة بوضع حد للتحرك العربي الجديد[345] .
ورفضت الحكومة السماح للعرب بالقيام باضراب في 26 اكتوبر 1935 ، احتجاجا على عمليات تهريب الاسلحة . ومع ذلك وبالرغم من اوامر الحكومة بالمنع ، اضربت البلاد في يوم السبت 26 اكتوبر ، اضرابا شاملا لم تعهده البلاد من قبل . يصف السكاكيني في يومياته ، السبت 26 اكتوبر 1935 ، يوم الاضراب بقوله « كان اليوم موعد الاضراب في فلسطين كلها ، وقد كان الاضراب عاما في طول البلاد وعرضها ، ولم يشذ عن الاجماع احد . وقد اجمعت الاحزاب الوطنية على اتهام اليهود بأسرهم بتهريب السلاح ، وعلى اتهام الحكومة بتهاونها ، مما جرأ اليهود على العبث بالقانون . فقد دخل الالوف منهم البلاد مهربين ، ثم زيفوا النقود ، والان يهربون السلاح بمقادير كبيرة تكفي لتجهيز جيش[346] » . ويؤكد تقرير اللجنة الملكية ان الاضراب كان « شاملا ، وسبب هياجا في يافا ، وكاد يقع صدام مع تل ابيب[347] » .

الحرب الايطالية الحبشية (1935) وتأثيرها على فلسطين

في الوقت الذي اضربت فيه البلاد يوم 26 اكتوبر 1935 ، كانت تجري فيها استعدادات عسكرية لا مثيل لها ، وذلك بسبب الحرب الايطالية

---

344 ـ عزة دروزة المصدر السابق ح 3 ص 119
345 ـ انظر المقطم 1935/10/24 .
346 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 276
347 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 117

الحبشية . على ان تلك الاستعدادات كانت قد بدأت فعلا منذ اواخر اغسطس 1935 ، حين اخذت القوات البريطانية تقوم بتعبيد طريق عسكري بين بئر السبع والعقبة[348] ، وتحويل ميناء حيفا الى قاعدة حربية[349] . واشار التقرير البريطاني لعام 1935 الى ان « وحدات من الاسطول البريطاني للبحر المتوسط بقيت في المياه الاقليمية الفلسطينية منذ سبتمبر (1935) واستمرت الى ما بعد ذلك[350] » . ونشر (قلم المطبوعات) في حكومة فلسطين في 5 سبتمبر البيان التالي « لا صحة لما اشيع من ان الحكومة تقوم باجراءات لتحمي مدينة حيفا من الغارات البحرية والجوية المفاجئة ، ولم تتخذ اية تحصينات في حيفا ، وان زيارة وحدات اسطول البحر المتوسط لمدينة حيفا ليست الا جزءا من البرنامج العام الصيفي للمناورات التي يقوم بها الاسطول في كل سنة[351] » . والواقع ان ميناء حيفا كانت ترسو فيه ، في ذلك الوقت ، 14 بارجة حربية بريطانية ، اخذت تقوم بمناورات يومية[352] . كما اعلنت الحكومة البريطانية عن مناورات (بحرية برية) تبدأ في شمال البلاد من 15 سبتمبر 1935وبالفعل اخذ الجيش البريطاني يقوم بمناورات في حيفا وشمال البلاد منذ 16 سبتمبر 1935[353] . واوردت (المقطم) في 21 سبتمبر 1935 ما يلي « صار الانجليز على اتم استعداد لكل طارىء » .

وفي اواخر سبتمبر 1935 ، وصلت الى حيفا 20 قاطرة حديدية ، محملة بالاسلحة من مصر ، وبدأ الجيش البريطاني بعملية حفر الخنادق في حيفا ، التي وصل عدد السفن الحربية فيها الى 25 سفينة[354] . وامتنعت

---

348 ـ حول التحصينات البريطانية في العقبة ، انظر كامل محمود خلة : المصدر السابق ص 326

349 ـ المقطم 1935/8/29

350 ـ Report 1935 , P 28

351 ـ المقطم 1935/9/5

352 ـ المقطم 1935/9/6

353 ـ انظر المقطم 1935/9/17 .

354 ـ المقطم 1935/9/30

شركات التأمين العالمية من ضمان البضائع الواردة الى البلاد[355] .

وأخذ كثير من أهالي نابلس القاطنين في حيفا ، يعودون الى مدينتهم خوفا من هجوم الطائرات الايطالية[356] . وارتفع سعر الجنيه الذهبي في فلسطين الى 173 قرشا[357] ، بعد سقوط (عدوه) في يد الايطاليين في 3 اكتوبر 1935 وأصدرت حكومة فلسطين في الاسبوع الاول من اكتوبر بلاغا رسميا باستخدام السيارات العامة والخاصة للمجهود الحربي ، ومنعت الدخول الى منطقة الميناء في حيفا ، وهي المخصصة للسفن الحربية[358] . واستمر وصول القوات العسكرية والامدادات الى فلسطين ، من مصر ومن انجلترا ، وأجبرت الحكومة البريطانية حكومة فلسطين على تطبيق قرار 25 اكتوبر 1935 ، وهو الذي يقضي ببدء تطبيق العقوبات على ايطاليا[359] . ووصل البلاد في اوائل نوفمبر 1935 ، نحو 70 مهندسا من سلاح المهندسين الملكي للعمل على نصب المدافع المضادة للطائرات في كل انحاء فلسطين[360] .

في هذا الجو العسكري الذي سيطر على البلاد ، امكن للسلطات البريطانية ان تقضي ، الى حين ، على (الحركة القسامية) في نوفمبر 1935

الحركة القسامية

ولد الشيخ عز الدين عبد القادر القسام عام 1882 في جبلة (في قضاء

---

355 ـ المقطم 1935/10/2 .

356 ـ المقطم 1935/10/4

357 ـ المقطم 1935/10/7

358 ـ المقطم 1935/10/9

359 ـ المقطم 1935/10/30 .

360 ـ المقطم 1935/11/7

اللاذقية) بسوريا ، وتعلم في الازهر[361] ، وذكر انه كان ممن « درسوا على يد الامام الشيخ محمد عبده[362] ». ثم عمل في بلده بالتعليم والوعظ ، وشارك في حركة المقاومة ضد الفرنسيين مع عمر البيطار ، ومع صالح العلي ، حتى اضطر الى مغادرة سوريا واللجوء الى حيفا في عام 1921 ، مع اثنين من رفاقه هما الشيخ محمد الحنفي والشيخ علي الحاج عبيد[363] ، واشتغل بالتدريس في المدرسة الاسلامية ، كما تولى امامة جامع الاستقلال .

لاشك ان الشيخ، بما كسبه من خبرة في نضاله ضد الاستعمار الفرنسي في سوريا ، قد ادرك بفكره الثاقب ان الاستعمار وحدة لا تتجزأ ، مهما تنوعت اشكاله وأساليبه ، كما ادرك ان الاخطاء التي وقعت في حركة النضال ضد الفرنسيين في سوريا ، يجب ان لا تتكرر في فلسطين، ولذلك كان يرى انه لا بد من الاعداد النفسي للثورة ضد الاستعمار . وقد بدأ هذه المرحلة منذ عام 1922 ، وعمد الى اختيار الكيفية دون الكمية . يقول ابو ابراهيم الكبير (الشيخ خليل محمد عيسى) احد رفاق القسام ، انه كانت للشيخ « حلقات درس يعلم فيها المسائل الدينية ، ولكنه كان اكثر المشايخ تطرقا لضرورة الجهاد ولمنع الصهيونية من ان تحقق احلامها في بناء وطن قومي على ارض فلسطين . كان يركز على الاستعمار البريطاني وعلى الصهيونية . ولقد استجوبته السلطات الاستعمارية لعدة مرات ، ولما كانت له شعبية كبيرة كانت الحكومة تتجنب اعتقاله . وكان من نتيجة وطنية الشيخ ودعوته للجهاد ان التف حوله جماعة من الرجال ، دفعتهم الوطنية والايمان[364] » .

استمرت مرحلة الاعداد النفسي نحو ست سنوات ، ثم انتسب الى

---

361 ـ خير الدين الزركلي . الاعلام (القاهرة 1956) ، ج 7 ص 149

362 ـ الشباب ـ 1 ـ 1936/2/17

363 ـ صبحي ياسين . الثورة العربية الكبرى (في فلسطين) 1936- 1939 ، القاهرة 1959 ، ص 20

364 ـ من حديث لابي ابراهيم الكبير في : الثورة الفلسطينية ـ ع 19 ـ 1969/9/15 ، ص 24

جميعة الشبان المسلمين في حيفا ، ونال في الانتخابات التي جرت في 14 يوليو 1928 ، اكثر الاصوات ، فعين رئيسا لها[365] . وقد كان انتسابه الى هذه الجمعية في واقع الامر « تغطية لاعماله السرية واعداده للثورة[366] » . ويبد ان (حادث البراق) الذي وقع في سبتمبر 1928 ، قد دفع الشيخ ورفاقه الى الانتقال من مرحلة الدعوة الى مرحلة العمل . يقول ابو ابراهيم الكبير « كان اليهود يبنون بناياتهم على شكل عسكري وكثيرا ما حدثت صدامات بين العرب واليهود . وبينما كان اليهود حاقدين ومحتاطين لانفسهم ، كان العرب غير محتاطين . ولقد استغل اليهود هذه الميزات كلها ، وكثيرا ما كنا نرى العرب سيقطون قتلى وجرحى . وازاء ذلك طلبنا من الشيخ ان ينتقل من الكلام الى العمل ، وطلبنا ان نتسلح ونتدرب » ، وان ذلك تم في عام 1928 . ثم يضيف « اشترينا بندقية ، واحضرنا مدربا كان اسمه محمد ابو العيون . وكانت تبدأ الجلسة بان يلقي الشيخ دروسه ، ثم تحولت دروس الشيخ من دروس دينية الى تحريض على الجهاد . وكان المدرب يقوم في آخر الجلسة بتدريب الموجودين على البندقية واحدا واحدا[367] » .

كانت القيادة الاولى للحركة ، التي شكلت عام 1928 ، تضم خمسة اشخاص من بينهم الشيخ القسام . اما الاربعة الاخرون فهم : العبد قاسم (فلاح ، بائع جاز في حيفا) ، محمود زعرورة (فلاح ، بائع جاز في حيفا) ، محمد صالح (فلاح ، كانت لديه كارة او طنبر) ، ابو ابراهيم الكبير (فلاح ، صاحب دكان لبيع الصوف والاكياس)[368] ، وهكذا تتضح الاصول الاجتماعية للذين بدأوا العمل في عام 1928 .

استخدم الشيخ مختلف الوسائل ، في عام 1929 ، ليعين مأذونا شرعيا

---

365 ـ الفتح ـ 105 ـ 1928/7/19

366 ـ صبحي ياسين · المصدر السابق ص 20

367 ـ الثورة الفلسطينية ع 19 ـ 1969/9/15 ، ص 24 - 25

368 ـ المصدر السابق ص 25 - 26

في قضاء حيفا ، حتى تتاح له الفرصة للتجول بين الفلاحين والاتصال بهم وانتقاء العناصر الوطنية للحركة ، مستخدما (المأذونية) ستارا لعمله . ورفض الحاج امين الحسيني لعدة مرات ، ان يعينه (واعظا عاما) ، حتى تتاح له حرية الحركة والانتقال ، معتذرا وقائلا له « اننا نعمل لحل القضية سياسيا [369] » .

واستمر الشيخ في جهاده السري ، ينتقي العناصر النشطة الفعالة والقادرة على العمل . ويروى انه « عندما كان يخطب على منبر جامع الاستقلال ، كان يراقب المصلين ويدعو من يتوسم فيه الخير والاستعداد لزيارته في منزله ، وتتكرر الزيارات حتى يقنعه بالعمل لانقاذ فلسطين مما يهددها من خطر[370] » ، ويضمه الى حلقة سرية لا تزيد على خمسة اشخاص ، واتسعت تلك الحلقات في اوائل الثلاثينات لتضم نحو تسعة اشخاص[371] . ولم ينتقل الشيخ من سكنه في الحي القديم في حيفا ، حيث يقطن فقراء الفلاحين ، الذين نزحوا من قراهم الى المدينة ، واضطروا الى ان يعيشوا في ذلك المستوى المنخفض من الحياة (وكانت منازلهم عبارة عن عشش من الصفيح) بسبب الهجرة اليهودية . وابدى الشيخ اهتماما حقيقيا اصيلا بتحسين احوال معيشتهم ، وبدأ يكافح الامية في صفوفهم من خلال اعطاء دروس ليلية . وسرعان ما اصبح فلاحو المنطقة الشمالية وعمالها يكنون له ابلغ الاحترام والمودة بفضل زياراته المتكررة لهم ، وما يتسم به من اصالة في الخلق والتقوى[372] .

ومما لا شك فيه ان رفاق القسام قد اشتركوا في احداث هبة اغسطس عام 1929 . وتشير بعض المصادر العربية[373] الى انه ـ بعد اغسطس 1929ـ

369صحي ياسين ص 21

370 ـ المصدر السابق ص 21

371 ـ من مقال ابراهيم الشيخ خليل (احد رفاق القسام وتلامذته) . شئون فلسطينية ، ع 7 ـ مارس 1972 ، ص 268

372 ـ عبد الوهاب الكيالي ص 293

373 ـ صبحي ياسين ص 23 - 24 ، عبد الوهاب الكيالي ص 292

حدث انقسام داخل حلقات القسام ، اذ انشق عدد من اخوان القسام وعلى رأسهم ابو ابراهيم الكبير . والدافع لهم هو انهم رأوا ان الوقت قد حان لاعلان الثورة ، حيث يرون الخطر يهدد كيان البلاد . وكان هذا الرأي لا يراه الشيخ القسام بحجة ان الاعداد للثورة لم يكتمل . وسبب اخر دفع المنشقين هو انه يجب ان تجبى الاموال اللازمة للثورة من الشعب بكل وسيلة ممكنة ، بينما كان يميل القسام ـ بل يصر ـ على الانتظار وعدم استعمال العنف خوفا من الانقسامات الداخلية منذ البداية ، وان الشعب سيدفع تبرعات كافية للثورة بعد اعلانها مباشرة ، وبعد ان يعرف اهداف الثورة ويشاهد الانتصارات .

لم يشر ابو ابراهيم الكبير في حديثه (الذي نشر في سبتمبر 1969) الى هذا الانقسام على الاطلاق ، بل اكد على انه كان يعمل مع القسام حتى حادثة (نهلال) في عام 1933 . ويقول ابراهيم الشيخ خليل ، احد رفاق وتلامذة القسام : « لم يحدث انشقاق على الاطلاق بين القائد الشهيد واخوانه في عام 1929 ، بل كان الوفاق على امه . والانشقاق بمفهومه لم يحدث لا في حياة القائد الشهيد ولا بعد استشهاده ايضا ، والسبب بسيط جدا ، فان القائد الشهيد كان يدعو الى الجهاد على اساس ديني ، والجهاد في سبيل الله واستخلاص الوطن ودفع الظلم عن المواطنين . ومفهوم الجهاد على اسس دينية لا يوجد به اشكالات ولا تعقيدات ايدلوجية او نفسية ، ولا اعماق ولا ابعاد ، وكل ما يتعلق بالجهاد محكوم بآيات قرآنية معروفة . كان هناك شعار واحد تنطوي تحته كل مفاهيم الثورة : (هذا جهاد ، نصر او استشهاد) . . . والذي حدث بالفعل كان خلافا بسيطا على توقيت اعلان الثورة » في اوائل عام 1935 [374] .

اما مسألة جمع المال فقد كانت تتم عن طريق الاشتراك الذاتي . يقول ابو ابراهيم الكبير « ولقد كنا نصرف من عملنا الشخصي على عملنا

374 ـ شئون فلسطينية ع 7 ـ مارس 1972 ، ص 267

السياسي » ، ويضيف « عندما قررنا ان نشتري السلاح ، بعد ان اقنعنا الشيخ ، جمعنا من بعضنا النقود ، ورصدنا ما جمعناه لشراء السلاح[375] » . ويؤكد ابراهيم الشيخ خليل ان جمع المال بأية وسيلة « لم يحدث ابدا ، اذ لم يكن الموضوع قد بحث بين القائد الشهيد واخوانه ، لا من بعيد ولا من قريب . والمال للثورة كان له مصدران : مصدر الاشتراك الشهري وكان جيدا ، والمصدر الثاني كان التبرع الطوعي . والتبرع كان يجري على اسس العقيدة الاسلامية ، ويقع تحت حكم عدة آيات قرآنية كريمة » . ويشير الى ان العديد من رفاق الشيخ كانوا « يتبرعون بكل ما يملكون بعد سد حاجتهم اليومية » ، وان « بعض اخوان القائد الشهيد كانوا على صلات حسنة جدا مع بعض الاثرياء من المواطنين ، وكانوا يحصلون منهم على بعض المال طواعية وعن طيب خاطر[376] » .

وتشير بعض المصادر العربية ايضا الى ان الشيخ انتسب الى حزب الاستقلال عندما اسس في اغسطس 1932[377] . والواقع ان الشيخ لم يكن بعيدا عن تيار الحركة الوطنية في البلاد ، وكانت له صداقات خاصة مع بعض اركان حزب الاستقلال المقيمين في حيفا ومنهم رشيد الحاج ابراهيم . اما مسألة انتسابه الى الحزب فينفيها ابراهيم الشيخ خليل قائلا « اما بالنسبة لتبعية القسام وارتباطه بحزب معين ، فان الذي اعرفه معرفة حقيقية ، ويعرفه العديد من اخواني الاحياء (مارس 1972) امثال ابو ابراهيم الكبير والشيخ سليمان ابو حمام ومحمد عبد القادر ابو الهيجاء وحسن شبلاق والحاج حسين حماده واحمد التوسبة والشيخ محمد الحنفي ومحمد علي دلول وغيرهم كثيرون ، بأن القائد الشهيد لم يكن له اي ارتباط حزبي مع اي حزب من الاحزاب ، وان ارتباطه الوحيد كان مع العقيدة الاسلامية وحدها[378] » .

---

375 ـ الثورة الفلسطينية ع 19 ـ ص 26 - 27

376 ـ شئون فلسطينية ع 7 ـ مارس 1972 ، ص 267— 268

377 ـ عزة دروزة المصدر السابق ح 3 ص 120 - 121 ، الفتح ـ 479 — 14شوال 1354هـ ، عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 292

378 ـ شئون فلسطينية ع 7 ـ مارس 1972ص 269

شارك القساميون في احداث هبة اكتوبر 1933 ، وكان من ضمن عملياتهم قيام مصطفى علي الاحمد (فلاح من صفورية) بوضع قنبلة في منزل حرس مستوطنة نهلال (بين حيفا والناصرة) ، فقتل اثنان ، واصيب اخران بجراح ، وسير القساميون قطيعا من الغنم على الطريق الى المستعمرة ، فضاع الاثر . وبعد ستة اشهر من الحادث ، قامت قوة من البوليس بتفتيش قرية صفورية (شمال الناصرة) ، فعثرت في بيت مصطفى علي الاحمد على قنبلة مماثلة للقنبلة الاولى ، وكانت السلطات البريطانية قد احتفظت بشظاياها ، فالقت القبض على مصطفى (علي الاحمد) ، وعلى احمد الغرييني الذي صنعها . ويكمل ابو ابراهيم الكبير رواية الحادثة فيقول : « لقد اتهمونا نحن بالقنبلة ، رغم اننا لم نكن قد قمنا بها (اي بوضعها) . القي القبض على مصطفى (علي الاحمد) وسجن في الناصرة . كان هناك محام (هو شريف عبيد) ، فاتفق مع حليم بسطة ـ مساعد مدير الامن العام الانجليزي ـ على كشف القضية . ولقد سلطوا المحامي على مصطفى (علي الاحمد) ، وطلبوا منه ان يعترف ، كما طلبوا منه ان يقول بأنني انا واحمد الغلاييني قد اشتركنا معه في هذه العملية . ولما بحثوا عن نوع المواسير التي صنعت منها القنبلة وجدوها عند تاجر يهودي ، فسألوه عمن اشترى من هذه المواسير ، فتذكر ان اخا لاحمد الغلاييني هو الذي اشتراها . ولما جاءوا الى دكان الغلاييني وجدوني عنده بالصدفة ، فألقي القبض علينا . ذهب من يبحث لنا عن محام ، فقابل احد اعضاء الحركة الوطنية الذين يحترفون المحاماة (لم يذكر ابو ابراهيم الكبير اسمه) . فقال لنا هذا الرجل (اي المحامي) ان القضية ستكلفكم كثيرا . فذهبنا الى المحامي حنا عصفور ، فكلفناه ، وعندما فعلنا ذلك طلب حليم بسطه منه (اي من حنا عصفور) ان ينتزع منا اعترافا . فجاء المحامي وقال لنا : انا محاميكم ، واريد ان تخبروني عما حدث معكم . قلنا له : نحن ابرياء ، دافع عنا بكل قوتك . وحاولت السلطات البريطانية ان تأخذ امر توقيف لنا من حكام الصلح العرب ، فرفضوا اعطاء امر بتوقيفنا . . .

فأخذتنا السلطات البريطانية عند حاكم صلح (آخر) ، فأعطى امرا بتوقيفنا لمدة 15 يوما[379] » . وظل الثلاثة في السجن رهن التحقيق مدة 9اشهر ، ثم حكم على (مصطفى علي الاحمد) بالاعدام ، وعلى احمد الغلاييني بعشر سنوات سجن (خرج عام 1944) وبرىء ابو ابراهيم الكبير ، وكان ذلك في اوائل عام . 1935

استطاع الشيخ وصحبه ، حتى اوائل عام 1935 ، تنظيم عملهم الثوري وتقسيمه الى خمسة فروع :

1) فرع الدعوة : وهو مكون من العلماء الذين يخطبون في المساجد والمجتمعات حضا على الثورة .

2) فرع التموين : لشراء السلاح ، ومن ابرز اعضائه الشيخ حسن الباير (قرية برقين) والشيخ نمر السعدي (من قرية شفا عمرو) .

3) فرع التدريب العسكري : يشرف عليه ضابط ممن خدموا في الجيش التركي .

4) فرع التجسس : على اليهود والانجليز لمعرفة خططهم السرية ، ومعظمهم من العمال الذين يعملون في المصالح الحكومية وخاصة في دوائر البوليس ، وقسم منهم يعمل مع اليهود لمعرفة النشاط السري للاحزاب اليهودية ، ومن ابرز هؤلاء الشيخ ناجي ابو زيد (من حيفا) .

5) فرع العلاقات الخارجية : للاتصالات السياسية . ويقول صبحي ياسين « وقد عرفت من افراده الشيخ محمود سالم المخزومي (كنيته ابو احمد ، وهو من قرية زرعين) الذي اتصل بقنصل تركيا ، في القدس اثناء حرب الحبش ، وبقنصلتركيا ، بقصد شراء اسلحة حديثة[380] » .

---

379 ـ الثورة الفلسطينية ع 19 ـ ص 26

380 ـ صبحي ياسين ص 23

اتصل الشيخ ، اثناء مرحلة الاعداد ، بالحاج امين الحسيني ، فأرسل اليه محمود سالم المخزومي ، احد تلامذته ، « ليعلمه عن عزمه (اي الشيخ) القيام بثورة في فلسطين » ، وكان ذلك في اوائل عام 1935 . وفعلا اتصل رسول القسام بالحاج امين بواسطة احد اعوانه وهو الشيخ موسى العزراوي ، ونقل اليه رغبة الشيخ القسام ، وهي « ان يشرع الحاج امين في الاعداد للثورة في جنوب فلسطين ، حيث هو (اي الشيخ) يعد العدة في شمال فلسطين . فأجاب الحاج امين بواسطة العزراوي ان الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل ، وان الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم(381) » . ويؤكد ابراهيم الشيخ خليل ان « سفارة الشيخ كامل القصاب بين حيفا والقدس كانت معلومة الى الكثير من الاخوان(382) » . ولم يزد على ذلك . والغريب في الامر ان الحاج امين الحسيني لم يشر ولو بكلمة واحدة الى الشيخ القسام وحركته ، في كتابه (حقائق عن قضية فلسطين) الذي طبع عدة مرات . كما ان كل ما اصدرته الهيئة العربية العليا من كراسات او مذكرات او تقارير لم يشر للشيخ ولا لحركته .

والواقع ان الاحوال التي سادت فلسطين في عام 1935 ، دفعت القيادة القسامية الى الخروج من حيفا الى الريف ، للعمل في اوساط الفلاحين ، والاعداد للثورة . لقد دخل البلاد في ذلك العام 61,854 مهاجرا يهوديا(383) ، واكد المندوب السامي في تقريره الى وزارة المستعمرات ، في 7 دسمبر 1935 ، ان هذا الرقم « يتجاوز الطاقة الاستيعابية للبلاد(384) » . واشترى اليهود في ذلك العام 72,905 دونمات من الارض العربية(385) .

---

381 ـ المصدر السابق ص 21 - 22 .

382 ـ شئون فلسطينية ع 7 ـ مارس 1972ص 269

383 ـ Report 1935 , P . 13

384 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 294

385 ـ Report 1935 , P . 32

وجاء اكتشاف حادثة تهريب الاسلحة في يافا في 16 اكتوبر 1935ضغثا على ابالة ، مما زاد في المخاوف والآلام التي يعانيها عرب فلسطين . يضاف الى ذلك كله عجز وجبن القيادة التقليدية والاحزاب الفلسطينية عن العمل الجاد لمقاومة هذا كله ، ولذا لم يكن امام القساميين الا الخروج .

حدث خلاف بين القسام وبين ابي ابراهيم الكبير حول الخروج بالسلاح او بدونه ، ولم يتعد الخلاف هذا الامر . وقد شرح ابو ابراهيم الكبير في حديثه المنشور في سبتمبر 1969 هذه المسألة فقال : « كان الشيخ قد اعد جماعة غيرنا (بسبب سجن ابي ابراهيم الكبير بعد حادثة نهلال) ، واتفق معهم على الخروج الى الثورة . . . وكنت ذات يوم في البيت ، عندما جاءني قبل الغياب حسن الباير ، من الذي هيأهم الشيخ بعد سجننا . قال حسن الباير : ارسلني لك الشيخ في خبر ، قلت : ما هو؟ قال : الشيخ يريد رأيك في خروجنا . قلت : عندما يقرر الشيخ شيئا فعلينا التنفيذ . قال : ولكنه يريد رأيك ، فلم اعطه الرأي » . وعلل ابو ابراهيم ذلك بقوله « لاننا كنا تلاميذه » ، واضاف « ولقد عاد الباير واخبر الشيخ بما حصل . فقال الشيخ : نصلي غدا في جامع الحاج عبد الله ، ونرى ابا ابراهيم . وفي الفجر التقينا في الجامع وصلينا الفجر ، واجتمعنا في غرفة هناك . قال الشيخ : نريد الخروج فما رأيك ؟ قلت : ليس لي رأي . ولكن الشيخ اصر علي فقلت له : يا شيخ ، ماذا لدينا من السلاح ، نحن خارجون لاعلان ثورة ، وهذا يحتاج الى السلاح والمال ، والثورة تحتاج الى :ذخائر كل يوم ، والى مصروفات كل يوم ، فماذا لدينا من كل ذلك ؟ قال : ليس عندنا من الذخائر والسلاح الا ما في ايدينا . قلت : اننا بما في ايدينا لا نستطيع الوقوف في وجه الانجليز ، فعلينا الاستمرار في عملنا كما هو الان ؟ اي القيام بالغارات ليلا والعمل نهارا . قال : نحن لا نريد ان نعلن الثورة ، انما نريد ان نتسلح ونخرج الى القرى كي نحثها ونحضها على الجهاد . قلت : ولكن يا شيخ ان الجواسيس لن يتركونا . قال : سنكون حذرين ، واردف : سنخرج نحن والجماعة ، اما انتم فعليكم ان تبقوا حيث انتم لكي

تساعدوننا[386] » . ويؤكد ابراهيم الشيخ خليل ، في الحديث الذي نشر في مارس 1972 ، نفس ما اورده ابو ابراهيم الكبير ، فيقول « في اوائل عام 1935 ، رأى القائد بأن المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة . وكان القائد يتحسس بأن المستعمر سيعتقل النخبة الصالحة من اخوانه ، وافساد جميع مخططات الثورة قبل ان تظهر للمواطنين . وكان رأيه الخروج الى الجبال والطواف بالقرى وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة . وكان رأي الاخ ابو ابراهيم وبعض الاخوان ، التريث في الخروج الى الجبال مسلحين ، بل الطواف بالقرى بدون سلاح ، وحث المواطنين على ما يلزم للثورة. ولكن هذا الخلاف كان بسيطا جدا ، بحيث انه عندما حزم القائد امره على الخروج الى الجبال ، كان يوجد في صندوق الجماعة مبلغ من المال قدره مائة جنيه ، فأخذه ابو ابراهيم من الصندوق وارسله الى القائد مع المرحوم الحاج علي الحلج من قرية يعبد[387] » .

كانت السلطات البريطانية تراقب تحركات الشيخ ورفاقه ، وقد خصصت لذلك عددا من رجال البوليس السري ، كان أبرزهم احمد نايف[388] . وتشير بعض المراجع العربية الى ان خروج القسام كان ليلة 12نوفمبر 1935 من حيفا ، وانه قد صحبه نحو 25 من رجاله[389] . والواقع ان خروجه كان قبل ذلك ، اذ يبدو انه غادر حيفا ليلة 27/26 اكتوبر 1935 بعد الاضراب الشامل الذي عم فلسطين آنذاك ، احتجاجا على عملية تهريب الاسلحة ، واتجه الى قرية نورس (شمال المزار في قضاء جنين) . ويقول ابو ابراهيم الكبير ان القسام ورفاقه « تمركزوا في مغارة هناك (في نورس) ، حيث ظلوا اكثر من عشرين يوما[390] » . اما عدد من خرج معه من حيفا فقد

---

386 ـ الثورة الفلسطينية ع 19 ـ ص27 - 28

387 ـ شئون فلسطينية ع 7 ـ مارس 1972 ـ ص 267

388 ـ اعتاله القساميون في حيفا في عام 1937

389 ـ صبحي ياسين المصدر السابق ص 27 ، عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 295

390 ـ الثورة الفلسطينية ع 19 ـ ص 28

يكون صحيحا ، لكن الذين رافقوه الى قرية (نورس) لم يزد على عشرة اشخاص ، وتفرق الباقون في القرى المختلفة ، اذ كان الشيخ حريصا على عدم اكتشاف امره وجماعته .

وقعت الحادثة الاولى التي كشفت عن مركز القيادة القسامية ، في 14 نوفمبر 1935 . ويصف ابو ابراهيم الكبير ما حدث فيقول « وفي احدى الليالي هاجم مجهولون احدى المستعمرات (هي مستوطنة عين حارود الواقعة شمال شرقي نورس حيث كان القسام) ، ومروا اثناء رجوعهم بالقرب من مركز الشيخ ، وفي الصباح مرت دورية من ثلاثة اشخاص : انجليزي ويهودي وعربي ، مع كلب اثر . وكان محمود سالم و (يوسف) الزيباوي يقفان حرسا ، فلما رأى محمود سالم الدورية سأل الزيباوي عما يفعل ، فقال الزيباوي : اذا اقتربوا منك اطلق النار . فما كان من محود سالم الا ان اطلق النار ، فقتل الشاويش (اليهودي) [391] . وعندما سمع الشيخ اطلاق النار ، استفسر عن السبب ، فأخبر بما جرى . فنادى جماعته وقال لهم : لنرحل على الفور ، حتى لا نصطدم بالقوات البريطانية ، ومنذ تلك اللحظة بدأت الجماعة مسيرتها ، ولكن الجواسيس انتشروا في المكان ، فما ان وصلت جماعة الشيخ الى احراش يعبد (غربي جنين بعشرة اميال) حتى كانت مطوقة[392] » .

بعد هذه الحادثة ، اتجه الشيخ وجماعته من نورس الى خربة الشيخ زيد (شمالي يعبد) ، وقطعوا اكثر من 55 كيلومترا في خمسة ايام . ومما لا شك فيه ان هذه التحركات لم تكن خافية على السلطات البريطانية ، اذ كانت (خربة الشيخ زيد) التي وصل اليها الشيخ وجماعته مطوقة بالفعل . واعلنت حالة الطوارىء منذ ظهر يوم 19 نوفمبر ، في حيفا وطولكرم وجنين ونابلس ، وسارت قوات تزيد على 400 جندي وبوليس ، نحو خربة الشيخ

---

391 ـ وفر الاثنان الى مركز البوليس في قرية جامة (بين نورس وجنين) للتبليغ عن الحادث
392 ـ الثورة الفلسطينية ع 19 ـ ص 28

زيد . وفي صباح يوم الاربعاء ، 20 نوفمبر 1935 [393] ، دارت معركة ، غير متكافئة ، بين الثامنة والعاشرة صباحا ، كانت نتيجتها استشهاد الشيخ واثنين من رفاقه ، وهرب الباقون الى الجبال والاحراش القريبة[394] .

لقد كان لاستشهاد القسام ، على هذه الصورة ، وقع اليم وحزين في جميع انحاء فلسطين . لقد اطلق عليه الشعب لقب (ابو الوطنية) ، وحملت الجماهير نعشه على الاكتاف الى قرية (الياجور) ، والتي تبعد نحو عشرة كيلومترات عن حيفا ، حيث دفن . واشترك في تشييع جنازته اكثر من 20 الفا[395] ، نادوا بسقوط الاستعمار البريطاني والوطن القومي اليهودي ، وحدث صدام اثناء سير الجنازة ، بين الشباب العرب وبين الانجليز ، جرح على اثره ثلاثة من الانجليز وآخر عربي[396] . اما الزعماء السياسيون فقد تخلفوا عن السير في الجنازة ، وكانت برقيات التعزية التي ارسلوها فاترة ، اذ لم يفتهم التنبيه الى ان حركة القسام كانت بمثابة دليل على عقم اساليبهم ، كما ان تضحيته وتجرده فضحت نفعيتهم وانانيتهم[397] .

يرتبط بحركة القسام امران على جانب من الاهمية ، اولهما ما اشارت اليه بعض المصادر العربية من ان خطة القسام كانت تتضمن احتلال مدينة حيفا[398] ، وهو امر يدعو الى الدهشة . لقد عاش القسام في حيفا نحو اربع عشرة سنة ، شهد فيها اتساعها وتحولها الى ميناء فلسطين الاول ، كما شهد تحولها الى قاعدة حربية بريطانية ، ترسو فيها باستمرار ، بعد سبتمبر 1935 ، بوارج حربية بريطانية . فكيف يعقل ان يقدم القسام على احتلال المدينة ،

---

393 ـ P D . Vol 307 , col 318

394 ـ انظر اسماء القتلى والناجين في صبحي ياسين ص 28 ، وعيسى السفري المصدر السابق ص 238 ، المقطم 1935/11/22 .

395 ـ المقطم 1935/11/22 .

396 ـ المقطم 1935/11/23 .

397 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 295

398 ـ المصدر السابق ص 295 ، سامي الجندي : المصدر السابق ص 68

وهو يعلم ان ما جنده للحركة لا يزيد على 200 رجل مقاتل ؟

اما الامر الثاني فهو اتصال الشيخ القسام بالايطاليين ، وانه « ضمن تأييدهم[399] » . والواقع ان هذا الامر يبدو بعيد الاحتمال وذلك للاسباب التالية :

1) ان اتصال الايطاليين قد تم بالفعل مع الحاج امين الحسيني ، وهو القادر على تحريك الجماهير العربية في فلسطين في ذلك الوقت .

2) لم يكن الشيخ القسام ، وهو رجل دين ، قد نسي بعد ما قام به الايطاليون ضد زعيم ديني آخر هو عمر المختار ، ولم يمض على استشهاده اكثر من اربع سنوات .

3) ان فقر حركة القسام ماليا ، حيث لم يكن في صندوق الجماعة عندما خرجوا من حيفا في اكتوبر 1935 ، الا مائة جنيه ، ينفي ذلك الاتصال هذا في الوقت الذي كان احسان الجابري قد سلم الحاج امين الحسيني سبعة الاف جنيه ، من الاموال الايطالية .

4) ان التقرير الرسمي البريطاني لعام 1935 ، لا يشير اطلاقا الى اي نوع من الاسلحة الايطالية التي صادرتها واستولت عليها السلطات البريطانية طيلة ذلك العام[400] .

ومهما يكن ، فان حركة الشيخ القسام اجبرت زعامة الحركة الوطنية ، الممثلة في لجنة الاحزاب ، على اتباع سياسة اقل اعتدالا ازاء البريطانيين ، كما انها كانت من ناحية اخرى ، حركة رائدة لنضال الشعب العربي في فلسطين فيما بعد .

---

399 ـ ناجي علوش : المصدر السابق ص 102 ، عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 293

400 ـ Report 1935 , PP . 125 - 6

الفصل التاسع

السياسة البريطانية والثورة الفلسطينية
1939 - 1936

تراكمت في الثلاثينات احداث هامة، خلقت وضعا خطيرا على الصعيد الدولي، واثرت على مجريات الأمور في كل مكان. وهكذا فان وصول النازيين الى الحكم في المانيا (30 يناير 1933) ـ وهو الذي اشار اليه سايكس كأنه « انهيار الحضارة الأوروبية منذ حرب الثلاثين سنة (1) » ، وما واكبه من لا سامية عنيفة وعسكرية عدوانية ، وغزو ايطاليا الفاشية للحبشة واحتلالها في عام 1935 ، كان كله مقدمة للحرب الأهلية التي اشعلها النازيون والفاشيون في اسبانيا الجمهورية عام 1936 ، ومشجعا على محاولة اليابان العسكرية التوسع على حساب الصين العاجزة بسبب قيادتها ونظامها .

توافقت موجة المد الأستعماري الغربي مع موجة ثورية معادية للاستعمار، اجتاحت العالم العربي بين 1935 و 1937، من المغرب الى سوريا، تميزت بالعنف، بغض النظر عن تباين ظروف الأقطار العربية واختلاف درجات تطورها، مما فرض على حركاتها التحررية اهدافا تتلاءم مع اوضاعها السياسية. ولم يكن غريبا مثلا ان « تطالب الحركة الوطنية في سوريا بالأستقلال السياسي وبمعاهدة مع فرنسا على غرار المعاهدة العراقية البريطانية، في حين كانت الحركة القومية في العراق ترى في تلك المعاهدة عبئا ثقيلا يقيد حريتها(2) ».

---

1 ـ Sykes op. cit., p. 161

2 ـ اميل توما · دراسات في القضية الفلسطينية، حلقة 13، ص 9

لا شك ان التأثير المتبادل بين احداث العالم العربي وفلسطين، كان له (دور خاص) في ثورة عام 1936، لكنه لم يكن السبب الأساسي. ويعترف بذلك تقرير اللجنة الملكية قائلا « فكما ان ضغط اليهودية الأوروبية على فلسطين كان في ذلك الحين على اشده، كذلك كان تأثير الحوادث التي وقعت في البلاد المجاورة ايضا. ففي شتاء سنة 1935 ـ 1936نفسه، عاد الهياج الوطني فاستفحل في مصر وفي سوريا، الى درجة مكنت كلا من هذين القطرين، في غضون بضعة اشهر، من ادراك الهدف الذي يصبو اليه، الا وهو نيل الأستقلال القومي (3) ».

ففي مصر وتحت ضغط النشاط الجماهيري، والطلابي خاصة، والوحدة الوطنية اضطرت بريطانيا الى اعادة دستور 1923، وفتح باب المفاوضات مع ممثلي الأحزاب السياسية في مصر في 2 مارس 1936، وهي التي انتهت بعقد معاهدة 26 اغسطس 1936. اما في سوريا، فقد بدأت الأنتفاضة بمظاهرة جرت في دمشق في 19 يناير 1936، وتجددت في الأيام التالية بصورة اكثر عنفا. مما ادى الى وقوع اصطدامات دامية بين المتظاهرين وبين الجيش الفرنسي، ثم اعلنت (الكتلة الوطنية) اضرابا عاما في البلاد، بدأ في دمشق يوم 20 يناير، واستمر مدة خمسين يوما. وفي اول مارس 1936، اعلنت الحكومة الفرنسية عن عزمها للدخول في مفاوضات مع الكتلة الوطنية تلك المفاوضات التي انتهت بعقد معاهدة التحالف الفرنسية ـ السورية في 9 سبتمبر 1936، على غرار المعاهدة البريطانية العراقية لعام 1930.

احوال الفلاحين والعمال العرب قبيل الثورة

لم تكن احداث العالم العربي هي السبب الأساسي في ثورة 1936، لكنها عمقت كراهية الشعب العربي في فلسطين للاستعمار البريطاني. والواقع ان السياسة الأستعمارية البريطانية في فلسطين، والغزو الصهيوني

3 ـ تقرير اللحنة الملكية ص 122.

للبلاد، وما نتج عنهما، كانا الدافع الأساسي وراء الثورة. ويعترف كرستوفر سايكس بذلك فيقول ان « السبب الأكيد للثورة يكمن في ازدياد هجرة اليهود في السنوات الثلاث السابقة، وخوف العرب من هجرات ضخمة تالية، وهو خوف لم يعمل اليهود في فلسطين اي شيء لتهدئته، بل عملوا كل شيء لاستمراره (4) ».

ان الضغط والقهر الأنجلو ـ صهيوني على طبقة الفلاحين العرب، قد بلغ مداه في اوائل عام 1936. ويتمثل عظم الضغط والقهر، اذا عرفنا ان عدد الفلاحين العرب بلغ 65,566 شخصا في عام 1931، مقابل 3,669 يهوديا، وان عدد الأجراء العرب في المزارع بلغ 29,589 شخصا، مقابل 2,582 يهوديا في العام نفسه (5). ومع حجم هذه الطبقة، وكون فلسطين بلد زراعي، الا ان الحكومة البريطانية لم تبد اي اهتمام لمساعدة الفلاحين، بل على العكس من ذلك، اوجدت لليهود ظروفا ملائمة، تمكنوا بها من شراء الأراضي وارغام الفلاحين على تركها. فقد اشار تقرير لجنة جونسون ـ كروسبي Johnson ـ Crosbie لعام 1930، الى ان متوسط الدخل السنوي العادي لاي اسرة من الفلاحين كان يبلغ 31,31 جنيها. وبعد خصم معدل الفائدة البالغ 30% على معدل الدين الذي يبلغ 27 جنيها، ينزل الأيراد الصافي الى 23,27 جنيها (6). ولم يكن هذا الرقم عرضة لضريبة واحدة فقط، بل لجميع انواع الضرائب المباشرة في البلاد. وطبقة الفلاحين هي في الحقيقة الطبقة الوحيدة التي كانت تقوم بدفع جميع انواع الضرائب في فلسطين. فالفلاح كان يدفع ضريبة العشر والويركو وضريبة الحيوانات. وقد اتبعت الحكومة البريطانية منتهى القسوة والظلم مع الفلاح الذي كان لا يظهر حيواناته حين

---

4 ـ Sykes, op. cit., pp 182 - 3

5 ـ سعيد حماده المصدر السابق ص 39

6 ـ Government of Palestine : Report of a Committee on the Economic Condition of Agriculturists in Palestine and the Fiscal Measures of Government in Palestine thereto, Jerusalem, 1930, p. 23

الأحصاء، فكانت تفرض ضريبة مضاعفة عليها.

اكد تقرير جونسون - كروسبي ان الفلاح كان يدفع 3,87 جنيهات تسديدا للضرائب الثلاث، ويبقى له مبلغ 19,5 جنيها كايراد سنوي صاف لاعاشة العائلة. وفي نفس التقرير ثبت ان المبلغ اللازم لاعاشة العائلة الفلاحية يبلغ 26 جنيها، وهذا المبلغ يشتمل على المواد الضرورية وهي : قمح وذرة بعشرة جنيهات ، زيتون وزيت زيتون بثلاثة جنيهات ، منتجات قروية اخرى بأربعة جنيهات ، ضروريات اخرى ليست من انتاج القرية بثلاثة جنيهات ، ملابس بخمسة جنيهات ، مساهمة في مصاريف مشتركة جنيها واحدا [7] . هذا كله بالاضافة الى (ضريبة الطرق في القرى) التي كان يدفعها الفلاح ، وضرائب اخرى غير مباشرة تتعلق بالجمارك والمكوس . ان معدل ضريبة الجمارك في فلسطين بلغ 26,2% ، في عام 1930 ، بينما لم تكن سوى 11% في بداية عهد الانتداب .

ومما زاد الأمر سوءا بالنسبة للفلاح العربي الفلسطيني ان اكثر المواد الضرورية لحياته كانت تفرض عليها ضرائب جمركية عالية. فضريبة السكر كانت تبلغ 100%، والدخان 149%، والجاز 51%، والبنزين 208%، والكبريت 400%، والأرز15%، والبن26%. هذا بالأضافة الى ان الفلاح كان يدفع جنيهين ضريبة جمركية على البضائع التي يشتريها، وبذلك بلغ مجموع الضرائب التي كان الفلاح يدفعها 5,87 جنيهات، اي 25% من دخله السنوي، بينما كان التاجر او الموظف الذي يبلغ ايراده السنوي 1000 جنيه يدفع 12,5% فقط كضريبة [8] .

ان عملية افقار الفلاح العربي الفلسطيني بدأت في الواقع منذ الأحتلال العسكري في اواخر عام 1917. فقد ورد في شهادة المطران جريجويوس حجار، امام لجنة بيل، في 17 يناير 1937، انه كان على الفلاح ان يشتري البهائم « من الأدارة العسكرية، على اثر الأحتلال، لكي يحرث

---

7 - op. cit., pp. 20, 25

8 - الشهادات السياسية · شهادة فؤاد سابا ص 255 - 260

عليها، وكانت الأسعار عالية جدا: 60 و 70 و 80 جنيها، واخذها بالدين. وما لبثت بعد اشهر ان هبطت اثمانها، وكان الفلاح يرجو ان يبيع مواسمه (اي محاصيله) في عام 1919 بأسعار حسنة تفي ديونه، فحظرت عليه الحكومة التصدير. وما لبثت ان هبطت اسعار المواسم (المحاصيل) نحو 80%، وبقي الفلاح مرهقا بالديون التي كانت تتراكم عليه سنة بعد سنة. وبعد ذلك جاءت الحكومة تستوفي العشر منه نقدا، بدلاً من ان تفعل كتركيا التي كانت تستوفي عينا بواسطة الملتزمين، وهذا ما زاد في ضيق الفلاح. ثم خمست العشر، اي فرضته على معدل خمس سنوات، فازداد خرابه، لان تخمينها كان بأسعار السنين التي كانت فيها الأسعار عالية، فكان يصل العشر الى ثلث الموسم (المحصول) او اكثر » واضاف « ان اقراض الفلاحين من بنك باركليز هو اكبر عامل لخراب الفلاح، فهذا المسكين يدفع 9% فائدة، وفي الحقيقة الفائدة تتجاوز ذلك كثيرا. وهو يلتزم ان يدفع الفائدة سلفا ورأس المال في آخر السنة، وهو امر لا يستطيعه ولا يد له فيه، فيضطر لوفاء هذا الدين ان يبيع موسمه (محصوله) او املاكه بأبخس الأثمان[9] ».

واستمرت الحكومة البريطانية في عملية افقار الفلاح العربي الفلسطيني، حتى بعد تأسيس الأدارة المدنية في يوليو 1920. فقد انشأت (دائرة التسوية) لفرز الأراضي المشاع في القرى، « لأن وجود المشاعات كان حائلا دون تمكين اليهود من شراء الأراضي »، ولمراجعة قيود الأملاك، والتثبت من حقوق الملاكين فيها، وانتزاع مالا تثبت ملكيتهم عليها. كما استخدمت القوة المسلحة في طرد 2746 عائلة عربية من 22 قرية في مرج ابن عامر، و 15,500 عربي من وادي الحوارث، و 15 الفا من الحولة، والوفا آخرين من اراضي الساخنة، وغور بيسان، وطبعون، والزبيدات، والمنسى وغيرها[10]، مما زاد في تضخم طبقة الفلاحين العرب المعدمين. ففي

---

9 - المصدر السابق ص 63 - 65.

10 - اميل الغوري المصدر السابق ص 46 - 47.

دراسة اجريت عام 1936 على 322 قرية عربية، ثبت ان 47% من الفلاحين يملكون اقل من 7 دونمات، و 63% يملكون اقل من 20 دونما، مع ان الحد الادنى اللازم لاعاشة عائلة عربية كان 130 دونما حسب تقدير المستر شو في عام 1930. ويعترف التقرير البريطاني لعام 1935 بانه حتى 13 ديسمبر 1935 قدم الى الحكومة 3271 طلبا من ارباب اسر فلاحية، يطلبون تسجيلهم على اساس انهم لا يجدون ارضا للمعيشة، وان الحكومة قبلت فقط 664 ورفضت 2607 طلبات [11].

ان الفلاح العربي الفلسطيني لم يبع ارضه الا تحت ضغط عملية الأفقار التي مارستها السلطات البريطانية بالأتفاق والتعاون مع الحركة الصهيونية. ويعترف تقرير لجنة شوبان نسبة الأراضي التي اشتراها اليهود من الفلاحين العرب لم تزد بأي شكل من الأشكال على 10% من مجموع ما اشتراه اليهود حتى عام 1930[12]. وذكر المستر غرانوت، خبير الأراضي اليهودي، ان ما كسبته 3 شركات يهودية حتى عام 1936 كان عبارة عن 52,6% من كبار اصحاب الأراضي الغائبين، و13,4% من الحكومة والكنائس والشركات الأجنبية، و 9,4% من الفلاحين العرب الفلسطينيين[13].

كانت عملية شراء اليهود للاراضي تخلق باستمرار طبقة متزايدة الاتساع من الفلاحين العرب المعدمين، الذين كانوا يتحولون الى عمال زراعيين موسميين، او كانوا ينزحون الى المدن في الغالب، ليصبحوا يدا عاملة غير ماهرة ورخيصة، اذ لم يحدث « ان اخرج فلاح من ارضه وتأمن على ارض جديدة، ولا في حادثة واحدة. اما التعويض فقد كان قليلا جدا، ولم يكن سخيا الا في حالة المختار واعيان القرية ». وفي المدن زاولوا اعمالا معينة، « ان عمال التنظيفات في يافا اكثرهم من القرى، وشركة

---

11 ـ Report 1935, p. 62

12 ـ Shaw Report, p. 114

13 ـ انظر عسان كنفاني . (ثورة 1936 - 1939في فلسطين، خلفيات وتفاصيل وتحاليل) ـ شؤون فلسطيبية ع 6 ـ يناير 1972، ص 52

السجاير والتنباك العربية في الناصرة تقول بان اكثر عمالها قرويون او من اصل قروي »، وبلغت اجرة العامل الأسبوعية 39,5قرشا، بينما كانت اجرة العاملة اليهودية في مثل هذه المصانع تتراوح بين 170 و 230 قرشا اسبوعيا. وحتى على الصعيد الرسمي، حين كان القروي العربي المعدم ينزح الى المدينة ويجد عملا في دائرة حكومية مثل دائرة الاشغال، فقد كان الفرق في الاجر بينه وبين العامل اليهودي في الدائرة نفسها يتجاوز غالبا 100% [14] .

هكذا كانت حالة الفلاحين العرب عشية ثورة 1936، ولم تكن حالتهم احسن، بأية صورة من الصور، من حالة العمال العرب في فلسطين. ففي الفترة ما بين عامي 1932 و 1935، دخل البلاد 144,093 مهاجرا يهوديا [15] ، وكان معنى هذا بطبيعة الحال ازدياد عدد الطبقة العاملة اليهودية، وبالتالي تقلص عدد العمال العرب، وذلك نتيجة لنظرية (العمل اليهودي) التي كانت تطبقها الوكالة اليهودية والشركات اليهودية. ويبدو ذلك واضحا اذا عرفنا ان عدد العمال اليهود في الصناعات المختلفة بلغ 19,235 عاملا في عام 1931 [16] ، وارتفع هذا العدد الى 74 الف عامل في ديسمبر 1935 [17] . يضاف الى ذلك ان 18,380 مهاجراً يهوديا بين عامي 1932 و 1936 كان يملك كل واحد منهم اكثر من 1000 جنيه، ومن هذه المبالغ استثمر نحو 8,654,000 جنيه في صناعات وحرف يهودية حتى آخر السنة المالية 1934/35 [18] . وقد اسفر هذا كله عن وجود اكثر من 25 الف عامل عربي عاطل في موسم البرتقال لعام 1935 - 1936 [19] .

ولقد قدم جورج منصور، سكرتير جميعة العمال العرب بيافا، في

---

14 ـ المصدر السابق ص 52.

15 ـ Report 1935, 43

16 ـ سعيد حمادة المصدر السابق ص 41.

17 - Report 1935, p. 117

18 ـ سعيد حمادة المصدر السابق ص 291.

19 ـ الشهادات السياسية : (شهادة جورج منصور) ص 294.

شهادته امام لجنة التحقيق الملكية في 16 يناير 1937، عدة صور تعكس استفحال البطالة بين العمال العرب، منها:

1) في اواخر نوفمبر 1935، وجد بين عمال الجمعية (20) نحو الف عامل عاطل، وقال جورج منصور « وقد طلبنا اقامة مظاهرة عمالية فرفضت الحكومة، فأرسلنا اليها مذكرتنا بتاريخ 6 ديسمبر 1935، اوضحنا فيها حقيقة الحال، وذكرنا فيها ان الحكومة ان لم تعالج هذه المشكلة الخطيرة، ففي الأيام المقبلة ـ عندما يشتد يأس العامل العربي ـ ستضطر هي حتما الى اطعام العمال خبزا ورصاصا ».

2) اعلنت بلدية يافا في 25 اغسطس 1935، عن وجود 8 وظائف صغرى، فتقدم لها 175 شخصا ضمن المدة المعينة، ثم قدمت طلبات متعددة من خارج يافا، وتقدم اضعاف هذا العدد بعد المدة المقررة.

3) في اواخر عام 1935 طلبت الحكومة من مخاتير يافا تقديم احصاءاتهم عن عدد العمال العاطلين، فبلغ عددهم 2270 عاملا وعاملة.

4) اذا اعتبرنا ان ارقام البطالة التي قدمها المخاتير (وهم موظفون حكوميون) كانت صحيحة، وان يافا كانت احسن حالا من المدن الأخرى عدا حيفا، فان رقم العمال العاطلين يرتفع الى 25 الفا في المدن فقط، وهذا خلال موسم البرتقال.

5) اما في القرى فان البطالة عامة تقريبا الا في اشهر الحصاد وجمع الزيتون (21).

وذكر جورج منصور ان البطالة بين العمال العرب ناشئة عن اسباب كثيرة منها:

---

20 ـ أسست جمعية العمال العرب بيافا في اول ستمبر 1934، وعدد اعضائها 4700 عامل انظر الشهادات السياسية ص 303.

21 ـ الشهادات السياسية ص 292 - 294

أ) الهجرة اليهودية : فقد زاد عدد عمال الهستدروت في 9 شهور فقط من عام 1936 نحو 41 الف عامل.

ب) نزوح الفلاحين المعدمين الى المدن : يلاحظ كثرة القرويين في المدن، عمال تنظيفات يافا اكثرهم من القرى، وتؤكد شركة السجاير والتنباك العربية في الناصرة ان اكثر عمالها قرويون او من اصل قروي.

ج) طرد العمال العرب من الأعمال اليهودية : وهم يطردون بدافع جنسي وآخر اقتصادي. فالأول لأن مبدأهم (اي اليهود) يقول بضرورة الأستيلاء على الأعمال ولو كانت عربية، والثاني لان البطالة بينهم تضطرهم الى اخراج العمال العرب واستبدالهم باليهود. وقد كان يعمل في ملبس وديران ووادي حنين والخضيرة - وهي مستوطنات يهودية - نحو 6214 عاملا عربيا في فبراير 1935، فنقص هذا العدد الى 2276 عاملا في اغسطس 1935.

د) سؤ الحالة الأقتصادية، ويضرب مثلا لذلك نقص عمال الصدف في بيت لحم من 1500 عامل في عام 1925 الى 150 عاملا في عام 1936، وكذلك استمرار النقص في صادرات الصناعات الخزفية. فقد قدرت صادراتها في عام 1930 بمبلغ 11,532 جنيها، وهبط هذا المبلغ الى 3,778 جنيها في عام 1935. هذا بالأضافة الى نقص صادرات الصابون من 200,259 جنيها في عام 1930 الى 71,532 جنيها في عام 1935.

هـ) تحيز حكومة فلسطين للعمال اليهود، ومن امثلة ذلك :

1) اجرة العامل العربي في دوائر الحكومة (الأشغال العامة) تتراوح بين 70 - 130 ملا، بينما تتراوح اجرة العامل اليهودي بين 250 - 300 مل.

2) اعطت الحكومة في اوائل عام 1936 تعهد انشاء طريق بين العفولة وبيسان، طوله 25 كيلومترا، بمبلغ 85 الف جنيه لمكتب المقاولين اليهود، بينما اكد المهندسون العرب ان نفقات تلك الطريق لا يمكن ان تتجاوز 27 الف جنيه.

3) خسر المستهلك العربي الفلسطيني في اعمال مرفأ حيفا نحو 160 الف جنيه وهي زيادة اجور العمال اليهود.

4) تفتح الحكومة الطرق بين المستوطنات اليهودية وتعبدها، بينما تسخر العمال العرب في فتح الطرق التي تربط قراهم بالطرق العامة. والطرق الى القرى العربية لا تعبدها ـ وهي التي لا يتجاوز عرضها اكثر من مترين ـ الا اذا كانت تؤدي الى المستوطنات اليهودية، او كان للحكومة غاية فيها.

5) اعطت الحكومة في فبراير 1936 تعهد انشاء ثلاث بنايات مدرسية في يافا الى مقاول يهودي، وبعد ضغط العمال العرب سمحت الحكومة لهم بالأشتراك بنسبة 50% من العدد وليس من الأجور.

6) طرد العمال العرب من كل عمل له صلة بيهودي.

7) مقاومة تنظيمات وجمعيات العمال العرب[22] .

ويقدم الجدول التالي صورة لاجور العمال العرب في مدينتي يافا والناصرة لعام 1935 / 1936 .

الناصرة		يافا	
المهنة	الأجرة اليومية (مل)	المهنة	الأجرة اليومية (مل)
عامل عادي	70 - 40	عامل	70 - 40
سائق سيارة خصوصية	100 - 80	سائق سيارة خصوصية	130 - 80
سائق سيارة عامة	250 - 200	سائق سيارة عامة	320 - 250
بناء	250 - 100	بناء	400- 200

22 ـ المصدر السابق ص 292 - 301

نجار	150 - 50	نجار	250 - 100
خباز	120 - 50	خباز	250 - 100
جزمجي وحداد	100 - 50		
عامل شركة السجاير	150 - 20		

ويتقاضى عامل البحر في يافا حصة من دخل المركب التي يعمل فيها. وقد بلغ دخله الشهري 8,18 جنيهات خلال موسم البرتقال لعام 1935، مقابل عمله 16 ساعة يوميا. اما في غير اشهر الموسم فقد كان النقص يتراوح بين 30 و 40%. وتراوحت اجور عمال التنظيف في البلديات بين 60 و 90 ملا يوميا. اما في الأشغال العامة فتراوحت بين 70 و 130 ملا يوميا [23].

والواقع ان اجور العمال العرب انخفضت منذ بداية عام 1936 نحو 25%، بينما لم تنخفض اجور العمال اليهود الا نحو 16% [24]. وقد قامت جميعة العمال العرب في يافا، في عام 1936، بدراسة حالة الف عامل عربي، فثبت لها ان 57% منهم يقل دخلهم الشهري عن 2,75 جنيه، و24,5% يقل عن 4,25 جنيه و 12% يقل عن 6 جنيهات، و 4,5% اقل من عشرة جنيهات [25]. ومعنى هذا ان 98% من طبقة العمال العرب يعيشون دون المستوى العادي، اذا عرفنا ان العائلة المتوسطة تحتاج مبلغ 11,5 جنيها شهريا، حسب تقدير الحكومة، للانفاق.

نشاطات فرق الكشافة

هذه هي احوال الطبقتين الهامتين في المجتمع الفلسطيني، اللتين وقع عليهما ضغط وارهاق وافقار السياسة الأنجلو ـ صهيونية، عشية اندلاع ثورة 1936. والواقع انه قبل 15 ابريل 1936، تكونت في البلاد جماعات

23 ـ نفس المصدر ص 287 - 288.
24 ـ المكتب العربي : مشكلة فلسطين، نشرة رقم 2 ص 144
25 ـ الشهادات السياسية ص 290

كشفية المظهر، سياسية في الحقيقة، وذلك ردا على اعمال اليهود في الهجوم على القرى العربية المجاورة للمستوطنات اليهودية، والتي ازدادت بشكل ملحوظ منذ منتصف مارس 1936. يقول السيد عبد الرحمن علي انه « قبل اسبوعين من الثورة، اجتمعنا في البيرة (قرية شرقي رام الله). واخترنا قيادة كشفية في الظاهر، سياسية في الحقيقة والخفاء، مستقلة عن القيادة التقليدية للحركة الوطنية. وكونت القيادة من بهاء الدين الطباع (سوري) رئيسا، ومن كل قرية قائد لكشافة: جميل ابو حويج (من عين يبرود وهو مزارع)، وجمعه ابو سرحان (من البيرة وهو مزارع ايضا)، ومحمد رشيد ابو خضير (من شعفاط وهو بقال)، وخليل منون (من عين كارم وهو فلاح)، وعبد السلام صبيح (من بيت صفافا وهو بناء)، ومحمد اللهلوط (من بيت عنان وهو فلاح)، وآخرين من قرى بيت اكسا وبيت فوريك وخربة اللوز، (وعبد الرحمن علي من قرية لفتا) ». ويضيف السيد عبد الرحمن علي « وكنت اختار من بين كل فرقة كشفية عدة اشخاص اسلحهم ونقوم ببعض العمليات (26) ». وقد تخوفت السلطات البريطانية من هذه الحركة، لكنها لم تستطع القضاء عليها بسبب مظهرها الكشفي. فقد اعلن وكيل وزارة المستعمرات في 13 مايو 1936 انه « على علم بحركة الشباب في فلسطين، وان هذه الحركة تستهدف تشكيل جمعيات اشبال غير مشروعة لاسباب سياسية... وقد سبق للمندوب السامي ان بحث في مناسبات سابقة طريقة الأشراف على منظمات الكشافة غير الشرعية في البلاد. ولا شك اننا سنبحث الأمر سويا فيما اذا كانت قوات البوليس غير كافية لمواجهة الاعمال الهدامة التي تقوم بها هذه الجماعات الكشفية الغير قانونية (27) ».

الاضراب الكبير

كانت هذه الجماعات تتبع الاسلوب القسامي في النضال. ولقد اعلن

---

26 ـ مقابلة مع السيد عبد الرحمن علي في 23 اكتوبر 1971 بالقاهرة

P.D vol 312, col 370 ـ 27

القساميون ، الذين اختفوا في منطقة بيسان بعد نوفمبر 1935 ، اشارة البدء في يوم الاربعاء 15 ابريل 1936 ، حيث قامت جماعة منهم بقيادة فرحان السعيدي والسيد محمود ديراوي ، بقطع الطريق بين نابلس وطولكرم ، وتعرضت لاحدى السيارات التي كان فيها بعض الركاب اليهود ، فقتلت احدهم (يدعى ابراهيم خازان) وجرحت اثنين جراحا خطيرة [28] ، وذلك بعد ان طلبوا من الركاب العرب ان « يجودوا بما تسمح به نفوسهم من المال لشراء اسلحة ورصاص يؤمن استمرار العمل [29] » . وانتقم اليهود لهذا العمل ، في اليوم التالي ، بقتل عربيين (هما حسن ابو راس وسالم المصري) على طريق ملبس ـ كفر سابا [30] . وشيعت مدينة تل ابيب في 17 ابريل جنازة القتيل اليهودي . وذكر تقرير اللجنة الملكية ان الجنازة ادت الى « اقامة مظاهرات يهودية صاخبة ، ثم اخذت التعديات تتوالى على العرب في تل ابيب [31] » . وحاولت احدى المظاهرات اليهودية التوجه نحو مدينة يافا ، لكن البوليس حال دون ذلك ، فرجمته « الجماهير اليهودية بالحجارة ، وتبع ذلك سلسلة من الهجمات على تجار الخضر العرب عند اطراف تل ابيب [32] » . وفي يوم السبت 18 ابريل ، توفي احد الجرحى اليهود في حادثة طريق نابلس طولكرم ، وشيعت جنازته في اليوم التالي . وفي نفس اليوم ، الاحد 19 ابريل ، اشيع في يافا ان « اليهود قتلوا ثلاثة رجال عرب ، وامرأة عربية في تل ابيب . فتجمهر العرب في ساحة السرّايا (في يافا) يستوضحون الخبر ، فاكدت لهم السلطات (البريطانية) كذب الاشاعة ، وقد كادوا يصدقون وينصرفون لولا ان وصل في تلك الساعة

---

28 ـ يذكر صبحي ياسين المصدر السابق (ص 30) ان القتلى اليهود ثلاثة، وتذكر لجنة التحقيق الملكية (ص 126) انهم قتيلان.

29 ـ الشباب (محمود عزمي) ـ ع 11 س1 - 1936/4/27، المقطم 1936/4/18.

30 ـ صبحي ياسين ص 30، عيسى السفري المصدر السابق ك2 ص 10، المقطم 1936/4/20

31 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 126

32 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 302.

مصابون بجروح من تعديات اليهود عليهم في تل ابيب ، فثار الجمهور من جديد [33] » . واعترف البلاغ الرسمي البريطاني الصادر في مساء ذلك اليوم بأن قوات البوليس قتلت عربيين واصابت واحد بجراح خطيرة ، و 14 عربيا بجراح طفيفة ، واضاف البلاغ « ومن قبيل الاجراءات الاحتياطية اعلن قانون الدفاع الذي يخول المندوب السامي وضع قانون الطوارىء موضع التنفيذ ، وطبق كذلك نظام منع التجول في مدينتي يافا وتل ابيب ، الذي يطلب بموجبه من السكان ملازمة بيوتهم من الساعة السابعة مساء حتى الساعة الخامسة صباحا من اليوم التالي [34] » .

وفي 20 ابريل تشكلت في نابلس (لجنة قومية) قررت « اعلان اضراب عام في كافة انحاء البلاد واستمراره الى ان تجاب مطالب العرب التي سبق تقديمها في شهر نوفمبر (1935) [35] » . واعلنت في اليوم نفسه ، لجنة من كافة الاحزاب في يافا « الاضراب العام الشامل برا وبحرا » ، مع احتفاظ الشعب « بصبره ، والالتجاء الى الهدوء والسكينة [36] » .

هكذا بدأ (الاضراب الكبير) في كل انحاء فلسطين ، وهو الاضراب الذي استمر 175 يوما . والحقيقة ان هذا الاضراب « لم يكن بتوجيه من الزعماء العرب وعلى رأسهم المفتي ، ولكنه عمل شعبي [37] » . واعترف المندوب السامي ، واكهوب ، في تقرير قدمه الى وزير المستعمرات بان « الاضراب بدأ بصورة مستقلة وعفوية في انحاء مختلفة من البلاد ، واعلنته لجان وجماعات مختلفة [38] » . واشترك في هذا الاضراب المسلمون والمسيحيون على السواء ، وقد اشار الى ذلك المطران جريجوريوس حجار

---

33 ـ عيسى السفري المصدر السابق ك2 ص 10 - 11.

34 ـ P D vol 311, col 1547

35 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 126، احمد الشقيري : اربعون عاما ص 151.

36 ـ عيسى السفري المصدر السابق ك2 ص 16 - 17.

37 ـ Frances Newton, op cit., p 278

38 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 303

في شهادته امام لجنة التحقيق الملكية في 17 يناير 1937 ، اذ قال « واشهد انني لم ار اجماعا منهم (اي المسلمين والمسيحيين) بقدر ما رأيت فيه (اي في الاضراب) ، كأنهم كلهم كانوا يرون المسألة حيوية لهم [39] » . وكان من هتاف مظاهرات يافا « تحيى الوطنية ، والاسلام مع المسيحية [40] » .
ومع ذلك يرى بعض الكتاب العرب ان طريقة الاضراب « كانت خاطئة ، غير ايجابية وغير بناءة ، وانها اضعفت قوى الشعب الاقتصادية والمعنوية [41] » ، وقد نسوا انه كان اكثر من 25 الف عامل عربي عاطل عن العمل ، وان آلاف الفلاحين اصبحوا بلا ارض ، وان موسم تصدير الحمضيات ، وهو الموسم الرئيسي في فلسطين ، كان قد انتهى ، وان موسم الحصاد لم يحن بعد .

وفي محاولة من واكهوب للسيطرة على الموقف ، اجتمع في 21 ابريل بعدد من زعماء الاحزاب العربية ، وطلب اليهم استخدام نفوذهم « لكبح جماح الفوضى والاخلال بالنظام » ، وتسمية ممثليهم في وفد يتوجه الى لندن للاجتماع بوزير المستعمرات في الرابع من مايو . وقال الزعماء لواكهوب انهم راغبون بالفعل في مساعدته على اعادة النظام ، ولكنه « سيسهل مهمتهم اذا اوقفت الهجرة على الفور ، وذلك كخطوة اولية مؤقتة تعتبر تمهيدا لاجراء المزيد من المفاوضات » . واشتكى جمال الحسيني من « موقف البوليس الذي اعطى للشعب انطباعا بان العدوالحقيقي هو البريطانيون » . واضاف زعيم الحزب العربي ان الوفد لا يعتزم ، بسبب الظروف الراهنة ، ان يتوجه الى لندن قبل ان يعود السلام الى البلاد [42] .
مع ان جمال الحسيني نفسه ، قبل ثلاثة ايام فقط ، اي في 18 ابريل ، كان قد اكد على وجوب تاليف الوفد « بقطع النظر عن الطائفية . . . وبقطع

---

39 ـ الشهادات السياسية ص 59
40 ـ الشباب ـ ع 17 س 1 - 1936/6/10
41 ـ وليد قمحاوي النكبة والبناء في الوطن العربي ح١ بيروت 1962، ص 60
42 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 304، عيسى السفري المصدر السابق ك 2 ص 15 - 16

النظر عن الاحزاب [43] » .

كانت البلاد في يوم 22 ابريل قد عمها الاضراب الشامل ، دون توجيه او قيادة الزعامة الحزبية ، وتقدم الشعب تلك القيادة في تولي مسئولية الاضراب اولا والثورة ثانيا . ولما كان هذا العمل يفقد الزعامة مراكزها ونفوذها ، اضطرت مرغمة ، في محاولة لاحتواء الاضراب والسيطرة عليه وتوجيهه كما تريد ، الى اصدار بيان في يوم 22 ابريل ، اعلنت فيه تاجيل سفر الوفد الى لندن نظرا « للحالة الحاضرة التي تسود البلاد من القلق والاضطراب » ، وطلبت من الامة الاستمرار في الاضراب « لاشعار آخر ، متذرعة بالصبر والسكينة والحزم » ، واستثنت من الاضراب : العيادات والصيدليات ووسائل النقل والقهاوي والافران والمطاحن [44] . وفي نفس اليوم تشكلت في القدس (الجبهة الوطنية المتحدة) ، وذلك « لتنظيم حركة الجهاد الوطني » ، والفت عدة لجان منها : لجنة الاضراب ، ومهمتها « الاشراف على تنظيم حركة الاضراب ومواصلته » ، ولجنة الدعاية والنشر ، ولجنة الاعلانات المركزية ، ولجنة قضائية للدفاع عن الموقوفين والمعتقلين ، وقد انضم الى هذه اللجنة جميع المحامين العرب في القدس [45] .

وفي اليوم التالي ، 23 ابريل ، وجه واكهوب رسالة الى اهالي فلسطين يدعوهم فيها الى التزام الهدوء والسكينة ، وقال ان الحكومة « ستقمع كل اضراب وتتخذ التدابير الضرورية لتوطيد الامن ولمعاقبة الذين يشيعون الاشاعات الكاذبة ، او من يشجعون اي التجاء الى وسائل العنف[46] ».وقدم المستر توماس، وزير المستعمرات، في اليوم نفسه، الى مجلس العموم تقريرا حول حوادث فلسطين بين 15 ابريل والثاني والعشرين

---

43 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 258

44 ـ المقطم 1936/4/22

45 ـ المقطم 1936/4/22

46 ـ المقطم 1936/4/23

منه ، واتهم اليهود ببدء العدوان على العرب [47] ، مما زاد في تفاقم الوضع في البلاد .

اللجنة العربية العليا (25 ابريل 1936)

دفع اتساع نطاق الاضراب والثورة ، الزعامات التقليدية في البلاد الى التكتل لمواجهتهما . وقد نشأت فكرة اللجنة العربيةالعليا من وفد حيفا (محمد علي التميمي ، رشيد الحاج ابراهيم ، ومعين الماضي) الى القدس ، اذ رؤي ان الغاية « لا تتحقق الا باشتراك رؤساء الاحزاب جميعهم ومعهم الحاج امين الحسيني . وقد تردد الحاج امين ازاء اقتراح ظهوره جهرة في قيادة الحركة ، وابدى تحسبه من عدم التضامن معه الى النهاية ، فشجعه الاستقلاليون ووعدوه بما ازال تردده » . (والواقع ان تردد الحاج امين الحسيني لم يكن سببه كما اعلنه ، بل كان خوفا من ضغط الجماهير عليه مما قد يؤدي الى اصطدامه بالسلطات البريطانية ، وهو ما يحرص على تجنبه) . وقابل راغب النشاشيبي الاقتراح بتردد ايضا ، لانه (اي الاقتراح) « تضمن ان يكون الحاج امين رئيسا للجنة ، فأمكن اقناعه ».

وتشكلت اللجنة من الحاج امين الحسيني رئيسا ، عوني عبد الهادي سكرتيرا ، احمد حلمي عبد الباقي امينا للصندوق ، وجمال الحسيني وراغب النشاشيبي وحسين الخالدي وعبد اللطيف صلاح ويعقوب الغصين ويعقوب فراج (وجيه المسيحيين الارثوذكس) والفرد روك (وجيه المسيحيين الكاثوليك) اعضاء [48]. واتخذت في مساء 25 ابريل قرارا يقضي بالاستمرار « على الاضراب العام الى ان تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلا اساسيا تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية » ، وكررت مطالب العرب المتضمنة (1) منع الهجرة اليهودية منعا باتا ، (2) منع انتقال الاراضي العربية لليهود ، (3) انشاء حكومة وطنية مسئولة امام

---

47 ـ P.D vol. 311, cols 301 - 4

48 ـ عزة دروزة المصدر السابق ح 3 ص 122 - 123

مجلس نيابي [49] . ومما تجدر الاشارة اليه ان مطلب العرب الثالث قد جاء اكثر ايضاحا من مطلب (تأسيس حكومة ديمقراطية) ، الذي قدمه العرب في نوفمبر 1935 [50] .

اعلن المستر مكدونالد ، وزير الدومنيون ، في 26 مايو 1936 ان « اللجنة العربيةالعليا تمثل الاحزاب السياسية الرئيسية لدى العرب ، وبهذه الصفة تنظر اليها حكومة فلسطين ، وتحاول (اي اللجنة) حتى الآن (مايو 1936) كبح جماح العناصر الاكثر تطرفا [51] » . والواقع ان هذا الامر صحيح ، اذ ان اللجنة لم تساند الثورة ، لان في استمرارها فقدان لمركزها ونفوذها . وقد انتقد عزة دروزة اللجنةالعربية العليا في امرين ، اولهما استمرار المنافسة والروح الحزبية الشخصية في داخلها ، وثانيهما ان اللجنة « كانت اقل حماسا واندفاعا من الشعب [52] » . ووصف (المكتب العربي) تشكيل اللجنة بانه كان « نتيجة لظهور لجان محلية في المدن والقرى ظهورا تلقائيا في طول البلاد وعرضها [53] » .

قررت اللجنة العربيةالعليا في 26 ابريل ان يتولى سكرتيرها ، عوني عبد الهادي ، الاتصال « بالتليفون يوميا باللجان القومية في البلاد وتبادل الانباء معها للاطلاع على الحالة في كل جهة » . ولا ندري سبب اتخاذ مثل هذا القرار ، مع ان عوني عبد الهادي وبقية اعضاء اللجان يعلمون ان السلطات البريطانية تراقب التليفونات ، وانه كان لليهود في سنترال الرملة ، وهو السنترال الرئيسي في فلسطين ، بعض الموظفين الذين يتبعون منظمة الهاجاناه . وتضمن قرار اللجنة « ارسال برقيات وتقارير مفصلة الى ملوك

---

49 ـ عيسى السفري المصدر السابق ك2 ص 27، المقطم 1936/4/26.

50 ـ تقرير اللحنة الملكية ص 127.

51 ـ P.D. vol 312, col 1949

52 ـ عزة دروزة المصدر السابق ح3 ص 123

53 ـ المكتب العربي . مشكلة فلسطين، نشرة رقم 2، ص 138.

وامراء العرب وزعماء المسلمين والهيئات العربية في جميع الاقطار ، تتضمن وصفا مسهبا لحالة فلسطين الحاضرة ، وطلب المؤازرة [54] » . كما بعث الحاج امين الحسيني في نفس اليوم ببرقيات استغاثة الى جميع ملوك وامراء العالم الاسلامي [55] . وكان معنى هذا في ابسط الاحوال ، ان الزعامة التقليدية غير قادرة على السيطرة على الجماهير ، فاستعانت بالزعامات العربية الخارجية على ذلك . وفي 27 ابريل ، اصدر (اتحاد الطلبة العرب) بيانا قرر فيه « الاضراب العام المستمر حتى تنال الامة حقوقها » ، كما حث على« تشجيع المصنوعات الوطنية [56] » . وفي 28 ابريل ، قدمت اللجنة العربية العليا مذكرة الى المندوب السامي ، وارفقت بها نسخة من بيانها الصادر في 25 ابريل . وقد اوضحت المذكرة الاطماع اليهودية في فلسطين وسياسة الحكومة البريطاينة ازاءها ، وختمتها اللجنة بقولها « اننا نعتقد ان فخامتكم تدركون حرج موقفنا في هذه الازمة الحاضرة ، ونرجو ان تعملوا على تغيير اسس السياسة المتبعة الآن تغييرا اساسيا ، تتحقق فيه مطالب العرب المذكورة في البيان المقدم طيه [57] » . وكان معنى هذا عودة الزعامة التقليدية الى اسلوب المذكرات والاحتجاجات والعرائض ، الذي بدأ منذ اوائل العشرينات ، ولم يكن لذلك الاسلوب ادنى تأثير على السلطات البريطانية .

التردد حول ارسال وفد الى لندن

يبدو ان فكرة ارسال الوفد العربي الى لندن ظلت تراود الحكومة البريطانية ، وذلك لان زعماء الاحزاب لم يقطعوا امل ارسال الوفد نهائيا . ففي 29 ابريل 1936 ، طلب بعض اعضاء مجلس العموم من المستر

---

54 ـ وثائق المقاومة ص 380.

55 ـ الجزيرة 479 - 1936/5/1

56 ـ وثائق المقاومة ص 381

57 ـ الجزيرة ـ 481 - 1936/5/4

توماس ، وزير المستعمرات ، ان « يجمع الوفد العربي واليهود في مؤتمر مائدة مستديرة لحل قضية فلسطين » ، فرد بان « الموضوع الذي دعي من اجله زعماء فلسطين الى لندن هو منحهم فرصة عرض قضيتهم على حكومة صاحب الجلالة ، لكن الظروف القائمة في فلسطين قد تسببت في تأخير سفر الوفد[58] ». وصرح المستر توماس في نفس اليوم بان « زعماء الاحزاب العربية في فلسطين قد اخبروا المندوب السامي بانه ليس من المصلحة العامة سفر الوفد المقترح الى لندن في الوقت الحاضر [59] » .

وفي 5 مايو 1936 ، عرض المندوب السامي على اللجنة العربية العليا ارسال الوفد الى لندن ، ومنع اللجنة من عقد اية اجتماعات عامة ، وقال ان « الحكومة لن يثنيها اي اضراب عن سلوك الطريق التي قررتها ، وعن اتخاذ كافة التدابير لمنع اي عامل خارج على القانون [60] » . وفي اليوم التالي اعلن المستر توماس ان « حكومة صاحب الجلالة لن تغير سياستها نتيجة لاضطراب او تهديد من اي نوع كان ، ولن توقف الحكومة الهجرة اليهودية تبعا لهذا الاضراب » ، ثم قال « وقد دعوت زعماء العرب لارسال وفد يعرض قضيتهم علي ، فاذا قبلوا فان حكومة صاحب الجلالة سوف تستمع اليهم بدون تحيز [61] » .

انتشار فكرة العصيان المدني

لم تلق فكرة ارسال الوفد الى لندن اية استجابة من الجماهير ، بل ردت عليها بترديد فكرة العصيان المدني والبدء بعدم دفع الضرائب . فقد اصدرت السيدات العربيات في الاجتماع الذي عقدنه في القدس في 6 مايو ، قرارا تضمن « الطلب من جميع الهيئات السياسة واللجنة العليا واللجان القومية ان تعلن جهارا انها ترفض كل بحث او مفاوضة مع الحكومة

---

58 _ P.D vol. 311, col. 891

59 _ op. cit , col. 918

60 _ انظر البلاغ الرسمي رقم 36، في الجزيرة ـ 485 - 1936/5/8.

61 _ P.D vol. 311, cols 1685 - 6

الحاضرة حتى تجاب مطالب الامة » ، وان السيدات العربيات يضممن اصواتهن « الى جميع اصوات اللجان السياسية والقومية بشأن عدم دفع الضرائب [62] » . وكانت (لجنة اضراب السواقين) قد اصدرت في 4 مايو بيانا « بلزوم الامتناع عن دفع الضرائب » ، ودعت جميع الموظفين في المصالح الحكومية الى الاضراب . واتسعت فكرة العصيان المدني في البلاد ، فحاولت اللجنة العربية العليا ان تكبح جماح هذه الحركة ، ودعت الى مؤتمر عام للجان القومية ، يعقد في القدس في يوم الخميس السابع من مايو ، لكنها لم تستطع ان تسيطر على المؤتمر . ولم يتعرض الحاج امين الحسيني في خطابه في المؤتمر الى العصيان المدني ، بل طلب « الاخلاص والصبر والثبات [63] » . ومع ذلك قرر المؤتمر عدم دفع الضرائب اعتبارا من 15 مايو « اذا لم تبدر بوادر مطمئنة للعرب على اساس ان لا ضرائب بلا تمثيل [64] » . وايد مؤتمر لجان الطلبة المنعقد في يافا في 10 مايو [65] ، ومؤتمر ممثلي اللجان القومية في القرى المنعقد في نابلس في 11 مايو [66] ، قرار مؤتمر اللجان القومية بالقدس .

ولما وصل الامر الى هذا الحد ، اعلن المندوب السامي ، في اذاعة له من محطة القدس في 11 مايو 1936 ، انه طلب « ارسال اورطة من المشاة وكتيبة من الدبابات وبعض السيارات المسلحة الاضافية » ، وانها قد وصلت البلاد فعلا . وذكر انه تم القاء القبض على اكثر من 600 شخص ، وختم خطابه قائلا « اني لا ادين بالتكتم ، واود ان يعلم الجميع الذين يحاولون الخروج على القانون ان الحكومة ستعاقبهم بشدة . واود ان يعلم كافة السكان ان بوسعهم ان يبقوا مطمئنين لان الحكومة ستتخذ جميع الطرق

---

62 ـ وثائق المقاومة ص 386 - 387

63 ـ المصدر السابق ص 388 - 393.

64 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 124

65 ـ عيسى السفري المصدر السابق ك2 ص 28.

66 ـ وثائق المقاومة ص 398 - 399.

لحماية الاشخاص والاملاك[67] » . كما اعلن وكيل وزارة المستعمرات في اليوم نفسه ، ان « اضراب العرب لا يزال مستمرا في فلسطين » ، وانه « قد زيدت قوات الحماية العسكرية في فلسطين[68] » . واكد نفس كلامه مرة ثانية في 13 مايو ، واضاف انه « يمكن الاعتماد على المندوب السامي في اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية الارواح والممتلكات[69] » .

لم تستجب الحكومة البريطانية لاي مطلب من المطالب العربية ، مما ارغم اللجنة العربية العليا ، مع اشتداد العنف الجماهيري ، على ان تصدر في 14 مايو بيانا الى الشعب ، طلبت فيه البدء بتنفيذ قرار الامتناع عن دفع الضرائب ابتداء من 15 مايو « بثبات واخلاص وحزم ، متذرعا بالطرق السلمية ، متجنبا العنف[70] » . ويقول عزة دروزة ان القرار « نفذ آليا دون سائل ولا مسئول ، الى ان انتهى الاضراب والثورة معا[71] » . والواقع ان الاضراب كان قد اتسع بصورة رائعة في معظم انحاء البلاد . ففي النصف الاول من شهر مايو 1936 « توقفت حركة العمل والتجارة بين العرب بالفعل ، وشلت الحركة في ميناء يافا ، (وفشل موشيه سميلانسكي عن طريق اسلوب جسر من المال في انهاء اضراب عمال الميناء)[72] ، واقفلت الحوانيت في مدينة القدس وغيرها . ولم يكن هنالك من عمال عرب يمارسون العمل الا في ميناء حيفا ، والى حد ما على خطوط سكة الحديد . وقد كان يرافق الاضراب من حين لآخر مظاهرات محلية ، فكان اليهود عرضة للاعتداء وللرشق بالحجارة في مختلف انحاء البلاد . اما اللواء الشمالي فقد كثر فيه قطع اشجار اليهود واتلاف مزروعاتهم[73] » .

---

67 ـ الجزيرة ـ 490 - 1936/5/14.

68 ـ P.D. vol. 312, col. 28

69 ـ op. cit., col. 369

70 ـ وثائق المقاومة ص 400.

71 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 124 - 125.

72 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 176

73 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 128.

موقف اليهود من اضراب عام 1936

يذهب بن غوريون الى ان « الاضراب في حد ذاته لم يلحق الضرر بالاقتصاد اليهودي ، وان اغلاق المحلات العربية ، واضراب الاوتوبيسات والسيارات العربية ، وكذلك منع الخضار والمنتجات الزراعية الاخرى عن اليهود ، لم يضر بالاقتصاد اليهودي ، بل على العكس عمل على دعمه »[74] . وقد يكون ما ذهب اليه بن غوريون صحيحا من الناحية الاقتصادية ، الا انه لم يكن كذلك من الناحية السياسية ، بدليل ان بن غوريون نفسه ، بعد حادثة 15 ابريل 1936 ، فتح باب المحادثات مع الجانب العربي ممثلا في جورج انطونيوس ، في محاولة لاتفاق عربي - يهودي . واجتمع الاثنان في 16 ابريل ، ووافق بن غوريون على فكرة تشكيل المجلس التشريعي على اساس متساو من العرب واليهود[75] . وفي الاجتماع الثاني الذي عقد في 22 ابريل ، لم يوافق بن غوريون على فكرة المركز الروحي لليهود في فلسطين[76] ، ثم عرض جورج انطونيوس: (النشاط اليهودي في كل سوريا)، لكن بن غوريون عارض في ذلك، وأكد على ضرورة وجود العراق الى جانب سوريا. اما انطونيوس فقد عارض في مسألة ادخال العراق ، على اساس ان في العراق « شعور قومي عراقي » ، ثم عرض فكرة اتحاد العرب واليهود في فلسطين وسوريا بموافقة انجلترا ، التي « ترغم فرنسا على الابتعاد نهائيا عن سوريا » . وتم في نهايةالامر التوصل الى اتفاق هذا مجمله : « سوريا وحدة واحدة وبداخلها (ارض اسرائيل) ، وهذا الاسم يكون بالعربية ايضا ، ولا يكون هناك تحديد عددي للهجرة اليهودية ، وان حقوق (ارض اسرائيل) محدودة في منطقتها ، مسألة شرق الاردن تحتاج الى بحث آخر ، حرية اليهود للتوطين في اي جزء من سوريا ، ضمانات دولية ومساعدة اليهود لتحرير سوريا

---

74 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 142.

75 ـ المصدر السابق ص 92 - 97.

76 ـ نفس المصدر ص 101 - 105.

وتنميتها ، ومساعدة العرب للصهيونية » . واكد انطونيوس ان بعض زعماء فلسطين وسوريا يقبلون هذه المقترحات . واتفق على لقاء ثالث في 29 ابريل 1936 [77] . وفي هذا الاجتماع لم يتم التوصل الى اي اتفاق ، سوى امكانية قيام فدرالية عربية ، وموافقة انطونيوس على دخول مليون مهاجر يهودي الى فلسطين نهائيا [78] .

وفي اوائل مايو 1936 ، جرت مباحثات بين سميلانسكي [79] وبين صديقه عبد الرحمن التاجي الفاروقي ، حول كيفية ايجاد« جسر من المال للتأثير على القلوب كما اعتادوا عليه في الشرق » . ونفذ سميلانسكي نصيحة صديقه ، فاتصل بتوفيق الغصين [80] للتفاوض بشأن (الجسر المالي) ، واقتنع انه « اذا نجح في شراء اعضاء اللجنة العربية (العليا) بالمال بواسطة واحد منهم ، فان ذلك سيساعد بدون شك على نجاح الاتفاق الذي سيضعه ماجنس مع موسى العلمي وزملائه . ولم يضيع سميلانسكي الوقت ، فتقابل مع توفيق بك (الغصين) عدة مرات ، وتحدث اليه حديثا صريحا ، ولم يتوان الاثنان عن التوصل الى اتفاق فيما بينهما . فقد فهم البك (اي توفيق الغصين) الامر كما يلي : ان لديكم (اي اليهود) شخصا واحدا طاهرا يفكر ويعمل لله ، وذلك هو ماجنس . . . كما انه يوجد لدينا (اي العرب)شخص واحد طاهر يفكر ويعمل لله ايضا، وذلك هو موسى العلمي » . ووضع الاثنان صيغة جميلة تستهوي القلوب ، ونحن رجال العمل نساعدهما بقصد التوصل الى وضع (صيغة) تكون مقبولة . وكانت الصيغة التي اقترحها هذا البك(اي توفيق الغصين) ، بعد قيامه برحلات عديدة الى القدس (كان توفيق الغصين يسكن وادي حنين) ، وبعد ان احضر ابنه (يعقوب الغصين وهو رئيس مؤتمر الشباب) بعض اعضاء اللجنة

---

77 ـ نفس المصدر ص 119 - 120.

78 ـ نفس المصدر ص 122 - 136.

79 ـ رئيس منظمة الزراع اليهود، وهو احد دعاة اتفاق عربي يهودي . انظر مشروعاته من اجل ذلك في E.F. vol. I, p 583

80 ـ قال عنه بن غوريون انه « لم يكن طاهر القلب او نظيف اليد » . انظر (لقاءات) ص 173.

العربيةالعليا الى منزل والده ، كما يلي : ان يقدم اليهود خمسين الف جنيه فلسطيني ، يتناول ثمانية من اعضاء اللجنة العربية مبلغ خمسة آلاف جنيه لكل واحد منهم ، ويتقاضى البك مقابل اتعابه خمسة آلاف جنيه ، كما يتقاضى الاثنان (توفيق الغصين وسميلانسكي) خمسة آلاف جنيه على سبيل نفقات . وفي مقابل هذا يوافق اعضاء اللجنة العربية العليا على اقتراح المندوب السامي بايقاف الاضراب ، والسفر مع مندوبي اليهود الى لندن لاجراء مفاوضات على اساس الاتفاق الذي سيضعه ماجنس وموسى العلمي . وان توضع تلك الاموال امانة لدى ايد امينة ، او بصورة سرية في اي بنك ، الى ان تنفذ اللجنة العربية العليا تعهداتها » . وسأل سميلانسكي محدثه قائلا : لماذا ثمانية فقط من اعضاء اللجنة العربية العليا مع ان عددهم عشرة ؟ فضحك توفيق الغصين وقال : ان هذين الاثنين هما الحاج امين ونسيبه جمال (الحسيني) ، وانهما لا يتقاضيان مالا [81] . ويقول بن غوريون ان سميلانسكي كان يدرك ان ماجنس لن يتفق على امر كهذا ، ولذلك عرض الامر على بنحاس روتنبرغ ، الذي رحب بالعرض ، وقدم 25 الف جنيه من (شركة روتنبرغ) ، واقترح ان تدفع الوكالة اليهودية الباقي ، وان وايزمن قد وافق على هذا المشروع ايضا ، واخذ « على عاتقه ان يؤثر على رجال الوكالة (اليهودية) ، الا انه لم ينجح[82] » .

وفي 21 مايو 1936 ، جرت محادثات بين موسى العلمي وبين موشيه شرتوك (السكرتير السياسي للوكالة اليهودية واحد المتخصصين في الشئون العربية) ، وقد تم الاتفاق بينهما على ضرورة التفاوض بين العرب واليهود [83] . واكد موسى العلمي ان توفيق الغصين اتصل به واخبره بترتيب اجتماع مع المندوب السامي ، له ولسميلانسكي ، لعرض إيقاف الهجرة

81 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 173 - 174.

82 ـ المصدر السابق ص 174 - 175.

83 ـ نفس المصدر ص 190 - 196.

اليهودية مقابل وقف الاضراب [84] . لكن اهم ما ورد في ذلك الاجتماع هو الكلام حول المفتي وموقفه من الاضراب . فقد اشار موسى العلمي الى ان المفتي « اكثر تسامحا الان » ، وانه « يعارض في العنف . . . اذ ان العنف لن يجلب اية نتائج ايجابية ، ولان الحكومة تكون قوتها اكبر بكثير في حالة العنف ، فتقضي علينا (اي على العرب) بالقوة ، وانها لقادرة على ذلك . لقد كان تفكير المفتي ان يكون هناك اضراب سلمي ، وهو يعتقد ان الاضراب المستمر اشد الاسلحة فتكا ضدكم (اي ضد اليهود) ، اذ ان الاضراب سيهدم حتما موقفكم في البلاد ، وسيلحق بكم الضرر اكثر من العرب » . ثم قال موسى العلمي ان المفتي « لا يعلم كيف يخرج منه (اي من الاضراب) ، فهو ضد الاستمرار في الاضراب بسبب : ان الامر ادى الى العنف ، وان العنف ـ حسب رأيه ـ يؤذي الحركة الوطنية ، وان اعمال العنف ستدفع الى العمل للقضاء عليها بالقوة ، وانه اذا قضي على الحركة التي قامت الان ، فانه لن يكون من السهل بعثها ثانية . ثم ان المفتي يفقد موقفه الشخصي ، ولهذا فانه مهتم بوضع حد للامر[85] » .

تنفيذ فكرة العصيان المدني (15 مايو 1936)

فشلت جميع المحادثات التي جرت بين العرب واليهود في ابريل ومايو 1936 ، ذلك ان الامر لم يعد في ايدي الزعامة التقليدية للبلاد ، بل اصبح في يد قيادات فلاحية ثورية ، نظمت نفسها تلقائيا دون اشراف اللجنة العربية العليا . وكان واكهوب على حق ، حين اكد في تقريره المرفوع الى وزارة المستعمرات في 14 مايو 1936 ، على ان السياسيين ورؤساء البلديات والزعماء غير السياسيين لم تعد لديهم « بسبب قوة الرأي العام في جميع انحاء البلاد » قدرة على الامر بوقف الاضراب [86] . فقد بدأ تنفيذ

---

84 ـ نفس المصدر ص 205.

85 ـ نفس المصدر ص 208 - 212

86 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 308.

العصيان المدني منذ يوم 15 مايو ، وفي اليوم التالي ظهرت العصابات العربية المسلحة علنا في القرى والجبال ، وابتدأت عمليات المواجهة مع القوات العسكرية البريطانية ، التي كانت « ترد من مصر ومالطة اعتبارا من الاسبوع الثاني من شهر مايو[87] » .

ردت الحكومة البريطانية ردا سريعا على العصيان المدني ، فوافقت في يوم الاثنين ، 18 مايو ، على السماح بدخول 4500 مهاجر يهودي للاشهر الستة القادمة . وفي نفس اليوم اعلن المستر توماس ، وزير المستعمرات ، ان « المندوب السامي قد اوضح بجلاء سياسة حكومة صاحب الجلالة الى زعماء العرب في فلسطين » ، وقال « واني انتهز هذه الفرصة لاقرر ان حكومة صاحب الجلالة قد ابدت اهتماما شديدا بالحالة في فلسطين منذ البداية . ان الواجب الاول هو اعادة النظام الى البلاد ، ويقوم المندوب السامي باتخاذ كل الخطوات الضرورية لتحقيق هذا الهدف . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ، فإن حكومة صاحب الجلالة قررت ارسال لجنة تحقيق الى فلسطين . وبعد هدوء الاحوال ، ستطلب الحكومة من صاحب الجلالة تعيين لجنة ملكية ـ دون ان يكون من اختصاصها بحث الانتداب ـ للتحقيق في اسباب الاضطرابات الاخيرة ، وادعاءات العرب واليهود » . واكد انه لا بد من عودة الامن والنظام قبل وصول لجنة التحقيق الملكية ، التي لا يحق لها بحث نص صك الانتداب . واضاف ان « الحكومة قررب تعيين لجنة التحقيق دون مشورة زعماء العرب او زعماء اليهود[88] » . وفي 26 مايو 1936 ، اعلن المستر مكدونالد ، وزير الدومنيون ، ان « المندوب السامي قد اخبر زعماء العرب في 14 مايو نبأ تعيين لجنة التحقيق الملكية ، ونقل وزير المستعمرات هذا النبأ في 18 مايو الى رئيس الوكالة اليهودية في فلسطين ابان زيارته لانجلترا[89] » . ثم سئل عن قبول العرب واليهود للجنة التحقيق

87 ـ تقرير اللحنة الملكية ص 129.

88 ـ P.D. vol 312, cols. 837 -8

89 ـ op. cit. col 1511

الملكية ، فقال انه « نظرا لتعيين لجنة ملكية بعد عودة النظام ، فليس هناك مجال لافتراض عدم قبول اللجنة[90] » .

لم يسفر قرار الحكومة البريطانية ، بالسماح بدخول 4500 مهاجر يهودي وارسال لجنة تحقيق ، عن النتائج التي كانت تتوخاها . فقد كتب خليل السكاكيني بعد يوم واحد من قرار الحكومة البريطانية ، اي يوم الثلاثاء 19 مايو ، ما يلي : « بهذا اليوم يكون قد مر على البلاد شهر كامل وهي مضربة ، بل وهي في حالة حربية . ومع كل ما اتخذته الحكومة من الاحتياطات ، لا تزال حوادث القتل والضرب في الليل والنهار ، في كل حي من احياء المدينة الواحدة ، وفي كل انحاء البلاد من اقصاها الى اقصاها ، تتوالى من غير انقطاع . ننام على ازيز الرصاص ، وننهض في الصباح على ازيز الرصاص . ولكن الحكومة لا تزال ممعنة في دلالها طلبت الامة وقف الهجرة وقفا تاما ، واذا بالحكومة تمنح اليهود اربعة الاف وخمس مائة شهادة لمهاجرين جدد . طلبت الامة منع بيع الاراضي ، واذا بالحكومة تقطع اليهود 150 الف دونم من الاراضي الاميرية . اضرب بحارة يافا عن العمل ، واذا بالحكومة تحول البواخر الى تل ابيب ، فانبرى لها بحارة يافا ، ووقعت معركة بحرية . تفعل الحكومة ذلك على اعتقاد منها انه يفت في عضد العرب ويدخل اليأس على نفوسهم فيتراجعون ، ولكنها وجدت انها لا تشتد الا كان العرب اجرأ عليها . فالقنابل تلقى ، والرصاص يطلق ، والمزروعات تحرق ، والبيارات اليهودية بيافا تخرب ، والجسور تنسف ، واسلاك التليفون تقطع ، واعمدة الكهرباء تقلع ، والطرق تمنع . . . ولا شك ان الحكومة الانجليزية قد افلست وسقطت قيمتها الى درجة الصفر » . ثم ذكر ان السلطات البريطانية منعت التجول في نفس اليوم من السادسة والنصف مساء[91] .

---

90 ـ Ibid., cos. 1848 - 9

91 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 284 - 285

بدء الكفاح المسلح

وفي يوم 23 مايو ، القت السلطات البريطانية القبض على 61 عربيا من مختلف انحاء البلاد ، « واجبر معظمهم على البقاء تحت مراقبة البوليس في غير المدن التي يقطنونها [92] » . وكان من ضمن المقبوض عليهم ، سليم عبد الرحمن زعيم منطقة طولكرم . فأتجه القرويون الى المدينة ، وحدث صدام بينهم وبين قوات الجيش القادمة من مصر والمتجهة الى نابلس في (عطفة بلعا) . وفي مساء اليوم نفسه ، قامت مظاهرة في نابلس احتجاجا على اعتقال اكرم زعيتر ، واصطدم المتظاهرون بقوات الجيش ، فقتل اربعة اشخاص وجرح سبعة . وانتشرت الاخبار بسرعة الى القرى المجاورة ، فأسرعت لاحتلال مفارق الطرق والجبال . وارسل اهالي جبال نابلس الى اهالي جبال الخليل « رغيفا من الخبز مغموسا بدم ، وهذا معناه في عرفهم دعوة في الاشتراك في الثورة لا يمكن ان تقاوم [93] » . وهكذا امتدت الثورة الى لواء السامرة والخليل . وكتب السكاكيني في يوم الثلاثاء 26 مايو 1936 ما يلي : « لقد وصلت الحالة الى درجة خطرة جدا . فان الثوار بعد ان قضوا على المستعمرات اليهودية ، بعد ان قطعوا اشجارها وحرقوا بيوتها ونسفوا آبارها . . . اصبح الامر بين العرب والجند (البريطاني) . لا يمر يوم الا نشبت معارك هائلة بين الثوار والجند في كل مكان ، واعظم هذه المعارك هي المعارك التي تقع في نابلس وطولكرم في الشمال ، وفي غزة وبئر السبع في الجنوب . ويدلك على عظم الخطر ان الانجليز في مواطن الخطر هذه ، ارسلوا نساءهم واولادهم الى القدس . واما الحكومة فتطلب النجدات اثر النجدات[94] » .

اسفر الكفاح المتصاعد عن شمول الاضراب لبعض فئات بدت مترددة او خائفة في النصف الاول من مايو ، فالعرب « الذين ظلوا يفتحون حوانيتهم

---

92 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 129.

93 ـ عيسى السفري المصدر السابق ك2 ص70

94 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 285 - 286.

، او احجموا عن الاضراب ، ما لبثوا ان تبعوا الآخرين من تلقاء انفسهم ، او على اثر تهديد ممثلي اللجان القومية ، التي كان معظم اعضائها من الشبان العرب ، وكانت هذه اللجان تراقب سير الاضراب بصورة فعالة جدا[95] »

ولم يكن اضراب العمال العرب في ميناء حيفا كاملا بسبب امكانية استخدام عمال يهود بدلا منهم . فقد اشار بن غوريون في خطاب له في 15 اكتوبر 1936 الى ان ميناء حيفا « لم يضرب ، لاننا نجحنا في ادخال عدد من العمال اليهود للعمل فيه ، فاشتغلوا جنبا الى جنب مع اخوانهم العمال العرب بسلام واطمئنان[96] » . اما عمال البلديات « فقد كان امرهم منوطا برؤ ساء البلديات الذين لم يتخذوا من الحكومة موقفا عدائيا يبلغ المدى الذي ذهبت اليه القطاعات الاخرى . واخيرا وافق رؤ ساء البلديات ، تحت الضغط الشديد ، على عقد اجتماع يبحثون فيه الحالة ويتخذون موقفا مشتركا منسقا من الحكومة ، ولكن الحكومة سارعت الى الغاء الاجتماع . بيد انهم عادوا فاجتمعوا بصورة سرية في 31 مايو1936 ونتيجة لهذا الاجتماع التزم بالاضراب نصفهم[97] » . ويذكر دروزة ان « اضراب البلديات لم يكن تاما في كل مدن فلسطين[98] » . وكانت البلديات التي اضربت هي بلديات : اريحا ، يافا ، نابلس ، الخليل ، طولكرم ، بيت لحم ، رام الله ، اللد والرملة[99] .

اما البوليس العربي فقد بدأ بالتذمر من معاملة البوليس البريطاني ، ثم انتقل الى التلكؤ في تنفيذ الاوامر ، واخذ البعض يقدم استقالته ، وطلبت منهم الحكومة اما العودة الى العمل او دفع 50 جنيها غرامة ، مما دفع الكثير

---

95 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 129.

96 ـ الوكالة اليهودية : نشرات الوكالة اليهودية . قضية ميناءي يافا وتل ابيب، نشرة رقم 4، القدس حزيران 1937، ص 33.

97 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 310.

98 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص125.

99 ـ الرابطة العربية ـ ع3ـ 1936/6/10.

منهم الى الهرب الى شرق الاردن [100] . وفي طولكرم شارك البوليس العربي في الاضراب . وايد (مؤتمر البوليس) في يافا في 27 مايو اضراب البوليس العربي في طولكرم ، وطالب بالانفصال عن البوليس البريطاني لسوء سلوكه ازاء الاضراب والثورة ، وبسحب البوليس العربي من المستوطنات اليهودية [101] . على ان اخطر مؤتمرات البوليس العربي كان مؤتمر القدس ، الذي عقد في 31 مايو ، برئاسة محمد علي العناني وسكرتارية شحاته العناني (شيوعي) ، وحضره نحو 150 مندوبا . ومن اهم مقرراته : مساواة البوليس العربي بالبوليس البريطاني في كل شيء ، سحب البوليس العربي من المناطق اليهودية وبالعكس ، التحقيق في جميع الاتهامات التي وجهها العرب والبوليس العربي الى البوليس البريطاني في اثناء الاضطرابات ، وان « ينظر في هذه الطلبات بصفة جدية ، وإلا يقرر البوليس العربي الاضراب عن العمل اعتبارا من الساعة الخامسة من صباح 4 يونيه 1936 » .[102]

اما بالنسبة لموظفي الحكومة ، فان اللجنة العربية العليا لم تقرر حتى 20 مايو 1937 ، اشراكهم في الاضراب [103] ، برغم الضغوط الواقع عليها . ولم يكن من المنتظر ان يشارك الموظفون في الاضراب بسبب تكوينهم الطبقي وارتباطهم معيشيا بالسلطة الحاكمة . ومع ذلك اكتفى 137 موظفا ، من كبار الموظفين والقضاة العرب ، بتقديم مذكرة في 30 يونيه 1936 [104] الى المندوب السامي . وقد اكد الموظفون على ان « السبب

---

100 ـ المقطم 1936/5/20.

101 ـ المقطم 1936/5/28.

102 ـ الدفاع الوطني (القاهرة) - 3509 - 1936/6/1

103 ـ انظر المقطم 1936/5/20.

104 ـ تقرير اللجنة الملكية ـ ملحق 2 ص 524 - 526 . وقد رد عليها المندوب السامي في 14 اغسطس 1936 . انظر P D. vol. 329, col. 581

الحقيقي للتذمر الحاضر هو ان الشعب العربي بكامل طبقاته وطوائفه يشعر شعورا عميقا بأنه مظلوم ، وبأنه لم يلتفت في الماضي الالتفات الكافي الى شكاويه المشروعة » . وقالوا انهم تحملوا ، « كثيرا من المشاق في سبيل اقناع الشعب بان رجوع الامور الى حالها الطبيعي هو شرط لتعيين اللجنة الملكية » ، ولكن جهودهم « كلها ضاعت سدى » . ثم اشارت المذكرة الى ان « لدى الحكومة من شتى الوسائل ما يمكنها من اخماد حركة التمرد الحالي (هكذا) على مدار الايام . ولكن الشعور سيظل دائما مصدر اضطرابات وقلق ، واذن فستفشل القوة حتما في اخماد الشعور . والسبيل الوحيد الى ازالته هو ازالة العوامل التي ولدته » . وقد علقت لجنة بيل على هذه المذكرة بقولها « ان هذه المذكرة ، وان تكن لهجتها تدل على اعتدال مقدميها واحترامهم لمن وجهوها اليه ، الا انها قد اكدت تاكيدا قاطعا ، ان عدم الثقة بحسن نية الحكومة له ما يبرره ، ثم انها ادانت سياسة الحكومة بشكل حاسم [105] » . وقد اشار سايكس الى ان المذكرة « كانت بايحاء من الامير عبدالله ونوري السعيد وزير خارجية العراق ، ولكن هذه الحركة افتقرت الى التأييد الشعبي ، ولم يكن لها اي تأثير سريع [106] » . ومما يجدر ذكره ان اورمسبي غور رفض في 8 ديسمبر 1937 ان « يتخذ اي اجراء ضد الـ 137 موظف عربي الذين قدموا مذكرة 30 يونيه 1936 [107] » .

وبعد بضعة اسابيع من تقديم كبار الموظفين لمذكرتهم ، قدم 1200 موظف عربي ، من موظفي الدرجة الثانية في الخدمة العامة ، مذكرة مماثلة . وفي منتصف يوليو 1936 ، قدم قضاة المحاكم الشرعية مذكرة اخرى ، وقد كانت لهجة مذكرتهم اشد عنفا من لهجة المذكرتين السابقتين . فقد وصفت سياسة الحكومة بانها سياسة « مستنكرة » ، واتهمت البوليس والجند بارتكاب « اعمال لا يتصورها العقل » ، وحذرت السلطات البريطانية من

105 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 130.

106 ـ Sykes, op. cit., p. 186

107 ـ P.D. vol. 330, col. 374

« انتقام الله القاهر الجبار » ، وطالبت المذكرة في النهاية بمنح « العرب جميع مطالبهم ، وتنفيذ المواثيق والعهود التي قطعت لهم [108] » .

الاجراءات البريطانية ضد الثورة

حاولت الحكومة البريطانية منذ البداية ان تقضي على الاضراب والثورة ، ففرضت نظام « منع التجول من الغروب حتى الشروق في جميع المدن والقرى ، ويبلغ منع التجول احيانا 22 ساعة في اليوم [109] » . واخذت في نفي الشباب العرب الى غير المدن التي يقيمون فيها ، وفرضت قانون (العقوبات المشتركة) ، واستعملت الغاز المسيل للدموع في تفريق المظاهرات . وبرر المستر مكدونالد ، وزير الدومنيون ، في 29 مايو 1936 ، استعمال الغاز بأنه « غير ضار وغير قاتل [110] » . واغلقت السلطات البريطانية (جمعيات الشبان المسلمين) في معظم مدن وقرى فلسطين .[111]

اما عمليات التفتيش والبحث فقد جرت في المدن اولا ثم انتقلت الى القرى . واستنكر علماء القدس ـ في مذكرة مؤ رخة في يوم الاثنين الواقع في اول يونيه 1936 ، رفعوها الى المندوب السامي ـ ما تقوم به السلطات البريطانية من « الجرائم » اثناء التفتيش ، واتهمتها « بالاعتداء الصارخ على حرمات البيوت والنساء وترويع الاطفال والشيوخ ، واتلاف الاثاث والموجودات البيتية والمئونة بصورة فظيعة ، وخصوصا اهانة المصاحف الشريفة [112] » . وكتب عوني عبد الهادي من معتقل (عوجة الحفير) في 7 يونيه 1936 ، ان « السلطة البريطانية تستعمل بفلسطين جنود الحرب لضرب

---

108 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 130 - 131.

109 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص128 - 129.

110 ـ P.D. vol. 312, col. 2392

111 ـ المقطم 1936/6/1.

112 ـ مكتب الاستعلامات الفلسطيني بمصر : عن ثورة سنة 1936، القاهرة، ديسمبر 1936، ص35.

لقرى الغير مسلحة ، وتخريب كل ما في البيوت من اثاث ومؤ ن ، وتمزيق المصاحف الشريفة ودوسها بالاقدام ، واختلاس النقود والاموال . وسنت هذه السلطة قوانين جديدة لابعاد الوطنيين وتشريدهم ، واكراه المضربين على فتح حوانيتهم ، مما هو مخالف لاقدس حريات الافراد وعهد حقوق الانسان [113] » . وذكر نائب المارشال بيرس ، في تقريره المرفوع الى وزارة الطيران في 15 اكتوبر 1936 انه « من الواضح ان الوسيلة الوحيدة لاستعادة زمام المبادرة من الثوار هي اتخاذ اجراءات ضد القرى التي ينطلق منها الثوار والمخربون . . . ومن ثم فانني بدأت ، بالتعاون مع مفتشي البوليس ، في تفتيش القرى . وكانت اعمال التفتيش تجري في الظاهر بحجة البحث عن السلاح وعن الاشخاص المطلوبين ، ولكن الحقيقة هي ان الاجراءات التي كانت تتبع ، والتي كانت تسير على نفس خطوط الاجراءات التركية القديمة ، انما هي اجراءات تأديبية شديدة [114] » .

لم تعتمد الحكومة البريطانية « على القوات المسلحة للقضاء على الثورة والاضراب فحسب ، بل لجأت الى وسائل واساليب اخرى للوصول الى تحقيق غرضها . فسعت لافساد العرب والايقاع بين المسلمين والمسيحيين ، وتشجيع انصارها واعوانها على مقاومة الثورة والاضراب ووقفهما ، واسندت الى عدد كبير منهم وظائف حكومية استحدثتها لهذا الغرض ، وقدمت الاموال لعدد من القرويين والعشائر كقروض زراعية ، وألفت في البرلمان البريطاني لجنة برئاسة اللورد (وينترتون) ، ادعت صداقة العرب والدفاع عنهم ، بقصد تضليلهم وتهدئة ثورة نفوسهم ، واقناعهم بألا يقطعوا آمالهم في الانجليز [115] » . ولقد حاولت الحكومة البريطانية بالفعل « فصل الفلاحين عن الثورة عن طريق تخفيض ضريبة

---

113 ـ المصدر السابق ص 40.

114 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 312

115 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 82

الاملاك في القرى عن الاثمار الحمضية ، واعفاء الفلاح من دفع 50% من ضريبة الاعشار على محصولاته [116] » . وذكرت مجلة (الفتح) انه « خرج الى قرى القدس عدد من القائمقامين (ومعروف انهم من موظفي الحكومة) لاقناع القرويين بالاخلاد الى السكينة وبفصلهم عن اهل المدن في الحركة الوطنية القائمة . ومما عرضوه عليهم ان تتبرع الحكومة بمبلغ 500 جنيه لكل قرية لتوسيع المدارس . فأجابهم القرويون : اننا متضامنون مع اخواننا اهل المدن ، وليس لبريطانيا الا ان تختار احد امرين : فاما العرب واما اليهود [117] » .

واصدرت الحكومة البريطانية في 12 يونيه 1936 (ملحق 2 ، عدد 605 من الوقائع الفلسطينية) ، وفي 20 يونيه 1936 (ملحق 3 من نفس العدد) تعديلا لقانون الطوارىء (المادة 8 مكررة أ) ، اوردت فيه تسعة افعال ، يعاقب مرتكبها « لدى ادانته من قبل محكمة الجنايات الكبرى بالاعدام او السجن المؤبد » . وجاء في المادة (9 مكررة أ) انه «يجوز لاي فرد من افراد قوات جلالته البحرية او العسكرية او الجوية ، او من افراد قوة بوليس فلسطين ، ان يأمر جميع سكان اية مدينة او قرية او منطقة او محلة او ايا منهم ، بأن يزيلوا من اية طريق من الطرق الواقعة في تلك المدينة او القرية او المنطقة او المحلة ، اية سدود او زجاج او مسامير او عوائق او حواجز تعطل استعمال تلك الطريق على الوجه اللائق ، لحركة السير او لغير ذلك » . وسمحت المادة (9 ب) لاي حاكم لواء « ان يستولي ـ بالنيابة عن المندوب السامي ـ على اية دار او بناء او انشاء ، اذا اقتنع بأن عيارا من سلاح ناري اطلق منه ، او بأن قنبلة او مادة مفرقعة اخرى او مادة محرقة القيت منه . ويحق له ـ بعد اخذ موافقة المندوب السامي ـ ان يستولي على اية دار او بناء او انشاء واقع في اية مدينة او محلة او قرية او اية منطقة اخرى ، اذا اقتنع بان

---

116 ـ عيسى السفري المصدر السابق ك 2 ص 39

117 ـ الفتح ـ 502 - 28 ربيع اول 1355 هـ (1936/6/18).

سكانه قد ارتكبوا جرما ينطوي على ايقاع اذى جسماني او تخويف او اي جرم من الجرائم المعينة بالمادة (8 مكررة أ) من هذا النظام ، او اعانوا او ساعدوا على ارتكابه ، وكان المجرمون الحقيقيون مجهولين لديه . واذا استولى على اية دار او بناء او انشاء على هذه الصورة ، تصادرتلك الداراو البناء او الانشاء للمندوب السامي دون تعويض ، ويجوز هدم الدار او البناء او الانشاء ، او التصرف فيه بأية صورة اخرى وفقا لما يوعز به حاكم اللواء » .

وكان اوضح مظهر لاجرام السلطات البريطانية هو نسف البلدة القديمة في مدينة يافا مرتين خلال شهر واحد ، الاولى في يوم الخميس 18 يونيه 1936 ، والثانية في يومي الاثنين والثلاثاء في 29 و 30 يونيه من نفس العام ، وكان ذلك بحجة « تحسين المدينة وانشاء الطرق » . وفي المرة الاولى تم نسف « 70 دارا يسكنها نحو 150 عائلة ، وتناول اخلاء الدور المجاورة نحو 150 دارا يسكنها نحو 300 عائلة » . هذا بالاضافة الى تهدم عدد آخر من الدور وهو كثير جدا ، حتى لقد تجاوز الضرر البلدة القديمة ، فان قبة كنيسة الخضر الموجودة في حي العجمي ، « تشعثت وذلك بتأثير النسف بالديناميت [118] » . وكانت الحكومة البريطاينة قد قررت ان « تعطي كل عائلة تعويضا خاصا يوميا قدره 20 ملا لمدة اسبوع ، عن كل فرد من افرادها [119] » . واسفر هدم البلدة القديمة للمرة الثانية عن نزوح « جميع سكان البلدة القديمة عن بيوتهم ، وكانوا ثلاثة اقسام : قسم هدمت بيوتهم ويقدرون بنحو 500 عائلة ، وقسم اخلوا بيوتهم لقربها من خطة الهدم بانذار او بدون انذار ، ويقدرون بالف عائلة ، وقسم خرجوا من بيوتهم بأشخاصهم وتركوا امتعتهم ، وهم بقية السكان » . واشارت مذكرة اللجنة القومية بيافا ، والمؤ رخة في 2 يوليو 1936 ، والمرفوعة الى الحاج امين الحسيني ، الى ان الحكومة « لم تقم بعمل يذكر في سبيل ايواء هؤلاء المشردين ، وكل ما

---

118 ـ من مذكرة اللجنة القومية بيافا ـ انظر بالرابطة العربية ـ ع8 ـ 1936/7/15.

119 ـ بلاغ رسمي رقم 36/120 في 17 يونيه 1936. انظر الجزيرة ـ 521 - 1936/6/20.

فعلته هو انها اسكنت منهم في المدارس ، وفي بناية المدرسة الارثوذكسية الوطنية ، بقدر ما تستوعب هذه المدارس القليلة التي تبلغ العشر ، اكثرها دور صغيرة » . واتهمت اللجنة القومية الجنود البريطانيين بنهب البيوت ، وانه قد رفع اليها « كثير من الشكايات يقول اصحابها انهم رأوا الجند ينهبون بيوتهم [120] » .

وفي مجلس العموم البريطاني ، ادعى اورمسبي غور ، وزير المستعمرات ، في 21 يونيه 1936، ان « نسف البلدة القديمة في يافا كان لشق طريقين جديدين للميناء » ، وقال انه « لم تحدث اصابات في الارواح ، وان اصحاب البيوت التي نسفت ، قدمت لهم تعويضات مناسبة [121] » . ورفض في أول يوليو 1936 قبول « الاتهام الموجه الى القوات البريطانية بتخريب ونهب البيوت في أثناء التفتيش عن الاسلحة » ، لكنه اعترف ان ذلك كان « لضرورة الامن العام [122] » . ومما هو جدير بالتقدير ، ذلك القرار الذي اصدره قاضي القضاة البريطاني ، المستر مايكل مكدونالد ، في المحكمة العليا في القدس ، في 3 يوليو 1937، بشأن نسف البلدة القديمة في يافا للمرة الاولى . فقد عاب على السلطات البريطانية ادعاءها بتحسين المدينة وهي تقصد النسف ، واكد ان قانون الطوارىء الصادر في 19 ابريل 1936يشير « بهدم وليس نسف اي بناء » ، وقال انه « يجب على الحكومة عندما تقوم بتنفيذ السلطات المخولة لها في اي وقت كان ان تكون صريحة وصادقة في كل ما تفعل ، وعندما تقوم بتنفيذ اية اجراءات استثنائية شديدة ، مثل السلطات المعطاة لها بموجب امر مجلس الملك الخاص المشار اليه ، يجب عليها ان تفعل ذلك بكل صراحة وصدق ، وعدم قيامها بذلك لا يمكن ان ينال الرضى ، بل هو موجب للتأنيب [123] » . ورفض اورمسبي غور في 8 يوليو 1936ان يعلق بشيء على

---

120 ـ عن ثورة فلسطين سنة 1936، ص 60 - 61.

121 ـ P D. vol. 313, col. 1747

122 ـ P.D. vol. 314, col. 386

123 ـ عن ثورة فلسطين سنة 1936، ص 71- 72.

حكم المحكمة العليا بشأن نسف البلدة القديمة في يافا [124].

وبعد « معارك المائة يوم » (يوليو 1936) التي وقعت في معظم انحاء البلاد بمناسبة مرور 100 يوم على الاضراب والثورة ، ضد القوات البريطانية ، اسندت الحكومة البريطانية « القيادة العليا لقواتها في فلسطين الى الجنرال ديل ، رئيس اركان حرب الجيوش الامبراطورية البريطانية ، واطلقت يده في اتخاذ ما يراه من الوسائل والتدابير والاجراءات للقضاء على الثورة والمجاهدين ، فأحضر الجنرال ديل امدادات عسكرية جديدة الى فلسطين ، حتى بلغ عددها في سبتمبر 1936 ، اربع فرق ، بالاضافة الى قوات البوليس النظامي والبوليس الاضافي وبوليس المستعمرات اليهودي وقوة حدود شرق الاردن [125] » . واستخدمت الطائرات منذ البداية في مطاردةالثوار [126] . واشارت (المقطم) في 20 يونيه و 10 يوليو 1936 الى اصابة طائرتين بريطانيتين . واكد دروزة انه « اسقطت تسع طائرات خلال الثورة [127] » . ونشر سليمان التاجي الفاروقي في جريدة (الجامعة الاسلامية) بتاريخ 18 اغسطس 1936 برقية الى المندوب السامي قال فيها ان « استعمال الطائرات قاذفات القنابل لمطاردة الجماعات المسلحة ، مخالف للمعاهدات التي اقرتها دول عصبة الامم ومنها بريطانيا ، فأطلب الامتناع عن ذلك » . وتولت الطائرات البريطانية مهمة اخرى ، اذ كانت تلقي على القرى العربية منشورات حكومية ، تحذر القرويين من الاستمرار في الاضراب والثورة ، وتعدهم باصلاح احوالهم اذا تخلفوا عن الثورة [128] . لكن اخطر ما قامت به الطائرات البريطانية كان «القاء قطع الحلوى المسمومة » كما اعترف

124 ـ P.D. vol. 314, col. 1177

125 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 82.

126 ـ انظر المقطم 1936/5/27.

127 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3، ص 135

128 ـ انظر نص ستة منشورات القتها الطائرات البريطانية على القرى، في عيسى السفري المصدر السابق ك2 ص118 - 120.

بذلك تقرير اللجنة الملكية [129]

اما بالنسبة للمحاكم فقد « خولت السلطات البريطانية المحاكم العسكرية الحق في اصدار حكم الاعدام على كل شخص يحمل سلاحا بغض النظر عن نوع ذلك السلاح او قيمته العسكرية ، او يحرز ذخيرة ولو كانت مخبوءة » . ومنحت المحاكم « صلاحية توجيه جريمة القتل لكل متهم يشهد عليه شاهد واحد انه قاتل او حامل سلاح » . كما « حرمت المحاكم العسكرية حق تبرئة المتهمين باكثرية اصوات اعضائها . اما احكامها وقراراتها فقد اعتبرت نافذة مبرمة ، لا استئناف فيها ولا نقض ولا عفو يشملها [130] . وقد اورد عيسى السفري 18 مثالا لاحكام صدرت ضد العرب [131] ، منها : ست سنوات سجن لحيازة مسدس ، ستة اشهر سجن وغرامة عشرة جنيهات لحيازة رصاصة ومدية ، 12 سنة سجن بتهمة حيازة قنبلة ، خمس سنوات سجن مع الاشغال الشاقة لحيازة 12 رصاصة ، تسع سنوات سجن بتهمة حيازة مواد مفرقعة ، شهران سجن او دفع 25 جنيها بتهمة القاء مسامير في الشوارع ، اسبوعان سجن لحيازة عصا .

شملت عمليات الاعتقال والقتل وفرض الغرامات جميع السكان العرب في البلاد . فقداعلن اورمسبي غور ، وزير المستعمرات ، في اول يوليو 1936 انه « تم القبض على 1206 عرب و 328 يهوديا لاتهامهم في الحوادث الاخيرة ، ومن هؤلاء 331 عربيا و 265 يهوديا بتهمة خرق نظام منع التجول [132] » . وصرح في 8 يوليو 1936 بأنه « تم فرض غرامة جماعية تتراوح بين 60 و 5000 جنيه على اللد والخليل وعلى عدد من القرى [133] »

---

129 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 137

130 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 99- 100.

131 ـ عيسى السفري المصدر السابق ك2 ص 59 - 60.

132 ـ P.D. vol. 314, col. 384

133 ـ op. cit., col. 1177

وتلي في مجلس العموم بيان حكومة فلسطين الصادر في ٦ يوليو 1936 بشأن «قتل ثلاثة من العرب ، اثنان بواسطة البوليس البريطاني ، والثالث بواسطة حارس يهودي [134] » . كما تلي بيان آخر صادر في 12 يوليو 1936 بشان مقتل طفلين عربيين (سنتان وست سنوات) ، وامرأتين عربيتين برصاص البوليس البريطاني [135] . حدث هذا في الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية تقوم فيه بحماية المستوطنات اليهودية . فقد اشار اورمسبي غور في بيانه السياسي الذي القاه في 19 يونيه 1936 الى زيادة عدد حراس المستوطنات اليهودية تحت اشراف بريطانيا ، وقال ان « المندوب السامي قد سمح بزيادة عدد اليهود المخصصين لحالة الطوارىء في المستوطنات للدفاع عنها زيادة عظيمة ، وهم يعملون في جميع الاحوال ، بطبيعة الحال ، تحت اشراف قائد البوليس البريطاني . وواجباتهم محدودة في حماية الاحراش ، وبيارات البرتقال ، والدفاع الفعلي عن المستوطنات اليهودية [136] » . واعلن هو نفسه في 30 يوليو 1936 انه « تم تجنيد اكثر من 2000 بوليس اضافي لحماية المستوطنات اليهودية [137] » . وفي 18 نوفمبر 1936 اكد اورمسبي غور ان « حكومة فلسطين تقتسم نفقات قوة البوليس الاضافي (2000 رجل) ، والمخصصة لحماية المستوطنات اليهودية ، مناصفة مع الوكالة اليهودية ، وتقدم حكومة فلسطين الملابس والمؤن والاسلحة والذخيرة [138] » . وبعد ذلك باسبوع ، اي في 25 نوفمبر ، قال اورمسبي غور ان « تسليح اليهود يتم بالتشاور بين حكومة صاحب الجلالة وبين المندوب السامي [139] » .

لم تؤد جميع الاجراءات البريطانية ضد الثورة الى التقليل من فاعليتها

---

134 ـ P.D. vol. 315, col. 462
135 ـ op. cit. col. 463
136 ـ P.D. vol. 315, col. 1394
137 ـ P.D. vol. 315, col. 1774
138 ـ P.D. vol. 1771
139 ـ P.D. vol. 318, col. 407

او الحد من مدى انتشارها ، او حصرها في نطاق ضيق او محدود . فقد كتب نائب المارشال بيرس ، في تقريره عن شهر يونيه 1936 ما يلي « ان العصابات المسلحة التي كانت في السابق تتالف من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين 15 و 20 رجلا ، قد اصبحت تتواجد بزمر يتراوح عدد الواحدة منها بين 50 و 70 رجلا وهي ليست عصابات للنهب ، بل هي تمارس ما تعتقد انه حرب وطنية ، تدافع بها عن بلادها في وجه الظلم والتهديد بالسيطرة اليهودية [140] » . ولم تنفصل الثورة عن المدن ، اذ ان اللجان القومية كانت تقوم ـ بقدر الامكان ـ بتزويد الثورة بالطعام والمأوى والمعلومات ، وتنفيذ بعض العمليات. وتؤكد فرانسيس نيوتن ان « اغنياء العرب كانوا يقدمون اموالا لصندوق الاضراب ، سمحت بتقديم راتب اسبوعي من الدقيق لاصحاب المحلات والعمال [141] » .

كانت تشكيلات الثورة العسكرية ، التي تعمل على صعيد محلي ، تنقسم الى ثلاث فئات : تتكون الاولى من مجاهدين متفرغين معتصمين بالجبال ، كانوا يشكلون عمود الثورة الفقري ، ويجابهون قوات الجيش البريطاني ، ويقومون بنسف خطوط البترول والمنشآت الاخرى . اما الفئة الثانية فتتألف من فدائيي المدن الذين يمارسون حياتهم المدنية المعتادة، ولكنهم ينجزون مهاما عسكرية محددة بناء على طلب قيادتهم . وكانت هذه العمليات الاخيرة ذات اثر فعال بنوع خاص في تصفية العرب المشتبه بانهم يتعاونون مع السلطات البريطانية [142] ، فضلا عن القيام باغتيال الضباط البريطانيين الذين يغالون في تعذيب القرويين والمعتقلين . اما الفئة الثالثة ،

140 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 315.

141 ـ Frances Newton, op. cit. p. 278

142 ـ من ذلك اغتيال احمد نايف المتهم بالارشاد عن الشيخ القسام، واغتيال شفيق الغصين وهو صف ضابط بوليس سري (المقطم 1936/8/18). ومما يذكر انه بعد اغتيال احمد نايف في حيفا « اغلقت مساجد حيفا ابوابها في وجه القتيل حتى لا يكون هنالك مجال للصلاة على جثمانه فيها، وقد ابنته الصحف اليهودية، ووضعت صورته ضمن اطار اسود ». انظر عيسى السفري السابق ك2 ص83.

وهي كبرى الفئات عددا ، فهي الانصار او تشكيلات الرديف ، الذين كانت اكثريتهم الساحقة تتألف من الفلاحين العاديين ، الذين يهبون الى حمل السلاح ونجدة المجاهدين عندما تنشب معركة في منطقتهم [143]

الوساطة العربية والنداء المشترك

ومع اشتداد الثورة في البلاد بعد الأنتهاء من مواسم الحصاد، واطمئنان الفلاحين على مواردهم الذاتية لضمان الأستمرار في الكفاح المسلح ضد الأستعمار البريطاني، حاولت الحكومة البريطانية، باشتراك وموافقة اللجنة العليا، تطويق الثورة بسياج عربي، فأوعزت الى الأمير عبد الله بالتوسط. ودعا الأمير اللجنة العربية العليا الى عمان في 6 يونيه 1936، وعرض عليها الأمر، الا ان اللجنة صارحته بأنها « لا تستطيع ايقاف الأضراب الا اذا اوقفت الهجرة اليهودية[144] ». ثم اجتمع بها مرة ثانية في عمان في 7 اغسطس 1936، وفي هذه المرة ادعى الأمير انه « نجح في ان ينظم نواة من الأعتدال، وان المساعدة مضمونة له من قبل كل من صحيفتي الدفاع والجامعة الأسلامية. الا ان المعتدلين لن يعملوا شيئا بدون تقديم تساهلات للعرب، وان التسهلات الرئيسية المطلوبة هي: (1) التدرج في اطلاق سراح المعتقلين في صرفند، (2) الغاء العقوبات التي فرضت على القرى (3) اصدار عفو تام عن جميع الأشخاص المسلحين الآن، والغاء الأتهامات الموجهة ضد الأشخاص الذين قبض عليهم وهم يحملون السلاح، وما يماثل هذه الأتهامات في ايام الأضطراب، وبعث الأمل بالرحمة لسائر الذين صدرت الأحكام ضدهم، (ولو انه لا يتوقع صدور بيان حول النقاط الأخيرة) (4) التوسع بالرأفة بقدر المستطاع بالأشخاص المتهمين او الذين ادينوا بسبب القتل (5) نشر بيان بأن الهجرة ستتوقف اثناء زيارة اللجنة الملكية لفلسطين[145] » . . الا ان محاولة الأمير الثانية فشلت،

---

143 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 316.

144 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 131.

145 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 249 - 251

كما فشلت محاولته الأولى. ويبدو ان ذلك راجع لعاملين، اولهما ان الحاج أمين الحسيني لم يكن يثق في الأمير عبد الله بسبب اطماعه في فلسطين، وثانيهما علاقة الأمير عبد الله بحزب الدفاع، وهو الحزب المشبوه في نظر الشعب والمجاهدين.

لم تكن الحكومة البريطانية تعتمد كلية على الأمير عبد الله في مسألة الوساطة، ذلك ان ظروفها في الشرق الأوسط كانت سيئة، بسبب الحرب الأيطالية الحبشية، التي بلغت ذروتها باستيلاء الأيطاليين على اديس ابابا في 6 مايو 1936، واستمرار حملة الدعاية التي تشنها محطة باري Bari الأيطالية ضدها، وتخلخل نفوذها في المنطقة على اثر ثورة فلسطين، هذا في الوقت الذي كانت تقوم فيه باجراء مفاوضات مع الحكومة المصرية، تلك المفاوضات التي انتهت بعقد معاهدة 26 اغسطس 1936. فوجهت اهتمامها الى الملك عبد العزيز آل سعود للتدخل وهي تعلم تماما مدى الصلة الوثيقة القائمة بينه وبين الحاج امين الحسيني [146]. ففي اول يوليو 1936، حاولت الحكومة البريطانية جس نبض ابن سعود، عما اذا كان في استطاعته التأثير على عرب فلسطين لايقاف الأضطرابات، فانه يقدم بذلك خدمة ليس لحكومة جلالته فقط، بل ولعرب فلسطين ايضا. ولم يتردد ابن سعود في الموافقة، انما اشترط ان يكون ذلك بالأشتراك مع الملك غازي وامام اليمن والأمير عبد الله.

وانتهز ابن سعود الفرصة، وارسل في 15 يوليو 1936 (25 ربيع الثاني 1355هـ) كتابا الى الأمير عبد الله جاء فيه انه نظرا « لاننا ندري عواقب الأمور، ونخشى من أمر يفرط، يكون على العرب عامة وأهل فلسطين خاصة ضرره، فهل توافقون سموكم على التقدم لتوجيه نداء عام، نشترك فيه مع سموكم وجلالة الأخوين الملك غازي والأمام يحيى، ندعو فيه أهل فلسطين لتوقيف الأضطراب، ليفسحوا للحكومة البريطانية المجال لانصافهم في جو هادىء. فان مثل هذا النداء، اذا قبل ووقفت الحركة بعده، يكون لنا جميعا

---

146 ـ اعترف السيد احسان الجابري في مقابلة تمت مساء 18 نوفمبر 1971 ان الحاج امين الحسيني كان يتقاضى رواتب ماليةمن كل الدول الاسلامية بما فيها المملكة العربية السعودية

وجه عند الحكومة البريطانية، في رجائها بقبول مطالب اهل فلسطين وانصافهم[147] ». ومما لا شك فيه ان الأمير عبد الله لم يرفض طلب العاهل السعودي.

وفي 30 يوليو 1936، اخبر السفير السعودي في لندن بانه ما لم تتوقف الأضطرابات، فان الحكومة غير مستعدة لاعلان شيء حول الهجرة اليهودية. وسأل السفير عما اذا كانت الحكومة ستبحث في امر اطلاق سراح السجناء والغاء قانون العقوبات المشتركة، وردت الحكومة بانه « يبدو ان هذين المطلبين يرتبطان بأمر ايقاف الهجرة، ولذلك يشك فيما اذا كان الزعماء العرب في فلسطين يكتفون بذلك بدون ايقاف الهجرة ». ووافق السفير السعودي على ذلك، ونقل الملك ابن السعود هذا الجواب الى امام اليمن والملك غازي، وأخبر حكومة لندن انه يعمل على التأثير على عرب فلسطين.

وفي 11 اغسطس1936، اخبر السفير السعودي في لندن، وزارة الخارجية البريطانية بانه « نظرا لعدم وجود اتصال مباشر لصاحب الجلالة الملك عبد العزيز مع عرب فلسطين، فانه قداتصل بممثلين في مصر وسوريا والعراق، وطلب اليهم ايقاف الأضطرابات ». وقد اجابوه بانهم يودون العمل بنصيحته، الا انه يوجد فيها شك، نظرا للاعتقاد المنتشر بين العرب بان الصهيونيين يرغبون في الأستئثار بفلسطين بدون اي عربي، لذلك فقد الزعماء كل سيطرة على الجمهور، وانه بدون ايقاف الهجرة واطلاق سراح السجناء، لا يمكنهم ان يعملوا شيئا. وان من رأي الملك ابن السعود وجوب تلبية هذين المطلبين. وكان رد وزارة الخارجية ان « هناك شكا حول ما اذا كانت حكومة صاحب الجلالة يمكنها في هذا الوقت الموافقة على هذه التساهلات[148] ».

وفي 12 اغسطس 1936، بعث الملك عبد العزيز ببرقية الى اللجنة العربية العليا، جاء فيها ان « الواقع في بلاد فلسطين قد آلمنا كما آلم كل

147 ـ الملحق رقم 44، وهي وثيقة عير منشورة من محموعة المرحوم عوني عبد الهادي

148 ـ س غوريون : المصدر السابق ص 248 - 249.

مسلم وكل عربي ، ومن اجل ذلك توالت المراجعات والمداولات منذ مدة بيننا وبين جلالة الملك يحيى والملك غازي ». ثم اشار الى اتصاله مع الحكومة البريطانية ، وانها « على استعداد للنظر في قضية فلسطين بعين العطف على العرب بعد ان تهدأ الحالة (149) ». ويبدو ان نشاط الملك عبد العزيز قد هدأ قليلا ، اذ انتهز العراق هذه الفرصة ، « طبقا لتعليمات اكيدة صادرة من لندن » كما يقول وايزمن (150) ، وعرض وساطته المباشرة. ففي 17 اغسطس 1936 ، اخبر نوري السعيد ، وزير الخارجية العراقي آنذاك (في وزارة ياسين الهاشمي من 17 مارس 1935 ـ 29 اكتوبر 1936) ، السفير البريطاني في بغداد بانه بعد يومين او ثلاثة سيتوجه الى القدس في طريقه الى انقرة ، لاجل الحصول على مساعدة الحكومة التركية لتوطين 18 الفا من بقايا الأشوريين المستعدين لمغادرة العراق ، وانه سيبقى في القدس مدة يومين ، وهو « على استعداد لعمل كل شيء في سبيل اعادة الحياة الطبيعية ، وانه سيتحدث الى عرب فلسطين كعربي وليس كوزير عراقي ».

كان العراق مدفوعا الى التدخل في فلسطين بأمرين ، اولهما ان للعراق مصالح اقتصادية خاصة من وقف الثورة ، ذلك ان انابيب البترول التابعة لشركة بترول العراق قد تعرضت لاكثر من مرة ، وفي اكثر من نقطة ، للضرب والتخريب. وثانيهما عودة العراق الى لعبة (بيدمونت الشرق) ، باعتبارها الدولة المستقلة الوحيدة ، التي تتمتع بمقعد في عصبة الأمم. وتنفيذا للمخطط العراقي ، دخل فوزي القاوقجي (151) فلسطين على رأس

149 ـ الرابطة العربية ـ ع13 ـ 1936/8/19.

150 ـ Weizmann, op. cit., p. 469

151 ـ من طرابلس الشام ، عمل ضابطا مع الاتراك في الحرب العالمية الاولى ، ثم خدم في القوات الفرنسية ـ بعد احتلال سوريا ـ كضابط مخابرات ، ومنح وسام الشرف ، ثم انضم الى ثورة جبل الدروز (1925) ، وحكمت عليه السلطات الفرنسية بالاعدام. وبعد القضاء على الثورة هرب الى الحجاز. واصبح المستشار العسكري للملك ابن السعود. انظر Great Britain and Palestine p. 94. وفي يوليو 1932 ، وهو الشهر الذي قتل فيه ابن رفادة ، القي القبض على القاوقجي وسجن في الرياض ، ثم اطلق الملك عبد العزيز سراحه بعد توسط اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين ، وبعض الشخصيات الاسلامية والعربية ، وذهب الى العراق ، حيث عمل مدرسا في الكلية الحربية حتى قدم الى فلسطين في اغسطس 1936

قوة عراقية عربية بلغت نحو ٥٠٠ مقاتل. والواقع ان دخول فوزي القاوقجي على رأس قوة عراقية ـ عربية يثير كثيرا من التساؤلات. فمن ناحية كانت « معاهدة التحالف الانجلوعراقية (عام 1930) تتضمن مادة تمنع العراق من القيام بأي عمل معاد لمصالح بريطانيا »، كما صرح بذلك اورمسبي غور في 25 نوفمبر 1936[152] ثم ان طريق مرور هذه القوات الى فلسطين كان لا بد ان يتم اما عبر شرق الأردن او عبر سوريا، وشرق الأردن كان يخضع لاشراف بريطانيا العسكري المباشر، فكان طريقها اذن عبر الحدود السورية الفلسطينية، لكن حجم القوات كما ذكر لم يكن صغيرا بحيث لا يمكن للسلطات البريطانية كشفه. ويؤكد عزة دروزة ان (حملة القاوقجي) تمت « بمساعي الحاج امين ومعين الماضي وعادل العظمة، ومساعدة ياسين الهاشمي الذي كان يرأس الحكومة العراقية[153] ». ويقول السيد عبد الرحمن علي: « استقدم الأستقلاليون فوزي القاوقجي بالأتصال بين دروزة ونوري السعيد[154] ». ويصف السيد احسان الجابري فوزي القاوقجي بانه « مغامر[155] ». فاذا ربطنا هذه الأمور بعضها ببعض، الى جانب العلاقة السابقة بين الحاج امين الحسيني وبين القاوقجي، هذا بالأضافة الى ان احدا لم يسلمه قيادة الثورة بل ادعاها لنفسه، وظل القادة الفلاحون ـ الذين كانوا يدينون للحاج امين الحسيني بالولاء ـ هم عصب الثورة الأساسي، فان الصورة تبدو واضحة جلية، وهي رغبة القيادة التقليدية، في نهاية الأمر، بتطويق الثورة ثم احتوائها وكبح جماحها.

ومهما يكن فقد وصل نوري السعيد الى القدس في 20 اغسطس 1936، وكان « النطاق المرسوم له على ما بدا ان تقبل اللجنة العليا الوساطة، فتدعو الى وقف الأضراب والثورة مقابل وعود واماني وثقة مطلقة دون اي

---

152 ـ P.D. vol. 318, col. 407

153 ـ عزة دروزة المصدر السابق ص 135.

154 ـ مقابلة معه في 23 اكتوبر 1971.

155 ـ مقابلة معه في 20 يناير 1971.

شرط بامر معين [156] ». وفي 12 اغسطس، تناول نوري السعيد الغذاء في قصر المندوب السامي، وذكر بأن الزعماء لا يجرؤ ون على ايقاف الاضراب دون ان يحصلوا على شيء ما مقدما، وان المفتي وكذلك راغب يخشيان القتل. وذكر نوري السعيد للمندوب السامي انه قال للزعماء ان عليهم ان يقدموا هم على الخطوة الأولى، اذ ما من حكومة يمكنها اجراء مفاوضات مع (متمردين)، وان نوري السعيد يامل استنادا الى محادثاته مع اللجنة العربية العليا في اليوم التالي (22 اغسطس) ان يقنع اعضاءها بايقاف الأضراب والأضطرابات على اساس المذكرة التي سيرسلها اليهم. وهو لن يتعهد، ولن يبعث بالمذكرة، حتى تتعهد اللجنة صراحة بايقاف الأضراب والأضطرابات، كما انه لا يقترح ان تتوجه حكومته الى حكومة جلالة الملك، الى ان يتضح موقف اللجنة العربية العليا فعلا.

وفي الثاني والعشرين من اغسطس، طلب واكهوب تفويضا من اورمسبي غور لان يخبر نوري السعيد بان « حكومة جلالة الملك تتلقى بالرضا هذه الوساطة ». ونظرا لان نوري السعيد سيمكث في البلاد فترة وجيزة، بسبب خطورة الحالة، فانه يطلب الأجابة برقيا وفورا، « وان كل تأخير قد يقوي ساعد المتطرفين »، وان نوري السعيد يفكر في ان يشرك في هذه الوساطة في مرحلة اخيرة « وبصورة اقل شكلية » الملك عبد العزيز والأمير عبد الله ايضا[157] . وفي نفس اليوم قدم نوري السعيد مذكرته الى اللجنة العليا، وجاء فيها ان « الحكومة العراقية، التي تشعر شعورا قويا بالرابطة القومية التي تربط الشعب العراقي والشعب العربي في فلسطين، ترى انه لمن المحتم عليها ان تتقدم بالوساطة الناجعة ما بين هذا الشعب العراقي والحكومة البريطانية التي تربطها بها روابط صداقة وحلف قوية، في سبيل انهاء الحالة الراهنة في فلسطين ». واوردت المذكرة اقتراحين: « اولا

156 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 139.
157 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 252 - 253.

ـ ان تقوم اللجنة العربية العليا باتخاذ جميع الوسائل الفعالة لانهاء الأضراب والأضرابات الحاضرة، ثانيا ـ ان تتوسط الحكومة العراقية لدى الحكومة البريطانية لانجاز جميع مطالب عرب فلسطين المشروعة، وانها ستتخذ لذلك جميع الوسائل الممكنة في سبيل تحقيق المطالب المذكورة، سواء كانت هذه المطالب ناشئة عن الحركة الحاضرة في فلسطين، او عما يتعلق بالسياسة العامة فيها[158] ». ويلاحظ على مذكرة نوري السعيد انه حول الوساطة من شخصية الى حكومية، وان توقف اللجنة (الأضراب والأضرابات) دون اي تعهد مسبق من جانب الحكومة البريطانية.

وفي ليلة 23 اغسطس، دعا السكريتر العام لحكومة فلسطين، نوري السعيد اليه. فأخبره نوري السيعد بان عوني عبد الهادي وعزة دروزة، وهما من الأستقلاليين وافقا على خطته. وان اللجنة العربية العليا عقدت جلسة كاملة شرح نوري السعيد خلالها مقترحاته، وانه بعد مناقشات كثيرة وافقت اللجنة، حسب اقوال نوري السعيد بالأجماع، على الأخذ بمقترحاته، وطلبوا مهلة يومين لاجل « تمهيد » السبل، وبعد ذلك تنشر اللجنة بيانا بايقاف الأضراب والاضطرابات .وفي صباح 24 اغسطس، اخبر نوري السعيد المندوب السامي، واكهوب، بانه في جلسة اللجنة العربية العليا المنعقدة قبل ظهر 23 اغسطس، وافق جميع الاعضاء على قبول وساطته لانهاء الأضطرابات « بدون شرط »، وانهم في خلال اليومين او الأيام الثلاثة القادمة سيعملون كل شيء في سبيل حمل اللجان القومية على قبول ذلك. واخبر المندوب السامي بدوره اورمسبي غور بذلك، واضاف بانه « ليس مسئولا عن صحة اقوال نوري »، الا انه طلب تفويضا لينقل الى نوري السعيد بان « حكومة جلالته تتقبل بالرضا وساطته » على اساس المذكرة السالفة الذكر. وغادر نوري السعيد فلسطين الى مصر.

وفي صباح 25 اغسطس اجاب اورمسبي غور تلغرافيا بان « اقتراح

158 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 139 - 140

نوري يختلف بكيفية جوهرية عما كانت حكومة جلالة الملك وافقت عليه بالنسبة لتدخل ابن سعود. لقد وافقت على ان يقوم ابن سعود بالأشتراك مع ملوك آخرين باستخدام نفوذهم على العرب لايقاف الأضطرابات بدون ان تعلن حكومة جلالة الملك عن اي امر بشأن مطالب العرب قبل ايقاف الأضطرابات[159] واضاف وزير المستعمرات ان « حكومة جلالة الملك لا يمكنها الموافقة على وساطة حكومة العراق رسميا، ولهذا فان مذكرة نوري لا تناسب الحاجة. ولقد سبق ان وعد نوري في بغداد ان يتحدث الى عرب فلسطين كعربي وليس كوزير. وترى حكومة جلالة الملك ان من الضروري استمراره في واجبه هذا كعربي هام ولكن ليس كممثل لحكومة اجنبية. وبالأضافة الى ذلك فان المذكرة لا تأخذ بعين الأعتبار امر اللجنة الملكية، وان من الممكن بموجب قرارات هذه اللجنة فقط ان يجري تغييرها ». واقترح اورمسبي غور وضع المذكرة بالصيغة التالية « (1) ان نوري واثق من ان حكومة جلالة الملك ترغب في ترتيب عادل ومعقول لمشكلة فلسطين (2) وان الشرط الأولي لهذا هو قيام اللجنة الملكية باجراء دراسة لا محاباة فيها، (3) ان يطلب الى العرب الكف عن الأضطرابات لكي تستطيع اللجنة الشروع في اعمالها[160] ».

ويبدو ان اللجنة العربية العليا لم تكن بعيدة عن تطور الأحداث الخاصة بالوساطة، فقررت في جلستها المنعقدة في 26 اغسطس، دعوة نوري السعيد من مصر الى فلسطين[161] . وبالفعل وصل نوري السعيد في اليوم التالي 27 اغسطس، وعقد اجتماع بينه وبين المندوب السامي. وقد وافق نوري على رأي واكهوب من انه لا قيمة لوساطته كفرد خاص، وانه وجد ان العرب فقدوا الثقة (بالنوايا الطيبة) لحكومة جلالة الملك، وانهم يرون

---

159 ـ راجع الملحق رقم 44.

160 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 256 - 257.

161 ـ المقطم 1936/8/27.

ان سائر مقترحات اللجنة التي ستكون لصالح العرب سيصير الغاؤ ها تحت ضغط اليهود. وان الطريقة الوحيدة لأنهاء الحالة هو التأكيد بان حكومة العراق ستسهر على مصالح العرب في فلسطين خلال الأشهر القادمة، وانها ستستغل نفوذها لدى حكومة جلالة الملك كثقل ضد تأثير العالم اليهودي. وانه مقتنع بان ما من شيء ـ باستثناء الصيغة الواردة في مذكرته ـ يكفي لحمل الزعماء على ايقاف الأضطرابات. وانه ليس لديه اية نية لان يكسب حكومة العراق حقا عاما او دائما للتوسط لمصلحة عرب فلسطين، أو للعمل اكثر من التأييد العام لمطالبهم امام اللجنة الملكية، وكذلك في لندن وجنيف، بعد ان تقدم اللجنة تقريرها. وانه موافق على ان يرسل اليه المندوب السامي رسالة بوصفه وزيرا للخارجية وذلك ان وافقت حكومته على ذلك، تعين حدود الوساطة العراقية، وان من المرغوب فيه نشر هذه الرسالة فيما بعد. وقد اعلن انه لا يفكر في التدخل بل بالمساعدة، ولكنه يرى ان ما من شيء هناك يؤدي الى انتهاء الأضطرابات خلافا لاقتراحه، الا اذا كانت حكومة جلالة الملك مستعدة لان توقف الهجرة قبل انهاء الأضطرابات. واذا لم تأخذ حكومة جلالة الملك بمقترحاته، فانه سينسحب وان عليه ان يسافر الى انقرة يوم 30 اغسطس[162].

وفي محاولة لكسر حدة تلك الأزمة، اصدرت اللجنة العربية العليا في 13 اغسطس 1936 بيانا اعلنت فيه « الموافقة على وساطة الحكومة العراقية واصحاب الجلالة والسمو ملوك العرب وامرائهم بكل ارتياح واطمئنان »، وانها « ستعرض الأمر على الأمة بواسطة لجانها القومية في مؤتمر عام لاخذ رأيها والحصول على موافقتها »، بشرط ان تستمر « الأمة على اضرابها الشامل بنفس الثبات واليقين اللذين عرفت بهما[163] ». ان هذا التهالك من جانب اللجنة العربية العليا يؤكد خوفها الشديد من الثورة، وسعيها لاحتوائها والسيطرة عليها، خوفا من فقد نفوذها وسيطرتها في فلسطين.

---

162 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 258 - 259.

163 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 140. المقطم 1936/9/1.

ابرقت وزارة الخارجية البريطانية في 31 اغسطس، الى القدس والى بغداد بان نوري السعيد « ذهب بعيدا جدا، فقد قال في البداية بانه جاء الى القدس كفرد، وهو الآن يظهر كممثل للعراق. ان هناك فرقا بين وساطة خاصة وبين اعتراف رسمي بموقف العراق من فلسطين »، وانه « واضح بان نوري يستغل الوضع الحالي لاجل ايجاد اكبر قدر لاحتمالات تدخل عراقي في المستقبل في شئون فلسطين، وللتمهيد لآرائه العربية العامة. ان الموضوع بأكمله سيقدم في 2 سبتمبر الى مجلس الوزراء، وفي الوقت ذاته لا يمكن قبول صيغة تلزم حكومة جلالة الملك[164] ». وفي اجتماع مجلس الوزراء في الثاني من سبتمبر 1936، « لاحظ وزير المستعمرات ان الحكومة تواجه حالة خطيرة جدا، سواء كان ذلك في فلسطين او الشرق الأدنى او داخل الوطن، فنتيجة لأحداث الأيام القليلة الماضية اصبح العالم اليهودي بأسره في موجة من الهياج، واخذ المستر لويد جورج وغيره يبدون قلقا متزايدا، كما ان المستر اتلي ابدى رغبته في عقد دورة خاصة للبرلمان ». وفي نهاية الأجتماع قرر مجلس الوزراء ضرورة « اتخاذ اجراء شديد لسحق المقاومة العربية، ولتحقيق ذلك ينبغي تعزيز القوات البريطانية في فلسطين بفرقة كاملة ترسل من بريطانيا، كما قرر ضرورة فرض الحكم العسكري الملائم، اما في فلسطين كلها او في اجزاء مختارة منها[165] ». وفي 7 سبتمبر اصدرت وزارة المستعمرات بيانا حول سياسة الحكومة، سردت فيه مجرى (الأضطرابات)، ووصفت « الحالة التي اوجدت في فلسطين » بأنها « تحد مباشر لسلطة الحكومة البريطانية في فلسطين[166] ». واشارت الى تعيين اللجنة الملكية، والى المحاولات الخارجية في سبيل الوصول الى حالة سلام، وذكرت ان « جميع المساعي التي بذلت لاحلال روح التفاهم لم تؤد الى نتيجة » بسبب تصميم الزعماء العرب على عدم انهاء الاضراب

---

164 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 264 - 265.

165 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 319.

166 ـ انظر رد القاوقجي على البيان في وثائق المقاومة ص 442 - 447.

ما لم تحدث تغييرات اساسية في السياسة البريطانية. كما اعلن ان اعمال العنف يجب ان يقطع دابرها على الفور، وان نجدات اخرى سترسل الى فلسطين، وان اللفتنانت جنرال ديل سيتسلم القيادة العسكرية العليا [167].

وفي 10 سبتمبر 1936 ابرق واكهوب الى لندن انه « قابل المفتي وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي كلا على حدة، وانه حذرهم من خطورة الحالة وطلب اليهم ايقاف الأضراب والأضطرابات. وقد اجابوا بانهم سيقومون بذلك بدون اي شرط سابق اذا طلب الملوك اليهم ذلك، وانه بدون طلب من الملوك فانهم لن يذعنوا ». واقترح المفتي ان « تعمد حكومة جلالة الملك الى دعوة الملوك للتوجه الى عرب فلسطين عن طريق اللجنة العربية العليا ». وحيث ان المندوب السامي يعتزم الأجتماع باللجنة، فانه يسأل اورمسبي غور حول « ما يمكن ان يجيب عليه بشأن اقتراح دعوة حكومة جلالة الملك للملوك. واذا كان من رأي وزير المستعمرات ان من المرغوب فيه تدخل الملوك، فانه (اي المندوب السامي) على استعداد للتأثير على اعضاء اللجنة العربية العليا ان يطلبوا هم انفسهم ايقاف الأضطرابات، الا ان آماله ليست كبيرة في ان تعمل اللجنة ذلك ». وفي اليوم التالي 11 سبتمبر، اجاب اورمسبي غور بان حكومة جلالته لا توافق على اقتراحه، « اذ ان عملا كهذا من جانبها يمكن ان يدخل عليه بعض التعديلات الخطيرة في النوايا. ان لاعضاء اللجنة العربية العليا الحق في التشاور مع بعض ابناء قومهم كما يشاءون، الا ان كل تشجيع من قبل حكومة جلالة الملك بخطوة كهذه، لا يمكن اخذه بعين الأعتبار. لقد اعلنت حكومة جلالته عن سياستها، وهي متمسكة بهذه السياسة [168] ». ومع كل هذا اصدر الحاج امين الحسيني، باعتباره رئيسا للجنة العربية، بيانا في 11 سبتمبر 1936، ذكر فيه ان « الشعب العربي ولجنته العليا في فلسطين، كانوا ولا يزالون يرحبون

---

167 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 132.

168 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 267 - 268.

بوساطة ملوك العرب وامرائهم، وقد قبلوها بكل ارتياح وشكر، ولا يزالون مستعدين لتنفيذ هذه الوساطة بكل اخلاص[169] ».

وفي اليوم التالي حذر واكهوب اعضاء اللجنة العربية العليا من نتائج عمل عسكري عنيف تقوم به الحكومة البريطانية « التي لا يستطيعون مقاومتها[170]. وبعث ببرقية الى وزير المستعمرات ورد فيها: « انني من اجتماعي صباح هذا اليوم مع اللجنة العربية العليا، تراني كلي امل في انه اذا طلبت اللجنة العربية من ملوك العرب، دون عرقلة، ان يشيروا على عرب فلسطين بايقاف الأضطرابات، فان اللجنة العربية العليا ستنشر بيانا صريحا خلال الأيام التالية بايقاف الأضطرابات، وتقل علميات الأرهاب اى حد كبير. وانه بدون مساعدة ملوك العرب فانه يخشى الا يكون في استطاعة اللجنة العربية العليا العمل بنجاح ». ورد اورمسبي غور في 15 سبتمبر 1936 بانه « لا يعارض في انضمام الأمير عبد الله لبيان الملوك العرب بشرط واضح وهو الا يربط نفسه بأي بيان يشير او يتضمن اية احتمالات لأقوال او وعود صدرت عن حكومة جلالته[171] ».

اخذ المفتي يسعى بعد ذلك جديا، بالأتصال بالملك عبد العزيز والملك غازي، لاصدار البيان المشترك. وفي هذه الأثناء « بدأت النجدات تتوالى على فلسطين منذ 22 سبتمبر، واتخذت الأجراءات الواسعة في الحال لتطويق العصابات العربية. وفي اواخر الشهر اصبح عدد الجنود البريطانيين الموجودين في البلاد 20 الفا. ثم صدر مرسوم خول المندوب السامي او قائد القوات البريطانية بصفته مفوضا منه، صلاحية تطبيق الأحكام العرفية[172] ». واتبعت السلطات البريطانية سياسة الأرهاب والقمع خلال

169 ـ وثائق المقاومة ص 439- 441.

170 ـ E F. vol. II, p. 797

171 ـ بن غوريون: المصدر السابق ص 269.

172 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 133، انظر نص قانون الاحكام العسكرية الذي اصدره واكهوب في 30سبتمبر، في المقطم 1936/10/3.

شهر سبتمبر، فقد اصدر الجنرال ديل في 15 سبتمبر بيانا دعا فيه « الشعب الى القاء السلاح والكف عن الأضراب »، وانه سيعمل بكل قوة وحزم على قمع الأضطرابات مهما كلفه الأمر الأمر ومهما كانت الخسائر فادحة[173] » . ومنعت تلك السلطات عقد مؤتمر اللجان القومية المزمع في 17 سبتمبر[174] .

بعث الملك عبد العزيز بن سعود في الثالث من سبتمبر 1936 برسالة الى الأمير عبد الله، مؤكدا فيها المعاني الواردة في رسالته الأولى المؤرخة في 15 يوليو 1936. فرد الأمير عليه (ببرقية جوابية) مؤرخة في 25 سبتمبر 1936[175]، يشير فيها الى ان جلالته كان قد اقترح « اصدار نداء مشترك يدعو الناس الى السكينة واستئناف الأعمال » وان الأمير قد ايد الأقتراح . ويذكر انه (اي الأمير) تلقى في 24 سبتمبر كتابا من المندوب السامي « يتضمن عدم اعتراضه على صدور نداء كهذا بدون اعطاء وعود وشروط ». ويرى الأمير عبدالله ان « كل نداء ليس فيه ما يطمن العرب على حقوقهم وكيانهم ينتهي بالفشل ». ولذلك فانه وضع مشروع « صيغة تطمن العرب على حقوقهم وكيانهم »، وهو يحاول « ان تقبله السلطات البريطانية »، وبقبولها سيعرضه على الملك عبد العزيز « لينال موافقتكم السامية لنجري اللازم معا ».

وضع الأمير عبد الله بالفعل صيغة جديدة ضمنها النص على ان بريطانيا « تضمن حقوق العرب » في حالة ايقاف الثورة، الا ان السلطات البريطانية لم توافق عليها. وفي (رسالته التفصيلية) المؤرخة في 25 سبتمبر 1936[176] ، والموجهة الى الملك عبد العزيز، شرح الأمير السياسة البريطانية بانها « لا تنوي عمل اي شيء قبل ان يكف العرب عن الأضراب

---

173 ـ المقطم 1936/9/16.

174 ـ المقطم 1936/9/17، عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 142.

175 ـ الملحق رقم 45 ـ وثيقة غير منشورة من مجموعة المرحوم عوني عبد الهادي.

176 ـ انظر الملحق رقم 44.

والأضطرابات ». وبين موقف عرب فلسطين الذين « لا يستطيعون النكول (اي التراجع) عن موقفهم الحاضر حتى يروا من بريطانيا العظمى ما يدل على تغيير السياسة في فلسطين تغييرا اساسيا، تظهر بوادره بوقف الهجرة ». واشار الى « تغيير الموقف بارسال نجدات جديدة تعزز القوات الحاضرة بقيادة الجنرال ديل ». وانه يجب « اتقاء الضربة، وعدم فسح المجال لاستعمال القوى المرصدة ». ثم نوه بزيارة المندوب السامي وقائد القوات البريطانية له في عمان، وانه شعر منهما « بان بين يدي من يريد السعي بالخير متسع لتلافي الخطر »، وانه ارتاح لما فهم. ثم شرح رأيه في انه من « مصلحة العرب ان تكون لهم في غضون ذلك جولة في ميدان السياسة، يسعون فيها لصيانة كيانهم في فلسطين، ليدركوا الأوطار في مفاوضة البعثة الملكية، وذلك مأمولنا ودأبنا لهم من اجله ». وفي ختام رسالته فوض الأمر الى الملك عبد العزيز قائلا « فافعلوا ما شئتم فلا مخالف لكم، وان الحكمة واجبة الأتباع في الظروف الحاضرة ».

وفي 30 سبتمبر 1936، ارسل المعتمد البريطاني في عمان، المستر كوكس Cox رسالة الى الأمير عبد الله [177]، يؤكد فيها ان المندوب السامي « سيكون مسرورا » اذا اشترك الأمير « بأي نداء يصدر من قبل ملوك العرب الى عرب فلسطين، مشيرا عليهم بانهاء الأضراب وتوقف الأضطرابات، على شرط الا يتضمن هكذا نداء اية وعود وشروط يمكن ان يتمسك بها بانها ملزمة لاجراءات او سياسة حكومة جلالته في المستقبل ». واظهر المعتمد قلق المندوب السامي من الصيغة الجديدة التي اقترحها الأمير عبد الله، وان هذه الصيغة « تقود الى سؤ مفهومية خطيرة ». وقد تأكد الأمير من هذه الرسالة ان السلطات البريطانية لن ترضى اطلاقا بصيغته الجديدة. ولذلك رأى في رسالته المؤرخة في اول اكتوبر 1936 والموجهة الى المعتمد البريطاني ان يؤكد موافقته على اقتراح الملك عبد العزيز ونداثه البسيط

---

177 ـ الملحق رقم 46. ـ وثيقة غير منشورة من مجموعة المرحوم عوني عبد الهادي.

« بالمعنى الذي يشير اليه فخامة المندوب السامي »، وانه سيبرق بذلك الى الملك بعد العزيز اعتمادا على حسن نية حكومة صاحب الجلالة البريطانية وما اذاعته من عزمها على اجراء العدل »، وانه سيطلب منه « ان يشير على صاحبي الجلالة ملك العراق وملك اليمن بما يلزم في ذلك » . اما بالنسبة لشخصه (اي الأمير) فانه سيشترك « مع ملوك العرب في النداء البسيط الذي اشرتم (اي المعتمد البريطاني) اليه، وبلغتهم ايه بواسطة الملك ابن سعود » .

ابلغ رئيس الحكومة العراقية في 3 اكتوبر 1936 السفير البريطاني في بغداد تفاصيل البيان المقترح، وابرق القنصل العراقي (كاظم الدجيلي) يقول ان « الحسيني المح بانه اذا اصدر البيان فسيتوقف الأضراب » . وتحدث رئيس الحكومة العراقية تلفونيا مع عوني عبد الهادي في عمان، واوضح له ان لا فائدة من ابتزاز اي تعهد كان من الحكومة البريطانية كشرط لأيقاف الأضراب والأضطرابات. ووصل الشيخ كامل القصاب الى القدس في 8 اكتوبر، يحمل نداء الملك عبد العزيز والامام يحيى . وفي اليوم التالي وصل نداء الملك غازي والأمير عبد الله . وقد وضع الملك عبد العزيز كلمة (صديقتنا) بدل (حليفتنا)، ولم ترد في نداء الأمير عبد الله اي من الكلمتين[178] . وكتب السكاكيني (في يوم السبت العاشر من اكتوبر 1936 مايلي « المعارك في فلسطين هائلة لم يسبق لها مثيل، ولكن غدا سينشر نداء ملوك العرب بوقف الأضراب والأضطرابات[179] » . ونشرت اللجنة العربية العليا في اليوم التالي (النداء الملوكي المشترك)، الداعي الى وقف الأضراب والأضطرابات ابتداء من صباح الأثنين المبارك الواقع في 26 رجب 1355هـ، الموافق 12 اكتوبر1936 م ، وان يبكر افراد الامة الكريمة في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء، ورفع الشكر لله

---

178 ـ انظر نص النداء في تقرير اللجنة الملكية ص 133.

179 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 290.

تعالى على ما الهمهم من صبر وجلد، ثم يخرجون من المعابد لفتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم المعتادة[180] ». وكتب السكاكيني في يوم السبت 17 اكتوبر 1936 عن وقف الأضراب ما يلي « كان يوم الأثنين (12 اكتوبر) من هذا الأسبوع الموعد لوقف الأضراب والكف عن القتال. كنت تمر في الطريق قبل اليوم فلا تكاد تجد احدا كأن البلاد خالية خاوية. فلما جاء يوم الأثنين عادت الحركة والحياة ». ثم علق على ثورة 1936 فقال « ان فلسطين كانت ميتة فعاشت، وكانت ضائعة فوجدت[181] ». وبعد ان وقف الأضراب ارسل الى الأمير عبد الله والملك عبد العزيز برقيات شكر من اللجنة العربية العليا[182].

هكذا تمكنت القيادة التقليدية من اجهاض اعنف ثورة عرفتها فلسطين، واكبر اضراب شهدته المنطقة في تاريخها الحديث. ولقد كان قرب موسم تصدير الحمضيات الذي يبدأ في 15 نوفمبر 1936، وارتفاع اسعاره نتيجة الحرب الأهلية الأسبانية ـ اذ كانت اسبانيا هي المنافس الأول لحمضيات فلسطين ـ عاملا اساسيا في سعي القيادة العربية لاجهاض الثورة ووقف الأضراب. فقد ارتفعت صادرات الحمضيات من 5,897,310 صناديق في موسم1935ـ1936الى 10,790,110 صناديق في موسم1936ـ1937[183].

ومما تجدر الأشارة اليه بشأن (الوساطة العربية) ان المملكة العربية السعودية وبريطانيا قد اتفقتا في 3 اكتوبر 1936 على تجديد معاهدة جدة (20 مايو1927) لمدة سبع سنوات اخرى[184]. كذلك فان المحافل الرسمية البريطانية لم تكن ملزمة بأي شيء تجاهها. فقد كتبت لجنة التحقيق الملكية ما يلي « ان ملوك العرب وامراءهم، يعلمون حق العلم، ان حكومة جلالتكم غير مسئولة تجاه اية هيئة من الهيئات سوى عصبة الأمم، في تنفيذها لصك

---

180 ـ نجيب صدقة المصدر السابق ص 190.

181 ـ خليل السكاكيني المصدر السابق ص 290

182 ـ انظر (المصري) في 1936/10/16,14.

183 ـ انظر سعيد حمادة المصدر السابق ص 176.

184 ـ انظر البلاغ الرسمي السعودي رقم 113، في ام القرى - 618- 1936/10/3.

الأنتداب. واننا نعلم ان علاقتهم بحكومة جلالتكم علاقة ودية وعلى خير ما يرام، ولكن الصعوبة التي اوجدتهم فيها الثورة العربية في فلسطين، وما سببته هذه الثورة من الهياج بين رعاياهم، امر جلي لا يحتاج الى بيان » [185]. وصرح اورمسبي غور في 4 نوفمبر 1936، امام مجلس العموم بما يلي « لم تتقدم حكومة صاحب الجلالة او المندوب السامي لفلسطين باي طلب على الأطلاق الي اي من الحكام العرب، للمساعدة او المشورة فيما يتعلق بفلسطين. ان الحكام العرب قد ابدوا تلقائيا وبالطرق الدبلوماسية، رغبتهم في استخدام نفوذهم لدى عرب فلسطين، لصالح السلام. وقد اخبروا - ردا على استفساراتهم بشأن موقف حكومة صاحب الجلالة من القضية - ان حكومة صاحب الجلالة ليس لديها اعتراض على ان يوجه الحكام العرب نداء الى عرب فلسطين بايقاف الأضراب وحملات العنف، شريطة ان يكون غير مشروط. ولم تقدم حكومة صاحب الجلالة اية تعهدات او وعود، صريحة او ضمنية، كما انه كان واضحا تماما للحكام المعنيين ان حكومة صاحب الجلالة غير مستعدة للدخول في اي نوع من التعهدات على الأطلاق[186] ».

كانت حصيلة الثورة في 15 اكتوبر 1936، طبقا للمصادر البريطانية كما يلي: من العرب 1020اصابة، منها 197 قتيلا، من اليهود 388 اصابة، منها 80قتيلا، من القوات العسكرية 125 اصابة، منها 21قتيلا. من البوليس الفلسطيني وقوة حدود شرق الأردن: 47 بريطانيا مصابا منهم 7 قتلى، من العرب 62 اصابة منها 8 قتلى مسلمون، من اليهود 9 اصابات منها قتيل واحد [187]. ويذكر تقرير اللجنة الملكية ان خسائر العرب « لا يمكن تقديرها بالضبط، وهنالك من قدرها تقديرا لا يخلو من الصحة بالف قتيل، سقط معظمهم في المعارك[188] ». وقالت الوكالة اليهودية ان « 82 يهوديا قتلوا،

---

185 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 137 - 138.

186 ـ P.D. vol. 317, cols. 81 - 2.

187 ـ P.D. vol. 316, col. 13, vol. cols. 2269 - 70

188 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 138

عدا تسعة آخرين نجم موتهم عن الأضطرابات، بين ابريل واكتوبر 1936 »، وان 369 يهوديا جرحوا خلال هذه المدة. اما بشأن الخسارة المادية فقد ذكرت الوكالة اليهودية، انه قد اتلف لليهود 80 الف شجرة من الأشجار الحمضية، و26 الف شجرة من اشجار الفواكه الأخرى، و46 الف شجرة من اشجار الغابات، و16,500 دونم من المزروعات. وقد قدرت الوكالة اليهودية قيمة الخسائر التي مني بها اليهود في املاكهم بنحو 250 الف جنيه، منها 100 الف جنيه نتجت عن اتلاف او هدم المحال التجارية والصناعية في يافا، بالحرق او بطرق اخرى [189]. والواقع ان اليهود قدموا هذه الأرقام، وهي بالفعل اكثر من الواقع، املا في زيادة التعويضات التي كانت تقدمها حكومة فلسطين، من فائض ميزانية البلاد، التي كان يتحمل المكلف العربي اكثر من ثلاثة ارباعها. فقد اعلن المستر توماس، وزير المستعمرات، في 19 فبراير 1936 ان فائض ميزانية فلسطين بلغ 3,340,000 جنيه حتى 13 يناير 1936 [190]، وارتفع هذا الفائض الى 6,411,684 جنيها في اول يوليو 1936 [191]. وفي 28 يونية 1937 اعلن اورمسبي غور، وزير المستعمرات، انه « تمت الموافقة على دفع تعويض في حالة الوفاة او الأصابة الشخصية »، واضاف انه « تلقى من المندوب السامي بفلسطين اقتراحات بشأن دفع تعويضات لهدم او تخريب بعض الممتلكات الخاصة [192] ». ثم اعلن في 15 يوليو 1937 ان « فائض ميزانية فلسطين بلغ 4,819,914 جنيها حتى اول ابريل 1937 [193] »، وانخفض الرقم الى 2,300,000 جنيه في اول ابريل عام 1938 [194]. وهكذا يتضح ان الشعب العربي في فلسطين، وهو الذي قام بالثورة، قد دفع تكاليفها المادية في الوقت نفسه.

---

189 - تقرير اللجنة الملكية ص 138.

190 - P.D. vol 308, col. 1772

191 - P.D. vol. 317, col. 1500

192 - P.D.vol. 325, col. 1631

193 - P.D. vol. 326, col. 1502.

194 - P.M.C. 34 th S. p. 29

موقف اليهود من ثورة 1936

يزعم وايزمن ان « اليهود خلال اضطرابات 1936 ـ 1939 قد تمسكوا بكبح جماح انفسهم، متبعين بذلك ارقى التعاليم اليهودية، ونالوا اعجاب الرأي الحر في كل انحاء العالم[195] ». لكن هذا الزعم غير صحيح، لان « كافة الدلائل كانت توحي بان القيادة الصهيونية كانت تخطط للصراع بين اليهود والعرب، الأمر الذي كان يتوافق مع مصالح الأمبريالية البريطانية[196] ». فقد اكد المستر توماس في بيانه السياسي الذي القاه يوم 3 ابريل 1936 ان اليهود هم الذين ابتدأوا بالعدوان في حوادث ابريل 1936[197] . هذا بالأضافة الى تسليح الحكومة البريطانية لاكثر من الفي بوليس يهودي اضافي لحراسة المستوطنات اليهودية، والمساعدة في « تدريب وتسليح قوات الدفاع اليهودية[198] ». كذلك فانه لم يكن من الممكن للثورة العربية « تفادي الأصطدام هنا وهناك، بعناصر من الوطن القومي اليهودي، الذى ارتبط في اذهان الجماهير بالأمبريالية البريطانية عن طريق سياسة قيادته الصهيونية وممارستها الموالية للأمبريالية والمعادية للجماهير العربية. وتراكمت صعوبات تفادي الأصطدامات بين قوى الثورة وعناصر من الوطن القومي اليهودي حين قذفت القيادة الصهيونية قواها في المعركة ضد كفاح الشعب العربي الفلسطيني. ويفتخر الصهيونيون بانهم قاموا بدور فعال في محاربة الثورة ».

اما على الصعيد الأقتصادي فقد « تميزت هذه الفترة لا بتوطيد الوطن القومي اقتصاديا واجتماعيا بشكل عام فحسب، بل بتخطيط اقامة المواقع الأستراتيجية على شكل مستوطنات زراعية، انتشرت من الجليل في الشمال حتى النقب في الجنوب. لقد كانت الصهيونية دائما تختار مواقع

---

195 ـ Weizmann, op. cit., p. 488

196 ـ اميل توما : الجديد ـ فبراير 1970، ص 12.

197 ـ P.D. vol. 311, cols. 301 - 4

198 ـ Fred Khouri, op. cit., p. 25

المستوطنات اليهودية في الريف لمزاياها الحربية، ولكنها في عام 1936 بدأت تنفذ مخططا مدروسا، فأقامت ـ ابتداء من عام 1936 حتى عام 1939 ـ 55 مستوطنة اشتركت جميعها بمظهرين: الحائط الذي يطوقها وبرج المراقبة القائم في وسطها. وكان الهدف من ذلك تحويل المستوطنات الى معسكر حربي[199] ».

تحقيقات اللجنة الملكية

لم تظهر الحكومة البريطانية اي ميل نحو تغيير سياستها بالنسبة لفلسطين بعد ان قررت في 18 مايو 1936 تعيين (لجنة ملكية) للتحقيق في حوادث فلسطين التي اندلعت منذ منتصف ابريل من ذلك العام. ففي 12 مايو 1936، ادلى رئيس الوزراء، المستر بلدوين بالتصريح التالي: « ان حكومة صاحب الجلالة مسئولة عن ادارة وحماية فلسطين طبقا لنصوص صك الأنتداب، وهي عازمة على تنفيذ تلك المسئولية حتى النهاية [200] ». وصرح اورمسبي غور وزير المستعمرات في 9 يونية 1936 انه « واثق تمام الثقة من انه بناء على توصيات لجنة التحقيق الملكية ـ التي سيعينها صاحب الجلالة بعد هدوء الأحوال في فلسطين ـ فانه يمكن ايجاد الوسائل الكفيلة لتحقيق سلام دائم في فلسطين، ضمن اطار الأنتداب والتزاماته الثنائية »، واضاف بان الحكومة لن تعين اسماء اعضاء اللجنة او تحدد اختصاصاتها قبل ان تتمكن حكومة فلسطين من السيطرة على الوضع في البلاد[201] ».

وفي المناقشة التي اجراها مجلس العموم في 19 يونية 1936 لبحث السياسة البريطانية في فلسطين، قال اورمسبي غور ان « العرب يطلبون الوقف التام للهجرة اليهودية والوقف التام لكل انواع بيع الأراضي، وانشاء حكومة وطنية مسئولة امام جمعية منتخبة بطريقة ديمقراطية »، ثم اوضح ان

---

199 ـ اميل توما : المصدر السابق ص 9.

200 ـ P.D. vol 312, col 1357

201 ـ P.D. vol. 312, cols. 35 - 7

« هذه المطالب لا يمكن قبلوها[202] ». وختم بيانه السياسي قائلا « ان الأمبراطورية البريطانية لن تسقط، ونحن مصممون على كسب هذا القتال حتى لو اضطررنا الى استخدام اجراءات شديدة[203] ». وادلى في 25 يونية 1936 بالتصريح التالي « ان من واجبي ان ابين ان حكومة صاحب الجلالة ليست لديها اية نية في اتخاذ او تشجيع اي عمل لا يتفق ونصوص صك الأنتداب، او لا يتفق مع مسئولياتها في صيانة حقوق جميع السكان، بغض النظر عن الجنس والدين[204] ».

وقدم النائب المستر جالاشر Gallacher في 6 يوليو 1936، سؤالا الى المستر ايدن، وزير الخارجية بشأن علمه بالمفاوضات الجارية بين سوريا ولبنان من جهة، وبين فرنسا من جهة اخرى، لاجل منحهما الأستقلال والغاء الأنتداب، فرد بالأيجاب. ثم طلب اليه ان تحذو بريطانيا حذو فرنسا، بالنسبة لفلسطين وشرق الأردن، فتتنازل عن الأنتداب وبذلك يمكن تهدئة الأحوال في فلسطين، فرفض المستر ايدن هذا الأمر[205].

في 22 يوليو 1936، اعلن المستر اورمسبي غور ان اللجنة الملكية « لا يمكنها الذهاب الى فلسطين الا بعد استتباب قدر من الأمن في البلاد يمكنها من الانتقال بحرية »، ورفض فكرة ارسالها في ذلك الوقت (يوليو1936) بسبب زيادة الأضطرابات في فلسطين »، كما رفض ان « يصرح بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين ابان عمل لجنة التحقيق الملكية[206] ». لكنه بعد اسبوع واحد، اي في 29 يوليو، عين اسماء اعضاء اللجنة الملكية التي تألفت من: لورد بيل Peel، سير هوراس رامبولد H. Rumbold، لوري هاموند L. Hammond، موريس كارتر M. Carter، هارولد موريس H.

202 - op. cit., col. 1324

203 - Ibıd., col. 1395

204 - Ibıd , col 1964

205 - P.D. vol 314, cols. 857 - 8

206 - P D. vol. 315, cols. 424 - 6

MORRIS، وريجينالد كوبلاند R. Coupland، وهي برياسة لورد بيل، ويكون سير هوراس رامبولد نائبا للرئيس، ويتولى المستر مارتن Martin السكرتارية. واعلن ان اختصاصات اللجنة هي كما يلي « التثبت من الأسباب الأساسية للأضطرابات التي نشبت في فلسطين في اواسط شهر ابريل، والتحقيق في كيفية تنفيذ صك الأنتداب على فلسطين بالنسبة الى التزامات الدولة المنتدبة نحو العرب ونحو اليهود، والتثبت بعد تفسير نصوص الأنتداب تفسيرا صحيحا، مما اذا كان لدى العرب او لدى اليهود اية ظلامات مشروعة ناجمة عن الطريقة التي اتبعت فيما مضى، او التي تتبع الآن في تنفيذ الأنتداب، والقيام – لدى اقتناع اللجنة باستناد اية ظلامة من هذه الظلامات الى اساس صحيح - بر فع التواصي لأزالة تلك الظلامات ومنع تكرارها [207] ». واعلن اورمسبي غور في نفس الجلسة ان « هارولد موريس متخصص في شئون العمل والعمال والأجور، وان موريس كارتر متخصص في شئون الأراضي [208] ».

واصدر الملك جورج السادس في 7 اغسطس 1936، البراءة الملكية بتعيين اللجنة واختصاصاتها وما يمكن ان تقوم به من اجراءات وما تتخذه من توصيات[209]. الا انها لم تصل فلسطين الا بعد ذلك بنحو ثلاثة اشهر وذلك « بسبب استمرار الأضطرابات ». وتذكر اللجنة في تقريرها ان « هذه الفترة لم تذهب علينا سدى، اذ مكنتنا من النظر في بعض التقارير الرسمية الكثيرة التي تدور حول ادارة الأنتداب، ودرس سلسلة من المذكرات الوصفية والأحصائية القيمة التي زودتنا بها حكومة فلسطين بناء على طلبنا. ولقد قر رأينا في اجتماعنا الأول الذي عقدناه بلندن في اليوم السادس من شهر اكتوبر ان لا نبدأ بسماع الشهادات الا بعد وصولنا الى

---

207 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 11 op. cit. col. 1512,

208 ـ P.D. vol. 315, col. 1513

209 ـ نص البراءة في تقرير اللجنة الملكية ص 7- 8.

القدس. وعقدنا النية على انه بينما نتيح لأنفسنا اكتساب بعض المعلومات عن الأستنادات التاريخية والحقائق والأرقام الأساسية المتعلقة بالموضوع، نرى لزاما علينا ان نقدم على سماع الشهادات باذهان خالية من كافة الشواغل، مجردة من جميع العوامل والآراء، بالقدر الذي يكون فيه ذلك مستطاعا[210] ».

وبعد ان عملت اطراف متعددة على وقف الأضراب واجهاض الثورة، ابتداء من 12 اكتوبر 1936، وبداية هدوء الأحوال في فلسطين، القى اورمسبي غور في 29 اكتوبر 1936، البيان التالي عن احوال فلسطين « يسرني ان انقل اليكم ان الأضراب العام قد توقف في 12 اكتوبر، وان الأحوال في جزء كبير من البلاد قد تحسنت بسرعة. وقد حدثت منذ 15 اكتوبر بعض الحوادث الصغيرة المتفرقة، وهي التي قامت بها عصابات مسلحة، ضمت عناصر غير فلسطينية. ومن ناحية عامة فان الهدوء يسود البلاد، واخذ السكان يقومون باعمالهم العادية. وقد اتخذت خطوات لخفض عدد القوات البريطانية، وهي التي كانت قد ارسلت لتقوية الحامية العسكرية. واتخذت الترتيبات لسفر اللجنة الملكية الى فلسطين قبل نهاية الأسبوع القادم »، ثم تمنى للجنة النجاح في مسعاها[211].

وكان الملك جورج السادس قد تعرض، في خطاب العرش، لحوادث فلسطين الأخيرة فقال « اني آسف اسفا عميقا للاضطرابات الخطيرة التي حدثت في فلسطين ابان الشهور الستة الأخيرة، والتي اسفرت عن ضرورة ايفاد قوات اضافية، وارحب بالتحسن الأخير في الحالة، وان اللجنة الملكية التي عينتها ستبرح انجلترا هذا الأسبوع للقيام بمهمتها. واني ارجو باخلاص ان يؤدي بحثها للمشاكل الصعبة التي ستعرض عليها الى تسوية عادلة ودائمة[212] ». وفي الرد على خطاب العرش الذي القاه المستر

---

210 ـ تقرير اللحنة الملكية ص 11 - 12.

211 ـ P.D. vol. 316, cols,11 - 12

212 ـ P.D. vol. 317, cols. 10 - 11

بلدوين في 3 نوفمبر 1936، قال « اعتقد انه من المهم جدا ان نتجنب بقدر الأمكان المعالجة الجدلية للموضوع، بينما اللجنة تقوم بعملها الصعب والحساس جدا، حتى لا نذكي الشعور الذي لم يخمد بعد، والذي يمكن ان يثيره اي من الفريقين. وان املنا الجاد ان يتعاون الفريقان في فلسطين الى ابعد مدى مع اللجنة الملكية، وان تؤدي اعمالها الى نتيجة مرضية، في بلاد لازمنا فيها الفشل كثيرا، والى بدء عهد من الأخاء والسلام[213] ».

ومع كل ذلك فان الحكومة البريطانية لم تتخذ اية خطوة ايجابية نحو العرب، يمكن ان تؤدي الى التقليل من مخاوفهم، بل على العكس من ذلك، فقد اعلن اورمسبي غور في 5 نوفمبر 1936، وهو اليوم الذي غادرت فيه اللجنة الملكية لندن متجهة الى القدس، « موافقة الحكومة البريطانية على قرار المندوب السامي بمنح 1800 شهادة هجرة يهودية، للفترة من اكتوبر 1936 الى ابريل 1937[214] ». وردا على هذا القرار، اصدرت اللجنة العربية العليا بيانا في 6 نوفمبر 1936، قالت فيه انه « لما كان في هذا القرار الذي اعلنه وزير المستعمرات تحد شديد لعواطف العرب وعدوان على حقوقهم، ودليل على فقدان حسن النية في حل القضية العربية في فلسطين حلا صحيحا قائما على تحقيق مطالبهم وحفظ كيانهم القومي، فان اللجنة تستنكر بكل شدة هذا الموقف، وتقرر عدم التعاون مع اللجنة الملكية، وتدعو الأمة العربية الكريمة - التي برهنت للعالم اجمع على نضجها السياسي وقوة ايمانها الوطني - ان تعمل بهذا القرار[215] ». والحقيقة ان قرار اللجنة العربية العليا كان قرارا يتسم بالسطحية الى حد كبير، اذ ان الحاج امين الحسيني كان على علم تام بان (البيان الملوكي المشترك) الذي اجهضت الثورة وتوقف الأضراب بسببه، لم يكن فيه ما يقيد الحكومة البريطانية او

213 - op. cit. col. 30

214 - Ibid., cols. 250 -1

215 - الرابطة العربية - ع25 - 1936/11/11، عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 149 - 150، تقرير اللجنة الملكية ص 134 - 135.

يمنعها من اتخاذ اي اجراء بالنسبة لسياستها في فلسطين. ويبدو ان جريدة اللواء (لسان حال المفتي) قد حاولت تبرير قرار المقاطعة فقالت ان « المصريين قد سبق لهم ان قاطعوا ملنر، ولكن هذا لم يمنع اللجنة من ان تضع تقريرا تنصف فيه المصريين[216] ».

وصلت اللجنة الملكية الى القدس صباح 11 نوفمبر 1936، وفي اليوم التالي اقامت الحكومة « حفلة افتتاح رسمية حضرها رهط كبير من الأعيان وموظفي الحكومة ورجال الجيش، وتليت في هذه الحفلة البراءة الملكية باللغات الرسمية الثلاث »، ورحب المندوب السامي باللجنة وتمنى لها التوفيق. ولم يحضر العرب هذه الحفلة، وقد علقت اللجنة على عدم حضور العرب بقولها « لقد كان غياب ممثلي العرب بارز الأثر في الحفلة الأفتتاحية التي اقيمت في دار الحكومة ». كما اشار اللورد بيل الى ذلك بقوله « لقد حدث لسوء الحظ في اثناء سفرنا حادث لا يسعنا ان نقول انه يساعد على اداء مهمتنا. فقد اعلن جانب كبير من الأهلين، بواسطة زعمائهم، انهم لن يشتركوا في اعمال اللجنة الملكية. وسيكون من اكبر دواعي الأسف ان نجد انفسنا مضطرين الى التوصل الى استنتاجاتنا واتخاذ قراراتنا، دون ان نستفيد بمشورة ذلك الفريق ومساعدته ». ثم وجه نداءه الى العرب قائلا « هل لنا ان نسأل جميع اولئك الذين يحبون فلسطين ويرجون الخير لمستقبلها ان يشتركوا معنا ويساهموا في اعمالنا ؟[217] ». ولم يسفر هذا النداء الا عن رسالة بعث بها الحاج امين الحسيني الى اللورد بيل، يعتذر فيها عن عدم « تمكن الشعب العربي من القيام بواجب الضيافة » نحو اللجنة « حسب تقاليده الموروثة، بسبب موقف الحكومة البريطانية الأخير ». وقال المفتي انه لما كانت الحكومة البريطانية « هي المرجع والحكم في نتائج تحقيقات اللجنة الملكية، فان العرب لم يعد لهم اي امل في انصاف الحكومة لهم.

---

216 ـ انظر المقطم 1936/11/12.

217 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 12 - 13.

لهـذا فلم يروا، مـع الأسف، اية فـائدة في التعـاون مـع لجنتكم الموقرة[218] ».

زارت اللجنة بعض مدن فلسطين وقراها وكذلك بعض الدوائر الحكومية، وقد اشارت اللجنة في تقريرها الى هذا الأمر فقالت « لقد حاولنا خلال وجودنا في فلسطين ان نتعرض الى الصفات العامة التي يصطبغ بها مختلف انحاء البلاد، والى كيفية معيشة سكانها، على قدر ما سمح لنا الزمن. فقمنا مرة بزيارة يافا وتل ابيب وملبس، واجتزنا بالسيارات مرة اخرى بيت لحم والخليل وبئر السبع حتى غزة. واشرنا في مواضع عدة من تقريرنا الى زيارات قمنا بها لمختلف مناطق القرى العربية واليهودية، والى مؤسسة (دانيال سيف) للأبحاث العلمية في رحوبوت. وفي اثناء رحلاتنا هذه هيئت لنا الأسباب لزيارة دوائر حكومية متعددة تقع على الطرق التي سلكناها. وقد قدرنا كل التقدير الفرصة التي اتيحت لنا بذلك لمقابلة جماعة من موظفي الأدارة ممن ينتمون الى جميع العناصر، والأصغاء الى الآراء التي تقدموا بها الينا بمنتهى الصراحة[219] ».

وقد عقدت اللجنة جميع جلساتها الرسمية اثناء وجودها في فلسطين في مدينة القدس. اما من حيث الأصول فقد قررت ان لا تسمح للمحامين بالمرافعة امامها، وان تجعل جلساتها علنية بالقدر المستطاع. غير ان اللجنة ادركت انه « قد يكون هنالك بعض الشهود ممن يستحسن سماع شهاداتهم بصورة سرية، وآخرون ممن يفضلون هم انفسهم اعطاء شهاداتهم على تلك الصورة »، وتذكر اللجنة انها تركت « امر الفصل في ذلك الى الشاهد نفسه ». ولقد استمعت اللجنة الى 60 شاهدا في 30 جلسة علنية، والى 53 شاهدا في 40 جلسة سرية. وكان سماع الشهادات يجري باللغة الأنجليزية، غير ان اللجنة اضطرت الى الأستعانة بالمترجمين لدى سماعها « بعض الشهود الذين يتكلمون العربية، وبعض الشهود الآخرين الذين يتكلمون

---

218 ـ الفتح ـ 524 ـ 5 رمضان 1355 هـ(1936/11/19).

219 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 14- 15.

العبرية[220] » .

بدأت اللجنة العربية العليا تتراجع عن موقفها ازاء مقاطعة اللجنة الملكية بعد أسوعين فقط من بيان 6 نوفمبر 1936 . ففي 21 نوفمبر ، اجتمعت اللجنة العربية العليا لبحث الموقف ازاء لجنة التحقيق ، وقد تقرر بعد مناقشة عنيفة التمسك بقرار المقاطعة ، على أن يعاد النظر في القرار إذا طلب ملوك العرب ذلك من اللجنة[221] . ويبدو أنها سلكت هذا المسلك على اثر موقف راغب النشاشيبي وحزب الدفاع المؤيد للمثول أمام اللجنة الملكية ، مما دل على وجود انشقاقداخل اللجنة العربية . وقد ابدى المفتي بعد ذلك ، رغبته في الاتصال غير الرسمي باللجنة الملكية ، مع الاحتفاظ ظاهرياً بقرار المقاطعة ، إلا أن هذه الرغبة لم تلق اية استجابة لدى اللجنة الملكية . وبعد أن انتهت اللجنة الملكية من سمع الشهود البريطانيين واليهود ، واعلنت تاريخ مغادرتها البلاد ، تعرضت اللجنة العربية العليا لضغط شديد « من عمان والرياض وبغداد[222] » . واستجابت اللجنة العربية العليا للضغط ، فاوفدت في 18 ديسمبر 1936 ، وفداً الى بغداد والرياض ، ويبدو أن عزة دروزة ، وهو احد اعضاء الوفد ، قد بقي في بغداد ، لأن جريدة أم القرى، التي تصدر في مكة، تذكر انه « وصل الرياض في الاسبوع الأول من يناير 1937 ، الوفد الفلسطيني المؤلف من الشيخ كامل القصاب ، عوني عبد الهادي ، ومعين الماضي . وقابل جلالة الملك وعاد يحمل توصياته[223] » .

مارست السلطات البريطانية ضغطا مباشرا وغير مباشر، « لحمل الشعب الفلسطيني على الأتصال باللجنة الملكية والعدول عن

---

220 ـ المصدر السابق ص 13.

221 ـ المقطم 1936/11/22.

222 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 152.

223 ـ ام القرى 631 - 1937/1/8.

مقاطعتها[224] ». وبدت في الجو السياسي (نعرة طائفية)، اتهم المفتي الذين يروجونها بأنهم من « اعوان السوء وصنائع الأعداء، من طلاب الصيد في المياه العكرة، من الذين تجردوا عن كل وجدان حي وضمير شريف ، واتخذوا من ترويج تلك الدسائس والمفاسد تجارة ووسيلة، يتوسلون بها الى ضرب الأمة في الصميم ». ودعا المفتي الأمة « على اختلاف طوائفها وهيئاتها وافرادها الى الأستمساك بحبل الأتحاد والأخوة، واستنكار ما يروجه الأعداء من دسائس واراجيف، ومحربتها بلا هوادة، حتى تجتث من جذورها وتستأصل من تربة هذا الوطن المحبوب[225] ». وفي البيان الذي اصدره المفتي في 6 يناير 1937، اتهم الصهيونيين بأنهم « يوعزون الى اذنابهم ومأجوريهم ـ من اعوان السوء واتباع الضلال ـ بتوزيع نشرات مملوءة بالدس والكيد والسم الزعاف، سرا بين الناس في المدن والقرى، محاولين بذلك صدع الجبهة الوطنية المتحدة، والتفريق بين ابناء الوطن الواحد من مسلمين ومسيحيين »، ثم طلب الى الأمة ان « تظل معتصمة بوحدتها، معتزة بقوتها، سائرة قدما في سبيل تحقيق حريتها واستقلالها، بفضل اتحاد صفوفها واجتماع كلمتها[226] ».

كانت (النعرة الطائفية) التي اتهمها المفتي تعبيرا عن رغبة بعض العناصر في مقابلة اللجنة الملكية ، خلافا لما كان يراه المفتي . ولذلك سارعت اللجنة العربية العليا ، حينما وصل الوفد العربي (المرسل الى بغداد والرياض) الى القدس في 5 يناير 1936 ، الى اتخاذ قرار في اليوم التالي ، وافقت بموجبه على « الاتصال باللجنة الملكية بالنيابة عن الشعب العربي وبسط القضية » ، وطلبت « من كل من لديه معلومات او بيانات تفيد القضية ، ان يبعث بها خطيا اليها لترى رأيها فيها ، وان لا يتقدم احد للشهادة الانفرادية بدون موافقة اللجنةالعربية[227] »وقد اقدمت اللجنة

224 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 167.

225 ـ جريدة الاخوان المسلمين ـ ع 40 س 4 - 1937/1/12.

226 ـ المصدر السابق 1937/1/12.

227 ـ الشهادات السياسية ص 10، تقرير اللجنة الملكية ص 135، الفتح - 532 - 1 ذي القعدة 1355

العربية العليا على اتخاذ هذا الموقف بناء على رسالة الملك عبد العزيز المؤ رخة في اول يناير 1937 ، وعلى رسالة الملك غازي المؤ رخة في 3يناير 1937 ، وهما بنص واحد . وقد رأى العاهلان ان« المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة ،لان ذلك اضمن لحقوقكم وادعى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم[228] » ، مع ان اعضاء (الوفد العربي) اشتكوا من ان « حقائق القضية الفلسطينية لم تكن واضحة امام الملك عبد العزيز ، وان مستشاريه لا يجهدون انفسهم بتعريفه بتفاصيل الامور ، وانه لو كان على علم تام بكل ما يجري في فلسطين لكان له موقف اخر[229] » . والواقع ان الشعب العربي في فلسطين قد ذهل « لموقف قيادته التي قررت قبل شهرين بالضبط(اي في 6نوفمبر) 1936 مقاطعة اللجنة الملكية ، وعادت اليوم تلغي قرارها السابق من غير اسباب جديدة ، سوى رغبة الملوك في جو من الضغوط البريطانية[230] » .

قدمت اللجنة العربية العليا في 11 يناير 1937 مذكرة اضافية الى اللجنة الملكية حول تاريخ قضية فلسطين[231] وختمتها بالمطالب التالية :« (1) العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة التي نشأت عن تصريح بلفور ، واعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها ، والتي الحقت اشد الاضرار والاخطار بكيان العرب وحقوقهم . (2) ايقاف الهجرة اليهودية ايقافا تاما وفورا . (3) منع انتقال الاراضي العربية لليهود منعا باتا وحالا . (4) حل قضية فلسطين على الاسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان وذلك بانهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين ، تقوم بموجبها حكومة وطنية ذات حكم دستوري ، يتمثل في

---

228 ـ ام القرى - 633 - 1937/1/22، تقرير اللجنة الملكية ص 135، الشهادات السياسية ص 11 - 12.

229 ـ احمد الشقيري : اربعون عاما ص 167

230 ـ المصدر السابق ص 169.

231 ـ نص المذكرة في الشهادات السياسية ص 357 - 368.، تقرير اللجنة الملكية ص 171، الفتح ـ 540 - 28، ذي الحجة 1355.، هـ.

جميع العناصر الوطنية ، ويضمن للجميع فيها العدل والتقدم والرفاهية » .- وقد ايد الحاج امين الحسيني هذه المطالب[232] ، كما ايدها عوني عبد الهادي[233] ، وعزة دروزة [234] ، وعبد اللطيف صلاح [235] ويعقوب فراج [236] . في شهاداتهم امام اللجنة الملكية .

وبعد ان استمعت اللجنة الملكية لوجهة النظر العربية ، غادرت « القدس في ايام مختلفة من الاسبوع الذي يبدأ في 17 يناير 1937 » ، وبعد ان مكثت بضعة ايام في حلوان (بمصر) لتداول الاراء ، ابحرت من بور سعيد على ظهر الباخرة (كاتي) في 24 يناير 1937 ، فبلغت لندن في اليوم الثاني من فبراير 1937[237] .

حالة فلسطين بين وقف الاضراب ونشر تقرير اللجنة

لم تهدأ الاحوال في البلاد بالصورة التي كانت تأملها السلطات البريطانية . فقد اعلن اورمسبي غور في 17 نوفمبر 1936عن مقتل يهودي واحد ، واثنين من المسلمين ، واصابة 7 من العرب في الفترة ما بين اكتوبر و 14 نوفمبر 1936[238] . وبدأت في البلاد حركة مقاطعة لليهود على الصعيدين الاقتصادي والسياسي ، وشاركت الصحف العربية افلسطينية في الدعوة الى هذا الأمر[239] . بل ان (الحرس الوطني) ، الذي انشىء ابان الاضراب ، استمر في بث الفكرة بين الجماهير ، ويبدو ان جودة موسم

---

232 ـ الشهادات السياسية ص 28.

233 ـ المصدر السابق ص 136 - 156.

234 ـ نفس المصدر ص 177 - 200.

235 ـ نفس المصدر ص 251.

236 ـ نفس المصدر ص 325.

237 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 15.

238 ـ P.D. vol. 317, col. 1532

239 ـ ام القرى - 623 - 1936/11/13 ، المقطم 1936/11/3.

الحمضيات لعام 1937/1936 قد ساعد على سرعة تنفيذ هذه الفكرة ، لكنها لم تستمر طويلا بسبب سياسة الافقال التي مارستها الحكومة البريطانية على الشعب العربي في فلسطين . فقد قدرت الحكومة 4,438 جنيها فلسطينيا في ميزانية 1937/1936 ضريبة على كل فرد في البلاد ، عدا رسوم البلديات ، مما اثقل كاهل الفلاح والعامل العربي [240] .

كذلك فان السلطات البريطانية انتهزت فرصة الهدوء النسبي ، فأخذت تقيم المخافر والاستحكامات في المناطق الشمالية من البلاد ، خوفا من تجدد اعمال العنف ، وردا على اعمال الجماعات العربية في قطع الطرق الرئيسية في معظم انحاء فلسطين ، حتى ان اللجنة العربية العليا اوفدت مندوبين عنها الى القرى ، لدعوة الفلاحين الى الكف عن تلك الاعمال [241] ، وذلك تحت ضغط السلطات البريطانية . وقد القى اورمسبي غور في 19يناير 1937 ، بيانا عن الاحوال في فلسطين قال فيه « وقعت زيادة في حوادث قطع الطرق العامة منذ اواخر نوفمبر 1936 ويبدو ان دوافعها اقتصادية او اجرامية وليست سياسية . واتخذت اجراءات بوليسية ، وتم القبض على عدد من الاشخاص » ، واضاف « انه فضلا عن هذه الحالات ، وبعض اعمال العنف الفردية ، فان احوال فلسطين تبدو هادئة ظاهريا ، بالرغم من استمرار حالة التوتر بصورة عامة [242] » . والحقيقة ان حالة التوتر كانت لاسباب سياسية ـ اقتصادية ولم تكن لاسباب اجرامية كما زعم اورمسبي غور . فقد ذكرت (المقطم) بعد اسبوع واحد من تصريح اورمسبي غور ان امين عبد الهادي ، عضو المجلس الاسلامي الاعلى ، قد اعتذر « بكتاب نشره في 26يناير ، عن قبول دعوة المندوب للاشتراك في حفلة تتويج الملك جورج السادس ،نتيجة للضغط العام في فلسطين [243] .

---

240 ـ الشباب 45 - 1937/3/24.

241 ـ انظر المقطم 1937/1/10.

242 ـ P.D. vol. 319, cols 34 - 5

243 ـ المقطم 1937/1/27.

واجتاحت البلاد موجة من الأغتيال السياسي، ابتدأت باغتيال الدكتور طه خليل طه في حيفا في 27 يناير 1937 [244]، وانتشرت بشكل سريع في شمال البلاد، ووجهت الى بعض افراد البوليس الذين كانت لهم يد في اكتشاف جماعة القسام ومطاردتها، او الذين اتهموا باستعمال الشدة مع المعتقلين العرب[245]. وكان هجوم اليهود على السيارات العربية، كما حدث من مستوطنة كفر سابا في 3 فبراير 1937 [246] تحد اسفر عن ازدياد حدة العنف في البلاد، مع ان القوات العسكرية البريطانية المرابطة في فلسطين كانت تتألف من 8 آلاف جندي، وفرقة مشاة ميدان، وكتيبة من المهندسين الملكيين ووحدة مدفعية، هذا بالأضافة الى سرب من سلاح الطيران الملكي وثلاث كتائب عربات مدرعة[247]. وارتفعت حوادث الأغتيال في الأسبوع الأول من مارس، حتى ان المقطم نشرت في 2 مارس 1937 مقالا بعنوان (جنايات القتل في فلسطين) ورد فيه ان « قضية فلسطين لا تحل بهذه الطريقة ». ووجهت السلطات اليهودية انتقادات شديدة لحكومة فلسطين حول اضطراب الأمن في البلاد، واصدرت بيانا شديد اللهجة فيه الكثير من التهديد والوعيد[248]. واعترف اورمسبي غور في 17 مارس 1937، بأن الأحوال غير هادئة في فلسطين، وان « الأعمال الأجرامية مستمرة »، واشار الى انه « طلب من المندوب السامي الذي يصل فلسطين في 19 مارس، اتخاذ خطوات حاسمة للقضاء على اضطراب الأحوال في فلسطين ». واضاف بانه يعتقد ان « الحوادث الأخيرة قد دبرتها وخططت لها عناصر محلية في فلسطين، وهي باعتراف الجميع عمل عصابة ارهابية صغيرة، واني على يقين من ان تلك العصابات الأرهابية الصغيرة ليس لها اي ارتباط

---

244 ـ المقطم 1937/1/31.

245 ـ منهم الكونستابل حسن فارس في حيفا. انظر المقطم 1937/2/25.

246 ـ P.D. vol. 321, cols. 349 - 50

247 ـ P.D vol. 320, col. 1167

248 ـ المقطم 1937/3/18.

باللجنة العربية العليا[249] ».

مارست السلطات البريطانية ضغطا على المفتي ليستمر على موقفه المعتدل. ففي اثناء زيارة المستر لويد جروج لفلسطين في اواخر يناير 1937، تمت مقابلة بينه وبين « صديقه القديم » الذي « استمع الى صوت العقل مرة او مرتين على يديه، ونفذ باخلاص كل ما تعهد به ». وفي هذه المقابلة حذر لويد جورج المفتي من انه لا يمكن السكوت على حوادث العنف في فلسطين، ولا يمكن غض الطرف عن الحوادث التي تتعرض لها القوات العسكرية البريطانية. وطلب اليه ان « يستخدم كل نفوذه ليحول دون قيام اضطرابات اخرى »، وتقبل المفتي بعناية ما قاله لويد جورج، وابدى رغبته « بتنفيذه قدر الاستطاعة »، وطلب الى لويد جورج كي يسعى لدى المندوب السامي ليثق فيه، لانه يشك « فيما اذا كان الجنرال واكهوب على علم بمدى الصعوبات التي يواجهها في التعامل مع اتباعه، الذين يحركهم السخط والخوف من المستقبل[250] ». وبالفعل اعلن المفتي وعضوان آخران من اللجنة العربية العليا، في 10 فبراير 1937، في الصحف المحلية « استنكارهم لحوادث الأرهاب التي وقعت في الأشهر الماضية في فلسطين[251] ». وسافر المفتي الى الحجاز في اوائل النصف الثاني من فبراير 1937[252]، لاداء فريضة الحج (عام 1355) في الظاهر، وللاتصال مع الملك عبد العزيز في الواقع. وبعد عودته اصدر في 19 مارس1937 بيانا استنكر فيه حوادث العنف والأغتيال السياسي في البلاد، وقال ان اللجنة العربية العليا ترى ان « المصلحة الوطنية تقضي باستمرار العرب على اتباع

249 ـ P.D. vol. 321, cols. 2052 - 3.

250 ـ Colin Forbes Adam : Life of Lord Lloyd, London, 1948, pp. 275 - 6

251 ـ P.D. vol. 321, col. 2052

252 ـ المقطم 1937/2/17، ام القرى ـ 639 - 1937/3/5. ذكر فيلبي في لقائه مع بن غوريون في 18 مايو 1937، في لندن، انه « عندما كان المفتي في مكة، طلب اليه الملك ابن سعود التأثير على العرب للامتناع عن كل عمل عنيف الى ان تنشر اللجنة الملكية تقريرها »، وانه « حال عودة المفتي سينشر فورا بيانا للمحافظة على الهدوء ». انظر بن غوريون : (لقاءات) ص 294.

نصائح اصحاب الجلالة والسمو بالاخلاد للهدوء والسكينة التامة، وترجو من الأمة الكريمة ان تجتنب ثورة العواطف واعمال العنف، وان تظل هادئة كل الهدوء، منتظرة بقلوب ملؤها الأيمان، ونفوس مشبعة بعدالة القضية العربية، ما وعدت به من العدل والأنصاف[253] ». وقد اشار اورمسبي غور في 24 مارس 1937 الى موقف اللجنة العربية العليا اذ قال ان « اللجنة العربية العليا قد اصدرت مؤخرا نداء بوقف اعمال العنف في فلسطين »، واضاف بان « الوكالة اليهودية اصدرت نداء مماثلا منذ عدة اسابيع[254] ».

لم يسفر بيان الحاج امين لحسيني عن الأثر المطلوب، اذ ظلت السلطات البريطانية مستمرة في تنفيذ سياسة القمع والأرهاب بالنسبة لجميع المواطنين. فقد ادلى وكيل وزارة المستعمرات في 6ابريل 1937 ببيان عن احوال فلسطين جاء فيه ان حكومة فلسطين « اتخذت بعض الأجراءات الاحتياطية الوقائية خوفا من تجدد اعمال العنف، وستقدم القوات العسكرية، بموجب هذه الأجراءات، جميع المساعدات الممكنة للسلطات المدنية في مختلف الظروف[255] ». واعلن اورمسبي غور في 14 ابريل 1937 انه « لم تقع حوادث قتل او محاولة قتل في الفترة ما بين 18 مارس و11 ابريل 1937، ولكن وقعت عدة هجمات على العرب (قامت بها القوات العسكرية البريطانية) في مناطق متفرقة[256] ». وفي 15 ابريل1937، قتل حليم بسطة (مصري، متهم باقتفاء اثر القساميين)، مساعد مدير دائرة المباحث الجنائية في حيفا، واعرب اورمسبي غور في 20 ابريل1937 عن شديد اسفه لهذا العمل. واتهم « ثلاثة من العرب المسلحين بالمسدسات » بقتله، وذكر ان المندوب السامي اعلن عن « تقديم مكافأة مالية للارشاد عن القتلة، ولكن لم يتم عليهم القبض حتى الآن[257] ».

---

253 ـ الرابطة العربية ـ 43 - 1937/3/31.
254 ـ P D. vol. 321, col. 2883
255 ـ P.D. vol. 322, col. 34
256 ـ op. cit. col. 990
257 ـ Ibid, col. 1580 ومما يذكر ان الاطفال، بعد مصرع حليم بسطة، كانوا ينشدون (حليم بسطة مات، في عينه ست رصاصات) الشباب 88 - 1938/1/26.

اعلن اورمسبي غور في 17 مارس 1937 ان « سياسة الحكومة الحالية هي نفس ما ورد في رسالة رمزي مكدونالد في 13 فبراير 1931 ، الى الدكتور وايزمن [258] » ، ومعنى هذا ان سياسة الحكومة البريطانية لن تتغير بالنسبة للهجرة اليهودية او لبناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وبناء على ذلك وافق المندوب السامي على دخول 770 مهاجرا يهوديا للفترة من ابريل الى يوليو 1937 . وبرر اورمسبي غور في 26 مايو 1937 هذا التقدير على انه راجع الى مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب [259] » . وقد اثار هذا العمل موجة من الاستياء بين عرب فلسطين ، مما دفع اللجنة العربية العليا الى ان تصدر بيانا تعلن فيه « استنكارها الشديد لاستمرار الحكومة البريطانية على الهجرة اليهودية دون اي اهتمام بعواطف العرب ومطالبهم القومية » ، وان العرب « لن يقبلوا اية هجرة يهودية ، وانهم لن يطمئنوا اما لم تتحقق مطالبهم القومية كاملة [260] » .

زاد في حدة التوتر في البلاد ، بالاضافة الى السماح بدخول 770 مهاجرا يهوديا ، اضراب 196 معتقلا عربيا في سجن عكا ، عن الطعام بين 11 و 15 مايو 1937 [261] ، احتجاجا على اعتقالهم دون مبرر او محاكمة . وكانوا قد قدموا في اوائل مارس 1937 (كان عددهم 100 معتقل فقط) مذكرة الى القائم باعمال الحكومة حول اعتقالهم « ظلما وعدوانا وزورا وبهتانا » في سجن « قد تأسس نظامه على مخالفة الطب وعلى تفشي المرض واذلال النفس وتعذيب الجسد [262] » . يضاف الى ذلك انتشار الشائعات حول توصية اللجنة الملكية بتقسيم البلاد ، فأصدرت اللجنة العربية العليا في اول يونيه 1937 ، بيانا اعلنت فيه ان « فلسطين باجمعها هي

---

258 ـ P.D. vol. 321, col. 2051

259 ـ P.D. vol. 324, col. 262

260 ـ الفتح ـ 550 ـ 10 ربيع الاول 1356هـ (1937/5/20)

261 ـ P.D. vol. 324, col. 12

262 ـ الجزيرة ـ 596 - 1937/3/9.

جزء لا يتجزء من البلاد العربية ، ولن يمكن للعرب ان يفرطوا في شبر من ارضها ليكون ملكا لغير العرب ، او موضوع سيطرة لليهود او غيرهم ، سياسيا او اداريا [263] » . ونشر شباب يافا بيانا (الى الرأي العام) ، اعتبروا فيه تقسيم فلسطين خطة لانشاء مركز استعماري صهيوني . . . لا يهدد حركة فلسطين الاستقلالية فحسب ، بل يهدد استقلال البلاد العربية باكملها ، ويقف حجرة عثرة في سبيل وحدتها » ، وانهم لذلك « يعلنون مقاومتهم لمشروع التقسيم » ، ولكل حل يتنافى وميثاق فلسطين الوطني ، « ويعتبرون ان كل من يقبل به او يحاول الترويج له مطية استعمارية [264] » .

اسفرت وحدة التوتر في البلاد عن توجيه نقمة الشعب الى اغتيال رجال البوليس البريطاني . ففي 13 يونيه 1937 قام ثلاثة من العرب بمحاولة اغتيال المستر سبايسر Spicer ، مفتش البوليس العام في فلسطين ، ولكن المحاولة فشلت . وكان قد سبقها محاولة اغتيال مساعد مفتش البوليس لمدينة جنين في 18 مايو 1937 [265] . هذا في الوقت الذي كان فيه الحاج امين يعمل بطريقة ودية ، للتفاهم مع السلطات البريطانية ، مع انه كان قد تعرض هو نفسه لمحاولتي اغتيال ، الاولى في النصف الاول من ابريل 1937 ، والثانية في 29 مايو 1937 . على ان المفتي اضطر ، تحت ضغط الظروف الداخلية في البلاد ، وازدياد الغضب الشعبي العام ، الى تحريك موقفه قليلا . فقد قام في 22 يونيه 1937 بزيارة الى دمشق ، يرافقه اربعة من اقرب اعوانه الضباط . واستقبل هناك جميع زعماء الحركة الوطنية البارزين ، من صحفيين وسياسيين سوريين ولبنانيين ، وبعض العراقيين ايضا ، كما استقبل قنصل المملكة العربيةالسعودية . ويستفاد من تقرير لقنصل بريطانيا في دمشق المستر مكاريت ، مؤرخ في 5 يوليو 1937 ، ان

263 ـ الفتح ـ 553 ـ 1ربيع الاخرة 1356هـ (1937/6/10) .

264 ـ الفتح ـ 555 ـ 15 ربيع الثاني 1356هـ (1937/6/24).

265 ـ P.D. vol. 325, col. 352

مباحثات المفتي تركزت على موضوعين متداخلين ، الاول هو « استعراض عام للوضع السياسي العام في البلاد العربية ، بما في ذلك الدمج الفوري لحزب الاستقلال الفلسطيني بالكتلة الوطنية السورية . . . بجميع ما في الامر من جوانب [266] » . وقد اشارت ايضا جريدة (الجزيرة) الدمشقية الى ذلك ، فذكرت ان هناك مباحثات تدور في دمشق بين الحاج امين الحسيني وبين اعضاء الكتلة الوطنية « لانشاء فروع للكتلة في فلسطين تعمل طبق منهاجها [267] » . اما الموضوع الثاني الذي تم البحث فيه فهو مشروع تقسيم فلسطين . وقد اعترض الحاج امين على مشروع التقسيم ، كما ان اكثرية السياسيين كانوا ضد الموافقة على تنصيب الامير عبدالله ملكا على الدولة العربية المقترحة . وتقرر بعد ذلك عقد مؤتمر عربي عام للبحث في مستقبل فلسطين . وعقد الحاج امين ، في دمشق ، اكثر من اجتماع خاص مطول مع عدد من المقاتلين ، سوريين وفلسطينيين ، مثل الشيخ محمد الاشمر والشيخ عطيه وغيرهما من الشخصيات المشهورة بنشاطها النضالي . وبالاضافة الى ذلك فهم ان المفتي قال في مناسبات عديدة انه « سيعلن الحرب على البريطانيين في الثامن من يوليو » اي على اثر نشر تقرير اللجنة الملكية [268] . وعاد المفتي الى القدس في 5 يوليو 1937 [269] ، ويبدو ان الحكومة البريطانية ارتابت في رحلة المفتي الى دمشق ، فأعلن اورمسبي غور امام مجلس العموم في 28 يونيه 1937 ان « الحاج امين لا يزال يعمل رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى [270] » .

تقرير اللجنة الملكية والتقسيم

رفعت اللجنة الملكية تقريرها الى الحكومة البريطانية في 22 يونيه

---

266 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 330.

267 ـ الجزيرة ـ 668 - 1937/6/28.

268 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 331.

269 ـ المقطم 1937/7/7.

270 ـ P.D. vol. 325, col. 1631

1937 [271] ، ونشرته الحكومة في 7 يوليو من ذلك العام . والحقيقة ان هذا التقرير هو اهم وادق تقرير كتب حول القضية الفلسطينية ابان الحكم البريطاني ، مع ما فيه من تحيز واضح نحو الجانب البريطاني ـ اليهودي .

اكد التقرير ان الاسباب الاساسية للاضطرابات » هي : (1) رغبة العرب في الاستقلال القومي ، (2) كرههم لانشاء الوطن القومي اليهودي وتخوفهم منه . وقدمت اللجنة ملاحظاتها على هذين السببين كما يلي :

1) « هذان السببان هما بذاتهما اللذان اديا الى الاضطرابات التي وقعت في سنة 1920 ، وسنة 1921 ، وسنة 1929 ، وسنة 1933 .

2) انهما كانا في هذه المرة (1936) وغيرها من المرات ، مرتبطين معا ارتباطا لا تنفصم عراه . فتصريح بلفور ، وصك الانتداب الذي يقضي بتنفيذ ذلك التصريح قد انطويا منذ البدء على انكار الاستقلال القومي . وما تلا ذلك من اتساع في الوطن القومي ، خلق عائقا عمليا في سبيل منح الاستقلال القومي في المستقبل ، وهو العائق الخطير الوحيد الذي يحول دون ذلك . ولقد ساد الاعتقاد بان زيادة نمو الوطن القومي ، قد تعني اخضاع العرب لليهود سياسيا واقتصاديا ، حتى اذا انقضى اجل الانتداب في النهاية واصبحت فلسطين مستقلة ، لم يكن هنالك استقلال قومي بالمعنى الذي يريدة العرب ، بل حكومة ذاتية لاكثرية يهودية .

3) اما جميع (العوامل الاخرى) فقد جاءت متممة لهما او ثانوية ، بحيث زادتهما شدة ، او ساعدت على تحديد الوقت الذي نشبت فيه الاضطرابات [272] » .

وقدمت اللجنة تلخيصها (للعوامل الاخرى) بما يلي :

1) « تأثر الرأي العام العربي في فلسطين ، من تحقيق الاستقلال

---

271 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 519.

272 ـ المصدر السابق ص 145.

القومي اولا في العراق ، وبصورة اقل شمولا في شرق الاردن ، ثم في مصر ، واخيرا في سوريا ولبنان اللتين ستمنحانه بعد فترة قصيرة . وقد زاد في قوة هذا العامل ، الاتصال الوثيق بين عرب فلسطين من جهة ، وعرب سوريا والعراق والمملكة السعودية العربيةمن جهة اخرى ، والاستعداد الذي ابداه ملوك العرب وامراؤهم لمواصلة السعي في سبيل مساعدة عرب فلسطين .

2) الضغط الذي احدثته اليهودية العالمية على فلسطين ، نظرا لما يتعرض له اليهود من الاضطهاد وما يساورهم من القلق ، في اوروبا الوسطى والغربية . فازدياد هذاالضغط منذ ابتداء سنة 1933 ، وما عقبه من ازدياد في الهجرة اليهودية ، قد زاد في شدة تخوف العرب من سيطرة اليهود على فلسطين .

3) عدم تساوي الفرص المتيسرة للعرب واليهود لبسط قضيتهم لدى حكومة جلالتكم ، والبرلمان والرأي العام في هذه البلاد (اي بريطانيا) ، واعتقاد العرب بان اليهود يستطيعون دائما الوصول الى ما يريدون ، بوسائل يحرمها العرب وتنكر عليهم . فهذا الاعتقاد الذي يستند بوجه عام الى المركز الذي تحتله الوكالةاليهودية في كل من القدس ولندن ، قد قواه نشر الكتاب الذي ارسله المستر مكدونالد الى الدكتور وايزمن في سنة 1931 ، والمناقشات التي دارت في البرلمان في اوائل العام الماضي ، حول الاقتراحات المتعلقة بتشكيل مجلس تشريعي .

4) ويرافق هذا العامل الاخير ، ازدياد ارتياب العرب ، بمقدرة حكومة جلالتكم على تنفيذ وعودها ، ان لم نقل برغبتها في تنفيذ تلك العهود ، الامر الذي يرجع عهده الى ميثاق مكماهون وتصريح بلفور .

5) فزع العرب من استمرار شراء اليهود للاراضي العربية .

6) الصبغة القوية التي تصطبغ بها القومية اليهودية في فلسطين ، (الصبغة العنصرية) التي تتجلى في كثير من المهاجرين الشباب ، واللهجة

المثيرة التي يستعملها بعض اليهود من غير ذوي المسئولية ، واللهجة الشديدة التي يستعملها كثير من الصحف اليهودية والعربية .

7) عدم وضوح المقاصد النهائية التي ترمي اليها الدولة المنتدبة ، بسبب غموض بعض فقرات صك الانتداب . وقد ادى هذا الغموض الى زيادة كافة الصعوبات الملازمة للوضع خطورة وشدة ، وكان من جرائه بصورة خاصة : (أ) ان اثار رغبة اليهود في التوسع وفي توطيد مركزهم في فلسطين بأسرع ما يمكن ، (ب) ان امكن العرب من تفسير سياسة الاسترضاء التي تتبعها حكومة فلسطين وعطف موظفيها ، كدليلين على ان تصميم الحكومة البريطانية على تنفيذ تصريح بلفور ، ليس تصميما صادرا من صميم القلب [273] » .

وقد اكد اورمسبي غور ، وزير المستعمرات ، في 30 يوليو 1937 ، ان « الفقرات 43 ، 44 ، 45 ، من الفصل الرابع (ص 145 ـ 147 من النسخة العربية) تعبر حقيقة عن رأي اللجنة ورأي الحكومة البريطانية في الوضع القائم في فلسطين [274] » .

اما بالنسبة (لاحتمال ايجاد حل دائم) ، فقد رفضت اللجنة فكرة انهاء الانتداب البريطاني على فلسطين [275] ، واستبعدت (بناء قومية مشتركة او ثنائية) لان « اندماج العرب واليهود معا امر مستحيل حدوثه [276] » . واشارت الى ان الانتداب كان يعمل على تثبيت النزاع العربي اليهودي . ووجهت اللوم الى الحكومة البريطانية قائلة « ولو اتخذت الحكومة سياسة اشد من السياسة التي كانت تسير عليها لتمكنت من كبح جماح هذا النزاع مدةمن الزمن ، ولكنه لم يكن ليتسنى لها ان تقوى على

273 ـ نفس المصدر ص 145 - 147.

274 ـ P.M.C. 32d S. p. 15

275 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 484.

276 ـ المصدر السابق ص 485.

ازالته [277] » . واضافت اللجنة بان « فجوة هذا النزاع ستزداد اتساعا مع الايام ، ذلك ان القوة المنفردة ، التي تعمل احوال فلسطين الداخلية على خلقها ، تزداد نموا سنة بعد سنة [278] » . واعتبرت النزاع « سياسيا في صلبه ، وان كان العرب يتخوفون من سيطرة اليهود الاقتصادية . والمفروض ان الانتداب سينتهي اجله عاجلا ام آجلا ، اما العرب فيتعجلون حلول هذا اليوم ، في حين اليهود يعملون على تأخيره ، والاسباب ظاهرة في الحالتين [279] » . وخلصت من كل ذلك الى القول بأن « الموقف على رداءته الآن سيزداد سوءا فيما بعد ، لاسباب داخلية وخارجية ، وان النزاع سيبقى مستمرا ، وان هوة الخلاف بين العرب واليهود ستظل آخذة في الاتساع [280] » .

واستبعد تقرير اللجنة ان يتطور الحكم في فلسطين الى شكل من اشكال الحكم الذاتي ، فقال ان « حكومة فلسطين هي نوع من الحكومات القائمة في مستعمرات التاج ، وهي غير ملائمة في الاحوال الاعتيادية لحكم العرب المثقفين واليهود الديمقراطيين ، وليس في مقدورها ان تتطور مع الزمن ، الى شكل من اشكال الحكم الذاتي كما وقع في البلدان الاخرى . ذلك انه ليس في الامكان ايجاد شكل من اشكال هذا الحكم ، من شأنه ان يضمن العدالة لكل من العرب واليهود ، او يرضى كل منهما بالاشتراك فيه . وعلى ذلك يكون تأسيس مجلس تشريعي ، بل مجلس استشاري موسع ، يتعاون فيه الشعبان ، امر لا يمكن تحقيقه . ثم انه ليس من الممكن ايجاد وسائل اخرى للتشاور والاشتراك في العمل مع كل من ممثلي الشعبين . والحق ان التعاون اليهودي امر يتطلبه صك الانتداب وانه حاصل بالفعل ، وقد يصل احيانا الى حد يوجب الارتباك . غير ان التعاون العربي ، على اية

277 ـ نفس المصدر ص 485.

278 ـ نفس المصدر ص 486.

279 ـ نفس المصدر ص 486

280 ـ نفس المصدر ص 487.

صورة منظمة من الصور او مستمرة ، هو امر لا يمكن نيله . وعلى هذا ستبقى الحكومة غير تمثيلية وعاجزة عن ازالة الظلامات المتضاربة التي يشكو منها هذان الشعبان المستاءان ، المجردان من المسؤولية . ولن يكون في وسعها الاعتماد على شعور غريزي بالولاء للتاج (البريطاني) ، فللزعماء الوطنيين الحظ الاول في ولاء اتباعهم وليس لحكومة الانتداب [281] » . ورفض التقرير (سياسة القمع) البريطانية في محاولة ايجاد اي حل ، ذلك ان السياسة « بدلا من ان تخفف من حدة الخصومة الكائنة بين العرب واليهود ، فهي ستزيدها استعارا [282] » .

اما بالنسبة لفكرة (الالتزام المزدوج) في السياسة البريطانية ، فقد اكدت اللجنة « ثبوت عدم امكان التوفيق بين هذه الالتزامات » ، وقالت انه « ما دامت فلسطين على ما هي عليه ، فليس في وسعنا ان نجيب طلب العرب للحكم الذاتي ، وان نضمن في الوقت نفسه انشاء الوطن القومي لليهود » ولكن « لو اخذ كل التزام من الالتزامين على حدة ، لوجد انه يتفق مع ميول بريطانيا ومصالحها [283] » .

ورفضت اللجنة ان يحكم فلسطين اي من العرب او اليهود ، وقالت « اننا لا نعتقد ان هنالك سياسيا منصفا يمكنه ان يفترض الآن ، وقد امسى الامل بتآلف الشعبين بعيد التحقيق ، ان من واجب بريطانيا ان تسلم الاربعمائة الف يهودي ، الذين شهلت دخول معظمهم الى فلسطين بموافقة عصبة الامم ، الى الحكم العربي . او ان تسلم مليونا من العرب الى الحكم اليهودي ، ان اصبح اليهود اكثرية السكان في المستقبل . غير انه ان لم يكن في مقدور كل من هذين الشعبين ان يتولى حكم فلسطين كلها بانصاف ، فاننا لا نرى سببا يمنع كل شعب منهما من حكم قسم منها ، اذا كان ذلك

---

281 ـ نفس المصدر ص 487.

282 ـ نفس المصدر ص 488.

283 ـ نفس المصدر ص 489.

قابلا للتطبيق » . وتعرضت الى فكرة التقسيم والصعوبات القائمة في سبيل تحقيقه ، لكنها قالت ان « التقسيم يفسح على الاقل مجالا لتوطيد السلام في النهاية ، الامر الذي لا نرى انه يتوفر في اي مشروع آخر [284] » . ورفضت (نظام المقاطعات) لانه « خال من الميزة العظمى التي يحتويها مشروع التقسيم الا وهي امكان الوصول الى السلم النهائي [285] » .

تضمن المشروع الذي عرضته اللجنة ، تقسيم فلسطين الى دولتين : احداهما عربية ، تضم الى شرق الاردن ، والاخرى يهودية ، وتبقى (الاماكن المقدسة) مع ممر الى يافا تحت الانتداب البريطاني . وطلبت اللجنة « انهاء اجل الانتداب على فلسطين واستبداله بنظام معاهدات ، (مع الدولتين العربية واليهودية) ، يتفق مع السابقة التي درج عليها في معاهدتي العراق وسوريا » ، وان « تلحق بالمعاهدتين مواثيق عسكرية تتعلق باقامة قوى بحرية وعسكرية وجوية ، وبصيانة الموانىء والطرق والسكك الحديدية ووجوه استعمالها ، وبالمحافظة على سلامة خط انابيب البترول وما شاكل ذلك من الامور » . وكذلك على الدولة المنتدبة ان تتعهد بتأييد « الطلب الذي تتقدم به حكومتا الدولتين العربية واليهودية للانضمام الى عصبة الامم بموجب المادة الاولى من ميثاق العصبة [286] » .

اما بشأن (الاماكن المقدسة) فقد قالت اللجنة ان تقسيم فلسطين يخضع لشرط اساسي وهو « المحافظة على قداسة مدينتي القدس وبيت لحم ، وتأمين الوصول اليهما بحرية واطمئنان لمن شاء من كافة انحاء العالم » . اما حدودها فتمتد « من نقطة شمال القدس الى نقطة جنوب بيت لحم ، وان يهيأ لهذه المنطقة امر الاتصال بالبحر بواسطة ممر يمتد الى شمال الطريق العامة والى جنوب السكة الحديدية ، ويشمل مدينتي اللد والرملة

---

284 ـ نفس المصدر ص 490 - 491.

285 ـ نفس المصدر ص 495.

286 ـ نفس المصدر ص 497.

وينتهي في يافا » . واقترحت ان يضم الى هذه المنطقة مدينة الناصرة وبحيرة طبريه ، وان لا ينتهي الانتداب في (الاماكن المقدسة) الا « اذا رغبت في ذلك عصبة الامم والولايات المتحدة » ، وان لا يطبق في المنطقة « السياسة التي ينطوي عليها تصريح بلفور [287] » .

وتعرض تقرير اللجنة الى مسالة الحدود ، فذكر ان « المبدأ الطبيعي الذي ينبغي ان يتبع في تقسيم فلسطين هو فصل المناطق التي اشترى اليهود الاراضي فيها واستوطنوها ، عن المناطق التي كل سكانها او معظمهم من العرب . ان معظم اراضي اليهود ومستعمراتهم تقع في السهل الساحلي بين المجدل وجبل الكرمل، وففي جوار حيفا ، وفي مرج ابن عامر ووادي جزرائيل وشرق الجليل (يشمل اقضية عكا وصفد وطبريا والناصرة) ، اي الى الجنوب من طبريا وعلى شواطىء البحيرة وقرب صفد وفي منطقة الحولة . اما باقي الجليل والقسم الشمالي من سهل عكا ، فيكادان يكونان باجمعهما ملكا ومستوطنا للعرب ، وكذلك ايضا الاراضي الجبلية الوسطى لمقاطعتي السامرة واليهودية القديمتين ، باستثناء القدس وضواحيها . اما مدينتا نابلس وجنين ومدينة طولكرم، التي تقع متطرفة على حافة السهل الساحلي، فهي مراكز لروح القومية العربية . وباستثناء اليهود الموجودين في القدس وجوارها ، وفي الخليل ، يمكن ان يقال ان المنطقة الكائنة بين جنين وبئر السبع خاليةمن اليهود . وتمتد تلك القطعة العربيةشرقا الى نهر الاردن في مكان يقع بين البحر الميت وبيسان . اما المنطقة الممتدة من الجنوب والجنوب الشرقي لبئر السبع الى الحدود المصرية ، فقد ابتاع اليهود بعض القطع المتفرقة من الاراضي فيها ، ولكن سكان هذه المنطقة كلهم من العرب [288] » .

اوصت اللجنة الملكية « بتعيين لجنة لتخطيط الحدود » ، وذلك لان

---

287 ـ نفس المصدر ص 498 - 499.

288 ـ نفس المصدر ص 499 - 500.

« كل اقتراح للتقسيم لن يجدي نفعا اذا لم يتضمن اشارة ولو تقريبية الى كيفية البت في اعظم مسألة حيوية في الموضوع اجمعه (تعني مسألة الحدود) . وما لدينا من المعلومات لا يمكننا من التأكيد بان الاقتراح الذي نعرضه بهذا الشان هو الحل الوحيد لهذه المشكلة البارزة الصعوبة ، غير اننا نقترح الحد التالي . . . وفي رأينا انه حل عملي وعادل معا » . واقترحت اللجنة ان « يبدأ الحد من رأس الناقورة ويسير محاذيا الحدود الشمالية الحالية لفلسطين حتى يصل الى بحيرة طبريه ، ومن ثم يقطع البحيرة ويتصل بمخرج نهر الاردن من البحيرة ، ويسير محاذيا مجرى النهر الى ان يبلغ نقطة تبعد قليلا عن بيسان من جهة الشمال ، ثم يخترق بيسان ويسير محاذيا الحافة الجنوبية لوادي جزرائيل ، ثم يخترق مرج ابن عامر لغاية نقطة تقع بالقرب من مجدو (تل المتسلم) ، ومن ثم يخترق سلسلة جبال الكرمل في جوار طريق مجدو . وبعد ان يتصل الحد بالسهل الساحلي يسير جنوبا محاذيا الحد الشرقي لذلك السهل ، ثم ينحرف غربا مجتنبا طولكرم الى ان يتصل بممر (القدس ـ يافا) على مقربة من اللد . وفي جنوب الممر يتابع سيره محاذيا حد السهل الساحلي الى ان يبلغ نقطة تقع على بعد نحو عشرة اميال جنوب رحوبوت (ديران) ومن ثم يسير غربا نحو البحر[289] » . واقترحت اللجنة ضم يافا الى الدولة العربية ، وان تكون مدينة حيفا « في متناول الدولة العربية ايضا من اجل الغايات التجارية » ، وان « تترك منطقة خاصة في الجهة الشمالية الشرقية من شاطىء خليج العقبة تحت ادارة الدولة المنتدبة[290] » .

واقترحت اللجنة ان « تدفع الدولة اليهودية اعانة مالية للدولة العربية ، عندما يوضع مشروع التقسيم موضع التنفيذ[291] » ، واوصت « في حالة تنفيذ نظام المعاهدات ، بان يطلب الى البرلمان الموافقة على دفع منحة

---

289 ـ نفس المصدر ص 500.

290 ـ نفس المصدر ص 502 - 503.

291 ـ نفس المصدر ص 503.

للدولة العربية قدرها مليونان من الجنيهات[292] » . كما وضعت توصيات بشان (التعرفة الجمركية والمرافىء) ، و(الجنسية) ، و(الخدمة المدنية) ، و (الامتيازات الصناعية) [293] .

وبالنسبة لمسألة (تبادل الاراضي) فقد اصرت اللجنة على وجوب « ان تنص المعاهدتان على انه اذا اراد احد افراد العرب ، ممن يملكون ارضا في الدولة العربية ، ان يبيع ارضه وما فيها من الاشجار والمحصولات ، فتكون حكومة الدولة المختصة ملزمة بشراء تلك الاراضي والاشجار والمحصولات[294] » . واعترف تقرير اللجنة ان 125 الفا من العرب يقيمون في المنطقة المخصصة للدولة اليهودية ، بينما يقيم 125 الفا من اليهود في القدس وحيفا مقابل 85 الفا من العرب ، وان هذه المشكلة هي « من اعظم العقبات التي تقف في سبيل تنفيذ مشروع التقسيم تنفيذا مقرونا بالسهولة والنجاح » . وانه « اذا اريد ان تكون هذه التسوية نهائية لا شائبة فيها ، وجب ان تجابه هذه المشكلة بجرأة ، وان تعالج بحزم » ، وهي « تدعو الى ابداء اقصى حد من الحكمة السياسية من قبل جميع ذوي الشأن[295] » . ولذلك فهي تقترح « القيام بمشاريع كبيرة للري وخزن الماء وتعمير اراضي شرق الاردن وبئر السبع ووادي الاردن » ، وان ذلك « قد يسفر عن اسكان عدد يفوق كثيرا عدد السكان الموجودين الآن في هذه المناطق[296] » .

واوضحت اللجنة في تقريرها الفوائد التي يجنيها العرب من مشروع التقسيم ، وهي حسب رأيها :

---

292 ـ نفس المصدر ص 504.
293 ـ نفس المصدر ص 504 - 506.
294 ـ نفس المصدر ص 507.
295 ـ نفس المصدر ص 507 - 508.
296 ـ نفس المصدر ص 509.

« 1) ينال العرب استقلالهم القومي ، ويصبح في وسعهم ان يتعاونوا على قدم المساواة مع عرب البلاد المجاورة لتحقيق وحدة العرب ورقيهم .

2) يزول نهائيا ما يساورهم من خوف (اكتساح) اليهود لهم واحتمال خضوعهم في النهاية لحكم اليهود .

3) ثم ان حصر الوطن القومي اليهودي حصرا نهائيا ضمن حدود معينة ، ووضع انتداب جديد لحماية الاراضي المقدسة بضمانة خطيرة عن عصبة الامم ، سيزيلان جميع ما يساور البعض من قلق وخوف من ان تصبح الاماكن المقدسة يوما من الايام تحت سيطرة اليهود .

4) ومقابل ما يخسره العرب في البلاد التي يعتبرونها بلادهم ، تتلقى الدولة العربية اعانة مالية من الدولة اليهودية ، وتنال ايضا بسبب تأخر احوال شرق الاردن هبة قدرها مليوني جنيه من الخزينة البريطانية . واذا تيسر الوصول الى وضع اتفاق لتبادل الاراضي والسكان ، اعطيت الدولة العربية هبة اخرى ، تستعين بها على تحويل ما يستطاع تحويله من الاراضي غير القابلة للزراعة الى اراض منتجة ، يستفيد منها الزراع والدولة على السواء »[297] .

اما فوائد التقسيم لليهود فيمكن تلخيصها كما يلي :

1) « ان التقسيم يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي وينقذه من احتمال خضوعه في المستقبل لحكم العرب .

2) ان التقسيم يمكن لليهود من ان يدعو الوطن القومي وطنهم الخاص باوسع معانيه ، وذلك ان التقسيم يحوله الى دولة يهودية ، ويصبح في وسع رعايا هذه الدولة ان يدخلوا من اليهود العدد الذي يعتقدون هم انفسهم بامكان استيعابه . وبذلك يحققون هدف الصهيونية الرئيسي ، وهو وجود امة يهودية متمكنة في فلسطين ، تمنح رعاياها نفس الوضع الذي

---

297 ـ نفس المصدر ص 514 - 515.

تمنحه سائر الامم في العالم لرعاياها ، وبذلك يتخلصون اخيرا من ان يعيشوا عيشة الاقلية [298] » .

وختمت اللجنة تقريرها بقولها « ان التقسيم يفسح مجال الامل للعرب واليهود معا لنيل نعمة العيش في ظل السلام التي لا تقدر بثمن ، وهو امر يتعذر توفره في اي مشروع آخر . ويجدر بكلا الفريقين ، دون ريب ، ان يضحيا في سبيل تحقيقه اذا كان في الامكان انهاء الخصومة التي بدأت مع الانتداب، بانتهاء اجله » . واعترفت بان الجانب العربي يتكبد خسارة اكبر من الجانب اليهودي ، الا ان ذلك لن يكون « فوق ما يستطيع الكرم العربي او يحتمله » ، وانه اذا كان « في امكان العرب ان يساعدوا على حل المشكلة ، متحملين في ذلك بعض التضحية ، فانهم لا يكسبون بذلك ثناء اليهودية فحسب ، بل ثناء العالم الغربي بأسره[299] » .

هذا هو مشروع التقسيم الذي اقترحته اللجنة الملكية ، وقد قدم له جورج انطونيوس تحليلا ونقدا رائعا ، ختمه قائلا بأن« المشروع خطط على نحو يسمح لبريطانيا العظمى ان تحتفظ بمركزها الاستراتيجي والاقتصادي ، ويمكن الصهيونيين من ان يصبحوا مطلقي السيادة في غرب فلسطين وشمالها ، وان يحقق الفريقان هذا كله على حساب العرب[300] » . ولا شك ان المصالح البريطانية روعيت تماما في مشروع التقسيم ، فقد اعلن اورمسبي غور امام مجلس العموم في 4 نوفمبر 1937 ان « لجنة بيل قد استعانت بنصائح وارشادات مستشاري الجيش والاسطول وسلاح الطيران في الناحية الاستراتيجية من توصياتها[301] » . واكدت (المقطم) في 10 يوليو 1937 ، ان مشروع التقسيم « لم يرتجل وانما حملته اللجنة من لندن

---

298 ـ نفس المصدر ص 515.

299 ـ نفس المصدر ص 515 - 516.

300 ـ جورج انطونيوس المصدر السابق ص 526 - 533.

301 ـ P D. vol. 328, col. 1155

معها حينما جاءت ، يؤيد ذلك ان البروفسور كوبلاند ، احد اعضائها ، شغل طول اقامة اللجنة في فلسطين بدرس المشروع وجمع لمعلومات عنه ووضع تفاصيله . ولم يحجم عن مفاتحة بعض الذين اتصل بهم من العرب به ، واستشارهم بشأنه وما يكون له من الوقع في نفوسهم » . ويؤيد هذا الرأي اعتراف وايزمن نفسه بأن مشروع التقسيم عرض عليه في جلسة سرية في 8 يناير 1937 [302] . وفي تلك الجلسة ، عرض كوبلاند ـ الذي يصفه سايكس بأنه « مخطط سياسة اللجنة الملكية » ـ مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين : يهودية على الساحل وعربية تضم الى شرق الاردن . فطلب وايزمن مهلة من الوقت للتفكير . واجتمع بعد ذلك بسكرتيره الخاص (حزقيال زخاروف) ، وعرض عليه الفكرة بتأثر شديد . وتم اجتماع سري آخر بين وايزمن وكوبلاند ، في مستوطنة نهلال في الجليل . وخرج كوبلاند من هذا الاجتماع وهو مقتنع تماما بفكرة التقسيم . ويقول سايكس ان وايزمن خطب في مزارعي نهلال بعد انتهاء الاجتماع وقال « اليوم ، وفي هذا الاجتماع ، وضعنا اسس الدولة اليهودية [303] » .

اصدرت الحكومة البريطانية في 7 يوليو 1937 ، بيانا رسميا حول قبولها مبدأ التقسيم ، وقالت ان « حكومة جلالته تنوي ، بعد النظر بعين الاعتبار الى الالتزامات الدولية المترتبة عليها بمقتضى المعاهدات الحالية وميثاق عصبة الامم وسائر المواثيق الدولية ، ان تتخذ التدابير الضرورية والملائمة ، للحصول على حرية العمل في تنفيذ مشروع للتقسيم ، وتأمل كل الامل بأن يتيسر له نيل اكبر قسط من التأييد من الشعوب المختصة » . ثم سمحت بدخول 8 آلاف مهاجر يهودي الى البلاد ، في الفترة ما بين اغسطس 1937 ومارس 1938 « بشرط ان لا يتجاوز ذلك قدرة البلاد على الاستيعاب [304] » .

---

302 ـ Weizmann, op. cit., p. 473

303 ـ Sykes, op. cit., pp. 200 - 203

304 ـ الوثائق الرئيسية ص 239 - 240.

رد الفعل العربي لمشروع التقسيم

في يوم السبت الموافق 3 يوليو 1937 ، اجتمعت الهيئة المركزية لحزب الدفاع الوطني (حزب النشاشيبي) ، وقررت ان « يترك مندوباها (راغب النشاشيبي ويعقوب فراج) اللجنة العربية العليا ، لكي يستطيع الحزب ان يعمل لمصلحة هذه الامة مستقلا » ، وذلك بحجة ان « اللجنة قد تغير شكل تأليفها المتفق عليه بين الاحزاب ، كما تتطلبه حالات البلاد ومصالحها [305] » . والواقع ان تبرير انسحاب حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا بهذه الصورة ، لم يكن كافيا لاقناع الجماهير . ذلك ان ارتباطاته السابقة مع الامير عبدالله ، وموافقة الاخير على مشروع التقسيم ، كانت غير خافية في البلاد . يضاف الى هذا ان الحزب كان يأمل بتولي حكم فلسطين فيما لو نفذ مشروع التقسيم . ومع ذلك ، اجتاحت البلاد موجة من السخط لا مثيل لها ، تستنكر التقسيم وترفضه . واصدرت اللجنة العربية العليا بيانا في الثامن من يوليو ، لم تحدد فيه موقفها من التقسيم بشكل قاطع ، بل قالت انه « لما كانت هذه البلاد (اي فلسطين) لا تخص عرب فلسطين فقط ، بل العالمين العربي والاسلامي قاطبة ، وكانت تسير في الازمات بارشاد وتعضيد اصحاب الجلالة والسمو ملوك العرب وامرائهم وزعماء الامم الاسلامية وهيئاتها . ولما كانت تلك السياسة تناقض مطالب العرب وحقوقهم ، فاللجنة ترى في هذا الموقف العصيب الذي تواجهه البلاد ، ان تبادر حالا الى الاتصال بهم ، كما ترى من واجبها التشاور مع أصحاب الرأي من هيئات البلاد ورجالاتها في السياسة التي يقتضي السير عليها » . كما وجهت نداء الى ملوك العرب جاء فيه ان « الشعب العربيّ في فلسطين يرجو من جلالتكم العضد والارشاد في هذا الموقف التاريخي العصيب ، ويناشدكم بقداسة هذه البلاد والشهامة العربية والواجبات الدينية ، ان تعملوا على انقاذها من شرور الاستعمار والتهديد والتمزيق [306] ».

---

305 ـ الجزيرة ـ 672 - 1937/7/8.

306 ـ الشباب - 61 - 1937/7/14

واستجابت الزعامات العربية لنداء اللجنة العربية العليا ، فأعلن حكمت سليمان وبكر صدقي معارضتهما للتقسيم ، وعارضه محمد محمود (رئيس حزب الاحرار الدستوريين) والحزب الوطني في مصر ، واستنكره الامام يحي ، وكان رد ابن سعود انه « لم يدخر ولن يدخر جهدا في مساعدة اهل فلسطين » ، ورفض جميل مردم رئيس الوزارة السورية المشروع بأكمله [307] . واجرت مجلة (الرابطة العربية) استفتاء حول مشروع التقسيم بين شخصيات مصرية ، كانت نتيجة عدم الموافقة على المشروع [308] .

وقدمت الى السلطات البريطانية عرائض الاحتجاج من مختلف انحاء فلسطين ، ولكن اشد ردود الفعل جاءت من منطقة الجليل التي شملتها الدولة اليهودية ، والتي استقبل فيها القرار « بصدمة اقترنت بعدم التصديق» . وجاء في تقرير رسمي عن شهر ايلول 1937 بهذا الصدد ما يلي « لقد كان الاتحاد الذي ابداه المسيحيون والمسلمون والفلاحون وملاكو الارض فيما يتعلق برفض الاقتراح اشد ، على الارجح ، مما ابدوه في اي وقت مضى . فقد كان الشعور العام لدى سكان هذه المنطقة انهم ذهبوا ضحية الخيانة ، وانهم سيجبرون على التخلي عن اراضيهم ، والهلاك في مكان ما من الصحراء » . ونتيجة لذلك تشكلت لجان قومية محلية جديدة ذات قواعد شعبية واسعة ، وكان ممثلو المناطق القروية في هذه اللجان يشكلون اكثرية الثلثين[309] .

ويبدو ان الحكومة الريطانية بدأت ترتاب من موقف الحاج امين الحسيني . ففي 17 يوليو 1937 ، واثناء انعقاد اللجنة العربية العليا ، داهم « عدد من البوليس البريطاني بقيادة بعض الضباط » دار اللجنة « واحدقوا بها بصورة مزعجة . ثم دخل بعضهم الى الدار ، وقطعوا خط التليفون ، وفتشوا

307 ـ انظر التفاصيل في عزة دروزة المصدر السابق ج3، ص 165 - 168.

308 ـ انظر الرابطة العربية - 58 - 1937/7/14، 59 - 1937/7/21, 60 - 1937/7/28, 61 - 1937/8/4.

309 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 333.

بعض الموجودين من الزوار ، واخذوا بعض الاوراق من الآلة الكاتبة ، وانذروا جميع الموجودين بعدم مغادرة المكان . ثم صعدوا الى بيت سعيد الحسيني في الطابق الثاني ، واجروا بعض التفتيشات . ولما نزلوا اعتقلوا صبحي الخضرا المحامي ، الذي كان في دار اللجنة حينئذ » . والحقيقة ان هدف حملة التفتيش كان اعتقال المفتي ، لكنه التجأ الى الحرم الشريف ، الملاصق لدار اللجنة . وقد استنكرت اللجنةالعربية العليا هذا العمل ، في مذكرة رفعتها الى المندوت السامي في 18 يوليو 1937 ، وختمت مذكرتها بقولها « وبهذه المناسبة ، نود ان تتاكد السلطات في هذه البلاد ، ان مثل هذه التصرفات لن تفت في عضد اللجنة العربية العليا والشعب العربي ، للقيام بواجباتهم نحو وطنهم المقدس [310] » . وتعرض الحاج امين الحسيني لحملة من الهجوم في مجلس العموم البريطاني في 19 يوليو 1937 [311] . وسئل اورمسبي غور في 26 يوليو 1937 عما « اذا كان سيلقي القبض على المفتي ام لا ؟ فقال « ان ذلك متوقف على الاعمال التي يقوم بها [312] » . ومن داخل الحرم الشريف ، اخذ المفتي يجري اتصالاته مع زعماء الثوار والمناضلين السياسيين . ولما لقي واكهوب نفسه عاجزا عن القاء القبض عليه داخل الحرم الشريف ، لجأ الى اتخاذ اجراءات تقضي بهيمنة الحكومة على ادارة المحاكم الشرعية واموال الوقف وذلك بغية شل سلطته [313] .

والحقيقة ان اللجنة العربية العليا ، بعد التجاء المفتي الى الحرم الشريف ، قد اعتورها الضعف والتفكك . فبالاضافة الى انسحاب راغب النشاشيبي ويعقوب فراج ، قدم عبد اللطيف صلاح الى مصر ثم غادرها الى اوروبا [314] . وذهب عوني عبد الهادي وجمال الحسيني الى جنيف

---

310 ـ الشباب 62 - 21 - 1937/7/21.

P.D. vol. 326, col 1776 ـ 311

op. cit., cols. 2661 - 2 ـ 312

313 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 334.

314 ـ الشباب 62 - 1937/7/21.

لحضور جلسة لجنة الانتدابات الدائمة اثناء بحثها قضية فلسطين [315] .
وبالرغم من ذلك كله ، بقي المفتي محتفظا بالرياسة ، وتولى اصدار البيانات والاحتجاجات باسم اللجنة كلها . وفي اثناء ذلك ، قامت السلطات البريطاينة بحملة اعتقالات واسعة النطاق في البلاد ، كانت مركزة على اعضاء اللجان القومية ، وضرب القاعدة الشعبية العريضة التي كانت تقوم بالدعاية ضد مشروع التقسيم . وقدم المفتي في 18 اغسطس 1937 ، احتجاجا على اعتقال عشرة اشخاص من اعضاء اللجنة القومية بالقدس ونقلهم الى سجن عكا ، وقال ان اللجنة « لم تستطع ان تفهم معنى لهذه الحركة التي لا يمكن ان تخدم السكينة والهدوء اللذين يسودان البلاد ، واللذين تحرص الامة على استمرارهما ، ولهذا فانها (اي اللجنة) لا تجد لهذه التصرفات مبررا [316] » . ورفعت اللجنة القومية بالقدس مذكرة الى المندوب السامي حول اعتقال بعض اعضائها ، مستنكرة تلك التصرفات التي « تبعث في النفوس اشد الاستياء وتقلق الخواطر ، وتنكأ ما احدثته السياسة الجائرة في قلوب الامة من جراحات لم تندمل بعد [317] » . واحتج المفتي بمذكرة ثالثة الى المندوب السامي حول سوء معاملةالمعتقلين السياسيين في سجن عكا ، الذين « اصبحوا عرضة لأسوأ المعاملات التي لا يعامل بها الا المجرمون العاديون » . وقال انه كان اجدر بالحكومة ان « تعمد الى التحقيق النزيه في امر اولئك المعتقلين ، فلا تأخذهم بمجرد الوشاية والتهم الباطلة ، وتزج بهم في غياهب السجن دون تحقيق او محاكمة ، وتعاملهم معاملة اشرار مجرمين [318] » .

حاولت السلطات البريطانية ، بعد موجة الاعتقالات ، ان تعمل على اعادة تشكيل اللجنةالعربية العليا ، بحيث يتولى رئاستها راغب النشاشيبي .

---

315 ـ عزة دروزة المصدر السابقج3 ص174 - 175.
316 ـ الفتح 564 - 19 جمادى الاخرة 1356 هـ(1937/8/26).
317 ـ الشباب 68 - 1937/9/1.
318 ـ الفتح 565 - 26 جمادى الاخرة 1356هـ (1937/9/2)، الشباب 68- 1937/9/1.

لكن محاولتها باءت بالفشل ، اذ ان سلطة المفتي ، وهو ملتجيء داخل الحرم الشريف ، كانت اقوى من ان تسمح بنجاح تلك المحاولة .

موقف القيادةالصهيونية من التقسيم

انطلقت القيادة الصهيونية عند تحديد موقفها من التقسيم من منطلقين هامين ، اولهما شعورها بضرورة تحقيق السيادة اليهودية ، ذلك ان مسألةالسيادة ، او اقامة دولة يهودية في فلسطين ، هي العنصر الجوهري في البناء الايدلوجي الصهيوني . ولذلك كان بديهيا ان ترحب القيادة الصهيونية بالفرصة المواتية لتحقيقه حتى في جزء من (ارض الميعاد) ، على حد التعبير الصهيوني ، خصوصا وان بعض افراد هذه القيادة كان يرى ان اقامة الدولة اليهودية في جزء من (ارض الميعاد) سيكون بمثابة خطوة اولى نحو تحويل فلسطين كلها الى دولة يهودية . ولهذا فان بن غوريون حين صرح آنذاك بأن « ارض اسرائيل لا تتجزأ » ، صرح وايزمن بأن « النقب لن يفر »[319] . وثانيهما ان التعاون مع بريطانيا يؤلف باصطلاح وايزمن « حجر الاساس في السياسة الصهيونية[320] » . ومعنى هذا ان القيادة الصهيونية ربطت مصيرها بالامبريالية البريطانية . ولكن هذا الارتباط « لم يلغ وجود تيار يمثل الرغبة في جذب المنظمة الصهيونية ومشروعها في فلسطين الى جانب الامبريالية الامريكية ، التي كانت قد بدأت تتسرب الى الشرق الاوسط[321] » .

وهذا ما ظهر في المؤتمر الصهيوني العشرين ، الذي انعقد بين 3 ـ 17 اغسطس 1937 ، في بازل بسويسره . ففي هذا المؤتمر كان بين مقاومي دعوة وايزمن لقبول قرار التقسيم الوفد الامريكي[322] ، ومع هذا لم يرفض

---

319 ـ Sykes, op. cit. pp. 212 - 3

320 ـ Weizmann, op. cit. p. 392

321 ـ اميل توما ـ الجديد ـ يونيه 1970.، ص 8.

322 ـ انظر E.F. vol. II, p. 854.

المؤتمر فكرة التقسيم . لقد اكد على « صلة الشعب اليهودي بفلسطين ، وحقه الذي لا يتزعزع بموطنه » ، ورفض « تأكيد اللجنة الملكية لفلسطين بأن الانتداب قد ظهر انه غير قابل للتطبيق » ، وطلب « تنفيذ ذلك الانتداب » ، وانه « يوعز الى اللجنة التنفيذية بأن تقاوم اي هضم لحقوق الشعب اليهودي المضمونة بتصريح بلفور والانتداب ضمانا دوليا » . وانتهى المؤتمر الى ان « مشروع التقسيم الذي تقدمت به اللجنة الملكية غير مقبول » ، لكنه يخول « اللجنة التنفيذية صلاحية الدخول في المفاوضات للتحقق من الشروط التي تعرضها حكومة جلالته لانشاء الدولة اليهودية المقترحة » ، وانه « ليس للجنة التنفيذية اثناء قيامها بهذه المفاوضات ، ان ترتبط بشيء ، سواء اكان ذلك باسمها ام بالنيابة عن المنظمة الصهيونية . ولكن اذا اسفرت المفاوضات عن ظهور مشروع مقرر لانشاء دولة يهودية ، وجب ان يعرض هذا المشروع على مؤتمر ينتخب من جديد لاتخاذ قرار بشأنه [323] » . وكان معنى هذا القرار ان « القوى المقررة في المنظمة الصهيونية نجحت في اخذ الموافقة على مشروع تقسيم افضل من المشروع الذي اقترحته اللجنة الملكية [324] » .

مؤتمر بلودان 8 ـ 10 سبتمبر 1937

طلبت اللجنة العربية العليا اذنا من السلطات البريطانية بعقد مؤتمر عربي عام ، « يقول كلمة العرب جهرة ومجتمعة كما فعل اليهود ، فأبته عليها بحجة موقف التهييج » . فاتفقت مع (لجنة الدفاع عن فلسطين) في سوريا ، على عقد هذا المؤتمر في بلودان[325] . وتولى نبيه العظمه ، رئيس (لجنة الدفاع عن فلسطين) في سوريا ، الدعوة الى المؤتمر[326] . وبعد عشرة أيام من توجيه الدعوة ،

---

323 ـ Weizmann, op. cit., p. 475 - op. cit. pp. 854 - 6

324 ـ اميل توما : المصدر السابق ص 9.

325 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 183

326 ـ انظر برنامج المؤتمر في الشباب 69 - 1937/9/8.

التأم المؤتمر في بلودان ، بين 8 ـ 10 سبتمبر 1937 ، وحضره 327 مندوبا من مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين(327) . وانتخب ناجي السويدي (عراقي) رئيسا للمؤتمر ، ومحمد علي علوية وشكيب ارسلان والمطران حريكة (مطران حماه) نوابا للرئيس ، وعزة دروزة (ممثل اللجنة العربية العليا في المؤتمر) امينا عاما ، وفؤاد خليل مفرح امينا ثانيا(328) . وعبرت قرارات المؤتمر السياسية عن « رفض ومقاومة تقسيم فلسطين » ، التي اعتبرها « جزءا لا يتجزأ من الاقطار العربية » . وطالب المؤتمر بالغاء الانتداب وتصريح بلفور « وابدالهما بعقد معاهدة مع بريطانيا ، تضمن للشعب العربي في فلسطين استقلاله وسيادته » . واعلن المؤتمر في ختام قراراته ان « استمرار الصداقة بين الشعبين العربي والبريطاني يتوقف على تحقيق المطالب السابقة ، وان اصرار انجلترا على سياستها في فلسطين يرغم العرب اجمعين على اتخاذ اتجاهات جديدة ، كما ان الائتلاف بين العرب واليهود لا يتم الا على هذه الاسس(329) » . ووضع المؤتمر ميثاقا ينص على ما يلي « يعاهد المؤتمرون انفسهم امام الله والتاريخ والامة العربية والشعوب الاسلامية ، ان يستمروا في الكفاح والنضال ، في سبيل القضية العربية في فلسطين ، الى ان يتم انقاذها ، وتتحقق السيادة العربية فيها (330) » .

ابرق القنصل البريطاني (مكاريت) في دمشق ، في 11 سبتمبر 1937 ، بتقرير عن المؤتمر فقال « خلافا لما كان متوقعا ، لم يكن الشعور العام في المؤتمر مناهضا بشدة لبريطانيا ، بينما كان الموقف ضد الصهيونية عنيفا » .

---

327 ـ المكتب العربي القومي للدعاية والنشر : المؤتمر العربي القومي في بلودان، 1937، عني بجمعه وتدقيقه فؤاد خليل مفرج، دمشق (د.ت) ص 21 - 25.

328 ـ نجيب صدقة ص 214.

329 ـ فؤاد خليل مفرج : المصدر السابق ص 19 - 20 ,72 - 78، نجيب صدقة المصدر السابق ص 215، عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص185، الجزيرة - 696 - 1937/9/15.

330 ـ فؤاد خليل مفرج . المصدر السابق ص 79.

ولقد فرض هذا الاعتدال ، اولئك السياسيون الذين يحرصون على الحفاظ على صلاتهم الودية ببريطانيا ، وفي طليعتهم ناجي السويدي رئيس المؤتمر . بيد ان نحو مائة عضو من الوطنيين السوريين والفلسطينيين ، من اعضاء المؤتمر ، ابدوا خيبة املهم بما وصفوه « مقررات المؤتمر التافهة » ، ومن ثم عقدوا في 12 سبتمبر مؤتمرا سريا لبحث امر اتخاذ اجراءات اشد فعالية لمكافحة المقترحات البريطانية للتقسيم . « وكان الاسلوب الذي لقي اشد العطف هو مواصلة الاعتداء على الشخصيات العربية الصديقة للسلطات البريطاينة ، وعلى اليهود ، وذلك تمهيدا للقيام فيما بعد بعمليات اشد مواجهة ضد سلطات الانتداب ، اذا تبين انه من الضروري انتهاج هذا الطريق الخطر » . وفي الوقت نفسه ، كان المناضلون الفلسطينيون يجرون اتصالا مع الثوار السوريين ، الذين كانت لهم مراكز قيادية في ثورة عام 1936 . واتخذت الترتيبات اللازمة لقيام 30 ثائرا على الفور بالاتجاه نحو نقطة تجمع تقع في مكان ما بين بيسان وجنين ونابلس . وفهم انه بدأ حشد الاسلحة والذخائر حول مدينة نابلس تحت اشراف المفتي نفسه (331) .

الحكومة البريطانية والتقسيم

كانت عطلة البرلمان البريطاني ستبدأ في 30 يوليو 1937 ، ولذلك حرصت الحكومة البريطانية على بيان سياستها ازاء مشروع التقسيم وما يترتب عليه . ففي 15 يوليو 1937 ، ادلى نيفل تشمبرلين بتصريح حول السياسةالبريطانية في فلسطين ، فقال ان « اهداف حكومة صاحب الجلالة العاجلة والموضحة في الامر الملكي رقم 5513 ، ستقدم الى البرلمان قبل انفضاض دورة انعقاده ، وسيظل البرلمان على علم تام بتطورات السياسة المقبلة عن طريق (الاوامرالملكية) او غير ذلك . اما الاجراءات الخاصة التي ستتبع بالنسبة للمعاهدات المقترحة في التقرير (تقرير بيل) ،

331 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 335.

فستكون ، وضع بحث في المستقبل[332] » . وفي نفس اليوم قال وكيل الخارجية البريطاينة ان « حكومة صاحب الجلالة لا تعتزم اتخاذ اية خطوات للتحقق من وجهة نظر الدول الحليفة بشأن تعديل صك الانتداب[333] » . وكانت بريطانيا تهدف من كل ذلك الى الحصول على موافقة عصبة الامم على التقسيم .

اعلن اورمسبي غور وزير المستعمرات ، في 19 يوليو 1937 ان « ما ترغب فيه بريطانيا هو ان تتمكن لجنة الانتدابات الدائمة من تقديم توصياتها بسرعة الى مجلس العصبة عند اجتماعه في سبتمبر 1937 ، وهو الذي سيخول الحكومة سلطة تعيين لجنة الحدود وغيرها من الخطوات اللازمة للتنفيذ[334] » . وفي اليوم التالي ذكر اورمسبي غور انه « لم يتخذ اية خطوات لدعوة العرب واليهود لابداء وجهات نظرهم بشأن توصيات اللجنة المركزية الملكية وبيان سياسة حكومة صاحب الجلالة[335] » .

حدد مجلس العموم البريطاني جلسة 21 يوليو 1937 لبحث السياسة البريطانية والتقسيم ، واتخذ المجلس القرار التالي « ان المقترحات الواردة في الامر الملكي رقم 5513 ، والخاصة بفلسطين، سترفع الى عصبة الامم ، بقصد تمكين حكومة صاحب الجلالة ـ بعد اجراء البحث الملائم ـ من ان تقدم الى البرلمان مشروعا محددا ، يأخذ في الاعتبار جميع توصيات الامر الملكي[336] » . وفي 28 يوليو 1937، اعلن المستر ايدن ، وزير الخارجية، ان « موافقة مجلس العصبة ضرورية لاي تعديل في مواد صك الانتداب[337] » . وقد تميزت مناقشات المجلس بهجوم شديد على

---

332 ـ P.D. vol. 326, col. 1483

333 ـ op. cit., col. 1501

334 ـ Ibid, col. 1775

335 ـ Ibid, col. 1998

336 ـ انظر P.M.C. vol. 32D S. p. 14 Ibid, cols 2235 - 2367

337 ـ P.D. vol. 326, col. 3067

مشروع التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل ، ويعزي ذلك الى جهود النواب الذين ايدوا التقسيم ، لكنهم لم يؤ يدوا مشروع اللجنة الملكية ، الذي كانوا يرون فيه عدم تحقيق مطالب الوطن القومي اليهودي .

كانت الحكومة البريطانية قد بعثت برسالة مؤ رخة في 6 يوليو 1937 ، الى سكرتير عصبة الامم ، تطلب فيها ان تبحث لجنة الانتدابات الدائمة المزمع انعقادها في 30 يوليو ، تقرير اللجنة الملكية وبيان السياسة البريطانية ، وان يحظى الاثنان بموافقتها ، لكي يتمكن مجلس العصبة من تخويل الحكومة البريطانية حق العمل في تنفيذ مشروع التقسيم [338] . وحرصت الحكومة البريطانية على ان يحضر اورمسبي غور ، وزير المستعمرات ، دورة الانعقاد الثانية والثلاثين المخصصة لبحث السياسة البريطانية بالنسبة لفلسطين . وعلى مدى يومين ، 30 و 31 يوليو 1937 ، وفي اربع جلسات ، هاجم اورمسبي غور مشروع لجنة بيل للتقسيم ، وقال ان « مشروع اللجنة الملكية والخريطة التي قدمتها انما وضعت لتوضيح اي حل ممكن [339] » ، وعدد الانتقادات الموجهة الى مشروع اللجنة [340] . ووافقت لجنة الانتدابات الدائمة على طلب الحكومة البريطانية وقدمت في 18 اغسطس 1937 توصية بذلك الى مجلس العصبة [341] .

وفي 14 سبتمبر 1937 ، تولى المستر ايدن ، وزير الخارجية ، عرض سياسة حكومته امام مجلس العصبة ، واعلن ان حكومته قبلت مقترحات اللجنة الملكية بشأن التقسيم ، وانها تود مواصلة بحث ودراسة مشروع التقسيم . وقد وافق مجلس العصبة في 16 سبتمبر 1937 على ان « تقوم الحكومة بهذه الدراسة ، وتتولى بحث التدابير التي يتطلبها الموقف » ، وذلك مع بقاء صك الانتداب « معمولا به الى ان يتقرر خلاف ذلك » . اما بالنسبة لمجلس العصبة ، فقد وافق تأجيل « دراسة الموضوع الاساسي الى

338 ـ الرسالة في P.M C. 32d S. pp. 225 - 6

339 ـ op. cit. p 22

340 ـ Ibid, pp. 22 - 25

341 ـ Ibid, pp. 229 - 30.

ان يتمكن مجلس العصبة من معالجته بجملته » ، وان يحتفظ المجلس لنفسه « بوجهة نظره وبقراره في الموضوع احتفاظا تاما [342] » .

هكذا تمكنت الحكومة البريطانية من اخذ موافقة مجلس العصبة على تقسيم فلسطين ، بشكل يختلف عن المشروع الذي قدمته اللجنة الملكية . وكانت قد اتخذت اجراءات منذ منتصف يوليو للبدء في تنفيذ مشروع للتقسيم . فقد اعلن اورمسبي غور في 19 يوليو 1937 ان « اللواء الشمالي قد قسم في الاسبوع الماضي الى عدة اقضية جديدة ، ووضعت تنظيمات جديدة فيه . كما وصلت رسالة من المندوب السامي يطلب فيها زيادة عدد الموظفين الانجليز في فلسطين [343] » . وردا على سؤال بشأن سياسة الحكومة في مواجهة الاضطرابات في فلسطين ، قال اورمسبي غور في 26 يوليو 1937 ما يلي « تقوم حكومة فلسطين بمعاونة السلطات العسكرية بمراقبة الاحوال بدقة في البلاد . وانا على ثقة تامة بأن جميع الاجراءات الضرورية ستتخذ لكبح جماح الاضطرابات ، في اية ناحية تنشأ فيها [344] » .وفي 12 سبتمبر 1937 ، عين الجنرال ويفل Wavell خلفا للجنرال ديل في قيادة القوات العسكرية البريطانية في فلسطين .

المرحلة الثانية من الثورة (1937 - 1939)

كان تعيين المستر اندروز [345] L. Y. Andrews حاكما للواء الجليل

---

342 - P.M.C. 33d S. pp. 10 - 11

Report on the Work of the League 1937/38, part I, p. 51

343 - P.D. vol. 326, cols. 1776 - 7

344 - op. cit. col. 2661

345 - من اصل استرالي، قدم فلسطين مع حملة اللنبي، وبقي فيها. اتقن اللغة العربية واللهجات الفلسطينية، عين في عام 1936 مراقبا للصحف العربية. الحق بلجنة بيل، واصبح ضابط الاتصال بينها وبين اللجنة العربية العليا. ذكرت المقطم في 1937/10/6 انه « عين حاكما للجليل لتنفيذ مشروع التقسيم ».

ـ الداخل ضمن الدولة اليهودية حسب مشروع لجنة بيل ـ من ضمن خطةالحكومة البريطانية في العمل على حمل العرب في ذلك اللواء على قبول التقسيم . واسفرت مجهوداته في ذلك السبيل على اغتياله في صباح يوم الاحد في 26 سبتمبر 1937 ، في الناصرة ، وقتل معه حارسه الكونستابل البريطاني مكوين McEwen . وبالرغم من ان اللجنة العربية العليا اصدرت في نفس اليوم بيانا اعلنت فيه « استفظاعها لهذا الحادث الاليم ، واستنكارها له » ، وعبرت عن اعتقادها بان « الجمهور العربي في فلسطين يشاطرها هذا الاسف والاستنكار [346] » ، وتبعها في ذلك جميع اللجان القومية ، وبالرغم من اعتقال نحو 108 من عرب الناصرة بعد الحادث ، الا ان السلطات البريطانية لم تكتف بذلك ، فاصدرت في اول اكتوبر 1937 ، بلاغا رسميا اعتبرت فيه اللجنة العربية العليا وجميع اللجان القومية ، غير شرعية . واصدرت امرا باعتقال جمال الحسيني ، واحمد حلمي ، وفؤاد سابا ، ويعقوب الغصين ، والدكتور حسين فخري الخالدي ، واقصت المفتي من رياسة المجلس الاسلامي الاعلى ومن لجنة الاوقاف العامة التي كان يرأسها [347] . ولم يرد ذكر لاسم رشيد الحاج ابراهيم في البلاغ الحكومي ، ومع ذلك تم اعتقاله ، ونفي هو والاربعة الآخرون (ما عدا جمال الحسيني الذي كان خارج البلاد) الى سيشل .

كان اليوم الاول من اكتوبر 1937 يوافق 26 رجب 1356 هـ ، وفي المساء احتفل اهالي القدس في الحرم الشريف بذكرى الاسراء والمعراج ، وحضر المفتي الاحتفال . وفي اليوم التالي ، 2 اكتوبر ، اضربت مدينة القدس ، وتبعها كثير من مدن فلسطين . الا ان المفتي اصدر في 3 اكتوبر 1937 بيانا طلب فيه من الامة « العدول عن الاضراب الذي اتخذته وسيلة للاعراب عن شعورها وعواطفها في هذه الاحداث الاخيرة، وان يعود جميع الاهلين الى مزاولة اعمالهم المعتادة بتمام الطمأنينة والهدوء

346ـ المقطم 1937/9/27.
347ـ نص البلاغ في P.D. vol. 329, cols. 861 - 2

والسلام[348] ».

اصدر حزب الدفاع بيانا استنكر فيه ما كان من اجراءات، ووصفها بانها « اكثر مما تقتضيه الحالة »، واعلن استعداده للقيام بالواجب الوطني بعد فراغ الميدان من اللجنة العربية العليا واللجان القومية. وقام بمباحثات مع السلطات البريطانية وبعض العناصر المؤيدة له لتشكيل لجنة عربية عليا[349]، لكنه لم ينجح في ذلك. وعرضت الحكومة البريطانية رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى على مصطفى الخيري، رئيس بلدية الرملة واحد زعماء حزب الدفاع فرفضها. كما رفضها حسام الدين جار الله، « احد اصدقاء الانجليز » كما ذكر (المقطم)[350].

وبعد ان ساد القدس في الاسبوع الثاني من اكتوبر، جو من الهدوء النسبي، استطاع المفتي ان يهرب من الحرم الشريف، ليلة الاربعاء، 14 اكتوبر 1937، بطريق البحر الى لبنان[351]. وفي ليلة14 - 15اكتوبر، قطع حبل الهدوء المخيم فجأة، وجرت غارتان على سيارات الركوب اليهودية في ضواحي القدس، وتعرضت المستوطنات اليهودية الى اطلاق النار بصورة متقطعة، واتلف جانب من خط انابيب نفط العراق، وذلك في بقعة تقع الى الغرب مباشرة من نهر الاردن، واشتعلت النار في النفط المتدفق. كما قطعت خطوط التليفون، ودمرت بعض خطوط السكك الحديدية، فخرج احد قطر الركاب عن خطه، كما اطلقت نيران كثيفة على قاطرة حديدية تنقل القوات البريطانية، وذلك في بقعة تقع في الجبال الجنوبية الغربية من القدس. واطلقت النار بغزارة على احدى دوريات البوليس بالقرب من الخليل.

---

348 ـ الشباب 75 - 1937/10/20، الفتح - 571 - 9 شعبان 1356هـ.

349 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص189 - 190.

350 ـ المقطم 1937/10/7.

351 ـ شبه بعض المسلمين هرب المفتي الى لبنان بهجرة النبي (ص) الى المدينة. انظر (نداء الى العالمين الاسلامي والعربي) الذي اصدره (المركز العام لجماعة انصار فلسطين المقدسة من المصريين - بالاسكندرية)، طبع الاسكندرية، اغسطس 1938، ص 129 - 130.

وعندئذ فرض منع التجول على مدينة القدس فورا[352] . وفي ليلة 1516 اكتوبر، احرق الثوار العرب مطار اللد[353] ، ففرضت السلطات البريطانية على المدينة نظام منع التجول لمدة 23، ساعة في اليوم الواحد طيلة اربعة ايام متتالية، وهدمت منزلين، وفرضت خمسة الاف جنيه غرامة مشتركة على المدينة[354] . وهكذا بدأت المرحلة الثانية من الثورة.

شن اورمسبي غور في البيان السياسي الذي القاه في 21 اكتوبر 1937 امام مجلس العموم ، هجوما شديدا على المفتي ، واتهمه بانه « كان يعمل ضد مصالح بريطانيا وضد مصلحة فلسطين طوال مدة توليه منصبه » . ثم طلب تأييد المجلس للاجراءات التي اتخذتها حكومة فلسطين ، وقال « اني على ثقة من موافقة المجلس على ان واجب حكومة فلسطين الاساسي والعاجل هو اتخاذ اعنف الاجراءات لمكافحة الارهاب ولحماية ارواح موظفيها، واستعادة سلطة الادارة البريطانية الحقيقية في جميع انحاء فلسطين » . واضاف بان « القوات العسكرية وقوات البوليس تحظى بموافقتي وتأييد الحكومة في مواجهة حملة القتل والخروج على القانون » . ثم اشار الى هدم السلطات العسكرية لمنازل المتهمين في قضية حرق مطار اللد . واعلن عن ارسال تشارلز تيجارت Tegart الخبير البريطاني في حرب العصابات في البنغال ، الى فلسطين[355] .

ومع بداية نوفمبر 1937 ، اشتدت الثورة عنفا واتساعا ، فاصدرت الحكومة بلاغا رسميا رقم 20 - 37 بتاريخ 10 نوفمبر ، اعلنت فيه انها ستنشر نظام الدفاع (الطوارىء) في اليوم التالي ، وسيبدأ العمل به من 18 نوفمبر 1937 . وانه وفقا لهذا القرار ستشكل محاكم عسكرية في كل انحاء فلسطين ، وان المقصود من ذلك كله « الاسراع في تنفيذ نظام الطوارىء

---

352 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 337.

353 ـ انظر البلاغ الرسمي في P.D. vol. 328, cols. 899 - 900.

354 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 337.

355 ـ P.D. vol. 327, cols. 23 - 6

لاخماد حملة الارهاب والتخريب الحاضرة ، تلك الحملة التي صممت الحكومة القضاء عليها[356] » . واستمرت حملة الاعتقالات ضد العرب ، واعترفت المصادر الرسمية البريطانية باعتقال 520 عربيا في الاسبوع الاول من نوفمبر 1937[357] » . ومع ذلك قام راغب النشاشيبي ومغنم الياس مغنم بمقابلة القائم باعمال الحكومة في 15 نوفمبر 1937 . وعلقت (المقطم) على هذه المقابلة بقولها انها « الخطوة الرسمية الاولى ، منذ حلت اللجنة العربية العليا في اول اكتوبر ، لانشاء قيادة عربية جديدة[358] » . وقد علم المفتي بهذه المقابلة ، فاصدر بيانا تهديديا بعنوان (حول المعتدلين وانتهازيتهم للثورة) قال فيه « من ذا الذي يتقدم لمواطأة الاستعمار وقد انتهك الحرمات ، واعتدى على المقدسات ؟ من ذا الذي يتقدم لمفاوضة الاستعمار ورجال الامة مشتتون في المنافي والسجون » . وختمه بالآية الكريمة « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون[359]» .

لجنة الجهاد المركزية

اعترف « المكتب العربي » الذي كان يرأسه موسى العلمي ، بان « ثورة سني 1936 - 1939 لم يقم بها المتعلمون في المدن ، بل عصابات من القرويين في الجبال وفي القرى التي كانت تقدم لها المعونة والزاد والمأوى[360] » . ويقول اميل الغوري « والحقيقة الثابتة ان الفلاحين في فلسطين بصورة خاصة ، والى جانبهم العمال بصورة عامة ، هم الذين دفعوا ضريبة الدم وضريبة المال لفلسطين وحقها في الحياة . . . وهم الذين تحملوا العبء الاكبر في الدفاع عن فلسطين خلال الثلاثين عاما التي قضتها في مناهضة الاستعمار[361] » . ويذكر عزة دروزة « كان اكثر المجاهدين من

---

356 ـ المقطم 1937/11/13، الفتح 576 - 15 ـ رمضان 1356 هـ

357 ـ P.D. vol. 329, col. 1064

358 ـ المقطم 1937/11/16.

359 ـ الرابطة العربية 76 - 1937/11/17، جريدة الاخوان المسلمين ع 24 س 5 - 1937/11/19.

360 ـ المكتب العربي : مشكلة فلسطين النشرة الثانية ص 138.

361 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 202.

القرويين ، ومع ذلك حمل السلاح كثير من اهل المدن ، واشترك المثقفون في الثورة منذ ربيع عام 1938 [362] » . ويؤكد جورج انطونيوس ان الثورة « هي ثورة الفلاحين ، وسببها المباشر هو مشروع التقسيم المقترح ، وعلى وجه الخصوص ذلك المظهر منه الذي يرمي الى اجلاء عدد كبير من الفلاحين العرب لكي يفسحوا المجال لمهاجرين سيصبحون مواطنين في الدولة اليهودية المقترحة . فالقوى المحركة للثورة ليست هي الزعماء الوطنيين ، واكثرهم اليوم1938 في المنفى ، وانما رجال من طبقات العمال والمزارعين يخاطرون بحياتهم فيما يعتقدون انه الطريق الوحيد الذي بقي امامهم لتسلم لهم بيوتهم وقراهم[363] » .

اكتسب الفلاحون من ثورة عام 1936 خبرة ممتازة، ظهرت نتائجها في المرحلة الثانية من الثورة. ويعترف التقرير البريطاني لعام 1938 بتطور « اسلوب حرب العصابات العربية من حيث التنظيم والتنسيق[364] » . لقد كان عمل الفلاحين عملا تلقائيا ، على مستوى القرية والمنطقة ، وبدأ في نفس الوقت ، معدوم الاتصال بالقيادة السياسية ، التي كانت في ذلك الوقت خارج فلسطين . ولذلك رأت تلك القيادة ان تسيطر على الثورة من فوق ، فشكلت (لجنة الجهاد المركزية) من الحاج امين الحسيني ، حسن ابو السعود ، منيف الحسيني ، واسحق درويش ، في لبنان ، ومن عزة دروزة ـ الذي تولى رياستها الفعلية ـ ومعين الماضي في دمشق . ويقول دروزة ان هدف تشكيل اللجنة هو « لتوجيه الثورة وامدادها واسعاف منكوبيها » . ويضيف بان اللجنة « جهزت بعض المجاهدين ، منهم عبد الرحيم الحاج محمد (ابو كمال) ، وابو ابراهيم الكبير والشيخ عطية ، لتولي قيادة الثورة في المرحلة الجديدة[365] » .

---

362 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج 3 ص 199.

363 ـ جورج انطونيوس المصدر السابق ص 434.

364 ـ Report 1938, p. 6

365 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص209.

اما مهمة (التوجيه) فقد فشلت اللجنة في تحقيقها ، اذ اعترف دروزة بان (لجنة الجهاد المركزية) « لم تنجح في تيسير انضمام القاوقجي للثورة وتوحيد حركاتها تحت قيادته[366] » . وتؤكد جريدة (الزمان) العراقية ان القاوقجي لم يشترك في الثورة عام 1938 ، بسبب « تعهدات قدمها للحكومة العراقية بعدم الاشتراك في السياسة او اية حركة ثورية تجاه فلسطين[367] » . وبالنسبة (للامداد) يروي ابو ابراهيم الكبير انه وجماعته خططوا « لعدد من المعارك الناجحة ، التي كان من نتائجها ان التهبت الحماسة ، واخذ الناس يطلبون السلاح . . ولما كنا لا نستطيع تسليحهم ، قلنا لهم : عليكم ان تساهموا . وبهذا الاسلوب استطعنا تسليح عدد كبير من الناس[368] » . ومع ذلك كله لا يمكن التقليل من المساعدات العسكرية التي قدمت لمن يدينون للمفتي بالولاء .

ومهما يكن ، فقد تمكنت اللجنة من « توحيد مناطق طبرية وصفد وعكا والناصرة وقسما من منطقة نابلس وقسما من منطقة القدس الشمالية تحت قيادة ابي ابراهيم الكبير ، يساعده ابو ابراهيم الصغير (توفيق ابراهيم ـ من قرية اندور بالناصرة) وسليمان العبد القادر (ابو علي ـ من قرية سمسم بغزة) » اما منطقة لواء نابلس فظلت مقسمة الى اربع قيادات : (1) جنين الغربية : بقيادة الشيخ عطية احمد (حيفا) وبعده الشيخ يوسف ابو درة (من قرية سيله الحارثية) . (2) جنين الشرقية : بقيادة محمد الصالح (ابو خالد) ثم عبد الفتاح ابو عبد الله ثم ابو عمر وجميعهم من قرية سيله الحارثية . (3) طولكرم الشرقية : بقيادة عبد الرحيم الحاج محمد (ابو كمال) من قرية ذنابة بقضاء طولكرم ، ثم احمد محمد الحسن . (4) طولكرم الغربية : بقيادة عارف عبد الرازق من طيبة بني صعب بقضاء طولكرم . وقسمت المنطقة الجنوبية بين ثلاث قيادات : (1) منطقة اللد

---

366 ـ المصدر السابق ص 211.

367 ـ الزمان ـ 296 - 1938/8/16.

368 ـ الثورة الفلسطينية ع19 - 1969/9/15 ص29.

بقيادة الشيخ حسن سلامة ،(2) منطقة الخليل بقيادة عيسى البطاط ثم عبد الحليم الجولاني (ابو زيدان) ، (3) منطقة القدس بقيادة عبد القادر موسى كاظم الحسيني[369] .

ويعترف عزة دروزة بان « اكثر الذين تولوا القيادات العامة في الثورة لم يعينوا لها تعيينا وانما فرضوا انفسهم فرضا[370] » . وذلك نتيجة لبراعتهم في شن حرب العصابات والنجاح فيها . وقد كان من واجباتهم القيام بالهجوم على دوريات البوليس والجيش والمعسكرات البريطانية ، وكذلك « الهجوم على اماكن تجمع اليهود بما فيها من نقط حراسة ومستوطنات وحقول » . وتدمير انابيب البترول بين حيفا وبيسان ، وتدمير الجسور والسكك الحديدية وتخريب الطرقات وسائر طرق المواصلات ، وحرق دوائر الحكومة والمتاجر والمصانع اليهودية ، والاستيلاء على الاسلحة باي شكل من الاشكال ، ثم « معاقبة الخونة الذي يتعاونون مع الحكومة[371] » .

وشكل الفلاحون في القرى فرق (الانصار) ، او ما اطلق عليه (الفزعات) ، ومهمتها ان تقوم بالنجدة « في حالة نشوب معركة بين الثوار والانجليز » . وكان على افرادها ، في بعض الاحيان ، القيام « بهجوم على المستعمرات اليهودية والدوريات الانجليزية وعلى مخافر البوليس بقصد تخفيف الضغط عن القيادة اثناء المعارك الكبيرة ، وتوزيع قوى الانجليز على جبهات عديدة ، حتى تتمكن القيادة من القيام بهجوم او عملية حربية ناجحة على احدى الدوريات او القوافل او المعسكرات التابعة للجيش البريطاني ، او المستوطنات اليهودية » . وكان تسليح (فرق الانصار) يتم تلقائيا او بالمساهمة . كما شكلت في القرى (لجان محلية) ، كانت تتلقى الاوامر

---

369 ـ عزة الدروزة المصدر السابق ج3 ص212.

370 ـ المصدر السابق ص 217.

371 ـ صبحي ياسين المصدر السابق ص 46.

من قيادة المنطقة ، وكان عليها القيام « بالاصلاح بين الناس ، واعادة الحقوق الى اصحابها ، وجمع التبرعات لاسر الشهداء المحتاجين من الفقراء المجاهدين ، ومنع الافراد من التعاون مع الحكومة ، وتوزيع المجاهدين على بيوت الميسورين ، للنوم والطعام عند حلولهم في القرية » . كما كان عليها ان تجمع الاموال من سكان القرية « لشراء عدد من البنادق[372] » لتزويد الثورة بها .

حاولت (لجنة الجهاد المركزية) ان « تلحق بكل قيادة مستشارا اداريا وآخر قضائيا ، وواعظا ، تتكون منهم لجنة لضمان عدم التورط في الاخطاء ، واوفدت : واصف كمال ، ممدوح السخن ، فريد يعيش ، رشاد الشوا ، محمود علاء الدين ، سليم الحسيني ، اكرم الجاعوني ومصطفى الطاهر الى جهات القيادة[373] » ، وهم من مثقفي الطبقة البرجوازية من المدن . على ان محاكم الثورة المشكلة الى جانب قيادات المناطق ، استعانت بعدد اخر من القضاة الفلاحين الذين كانوا اقرب الى فهم عقلية الفلاحين ومعرفة بعاداتهم وتقاليدهم[374] .

ولقد استطاعت الثورة ان تجتذب بالاضافة الى الفلاحين ومناضلي المدن ، قطاعات من الشباب العربي[375] ، ذوي المشاعر الحماسية المتدفقة نحو الوحدة العربية . واستطاع هؤلاء ان ينظموا انفسهم في عصابات صغيرة تعمل على حدود فلسطين . وكانوا يرتدون ملابس عسكرية تماثل تلك التي كان يرتديها جيش الملك فيصل عام 1918 . ولم يكن هؤلاء يتلقون اجورا او رواتب ، ولكنهم كانوا يحصلون على كميات وفيرة من الاسلحة عندما يجتازون الحدود الى داخل فلسطين[376] .

---

372 ـ نفس المصدر ص 45

373 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص217.

374 ـ انظر صبحي ياسين المصدر السابق ص 49، ص 137.

375 ـ المصدر السابق ص 220 - 222.

376 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 341.

ومما يدل على عنف الثورة ، ما اورده التقرير البريطاني لعام 1938 عن عدد الحوادث التي قام بها الثوار العرب في ذلك العام ، ومنها :

	عدد المرات
هجوم على الجيش والبوليس البريطاني	986
هجوم على افراد يهود	176
هجوم على وسائل المواصلات	335
اطلاق نار على المستوطنات والاحياء اليهودية	651
القاء قنابل	331
خطف (اشخاص)	215
اتلاف املاك يهودية	415
قطع التليفونات	720
تخريب السكك الحديدية والطرق	341
تخريب املاك حكومية اخرى	210
تخريب خط انابيب شركة بترول العراق	104[377]

الاجراءات البريطانية ضد الثورة في المرحلة الثانية

ونظرا لاشتداد الثورة وتعاظمها واتساعها في البلاد ، واشترك ابناء البلاد العربية المجاورة فيها ، اقامت السلطات العسكرية(خط تيجارت) . وهو عبارة عن اسلاك شائكة بطول 80 كم على حدود فلسطين مع سوريا ولبنان ، 40 كم على حدود فلسطين ـ شرق الأردن ، بعرض ثلاثة امتار وارتفاع ثلاثة امتار ايضا . وفيه مصائد الغام ، و 15قلعة مجهزةبالحراس ومعدات الكشف والقتال والمواصلات[378] . ومما يذكر ان (مكتب

377 ـ Report 1938, p. 19

378 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 210

المقاولات) التابع للهستدروت هو الذي تولى بناء هذا الخط[379] . وقد نسف الثوار الخط في عدة مناطق . كما اصدرت تلك السلطات بلاغا رسميا (فبراير 1938) ، اعلنت فيه تقديم مكافأة تتراوح بين 100 و 500 جنيه ، لقاء القبض على اي واحد من قائمة ضمت 21 مجاهدا عربيا[380] .

اضطرت السلطات العسكرية البريطانية لاحتلال عدد من القرى في منطقة الجليل والناصرة، في محاولة للحد من اتساع نطاق الثورة . فقد اصدر المندوب السامي الجديد ، هارولد مكمايكل Harold Macmichael في مساء 24 مايو 1938 ، بلاغا رسميا جاء فيه « نظرا لاستمرار اضطراب الامن في منطقتي الجليل والسامرة (اللواء الشمالي) قررت الحكومة بالاتفاق مع السلطات العسكرية اتخاذ تدابير اضافية لمكافحة اعمال الارهاب، التي اخذ نطاقها يتسع في المدة الاخيرة ، وذلك مع فرض رقابة محكمة على المناطق المذكورة . وتنفيذا لهذه الغاية ، قامت قوات الحكومة امس واليوم (23 و 24/5/1938) . باحتلال عدد من القرى . وقد انتشرت اشاعة فحواها ان هذا العمل هو بمثابة حكم عسكري بشكل من الاشكال . والحقيقة ليست كذلك، لان هذه المناطق المذكورة سيبقى زمام ادارتها بيد السلطة المدنية[381] » .

وحملت الحكومة مخاتير القرى العربية مسئولية ما يقع من قراهم من هجوم على القوات او البوليس البريطاني، وقالت في بلاغ رسمي وزع عليهم في يونيه 1938 ، انهم « وجميع سكان قراهم مسئولون عن وقاية الخفراء ودوريات البوليس والكتائب الموجودة في قراهم من اي هجوم ، وذلك بان يساعدوا البوليس مساعدة تامة ، وان يبلغوه عن كامل المعلومات فورا عن خطر وقوع اي هجوم . وعلى المخاتير ايضا تدبير كافة الوسائل

---

379 ـ حقيقة الامر ـ مج 2 عدد 28 - 1938/10/26.

380 ـ الشباب ـ 91 - 1938/2/23

381 ـ الزمان ـ 225 - 1938/5/25، Report 1938, p 9

لتأمين توصيل خبر اي هجوم يحتمل وقوعه على القرية بدون ابطاء » واضاف البلاغ « تلقى مسئولية اي اعتداء على الخفراء او رجال البوليس على عاتق القرية التي يحدث الاعتداء ضمن اراضيها. ومن جراء ذلك يفرض على القرية عقوبات من جملتها هدم المنازل بحسب الاقتضاء[382] » .

وفي 17 اكتوبر 1938 ، اصدر المندوب السامي تعديلا لقانون الطوارىء لعام 1937 ، خضعت بموجبه قوات البوليس الفلسطيني لسلطة القائد العام للقوات العسكرية البريطانية في فلسطين[383] . وفي اليوم التالي ، 18 اكتوبر 1938 ، اصدر المندوب السامي امرا ، خضعت البلاد بموجبه لسلطة القائد العام للقوات البريطانية في البلاد[384] ، واصبح الجنرال هايننج هو الحاكم الفعلي لفلسطين . فاخذ يعمل على « اعادة اقامة السلطة البريطانية في المدن ، مستخدما فرقتين عسكريتين بريطانيتين ، وعددا من اسراب الطائرات والبوليس البريطاني[385] ، وقوة الحدود الاردنية ، بالاضافة الى قوة يهودية مساعدة مؤلفة من ستة آلاف جندي . وبعد ان قام بتنسيق جهود هذه القوى كلها ، تصدى لتفتيش جميع قرى لواءي الجليل والسامرة تقريبا . وتمكن هايننج بفضل هذه الحملة من البدء بحملة عامة لنزع السلاح من السكان مشجعا العناصر المعادية للمفتي على تزويده بالمعلومات ، وتعريفه باشخاص الثوار[386] » . وقد بلغت قوة البوليس 4754 رجلا في 31ديسمبر 1938[387] ، وهو اعلى رقم وصلته هذه

---

382 ـ الصراط المستقيم ـ 992 - 1938/6/21.

383 _ Report 1938, p 55

384 _ op. cit., pp. 55 - 6

P.M.C. 36th S. pp. 62 - 3

385 ـ انظر تصريحات وزير المستعمرات حول زيادة القوات البريطانية المستمرة في فلسطين في :

P.D..vol. 332, col 1741

P.D. vol. 338, cols. 796, 919, 1113, 3091

386 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 348

387 _ L.O.N. . Armaments Year Book, Official No. C. 228 M. 155. 1939, IX Geneve, June 1940, p. 61

القوة حتى ذلك الوقت .

وقف الصهيونيون بكل قوتهم الى جانب الحكومة البريطانية في محاولة القضاء على الثورة العربية . فبالاضافة الى الستة آلاف جندي ، « اخذت فرقة من الهاجاناه ، اطلق عليها اسم فوش Fosh بقيادة اسحق ساديه Sadeh ، تقوم بالهجوم على العرب » . كما وضع اورد وينجيت Ord wingate « خطة للعمليات الليلية النظامية في الجليل، بقصد الدفاع عن خط انابيب البترول الممتد الى حيفا ، واقتفاء اثر الثوار (العرب) والقضاء عليهم . ووضع خطته على اساس ان تقوم بها قوات يهودية بمعاونة عدد من البريطانيين ، وان يكون ضباطها وضباط الصف من البريطانيين واليهود ، وان يتولى هو قيادتها . . . وجعل قيادته في مستوطنة عين حارود ـ شرقي مرج ابن عامر ـ وبدأ عملياته في 3 يونيه1938 ، واستمرت حتى صيف عام 1939 [388] » .

رافق العمليات العسكرية البريطانية ، عمليات اخرى ضد المدنيين من سكان المدن والقرى ، بلغت حدا هائلا من القسوة والعنف والارهاب . ولعل ما قام به الجنود البريطانيون في صفد ، يوم الاثنين في 10 يناير 1938 ، يقدم اوضح دليل . فهم « لم يتركوا بابا ولا شباكا الا كسروه ، لم يتركوا شيئا من الامتعة والاواني والاثاث الا اتوا عليه بالتخريب والاتلاف ، خلطوا المؤن ببعضها والقوها على الارض ، وسكبوا الزيت فوق الحنطة ، والسمن فوق الحبوب والطحين والبترول (الجاز) ، اتلفوا المتاجر ومحتوياتها ، القوا في بعض الآبار الخاصة للشرب موادا لا نعلم نوعها ، حرقوا عددا من البيوت، لم يتركوا شيئا من النقود ومصاغ السيدات الا سلبوه ، حتى القرآن الكريم داسوه بارجلهم[389] » . واقامت السلطات العسكرية نقطة بوليس داخل المسجد الاقصى لاول مرة . ويعترف التقرير البريطاني لعام 1938

---

388 ـ Sykes, op. cit., pp. 219 - 21

389 ـ من عريضة اهالي صفد المؤرخة في 11 يناير 1938 والمرفوعة الى المندوب السامي. انظر الشباب ـ 88 - 1938/1/26.

بوجود 2463 عربيا داخل المعتقلات [390] ، وباعدام 54عربيا ، وسجن 328 عربيا لمدد تتراوح بين السنة والسجن لمدى الحياة [391] .

وبالرغم من الاجراءات البريطانية العنيفة والقاسية ، كتب المندوب السامي تقريرا في 7 يوليو 1938 ، اشار فيه الى حدوث « بعض الامتداد والتكثيف في عمليات العصابات في المناطق الشمالية والوسطى من البلاد ، ويبدو ان عدد الثوار آخذ في الازدياد ، كما ان تنظيمهم آخذ في التحسن » . اما هايننج فقد كتب يقول ان قواته تواجه شعبا ثائرا ، « فحتى حين يكون عدد الثوار قليلا نجد من الصعب علينا ان نسيطر على المناطق الريفية ، لان القرويين ينتهزون كل فرصة للقيام باعمال القناصة واعمال التخريب الصغيرة ووضع الالغام في الطرقات العامة . . . وهذا الشكل من المقاومة يصعب معالجته لانه من الصعب جدا ان نعثر على هدف نضربه . وبالاضافة الى ذلك فان عواطف السكان هي مع العصابات لا مع الحكومة البريطانية [392] » .

مؤتمر قادة الثورة ـ اغسطس 1938

أسفر اتساع الثورة وامتدادها في صيف 1938 ، عن عقد مؤتمر لقادة الثورة في اغسطس من ذلك العام في منطقة طولكرم . وقد اتخذ ذلك المؤتمر قرارا بمتابعة « القتال حتى تنال فلسطين مطالبها القومية المعروفة ، وتطبيق مشروع القتال لمدة خمس سنوات ، وذلك بدعوة الشباب العربي في فلسطين ، الذين تساعدهم اعمارهم واجسامهم للجهاد ، كل ستة اشهر للقرع اللازمة » . وطلب المؤتمر « اربع قرع ، ودعوة الذين اعمارهم بين 19 و 22 (عاما) من اهل فلسطين ، واحالة كل من يتخلف للمحكمة العسكرية » . والتزاما من القادة بكونهم من الفلاحين، فقد اعلنوا « تأجيل

---

390 ـ Repport 1938, p 22

391 ـ op cit., p. 24

392 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 343 - 344

دفع الديون ، وإعلان المورراتوريوم لمدة سنة ، وابلاغ هذا القرار للمصارف العربية والاجنبية والدائنين والمدينين ، واحالة كل من يخالف او يحاول الحجز أو بيع اراضي المدينين او اموالهم المنقولة او غير المنقولة الى المحكمة العسكرية ، ليحاكم بجرم عصيان الثورة الوطنية » . وقرر المؤتمر كذلك « تأليف قيادة عامة لجيوش الثورة في مناطق اواسط فلسطين ، مؤلفة من السيد عبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرازق والشيخ ابو درة وابو خالد » ، ورفع المؤتمر تحيته « لصاحب السماحة زعيم فلسطين الأوحد ومفتيها الاكبر واخوانه الاحرار والابرار[393] » .

واصبحت الكوفية والعقال رمزا للجهاد في فلسطين، وذلك « اعلانا لتضامن سكان البلاد التام في الجهاد ، ورمزا لكون جميع من في البلاد ثائرا[394] » ، ابتداء من 27 اغسطس 1938 ، وذلك بدلا من الطربوش الذي كان استعماله سائدا في فلسطين . ويبدو ان امتداد الثورة الى هذا الحد ، وسيطرتها على الحياة في فلسطين ، قد ارهب الكثير منْ اغنياء البلاد والسماسرة وعملاء الانجليز واليهود ، ودفعهم الى الهرب خارج البلاد . وقد اخذت عملية الهروب بعد ذلك في الزيادة ، حتى شكلت ظاهرة غير طبيعية منذ نوفمبر 1938 . وقد تنبه عارف عبد الرازق الى هذا الامر ، فوجه نداء قال فيه ان « ديوان الثورة العربية يطلب الى من غادر البلاد ان يعود اليها آمنا مطمئنا ، والديوان على استعداد لحمايته وحماية ممتلكاته » . وأضاف « واما اولئك المنقطعون المتقاعدون عن اداء الواجب الوطني ، والذين يشيعون في الخارج انهم مطاردون من السلطة فان ديوان الثورة العربية يقول لهم انكم اذا كنتم من الوطنيين حقا ، فتفضلوا لميدان الجهاد المقدس في البلاد، ففيه متسع للجميع[395] » .

393 ـ الرابطة العربية ـ 115- 1938/8/31، الفتح 617- 6 رجب 1357هـ (اول سبتمبر 1938)، الزمان ـ 311 - 1938/9/3، جريدة الاخوان المسلمين ع 61 و 62 ، س 5 - 1938/9/23.

394 ـ بيان المكتب العربي القومي بدمشق ـ الفتح ـ 618 - 13 رجب 1357هـ (1938/9/8).

395 ـ الزمان ـ 395 - 1938/12/13

الثورة المضادة وفصائل السلام

كان (الهروب) من البلاد احد المظاهر التي استغلها حزب الدفاع لتشويه سمعة الثورة ، بعد ان فشل راغب النشاشيبي واعوانه في تشكيل قيادة فلسطينية تحل محل اللجنة العربية العليا التي حلتها السلطات البريطانية في اول اكتوبر 1937 . ولم تنقطع محاولات الحزب وانصاره فيما بعد ذلك . فقد اشارت (حقيقة الامر) الى رسالة عادل الشوا ، من اعمدة حزب الدفاع ، المنشورة في جريدة فلسطين بتاريخ 19 يناير 1938 ، التي يقترح فيها عقد « مؤتمر عربي يؤلف من اعضاء مجالس البلديات واصحاب الصحف واعضاء المجلس الاسلامي الاعلى لدراسة ما يجب عمله لتيسير ما تعقد من مشاكل الموقف الحاضر[396] » . ومن المعروف ان رؤساء البلديات واعضاء المجلس الاسلامي . وهم الذين عينتهم السلطات البريطانية بعد عزل المفتي من رئاسة المجلس ، من الموالين لحزب الدفاع ، كما كانت جريدة فلسطين لسان حال الحزب ، وجريدة الصراط المستقيم وصاحبها الشيخ عبدالله القلقيلي من الموالين للحزب ايضا . وقد بلغ الامر بالشيخ القلقيلي ان كتب مقالا في جريدته (ع987 بتاريخ 18مايو 1938) يحض فيه الانجليز على القضاء على الثورة. ولم تبدأ جريدة الصراط المستقيم بذكر حوادث الثورة في البلاد الا في العدد 996 الصادر في 13يوليو 1938 .

ونشر راغب النشاشيبي في 24 اكتوبر 1938 بيانا في صحيفة YOrkshire Post يتهم فيه المفتي بتحويل الثورة الى مصلحته الشخصية ، وباستيلائه على الاموال الخاصة بعرب فلسطين لشراء السلاح والذخيرة[397] . وارسل فخري النشاشيبي رسالة مؤرخة في 14نوفمبر 1938الى المندوب السامي ، وقال فيها ان (الزعماء) « اضطروا الى مغادرة البلاد بسبب حملة الارهاب التي قام بها جماعة الحاج امين الحسيني ضدهم وضد جماعاتهم ، في وقت لم تتمكن الحكومة فيه من حماية ممتلكاتهم » ،

---

396 ـ حقيقة الامر ـ ع 43 - 1938/2/2

Pearlman, op cit., p. 25 ـ 397

واضاف قائلا « وقد ساعدت الاموال التي تجمع باسم منكوبي فلسطين المومأ اليه (الحاج امين) في حملته الارهابية هذه ، فهو ينفق هذه الاموال على مشترى الاسلحة ، وفي اعمال العنف ضد ممتلكات ورجال الاحزاب المناوئة له ، وان الخسارة المادية التي لحقت بممتلكات رجال هذه الاحزاب لا تقل عن ربع مليون جنيه [398] » . وفي 30 نوفمبر 1938 ، اجتمعت 25 صخصية عربية تمثل 45قرية ، في بيت فخري النشاشيبي ، ثم عقدت مؤتمرا صحفيا اوردته جريدة التايمز في عددها الصادر في اول ديسمبر 1938 ، واعلنت فيه وقوفها الى جانب فخري النشاشيبي وضد الحاج امين الحسيني ، كما تلقت التايمز في 6 ديسمبر 1938 تقريرا من مراسلها في القاهرة ، يذكر فيه ان 50 شخصية عربية فلسطينية اجتمعت في منزل الشيخ علي شاهين ، واحتجت على المذابح التي يقوم بها المفتي ، وارسلت برقية تأييد الى فخري النشاشيبي ، واحتجت لدى المندوب السامي على الاعمال التي يقوم بها الحاج امين الحسيني . وعقد حزب الدفاع مؤتمرا في 18ديسمبر 1938 في قرية يطة (الخليل) حضره نحو ثلاثة الاف عربي ، اتهم فيه خليل الشريف مختار القرية ، عارف عبد الرازق بقتل ما يزيد على 200 شخص ، كما اتهم الحاج امين بجميع الاغتيالات السياسية ، وقد حضر هذا المؤتمر فخري النشاشيبي [399] .

استغلت السلطات البريطانية نشاطات حزب الدفاع بتشكيل ما اطلق عليه (فصائل السلام) لضرب الثورة في البلاد ، وكانت تعمل جميعا بتوجيه تشارلس تيجارت واشراف فخري النشاشيبي . وكانت اشهر فصائل السلام هي : (فصيلة فخري عبد الهادي وفريد رشيد في عرابة وجنين ، فصيلة حافظ العبد الله في عنبتا ، فصيلة عائلة عمرو في الخليل ، فصيلة عبد الفتاح درويش في المالحة ، فصيلة نمر ابو غوش في قرية ابي غوش) [400] . وهناك فصيلة اخرى تولى قيادتها ابراهيم عبد الرازق من بيت

398 ـ الرسالة في المقطم 1938/11/25.
399 ـ Pearlman, op. cit., pp. 26 - 7
400 ـ مقابلة الباحث مع السيد عبد الرحمن علي في 1971/10/23.

ريما بقضاء القدس ، وهي مؤلفة من عشرة اشخاص . وقد ارتكبو في قرية (نعلين) اعمالا مشينة من السلب والنهب ، وتمكن الثوار من القاء القبض على ابراهيم وعصابته ، واعترف بأن « فخري النشاشيبي كلفه ان يصنع ما صنع ، وانه استحضر لهم البنادق والعتاد من الحكومة ، وانها خصصت لهم المرتبات الشهرية » . وقد حكمت عليه محكمة الثورة بالاعدام ، اما افراد عصابته فقد حكم عليهم بالجلد والتجريد من السلاح . وتولى (ابو نجيم الشنطي) قيادة فصيلة اخرى ، لكن الثوار اعدموه في ضواحي قلقيلية .

كانت السلطات البريطانية تهدف ، من وراء تشكيل (فصائل السلام) ، الى اشعال نار حرب اهلية في داخل البلاد ، بحيث تتصادم (فصائل السلام) مع جماعات الثوار ، فتضعف بذلك الثورة . وهدفت ثانيا الى ان يزهد الفلاحون والعمال من الثورة بعد ان تقوم تلك الفصائل بأعمال السلب والنهب ، وبما توقعه في اهل البلاد من الاذى والضرب والاهانة والقتل . اما هدفها الاخير فهو تشويه سمعة الثورة الفلسطينية في الداخل والخارج واظهارها بمظهر غير ثوري[401] .

كان رد فعل الثورة على ذلك كله القيام ببعض الاغتيالات السياسية . يقول عزة دروزة « نحن من جهتنا نؤكد للحق والحقيقة فقط ، انه لم يكن لنا علم مسبق بما جرى من امثال هذه الحوادث ، ولا ايعاز بأي شكل بمثلها . واننا كنا نستنكر وقوعها ، ونشدد على وجوب الامتناع بكل جهدنا عنها ، ونسعى ما قدرنا على تلافي آثارها . وهذا كان كذلك بشأن المفتي ورفاقه في لبنان على ما نعتقد . ولم نسمع ولم نلمس منهم اي تحبيذ او تجويز او ايعاز بمثل هذه الحوادث[402] » . وذكر السيد عبد الرحمن علي للباحث ان الحاج امين « لم يكن يقاوم او يدين الاغتيالات ، وفي رأيي ان في هذا مشاركة فيها[403] » .

---

401 ـ انطر الفتح ـ 367 - 28 ذو القعدة 1357هـ (1939/1/19)

402 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 218

403 ـ مقابلة معه في 1971/10/23.

ان الاغتيال السياسي في حد ذاته له ضوابط خاصة ، وهو سلاح ذو حدين ، فقد استخدمته الثورة المضادة في ضرب العناصر الوطنية الثورية . ومع ذلك فان عمليات الاغتيال السياسي التي نفذتها الثورة بين ديسمبر1937 وسبتمبر 1938 ، كانت موجهة الى عملاء المخابرات البريطانية والى سماسرة الاراضي[404] . واذا كان عارف عبد الرازق قد اصدر في 30 نوفمبر 1938 ، امرا باعدام فخري النشاشيبي ، فان ذلك لم يكن إلا بسبب خروجه « على اجماع الامة » وتعاونه « مع السلطة الانجليزية والصهيونيين » ، لان « القضية الوطنية لا تتسامح مع المتآمرين والدساسين » . ولان « الوطن فوق الجميع [405] » .

ولا شك ان المندوب السامي ، هارولد مكمايكل ، كان على حق ، حين ذكر في تقريره المؤرخ في 2سبتمبر 1938 والمرفوع الى وزير المستعمرات انه « اذا استبعد المفتي واعوانه فانه لا يبقى من يستطيع تمثيل العرب سوى قادة الثوار في الجبال . وان مجرد ذكر اسم (المعتدلين) اصبح عبارة مشينة [406] » . ذلك ان وزير المستعمرات البريطاني قد اعلن عن عزمه دعوة ممثلين عن كل من عرب فلسطين والوكالة اليهودية لبحث توصيات لجنة تقسيم فلسطين (لجنة وودهيد) في اكتوبر 1938 .

تعيين لجنة وودهيد (اللجنة الفنية)

اشار المستر ايدن في خطابه امام مجلس العصبة في 14 سبتمبر 1937 ، الى رغبة بريطانيا في تشكيل لجنة فنية لوضع مشروع تقسيم جديد ، يأخذ في اعتباره توصيات لجنة التحقيق الملكية . وقد ايد مجلس العصبة

---

404 ـ انـظر الشبـاب 83 - ,1937/12/22, 84 - 1937/12/29, 91 - 1938/2/23, 92 - 1938/3/2, 97 - 1938/4/6, 99 - 1938/4/20, 102 - 1938/5/11, 110 - 1938/7/6, 116 - 1938/9/7.

405 ـ البيان في الرمان ـ 397 - 1938/12/16، الشباب 127 - 1938/12/21

406 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 236.

رغبة بريطانيا ، في القرار الذي اصدره في 16 سبتمبر 1937 . وادلى اورمسبي غور ، وزير المستعمرات ، في 12 اكتوبر 1937 ، ببيان حول السياسة البريطانية في فلسطين فقال « في ضوء القرار الذي وافق عليه مجلس عصبة الامم وكذلك الجمعية العامة ، فان حكومة صاحب الجلالة تعتبر نفسها الان حرة في القيام بالبحوث اللازمة بهدف وضع مشروع تقسيم ثلاثي ، ليقوم على الاسس العامة الواردة في القسم الثالث من تقرير اللجنة الملكية . وطبقا لذلك ، فقد اقترح تعيين لجنة ، في القريب العاجل ، لتقديم اقتراحات ، بعد القيام ببحث محلي ، لمشروع تقسيم ثلاثي مفصل ، وسيدعى البرلمان ومجلس عصبة الامم للمصادقة عليه[407] » .

نددت الصحف العربية الفلسطينية باصرار بريطانيا على مشروع التقسيم ، وتساءلت جريدة فلسطين : « هل ينفذ برنامج التقسيم بالقوة ؟ » ، وحذرت وزير المستعمرات من التمادي في السير في هذا الطريق . ونشرت جريدة الدفاع في 9 نوفمبر 1937 ، كتابا مفتوحا وجهته الى ملوك العرب ، وطالبت بان تتضافر جميع البلدان العربية ، وتؤسس جيشا قويا يستطيع ان يدافع عن مصالح العرب[408] . ومع ذلك ، صرح وزير المستعمرات في 22 ديسمبر 1937 ، انه يتوقع ان يعلن قريبا « براءة وشروط اختصاص اللجنة الجديدة . ولن يكون هناك ما يوجب تأخير ارسال اللجنة الى فلسطين » ، وان حكومة فلسطين تقوم « باعداد البيانات والاحصاءات اللازمة[409] » لعمل اللجنة .

واستمرارا لتبني الحكومة البريطانية لفكرة التقسيم ، اصدرت في 4 يناير 1938 ، كتابا ابيض ، هو عبارة عن خطاب مؤرخ في 23 ديسمبر 1937 ،

---

407 - P.D. vol 327, col 23
408 - المقطم 1937/11/10.
409 - P.D vol. 330, col. 1956

ارسله وزير المستعمرات الى المندوب السامي لفلسطين . وقد ذكَر وزير المستعمرات ان « حكومة جلالة الملك لم تتقيد بالموافقة على المشروع (مشروع لجنة بيل) بمعنى من المعاني ، ولا سيما انها لم تقبل اقتراح اللجنة الخاص بالنقل الاجباري للعرب من المناطق اليهودية الى المناطق العربية اذا اضطر الامر الى ذلك » . ولذا فان الحكومة رأت تعيين لجنة فنية تكون مهمتها « ان تأخذ في الاعتبار مشروع التقسيم المبين في القسم الثالث من تقرير اللجنة الملكية ، ولكن تكون لها الحرية التامة في ادخال تعديلات على ذلك المشروع ، متضمنة تغيير المناطق الموصى بابقائها تحت الانتداب البريطاني ، وان تأخذ في الاعتبار كل ما تشير به الطوائف في فلسطين وشرق الاردن » . وعلى اللجنة كذلك ان « تشير بحدود المناطق العربية واليهودية المقترحة ، والمقاطعات التي يراد ابقاؤها ـ دائما او مؤقتا ـ تحت الانتداب البريطاني » ، وان تبحث « المسائل الاقتصادية والمالية » المتعلقة بالمشروع . وختم وزير المستعمرات خطابه بقوله انه « اذا ظهر لحكومة جلالة الملك بعد تحقيق اللجنة الفنية ، الذي لا بد ان يستغرق شهورا كثيرة ، ان في الامكان وضع مشروع تقسيم عادل وعلمي ، فانها تحيله حينئذ الى مجلس العصبة للنظر فيه . واذا وافق المجلس عليه ، فان ذلك يتطلب وقتا لوضع النظم الجديدة للحكومة الواقعة تحت الانتداب في المناطق المعينة ، وللقيام بمفاوضات المعاهدات ، بهدف انشاء دول مستقلة . وقد يكون من اللازم ، على ضوء تقرير اللجنة لحكومة جلالة الملك ، ان تعنى عناية خاصة باعادة النظر في اقتراح لجنة الانتدابات الدائمة ، وهو ان تدار شئون المنطقتين العربية واليهودية ، مؤقتا تحت نظام الكانتونات ، او تحت انتدابات منفصلة ، وظاهر من هذا ان كل عمل يعمل في المستقبل القريب يكون تجريبيا في طبيعته [410] » .

اتفق الكتاب الابيض البريطاني ، رقم 5634 ، مع قرار مجلس عصبة الامم الصادر في 16 سبتمبر 1937 ، وكذلك مع قرار المؤتمر الصهيوني

---

410 ـ Report 1938, pp. 40 - 2. (Cmd. 3634)

العشرين ، الذي انعقد في اغسطس 1937 ، من حيث قبوله التقسيم كحل لمشكلة فلسطين ، ولكنه في نفس الوقت رفض المشروع الذي طرحته لجنة بيل . ويفتح الكتاب الابيض ولاول مرة ، الباب لشرق الاردن لتبدي رغباتها بشأن تقسيم فلسطين ، وهو امر يشير الى اهتمام بريطانيا بالمحافظة على مصالحها الاستعمارية قبل اي شيء آخر . كذلك يتضح من الكتاب نفسه ان الحكومة البريطانية مع اقتناعها بالتقسيم كحل ، الا انها ترغب ان يمتد تحقيق اللجنة الفنية « شهورا كثيرة » ، حتى تستطيع القضاء على الثورة العربية في فلسطين اولا ، ولتتمكن ثانيا من تحديد علاقاتها من الخطر النازي الفاشي الذي بدأ يهدد كل اوروبا . ومما يذكر في هذا الصدد ان جريدة المقطم علقت على الكتاب الابيض بقولها « وهذا الكتاب الابيض هو البياض الوحيد في مأساة فلسطين الحالكة ، وان يكن بياضه محصورا في غلافه دون ما في جوفه[411] » .

اصدرت اللجنة العربية العليا بيانا في 11 يناير 1938 ، ردت فيه على الكتاب الابيض ، واكدت ان « الشعب العربي لا يطلب ابدال مشروع للتقسيم بمشروع اخر ، وانما يطلب الغاء فكرة التقسيم من اساسها الغاء نهائيا . وقد صمم على الثبات في مقاومة التقسيم مهما كانت صوره ومشاريعه ، حتى النهاية » ، وان « الشعب العربي لم يعد يثق بسياسة اللجان ، وهو لا يطمئن الى هذه اللجنة الجديدة بوجه خاص ، لان عملها قائم على اساس التقسيم ، الذي اعلن بشكل قاطع رفضه اياه وسخطه عليه » . واعاد البيان ذكر المطالب العربية المقدمة في مذكرة اللجنة المؤرخة في 23 يوليو 1937 والمرفوعة الى وزارة المستعمرات ، وان « العرب على استعداد لمفاوضة الحكومة البريطانية مفاوضة تقوم على اسس مقبولة للاتفاق على الشروط التي تحتفظ بها المصالح البريطانية المعقولة ، والاتفاق على الضمانات الضرورية للمحافظة على جميع الاماكن

---

411 ـ المقطم 1938/1/6

المقدسة . وتأمين حقوق زيارتها ، وحماية جميع الحقوق المشروعة للسكان اليهود او غيرهم من الاقليات في فلسطين[412] » .

لم ترد الحكومة البريطانية على بيان اللجنة العربية العليا ، بل استمرت تعلن تأييدها لفكرة التقسيم . ففي 9 فبراير 1938 ، ادلى وزير المستعمرات ببيان قال فيه « اعلنت حكومة صاحب الجلالة في يوليو الماضي انها توصلت الى نتيجة مؤ داها ان مشروعا يقوم على الخطوط العامة التي اوصت بها لجنة فلسطين الملكية ، يمثل احسن حل لمأساة تلك البلاد . ولا زالت الحكومة متقيدة بهذه السياسة ، وهي في سبيل تعيين لجنة فنية لتقوم بوضع مشروع محدد ، كما نص عليه قرار هذا المجلس الصادر في 21 يوليو (1937)»، ثم اكد ان « الحكومة البريطانية ترغب في تنفيذ مشروع التقسيم بصدق[413] . وفي مساء اليوم نفسه اعلن اورمسبي غور ان « حكومة صاحب الجلالة تعتبر سياسة التقسيم كأحسن وسيلة ، في الظروف القائمة ، لتنفيذ الوعد بتأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين ، وان استمرار اعمال العنف في فلسطين لن يثني عزم حكومة صاحب الجلالة عن تقديم مشروع محدد طبقا للقرار الذي اتخذه مجلس العموم[414] » . وفي 16 فبراير 1938 اعلن اورمسبي غور ان « اللجنة المقترحة ستقدم تقريرها بحيث يشمل الحدود والاوضاع الاقتصادية والمالية للدول المقترحة » ، واكد « عزم الحكومة على تنفيذ مشروع التقسيم[415] » .

وفي 28 فبراير 1938 ، حدد اورمسبي غور ، وزير المستعمرات ، اعضاء اللجنة وهم: السير جون وودهيد Sir John Woodhead رئيسا، والسير اليسون راسل A . Russel ، والمستر ووترفيلد Waterfield اعضاء ، يتولى السكرتارية المستر لوك Luke، وقال ان « تعيين عضو رابع لا يزال محل

412 ـ الشباب ـ 87 - 1938/1/19، وثائق المقاومة ص 604 - 609.

413 ـ P.D. vol. 331, cols. 1034 - 5

414 ـ op. cit., col. 1074

415 ـ Ibid, cols. 1967 - 8

دراسة » ، واضاف « وقد حددت الحكومة اختصاصات اللجنة في الكتاب الابيض رقم 5634 ، وستبدأ اللجنة عملها في انجلترا منذ اواسط مارس ، وبعد شهر تغادر الى فلسطين[416] » . وفي 30 مارس 1938 ، اضيف المستر توماس ريد Thomas Reid كعضو رابع الى اللجنة[417] .

اعلن اورمسبي غور في 8 مارس 1938 ان « اللجنة الفنية غير مؤلفة من خبراء عسكريين ، وليست مسئولة عن الوضع الاستراتيجي ، ولكنها ستأخذ برأي الخبراء العسكريين فيما يظهر من مشاكل[418] » . ومع ذلك وافق مجلس العموم في اليوم نفسه على ارسال اللجنة بأغلبية 186 صوتا ضد 131 صوتا[419] . وفي 23 مارس 1938 اكد اورمسبي غور ان « اللجنة تعرف تماما اهمية انجاز عملها بالسرعة المطلوبة[420] » . ورفض وزير المستعمرات في 13 ابريل 1938 ، مشروعا معدلا للتقسيم اطلق عليه مشروع مالكولم Malcom Scheme ، وقال « وصلتني بعض المقترحات الخاصة بتعديل بعض ملامح مشروع تقسيم فلسطين الوارد في القسم الثالث من تقرير اللجنة الملكية . وانتظارا لتقرير اللجنة الفنية ، فان المسألة كلها يجب ان ينظر اليها كأمر لم يفصل فيه بعد . وانه ليس من المستحسن ، كما انه لا يخدم اي هدف نافع ، بحث اية اقتراحات موضوعة[421] » . واعلن في نفس اليوم ان « السياسة البريطانية قائمة على اساس ما ورد في الكتاب الابيض الصادر في يوليو 1937[422] » ، اي مشروع التقسيم .

---

416 - P.D. vol. 332, cols 739 - 40

417 - P.D. vol. 333, col. 2000

418 - P.D. vol. 332, col 1747

419 - op. cit., col 1856

420 - P.D. vol 333, col. 1191

421 - P.D. vol. 334, cols. 1110 - 11

422 - op. cit., col 1145

اتفاق البحر المتوسط ـ 16 ابريل 1938

ولم تغادر اللجنة الفنية لندن الى القدس الا في 12 ابريل 1938 [423] ، ذلك ان المباحثات كانت تجري بين الحكومة البريطانية وبين الحكومة الايطالية ، منذ مارس 1938 ، حول وقف حالة التوتر القائمة بينهما في البحر المتوسط .

لقد كان على بريطانيا ان تعيد النظر في موقفها في البحر المتوسط بعد احتلال ايطاليا للحبشة (سقطت اديس ابابا في يد الطليان في 6 مايو 1936) ، وتوتر العلاقات بينها وبين ايطاليا . ونتيجة لذلك عقدت انجلترا معاهدة اغسطس 1936 مع مصر ، وسعت بنشاط فائق لاجهاض الثورة الفلسطينية لعام 1936 . ولا ريب ، من ناحية اخرى ، ان وجود ايطاليا في الحبشة ، قد ادى الى تعلقها بقناة السويس لانها الطريق الاقصر الى مستعمراتها في شرق افريقيا ، كما ان وجودها في ليبيا ، غربي مصر ، قد زاد في حرج موقف انجلترا . ولذلك عمدت انجلترا منذ اواخر عام 1937 الى تحويل فلسطين الى قاعدة عسكرية ، كما اخذت تزيد قواتها في قبرص .

على انه امكن التغلب على توتر العلاقات بين البلدين ، بعقد اتفاق (البحر المتوسط) في 16 ابريل 1938 بينهما . وقد تضمن الاتفاق المذكور تأييد التصريح الانجلو ـ ايطالي الصادر في 2 يناير 1937 بشأن (البحر المتوسط) ، وكذلك (الحالة القائمة) في غربي البحر . كما اتفق الطرفان على تبادل المعلومات الخاصة بالحركات الادارية الكبيرة المستقبلة ، وتوزيع قواتهما المسلحة في مستعمراتهما في البحر المتوسط او الواقعة على سواحله ، وعلى ان تبلغ كلا منهما الاخرى مقدما كل قرار خاص بانشاء قواعد بحرية وجوية في البحر المتوسط والبحر الاحمر والممرات الموصلة بينهما [424] .

ومما لا شك فيه ان المباحثات بين البلدين تناولت المشكلة

---

423 ـ P.M.C. 34th S. p. 28

424 ـ انظر المقطم 1938/4/18

الفلسطينية ، خاصة مسألة اقامة دولة يهودية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط . ذلك ان المستر بتلر Butler ، وكيل الخارجية البريطانية ادلى في 25 مايو 1938 بالتصريح التالي تعليقا على اتفاق البحر المتوسط ، فقال « ان قبول الحكومة الايطالية بوجهة النظر الواردة في (اتفاق البحر المتوسط) لا يحول دون انهاء او تغيير الانتداب ، شريطة ان يتم ذلك الانهاء او التغيير بالوسائل الدستورية ، ولا يتضمن ان اجراء خاصا قد اتفق عليه او تم بحثه . ان فاعلية المادة 22 من عهد عصبة الامم ، والمادة 27 من الانتداب لفلسطين ، هو ان تحول دون انهاء او تعديل الانتداب بدون موافقة مسبقة من مجلس العصبة . وتنوي حكومة صاحب الجلالة ان تستشير العصبة في اية مقترحات قد تتخذ لانهاء او تعديل الانتداب القائم[425] » .

تقرير لجنة وودهيد

وصلت اللجنة الى القدس في 27 ابريل 1938 [426] ، ونشرت بلاغا اعلنت فيه ان « الاشخاص الذين يودون الحضور امامنا ، يملكون مطلق الحرية في اداء شهاداتهم بصورة علنية او سرية ، او الادلاء ببعضها بصورة سرية وبالبعض الآخر بصورة علنية[427] » . على انها لم تتسلم في الواقع الا طلبين اثنين ، اعرب فيهما مقدماهما عن رغبتهما في اداء الشهادة بصورة علنية . وعقدت 55 جلسة لسماع الشهادات ، منهما اثنتان فقط علنيتان ، اما باقي الجلسات فكانت سرية . وزارت شرق الاردن لمدة تسعة ايام ، ولم يتقدم لها اي عربي في فلسطين لاداء الشهادة[428] ، ذلك ان اللجنة العربية العليا ، كانت قد اصدرت منذ منتصف مارس 1938 ، بيانا قالت فيه : « بما ان هذه اللجنة الفنية هي لجنة تقسيم ، وبما ان مفاوضتها لا تكون الا لقبول فكرة التقسيم ، وهذه الفكرة لا يمكن ان يقبلها اي عربي ، فمن اجل ذلك

---

425 ـ P D. vol 336, cols 1187 - 8

426 ـ Report 1938, p. 26

427 ـ الوثائق الرئيسية ص 244

428 ـ Report 1938, p. 26

ترى اللجنة العربية العليا ان عمل اللجنة الفنية المذكورة مضر بالوطن العربي والحياة العربية ، وهي لهذا تقرر مقاطعتها وعدم الاتصال بها ، وتدعو كل عربي في فلسطين وخارجها الى ذلك[429] » .

اضربت معظم المدن العربية التي زارتها اللجنة ، وتعترف المصادر البريطانية الرسمية بقيام اضرابات في « القدس وحيفا وست مدن اخرى احتجاجا على وصول لجنة التقسيم الى فلسطين[430] » . وانتهز حزب الدفاع احجام الشعب عن مقابلة اللجنة ، فأرسل مذكرة مؤرخة في 9 مايو 1938 ، الى رئيس اللجنة ، اشار فيها الى ان الحزب « لا يمكنه ان يتقدم بأي بيانات او مذكرات او افادات مما يتعلق بمشروع التقسيم[431] » . ولما نشرت جريدة (هاتسوفيه) العبرية الصادرة في تل ابيب في 17 يونيه 1938 ان « راغب النشاشيبي وبعض زملائه سيتقدمون امام اللجنة الفنية لاعطاء شهاداتهم في جلسة سرية قبل قيام اللجنة من فلسطين بأسبوع او اسبوعين » ، سارع مغنم الياس مغنم ، سكرتير الحزب ، باصدار بيان تكذيب ، محذرا ابناء الشعب « من الوقوع في حبائل المفترين ، واختلاقات الجرائد العبرية والدساسين من اعداء البلاد ، الذين لا يفتأون يسعون لشق صفوف الامة[432] » .

واستمرت الحكومة البريطانية ، ابان قيام اللجنة بالتحقيق ، في التأكيد على قبولها بمبدأ التقسيم واقتناعها به . ففي 22 يونيه 1938 ، اكد المستر مالكولم مكدونالد، وزير المستعمرات، ان السياسة البريطانية لا زالت قائمة على مبدأ التقسيم[433] . وفي 13 يوليو 1938صرح وزير

---

429 ـ المقطم 1938/3/21، الرابطة العربية ـ 1938/3/23، الفتح ـ 594 - 22 محرم 1357هـ .

430 ـ P.D. vol. 335, col. 1568 P.M.C. 34 th S p. 31

431 ـ المقطم 1938/5/11، الرمان ـ 216 - 1938/5/15

432ـ الصراط المستقيم ـ 992 - 1938/6/21.

433 ـ P.D. vol. 337, col. 1055

المستعمرات بأن « التقسيم لا زال يمثل احسن حل للمشكلة الفلسطينية » ، وان « الحكومة قد اعربت عن وجهة نظرها بأن سياسة التقسيم تقدم اسلم وسيلة لحل المعضلة[434] » . ورفضت الحكومة البريطانية مشروع الامير عبد الله الذي قدمه الى اللجنة[435] ، برز وزير المستعمرات في 13 يوليو 1938 ذلك بقوله ان « المشروع لا يقدم اساسا للتفاهم والاتفاق بين العرب واليهود[436] » .

غادرت اللجنة فلسطين في 3 اغسطس 1938 ، عن طريق حيفا وتريستا ، واستأنفت عقد جلساتها في لندن في الخامس عشر من الشهر نفسه . وفي 9 نوفمبر 1938 ، نشرت الحكومة البريطانية تقرير لجنة ودهيد[437] ، مرفقا ببيان حول سياسة الحكومة المقبلة بالنسبة لفلسطين .

درست لجنة ودهيد مشروع اللجنة الملكية (وقد اسمته المشروع أ) ، فرأت ان تخطيط حدود الدولتين فيه يراعي (توزيع السكان والاعتبارات العسكرية والاقتصادية) ، فعدلته (مشروع ب) ، ثم عدلت التعديل (مشروع ج) ، وكانت في كل مرة تدخل تعديلات اساسية على المشروع فتقلبه قلبا . وفي ختام تقريرها ذكرت ان « مسألة كون التقسيم قابلا للتطبيق تنطوي على اعتبارات عملية وسياسية ، فالاعتبارات العملية تتعلق بصورة خاصة بالمالية والاقتصاد . والصعوبات الادارية كبيرة ، ولكن اذا توفرت الارادة لايجاد حل ، لا يمكن ان يقال انها لا تذلل . غير ان الصعوبات المالية والاقتصادية هي من نوع لا نستطيع معه ان نجد ، ضمن نطاق شروط اختصاصنا ، حلا ممكنا لتذليلها . ولكن بدلا من ان نقر بعجزنا عن استنباط اي مشروع عملي ، اقترحنا شكلا معدلا للتقسيم على وجه يبدو،

---

434 ـ P D. vol. 338, col. 1300

435 ـ انظر كامل محمود حله : المصدر السابق ص 408 - 410.

436 ـ P.D. vol. 338, col. 1300

437 ـ انظر ملخصا لمشروعات اللجنة الثلاثة في Report 1938, pp. 42 - 8

لنا ، على الرغم من حرمانه الدولتين العربية واليهودية من الاستقلال في ادارة شئونهما المالية ، انه يصلح ـ بعد مراعاة بعض التحفظات ـ لان يكون اساسا للتسوية ، اذا كانت حكومة جلالته مستعدة لتحمل ما ينطوي عليه من التبعة المالية الكبرى[438] » .

اعترفت الحكومة البريطانية في بيانها السياسي الصادر في 9 نوفمبر 1938[439] ، بان تحقيق لجنة وودهيد « قد اظهر ان الصعاب السياسية والادارية والمالية التي ينطوي عليها الاقتراح القائل بانشاء دولة عربية مستقلة ، واخرى يهودية مستقلة ، هي عظيمة لدرجة يكون معها هذا الحل للمعضلة غير عملي ، ولذلك فان حكومة جلالته ستواصل الاضطلاع بمسئولياتها في حكم فلسطين بأجمعها » . ثم اعربت الحكومة عن رغبتها في ان « توجه الدعوة في الحال الى ممثلين عن عرب فلسطين والدول المجاورة من الجهة الواحدة ، وعن الوكالة اليهودية من الجهة الاخرى ، للتداول معهم في اقرب فرصة ممكنة ، في مدينة لندن ، حول السياسة المقبلة ، بما فيها مسألة الهجرة الى فلسطين . اما فيما يتعلق بتمثيل عرب فلسطين في هذه المباحثات ، فان حكومة جلالته يجب ان تحتفظ لنفسها بحق رفض قبول الزعماء الذين تعتبرهم مسئولين عن حملة الاغتيال والعنف » ، وانه اذا لم تسفر مباحثات لندن عن الوصول الى اتفاق خلال مدة معقولة من الزمن ، فان حكومة جلالته تتخذ قرارها الخاص على ضوء درسها للمعضلة ومباحثات لندن ، ثم تعلن السياسة التي تنوي اتباعها» .

الوضع الدولي في خريف 1938

هكذا تخلت بريطانيا نهائيا عن مشروع التقسيم ، ولم يكن ذلك فقط لاقتناعها باستحالة تنفيذه ، بل نتيجة لما طرأ على الوضع الدولي من تغيير في خريف 1938 . فقد عقد مؤتمر ميونيخ في 29 سبتمبر 1938 ، بين هتلر

---

438 ـ الوثائق الرئيسية ص 262.

439 ـ Report 1938, pp. 48 - 50 والوثائق الرئيسية ص 264 - 266

وموسوليني وتشمبرلين ، رئيس الوزارة البريطانية ، ودلادييه Daladier رئيس الوزارة الفرنسية ، وتم في هذا المؤتمر « الحكم بالاعدام على تشكوسلوفاكيا [440] » ذلك ان المؤتمر اتفق على ان يبدأ الجيش الالماني زحفه على تشكوسلوفاكيا في اول اكتوبر 1938 ، ليتم احتلال منطقة السوديت Sudeten في 10 منه ، ولتضم بعد ذلك الى المانيا . وتعهدت بريطانيا وفرنسا بالمشاركة في (ضمان دولي) لحدود تشكوسلوفاكيا الجديدة . كذلك فان « المطالب الايطالية الخاصة بتونس وكورسيكا ونيس ، قد اسفرت عن توتر العلاقات الفرنسية الايطالية ، وضغطت على اذهان البريطانيين بارتباك حول الاهمية العسكرية والاستراتيجية للحوض الشرقي للبحر المتوسط [441] » .

لقد مكنت (اتفاقية ميونيخ) الحكومة البريطانية من ان تجمع وترسل « قوات اضافية الى فلسطين ، واستطاعت القوات البريطانية ان تتخذ موقف الهجوم ضد الثوار ، وتسلبهم الاراضي التي كانوا يعملون عليها بحرية ، وكانت نتيجة ذلك ان ضعفت شوكة الثوار ، وتحررت كثير من المدن من سيطرتهم [442] » . ولم يكن غريبا بعد كل ذلك ان يعلق بن غوريون في رسالة مؤرخة في 12 اكتوبر 1938 على (اتفاقية ميونيخ) بانها قد « هدمت معاهدة فرساي من القواعد ، ولم يبق من اطلال هذه المعاهدة الدولية غير الانتداب البريطاني [443] » .

موقف العرب واليهود من البيان البريطاني الصادر في 9 نوفمبر 1938

اصدرت اللجنة العربية العليا بيانا في 15 نوفمبر 1938 ، ردا على تقرير لجنة وودهيد وبيان الحكومة البريطانية قالت فيه ان الشعب العربي

---

440 - History of Soviet Foreign Policy, p 351

441 - Great Britain and Palestine, p. 110

442 - Furlonge, op. cit , p 116

443 - مقتطفات من الرسالة في المقطم 1938/11/9

« يقابل بارتياح عدول بريطانيا عن سياسة تقسيم فلسطين » ، وانه يبدي ارتياحه الى « اخذ الحكومة البريطانية بخطة المفاوضة ، واقتناعها بان قضية فلسطين يجب ان تحل سياسية لا حربيا ، والى اشتراك الاقطار العربية في المفاوضة لحل قضيته التي طال عليها الامد ، ويعتبر ذلك اقرارا بالحقيقة الثابتة من ان قضية فلسطين هي قضية عربية عامة » . واكد البيان ان الشعب العربي « لا يوافق على اعتبار اليهود طرفا في قضيته ، ولا يدخل واياهم في مفاوضة على مصيره » ، كما انه اولى « ثقته الغالية » للجنة العربية العليا « للدفاع عن حقه والعمل على تحقيق ميثاقه ، وانه لا يوجد في فلسطين اية هيئة اخرى او افراد ، يستطيعون ان يدعوا تمثيل الشعب العربي في هذا الموقف (444) » .

انتهز فخري النشاشيبي فرصة اصدار الحكومة البريطانية بيانها السياسي ، وبعث برسالة مؤرخة في 14 نوفمبر 1938 ، الى المندوب السامي ، وافق فيها على الخطة البريطانية بحذافيرها ، وادعى انه يتكلم باسم (الزعماء المتغيبين) ، الذين « يمثلون 75% من مصالح البلاد » ، والذين يزيد اتباعهم « كثيرا عن نصف عرب فلسطين » . وقال ان الزعماء المتغيبين) « يبنون دائما سياستهم على اساس التعاون الوثيق مع حكومة جلالته لحسم المشكلة الفلسطينية على الوجه الذي يضمن السلام الدائم للبلاد ، والعلاقات الوثيقة الحسنة مع حكومة جلالته » ، وان « اقل ضعف يبدو من قبل الحكومة في تنفيذ خطتها بشأن تمثيل عرب فلسطين في المؤتمر ، يستقبله الزعماء المخلصون لبلادهم ومبادئهم باشد الالم والاسف (445) » . غير ان راغب النشاشيبي ، الذي كان يقيم في مصر ، سارع باصدار بيان مضاد لبيان فخري ، وقال ان « حزب الدفاع يتقبل كل خير تناله البلاد عن يد اي شخص واي حزب ، لانه يضع قبل كل شيء نصب عينيه

---

444 ـ وثائق المقاومة ص 620 - 625.

445 ـ الرسالة في المقطم 1938/11/25، انظر Report 1938, p. 30

الغايات الوطنية السامية ، وله الثقة التامة بتحمل الاحزاب العربية الاضطلاع بمهام المفاوضات مع الحكومة البريطانية لايصال البلاد الى حقوقها القومية والسياسية [446] » . وفي تقرير مؤرخ في 19 نوفمبر 1938 ، كتب المندوب السامي الى وزير المستعمرات يقول « اظن انه اكثر من مرجح ، ان يكون فخري قد كتب رسالته مدفوعا من السياسيين اليهود المحليين [447] » .

اما اليهود فقد رحبوا برفض الحكومة البريطانية لفكرة التقسيم ، وركزوا اهتمامهم على المؤتمر المزمع عقده في لندن ، وعبرت عن ذلك جريدة (حقيقة الامر) اليهودية بقولها « اننا لسنا من البساطة والسذاجة الى درجة نجهل معها المصاعب والعقبات الجمة التي تعترض عقد مؤتمر كهذا . غير اننا نعتقد بوجوب انتهاز كل فرصة سانحة لاجراء بحث مشترك متبادل ، على اساس دعائم حسن النية والرغبة في التفاهم ، فيما اذا كانت توجد طريقة عملية لازالة التنافر المصطنع بين الامتين الشقيقتين في فلسطين [448] » . ومع ذلك اعتبرت القيادة الصهيونية اشتراك الدول العربية في المؤتمر سابقة غير مرغوب فيها ، واعلنت عن رغبتها في ان « تشترك الولايات المتحدة في المؤتمر بصورة فعالة [449] » .

المفتي وتمثيل فلسطين في مؤتمر لندن

اعلن وزير المستعمرات البريطاني في 22 نوفمبر 1938 ، امام مجلس العموم ، انه « تسهيلا لدعوة الوفود العربية من فلسطين نفسها ، فان حكومة صاحب الجلالة قررت منح كافة التسهيلات للعرب الذين سينتخبون للقدوم الى لندن لتمثيل فلسطين ، وان تلك التسهيلات ستمنح ايضا للعرب المبعدين حاليا عن فلسطين [450] » . وفي اليوم التالي القى الوزير بيانا

---

446 ـ الفتح ـ 629 - 2 شوال 1357هـ (1938/7/24).
447 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 350.
448 ـ حقيقة الامر ـ مج 2 ع 31 - 1938/11/16.
449 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 349
450 ـ Report 1938, p 30

حول سياسة الحكومة البريطانية بشأن فلسطين ، واوضح ان حل المشكلة الفلسطينية لا يجب ان يلقى على عاتق الحكومة البريطانية وحدها ، « بل ينبغي ايضا ان يلقى على الفريقين الآخرين ذوي الشأن في هذه المسألة ، اي العرب واليهود ، فعلى كل منهما ان يساهم في هذا السبيل ، وعلى كل منهما ان يبدي شيئا من التسامح نحو الآخر [451] » .

ووزع حكام الالوية في فلسطين على رؤ ساء البلديات ووجوه المدن والقرى ، (استمارة استفتاء) ورد فيها ما يلي : « كلفت من قبل الحكومة ان اسألكم رأيكم فيمن ترغبون ان يمثل البلاد في المؤتمر الذي سيعقد في لندن لبحث قضية فلسطين ، ربما ترغبون في تسمية سماحة المفتي الاكبر ، فهذا شأنكم ، لكن الحكومة ترغب في تسمية اشخاص آخرين يمثلون جميع الفرق ، وارجو ان آخذ منكم جوابا بعد التشاور مع جميع ذوي الشأن في المدينة والقضاء » . وجرت في البلاد اتصالات واسعة ، اتفق في نهايتها على التمسك « بسماحة الرئيس الجليل (اي المفتي) ليرأس الوفد العربي الفلسطيني في المفاوضة ، اذ في ذلك ضمان نجاحها [452] » . وبدأت دار الحكومة في القدس تتلقى مئات البرقيات تأييدا للمفتي ، وكتب المندوب السامي في 29 نوفمبر 1938 ، الى وزير المستعمرات يقول انه تلقى اكثر من 180 برقية يعرب مرسلوها عن الثقة بالمفتي واللجنة العربية العليا ، وان « كثيراً منها يحمل اسماء عدد كبير من الموقعين . وقد جاءت هذه البرقيات من مختلف انحاء فلسطين ، وهي تضم تواقيع اشخاص ينتمون الى مختلف فئات الشعب ، بدءا برؤ ساء البلديات ورجال الدين مسيحيين ومسلمين ، وانتهاء بأصحاب المتاجر والحوانيت [453] » . حتى الشيخ اسعد الشقيري ، المعروف بعدائه للمفتي ، والشيخ عبدالله الجزار ، مفتي عكا ،

---

451 ـ op. cit., pp. 50 - 5

452 ـ انظر الرمان ـ 389 - 1938/12/6

453 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 350

ارسلا برقية مشتركة الى المندوب السامي ، يؤكدان فيها ان المفتي واللجنة العربية العليا هم « الممثلون لفلسطين تمثيلا حقيقيا [454] » . واذا كان حزب الدفاع ، ومفكره فخري النشاشيبي ، قد حاول بالاشتراك مع السلطات البريطانية ، عقد مؤتمر (يطة) في 18 ديسمبر 1938 لضرب زعامة المفتي ، فان اهالي (يطة) انفسهم قد نشروا بيان استنكار لعمل فخري ، واعترفوا بزعامة المفتي « سيد فلسطين ، وصحبه [455] » .

اضطرت الحكومة البريطانية ، نتيجة للضغط الشعبي ، ان تعلن في 7 ديسمبر 1938 ، نبأ اطلاق سراح معتقلي سيشل ، بشرط عدم العودة الى فلسطين [456] ووصل هؤلاء الى القاهرة في اول يناير 1939 ، واعلنت الحكومة البريطانية انه لا مانع لديها من ان تجري مشاورات بين اولئك الزعماء والمفتي ، قبل ان تعلن اسماء الوفد العربي الفلسطيني المزمع ارساله الى لندن . وهكذا توجه الزعماءالعائدون برفقة جمال الحسيني الى بيروت ، للتشاور مع المفتي ، بحيث لا يتم الوصول الى اي اتفاق في لندن لا يقترن بموافقته [457] .

مؤتمر بيروت (12 ـ 15 يناير 1939)

عقدت اللجنة العربيةالعليا ، يوم وصول اعضائها القادمين من مصر وسيشل وسوريا الى بيروت ، في 12 يناير 1939 ، اجتماعات استغرقت اربعة ايام ، في مقر المفتي في قرية (الزوق) . واسفرت تلك الاجتماعات عن « قبول الدعوة الى مؤتمر لندن مبدئيا ، على امل ان تكون الحكومة البريطانية حسنة النية في هذه المرة ، عازمة عزما صادقا على ايجاد حل نهائي لقضية فلسطين ، يكفل السلام ويعيد الطمأنينة الى البلاد المقدسة ،

---

454 ـ الشباب ـ 127 - 1938/12/21

455 ـ المقطم 1939/1/2

456 ـ Report 1938, p. 30

457 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 352

بالموافقة على مطالب العرب في (ميثاقهم القومي) ، الذي هو ادنى حد لحفظ مطالبهم » ، كما تقرر ان « يتقيد الوفد بالميثاق القومي كحد ادنى للمطالب ، وان لا يتساهل فيه قط ، وان تتحمل اللجنة العربية العليا وحدها مهمة المفاوضات المقبلة مع من تختارهم » .

تم تشكيل وفد المفاوضة من : المفتي ، احمد حلمي ، جمال الحسيني ، عوني عبد الهادي ، الدكتور حسين الخالدي ، عزة دروزة ، الفرد روك ، عبد اللطيف صلاح ، يعقوب الغصين وفؤاد سابا ، وتقرر ان ينضم الى الوفد كل من موسى العلمي ، امين التميمي وجورج انطونيوس ، على ان « يكون الجميع هيئة واحدة في درس الابحاث والمقترحات . اما في جلسات المباحثات مع الحكومة البريطانية ، فينوب عن الوفد المذكور السادة : جمال الحسيني ، عوني عبد الهادي ، الدكتور حسين الخالدي ، الفرد روك ، موسى العلمي ، امين التميمي ، وجورج انطونيوس . وقد تقرر ان يكون الاخير سكرتيرا للوفد ، كما عهد الى السيد فؤاد سابا بان يكون مساعدا للسكرتير » .

وقررت اللجنة ان تحتفظ برئاسة الوفد للمفتي ، « غير انه نظرا لاعتذاره في الوقت الحاضر عن الذهاب الى لندن ، ترك له حق انتداب نائب له ، وقد انتدب للرياسة بالنيابة عنه ، بناء على ذلك ، الاستاذ جمال الحسيني » . واعتذر احمد حلمي وعزة دروزة عن الاشتراك في الوفد « لاسباب خاصة » . وبعد انتهاء الاجتماعات في 15 يناير 1939 ، غادر « اكثر الاعضاء الموجودين في لبنان الى مصر ، للاشتراك في الاجتماع الذي يعقده في القاهرة ، مندوبو الحكومات العربية للاتفاق على خطة مشتركة [458] » ، بدعوة من محمد محمود رئيس الوزارة المصرية .

---

458 ـ انظر بيان اللجنة العربية العليا في الشباب ـ 132 - 1939/1/25 ، الفتح ـ 638 - 6ذو الحجة 1357هـ (1939/1/26).

مؤتمر القاهرة (17 ـ 21 يناير 1939)

عقد ممثلو الدول العربية المشتركة في مؤتمر لندن [459] ، ثلاث جلسات (الثلاثاء 17 يناير ، والخميس 19 يناير ، السبت 21 يناير 1939) في القاهرة ، على شكل مؤتمر برياسة محمد محمود ، في محاولة لاتخاذ موقف موحد في مؤتمر لندن . وقد اعترضت الحكومة البريطانية على الطريقة التي اتبعت في تمثيل عرب فلسطين في (مؤتمر القاهرة) ، وابلغت محمد محمود ان حزب الدفاع لم يمثل ، وانها كانت حريصة على تمثيل جميع عرب فلسطين في المؤتمر ، فهي تلفت النظر الى هذا الامر ، وتدعو الى النظر فيه بعين الاعتبار . وقد اتفق المجتمعون على ان يسافر نوري السعيد وجمال الحسيني وفؤاد حمزة الى بيروت لمقابلة المفتي وبحث المسألة معه . وبالفعل غادروا القاهرة صباح 22 يناير ، وعادوا مساء 23 منه . وقد وافق المفتي على ان يمثل حزب الدفاع وفد مكون من الحاج نمر النابلسي ويعقوب فراج ، دون اشتراك راغب النشاشيبي فيه [460] ، غير ان الحكومة البريطانية اصدرت في 9 فبراير 1939 ، بلاغا اعلنت فيه موافقة الوفد الفلسطيني على قبول عضوية راغب النشاشيبي [461] .

اتفق (مؤتمر القاهرة) على انشاء حكومة عربية في فلسطين ، يمثل فيها اليهود بنسبتهم العددية ، وعقد معاهدة بين انجلترا وفلسطين على غرار المعاهدة العراقية ، واعطاء اليهود ضمانات دستورية ينص عليها في صلب الدستور الفلسطيني الجديد ، فيمنحون استقلالا بلديا داخليا واسع النطاق في المناطق التي يؤلفون فيها اكثرية ، ويكون التعليم بلغتهم والموظفون

---

459 ـ مصر . محمد محمود، عبد الفتاح يحيى. العراق : نوري السعيد، عبد القادر الكيلاني، السعودية : الامير فيصل، الامير خالد، فؤاد حمزة، الشيخ ابراهيم السليمان. اليمن . الامير سيف الاسلام الحسين، القاضي علي العمري، القاضي محمد عبد الله الشامي شرق الاردن : فؤاد الخطيب، عبد الله النمر. فلسطين . عوني عبد الهادي، حسين الخالدي، امين التميمي، يعقوب الغصين، فؤاد سابا، جمال الحسيني، والفرد روك. انظر الرابطة العربية 135-1939/1/25.

460 ـ الرابطة العربية ـ 136 - 1939/2/6

461 ـ الشباب ـ 134 - 1939/2/15، الاهرام 1939/2/10.

المحليون منهم ، ويكون لهم الاستقلال المطلق في شئونهم واحوالهم الشخصية . كما اتفق على منع الهجرة اليهودية والغاء فكرة الوطن القومي (462)

ووصلت الوفود العربية الى لندن في 28 يناير 1939 ، على انه قبل افتتاح المؤتمر في السابع من فبراير 1939 ، كانت الحالة في فلسطين قد بدأت تشير الى تجدد الاضطرابات .

الفظائع البريطانية

كانت حملة الجنرال (هايننج) قد اسفرت عن انتقال الثوار من الجبال والقرى الى المدن ، التي تحول القتال فيها الى حرب شوارع ، مصحوبا بفظائع وحشية قام بها الجيش البريطاني ، حتى ان عارف عبد الرازق وجه كتابا الى الجنرال هايننج ، قال فيه «ان عملكم هذا لجريمة ، ولكن ما ذنب الاطفال والنساء والشيوخ ، ذنبهم انهم عرب . ولكن هلا سمعتم ما ارتكبه جنودكم ضد الابرياء؟ الا تعلم ان جنودكم سرقوا حلى النساء كما حدث في يافا ونابلس ، وانهم قتلوا الاطفال (463) » . كما وجه انذارا الى جميع البريطانيين المقيمين في فلسطين قال فيه ان « اعمال القتل التي يرتكبها الجيش البريطاني ضد السكان العرب سوف لا نمكنه من الاستمرار عليها بدون جواب ، وعليه فان الجزاء سيقع على رؤوس جميع البريطانيين الساكنين في فلسطين ، سواء أكانوا من الموظفين او من المدنيين (464) » . واصدر (ابو الفاروق) قائد منطقة القدس ، بيانا حول الفظائع البريطانية في المدينة ، ورد فيه - على سبيل المثال - ان احد الجنود البريطانيين « صوب بندقيته على نافذة بيت الشهيد عارف كمال ، داخل باب العامود ، وهو يتلو القرآن فقتل . . . واطلق الجند الرصاص من بنادقهم

---

462 ـ انطر عزة دروزة المصدر السابق ح3 ص 240 - 241

463 ـ الشباب ـ 123 - 1938/11/16.

464 ـ الزمان ـ 371 - 1938/11/12، الشباب ـ 123 - 1938/11/16

على السكان الآمنين فقتلوا عشرين شخصا من الرجال والنساء والاطفال ، بينهم امرأة حبلى هي عقيلة السيد حافظ نسيبه ، وفتح الجند والبوليس الانجليزي جميع المخازن الاسلامية دون سواها ، وسرقوا منها النقود والسجاير وعلب الحلوى . . . واتلفوا ما بقي فيها من البضائع [465] » .

وفي اواخر ديسمبر 1938 ، كان عدد من زعماء الثوار البارزين قد اجتمعوا في دمشق لبحث الخطط القادمة ، ونيل قسط من الراحة ، وتهيئة المؤ ن والذخائر . وعادوا الى فلسطين في يناير 1939 ، وتمكنوا من تكثيف غاراتهم على الموظفين البريطانيين وعلى اليهود وممتلكاتهم ، كما بدأوا بجباية الضرائب من المدن . وعندئذ فرضت قيود شديدة على وسائل النقل والمواصلات العربية ، واضرب سكان القدس في يناير 1939 ، احتجاجا على اقامة مركز بوليس داخل الحرم الشريف ، وكثرت احتجاجات العرب على وحشية القوات البريطانية وشراستها . وعكفت مكاتب الدعاية الفلسطينية في كل من دمشق ولندن (المركز العربي) [466] على توزيع الكتب والمنشورات والصور الفوتوغرافية حول هذه الفظائع [467] . وبلغ الامر حدا ان طلب محامو حيفا ، ببرقية مؤ رخة في 12 فبراير 1939 ، الى الملك فاروق التوسط لدى الحكومة البريطانية لتخفيف احكام الاعدام الصادرة بحق سبعة من المواطنين العرب بحيفا [468] .

في هذا الجو الارهابي في فلسطين ، افتتح مؤتمر لندن في اليوم السابع من فبراير عام 1939 .

مؤتمر لندن (فبراير ـ مارس 1939)

افتتح المستر تشمبرلين المؤتمر مرتين في يوم 7 فبراير 1939 ، المرة

---

465 ـ الشباب ـ 123 - 1938/11/16

466 ـ انظر كيفية تأسيس هذا المركز في 2 - Frances Newton, op cit., pp. 281

467 ـ عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 353

468 ـ الشباب ـ 134 - 1939/2/15.

الاولى في الصباح بين الانجليز والعرب ، والمرة الثانية في المساء بن الانجليز واليهود . وفي 9 فبراير ، عرض جمال الحسيني مطالب العرب التي تضمنت الاعتراف بحقهم « في الاستقلال التام في بلادهم ، وانهاء تجربة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، والغاء الانتداب وجميع ما قد ترتب عليه من اجراءات غير مشروعة ، واستبداله بمعاهدة شبيهة بالمعاهدة المعقودة فيما بين بريطانيا والعراق ، ووقف الهجرة اليهودية وبيع الاراضي في فلسطين وقفا باتا وسريعا [469] » .

اما وايزمن فقد وضع نفسه في خدمة الشخصيات البريطانية ، داخل المؤتمر وخارجه . وكان على صلة دائمة برئيس الوزراء (تشمبرلين) ، ولوردها ليفاكس وزير الخارجية ، ومالكولم مكدونالد وزير المستعمرات ، وكذلك ونستون تشرشل . وكان رأي وايزمن ان البريطانيين في المؤتمر قرروا اتباع سياسة الاسترضاء مع العرب ، كما اتبعوها مع هتلر [470] .

لم يتقدم الجانب البريطاني حتى 20 فبراير 1939 باية مقترحات ، سواء للعرب او لليهود . فقد كانت الاجراءات التي اتبعت تتلخص في ان يعرض الجانب البريطاني آراء معينة ، وفي بعض الاحيان آراء متباينة ، لتحقيق اغراض مختلفة ، ولمعرفة هل يمكن الوصول الى الاتفاق . وليس معنى هذا ان الحكومة البريطانية كانت تحبذ حتما مثل هذه المقترحات او الآراء ، وانما غرضها تسهيل سير المحادثات ، وابراز آراء الفريقين بشأن كل حل محتمل يمكن دراسته في النهاية ، على امل اظهار بعض الآراء الانشائية التي يمكن الارتكان عليها . وتنفيذا لهذه السياسة ، عقد اجتماع بين العرب وبين اليهود في 23 فبراير 1939 ، حضره مالكولم مكدونالد وعلي ماهر وفؤاد حمزة وتوفيق السويدي ، كما حضره كل من وايزمن وبن غوريون [471] . وقد اشار وايزمن الى ان تلك الاجتماعات ساعدت « على

---

469 ـ الوثائق الرئيسية ص 284، الاهرام 1939/2/10.

470 ـ Weizmann, op. cit., p 494

471 ـ الاهرام E.F. vol. II, pp. 895 - 6, 1939/2/24

ايجاد نوع من العلاقة [472] » ، بين العرب واليهود .

وفي 24 فبراير 1939 ، قدم مكدونالد مقترحات الوفد البريطاني ، التي انطوت على اعلان الحكومة البريطانية عن عزمها « على الغاء الانتداب في الوقت المناسب ، وان يقوم مقام هذا النظام دولة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا العظمى بمعاهدة » . وتدعو الحكومة الى « مؤتمر مائدة مستديرة ، للاجتماع في لندن في اخريات العام ، يوكل اليه وضع تفاصيل الدستور لدولة فلسطينية مستقلة ، وشروط معاهدة تعقد بين هذه الدولة وبين بريطانيا العظمى » . وبالنسبة للهجرة اليهودية اقترح « ان تحدد ـ بالاتفاق ان امكن ـ النسبة التي لا يجوز ان يتجاوزها عدد اليهود في آخر السنوات الخمس » ، اما بالنسبة للاراضي فقد قال مكدونالد ان « حكومة جلالته ترى ان الوقت قد حان لتقييد بيع الاراضي لليهود ، وذلك لمصلحة الزراع العرب ، وهو يقترح تخويل المندوب السامي السلطة لتحريم او تقييد بيع الاراضي في فلسطين [473] » .

قبل جمال الحسيني ، في اول مارس 1939 ، بالمبدأ الاول من مقترحات الحكومة البريطانية الخاص بالغاء الانتداب وقيام دولة فلسطينية ، واعترض على باقي المبادىء . وكان الصهيونيون اسرع في الرد ، ففي 27 فبراير 1939 ، اصدر الوفد الصهيوني بيانا اعلن فيه ان المقترحات البريطانية « لا تتفق وتعهدات الحكومة البريطانية للشعب اليهودي الواردة في تصريح بلفور ، والتي اكدتها الحكومات البريطانية المتعاقبة ، وصادقت عليها عصبة الامم والولايات المتحدة الامريكية [474] » .

بدأت تتضح امكانية فشل المؤتمر ، اذا لم تبادر الحكومة البريطانية الى الاتصال بالمفتي ، في محاولة لنيل موافقته على المشروع البريطاني .

---

472 ـ Weizmann, op. cit., p. 502

473 ـ الوثائق الرئيسية ص 295 - 297، الاهرام 1939/2/25, E.F. vol II, p 898

474 ـ Survey of International Affairs, 1939, vol. I, p. 456

فارسلت امين عثمان من القاهرة ، في يوم الجمعة ـ 3 مارس 1939 ـ الى بيروت لمقابلة المفتي [475] . وعقد امين عثمان مع المفتي ثلاث جلسات ، كان المفتي خلالها « راغب في نجاح المؤتمر [476] » . واكدت مجلة (الفتح) ، الوثيقة الصلة بالمفتي ، ان محادثات امين عثمان مع المفتي دارت « حول النقاط التي يمكن الاتفاق عليها والباقي يؤجل لامكان البحث ، حسب تصريح فبراير 1922 [477] » . اما الوفد الصهيوني فقد استعمل كل اساليب الضغط لدخول الولايات المتحدة كطرف رابع ، لفرض ما يريده الصهيونيون على الحكومة البريطانية .

ولم تستطع الحكومة البريطانية التوفيق بين وجهتي النظر العربية والصهيونية ، فعرضت مقترحاتها النهائية على الوفدين في 15 مارس 1939 . وتضمنت تلك المقترحات « اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، قد تكون ذات صبغة اتحادية ، مرتبطة مع بريطانيا العظمى بمعاهدة ، تكفل للبلدين مصالحهما التجارية والحربية ، وهذا يستدعي انتهاء الانتداب » . ويشترك العرب واليهود في حكومة فلسطين على نحو « يكفل لكل منهما مصالحه الجوهرية » . واشترطت الحكومة البريطانية ان « تقتنع بصلاح احكام الدستور » للدولة الفلسطينية ، فيما يتعلق بسلامة الاماكن المقدسة وحماية الطوائف المختلفة . كما اشترطت ان « تسبق اقامة دولة مستقلة في فلسطين ، فترة انتقال ، تحتفظ حكومة جلالته في اثنائها ـ باعتبارها الدولة المنتدبة ـ بالمسئولية عن حكومة فلسطين » . ولا يتسنى للحكومة البريطانية « تحديد وقت لطول فترة الانتقال ، ومتى تنتهي ، ومتى تقوم الدولة المستقلة . على ان حكومة جلالته ترجو ان يتسنى الفراغ من هذه المراحل كلها في عشر سنوات » . اما بالنسبة للهجرة اليهودية فانه « يمكن السماح

---

475 ـ آخر ساعة ـ 244 - 1939/3/5، الاهرام 1939/3/4

476 ـ آخر ساعة ـ 245 - 1939/3/12.

477 ـ الفتح ـ 644 - 18 محرم 1358 هـ (1939/3/9)

لخمسة وسبعين الف مهاجر بالدخول في خلال السنوات الخمس التالية » ، كما اكدت على منع الهجرة غير المشروعة . واعلنت الحكومة البريطانية انها ستخول « المندوب السامي السلطات العامة لمنع بيع الاراضي ، وتنظيمه »[478] .

الحت الوفود العربية المشتركة في المؤتمر ، على الوفد العربي الفلسطيني بقبول المقترحات البريطانية ، لكنها لم تنجح في ذلك . وفي 16 مارس 1939 ، اجتمع علي ماهر وفؤاد حمزة وتوفيق السويدي ، باسم حكوماتهم ، بالوفد البريطاني ، وابلغوه رسميا رفض العرب للمقترحات البريطانية ، « ما لم يعلن الغاء الانتداب بعد مدة قصيرة معينة ، وقيام دولة فلسطينية مستقلة في ادارة جميع شئونها » ، دون تعليق رضاء اليهود عليها ، ثم اعلنوا ان مهمتهم في لندن قد انتهت[479] . وانفض المؤتمر في 17 مارس 1939 ، وصرح جورج انطونيوس بان « السبب المباشر الذي ادى الى فشل المؤتمر هو مسألة التغييرات الدستورية التي يراد القيام بها فيما يتعلق بانشاء دولة مستقلة في فلسطين » . وأضاف بان « الوفد العربي الفلسطيني قبل مبدأ فترة الانتقال . . . ولكنه اشترط تحديد هذه الفترة . ولكن الحكومة الانجليزية ابت ذلك ، وقالت ان نهاية هذه المدة تتقرر عندما تنجح التجربة التي ترمي الى ايجاد تعاون تام بين العرب واليهود . والوفد العربي الفلسطيني لا يرى صواب هذا الرأي ، لانه يعطي اليهود الفرصة لاقامة العراقيل في طريق فترة الانتقال بشكل يؤخر انشاء الدولة المستقلة . وقد فشل المؤتمر لهذا السبب،من دون الدخول في بحث الاقتراحات البريطانية الخاصة بالهجرة او بيع الاراضي او التغييرات الدستورية[480] » .

اما وايزمن ، فقد ارسل في 17 مارس 1939 ، رسالة الى مالكولم

---

478 ـ الوثائق الرئيسية ص 300 - 302.
479 ـ الاهرام 1939/3/17
480 ـ الاهرام 1939/3/19.

مكدونالد ، وزيرالمستعمرات ، جاء فيها ان« الوفد اليهودي ، بعد ان درس بامعان زائد المقترحات التي قدمت له من قبل حكومة جلالته بتاريخ 15 مارس 1939 ، يؤسفه ان لا يكون في استطاعته قبولها كقاعدة للاتفاق ، ولهذا قرر الانفضاض (481) » .

ابتدأت في فلسطين منذ 18 مارس 1939 ، موجة من الاضطرابات العنيفة ، اجتاحت المدن العربية في الشمال اولا ، ثم انتقلت الى مدن الجنوب (482) . واصدر الوفد العربي الفلسطيني في اليوم نفسه ، بيانا حول فشل مؤتمر لندن ، ختمه بقوله ان « الوفد العربي الفلسطيني يقدر المساعي التي تبذلها حكومة جلالة الملك للوصول الى تسوية ، وهو واثق بان الحكومة البريطانية تقدر من ناحيتها ما اعرب عنه الوفد العربي الفلسطيني - في جلسة افتتاح المؤتمر - من استعداده للمفاوضة ، مفاوضة متسمة بروح المسالمة في الشروط والاحوال التي تضمن ضمانا معقولا المصالح البريطانية ، والمحافظة على حق الوصول الى الاماكن المقدسة ، وحماية الحقوق الشرعية للاقلية اليهودية وسائر الاقليات . وهو يغتنم هذه الفرصة ليعيد انه يرغب في ان يتفق مع حكومة جلالة الملك في كل مشروع من شأنه ان يضع حدا ، في اقرب وقت ، للاحوال المضطربة التي ما فتئت تقلق فلسطين نتيجة للسياسة المتبعة حتى الآن ، القائمة على انكار الاستقلال وغمر البلاد بالمهاجرين ، والاخفاق في حماية الزراع العرب من (جوع الارض) الناشىء من شراء اليهود لها (483) » . كما اصدرت (القيادة العامة للثورة العربية في فلسطين) بيانا وجهته الى « الشعب العربي الابي » ، جاء فيه « ان كرامتكم في لندن قد ثلت ، فاثأروا لها ، وان حقكم قد اغتصب فاستردوه ، وذلك بتأييد ثورتكم ومظاهرة مجاهديكم . امدوا الثورة بالرجال وغذوها بالمال ، ولينفر شباب الامة الى التطوع فيها ، واغنياؤ ها الى البذل

---

481 ـ بن غوريون : المصدر السابق ص 580.

482 ـ انظر الاهرام 1939/3/19، 1939/3/21، 1939/3/22، 1939/3/23.

483 ـ المقطم 1939/3/21.

لاذكائها . فالثورة المقدسة هي التي تحقق استقلالكم ، وترفع بين الامم رايتكم ، وتعلي في التاريخ اسمكم[484] » .

ومع كل ذلك ، فان الحكومة البريطانية لم تعدل عن سياستها المعلنة في 15 مارس 1939 ، لان الوضع الدولي بين مارس ومايو 1939 ، كان يهدد بخطر عظيم .

الوضع الدولي (مارس ـ مايو 1939)

في اليوم الذي قدمت فيه الحكومة البريطانية مقترحاتها الى الوفود العربية في مؤتمر لندن ، اي في 15 مارس 1939 ، قامت القوات النازية بغزو تشكوسلوفاكيا ، خلافا لما تم عليه الاتفاق في مؤتمر ميونيخ في 29 سبتمبر 1938 . وكان فقدان تشكوسلوفاكيا كحليف عسكري في حرب قادمة ، وانتصار فرانكو على الجمهوريين في اسبانيا ، في اوائل عام 1939 ، قد اضعف من موقف بريطانيا السياسي واستراتيجيتها العسكرية . فسارعت في 31 مارس 1939 الى اعلان (ضمان) استقلال بولندة . وردت ايطاليا على ذلك بقيامها بغزو البانيا واحتلالها في 7 ابريل 1939 ، فاكملت بريطانيا عملية « الضمانات » بالاستقلال . ففي 13 ابريل 1939 ، اعلنت ضمانها لاستقلال كل من اليونان ورومانيا . وفي 12 مايو 1939 ، اعلنت ضمانها لاستقلال تركيا .

نتيجة لهذه الاوضاع الجديدة ، ولفشل مؤتمر لندن في التوصل الى حل بشأن القضية الفلسطينية ، ونتيجة لفشل المباحثات العربية البريطانية اليهودية التي جرت في القاهرة في مارس وابريل 1939 ، اعلنت بريطانيا سياستها في كتاب ابيض اصدرته في 17 مايو 1939 .

الكتاب الابيض (17 مايو 1939)

اعلنت الحكومة البريطانية انه « ليس من سياستها ان تصبح فلسطين

---

484 ـ الزمان ـ 487 - 1939/4/4.

دولة يهودية » ، وانها في الوقت ذاته « لا تستطيع انّ توافق على ان مراسلات مكماهون تشكل اساسا عادلا للادعاء بوجوب تحويل فلسطين الى دولة عربية مستقلة » . ولذا فان « الهدف الذي ترمي اليه حكومة جلالته هو ان تشكل ـ خلال عشر سنوات ـ حكومة فلسطينية مستقلة ، ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة ، تضمن للبلدين مصالحهما التجارية والحربية في المستقبل ضمانا مرضيا . وهذا الاقتراح بتشكيل دولة مستقلة من شأنه ان ينطوي على التشاور مع مجلس عصبة الامم بقصد انهاء الانتداب » . كذلك فان الدولة المستقلة « يجب ان تكون دولة يساهم العرب واليهود في حكومتها ، على وجه يضمن صيانة المصالح الاساسية لكل من الفريقين » . واشترطت الحكومة البريطانية ان يكون « تشكيل الدولة المستقلة مسبوقا بفترة انتقال ، تحتفظ حكومة جلالته خلالها بمسئولية حكم البلاد . وفي اثناء فترة الانتقال يعطى اهل فلسطين نصيبا متزايدا في حكومة بلادهم . وستتاح لكلا فريقي السكان فرصة للاشتراك في ادارة الحكومة ، وسيبدأ تنفيذ هذه العملية سواء اغتنم كلا الفريقين هذه الفرصة ام لا ». وقررت الحكومة البريطانية السماح بدخول 75 الف مهاجر يهودي خلال السنوات الخمس القادمة ، اعتبارا من اول ابريل 1939 . اما بشأن الاراضي فان الحكومة ستمنح « المندوب السامي سلطات عامة تخوله منع وتنظيم انتقال الاراضي . وسيبدأ العمل بهذه السلطات من تاريخ نشر هذا البيان ، ويحتفظ المندوب السامي بها طيلة فترة الانتقال [485] » .

استقبل الصهيونيون الكتاب الابيض بالرفض التام ، وقامت مظاهرات يهودية معادية لانجلترا ، في القدس وتل ابيب وحيفا في 20 مايو 1939 ، مما اضطر الحكومة الى زيادة قوات الجيش والبوليس في المدن ، والى فرض رقابة على الصحف [486] . واصدرت الوكالة اليهودية بيانا جاء فيه ان

---

485 ـ الوثائق الرئيسية ص 310 - 322.

486 ـ P.M.C. 36th S. p. 63

« ابطال اليهود الذين اعطوا دليلا ساطعا على قوتهم وصلابتهم في تأسيس الوطن القومي اليهودي ، يعرفون كيف يدافعون عن الهجرة اليهودية والوطن القومي اليهودي والحرية اليهودية[487] » . وقال عنه مناحم بيجن « كان هذا آخر كتاب ابيض وضع لهدم آمال الشعب اليهودي فيما يتعلق بفلسطين[488] » .

علق (المكتب العربي) على الكتاب الابيض لعام 1939 فقال « هو حل وسط ، ومحاولة جديدة لتعيين نقطة التوازن بين الفريقين (يقصد العرب واليهود) ، وليس فيه خروج على السياسة البريطانية التي سبقته ، بل انه مسعى جديد لحل المشكلة القديمة ذاتها ، مشكلة تحديد الالتزامين ، على وجه يجمع بينهما دون تنافر او تناقض[489] » . وانتهز حزب الدفاع فرصة اصدار الكتاب ، فعقد في فندق الملك داوود بالقدس في 29 مايو 1939 ، اجتماعا حضره نحو 1400 شخص ، ايدوا فيه سياسة الحكومة البريطانية[490] ، وكان ذلك بتحريض من الامير عبدالله ، الذي ايد ايضا سياسة الحكومة البريطانية الواردة في الكتاب الابيض لعام 1939 . اما الموقف في داخل اللجنة العربية العليا ، فقد عرضه احمد الشقيري كما يلي : « لم يكن الكتاب الابيض محققا لمطالبنا القومية بكاملها ، بل لم يكن يخلو من فجوات وسقطات ، ولكنه كان (خطوة) على الطريق . وكانت جميع الدول العربية ، برسلها وسفرائها في بيروت تلح على اللجنة اللجنة العربية العليا بقبول الكتاب الابيض كحل مرحلي ، يضع زمام الامور بايدينا ، ان لم يكن كله . فقد كانت (الحكومة الفلسطينية) المقترحة ثلثاها من العرب ، وثلثها من اليهود . ولقد انقسمت اللجنة العربية العليا حول الكتاب الابيض . فريق وهو الاكثرية ، يرى ان نقبل الكتاب الابيض ونعمل

---

487 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 96 - 97.

488 ـ Menachem Begin, op. cit., p. 33

489 ـ المكتب العربي : مشكلة فلسطين ص 62.

490 ـ انظر المصري ـ 922 - 1939/5/30.

على تحقيقه ، حتى تصير بايدينا مقاليد الامور في بلادنا . وفريق آخر ، وهو الاقلية وعلى رأسه الحاج امين ، يرى ان يرفضه لانه لا يحقق مطالبنا القومية . وقد اعدت دراسة وافية عن الكتاب الابيض ، ما له وما عليه ، رجحت (اي الدراسة) فيها بالنهاية قبول الكتاب الابيض . وفي ختام الاجتماعات اشتدت معارضة الحاج امين للكتاب الابيض . وكان معروفا يومئذ في الاوساط الرسمية ، ان الحكومة البريطانية مستعدة ان تتعاون في تنفيذ الكتاب الابيض مع جمال الحسيني لا مع الحاج امين ، بوصفه (مسئولا عن الارهاب والثورة) . ولكن الحاج امين قد ضعف في تلك الفترة امام نوازعه الشخصية ، فازداد عداء للكتاب الابيض ولانصار الكتاب الابيض . وبات يشير الى ان المجاهدين لا يوافقون على الكتاب الابيض . ولكن اكثرية اللجنة العربية العليا : جمال الحسيني واحمد حلمي وعوني عبد الهادي وحسين الخالدي وغيرهم قد رضخوا امام (رفض المجاهدين) ، كما عبر عنه الحاج امين . وفي 29 مايو 1939 اعلنت اللجنة العربية العليا قرارها (بالاجماع) برفض الكتاب الابيض . وسكتت الدول العربية تاركة للحاج امين ان يتحمل مسئوليته التاريخية[491] » . ومما يجدر ذكره ان اللجنة العربيةالعليا نشرت في 30 مايو 1939 ردا مطولا على الكتاب الابيض لعام 1939 ، فندت فيه جميع المبادىء الواردة في الكتاب ، وختمته بهذه العبارة « ان الامم الحية لا يكون القول الفصل في حياتها ومستقبلها ، والقرار الاخير في مصير اوطانها وذراريها ، للكتب البيض او السود ، انما القول الفصل والقرار لارادة الامة نفسها . وقد اعلنت الامة العربية ارادتها ، وقالت كلمتها ، داوية وجازمة ، وستصل الى ما تريد بعون الله . ستستقل فلسطين ضمن الوحدة العربية ، وستبقى عربية الى الابد[492] » . وبالرغم من ذلك كله ، اكد اميل الغوري ـ الوثيق الصلة بالمفتي ـ ان اعضاء اللجنة العربية العليا اخذوا « يعترفون بالكتاب الابيض ، واحدا بعد واحد ،

491 ـ احمد الشقيري . اربعون عاما ص 190 - 191.

492 ـ الزمان ـ 535 - 1939/6/6.

ويطالبون بتنفيذه[493] » .

لم يختلف الكتاب الابيض لعام 1939 عن تصريح 28 فبراير 1922 ، من حيث ان الحكومة البريطانية لم تطلب موافقة اي فريق عليه ، بالاضافة الى وجود تحفظات خاصة . واذا كانت ظروف عام 1939 ، هي التي دفعت الى اصدار ذلك الكتاب ، فانها ، من ناحية اخرى ، كانت تهدف ـ باصدار ذلك الكتاب ـ الى ضرب الثورة ، التي اخذت تستعيد ، الى حد ما ، نشاطها وحيويتها وفعاليتها منذ اوائل عام 1939 .

وقف الثورة

لا شك ان عدم وجود قيادة عسكرية واحدة ، وقيادة سياسية واعية ومباشرة ، والارهاق من القتال ، والضغط العسكري البريطاني المتواصل ، وتغير موقف فرنسا من الثورة ، والامل في ان تتحقق بعض جوانب الكتاب الابيض لعام 1939 ، بالاضافة الى معاناة العجز في الاسلحة والذخائر ، كل ذلك قد اسهم في عرقلة استمرار الثورة[494] . يضاف الى ذلك عمل (الثورة المضادة) في داخل البلاد ، واستشهاد عبد الرحيم الحاج محمد ، وهو من اخلص قادة الثورة ، في يوم الاثنين 27 مارس 1939[495] ، وانسحاب عارف عبد الرازق ـ احد قادة الثورة ـ بصورة فجائية ، ووصوله الى بغداد في 23 مايو 1939 ، برفقة سعيد الناشف والحاج محمد المسلم[496] ، واعتقال يوسف ابو درة ـ احد قادة الثورة ايضا ـ في شرق الاردن في 24 يوليو 1939 ، وتسليمه الى السلطات البريطانية ، قد ساعد ايضا على وقف الثورة .

وجه ابو ابراهيم الكبير ، احد قادة الثورة ، تهمة وقف الثورة الى

---

493 ـ اميل العوري المصدر السابق ص 112.

494 ـ انظر عبد الوهاب الكيالي المصدر السابق ص 359.

495 ـ المقطم 1939/3/31، الفتح ـ 648 - 16 صفر 1358هـ .

496 ـ الزمان ـ 524 - 1939/5/24.

اللجنة العربية العليا ، والى معتمدها في دمشق عزة دروزة ، فقال « وذات يوم طلبنا من الاستاذ عزة دروزة المساعدةالمقررة ، فابلغنا ان هناك قرارا بوقفها . فذهبت انا شخصيا لمقابلة المفتي (في قرية الذوق بضواحي بيروت) ، فحدثني عن المضايقات التي يلاقيها من الفرنسيين ، واخبرني انه حصل على جواز سفر ، وانه ينوي السفر الى بغداد ، ولقد صحبني معه الى هناك (وصل الاثنان الى بغداد في 13 اكتوبر 1939) ، مع انني لم اكن موافقا على ايقاف الثورة [497] » . ويؤكد اميل الغوري ان العرب « ضحوا تضحية عظيمة بوقفهم للثورة . فقد كان في مقدور الفلسطينيين الاستمرار فيها ، وعرقلة مجهود بريطانيا الحربي ، وخلق المصاعب امامها في الاقطار العربية والاسلامية . . . كما كان في امكانهم القيام باعمال وجهود اخرى من شأنها ان تكره الحكومة البريطانية على تعديل سياستها في فلسطين [498] » .

ومهما يكن من امر ، فان احداث الحرب العالمية الثانية ، التي اندلعت في سبتمبر 1939 ، وتحويل فلسطين الى قاعدة عسكرية بريطانية ، والدعوة الى الوقوف بجانب الحلفاء ، وبدء حملة التطوع في الجيش البريطاني ، كان ذلك قد طغى ـ الى حد كبير ـ على اخبار الثورة ، التي أخذت تخبو شيئا فشيئا ، حتى تلاشت نهائيا . ودخلت البلاد في طور جديد ، اختلفت في كثير من سماته ، عن الفترة ما بين الحربين العالميتين .

---

497 ـ الثورة الفلسطينية ـ ع19 - 1969/9/15 ـ ص 29.
498 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 102.

الفصل العاشر

السياسة البريطانية وقضيتا الارض والهجرة اليهودية

أولا: قضية الأرض

يتميز الغزو الصهيوني لفلسطين، منذ اواخر القرن التاسع عشر، الذي توافق مع موجة المد الأستعماري، بالتركيز على الأستيلاء على الأرض. وتشير المصادر اليهودية الى انه تم انشاء 44 مستوطنة يهودية بين عامي 1882 و1918، بلغت مساحة اراضيها 344,971 دونما[1] ، اونحو 400 الف دونم كما تذكر (اسكو فاونديشن)[2]. اما المصادر البريطانية، فتذكر ان مساحة الأراضي اليهودية حتى عام 1918، قد بلغت 650 الف دونم[3]. ويؤكد مصدر بريطاني آخر ان الأراضي اليهودية بلغت 594 الف دونم حتى عام 1922[4]، ويبدو من كل هذا صعوبة التحقق من الأرقام الخاصة بالأرض في فلسطين. هذا بالأضافة الى ان اكثر المصادر العربية اعتمدت، عند بحث قضية الأرض، على المصادر الصهيونية او البريطانية.

رافق الغزو الصهيوني انشاء مؤسسات خاصة بعمليات شراء الأراضي وتمويلها. ففي عام 1901، وافق المؤتمر الصهيوني على تأسيس الكيرن كاييمت (الصندوق الدائم)، لشراء الأراضي في فلسطين « كملك لا تنتهك حرمته

---

1 ـ Zionist Organization of America: op. cit , pp. 213 - 25

2 ـ E.F. vol. I, p. 52

3 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 316.

4 ـ Survey of Palestine, vol I, p. 272

للشعب اليهودي »، وسجل كشركة بريطانية في عام 1907 [5] . وفي عام 1920، اسس الكيرن هايسود (الصندوق التأسيسي)، الذي اصبح اكبر جهاز مالي للعمل الصهيوني في فلسطين، وسجل كشركة بريطانية في مارس 1921 [6] . ولم تكتف الحركة الصهيونية بذلك، بل اجبرت المستوطنات اليهودية على عدم استخدام اي عامل عربي في الأرض اليهودية، لانه لا يجوز « تنفيذ عودة صهيون واستيطان البلاد بالعمل الأجنبي » . وكان هذا المبدأ ظاهرة واضحة بين مهاجري الموجة الثانية (1904 ـ 1914)، التي كان معظمها عمال من روسيا، وافرزت الرعيل الأول من قادة الحركة الصهيونية في فلسطين، من امثال دافيد بن غوريون، واسحق بن زفي، وموشي شرتوك وغيرهم .

ملكية الأرض في فلسطين

عرفت فلسطين شكلين من الملكية: اولهما الملكية الكبيرة (شبه الأقطاعية)، وثانيهما الملكية الصغيرة (مفروزة، اوضمن المشاع وفرزت بعد عمليات المسح والتسوية). ويتقاسم الملكية الكبيرة: الملاكون الكبار، والشركات الصهيونية، والأوقاف الأسلامية، والكنائس.

1) كانت هناك قلة من الملاكين الكبار تملك اراض واسعة جدا . ففي عام 1924، كان 144 من الملاكين الكبار يملكون نحو 3,130,000 دونم، بمعدل 22 الف دونم للعائلة الواحدة. وكان في قضاء بئر السبع وغزة اكثر من 2 مليون دونم في ايدي 28 مالكا . وكان من بين هؤ لاء 11 شخصا يملك كل واحد منهم من 100 الف دونم، و7 ملاك يملك كل منهم ما بين 30ـ100 الف دونم . ويمكن معرفة عدد الملاكين الكبار والمساحات التي يملكونها في الأقضية الأخرى من الجدول التالي :

---

5 ـ E.F. vol. I, p. 340

6 ـ op. cit., pp. 338 - 9

القضاء	عدد الملاك	الملكية بالدونم
القدس والخليل	26	240,000
يافا	45	162,000
نابلس وطولكرم	5	121,000 [7]
جنين	6	114,000
حيفا	15	141,000
الناصرة	8	123,000
عكا	5	157,000
طبريا	6	73,000
المجموع	116	1,131,000

وكانت هناك اسر تملك قرى بكاملها، فأسرة عبد الهادي كانت تملك 17 قرية، وأسرة الجيوسي 24 قرية، واسرة البرغوثي 39 قرية [8]. وقدرت املاك عائلة عبد الهادي بنحو 60 الف دونم، وعائلة الحسيني بنحو 50 الف دونم، وعائلة التاجي الفاروقي (في الرملة) بنحو 50 الف دونم، كلها مزارع وحمضيات، وعائلة الشوا (في غزة) بنحو 100 الف دونم او اكثر. وهناك عائلات اخرى ذات املاك واسعة، كعائلة الغصين وابو خضرة والفاهوم والطبري والماضي وغيرهما. ومما يجدر ذكره ان كل هذه العائلات برزت في ميادن الحركة الوطنية، وسيطر بعضها على مقدراتها لعدد من السنين.

2) الشركات الصهيونية : وعلى رأسها الكيرن كاييمت والكيرن هايسود، التي مولتها الحركة الصهيونية العالمية.

---

7 ـ انظر تقرير اللجنة الصهيونية عن الارض في فلسطين لعام 1924 في الجزيرة ـ 26 - 1924/4/17.

8 ـ نبيل بدران : المصدر السابق ص 32.

3) الأوقاف الأسلامية : ليست هناك احصاءات دقيقة عن املاك الأوقاف ، لكن جون هوب سمبسون قدرها ، عام 1930 ، بنحو 100 الف دونم . « كانت اكثر من 100 قرية عربية تدفع العشر لادارة الأوقاف ، بينما كانت قرى اخرى تدفع بعض اعشارها . وبلغت حصيلة اموال الأوقاف نحو 30 الف جنيه في عام 1930 » . وكان المجلس الأسلامي الأعلى ، برياسة الحاج امين الحسيني ، هو الذي يشرف على هذه الأموال ، وكان للأوقاف ست مراكز في فلسطين في : القدس ، يافا ، عكا ، نابلس ، الخليل ، وغزة [9] .

4) املاك الكنائس المسيحية : اخذت املاك الكنائس في التوسع منذ العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، وكان التنافس الروسي ـ الفرنسي ـ الأنجليزي من عوامل ذلك التوسع . الا ان الكنيسة الأرثوذكسية ظلت الكنيسة الأولى من حيث سعة املاكها ، وذلك لوجود املاك قديمة تابعة لها ، ولكثرة ما قدم لها الروس من الدعم المادي . وقد كان للكنيسة الأرثوذكسية 631عقارا في عهد الأدارة العسكرية البريطانية ، مختلفة الأحجام ، معظمها داخل سور القدس ، ومنها محلات تجارية ، وفنادق ، كما كان لها ارض واسعة ثمينة في جوار المدينة ، واملاك في يافا وفي مدن اخرى ، ولها ارض زراعية اخصبها في (البريج) .

في مقابل ذلك كله ، كان نحو 29,4% من الفلاحين العرب ، عام 1930 ، لا يملكون ارضا ، بينما كان 77٪ من الفلاحين العرب في منطقة القدس ، و 63٪ منهم في منطقة نابلس عام 1931 ، يملكون اقل من 50 دونم للعائلة ، مع ان تقرير سمبسون اشار الى ان 130 دونما هو الحد الأدنى لمعيشة اية اسرة فلاحية . وهناك قرى اخرى متعددة ومتفرقة في انحاء فلسطين ، بلغ معدل ملكية الفرد الواحد فيها اربعة اعشار و 8,5 دونمات [10] . واسفر ذلك كله عن هجرة هؤلاء الفلاحين الى المدن ، ليشكلوا فئة من العمال غير المهرة ، او الأجراء ، او العاطلين .

---

9 ـ المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى : بيان المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى ـ بيت المقدس ، عن السنوات ,1942 ,1943 ,1944 القدس 1945، ص 4.

10 ـ انظر ناجي علوش : المصدر السابق ص 18 - 21.

الأدارة البريطانية والأرض

كان احد الأهداف الأساسية للبعثة الصهيونية، التي قدمت الى فلسطين في ابريل 1918، ان تسهل عملية شراء اليهود للأراضي في فلسطين. ولم تعترض الأدارة العسكرية البريطانية، في ذلك الوقت، على عمل البعثة، وتمت بالفعل عمليات بيع، لكنها لم تسجل الا في عام 1920. وفي اكتوبر من نفس العام، اصدر هربرت صمويل، (قانون انتقال الأراضي لسنة 1920)، الذي قضى بضرورة اخذ موافقة الحكومة على كل انتقال يجري في الأموال غير المنقولة « ومنع انتقال الأراضي لغير سكان فلسطين »، وفي ذلك تسهيل لعملية شراء اليهود للأراضي. واصدر في أول فبراير 1921 قانونا عدل به (قانون الأراضي العثماني). ونصت المادة الثانية منه على ان « كل من نقب ارضا مواتا اوزرعها دون ان يحصل على موافقة مدير الأراضي (كان في ذلك الوقت هو المستر ابرامسون)، لا يحق له ان يحصل على سند ملكية بشأن تلك الأرض، ويعرض نفسه فضلا عن ذلك للمحاكمة لتجاوزه على الأرض ». اما الفقرة الرابعة من المادة الرابعة فقد نصت على انه « اذا تنازل اصحاب حق الطابو عن حقوقهم فيها (اي في ارض) ولم تعلن ارضا عمومية . . . فتطرح للمزايدة وتحال الى المزايد الأخير، على ان يراعى في ذلك الثمن المحتفظ به من مدير دائرة الأراضي ». وبما ان البلاد كانت تعاني ارتباكا اقتصاديا، ولم يكن الملاكون العرب الكبار يقدمون على شراء هذه الأراضي، فقد تسربت بطبيعة الحال الى ايدي اليهود.

ولم يكتف هربرت صمويل بذلك، بل اصدر في الشهر التالي، مارس 1921، قرارا بتصفية البنك الزراعي العثماني [11]، الذي جمع رأسماله من اموال الفلاحين العرب. واسفرت عملية التصفية « عن تحصيل 64 الف جنيه، انفق منها نحو 44 الف جنيه تكاليف تصفية واجور مأمورين، وتبقى في خزينة الحكومة 20 الف جنيه مرصدة حتى عام 1937»[12].أما سبب التصفية فقد اشار اليه وكيل

---

11 ـ انظر بيان الحكومة في مرآة الشرق ـ 103 - 1921/6/1.

12 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 201، الشهادات السياسية ص 147 - 148.

وزارة المستعمرات في 2 ديسمبر 1929، وعزاه الى ان اعمال البنك « كانت مضطربة [13] » . اما الهدف الحقيقي للتصفية فهو التضييق على الفلاح العربي ، واخضاعه للبنوك اليهودية التي كانت تقدم قروضا بارباح فاحشة . فقد ذكر الدكتور ايدر Eder ـ رئيس الأدارة السياسية في المنظمة الصهيونية ـ امام لجنة هايكرافت التي حققت حوادث مايو 1921 ، ان قروض البنك الزراعي العثماني « لم تكن في مصلحة الصهيونيين [14] » .

تمت كل هذه الأجراءات قبل موافقة عصبة الأمم على صك الأنتداب البريطاني في 24 يوليو 1922 ، لكن الأمر لم يختلف بعد الموافقة على صك الأنتداب عما كان قبلها ذلك ان المادة السادسة منه اوجبت على ادارة فلسطين « مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الأهالي الأخرى . . . ان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية . . . حشد اليهود في الاراضي ، بما فيها الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العمومية » . ونصت المادة الحادية عشرة (من صك الأنتداب) بانه « على ادارة فلسطين ان تتخذ جميع ما يلزم من التدابير لصون مصالح الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد . . . وان توجد نظاما يلائم احتياجات البلاد ، مراعية في ذلك ، من ضمن الأمور الأخرى ، الرغبة في تشجيع حشد السكان في الاراضي ، وتكثيف الزراعة » . وطبقا لمبدأ (الألتزام المزدوج) الذي مارسته السياسة البريطانية في فلسطين ظاهريا ، اشتملت الفقرة 1 (أ) من المادة 17 من مرسوم دستور فلسطين المعدل لعام 1933 ، على انه « لا يجوز سن قانون . . . من شأنه ان يميز على اي وجه من الوجوه بين سكان فلسطين على اساس العنصر او الدين او اللغة » . وجعلت المادة الثانية من صك الأنتداب ، الدولة المنتدبة مسئولة عن « صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس او الدين » ، هذا في الوقت الذي نصت فيه المادة 15 على انه « يجب ان لا يكون ثمة تمييز مهما كان نوعه بين سكان

---

13 ـ P.D. vol. 232, col. 1928

14 ـ انظر الشهادات السياسية ـ شهادة جمال الحسيني ، ص 81.

فلسطين على اساس العنصر او الدين او اللغة ». فلو سلمنا جدلا بان المادة 15تشير فقط الى المسائل المتعلقة بالدين وحرية الأعتقاد والتعليم، « لصح القول بان المادة الثانية تمنع اصدار التشريعات التي من شأنها ان تميز بين الأشخاص الذين ينتمون على عناصر اوديانات مختلفة[15] » . لكن واقع الأمر لم يكن كذلك، فان المادة 17 فقرة 1 (ج) [16] من دستور فلسطين المعدل لعام 1923، لا تسمح للمندوب السامي بان يسن اي قانون يقضي بمنع بيع الأراضي لليهود، وهو ما كان يطالب به العرب طوال فترة الأنتداب البريطاني على فلسطين.

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، استخدم المندوبون الساميون مطلق صلاحياتهم في اصدار التشريعات الخاصة باجراءات نزع ملكية الأرض العربية بالذات دون اليهودية. فاستنادا على (قانون امتلاك الأراضي للجيش سنة 1920)، اصدر هربرت صمويل في اول يونية 1921. امرا بالأستيلاء على 3390 ذراعا مربعا من ارض تعرف « بكرم ابوحسين، كائنة بمدينة القدس [17] » . وفي اغسطس 1924، استولت الحكومة على 3313دونما من ارض قرية صرفند العربية[18] . ونشرت الحكومة (قانون نزع الملكية) المعدل في العدد166 من الوقائع الفلسطينية، في يوليو 1926، واصبح نافذ المفعول في اول اغسطس 1926، بحيث سمح للحكومة البريطانية بالأستيلاء على اية اراض لازمة للاستيطان اليهودي. ورفع اهالي غزة عريضةاحتجاج على القانون، الذي اعتبروه « مكيدة لاغتصاب املاك واراضي اهل البلاد، بعد ان اغتصب حقهم السياسي، وهومقدمة لتمليك الشركات اليهودية اراضي اصحاب البلاد، بعد ان

---

15 ـ انظر تقريري اللجنة الملكية ص 293 - 294.

16 ـ تنص الفقرة على ما يلي : « لا ينفذ اي قانون يكون مخالفا او مناقضا لاحكام صك الانتداب، ولا ينفذ قانون يتعلق بأمور ورد نص خاص بشأنها في احكام صك الانتداب، ما لم يكن مشروع ذلك القانون قد عرض على الوزير، وصادق عليه بتعديل او بدون ذلك ».

17 ـ مرآة الشرق ـ 103 - 1921/6/1.

18 ـ فلسطين ـ 45/703 - 1924/8/15.

عجزت عن شرائها من اربابها[19] ». ورفعت الناصرة مذكرة احتجاج اخرى، ذكرت فيها ان القانون لم يسن « الا ليكون سلاحا قاطعا بايدي اعداء البلاد وخصوم الأمة، ليتمكنوا من الأستيلاء على املاك الأهالي واغتصابها والتصرف بها باسم المشاريع العمومية، وما اكثر هذه لدى شعب يريد اعادة مجده المندرس، وقوميته المفقودة[20] ». ومع ذلك استمرت عملية نزع ملكية الكثير من الأراضي العربية بحجة (المشاريع العمومية) [21]. ولم تسلم اراضي الأوقاف الأسلامية من قوانين نزع الملكية[22].

قانون تسوية حقوق ملكية الأراضي (30 مايو 1928)

كان (نظام المشاع) السائد في كثير من القرى العربية، حائلا قويا دون شراء اليهود لبعض الاراضي فيها، خاصة في القرى الواقعة في المناطق الساحلية والسهلية. ولاجل القضاء على (نظام المشاع)، سنت الحكومة في 30 مايو 1928 قانون (تسوية حقوق ملكية الاراضي)، وانشأت ادارة خاصة لذلك كان يرأسها فردريك سولمون (وهو يهودي صهيوني).

لقد كان الهدف من عمليات تسوية الاراضي تنظيميا في الظاهر، حيث يحل به مشاكل ملكيات الاراضي ونزاعاتها، وتمهد لكل مالك ـ مهما كانت حصته ـ ان يحصل على خريطة وسند لحصته اوملكه. وكان مرد ذلك الى محاكم الاراضي، التي كانت القضايا تطول فيها كثيرا وقد لا تنتهي. وكانت هذه المشاكل والنزاعات من الثغرات المهمة في سبيل تحقيق مطامع اليهود في الاراضي العربية، فمهدت عمليات التسوية الطريق الى تحقيق المطامع اليهودية بمقياس واسع، حيث بدا انها تنحصر او تكاد، في منطقة معينة، وهي منطقة السهول الخصبة والاراضي المروية او القابلة للري، وهي المنطقة التي ظهر فيما

---

19 ـ فلسطين ـ 41/895 - 1926/7/30.

20 ـ الصراط المستقيم ـ 34 - 1926/8/4.

21 ـ انظر فلسطين ـ 71/925 - 1926/11/12، السياسة الاسبوعية 1928/2/25.

22 ـ انظر سعيد حمادة المصدر السابق ص 115.

بعد ان السياسة البريطانية ترمي الى تخصيصها للدولة اليهودية. وكانت تهدف الى استخلاص اكبر مساحة ضمن هذه المنطقة من ملاكيها العرب، بحجة انها معطلة، اولا تدخل ضمن سندات (كواشين) الملاك العرب، وتسجيلها باسم املاك الدولة، ثم تسهيل انتقالها لليهود فيما بعد ذلك.

ومما يستحق الذكر ان مأموري التسوية لم يأخذوا شبرا واحدا مما كان يملكه اليهود باسم املاك الدولة، مع ان منه ما كان بكواشين (سندات ملكية) عثمانية، مثل كواشين العرب، في اطلاقها واحتمالاتها. فكان (الكوشان) محل اعتراض وادعاء - في مدى شموله للاراضي التي يحدها - اذا كان مالك الارض وصاحب (الكوشان) عربيا. اما (الكوشان) الذي في يد اليهود، فكان يقبل به وبكل ما يدعيه اصحابه، ويعتبر شاملا لكل شبر من الارض المسماة.

وكان مأمورو التسوية، الذين يمارسون صلاحيات قضائية واسعة، ينتخبون من غير السلك القضائي. واغلب الذين كانوا يعينون في المناطق التي تتشابك فيها المصالح العربية والمصالح اليهودية، او يرمي اليهود الى استخلاصها من العرب، كانوا يعملون بانسجام تام مع المصالح اليهودية ومع وكلاء الشركات اليهودية، الذين كانوا يعمدون - في اثناء عمليات التسوية - الى شراء حصص من اصحاب الكواشين المتوفين او الوارثين بابخس الاثمان، ويتقدمون الى المأمورين، فيحكم لهم، في حين كان المأمورون يدققون اشد التدقيق مع العرب الذين يحاولون ما يحاوله اليهود، اوالذين لهم حقوق قديمة في الارض والكواشين، ويضعون امامهم مختلف العراقيل[23].

ويعطينا الجدول التالي صورة صادقة عن عمليات تسوية الاراضي في اواخر عامي 1935 و1938، والمناطق التي كان اليهود يركزون نشاطاتهم في شراء الاراضي فيها.

---

23 - عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 97 - 98.

المنطقة	عدد القرى التي تمت التسوية فيها عام 1935	عدد القرى التي تمت التسوية في عام 1938
منطقة تسوية يافا	42	45
منطقة تسوية الرحلة	46	54
منطقة تسوية غزة	36	49
منطقة تسوية حيفا	14	15
منطقة تسوية طولكرم	23	43
قضاء جنين	2	2
قضاء صفد	2	2
قضاء القدس	1	1
قضاء اريحا	1	1
منطقة تسوية طبريا	-	2
منطقة تسوية الناصرة	-	12
قضاء عكا	-	4
المجموع	167 [24]	230 [25]

قوانين حماية المزارعين

ركز العرب في مطالبهم القومية، منذ عام 1918، على ضرورة المحافظة على الارض العربية، خاصة وان الفلاحين كانوا يشكلون الطبقة العريضة في المجتمع العربي الفلسطيني. ولكن الاوضاع الاقتصادية السيئة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى، وهبوط اسعار المحاصيل نحو 80%، ومنع تصدير حاصلات البلاد، وعدم معالجة الحكومة لتلك الاوضاع عموما، ادى بالفلاح

24 _ Report 1935, p. 50

25 _ Report 1938, p. 78

الى ان يظل مرهقا بالديون سنة بعد اخرى. وفي محاولة خادعة، اصدر هربرت صمويل في اكتوبر 1920، قانون انتقال الاراضي لسنة 1920، الذي قضى بضرورة اخذ موافقة الحكومة على كل انتقال يجري في الاموال غير المنقولة « ومنع انتقال الاراضي لغير سكان فلسطين ». وكان هدف هربرت صمويل من ذلك ان يسهل عملية شراء اليهود للاراضي، وان يمنع فئة (الملاكين الغائبين)، الذين كانت لهم ارض واسعة في فلسطين، من شراء مساحات اخرى من الارض.

وفي اول فبراير 1921، صدر قانون انتقال الاراضي لسنة 1291[26] واعيد فيه الشرط الذي ينص على موافقة الحكومة على كل انتقال يجري في الاموال غير المنقولة. ونصت المادة 8(1) من القانون على عدم منح تلك الموافقة « الا اذا كان مدير الاراضي مقتنعا بان المستأجر الذي يشغل الارض قد احتفظ لنفسه، في تلك المنطقة اوغيرها، بارض تكفي لمعيشته ومعيشة عائلته ». وقد رأى العرب في هذا القانون « محاولة لخفض اسعار الارض، ولتسهيل انتقال الاراضي المعروضة للبيع الى ايدي اليهود باسعار رخيصة[27] ».

واستمرت عملية طرد الفلاحين العرب من الاراضي التي باعها الملاكون الغائبون، من الاسر الاقطاعية في لبنان وسوريا، دون ان تقوم الحكومة باصدار اي قانون لحمايتهم. وفي 30 مارس 1929، اصدرت الحكومة (قانون حماية المزارعين لسنة 1929) الذي نص على وجوب دفع تعويض للمزارعين، الذين يرسل اليهم اشعار رسمي باخلاء الارض التي يزرعونها، لقاء « الازعاج الذي يلحق بهم، والتحسينات التي اجروها في تلك الارض ». كما نص على تشكيل لجان للفصل في الخلافات المتعلقة بدفع التعويض عن الازعاج والتحسين وعدمه، وتعيين مقدار هذا التعويض. وقد اهمل في هذا القانون الشرط السابق الذي كان يقضي على المزارع بالاحتفاظ بقطعة ارض في مكان آخر تكفي لاعاشته، كما لم يرد فيه نص يتعلق بالمستأجرين الفرعيين، الامر

---

26 ـ صدر في الوقائع الفلسطينية ع 60 ,1921/2/1، برقم 1921/2.

27 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 290

الذي افسح مجالا للتملص وتجنب تطبيق القانون . واخيرا كان الغرض الواضح من هذا القانون ـ كما قال السير جون هوب سمبسون في عام 1930 ـ هو« النص على منع الازعاج وليس التعويض عن الازعاج[28] » .

عينت الحكومة البريطانية، نظرا لازدياد طبقة الفلاحين العرب المعدمين، وجريا على سياستها في لجان التحقيق، لجنة جونسون ـ كروسبي في ابريل 1930، للبحث في اوضاع الفلاحين . وقد تأكدت اللجنة من الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي كان يعاني منها الفلاحون، واشارت الى ان فائدة 30% في العام كانت شائعة، وان فائدة 50% لثلاثة شهور (اي 200% سنويا) لم تكن بعيدة الحدوث . كما اشارت الى ان المالك في المدينة بينما كان يدفع 10% من الايجار كضرائب عن امواله الغير منقولة، كان الفلاح يدفع نحو 34% من دخله[29] . واوصت اللجنة بتخفيض ضريبة العشر في الارياف الى 7,5%، ورفع معدل ضريبة الاملاك في المدن، والافراج عن دافعي الضرائب في الارياف لعام 1930 بخصم 50% من ضريبة العشر المستبدلة على اساس المزروعات الشتوية . وطالبت الحكومة بتخصيص مبلغ مائة الف جنيه فلسطيني كقروض قصيرة الاجل لصغار المزارعين[30] .

وفي 3 يوليو 1930، عين وزير المستعمرات، المستر ستركلاند Strickland للبحث في احوال الفلاحين واصدار توصياته بشأن الجمعيات التعاونية . وقد وجد مستر ستركلاند ان الدين بالنسبة لاسر الفلاحين تراوح بين 10 ,0001 جنيه للاسرة الواحدة . وان معدل فائدة الدين تراوح بين 30 و200% سنويا[31] . وقال « لا شيء يقض مضجع الفلاح الفلسطيني سوى الدين الذي عليه، والربا الفاحش الذي ينوء تحت حمله . ولذلك فاول امر خطير يعمل لتنظيم الفلاح

28 ـ المصدر السابق ص 296.

29 ـ E.F. vol. II, pp. 706 - 7

30 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 164 - 165.

31 ـ E.F. vol. II, p. 709

العربي هو تجهيزه بموارد متداولة، عن طريق جمعيات التسليف التعاونية ».
وطالب بان « تستمر الحكومة، بسبب الدين المتراكم على الزراع من الاهالي، في منح قروض لمدد قصيرة في حالة العسر العامة او المحلية، بفائدة 9% للافراد، و8% للجمعيات. اما البنك الزراعي الذي يطلبه العرب للقروض الطويلة الاجل، فلا يمكن نجاحه وايجاد الاموال اللازمة له، ما لم تضمنه الحكومة [32] ».

عينت الحكومة البريطانية في 26 يونيه 1931 ، بناء على توصيات سمبسون ، المستر لويس فرنش ، مديرا لدائرة (التحسين والعمران) في فلسطين [33] ، للبحث في اوضاع الفلاحين العرب وامكان تحسينها ، وكذلك بحث طرق الزراعة والري والتجفيف ومنح القروض للمزارعين . وقدم المستر فرنش تقريرين ، اولهما في 23ديسمبر 1931 ، وثانيهما في 20ابريل 1932 . وقد اشار فيهما الى ان عدد اسر الفلاحين العرب المحرومين من الارض ، من جراء انتقالها الى اليهود ، يتراوح بين 1000 و2000 اسرة [34] ، وان 3700 اسرة عربية ادعت بانها محرومة (من العمل) بسبب شراء اليهود للاراضي التي كانت تعمل فيها . واكد على قلة الاراضي في فلسطين ، وان الاسرة الفلاحية يجب ان تملك 30دونما على الاقل اذا كانت تعمل في زراعة الحمضيات ، و300دونم اذا كانت تعمل في زراعة الحبوب [35] .

ولم تنفذ الحكومة البريطانية اية توصية وردت في اي تقرير . واذا كانت قد اصدرت (قانون حماية المزارعين) المعدل ، رقم 1 لسنة 1932 ، وفسرت فيه اصطلاح (المستأجر) على وجه يجعله شاملا للمستأجر الفرعي (المزارع الصغير) ، فان ذلك لم يحل دون ازدياد طبقة الفلاحين المعدمين . وسنت الحكومة قانونا آخر في عام 1933 ، برقم 37 ، وكان اصدار هذا القانون « عبارة

---

32 ـ عيسى السفري المصدر السابق ص 165 - 167.

33 ـ P.D. vol. 261, col. 838

34 ـ E.F. vol. II, pp. 715 - 6

35 ـ نجيب صدقة المصدر السابق ص 155 - 158.

عن محاولة اخرى للحيلولة دون اجلاء المزارعين العرب » . لكن القانون لم ينفذ بصورة جدية ، مما استلزم تعديله في عام 1934 . وقد خول المندوب السامي في قانون عام 1934 ، سلطة تعيين لجنة او اكثر للفصل فيما يقع من خلاف حول ما اذا كان المستأجر نظاميا او غير ذلك ، وتعيين صاحب الارض ، وتقرير ما اذا كان احد الاشخاص قد مارس باستمرار « عملا من اعمال الرعي او سقي الحيوانات او قطع الحطب او غير ذلك من الاعمال التي تعود بالفائدة [36] » ، حتى لا يجاب طلبه فيما اذا تقدم للحكومة بطلب ارض جديدة . وفي عام 1936 ، صدر قانون يعدل قانون عام 1934 ، ويجعل حقوق (المستأجر النظامي) والتزاماته المنصوص عليها في القانون الاصلي شاملة لاي مستأجر نظامي يزرع الارض لمدة سنة ، او لمدة « تكفي للحصول على موسمين زراعيين متعاقبين » . وقد نص هذا القانون على امكان اعادة المستأجرين النظاميين الى المزارع التي اخرجوا منها ، وخولت بعض اللجان سلطة تمكنها في بعض الحالات من رد ادعاء اي شخص بحقوق المستأجر النظامي ، اذا اقتنعت تلك اللجان بانه يملك او يحتفظ في مكان آخر بارض تكفي لاعالته .

ومهما يكن ، فان لجنة التحقيق الملكية قد اعترفت ، في تقريرها ، بان جميع القوانين التي صدرت بخصوص حماية المزارعين العرب قد « عجزت عن تحقيق الاغراض التي سنت من اجلها ، وهي حماية المزارعين العرب وصغار الملاكين ، وظهر انها غير قابلة للتطبيق بالفعل [37] » ، وانها كانت « موضع انتقاد اليهود واحتجاجهم [38] » ، وان « بعض الاقتراحات التي قدمت لم تنفذ مطلقا ، والبعض الآخر ينبغي ان تمضي عليه سنوات كثيرة قبل ان تظهر نتائجه [39] » .

يضاف الى هذا كله ان اكثر الاحكام في قوانين حماية المزارعين

---

36 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 296.

37 ـ المصدر السابق ص 295.

38 ـ نفس المصدر ص 297

39 ـ نفس المصدر ص 292

« مستوحاة من القانون الانجليزي ، وكذلك عباراتها ايضا الى حدما ، ولا سيما القوانين المتعلقة بالتعويض » . كذلك فان (الحماية) قصد بها حماية « المستأجرين الزراعيين في الاراضي الاميرية ، والاميرية الموقوفة . اما المستأجرون الزراعيون في الاراضي الملك ، والملك الموقوف ، فغير مشمولين بمنطوق قوانين حماية المستأجرين الزراعيين النظاميين ، فهؤلاء تطبق عليهم احكام المجلة فقط من هذا القبيل[40] » .

واذا كانت الحكومة البريطانية لم تطبق اية مادة من مواد القوانين التي اصدرتها بخصوص حماية المزارعين العرب ، فان الضرائب التي فرضتها على الفلاحين اثقلت كاهلهم الى درجة كبيرة .

الضرائب على الارض

كانت طبقة الفلاحين هي التي وقع على كاهلها عبء دفع معظم الضرائب في فلسطين . وكانت اهم الضرائب التي يدفعونها هي :

1) ضريبة العشر :

كانت هذه الضريبة (وهي معادلة لعشر المحصول ، مضافا اليه 2,5% ، وضعتها الحكومة العثمانية للمجهود الحربي ابان الحرب العالمية الاولى) عند تأسيس الادارة المدنية (1920) ، تجبى نقدا حسب اسعار الاستبدال التي كانت تعين اداريا . وفي عام 1925 ، وجد ان العشر الذي كان يجبى بمعدل 2,5 ٪ من مجمل الغلة ، كان يعادل تقريبا 35 ٪ من دخل الارض الصافي . ولهذا اعتبرت ضريبة عالية لا مبرر لها على الفلاحين ، فخفضت الى 10 ٪ ، بان طرح منها 2,5 ٪ وهو المقدار الذي كانت الحكومة العثمانية قد اضافته اليها من اجل المجهود الحربي .

ولما كانت الاعشار تتطلب تخمينات سنوية ، كان لا بد من تأخيرات ناتجة عن التفتيش والاستئناف ، وتعيين اسعار الاستبدال للغلال المختلفة . ولوحظ

---

40 ـ سعيد حمادة المصدر السابق ص 119 - 120.

ان هذه التأخيرات كثيرا ما كانت تطول ، حتى ان الغلال من البلدان المجاورة كانت تظهر في الاسواق قبل الغلال المحلية . ولهذا السبب كان الانتاج المحلي غير قادر على ان يستفيد من الاسعار العالية التي تروج حالا قبل ظهور معظم الغلة في السوق . ولذلك عدل العشر في عام 1927 ، وجعل مبلغا سنويا مقطوعا .

وقد بني (العشر المعدل) على المعدل السنوي لمجموع العشر المخمن على غلة الحبوب في قرية ما في مدة الاربع سنوات السابقة حالا لزمن تطبيق العشر المعدل . وقد قامت لجان التخمين بتوزيع ما يلحق القرية على الفلاحين فيها حسب درجة امكانية الانتاج في املاك كل منهم اذا كانت الارض مفروزة ، او بالنسبة الى حصة كل منهم اذا كانت الاراضي من نوع المشاع غير المقسم . وفي مناطق القبائل جرى التوزيع حسب عاداتها . واما فيما يتعلق بالاشجار المثمرة ، فقد قامت لجان التخمين بتوزيع ما يلحق القرية على الفلاحين بالنسبة الى معدل العشر الذي كان كل واحد منهم ، في مدة السنوات الاربع السابقة حالا للتعديل ، يدفعه على غلة الاشجار المثمرة في ملكه المعروف .

وفي عام 1930 ، خفض (العشر المعدل) بسبب هبوط الاسعار عن حدها الطبيعي ، وعجز الفلاحين عن دفع القيمة بتمامها . ولكن هذا التدبير لم يكن كافيا في السنوات الاربع التالية ، وكان لا بد من الالتجاء الى الاعفاء من الضرائب لمدة سنة . وفي يناير 1935 ، صدر قانون (ضريبة الاملاك في المدن) ، الذي استبدل ضريبة العشر ، ونفذ في اول ابريل 1935 . والمبدأ الذي بنيت عليه تلك الضريبة هو ان يكون هناك علاقة بين الضريبة والدخل الصافي من الارض ، او الفائدة التي يجنيها الفلاحون من استعمال البيوت في القرى . اما الاراضي القابلة للزراعة فقد قسمت الى اصناف حسب تقدير درجة خصبها ، وحدد معدل الضريبة على كل دونم بالنسبة الى غلته السنوية الصافية المقدرة .

2) ضريبة الويركو (ضريبة البيوت والاراضي) :

كانت هذه الضريبة تجبى بحسب احكام القانون العثماني الصادر في 5

اغسطس 1886 والمراسيم العثمانية الاخرى ، وكان معدلها 4 ٪ على القيمة للاراضي الاميرية ، و10 ٪ على القيمة للاراضي للملك . وقد كانت الحكومة العثمانية تزيد هذه المعدلات من وقت الى آخر للقيام بنفقات خدمات خاصة ، او لسد العجز في الميزانية . وهكذا فقد اضيفت على ويركو الاراضي الاميرية 56 ٪ وعلى ويركو الاراضي الملك 61 ٪ ، بينما زيدت الضريبة على الاملاك المبنية 41 ٪ . ولهذا اصبحت المعدلات الحقيقية هي 6,24 ٪ على القيمة للاراضي الاميرية ، و16,1 ٪ على الاراضي الملك ، و14,1 ٪ على الاملاك المبنية . فاذا فرض ان الايراد الصافي من الاملاك يعادل 5 ٪ ، وهو ما كان شائعا في معظم المدن الفلسطينية ، يكون مقدار ضريبة الويركو على اساس الايراد السنوي الصافي للاملاك : 12,5 ٪ على الاراضي الاميرية ، 32,2 ٪ على الاراضي الملك ، و28,2 ٪ على الاملاك المبنية . والانخفاض النسبي في الضريبة على الاراضي الاميرية يفسر بان تلك الاراضي كانت تخضع لضريبة العشر التي كانت تبلغ نحو 35 ٪ من الايراد الصافي . والحقيقة انه « كان يطلب للحكومة عن طريق الضرائب 47,5 ٪ من الغلة الصافية للاراضي الاميرية [41] » .

وقد استبدلت ضريبة الويركو على الاراضي والبيوت ، وضريبة الاعشار في الاملاك الواقعة في المدن ، بضريبة جديدة عرفت باسم (ضريبة الاملاك في المدن) لعام 1928 (صدر في 26 يناير 1928)[42] ، وقدرت في بادىء الامر بـ 12%[1] من قيمة الايجار ، ثم خفضت الى 9 ٪ بعد اعتراضات الاهالي واحتجاجاتهم . الا انها رفعت الى 15 ٪ في ابريل 1932 ، ولم تجد احتجاجات الاهالي نفعا في تخفيض تلك النسبة[43] .

وزاد الامر سوءا بالنسبة للفلاحين العرب ، اقبال ملاك الاراضي غير الفلسطينيين على بيع اراضيهم ، في فلسطين ، لليهود منذ بداية العشرينات من

---

41 ـ المصدر السابق ص 68 - 69

42 ـ انظر السياسة الاسبوعية 1928/2/18.

43 ـ انظر وثائق المقاومة ص 257 - 261.

القرن العشرين .

ملاك الاراضي غير الفلسطينيين وبيع الارض

في ظل النظام شبه الاقطاعي الذي ساد البلاد في القرن التاسع عشر ، ابان الحكم العثماني ، وفي ظل نظام الالتزام ، واساليب البطش والارهاق في جمع الضرائب ، تنازل كثير من فلاحي فلسطين العرب للملتزمين ، او للسلطان عبد الحميد ، عن اراضيهم ، مقابل حمايتهم ، ودفع خمس المحصول لهم . وبهذه الطريقة وبطريقة الشراء بابخس الاثمان ، تمكنت طبقة من الاغنياء من بيروت ودمشق ، من الحصول على مساحات واسعة من احسن الاراضي الزراعية في مناطق فلسطين المختلفة . وقدر اميل الغوري مساحة هذه الاراضي بنحو 875 الف دونم[44] .

اشترى اليهود قسما من هذه الاراضي قبل الحرب العالمية الاولى . واستمرت جهودهم لشراء اراض اخرى بعد الحرب . واشار وايزمن الى ان اليهود اشتروا في صيف عام 1920 ، اراض من مرج ابن عامر من عائلة سرسق البيروتية ، تقدر مساحتها بنحو 80 الف دونم[45] ، بثمن بخس ، واضاف بان « آل سرسق يلقون باللوم دائما على فكتور سرسق ، الذي كان احد كبار الملاك في الاسكندرية ، ويتهمونه بان له ميولا صهيونية[46] » . وفي اوائل اغسطس 1924 ، باع آل سرسق ، خمس قرى عربية هي : العفولة ، خنيفس ، جباتا ، شطة ، وسولم (تابعة لقضاء الناصرة) ، وتبلغ مساحة اراضيها الزراعية 230 الف دونم ، الى اليهود . وفي 25 اغسطس 1924 ، اجتمعت اللجنة التنفيذية العربية ، وقدمت احتجاجا الى الحكومة على هذا البيع ، لان « المبايعة سوف تؤول الى اخراج مئات من العائلات من اراضيها في زمن لا يمكنهم من الارتزاق في غيرها[47] » . واقترحت اللجنة التنفيذية في مذكرة اخرى ، رفعتها الى

---

44 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 44.

45 ـ Weizmann, op. cit., p. 316

46 ـ op. cit., p. 457

47 ـ فلسطين ـ 52/710 - 1924/9/9 ، الف باء ـ 1217 - 1924/9/12

المندوب السامي في الاسبوع الثالث من سبتمبر 1924 ، تشكيل « هيئة مختلطة من رجال الحكومة وممثلي القرى[48] » . للبحث في امكانية حفظ حقوق الاهالي . وفي 8 اكتوبر شكلت اللجنة وفدا من شكري التاجي ، عوني عبد الهادي وجمال الحسيني « لزيارة القرى الخمس المراد بيعها في مرج ابن عامر ، ومباحثة مزارعيها في القرى نفسها[49] » .

ولم تسفر جهود اللجنة التنفيذية عن وقف عملية البيع ، وتم التسجيل في نوفمبر 1924 . وفي 29 من الشهر المذكور ، وقع صدام في (العفولة) بين اليهود والعرب ، « فقتل عربي وجرح اثنان جراحا خطيرة » . ورفعت اللجنة التنفيذية كتابا في 7 ديسمبر 1924 بشأن هذه الحادثة ، وطلبت « اتخاذ التدابير السريعة لنزع سلاح اليهود ، ووضع حد للتلاعب في القوانين مرضاة للصهيونيين[50] » . وادعت الحكومة بان « القرويين ذوي الشأن لم يمتلكوا قط اي قسم من الارض التي تملكها اليهود مؤخرا في العفولة ، ولم تكن لآبائهم قبلهم[51] » . واخرجت 71 اسرة عربية من قرية العفولة .

وباع علي سليم العمري ورفيق العمري واخوانهما (من دمشق ، وهم ينتسبون الى عمر بن الخطاب) ، اراضي قريتي اجليل والحرم (التابعة ليافا) ، والبالغة مساحتها 16 الف دونم لليهود ، بسعر 4,5 جنيه لكل 1600 ذراع مربع (كل 919 ذراعا مربعا تساوي دونما) . ووجهت الحكومة في 25 سبتمبر 1924 اوامر الاخلاء الى واحد وسبعين مزارعا عربيا كانوا يقومون بالعمل في تلك الارض[52] .

واشترى اليهود في اوائل عام 1926 ، من آل سرسق وآل التويني (من

---

48 ـ الف باء ـ 1228 - 1924/9/25، فلسطين ـ 57/715 - 1924/9/26

49 ـ فلسطين ـ 62/720 - 1924/10/14.

50 ـ فلسطين ـ 79/737 - 1924/12/12، الشورى 1924/12/17.

51 ـ فلسطين ـ 90/748 - 1925/1/27.

52 ـ فلسطين ـ 59/717 - 1924/10/3.

بيروت) 18 الف دونم من اراضي قرية حيدر [53] (قضاء عكا) ، واعتدوا على عشيرتي (القرابعة والكراملة) المجاورتين للقرية . بل وصل الامر باليهود ان ادعوا ملكية بعض اراضي العشيرتين ، ووقفت الحكومة البريطانية الى جانبهم . وباعت اسرة التويني بمفردها قرى الهريج والدار البيضاء والانشراح ونهاريا في سهل عكا .

ولعل ابشع صورة لمأساة الارض في فلسطين ، هي طرد عرب الحوارث (بين قيسارية ونهر الفالق على الساحل الفلسطيني) من اراضيهم ، التي قدرت الحكومة مساحتها بـ 30,826 دونما [54] ، وقدرها العرب باربعين الف دونم [55] . وكانت تلك الاراضي مسجلة باسم اسرة التيان البيروتية وتسكنها 2546 اسرة عربية . وطرحت الارض للمزاد العلني في ابريل 1929 ، بامر من محكمة مركزية نابلس ، وفاء لدين يهود فرنسيين على اسرة التيان ، فاشتراها الكيرن كاييمت وسجلت باسمه في 27 مايو 1929 . وفي 30نوفمبر 1929 ، اصدرت محكمة مركزية نابلس حكما بطرد عرب الحوارث من الارض . ومما يجدر ذكره هنا ان عوني عبد الهادي كان احد محامي الجانب اليهودي في قضية الحوارث [56] .

قدم شيوخ عرب الحوارث اشكالا قضائيا امام محكمة مركزية طولكرم ، حول ملكية ستة الاف دونم من الارض المباعة لليهود ، ولكنها لم تصدر حكما لصالحهم . وبدأت عملية اجلاء عرب الحوارث عن الارض . ووصف بيان اللجنة التنفيذية الصادر في 2اكتوبر 1930تلك العملية فقال« واذرأى الحوارث ان الهوان والذل ثم الموت ينتظرهم خارج اراضيهم ، فقد فضلوا الموت فيها على الموت خارجها . واستخاروا الله في البقاء عليها ، ففتحوا صدورهم لبنادق الجنود ، عزلا من السلاح ، ومدوا رقابهم لسيوف السلطة تفعل بها ما تشاء غير

---

53 ـ الف باء ـ 1632 - 1926/2/2.

54 ـ المقطم 1933/9/8.

55 ـ اميل الغوري المصدر السابق ص 98، احمد الشقيري ، المصدر السابق ص 132

56 ـ مقابلة مع السيد احسان الجابري في 1970/11/18.

اخراجهم من اراضيهم ، فهام بعضهم في تلول وادي الحوارث ، واقتيد بعضهم الى غياهب السجون . واستماتت النساء في ارض آبائهن واجدادهن ، فكلما اخرجهن الجند منها ، عدن فدخلنها في حالة تفتت الاكباد ، بثياب بالية ، وبطون خالية ، واعين باكية ، وعويل وشهيق يستنزل الرحمة من المادة الصماء ، وقلوب الظالمين لا تلين [57] » . ومع كل ذلك استخدمت الحكومة البريطانية « اجراءات شديدة لاخراج العرب [58] » من وادي الحوارث ، ولم تجد نفعا عريضتهم في 5 يونيه 1933 ، المرفوعة الى الملك فيصل « برجاء التوسط لحل قضيتهم لدى الحكومة [59] » .

وباعت اسرة القباني (من بيروت) 16 الف دونم الى الكيرن كاييمت ، من (وادي القباني) الواقع الى الغرب من طولكرم على الساحل الفلسطيني [60] . وباع الامير سعيد الجزائري (من دمشق) قسما من اراضيه لليهود ، كما باعت اسرتا شمعة والقوتلي اراضي قرية المنشية (شمال شرقي عكا) ، وباعت اسرة المرديني قسما كبيرا من اراضي صفد لليهود [61] . وباعت اسرة اليوسف (من دمشق) قرى ومناطق « البطيحة ، الدكة ، تل ابن اعور ، ام عجاج ، جبيلة ، حسينية ، كنف التحتا ، كفرعارب ، سعدية الرشيد ، سبيل الشقيرية ، زينة ، كنف الفوقا ، خورخة ، شقيف ، جدبا ، خسفية ، ام الدنانير ، المسفورة » ، وجميعها واقع في منطقة الجولان ، « مع جميع ما اشتملت عليه القرى المذكورة من بيوت وابنية ومنابع وجدران وآبار واحواض واشجار وبيادر وانهر ومياه ومنافع والحاصل (اي الانتاج) ، وكل ما لها وعائدا عليها » ، وذلك بموجب عقد مؤرخ في 6مارس 1934 [62] .

---

57 ـ الشورى 1930/10/8، انظر رسالة فرانسيس نيوتن الى شقيقتها في 22 نوفمبر 1930، بعد زيارتها لسكان وادي الحوارث ووصفها لحالتهم المحزنة، Frances Newton, op. cit., pp. 257 - 9

58 ـ P.D. vol 275, col. 355

59 ـ الجامعة الاسلامية 1933/6/8

60 ـ المقطم 1931/11/25.

61 ـ عارف العارف : نكبة بيت المقدس ج3 ص 656

62 ـ انظر صورة العقد في : صالح مسعود ابو يصير . جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، بيروت 1968، ص 471 - 478.

طبقة الفلاحين المعدمين العرب

اسفرت عمليات انتقال الارض لليهود ، وهي التي شاركت فيها طبقة الملاكين الفلسطينيين ايضا ، عن نشوء طبقة من الفلاحين العرب المعدمين . واخذت هذه الطبقة تنتقل من الريف الى المدن منذ عام 1922 . ففي 7 ديسمبر 1932 ، اعلن كنليف ليستر ، وزير المستعمرات ، ان احصاء السكان لعام 1931 ، قد اظهر « زيادة عدد السكان غير اليهود في اقضية القدس ويافا وحيفا وطبريه[63] » . وفي 10 مارس 1937 ، قدم اورمسبي غور ، وزير المستعمرات ، الاحصائية التالية عن عدد سكان المدن الثلاث الهامة في فلسطين :

المدن	عام 1922	عام 1935
القدس	63,000	110,000
حيفا	25,000	85,000
يافا	33,000	74,000 [64]

بلغ معدل الزيادة الطبيعية في السكان 22,6 ٪ بين عامي 1921 و1925 ، و25,4 ٪ بين عامي 1935 و1939 [65] ، فلو طبق هذا المعدل على سكان المدن الثلاث (القدس ، حيفا ، ويافا) لعام 1922 ، لما بلغ الرقم الذي وصل اليه عدد سكانها في عام 1935 . والواقع ان الزيادة ناتجة عن عاملين ، اولهما الهجرة اليهودية ، وثانيهما سيل الفلاحين العرب المعدمين من الريف الى المدن ، وقد شكلوا عمالا غير مهرة ، اوحرفيين بسطاء ، اوعمالا في موانيء حيفا ويافا ، اوما شابه ذلك .

ويؤكد تقرير اللجنة الملكية ان الحكومة البريطانية تلقت نحو 3271 طلبا

63 - P.D. vol. 272, col. 1596

64 - P.D. vol. 321, col 1168

65 - Robert Nathan : Palestine, Problem and Promise, Washington, 1946, p. 132

حتى اول يناير 1936 ، من العرب « الذين لا ارض لهم لاسكانهم في اراض اخرى ، ولم يسجل منها الا 644 طلبا ، اما الباقي وهو 2607 طلبات ، فلم يقبل[66] » . واغفل التقرير البريطاني لعام 1938 ، عند كلامه عن الارض[67] ، ذكر عدد تلك الطبقة لكنه في الوقت نفسه ، اشار الى ان اليهود اشتروا ، « من غير اليهود » نحو 18,146 دونما عام 1936 ، ونحو 29,367 دونما عام 1937 ، ونحو 27,280 دونما عام 1938 ، بالاضافة الى 60 الف دونم اشتروها في منطقة بئر السبع[68] .

تقديرات الارض العربية واليهودية

اظهر المسح الشامل الذي قامت به حكومة فلسطين عام 1936 التقديرات التالية :

1) المساحة القابلة للزراعة 8,760,000 دونم[69]

2) المساحة التي تقوم عليها القرى والمستوطنات 29,000 دونم

3) المساحة غير القابلة للزراعة (تشمل 695 الف دونم غابات) 17,428,000 دونم

4) مجموع مساحة الاراضي الريفية 26,217,000 دونم

5) مساحة المدن 102,000 دونم

6) المجموع العام لمساحة الاراضي (مضافا اليها بحيرة الحولة) 26,319,000 دونم[70]

فاذا اضفنا الى هذا المجموع مساحة البحر الميت وبحيرة طبريه ، تصبح مساحة فلسطين بأكملها 27,009,000 دونم .

---

66 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 318 - 319

67 ـ Report 1938, pp 86 - 8

68 ـ op. cit., p. 82

69 ـ قدرتها لجنة التحقيق الملكية بنحو 7,120,000 دونم، انظر تقرير اللجنة الملكية ص 311.

70 ـ سعيد حمادة المصدر السابق ص 55.

اختلفت التقديرات دائما حول مساحة الارض الصالحة للزراعة في فلسطين . وقد اكد تقرير اللجنة الملكية انه لا يمكن « اعطاء تقرير دقيق لمساحة الارض التي يمكن ادخالها تحت صنف الاراضي الصالحة للزراعة في اي وقت معين . فمن المسلم به ان ذلك يتوقف على الري وعلى تحسين وجوه استعمال مصادر المياه ، وعلى تجفيف المستنقعات وعلى اتباع اساليب جديدة في الزراعة ، وخاصة في الجبال[71] » . اما اليهود ، فقد كانوا يرفضون دائما تقديرات حكومة فلسطين بشأن الاراضي الصالحة للزراعة ، وهم في هذا يعتمدون على عاملين ، « اولهما ان التعريف الذي تضعه حكومة فلسطين لعبارة (ارض صالحة للزراعة) يخرج من الحساب كثيرا من الاراضي التي يمكن جعلها صالحة للزراعة باتباع الاساليب الزراعية المناسبة . والثاني ان تقدير الحكومة لا يحسب حسابا كافيا للزراعة الكثيفة[72] » .

بلغت مساحة الارض التي يملكها العرب ، وصنفت كأرض صالحة للزراعة ، في عام 1936 نحو 6,037,000 دونم[73] ، وهي تعادل 50 ٪ مما هو مسجل باسم العرب[74] . وبلغ عدد السكان العرب ، حسب تقديرات الحكومة البريطانية في 30 يونيه 1936 ، نحو 954,816نسمة[75] . ولما كانت فلسطين بلدا زراعيا ، فان نسبة الفلاحين كانت تعادل 70 ٪ من مجموع السكان ، اي نحو668,380 نسمة في عام 1936 . فاذا قسمنا مساحة الارض التي يملكها العرب عام 1936 على الفلاحين العرب ، كان نصيب كل فرد منهم نحو 9 دونمات . هذا في الوقت الذي كان فيه نصيب الفرد اليهودي يبلغ 24 دونما في نفس العام[76] . واذا اخذنا برأي الحكومة البريطانية بالنسبة لمتوسط افراد

---

71 ـ تقرير اللحنة الملكية ص 312.

72 ـ المصدر السابق ص 312

73 ـ نفس المصدر ص 316.

74 ـ نفس المصدر ص ز 316

75 ـ سعيد حمادة المصدر السابق ص 18، وص 739.

76 ـ الشهادات السياسية، شهادة جمال الحسيني، ص 90

الاسرة العربية الفلاحية وهو بين 4- 5 اشخاص ، فان معدل ملكية الاسرة يتراوح بين 36 و45 دونما . ولما كانت تقديرات المستر سمبسون التي وضعها عام 1930 ، اشارت الى ان الحد الادنى لمعيشة اسرة فلاحية ، معيشة انسانية ، هو 130 دونما ، فان الفرق بين الواقع والنظرية واضح تماما ، وهنا في الحقيقة تكمن مشكلة الفلاح الفلسطيني ، تلك المشكلة التي عانى منها طيلة فترة الانتداب البريطاني . فاذا اضفنا الى كل ذلك طبقة الفلاحين المعدمين ، وانخفاض مستوى المعيشة ، ظهرت المشكلة بصورتها القاسية .

قدر تقرير اللجنة الملكية ما يملكه اليهود من الارض بنحو 1,332,865 دونما في عام 1936 (77) . فاذا اضفنا الى ذلك ما اشتراه اليهود ، حسب تقديرات الحكومة البريطانية في عامي 1937 و 1938 ، فان المجموع يصبح 1,389,512 دونما في اواخر عام 1938 . وارتفع هذا الرقم ليصبح 1,533,000 دونم في أواخر عام 1939 (78) . واكد تقرير اللجنة الملكية ان 939,000 دونم مما يملكه اليهود عام 1936 ، كان من الارض الصالحة للزراعة (79) ، وهو يعادل نحو 70 ٪ من مجموع ملكية اليهود في ذلك العام . يضاف الى ذلك ان ما يملكه اليهود كان من اخصب الاراضي في فلسطين ، واجودها تربة وموقعا وانتاجا .

الفلاح العربي وبيع الارض

لا يوجد تقدير موحد لما باعه الفلاحون العرب من الارض لليهود . فالمكتب العربي اعترف بان « المساحة التي باعها الفلاحون لا تزيد عن 15 ٪ مما يملكه اليهود (80) » . وادعى جمال الحسيني ، احد كبار الملاكين ، ان « 25 ٪ من الاراضي التي ابتاعها كانت من الفلاحين » ،وعلل سبب البيع بانه « الاجحاف الذي يلحق بالفلاحين بسبب التخمين العالي والرسوم الباهظة

---

77 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 316.

78 ـ Fred Khouri, op. cit., p. 18

79 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 316.

80 ـ المكتب العربي ـ مشكلة فلسطين، نشرة رقم 2، ص 141 - 142.

المستوفاة منهم[81] » . واعترف عزة دروزة بان عرب فلسطين باعوا بين عامي 1917 و 1947نحو نصف مليون دونم لليهود ، وان « البائعين ملاكا وليسوا فلاحين ، ولم يتجاوز عددهم الف شخص من مليون وربع (نسمة)[82] » .

والواقع ان ظروف القهر الاقتصادي والاجتماعي التي عاناها الفلاحون ، كانت العامل الاساسي في عملية البيع ، وارتفعت نسبة ما باعه الفلاحون من 3,8 ٪ بين عامي 1920و1922 ، الى 9,4 ٪ بين عامي 1933و1936 [83] . وفي نفس الفترة ارتفعت نسبة ما باعه كبار الملاك الفلسطينيين من 20,8 ٪ الى 62,7 ٪ مع ان احوالهم الاقتصادية والاجتماعية كانت احسن بمئات المرات من احوال الفلاحين .

فاذا اضفنا الى ظروف القهر الاقتصادي والاجتماعي قلة الاراضي اللازمة لمعيشة الفلاحين ـ اذ ان اراضي لواء الجليل لم تكن تكفي سوى 46 ٪ من سكانه العرب ، ولواء حيفا 27 ٪ ، ولواء السامرة 39 ٪ ، ولواء القدس 32 ٪ ، ولواء اللد 70 ٪ ، ولواء غزة 66 ٪ [84] ـ امكن القول بان بيع الفلاحين العرب لاراضيهم كانت تتم في اضيق الحدود .

ولا شك ايضا ان قسما من الاراضي التي باعها الفلاحون للملاكين الكبار من العرب ، تحت ضغط الديون الفاحشة ، انتقلت الى اليهود بعد ذلك ، اما بطريق مباشر ، اوبطريق غير مباشر بواسطة فئة السماسرة العرب ، الذين تعرض قسم كبير منهم للانتقام الشعبي ابان المرحلة الثانية من الثورة الفلسطينية بين عامي 1937 و1939 .

ثانيا : الهجرة اليهودية

اعتمد الغزو الصهيوني لفلسطين ، الذي بدأ في اواخر القرن التاسع

---

81 ـ الشهادات السياسية ص 93، ص 110.

82 ـ عزة دروزة المصدر السابق ج3 ص 60.

83 ـ غسان كنفاني : المصدر السابق ص 52

84 ـ المكتب العربي ـ مشكلة فلسطين. نشرة رقم 2 ص 149.

عشر ، واتخذ شكل (موجات هجرة) ، على العنصر البشري كاحد اركانه الاساسية . وتمت موجة الغزو الاولى بين عامي 1822 و1903 ، وكان اغلبها من روسيا القيصرية ، وقدرت ما بين 20 و30 الف مهاجر يهودي . وقدم فلسطين ما بين 35 و40 الف من يهود روسيا ، ليشكلوا الموجة الثانية بين عامي 1904 و1914 . وكان معظم مهاجري الموجة الثانية من العمال ، الذين اقاموا مستوطنات يهودية صرفة ، وطبقوا نظرية (العمل العبري) في المستوطنات التي اقاموها . وقد مول الهجرة اليهودية منذ بدايتها كبار الرأسماليين اليهود مثل البارون ادموند روتشلد ، الذي انفق نحو 5,600,000 جنيه بين عامي 1883 و1937 على الاستيطان اليهودي في فلسطين[85] ، والبارون دي هيرش De Hirsch الذي خصص نحو 10 مليون جنيه لبناء الوطن القومي اليهودي[86] .

انخفض عدد السكان اليهود في فلسطين من 85 الفا عام 1914 ، الى نحو 55 الفا عام 1918[87] . ويرجع ذلك الى عمليات النفي الجماعي التي قامت بها السلطات العثمانية ابان الحرب ، والى نزوح قسم من اليهود الى خارج البلاد . ومع الاحتلال البريطاني لفلسطين ، فتحت ابواب البلاد للهجرة اليهودية مرة ثانية . وعلى اوسع مدى . ففي عام 1919 ، ابان الحكم العسكري ، قدم البلاد نحو 1806 مهاجرين يهود ، كان منهم 806 من الاتحاد السوفييتي[88] . واعترف اورمسبي غور (وكيل وزارة المستعمرات) في 2 يونيه 1924 بان 4195 مهاجرا يهوديا دخلوا البلاد ابان الاحتلال العسكري[89] . ودخل البلاد 8223 مهاجرا يهوديا في عام 1920 ، (وهو العام الذي بدأ فيه حكم هربرت صمويل منذ اول يوليو) ، وكان منهم 2552 من بولونيا ، و2202 من الاتحاد السوفييتي[90] .

---

85 ـ E.F. vol. I, p. 348

86 ـ op. cit., p. 38

87 ـ Israel Cohen, op cit , p. 78

88 ـ Sykes, op. cit., p. 56

89 ـ P.D. vol. 174, col. 867

90 ـ Gertz (ed.) statistical .Handbook of Jewish Palestine, Jerusalem, 1947, pp 104 -5

وفي الخطاب الذي القاه هربرت صمويل في القدس في 7 يوليو 1920 ، اي بعد اسبوع من توليه منصبه ، ذكر المشروعات التي يريد القيام بها في البلاد، وان تنفيذها لن يتم « بدون اناس آخرين يأتون من الخارج ، وستفتح الموانيء والحدود عما قريب، لعدد محدود من المهاجرين، يكون مناسبا للعمل الذي يحتاجهم وما تساعد عليه المساكن. وسيصدر امر في أقرب وقت يقرر وضع الهجرة تحت رقابة الحكومة، ويحدد الشروط التي بموجبها يسمح للمهاجرين بدخول البلاد[91] ». وقد نفذ هربرت صمويل ما وعد به، فأصدر في اول سبتمبر 1920 قرارا بانشاء (دائرة الهجرة)[92]، التي تولى رياستها البرت هيامسون A. Hyamson، وهو يهودي صهيوني من مدرسة احاد هاعام، من 1920 حتى عام 1934 [93]. كما اصدر امرا آخر حدد فيه عدد المهاجرين اللازمين بنحو 16,500 مهاجر يهودي ، بناء على ظروف واحتياجات البلاد[94]. ولم ينخفض ما سمحت به الحكومة البريطانية عن هذا الرقم في السنوات الاربع التالية، الا ان ما دخل البلاد فعلا لم يتعد رقم 8,685 مهاجرا في عام 1922، ذلك ان « الولايات المتحدة كانت لا تزال تفتح ابوابها للمهاجرين، وان جزءا كبيرا من اليهود الراغبين في الهجرة الى الوطن القومي كانوا في روسيا، وان الحكومة السوفياتية منعت الهجرة وحظرت الصهيونية كعقيدة سياسية[95] ».

في 16 اغسطس 1921، اعلن المستر وود Wood، وكيل وزارة المستعمرات، ان « الهجرة اليهودية قد اعيدت تحت اشراف الحكومة[96] »، وهو يشير بذلك الى قانون الهجرة الذي اصدره هربرت صمويل في اوائل ذلك الشهر، وحدد به فئات اليهود التي يسمح لها بدخول

---

91 ـ المقطم 1921/7/10، الاهرام 1921/7/10

92 ـ P.D. vol 233, col. 76

93 ـ E.F vol. I, p. 301

94 ـ Great Bntain and Palestne, p. 39

95 ـ Sykes, op. cit., p. 56

96 ـ P.D. vol. 146, col. 1167

فلسطين. وقد صدرت بعد ذلك عدة تعديلات على قانون الهجرة، ولم يكن الغرض منها تقييد الهجرة بل توسيع ابوابها. ففي اغسطس 1925، صدر تعديل للقانون، حظي بموافقة المستر امري وزير المستعمرات[97]، الذي صرح في 3 مارس 1926 بأن ذلك التعديل «لا يحد من الهجرة بل ينظمها[98]». وفي 16 ابريل 1926 صدر تعديل آخر[99]. وكان اهم التعديلات ما صدر في 31 اغسطس 1933، وهو الذي فتح ابواب فلسطين لاكبر عدد من الفئات اليهودية، بعد وصول النازيين الى الحكم في المانيا. وكانت جميع التعديلات تناط بالمندوب السامي، وتحظى بموافقة وزارة المستعمرات[100].

وكانت حصيلة قوانين الهجرة وتعديلاتها تحديد الفئات التي يسمح لها بالهجرة الى فلسطين كما يلي :

رقم الفئة	صفاتها
أ (1)	الاشخاص الذين يملكون مبلغا لا يقل عن 1000 جنيه.
أ (2)	ذوو المهن والحرف الحرة الذين لا يقل رأسمالهم عن 500 جنيه.
أ (3)	الصناع المهرة الذين يملكون مبلغا لا يقل عن 250ج.
أ (4)	الاشخاص الذين لهم دخل ثابت لا يقل عن 4 جنيهات في الشهر.
أ (5)	الاشخاص الذين لا يقل رأسمالهم عن 500ج.
ب (1)	الايتام القادمون الى الملاجىء.
ب (2)	الاشخاص الذين يمارسون اعمالا دينية.
ب (3)	الطلبة المؤمنة معيشتهم.
ج	الاشخاص القادمون للعمل (اي العمال).

97 - P.D. vol. 187, col. 961

98 - P.D. vol. 192, col. 1452

99 - His Majesty's Stationary Office . British and Foreign State Papers, 1926 Part I, vol. CXXIII, London, 1931, pp. 408 - 9

100 - انظر P D. vol. 276, cols. 1420 - 1 P.D. vol 278, col. 1722

د   الاشخاص الذين يعتمدون في معيشتهم على مقيمين في فلسطين.
ك   الاشخاص المعفون من نصوص قانون الهجرة.
الاشخاص الذين يعتمدون في معيشتهم على احدى الفئات التالية :
أ (1) ـ أ (2) ـ أ (3) ـ أ (5) ـ ب ـ ج.

وسمح في اكثر الاحيان لرب العائلة، اذا كان متمماالشروط كمهاجر، ان يصحب معه اعضاء اسرته الذين يعتمدون عليه في معيشتهم. ولا يخضع المهاجرون فئة أ (1) الى تحديد العدد. اما المهاجرون العمال (فئة ج) فانهم يخضعون لعدد محدود يعين مرة كل نصف سنة[101] (من ابريل الى سبتمبر، ومن اكتوبر الى مارس)[102]، تبعا لمقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب.

مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب

صرح المستر تشرشل، وزير المستعمرات، في 15 فبراير 1922 بأن « سياسة الحكومة بشأن الهجرة تقوم على اساس مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب[103] ». وشرح سياسته هذه في الكتاب الابيض رقم 1700، الصادر في يونيه 1922، بقوله ان « الهجرة لا يمكن ان تكون كبيرة الى حد يزيد في اية ظروف كانت على مقدرة البلاد الاقتصادية في قبول مهاجرين جدد، ومن الضروري عدم صيرورة المهاجرين عالةعلى اهالي فلسطين عموما، وعدم حرمان اي فئةمن السكان من اشغالها[104] ». وجاء صك الانتداب البريطاني لفلسطين مؤكدا على مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب. وقد نصت المادة السادسة على ما يلي : « على ادارة فلسطين، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الاهالي الاخرى، ان تسهل هجرة اليهود في احوال ملائمة ».

---

101 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 373 - 374، سعيد حمادة ص 26 ,P.D. vol. 292, col 529

102 ـ P.D. vol. 283, col. 1492

103 ـ P.D. vol. 180, col. 1055

104 ـ الوثائق الرئيسية ص 158.

حرصت الحكومة البريطانية باستمرار، بعد عام 1922، على اعلان تمسكها بمقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب فيما يتعلق بالهجرة اليهودية الى فلسطين. ففي 21 مايو 1930، اعلن المستر شيلز، وكيل وزارة المستعمرات، ان « الحكومة تتبع سياسة الكتاب الابيض لعام 1922 بشأن الهجرة والمقدرة الاقتصادية على الاستيعاب[105] ». وفي 7 نوفمبر 1930، قال كنليف ليستر، وزير المستعمرات، انه « لا يمكن التخلي عن مبدأ مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب بالنسبة للهجرة »، وحذر من وقوع مأساة في البلاد اذا لم يطبق مبدأ المقدرة الاقتصادية[106] . وأصر كنليف ليستر في 5 ديسمبر 1933 على ان « تقدم فلسطين الاقتصادي يرجع الى اخضاع الهجرة لمقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب[107] ». وفي 19 يونيه 1934، اكد كنليف ليستر، ان « حكومة صاحب الجلالة ترى، تنفيذا لسياسة الانتداب، ان ترتبط الهجرة الى فلسطين بمقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب، وان المندوب السامي هو الذي يقدر هذه المسألة احسن تقدير »، واضاف « لم يحدث اي تغيير مهما كان نوعه في السياسة التي اتبعتها الحكومات (البريطانية) في السنوات الخمس عشرة الاخيرة، منذ ان عهد الينا بالانتداب[108] ». وفي 9 ديسمبر1935 ، صرح المستر توماس، وزير المستعمرات، ان « مقدار الهجرة الى فلسطين يجب ان يتم بناء على مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب[109] ». واكد هو نفسه مرة اخرى في 10 فبراير 1936 على مبدأ المقدرة الاقتصادية[110] ». وفي 26 مايو 1937، اعلن المستر اورمسبي غور، وزير المستعمرات، ان « السياسة المتبعة بشأن

P. D vol . 239 , cols . 387 - 8 _ 105

P D . vol . 276 , cols ' 1420 - 1 _ 106

P . D . vol . 283 , col . 1492 _ 107

P . D . vol . 291 , col . 204 _ 108

P . D . vol . 307 , col . 574 _ 109

P . D . vol ' 308 , col . 551 _ 110

الهجرة هي سياسة حكومة العمال الموضحة في رسالة مكدونالد عام 1931 »، وهي تقوم ايضا على مبـدأ مقدرة البـلاد الاقتصاديـة على الاستيعاب [111] . واكد على ذلك مرة اخرى في 16 يونيه 1937 [112].

لم تخضع الا فئة العمال اليهود لمبدأ مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، وهي التي انيط تقديرها وتقريرها بيد المندوب السامي . وكانت الوكالة اليهودية ، بالاشتراك مع مأمور من دائرة الهجرة ، تقوم بفحص احوال اليهود الصناعية والاقتصادية في البلاد ، وحالة العمل فيها ، وتبني طلبها على نتيجة ذلك الفحص . ويقدم مأمور دائرة الهجرة تقريرا مستقلا الى رئيس الدائرة . وتقوم دائرة الهجرة في الوقت نفسه بدراسة تقريبية لحالة البطالة بين العرب ، « آخذة في الاعتبار بعض العوامل الاقتصادية كحركة الشحن واستهلاك الكهرباء . وعلى هذه الصورة يكون لدى المندوب السامي دراسة عامة عن احوال اليهود مرفوعة من قبل الوكالة اليهودية ، ودراسة عامة اخرى مماثلة لها ، قام بها في الوقت نفسه موظف حكومي ، وينقحها اذا اقتضت الحالة مدير دائرة الهجرة ، ويكون لديه ايضا ، في الوقت ذاته ، فكرة تقريبية عن البطالة بين العرب [113] » . وبذلك يكون لدى المندوب السامي فيض من المعلومات يستطيع بموجبها تحديد قائمة العمال اليهود المطلوب دخولهم الى البلاد .

وقد انتقدت لجنة التحقيق الملكية هذه الطريقة في تحديد جداول العمال اليهود ، فقالت « لم تقتنع بان دائرة الهجرة تقوم باستقصاء المعلومات الكافية من ادارة الالوية قبل وضعها جدول العمال » ، واوصت « ببذل مقدار اوفر من الهمة للتأكد مما اذا كان المهاجرون (اليهود) لا يزالون مستخدمين فعلا ، ومما اذا كانت الاعمال التي استخدموا فيها ما زالت مستمرة او انتهت [114] » ، وهي في

P . D . vol . 324 , col . 262 _ 111

P . D . vol . 325 , col . 352 _ 112

113 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 377 - 378 .

114 ـ المصدر السابق ص 378

ذلك كله تشك في الارقام التي كانت تقدمها الوكالة اليهودية الى الحكومة .

ومهما يكن ، فان الجدول التالي يبين الفروق الكبيرة بين تقديرات الوكالة اليهودية ، وبين ما سمحت به الحكومة البريطانية .

الفترة	تقديرات الوكالة اليهودية	شهادات الهجرة الحكومية الممنوحة
ابريل ـ سبتمبر 1934	20,000	5,600
ابريل ـ سبتمبر 1935	19,160	8,000
سبتمبر 1935 ـ مارس 1936	10,900	3,250
ابريل ـ سبتمبر 1936	11,000	4,500
اكتوبر 1936 ـ مارس 1937	10,965	1,800
ابريل ـ سبتمبر 1937	11,250	770
اكتوبر 1937 ـ مارس 1938	3,000	1,780
ابريل ـ سبتمبر 1938	-	1,150
اكتوبر 1938 ـ مارس 1939	4,625	1,150[115]

توزيع شهادات الهجرة

وبعد اقرار جدول العمال ، تقوم سلطات الهجرة باعداد (شهادات الهجرة) اللازمة ، وتصدرها على دفعات الى الوكالة اليهودية ، التي توزعها بدورها على (المكاتب الفلسطينية الصهيونية) . ولدى توزيع هذه الشهادات ، تؤخذ بعين الاعتبار المراكز النسبية التي تشغلها الاحزاب اليهودية في الوكالة اليهودية ، واحوال البلاد التي يفد منها المهاجرون .

والمعروف ان المؤتمر الصهيوني ، اي مؤتمر ، عند انعقاده هو الذي يقرر نصيب كل حزب من الاحزاب اليهودية المختلفة من شهادات جدول

115 ـ P . D . vol . 291 , col . 550 , P . D . vol 312 ,col . 2391
P . D . vol . 324 , col . 262 , Great Britain and Palestine , P . 68 , Report 1938 , P . 74

العمال ، كدليل تسترشد به الوكالة ، التي هي لجنة المؤتمر التنفيذية ، عند توزيعها الشهادات المخصصة لكل حزب من هذه الاحزاب من اصل جدول العمال .

وتوزع شهادات الهجرة على البلاد المختلفة بنسبة عدد اليهود في كل منها ، واتساع مراكز التدريب فيها ، والاحوال الاقتصادية التي تسودها . وقد جرت العادة منذ اكتوبر 1933 على اعطاء بولونيا 35,4% من شهادات الهجرة ، اذ قدر عدد اليهود فيها بنحو 3,250,000 نسمة ، وكانت بولونيا تملك اوسع مؤسسات للتدريب . ولقد كان نصيب المانيا 26,6% من شهادات الهجرة ، فازدادت حصتها منذ عام 1933 ، نظرا لوصول الحزب النازي الى الحكم .

تسترشد الوكالة اليهودية في فلسطين في توزيع شهادات العمال ، برأي لجنة تدعى (اللجنة الاستشارية للهجرة) ، وهي مؤلفة من ممثلي جميع الفروع الاقتصادية للطائفة اليهودية في فلسطين . وتعيين اعضاء اللجنة منوط باللجنة التنفيذية للمجلس الملي اليهودي ، ووظيفتها اسداء النصح للوكالة اليهودية بشأن طريقة توزيع الشهادات على الفئات اليهودية المختلفة .

وعندما تتسلم الوكالة اليهودية شهادات الهجرة ترسلها الى المكاتب الفلسطينية الصهيونية الكبرى في اوروبا واميركا وعدن ، والتي بلغ عددها 12 مكتبا ، اكبرها المكتبان الموجودان في وارسو وبرلين ، لان بولونيا والمانيا كانا البلدان اللذان يفد منهما العدد الاكبر من المهاجرين اليهود . وترسل هذه المكاتب ، التي تخضع لاشراف الوكالة اليهودية ، المهاجرين الذين يقع عليهم الاختيار ، مع شهاداتهم الى مأمور مراقبة الجوازات ، الذي يكلفهم بابراز شهادات من البوليس بحسن سلوك المهاجر وعدم وجود سوابق جنائية له . أما شهادات الصحة فلا مناص من ابرزها لان ذلك وارد في قانون الهجرة. وعلى ذلك فان الوكالة اليهودية هي التي تقوم بتحديد نوع وصفة المهاجرين الذين يفدون الى البلاد بموجب جدول العمال.

اما المهاجرون الذين تختارهم المكاتب الفلسطينية الصهيونية فيأتون من

مراكز التدريب ، التي هي نتيجة لحركة بدأت ابان الحرب العالمية الاولى ، وتعرف باسم الحالوتس Halutz ، (الطليعة) [116] . وهذه الحركة تنقسم الى ثلاث مراحل من حيث سن المهاجر . فالمرحلة الاولى منها تتناول الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين 12 و17 عاما ، وهم ينتمون الى ما يمكن تسميته (بجمعية الشبان) ، وكثيرا ما تأخذ هذه المرحلة شكل حركة كشفية . وتبدأ المرحلة الثانية للشباب بين سن 17 و19 عاما ، وفي اثنائها ينضم الشبان والشابات الى فروع محلية تابعة لمنظمة (الطليعة) . اما المرحلة الثالثة فتبدأ من سن التاسعة عشر فما فوق ، وفي هذه الفترة يدخل الشبان والشابات مراكز التدريب . وتذكر لجنة التحقيق انها علمت بان « لدى المنظمة الصهيونية في الوقت الحاضر (عام 1937) 24 الفا من اليهود تحت التدريب ، الذي يستغرق عادة سنتين او ثلاث سنوات . ويتناول تدريبهم الزراعة في الدرجة الاولى » ، وان « ثمة بعض المؤسسات ايضا لتعليم الصنائع والحرف [117] » .

بلدان الهجرة اليهودية

ذكر المستر شيلز ، وكيل وزارة المستعمرات ، في 12 مارس 1930 ، ان 14,683 مهاجرا يهوديا دخلوا فلسطين بين اول سبتمبر 1920 و31 ديسمبر 1921 ، وان نسبتهم كما يلي : من بولونيا 33٪ ، من روسيا 15٪ ، من رومانيا 5٪ ، من دول اوروبا الشرقية الصغيرة 11٪ ، من بريطانيا 3,5٪ ، من آسيا الوسطى 10٪ ، من بلدان اخرى 22,5٪ . ثم قدم الاحصائية التالية عن الهجرة اليهودية بين عامي 1922 و1929 :

البلدان	العدد
بريطانيا والدومنيون	974
الولايات المتحدة	2,217
روسيا	16,796
بولونيا	38,850

116 ـ انظر تشكيلها في E . F . vol . I , P 330

117 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 380 - 381 .

رومانيا	5,555
المانيا	2,324
النمسا	1,095
المجر	276 [118]

ويتضح مما ذكره المستر شيلز ان اليهود البولونيين شكلوا العدد الاكبر من المهاجرين اليهود الى فلسطين بين عامي 1920و1929 . ويعلل سايكس ذلك بقوله « حاول اليهود في بولونيا اقامة وطن قومي لهم داخل الدولة البولونية ، مما سبب عداء البولونيين لهم ، واسفر ذلك عن فتح ابواب الهجرة امامهم [119] » . ولكن واقع الامر غير ذلك ، اذ ان البرجوازية البولونية النامية وجدت في اليهود البولونيين منافسين خطرين لها ، بسبب سيطرتهم على قسم كبير من الصناعات ووسائل الانتاج والاعلام وغيرها .

وظلت بولونيا المصدر الاول للهجرة اليهودية حتى عام 1933 . فقد قدرت المصادر البريطانية عدد اليهود البولونيين بنحو 53,310 مهاجرا للفترة من 1922/1/1 حتى 1933/8/21 ، وتلاها روسيا (17,930 مهاجرا)، ثم رومانيا (7,135 مهاجرا) ، وجاءت المانيا في المرتبة الرابعة (4,732 مهاجرا [120] . ولم يتغير هذا الموقف حتى عام 1939 ، فقد قدرت الوكالة اليهودية مجموع المهاجرين البولونيين بنحو 130,392 مهاجرا ، والمهاجرين الالمان بنحو 37,109 مهاجراً ، والمهاجرين الروس بنحو 30,472 مهاجرا ، واليهود من رومانيا بنحو 14,621 مهاجرا ، وذلك للفترة ما بين عامي 1919و1939 [121] .

يتضح مما تقدم ان قضية وصول الحزب النازي للحكم في يناير 1933 ، لم تسفر عن ان يشكل اليهود الالمان اعلى نسبة من المهاجرين اليهود الى فلسطين.

---

118 _ P . D . vol . 236 , col . 1308

119 _ Sykes , op cit , pp . 101 - 4

120 _ P . D . vol . 281 , cols . 910 - 11

121 _ Gertz , op . pp . 104 - 5

p . d vol . 314 , col . 634 , P . D . vol . 333 , col . 1192

ذلك ان معظم اليهود في فلسطين كانوا ينتمون الى العنصر السلافي Slavs ، كما ان القيادة الصهيونية كانت تنتمي الى نفس العنصر، ورأت الاغلبية السلافية ان « التفوق السلافي لم يتأثر بالتطورات المفاجئة التي احدثها الحكم النازي[122] ». واذا كان حاييم ارلوزوروف H. Arlosoroff ، عضو اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، قد حاول في ربيع عام 1933 ، ان يعقد اتفاقا مع النازيين للسماح لليهود الالمان « بالخروج من المانيا سلميا[123] » ، ونجح مبدئيا في مفاوضاته ، الا ان اثنين من اتباع جابوتنسكي ، قد اقدما على اغتياله في تل ابيب في السابع عشر من يونيه[124] 1933 .

المهاجرون ذوو السعة الاقتصادية

لم تضع الحكومة البريطانية اية قيود على هجرة اصحاب الاموال اليهود الى فلسطين خاصة فئة أ(1) ، الذين يملكون مبلغا لا يقل عن الف جنيه . ويشير الجدول التالي الى ارتفاع نسبتهم من 4% عام 1930 ، الى 16٪ عام 1939 .

السنة	عدد المهاجرين من فئة أ (1)	نسبتهم الى مجموع المهاجرين
1930	178	%4
1931	233	%6
1932	727	%8
1933	3250	%11
1934	5124	%12
1935	6309	%10
1936	2970	%10

122 ـ SYKES , OP . CIT . P . 169

123 ـ Michael B Zaher : The Armed Prophet : a Biography of Ben Gurion London 1966 , p . 49

124 ـ انظر قصية اغتيال ارلوزوروف في . P . D . vol . 279 , col . 931 VOL 280 col 1438 , dols. 2972 - 80 , vol . 290 , col . 32 , 1896 , vol . 291 , col . 962

1937	1275	%12
1938	1723	%14
1939	1629	%16 [125]

وقد شكل هؤلاء المهاجرون نحو 10,57% من مجموع المهاجرين اليهود ، فاذا اضيف اليهم الاشخاص الذين يعتمدون عليهم ، وقد قدر عددهم بنحو 17,119 مهاجرا للفترة بين 1932و1936 ، فان نسبتهم جميعا تبلغ نحو 20% من مجموع المهاجرين [126] .

ويشير الجدول التالي ، وهو حسب تقدير الوكالة اليهودية ، الى مجموع اصحاب الاموال ، بما فيهم فئة أ (1) ، الذين يملكون 250 جنيها فاكثر .

السنة	اصحاب اموال	طلاب	عمال	أطفال	المجموع
1922	1365	-	3310	3169	7844
1923	1002	-	4371	2048	7421
1924	5319	-	5343	2194	12,856
1925	11,923	-	16,161	5717	33,801
1926	1676	105	9102	2198	13,081
1927	414	45	1311	943	2713
1928	792	53	708	625	2178
1929	739	71	3585	854	5249
1930	479	64	3436	965	4944
1931	609	66	2172	813	4075
1932	1623	169	3708	1227	9553
1933	7202	391	18,953	2846	30,327
1934	11,552	1893	22,035	6879	42,359

125 ـ Williams — Thompson , op . cit , p . 66 73 Great Britain and palestine , p . 67 , Report 1938 p

126 ـ انظر سعيد حمادة المصدر السابق ص 27

1935	15,551	1964	27,729	16,610	61,854
1936	7164	1591	11,477	9495	29,729
1937	2558	1043	3151	3784	10,536
1938	3537	2531	4235	2565	12,868
1939	6179	3805	2960	3416	16,405[127]

والواقع ان الاموال التي ادخلها المهاجرون اليهود الى فلسطين ، استغلت في شراء الأرض وانشاء المشروعات الصناعية اليهودية في فلسطين . ويقدر هربرت صمويل ان « اليهود انفقوا في 17 سنة بين عامي 1920و1937 نحو 370 مليون دولار على الارض والمستوطنات والمشروعات الصناعية في فلسطين [128] » . ويقدرها آخرون بنحو 400 مليون دولار للفترة ما بين عامي 1919و 1936[129]. اما جريدة اسرائيل فتذكر ان ما انفقه اليهود في فلسطين خلال عام 1932 بلغ نحو 3,250,000 جنيه فلسطيني [130] . اما اسكوفاونديشن فتذكر ان اليهود انفقوا نحو 63 مليون جنيه في فلسطين بين عامي 1933 و[131] 1939 .

ويؤكد تقرير اللجنة الملكية ان 17,653 شخصا « ممن يملكون رأسمال قدره الف جنيه على الاقل ، قد دخلوا فلسطين خلال الفترة الواقعة بين بداية عام 1933 ونهاية عام1936 » ، وان هذا العدد « يعادل نحو 11% من مجموع عدد المهاجرين اليهود » . ويضيف بان كثيرين من مهاجري فئة أ(1) « يجلب الواحد منهم الى البلاد اكثر من الف جنيه ، فقد بلغ راسمال المهاجر منهم 2500 جنيه في كثير من الاحيان ، وذكر ان فريقا منهم ادخل مبالغ تتراوح بين 10و20 الف جنيه [132] » .

127 ـ Gertz , op . cit p 103 , P ' D ' vol 332 , col 339 P . D . vol 304 , col . 2135

128 ـ Foreign Affairs , Oct . 1937 , p 144

129 ـ Fred KHOURI op . cit p . 18

130 ـ اسرائيل 1933/3/3

131 ـ E . F vol II, p . 693

132 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 375 .

المهاجرون اليهود وفئات النشاط الجسدي

ويشير الجدول السابق الى فئات اخرى من المهاجرين اليهود غير اصحاب الاموال ، وبالذات الفئات ذات النشاط الجسدي الخاص لبناء الوطن القومي اليهودي . ويبين الجدول التالي فئات الاعمار بالنسبة للمهاجرين اليهود بعد عام 1928 .

فئة السن	النسبة المئوية	المجموع
صفر - 4	5,4	
5 - 14	12,2	
جملة الاحداث		17,6
15 - 29	46,7	
30 - 44	20,1	
45 - 59	10	
جملة فئات النشاط الجسدي		76,8
60 فما فوق	5,6	
جملة الشيوخ		5,6
المجموع		100

ان سياسة الهجرة اليهودية كانت تعتمد ارسال اقصى نسبة من المهاجرين في سن القوة والنشاط ، ممن يحتاج اليهم الاستيطان الاقتصادي والنضال السياسي والعسكري . وتشكل فئات المعالين (من صفر - 14 ، و60 فما فوق) اقل من ربع المهاجرين (23,2%) ، في حين كانت هذه الفئات تشكل فوق الثلث بقليل لمجموع اليهود من مهاجرين وافدين ومقيمين (36%) . اما العرب فقد كان نحو نصفهم (48%) من هذه الفئات ذاتها [133] .

ويبين الجدول التالي نسبة المهاجرين اليهود اقل من 35 عاما واكثر من 35

133 - يوسف صايغ : الاقتصاد الاسرائيلي ، القاهرة 1966 ، ص 65 - 66 .

عاما في خلال ثماني سنوات .

السنة	اقل من 35 عاما	اكثر من 35 عاما
1931	%76,6	%23,4
1932	%74,6	%25,4
1933	%79,9	%20,1
1934	%75,7	%24,3
1935	%71,7	%28,8
1936	%68,5	%31,5
1937	%68,5	%31,5
1938	%70,9	%29,1 (134)

وفي اوائل الاربعينات كان توزيع فئات الاعمار كما يلي :

السن	العرب	اليهود	النسبة لجميع السكان
صفر ـ 15	%43,5	%27,1	%38,2
15 - 50	%43,7	%60,4	%49,2
فوق 50	%12,8	%12,5	%12,6 (135)

ويؤكد هذا الجدول مرة اخرى ان فئات النشاط الجسدي للسكان اليهود كانت تعادل نحو مرة ونصف مجموع فئات النشاط الجسدي لدى السكان .

لم تكن الهجرة اليهودية (الرسمية) ـ التي كانت تتم تحت اشراف السلطات البريطانية ـ المصدر الوحيد لزيادة عدد اليهود في فلسطين ، بل وجدت الى جانبها ، هجرة يهودية غير شرعية ، مولتها الحركة الصهيونية العالمية ، وتغاضت عنها السلطات البريطانية الى حد كبير .

---

134 ـ Report 1935 , p . 46 Report 1938 p . 71

135 ـ Robert Nathan op . cit p . 132

الهجرة اليهودية غير الشرعية

يطلق عليها بالعبرية (علياه بيت) اي (الهجرة للمجموعة ب) . وقد اخذت منظمة الهاجاناه ، بمساعدة الهستدروت ، على عاتقها تنظيم وترتيب هذه الهجرة ، فأنشأت منظمة موساد Mosad عام 1934 ، للاشراف عليها . واستخدمت مخابرات الهاجاناه (الشاي) « كل وسيلة ممكنة لانقاذ المهاجرين (غير الشرعيين) ، وذلك بالاتصال بالموظفين اليهود والقضاة وغيرهم من موظفي الحكومة ، ثم باعضاء المجالس الدينية ورؤ ساء الدين ، وافهامهم ان يغضوا ابصارهم عن اية هجرة غير قانونية . وانه يجب عليهم من الناحية الايجابية ان يقدموا اي ضمان ، وان يصدروا اية وثائق تحول دون ابعاد اي فرد تتهمه الحكومة بدخول البلاد دون اذن قانوني . وعندما كان اي كونستابل بوليس يهودي يتسلم كشفاً يضم 20 او30 شخصا مطلوب القبض عليهم لابعادهم ، فانه كان يسلم حالا صورة من الكشف لمخابرات الهاجاناه ، التي تفحص الكشف بسرعة ، ثم تعمل لاخفاء المهاجرين غير القانونيين فعلا ، ومن ثم فانه ليس على الكونستابل الا ان يقرر بانه لم يجدهم في العناوين الموضحة قرين اسمائهم [136] » .

وقد عملت مخابرات الهاجاناه على « الاتصال بنقاط (مراكز) البوليس في المناطق التي سترسو عندها السفن التي تنقل المهاجرين » . وكانت توجه نظر رجالها في تلك المراكز الى ان يغضوا ابصارهم عن كل شيء في الليالي التي تصل فيها السفن على مقربة من الساحل » ، وان يخطروها باقصى سرعة ممكنة ان « وجدوا اي مظهر للشك من رؤ سائهم الانجليز [137] » . ولقد وقف بعض كبار الموظفين الانجليز الى جانب الحركة الصهيونية بالنسبة لمسألة الهجرة غير الشرعية ، حتى ان مستر ترستد ، ممثل الحكومة البريطانية ، اعلن في اول يونيو

---

136 ـ افرايم ديكل : الشاي : مخابرات الهاجاناه دورها في فلسطين ـ اصدار شركة توماس يوسيلوف ، لندن ، نيويورك ، 1959 . ص 73 - 77 .

137 ـ المصدر السابق ص 80 .

1936 ، امام لجنة الانتدابات الدائمة ، ان « احد كبار موظفي دائرة الهجرة الانجليز ، قد طرد من وظيفته لاتهامه بالمساعدة على الهجرة غير الشرعية »[138] .

اعترفت السلطات البريطانية بوجود هجرة يهودية غير شرعية الى فلسطين ، لكنها ادعت بانها اتخذت « اجراءات عملية » للحد من تلك الهجرة [139] . اما تلك الاجراءات فكانت :

1) « زيادة عدد الموظفين بقصد الحصول على احصاءات دقيقة لعدد الاشخاص الذين يدخلون البلاد كسياح ، ويبقون بصورة غير شرعية .

2) تعيين موظف مختص بالاشراف على حركة السياح ، والقاء القبض على الاشخاص الذين يدخلون البلاد بدون تأشيرة .

3) اتخاذ اجراءات خاصة لتحذير الحاصلين على تأشيرات سياحية ومرور الى فلسطين ، بعدم العمل في البلاد او الاقامة فيها .

4) اصدار التعليمات الى موظفي القنصليات البريطانية في بعض البلدان بضرورة الحصول على 60جنيها كتأمين عن كل سائح ، او ضمان من اي بنك [140] » .

لم تكن الاجراءات البريطانية للحد من الهجرة اليهودية غير الشرعية فعالة على الاطلاق . يدل على ذلك انه حتى 23 فبراير 1935 لم يكن في سجون فلسطين الا 125 يهوديا ينتظرون الترحيل [141] ، ونقص العدد في 7 يونيه 1935 فاصبح 85 يهوديا فقط [142] . واعلن اورمسبي غور ، وزير المستعمرات ، في

---

138 _ P . M . C . 29th S . P 67

139 _ P . D vol 281 , col . 30

140 _ op cit cols . 343 - 4

141 _ P D . vol 298 , cols 949 - 50

142 _ P D . vol . 304 col . 160

23 فبراير1938 انه « تم ابعاد22 يهوديا المانيا في الفترة ما بين 1934و 1937 لدخولهم فلسطين بطريق غير شرعي [143] » . واضاف انه « حتى 16 فبراير 1938 ، كان يوجد 31 يهوديا معتقلا بتهمة الدخول بصورة غير شرعية الى فلسطين [144] » . هذا في الوقت الذي اكد فيه تقرير اللجنة الملكية ان عدد المهاجرين اليهود الذين دخلوا البلاد حتى اوائل عام 1937 ، بطرق غير شرعية ، قد بلغ نحو اربعين الفا [145] . كما اعربت لجنة الانتدابات الدائمة في عام 1931 عن « اسفها لان الاجراءات التي اتخذت للحد من الهجرة غير الشرعية الى البلاد لم تكن ابدا مرضية [146] » .

سارت الهجرة اليهودية غير الشرعية « جنبا الى جنب مع الهجرة المشروعة [147] » ، كما اكد ذلك تقرير اللجنة الملكية ، واتخذت عدة اشكال منها :

1) الاحتيال على القانون :

لم يقيد قانون الهجرة الذي وضعته السلطات البريطانية ، اعداد اليهود الراغبين في الهجرة الى فلسطين من فئة أ (1) ، وهم الذين يملكون الف جنيه فاكثر . وقد وجد كثير من اليهود الذين لا يملكون هذا المبلغ ، ان في استطاعتهم الاحتيال على القانون ، باستلافهم مبلغ الالف جنيه من اي شخص او من اي بنك لمدة معينة ، ويقدمون به مستندات للسلطات المختصة ، وبذلك يحصلون على اذن بالدخول الى فلسطين ، وبمجرد دخولهم تلغى تلك المستندات . وقد ذكرت جريدة المقطم في 12 نوفمبر 1934 ما يلي « اكتشف بوليس فلسطين عصابة من السماسرة في تل ابيب ، ثبت ان افرادها كانوا يقدمون لمن يريد من المهاجرين اليهود ، لقاء اجر معلوم ، حسابا جاريا في احد البنوك بمبلغ الف

143 _ P . D . vol . 332 . col 339

144 _ op . cit col 383

145 _ تقرير اللجنة الملكية ص 369.

146 _ L . O . N . the league from YEAR to YEAR (1936) P . 110

147 _ تقرير اللجنة الملكية ص 382 .

جنيه ، يسجل باسمه مدة معينة على انه ملك له ، ليدخل فلسطين بهذه الكيفية » .

2) الزواج الصوري :

استغل اليهود مادة في قانون الهجرة تنص على ان كل مهاجر شرعي له الحق في ادخال زوجته تحت فئة الاشخاص المعالين ، وان كل سائحة تتزوج من رجل فلسطيني مقيم في فلسطين ، تكتسب بذلك الزواج الجنسية الفلسطينية ، فادى ذلك الى عقد الكثير من الزيجات ، غايتها فقط ادخال المهاجرين الى البلاد ، ثم تحل عقود هذه الزيجات ، بعد الدخول الى فلسطين . وهذا يفسر معدل الطلاق المرتفع الذي ساد بين يهود فلسطين ، فقد بلغ 509 حالة طلاق في كل الف زيجة في عام 1936[148] . وقد اشار تقرير اللجنة الملكية الى الزواج الصوري فقال « قيل لنا ان هناك طبقة من الرجال تسمى بالازواج المحترفين ، وهؤلاء يرتبطون بسلسلة من عقود الزواج والطلاق الصورية ، ما دامت الاجرة مؤمنة لهم[149] » .

3) البيان الكاذب :

انتحل اليهود المقيمون في فلسطين ، واليهود الفلسطينيون في خارج البلاد ، واليهود الذين سمح لهم بالدخول ، لانفسهم اطفالا او اقارب (معالين) ، تتوقف معيشتهم عليهم ، وبذلك يصبح لهؤلاء (المعالين) الحق في دخول فلسطين .

4) دورات الالعاب المكابية :

وهي دورات العاب يهودية ، تقام في فلسطين مرة كل سنتين ، يدخل بواسطتها الوف من غير اللاعبين ويبقون في البلاد . وقد اقيمت هذه الدورات في اعوام 1927 ، 1929, 1931, 1933, 1935. وتؤكد المصادر الرسمية البريطانية ان

148 ـ انظر سعيد حمادة المصدر السابق ص 35 - 36 .

149 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 383

حكومة فلسطين كانت تقدم تسهيلات خاصة لهذه الدورات [150] .

5) المعارض اليهودية :

دخل فلسطين تحت ستار الاشتراك في هذه المعارض ، او بحجة مشاهدتها ، الوف من المهاجرين غير الشرعيين ، وقد اقيمت هذه المعارض في اعوام 1924 ,1926 ,1928 ,1930 ,1932 ,1934 1936. ويلاحظ ان اعوام اقامة المعارض اليهودية هي غير اعوام الدورات المكابية .

6) السياحة :

كانت السياحة تشكل احد البنوك الاساسية في ميزانية حكومة فلسطين ، اذ كانت تتقاضى 60 جنيها عن كل سائح [151] . ويبين الجدول التالي مقدار دخل حكومة فلسطين بين عامي 1926 و1936 من بند السياحة .

السنة	الدخل (ج . ف)
1926	503,760
1927	573,590
1928	694,520
1929	573,650
1930	564,500
1931	527,900
1932	538,730
1933	668,040
1934	822,300
1935	963,150
1936	522,170 [152]

150 ـ P . D . vol . 300 , col 810
151 ـ P . D . vol . 291 , col . 1888
152 ـ سعيد حمادة المصدر السابق ص 93 .

واستغل اليهود السياحة في زيادة عددهم في البلاد بطريق غير شرعي . اذ ان قسما من السياح اليهود كان يبقى في البلاد بعد انقضاء المدة المحددة له . ويبين الجدول التالي اعداد السياح الذين دخلوا البلاد لمدة غير محدودة ، ومكثوا فيها خلال خمس سنوات .

السنة	السياح الداخلون	السياح الخارجون	الفرق
1931	5,764	52,790	1,974
1932	13,253	53,873	9,380
1933	79,833	66,804	13,029
1934	91,823	82,230	9,593
1935	106,823	96,315	10,508 (153)

ومما لا شك فيه ان قسما كبيرا من السياح الذين ظلوا في البلاد كانوا من اليهود . على ان المصادر البريطانية الرسمية تقدم احصائية اخرى للسياح اليهود الذين دخلوا البلاد لمدة محددة ، وظلوا فيها بصورة غير شرعية .

السنة	عدد السياح اليهود	الباقون بصورة غير شرعية
1933 من 9/1	6,827	2,321
1934	26,400	2,907
1935	36,128	4,618
1936	14,574	132
1937	15,079	93
1938	10,919	(154) 307

والواقع ان النقص في اعداد السياح اليهود في سنوات 1936, 1937, 1938 يرجع الى عدم استقرار الاحوال في البلاد بسبب نشوب الثورة الفلسطينية .

153 ـ Report 1935 , p . 49

154 ـ Report 1938 , p . 75

ومما يجدر ذكره بالنسبة للهجرة اليهودية عموما الى فلسطين ، ان الحكومة البريطانية كانت تنكر انها تقدم معونات مالية لليهود من اجل استيطان فلسطين . فقد اكد المستر تشرشل ، وزير المستعمرات ، في 21 مارس 1922 ، ان « تكاليف استيطان اليهود تدفعها عناصر يهودية [155] » . وصرح اورمسبي غور ، وكيل وزارة المستعمرات ، في 9 يوليو 1923 ، ان « اعباء الهجرة لا يدفعها المكلف البريطاني ، انما هي عبء على اليهود انفسهم [156] » . وفي 26 ابريل 1927 ، صرح المستر امري ، وزير المستعمرات ، بان « المنظمة الصنهيونية تدفع للحكومة عن المهاجرين الذين يدخلون فلسطين تحت اشرافها ، نفقات الاعاشة والتطهير والتطعيم . وان المنظمة نفسها تقيم معسكرات للمهاجرين ، تسمح لعدد محدود منهم بالاقمة فيها حتى تدبر لهم اماكن الاقامة ، وان حكومة فلسطين لا تدفع نفقات او تكاليف هذه المعسكرات [157] » . على ان الحكومة البريطانية ، من ناحية اخرى ، كانت تتقاضى جنيها واحدا عن كل مهاجر يهودي يبلغ من العمر 16 عاما فاكثر ، ومبلغ 20 قرشا عن كل مهاجر يقل عن 16 عاما [158] .

يتضح من كل ما تقدم ان السياسة البريطانية ازاء قضيتي الارض والهجرة ، قامت على اساس انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . فأي (وطن) ، لا بد ان يرتكز على الارض والسكان ، بالاضافة الى الاستقلال الاقتصادي والسياسي . وقد كفلت الحكومة البريطانية هذه المقومات لليهود في فلسطين ، هذا الى جانب الاعتراف بالعلم الصهيوني وبالنشيد الصهيوني (الهاتكفا) . ولعل فيما سجلته لجنة التحقيق الملكية ابلغ دليل على ذلك . قالت اللجنة : « وما جاءت سنة 1936 حتى كان الوطن القومي اليهودي قد نما ، واصبح شيئا يشبه حكومة ضمن حكومة . فالطائفة اليهودية في فلسطين تبلغ الآن

---

155 ـ P . D . vol . 152 , col 216

156 ـ P . D . vol 166 , col 900

157 ـ P . D . vol . 205 , col . 651

158 ـ op . cit , col 651

(1936) اربعماية الف شخص ، ولها عاصمتها ، تل ابيب ، وهي اكبر مدينة في فلسطين ، ولها علمها الوطني ونشيدها القومي ، ونظامها الثقافي ، ولها شبكة من المصالح الاجتماعية ، واقتصادياتها مقسمة الى فرع زراعي وآخر صناعي . وترتبط هذه الطائفة باليهودية العالمية بواسطة الوكالة اليهودية ، بينما تدار شئون (الوطن) الداخلية بواسطة مجمع وطني ومجلس ملي ومجلس ربانيين [159] » .

هكذا عملت الحكومة البريطانية ، التي لم تتغير سياستها بالنسبة لقضية فلسطين حتى عام 1939 ، على بناء الوطن القومي اليهودي وتدعيمه ، محافظة بذلك ، اولا وقبل كل شيء ، على مصالحها الامبريالية في فلسطين وفي منطقة الشرق العربي .

---

159 ـ تقرير اللجنة الملكية ص 403

ملاحق

« الملحق رقم 1 »

« المحاكم المدنية في بلاد العدو المحتلة » واعادة تأسيسها

يقضي القانون الدولي بأن تستمر ادارة البلاد المحتلة على قدر الامكان على الطريقة التي كانت متبعة قبل الاحتلال . وقد نص القانون ان على الدولة التي اجتيحت اراضيها ان تمنع الفرار وتبقي الموظفين الملكيين في مراكزهم ليديروا شئون الاهالي . ولكن الذي حصل في فلسطين بعيد عن التركي المتقهقر . ولهذا بقيت المحاكم معطلة الى الان ما عدا القليل منها .

ومع ان عمل الاتراك هذا انشأ صعوبات عظيمة للادارة العسكرية ، وادى الى تأخير تأسيس المحاكم المدنية ، فان فائدة الاهالي ستكون اعظم اذ قد تخلصت البلاد من عدد من الموظفين الذين بسبب عجزهم وفسادهم وصل الادارة العسكرية من انتخاب رجال يعتمد عليهم في شئون القضاة ، وقررت الطريقة التي يجب اتباعها في اعادة التنظيم وايجاد المستخدمين للمحاكم .

وكانت المسألة الاولى على شيء من البساطة ، لان نظام القضاء التركي يصلح للعمل بعد تنقيح طفيف . فهو ينص على تأليف محكمة استئناف ومحاكم ابتدائية ، وعلى تعيين قضاة للنظر في القضايا الصغيرة التي يتكون منها معظم المقاضاة ، ولم يكن الامر يقتضي سوى زيادة عدد القضاة لجعل القضاءاقرب منالا الى الاهالي ، ولكفايتهم مشقة قطع المسافات الطويلة لرفع قضاياهم . ولا يخفى ان لمحاكم قضاة الصلح افضلية وهي ان اجراءاتها اقصر واسرع من اجراءات المحاكم الابتدائية . وستغني زيادة قضاة الصلح عن انشاء محاكم ابتدائية في كل قضاء .

اما المحكمة العليا للبلاد فستكون محكمة الاستئناف في القدس ، وستنعقد بصفة محكمة جنايات للنظر في الجرائم المهمة ، وتتبع طريقة جديدة وهي التنقل في البلاد من محل الى آخر للحكم في قضايا الجنايات ، بحيث يستغني عن ارسال المتهم والشهود الى القدس . وهذه الطريقة مقتبسة عن الطريقة المتبعة في انحلترا ، فقد مضت مئات من السنين على المحاكم المتنقلة هناك واتت بأحسن

النتائج .

وستنشأ محكمتان ابتدائيتان احداهما في القدس والاخرى في يافا ، فتنظر محكمة القدس في قضايا قضاء القدس والخليل وبئر السبع ، وتنظر محكمة يافا في قضايا يافا وغزة . . وربما توهم البعض ان هذا النظام مما ينشىء مشقة لاهالي غزة والخليل وبئر السبع بالزامهم بان يحضروا الى القدس اويافا لعرض قضاياهم المهمة . ولكن الامر قد تدورك ، اذ نص القانون على انشاء محاكم مخصوصة في الاقضية التي ليس فيها محاكم ابتدائية ، وهي تتألف من ضابط اداري بريطاني وقاضي صلح معه احد الاعيان ، او من الضابط المذكور واثنين من الاعيان . وتعقد هذه المحكمة عند اللزوم وتخول السلطة للنظر في القضايا التي هي فوق اختصاص قاضي الصلح او يخول ايضا قاضي الصلح سلطة للنظر في جميع القضايا مهما يكن مبلغها بشرط ان يقبل الفريقان المتقاضيان بذلك ، وهذا يسهل على الفريقين ان ينظر في قضاياهم في المحل الملائم لهما .

وسيزاد عدد قضاة الصلح زيادة كبيرة ، ومتى تم المشروع فسيكون هنالك على الاقل تسعة قضاة صلح يوزعون على انحاء البلاد المختلفة بطريقة تلائم مصلحة الاهالي فيكون في كل من الرملة وبيت لحم مثلا محكمة صلح مستديمة بخلاف ما كان جاريا في عهد الحكم القديم . وفي ايام معينة من الاسبوع يتجول قضاة الصلح للنظر في القضايا في الاماكن التي لم يدخلها القضاء حتى الان . والامل ان هذه النظام يفي بحاجة البلاد ويجعل العدل اقرب منالا الى الاهالي .

اما المسألة الثانية فكانت ايجاد الموظفين للمحاكم ممن فيهم القدرة على اكتساب احترام السكان لصفاتهم ومعارفهم . فاستقر الرأي على تعيين بعض الموظفين البريطانيين لهذه المناصب . وفي الواقع ان السلطة الادارية عينت بعض الضباط البريطانيين ممن لهم خبرة بالقضاء ومعرفة باللغة العربية ، ومن بوجودهم تزداد المحاكم رفعة ومقاما ويكفل اجراء العدالة .

واستقر الرأي ثانيا على هذا المبدأ للعمل به على قدر الامكان ، وهو ان تحفظ الوظائف في المحاكم لاهالي البلاد ، فلا يعين احد من الغرباء الا اذا كان من المستحيل الاستغناء عن تعيينهم . وقد بحثت السلطة بحثا دقيقا عن اشخاص ذوي اهلية للمناصب المذكورة فوجدت بين اهالي البلاد العدد المطلوب . ثم بذلت الهمة لايجاد اشخاص نزهاء ذوي مقدرة تامة على القيام بهذه الوظائف . ومتى نشر بيان بأسماء هؤلاء الموظفين ، فسيرى الاهالي ان الخيار وقع على افضل الرجال من جميع الملل والنحل . ولا شك ان عصرا جديدا قد بدأ في تاريخ القضاء في فلسطين ، فقد اقبل الموظفون الجدد على خدمة المحاكم الجديدة واعادة تنظيمها بهمة عظيمة .

بقيت مسألة اخرى تستوجب النظر ، وهي ان النظام التركي كان يقضي بوجود عدد كبير من الموظفين في المحاكم بماهيات قليلة لا تتفق مع نفقاتهم . وكانت هذه الحالة اول دافع الى الرشوة في ذلك الزمن . لذلك قررت الادارة العسكرية ان تجري على اساس جديد وهو ان تقلل عدد الموظفين لتزيد ماهياتهم من 70 الى 100في المائة ، فيزول بذلك نقص عظيم وتتحسن حالة الموظفين ماديا .

وستفتش المحاكم تفتيشا مطردا ، وتتخذ الاجراءات المدققة لضمان حسن سمعتها في

المستقبل .

هذا وليس فيما تقدم اشارة الى فرع آخر مهم من نظام القضاء ونعني به المحاكم الشرعية . وستبقى هذه المحاكم على ما كانت عليه وتخول نفس السلطة . وستنشأ محاكم شرعية اسلامية في كل قضاء ، وتظل المجالس الملية للطوائف الباقية تنظر في القضايا العائلية كما كانت تفعل قبلا .

اما القانون الذي تجري عليه المحاكم فسيبقى في الوقت الحاضر بدون تغيير ، وانما تزاد عليه نصوص . خصوصية ، لتدارك الامور الناشئة عن الحرب وعن القانون التركي الخصوصي . وهكذا يجد الاهالي معاملاتهم ستظل جارية بحسب القانون الذي اعتادوه بدون عرقلتهم بقوانين جديدة .

هذه هي الاقتراحات التي قررتها السلطة الادارية مدفوعة بالرغبة في وضع اتم نظام للقضاء في مثل هذه الاحوال مع مراعاة نصوص القانون الدولي . ومما يجب الانتباه اليه ان الاحتياطات التي اتخذتها الادارة العسكرية في البلاد المحتلة انما هي وقتية ، ولكن السلطة تسعى في وضع اساس ثابت لنظام واف مستديم .

جريدة فلسطين ع 10 س 1 ـ 1918/6/13ص 6 .

الملحق رقم 2 »

التقسيمات الادارية

اولا : الدرجة الاولى :

1) القدس : وملحقاتها بيت لحم ، رام الله ، اريحا ، والحاكم العسكري فيها الجنرال ستورز .
2) حيفا وعكا وملحقاتهما والحاكم العسكري فيهما الليفتتانت الكولونيل ستانتون .
3) الناصرة وطبرية وصفد وملحقاتهما ، وقد عين حاكما عسكريا لها الليفتتانت الكولونيل ووترز تيلر نائب حاكم القدس سابقا .

ثانيا : الدرجة الثانية :

١) يافا واللد والرملة وملحقاتها ، والحاكم العسكري فيها الليفتتانت الكولونيل هوبرت .
2) نابلس وتوابعها وحاكمها اللفتنانت الكولونيل كني .

ثالثا : الدرجة الثالثة :

١) الخليل وملحقاتها وحاكمها الماجور ابرامسون .
2) غزة والمجدل وملحقاتهما وحاكمها الماجور بوستلثويت .
3) جنين وحاكمها الماجور مكلرن .
4) طولكرم وحاكمها الماجور كيرتس .
5) بئر السبع والحاكم فيها الماجور بنفاذر .

جريدة فلسطين ع 35 ـ 1919/4/10 ص 5 .

« الملحق رقم 3 »

بلاغ الجنرال اللنبي عند دخول القدس

« الى اهل مدينة القدس الشريف والقاطنين بجوارها :

ان الهزيمة التي انزلتها الجنود تحت قيادتي بالاتراك قد ادت الى احتلال قواتي للمدينة ، لذلك اعلن الان وهنا ان المدينة اصبحت خاضعة للاحكام العرفية وسيظل هذا النظام ساريا فيها ما دامت الاعتبارات الحربية تقضي بذلك .

ولكن دفعا للذعر قد يالكم بسبب التجاريب التي عانيتموها على يد العدو الذي انسحب ، فهأنذا انبئكم مرادي هو استمرار كل منكم في عمله المشروع من دون ان يخشى تعرض احد له ثم انه لما كانت مدينتكم موضوع المحبة والاجلال في قلوب اهل ثلاثة اديان من الاديان البشرية العظمى ، ولما كان الاتقياء المتعبدون من اهل هذه الاديان الثلاثة قد كرسوا ارض مدينتكم للصلوات والحجج منذ قرون عديدة ، فاني سأحافظ على كل بناء مقدس او اثر او بقعة مقدسة او نقطة تاريخية او موقف او هبة دينية او مصلى عادي تابع لاي دين من تلك الاديان الثلاثة واقوم بحمايتها جريا على ما تقتضيه التقاليد المتبعة وعقائد من تقدس اديانهم تلك الاماكن » .

الكوكب ـ ع 73 ـ 1917/12/18 .

« الملحق رقم 4 »

لجنة كنج كرين « الذيل السري » عن فلسطين

« استشار اعضاء اللجنة في القدس ويافا الحكام العسكريين الانجليز قبل كتابة هذا التقرير وفي اماكن اخرى اعدموا البروجرام كله بأنفسهم . ولم يحاول احد منع الوفود . واصطررنا مرة او مرتين ان نطلب من الحاكم العسكري الخروج من غرفة التحقيق ، لان القاعدة كانت ان لا يسمح لاحد بحضور التحقيق ما عدا اللجنة والوفد . واحيانا كان يسمح بالحضور لمترجم يختاره الوفد .

وهناك دلائل على ان بعضهم حاول التأثير في الافكار لحمل الناس على اختيار الانتداب الانجليزي ، ولكن لم ينجح نجاحا يذكر . ويقال ان الحكومة المحتلة هي التي انتخبت الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا والموظفين فيها ، وقاضي جنين ، وبعض الهيئات في عكا ، واعلن انهم لا يمثلون الامة . ويظهر ان حاكمين عسكريين او ثلاثة حاولوا كسب اصوات لانجلترا ، وصدرت الاوامر في يافا بالامتناع عن التصويت للاستقلال التام .

وظهرت ايضا ادلة على حركة فرنسية في هذه البقعة ، ولكنها لم تسفر عن نجاح كثير ، وقام اعضاء الحكومة العربية في دمشق بحركة كبيرة فلم يمنعهم الانجليز من الذهاب والاياب على هواهم وتوزيع المنشورات المطبوعة واصدار التعليمات والاوامر طبقا لبروجرام معين .

ومما يذكر هنا ان بعض الموظفين الانجليز ، ومنهم عدد من القدس ، كانوا يسيرون في اعمالهم

كما لو كانت انجلترا تنوي البقاء مشرفة على امور فلسطين الى الابد ، مثال ذلك انهم كانوا يخططون الخطط لتوسيع المدن وتكبيرها ، ومد الطرق وسكك الحديد وبناء الموانىء . وابدى بعضهم رغبة في ان تكون امريكا هي الدولة المنتدبة . واتفق الجميع على ان فرنسا لا تستطيع الاشراف على سوريا كلها الا باستخدام قوة كبيرة للتظاهر بها ، والمرجح انها تضطر الى قتال كبير » .

السياسة 1923/1/21 .

« الملحق رقم 5 »

« في انتظار الصهيونية »

« اننا لنرى الحركة الصهيونية تتقوى وتتثبت مع توالي الايام بالرغم من مقاومة بعض يهود اوروبا لها ، وتردد البعض الاخر في تعضيدها . واليهود لا يجهلون شعور العرب نحو الحركة الصهيونية ، ولذلك فهم يتحاشون كل تعد على الاماكن المقدسة وخصوصا ما يتعلق منها بالعرب .

اما فلسطين فمحط آمال اليهود ، وستكون قبلة مهاجريهم في المستقبل ، وهو امر لا يمكن تلافيه ، وليس في وسع اية دولة اسيوية كانت او اوروبية ان تمنع هذه المهاجرة ، غير انه وان يكن في فلسطين موارد ربح كبيرة فان فائدتها المادية محدودة ، لا يمكن ان تكون مطمحا لاكثر من عدد محدود من الاسرائيليين . لكن الفائدة الاقتصادية التي سيأتي بها هؤلاء ستكون كبيرة وتعم البلاد ، والامل غير كبير بجني الفائدة الكاملة من موارد البلاد بلا مساعدة اليهود . ولذلك يجب على كل عربي يحب الخير لبلاده ان يرحب بابن عمه وزميله في العمل في مررعة البلاد المشتركة .

هذا وربما كان امل العرب السامي باتحاد فلسطين وسورية والعراق والجزائر العربية تحت علم واحد بعيد التحقيق كما يظهر لنا من الحوادث الحالية . ولا شك ان الواجب يقضي على كل عربي فلسطيني ان يتعاون مع اليهود على جلب الخير لفلسطين ، والمال والعمل لازمان لهذا الامر . واليهود وحدهم اليوم يتوفر لديهم ذلك بعدما اظهرت الولايات المتحدة تمنعا في الاشتراك في احياء الاراضي التركية »

الكوكب 179 ـ 1920/2/17 .

« الملحق رقم 6 »

بلاغ ادارة المطبوعات بمصر حول تأسيس حكومة فلسطين

« تسلم حضرة صاحب الفخامة السير هربرت صمويل المندوب السامي لجلالة الملك بفلسطين مقاليد وظيفته منذ اول الشهر الحالي (يوليو 1920) وقد وكلت اليه مهمة اقامة حكومة مدنية تحل محل الادارة العسكرية . وعلى ذلك فقد وضع بعض التغييرات الشكلية ، وسميت ادارة بلاد الاعداء المحتلة باسم « حكومة فلسطين » ، ومركزها سراي الحكومة بالقدس . وسمي المديرون العسكريون بمديري الاقسام . وقد عين فخامة المندوب السامي الموظفين الاتي بيانهم : ـ السكرتير المدني ـ المستر ويندهام ديدس . السكرتير القضائي ـ المستر نورمان بنتويتش ، حاكم قسم القدس ـ المستر رونالد

ستورس ، وسيقوم مؤقتا بمهام وظيفة السكرتير المدني مدة غياب المستر ديدس بالاجازة ، السكرتير الحربي ـ الكابتن لورد ادوارد هاي ، السكرتير الخاص ـ المسترج . بك . جروفز ، مساعد السكرتير الخاص ـ المستر م . نوردك ، وستعلن تعيينات اخرى في الوقت الملائم » .

الاهرام 1920/7/15 ، المقطم 1920/7/15 ، الافكار (3055) ـ 1920/7/15 .

« الملحق رقم 7 »

منشور الكولونيل ستانتون في 1920/6/30

« سيعقد سعادة المعتمد العالي في فلسطين اجتماعا يدعي اليه اعيان ومختاري شمال فلسطين بما فيه نواحي حيفا والجليل ونابلس وجنين وطولكرم في اوائل شهر يوليو في تاريخ يعلن عنه فيما بعد ، ويرجح ان يكون في الثامن منه في الساعة الرابعة بعد الظهر . وستكون الغاية من هذا الاجتماع تفسير سعادته للنواب المجتمعين سياسة حكومته .

وستوزع رقاع دعوة لتلك الغاية وتنظيم تسهيلات بقطارات مخصوصة لذلك الاجتماع .

وسيكون موضع الاجتماع ارض الخواجة عزيز خياط في سفح جبل الكرمل ، والمأمول ان يحضر المدعوون ذلك الاجتماع ليتمكنوا من معرفة السياسة التي اقرتها حكومته ، وينزعوا عن سماع كل الأخبار المغلوطة والاشاعات الرائجة في البلاد .

ستعين قطارات مخصوصة تنزل النواب والوجهاء القادمين من الجهات المار ذكرها عند شارع الكرمل بجانب الارض المذكورة وتنقلهم من هناك بعد انقضاء الاجتماع » .

الاهرام 1920/7/2 .

« الملحق رقم 8 »

منشور « اللغات الرسمية في فلسطين »

تعتبر الحكومة الفلسطينية اللغات الانجليزية والعبرانية والعربية رسمية في دوائر الحكومة جميعها ، فالمنشورات الرسمية تطبع باللغات الثلاث . كذلك المراسلات التي ترسلها الحكومة او المكاتبات التي ترسل اليها من الاهالي تقبل باحدى هذه اللغات اما البرقيات فانها تقبل باحدى هذه اللغات ما عدا العبرانية منها ، فانها يجب كتابتها بالحروف اللاتينية (الافرنجية) .

اما مكاتبات مجالس البلديات ومطبوعاتها فيجب ان تكون باللغات الثلاث ، حيث يوجد عدد يعتد به من الاسرائيليين وهي : مجالس بلديات القدس ويافا والرملة وحيفا وزمارين وطبريه وصفد ، وسيلحق بهذه مجالس اخرى يعلن عنها فيما بعد . ومهما يكن من الامر فان اللغة العبرانية تعتبر رسمية في سائر المجالس البلدية طبقا لظروف الاحوال .

وكذلك الامر في المحاكم ودوائر الطابو ، فان السكرتير القضائي يصدر القوانين مثلثة اللغات .

ويجوز تقديم الطلبات للمحاكم ورفع القضايا والمرافعة في الجلسات باحدى هذه اللغات . وصور الاحكام تبلغ لاصحابها باللغة التي يفهمونها من هذه اللغات . وعلى كاتب العدل ان يقبل اقرار وتسجيل السندات المكتوبة باحدى اللغات الثلاث المذكورة .

الاهرام 1920/10/16 .

« الملحق رقم 9 »

الخلاصة الرسمية الحكومية لخطاب المندوب السامي في 1921/6/30

بعد ان تكلم فخامته عن التدابير التي اتخذت منذ تأسست الادارة المدنية في فلسطين ، وعدد فضائل التعليم والمشروع الذي وضعته الحكومة لاكثار المدارس ، وما بذلك لايجاد حل مرض لشئون الطوائف الدينية التي نادى بها لعقد مؤتمر اسلامي للنظر في شأن ادارة الاوقاف الاسلامية ، وبعد ان تكلم عن النزاع الذي وقع في البطريركية الاورثوذكسية وعن مجلس الحاخامين الذي عقد في القدس في شهر شباط الماضي ، وعن تقدم البلاد الاقتصادي ، وعن التدابير التي اتخذت لتحسين نتاج الخيول والماشية في فلسطين ، وعن عدم امكان تأسيس بنك زراعي نظرا للمضائقة المالية في كل انحاء العالم ، وعن ايرادات الادارة في اثناء السنة الماضية ، بعد ان تكلم عن كل هذه الاشياء انتقل الى الكلام عن الحالة السياسية فقال : انني مغموم لان الوفاق الذي ارغب من صميم قلبي ان يسود بين العناصر والمذاهب في فلسطين لم يتم بعد . دعوني في باديء الامر اشير الى سوء الفهم الذي حصل من العبارة الواردة في تصريح بلفور وهي (تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين) . انني سمعت في جهات عديدة ان الشعب العربي في فلسطين لن يسمح مطلقا بان تؤخذ منه بلاده واماكنه المقدسة ، وانه لن يوافق على تأسيس حكومة يهودية . فأجبتكم بان الحكومة لم توافق ولن توافق مطلقا على اتباع هذه السياسة فمن الممكن ان ترجمة الكلمات الانجليزية الى اللغة العربية لا تعبر عن معناها الحقيقي فهي تعني ان يتمكن اليهود المتشتتون من تأسيس وطن لهن فيأتي البعض منهم ضمن الحدود التي يعينها عدد الاهالي الحاليين ومصالحهم .

اما بخصوص المهاجرة التي تدعو الى اهتمام عظيم كهذا فانني قد قلت في خطاب في السابع من تموز من السنة الماضية (1920/7/7) ان درجتها ستكون بالنسبة للاستخدام الميسور في البلاد . وبالحقيقة من الضروري تطبيقها بتحفظ شديد ولذلك فقد اوقفت المهاجرة حتى يتم فحص الحالة الثانية ويجب ان يسلم تماما بأن احوال فلسطين في الوقت الحاضر لا تسمح بدخول جميع المهاجرين اليها وقد بلغني ان بين الذين قدموا حديثا عددا قليلا جدا من اولئك المتشربين بروح البلشفية الوبيلة التي تنقل معها الخراب الاقتصادي وستتخذ حالا الاحتياطات الفعالة لمنع دخول كل شخص من هذا النوع الى فلسطين في المستقبل وسنتخذ تدابير لاعادة انتخاب البلديات . اما بخصوص الاضطرابات التي وقعت في يافا وجوارها فانني انتظر استلام تقرير اللجنة العادلة التي تتحرى الان عن تلك الحوادث . وارغب قلبيا ان ارى هذه البلاد ، التي هي من اجمل البلاد على وجه الارض ومحور التذكارات المقدسة لمئات الملايين من العالم ، يقطنها شعب مسالم وكريم ، يعيش بسكينة ووفاق .

الاهرام 1921/6/13 .

« الملحق رقم 10 »
رد الوفد الفلسطيني الاول في 21 فبراير 1922على مشروع دستور فلسطين لعام 1922

بعد الديباجة

طالما ان حالة فلسطين تبقى على ما هي اليوم ، اذ تدير الحكومة البريطانية البلاد بقوة محتلة تستعمل لارعام السكان على الرضى بهجرة الغرباء المتدفقة ، والتي تتخللها مبادىء البلشفية والروح الثورية ، فلا يمكن قبول اي دستور يقصر عن تخويل السكان حقا تاما في ادارة شئونهم واذا راجعت الحكومة سياستها في فلسطين ، ووضعت حدا لتفوق الصهيونية وللهجرة عموما ، واعطت السكان الذين هم خير حاكم لبلادهم بالحق والاختيار السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، فعندئذ يمكن المفاوضة بأمر الدستور ، ولكن بحالات تختلف عن حالتنا الحاضرة . واذا رضي الفلسطينيون بدستور لا يخولهم حقا كاملا في ادارة شئون بلادهم ، فيكونون كأنهم قبلوا الخضوع لحكومة هي آلة يمكن ان تستعمل لسحق حياتهم القومية تحت سيل من هجرة الغرباء . لذلك فنحن نعتبر صك الدستور المقترح به لا يكفي لحاجة البلاد بوجه من الوجوه للاسباب التالية :

أ) في مقدمة الدستور جعل (التصريح الذي اعلن في 2نوفمبر سنة 1917 في امر انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين) اساسا ، مع ان سكان فلسطين لا يقبلون المفاوضة على مثل هذا الاساس .

ب) في المواد 4 ـ 9 من الدستور والتي تنص على كيفية انتخاب المندوب وصلاحيته ، اعتبرت فلسطين كمستعمرة من الطراز الاسفل ، مع انه بمقتضى الباب الرابع من المادة 22 من نظام جمعية الامم تدخل فلسطين في قسم (الف) . فقد جاء فيها « ان بعض الطوائف التي كانت تحكم حكم الدولة العثمانية قد ارتقت الى درجة يمكن الاعتراف معها لها بالاستقلال مبدئيا ، على ان تقبل النصح والمساعدات الادارية من دولة منتدبة لبينما تتمكن من النهوض بأعباء نفسها » .

جـ) ان السلطة التنفيذية بمقتضى المواد 10 ـ 16 لم تقيد المندوب السامي بالمجلس التشريعي بوجه ما .

د) ان المواد 17 ـ 28 التي تنص على ماهية المجلس التشريعي تحدد بأن ذلك المجلس « يشكل من 25 عضوا والمندوب السامي » . وهذا يرجح كفة جهته عند استواء عدد الاصوات المتضاربة في اي اقتراح يعرض » . فيكون على ذلك مجموع اصوات المجلس 27 ، من هؤلاء 10 موظفون بادارة المندوب السامي ، واثنين يعينون من قبله رأسا ، فيكون في يد المندوب السامي 14 صوتا من 27صوتا ومن الـ 12 المنتخبين يكون 10 ـ 11عربيا فلا يتمكنون من ان يقوموا بأمر تجاه اصوات الحكومة الراجحة عددا .

فيظهر من هذا انه قد اعطى للمندوب السامي صلاحية اوسع مما تقتضيه الحالة على فرض ان يكون هذا غير متعرض لاحد ، ولكن مع حالتنا الحاضرة فالمندوب السامي هو صهيوني اي عضو في

الجمعية التي تسعى لتسهيل الهجرة الصهيونية كما ان مأموري الحكومة التابعين له واعضاء المجلس الموظفين بالطبع يتبعون سياسته . كما وان احد الاثني عشر منتخبا سيكون صهيونيا ، فتكون سياسة الحكومة الصهيونية قد تطبقت تحت ستار من الحكم النيابي ، مع انها الان تطبق بصورة غير شرعية وبالرغم من مطالب السكان بقوة السلاح .

هـ) وان المادة 22 تخول المندوب السامي الصلاحية لتوقيف او حل المجلس بدون ان يقيد عمله هذا باعادة تشكيل المجلس بوقت معين .

وان المادة 23 تخول المندوب السامي السلطة في الغاء اي قرار قرره المجلس .

ونزيد على ذلك بأن ليس من روح الديمقراطية ولا يناسب المبادىء النيابية ان يوضع رأس السلطة التنفيذية فوق السلطة التشريعية ، وان يدخل في هذه الآخرى اعضاء من موظفي الحكومة . وذلك يقود السلطة التنفيذية الى ان تكون تحكيمية ، لانها وقفت مقام الخصم والحكم في وقت واحد .

و) وانا نجد مع الاستغراب ان عشرة من اعضاء المجلس يشكلون اكثرية تعقد بها جلسة رسمية ، وهذا العدد اقل من نصف اعضاء المجلس ، وهو يمكن الـ 10 اعضاء الموظفين من عقد اي جلسة والقيام بأمور تشريعية اذا اقتضت الحالة بوجه من الوجوه ان يتغيب الاعضاء الاخرون . وفي هذه الحالة يكون المجلس التشريعي خيالا لا حقيقة له .

ز) ان المواد 33 و 46و 67تضع فلسطين موضع مستعمرة ملوكية والمندوب السامي حاكما لمستعمرة بريطانية ، على ان يكون له السلطة لتصديق حكم الاعدام ونفي اي شخص بدون محاكمة ، او بدون ان يعطى ذلك الشخص حق الاستئناف من حكم النفي .

س) ان الاعتراف المبين في المادة 80 بأن اللغة العبرانية هي لغة رسمية انما هو برهان اخر على الرغبة بنشر القومية اليهودية في فلسطين ، مع انه لا يوجد بين يهود فلسطين اكثر من 10% يتكلمونها . ان ذلك عمل غير مباح او مضمون ، وهو عبء على خزينة الحكومة التي تستدر محتوياتها من جيوب العرب بالاحمال .

ص) اعطى المندوب السامي في المادة 18 السلطة بمنع الشكاية التي يراد تقديمها لجمعية الامم اذا اراد ذلك .

ط) واخيرا نرى ان المادة 83 تنص على ان المندوب السامي يحق له بعد تصديق الوزير ان يبطل او يزيد في مواد هذا الدستور . ان هذه السلطة المخولة للمندوب تجعل هذا الدستور كالعدم ، ولذلك فانا نجد ان لا فائدة من المفاوضة في امر صك الدستور .

ويطلب الوفد ان يكون الدستور (1) ضامنا لحقوق الاهلين السياسية والمدنية والاقتصادية ومصالحهم فيها (2) ان يهيء انشاء حكومة وطنية مستقلة بمقتضى روح البند الرابع من المادة 22 في نظام جمعية الامم (3) ان يضمن حقوق الاجانب المشروعة (4) يضمن حقوق الاقليات (5) ويضمن حقوق الدولة المساعدة .

ان للوفد ثقة تامة بأن الحكومة البريطانية ـ بما اشتهرت به من العدالة ـ ستعير النقط المتقدمة اذنا صاغية وفكرا عطوفا ، اد ان اجل غاية للوفد هي ان تشكل في فلسطين حكومة معتبرة من السكان وكافلة لحماية مصالح الجمعية .

ويرجو الوفد من فخامة الوزير ان يجيبهم على هذه النقاط والخطوة الثانية التي تتخذ في هذا الشأن .

لسان العرب ـ ع 182 ـ 1922/3/10 .

« الملحق رقم 11 »

كتاب ممثلي الخليل الى الشريف حسين في 1918/2/8

« الى جلالة سيدنا ملك العرب المعظم
وبالشكر تدوم النعم

من لنا بالبحار فنتخذ مياهها مدادا ، وبالاشجار فنستخدمها اقلاما ، ومن لنا بقس نقتبس فصاحته . وبسمات نلتمس بلاغته ، لنكتب ما ارتسم ، ونرسم ما كتب على الواح قلوب لا تحيا الا بذكر الله ، وشكر جلالة ملك دولة بريطانيا العظمى والاخلاص له ، ولدولته ولمولانا وقرة اعيننا واعين المسلمين عامة ، سيدنا الشريف العلوي ملك العرب والخليفة المعظم حليف دولة انجلترا الفخيمة ، فلقد يعلم الله اننا صادقون في محبتها ، متهالكون في خدمتها ، اطال الله ايامهما وحف بالنصر اعلامهما ، وان لنا الفخر بذلك ومنا الشكر العظيم لاجل مساعيهما التي بذلت في سبيل انقاذنا ، وتمتعنا بالامن وسلامة الاموال والانفس ، فنشكر الله شكرا جزيلا ، على ما تفضل به علينا من هذه النعم . واننا بوجه العموم شاكرون من الطاف وعناية حضرة الحاكم العام ونائبه لمحافظتهما علينا ، ومتشكرون من اعمال جميع رجاله العسكريين والملكيين ، ومن حضرة الحاكم ونائبه الموجودين في بلد سيدنا ابراهيم الخليل ، وعلى نبينا وعليه صلوات الملك الجليل ، راجين من كرمه تعالى دوام فيوضاته الربانية على الجميع بالعز والنصر المبين ، آمين .

ناظر الحرم الشريف الابراهيمي ومأمور اوقافه : محمد توفيق طهبوب . رئيس بلدية الخليل : حسين الرمق . تربداد الحرم الشريف : محمد رشيد طهبوب . قاضي مدينة الخليل : عبد الله طهبوب .

القبلة ـ ع 164 ـ 5 جمادي الثانية 1336هـ .

« الملحق رقم 12 »

« الحكمة ضالة المؤمن
فحيث وجدها فهو احق بها »

صدرت رصيفتنا المقطم عددها الصادر في 22 رجب الماضي (1918/5/3) بالفصل الاول من

رسائل ارسلها اليها مكاتبها المقدسي تحت عنوان : « المستعمرات الاسرائيلية في فلسطين » ، وذلك بمناسبة وصول بعثة فنية خصوصية من مشاهير الاسرائيليين الى ذلك القطر ، وما سبق هذا من مجهودات جمعيات الشعب الاسرائيلي وتعضيدها مشروعاته الزراعية وغيرها هناك . ويقول هذا المكاتب ان غايته من نشر فصوله اطلاع ابناء البلاد الوطنيين على نتيجة سعي الاسرائيليين واجتهادهم وتعاونهم فيستفيدوا من ذلك ما يبعث فيهم النخوة الوطنية ، وما يحرك هممهم للاتحاد والتعاضد والنسج على منوال الاجانب في استثمار الارض واستخدامها فيما يعود عليهم وعلى بلادهم بالنفع الجزيل والثروة العظيمة .

ولما كان الموضوع الذي اختار ذلك المكاتب الفاضل الكتابة فيه من اهم الموضوعات واجدرها بالعناية ـ لا بالنسبة الى ابناء البلاد الفلسطينية مع الاسرائيليين فقط بل بالنسبة الينا ايضا نحن معاشر العرب والشرقيين جميعا مع كل ما يمكن ان نستفيد من معارفهم وفنونهم من الامم الاخرى ـ لذلك ان نضم صوتنا الى صوت ذلك الرصيف الغيور في هذا المبحث الاجتماعي الصرف ، تحقيقا لما توخاه من جزيل الفائدة ، وتحصيلا لما رمى اليه من حسن النتائج .

الاسرائيليون في فلسطين جزء من عشرين جزء من اهالي ذلك القطر على ما يقول مكاتب المقطم ، واقل من عشر الاهالي على ما ورد في مقدمة دليل سوريا وفلسطين للعلامة (بيديكر) . وسواء كان عدد الاسرائيليين في فلسطين دون عدد العشر من اهلها او فوق عدد نصف العشر ، بل مهما كان الامر فان القصد من البحث عن مقدار عدد نفوسهم هو لاثبات انه كاف لتوليد مادة الاقتباس في البلاد ، واذاعة فكرة المجاراة والتحدي بين ساكنيها والمهاجرين اليها ، لا سيما وان اولئك الاهالي جزء من جمهور استطاع ان يرسم لنفسه في اذهان كل الامم التي هاجر فريق منه الى بلادها . انه ذلك الشعب الذكي النجيب الذي لا يقصر شوطه عن شوط اي شعب آخر في مضمار السعي والاجتهاد الا اذا بخلت عليه ظروف الزمان والمكان بالوسائل الكافية للتفوق او اللحوق على الاقل .

لقد كان من اعجب الامور ، قبل هذا العهد الاخير ، ان يزهد ابن فلسطين في بلاده ويتحول منها راكبا كل بحر الى كل قطر ، لا يمسكه في تربته الاصلية تسلسل آبائه واجداده فوق اديمها الف عام او اكثر . هذا بينما نرى اجانب الاسرائيليين ينسلون اليها من روسيا والمانيا والنمسا واسبانيا وامريكا ، حتى ارتقى عددهم في خمسة وثلاثين عاما من اربعة عشر الف نسمة الى خمسة واربعين الفا بين اوروبيين وامريكيين ، وهم الاقل . نعم ان هذا الامر كان موضع العجب قبل العهد الاخير عند كل الذين ينظرون من الامور ظواهرها دون حقائقها . واما الذين تنفذ نظراتهم الى خفايا الامور فلم تكن تخفى عليهم علة العلل . فهم يعلمون ان تلك الاقطار وطن مقدس ومحبوب عند ابنائه الاصليين ـ على اختلاف مذاهبهم . وقد اثبتت التجربة كفاءتهم للفوز في مضمار السعي والعمل ولا تنقصهم ـ وهم في بلادهم ـ الا الوسائل التي اشرنا اليها آنفا ، وقد كانت ممنوعة عنهم عمدا وعن سوء قصد . وعليه ـ وعلاوة على ما اشار اليه المكاتب من الغايات السامية ، وما حث عليه من المقاصد الكريمة ـ فان عودة تلك الجالية الى وطنها ستكون بالمادة والمعنى مدرسة نظرية لاخوانهم المقيمين في مزارعهم ومتاجرهم ومصانعهم وكل ما هو متعلق بالسعي والكد مما تأمر به كل الاديان والقوانين الاساسية للحياة .

اجل ، ان تلك الوسائل كانت ممنوعة عن الاهالي كما تقدم ، بينما كان المهاجرون اليهم من

الاسرائيليين وسواهم من الجاليات يستفيدون من كل ما وهبهم الله من القوى المادية والمعنوية بمساعدة جمعياتهم ، وبما اوجدنا بينهم من روابط الاتحاد والتعاون والتضامن على ما ذكره وسيذكره مكاتب المقطم الاغر .

اما الان ، وقد زال الحائل الذي كان واقفا في طريق تقدم ابناء تلك الاقطار ونجاحهم ، فقد صار من اكبر واجباتهم - شرعا وعرفا - ان يستفيدوا من المعارف الكونية والنماذج الفنية التي استفاد منها نزيلهم الاسرائيلي ، لان ذلك داخل في مدلول الحكمة التي ورد في الحديث الصحيح انها ضالة المؤمن وهو احق بها ويجب عليه ان يلتقطها حيثما وجدها . واننا لا نحتاج الى تعلم خلق التضامن والتعاون ، من غيرنا ، لان احكام ديننا وصفحات ادابنا وحوادث تاريخنا مملوءة بالحث على هذا وامثاله من الكمالات الاخلاقية والاجتماعية . ولكن يكفينا تذكيرا بالرجوع اليها ما نراه من نجاح كل الامم الراقية بها ، وتوصلها الى ما كان يستحيل عليها التوصل اليه لو ساد فيها التقاطع والتحاسد والانفراد .

ومن هذا الوجه تكون عودة الجالية الى وطنها كأنها هي حكم مدرسة تأسست في البلاد ، ولم يكن الحصول على ثمراتها ممكنا الا بانفاق القناطير من الذهب والفضة . فأسسها واوجدها حسن الحظ ان شاء الله تعالى لابناء تلك الاقطار الذين يجب عليهم السعي للانتفاع بها ، ولا سيما ما كان منها موافقا لحالة بلادهم وسجايا قوميتهم ، لما هو معلوم من ان الاخذ بأسباب التجدد والارتقاء يجب ان يكون مدعوما بالنافع من الاوضاع والتقاليد الصناعية والاخلاقية . وهذا امر من اسهل الامور على ابناء ذلك القطر وسواهم من الجاليات ، اذا صرف كل المتعلمين اذهانهم وجهود افكارهم الى هذه الوجوه المعاشية والعمرانية النافعة ، فخدموا بذلك بلادهم وقومهم والانسانية عامة ، لان كنوز ذلك القطر لا تزال بكرا ، وان لها مستقبلا سعيدا جدا . وكلما جدوا في تعجيل يوم سعادتها على ايديهم ، حمدوا عاقبة امورهم ونالوا المكانة التي هم جديرون بها في نظر انفسهم ونظر الامم جميعا .

وبعد فان الدنيا كلها - لا فلسطين وحدها - واقفة على ابواب مستقبل جديد ، سيناله خيرة العاملون ويبوء بشره الحاملون . ومهما تكن دواعي الاخلاد الى السكون فيما مضى فان الطور الجديد الذي بدأ الناس يدخلون فيه يدعو الى النهوض بكل سبب من اسباب الحياة . واذا كان الاسرائيليون وسواهم من الجاليات قد استفادوا من النظامات والمناهج والاوضاع التي اقامتها لهم جمعياتهم الاوروبية والامريكية، ، فلا ريب ان هذه النظامات والمناهج والاوضاع - سواء كانت علمية او فنية او زراعية او مالية - يمكن ان تأتي بفائدة اخرى وان تكن غير مقصودة ، وهي اقتباس اصحاب البلاد انفسهم منها ونسجهم على منوال نماذجها . وان في المواهب التي وهبها الله لسكان حرمه الثالث خير عون على ذلك . وحينئذ يظهر لكل فرد من افراد تلك البلاد ان لكل شبر من ارضهم مستقبلا باهرا يستحق ان يعضوا عليه بالنواجذ ، وان يبذلوا في سبيل اصلاحه واستثماره كل غال ورخيص حتى يأتيهم بالثمرات ، التي ربما كان كثيرون منهم لا يحلمون بها الآن . وعلى كل حال فما دامت امامنا نماذج مفيدة نتعلم منها طرقا مثمرة من طرق المعاش والعمران ، فذلك ضرب من ضروب الحكمة التي نحن مأمورون باقتباسها والعمل بها . وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

القبلة - ع 183 - س 2 - الخميس 13 شعبان 1336 هـ . الموافق 1918/5/23 .

« الملحق رقم 13 »

احتفالات مدينة يافا في 1918/11/16 بعيد احتلال القوات البريطانية لها

(1) برقية الجمعية المسيحية الاسلامية الى الملك جورج الخامس

« الى جلالة الملك جورج

حيث ان هذا اليوم السنوي لاحتلال قضانا (اي قضائنا) العربي بجيوش جلالتكم الظافرة ، وتحريرنا من الظلم والاستبداد ، نحتفل به كيوم عيد مقدس تذكارا لهذا الحادث السعيد ، ونرفع الى جلالتكم بكل خضوع صميم التهاني مع عميق تشكراتنا وباخلاصنا الصادق الامين ندعو جلالتكم حكما طويلا مباركا بتوفيق وسلام دائم .

بالنيابة عن الوطنيين من مسلمي ومسيحيي قضاء يافا الجمعية الاسلامية المسيحية » .

(2) برقية الجمعية الاسلامية المسيحية الى الجنرال اللنبي

« الى عطوفة القائد العام الجنرال اللنبي

احتفالا بهذا اليوم السنوي من فتحكم بلدتنا يافا ، وتخليص اهاليها المتألمين المظلومين ، وتذكارا لذلك اليوم السعيد ، نقدم صميم التهاني مع تشكراتنا الحارة الى عطوفتكم .

بالنيابة عن الوطنيين من مسلمي ومسيحيي قضاء يافا الجمعية الاسلامية المسيحية » .

جريدة فلسطين ع 33 س - 1918/11/21 - ص 2 .

« الملحق رقم 14 »

الجمعية الاسلامية المسيحية وقانونها العام

صادقت الحكومة على تاسيس الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس . وهذه الجمعية عبارة عن جمعيتين احداهما خاصة بأعمال القدس الشريف وتدعى (الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس) ، والثانية تعم اعمالها عموم فلسطين وتدعى (الحمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية) ومركز هاتين الجمعيتين القدس ، ولجميع اقضية فلسطين الحق في تأليف جمعيات خاصة ترتبط بالجمعية اذا رأى القضاء ارتباطة بها مناسبا . وجمعيات الاقضية ينحصر عملها في اقضيتها ، وقراراتها التي تتعلق بدائرتها تكون نافذة .

تنتخب كل جمعية عضوين من اعضائها ، ويتألف من مجموع المنتخبين (الجمعية الفلسطينية) .

وغاية هذه الجمعية النظر في شئون عموم فلسطين وقراراتها سارية على كل قضاء في فلسطين

بشرط ان يشترك مرخصا (مندويا) كل قضاء في الرأي ولو كان القرار يخالف رأيهما . وكل قضاء لم يحضر مرخصاه (مندوباه) في تلك الجلسة وتقرر شيء في حق ذلك القضاء فالجمعية الفلسطينية تبلغ قرارها الى الجمعيةالتي لم يوجد مرخصاها في الجلسة . وجمعية القضاء مرخصة في قبوله وعدمه ، وعليها ان تبلغ الجمعية الفلسطينية نتيجة قرارها ، فاذا قبلته يسرى عليها .

والجمعية الفلسطينية تنعقد اسبوعا كاملا في كل ثلاثة اشهر من كل سنة ، وفي كل وقت دعت اليه المصلحة بشرط دعوة الاعضاء من قبل جمعية القدس الشريف . وكل جمعية خصوصية انتهت مدتها او تجددت عليها تجديد انتخاب عضويها للجمعية الفلسطينية .

وكل جمعية من الجمعيات الخصوصية تقدم تقريرا بشئون قضائها وبالشئون العمومية الى الجمعية الفلسطينية ، عند اجتماعها ، وتعرض هذه الجمعيات اعمالها على الجمعية الفلسطينية في كل اجتماع ، فان رأته كل او بعضه غير مناسب ارشدتها للصواب ، ويجب اتباع ارشادها .

يشكل كل قضاء جمعيته الخصوصية حسب القانون الذي يوافق قضاءه ، وله ان يزيد في عدد الاعضاء او ينقصه حسب المصلحة . واذا استقال عضو من الجمعيةالفلسطينية او عزل يجب على الجمعية اعلام جميع الجمعيات . ويجوز عزله وتبديله من قبل الجمعية الخصوصية اذا دعت المصلحة . وليس للجمعية الفلسطينة حق الاعتراض على عزله او تبديله . واذا رأت الجمعية الفلسطينية لزوما لتغيير بعض الاعضاء تبين الكيفية الى الجمعية الخصوصية ، والقضاء مخير في تغييره من عدمه ، ولا يمنع من العمل قبل فصله من قبل جمعيته .

اذا رأت بعض جمعيات الاقضية لزوما لاجتماع الجمعية العمومية تبين الكيفية خطيا الى جمعية القدس الخصوصية ، فاذا استتبته دعت سائر الاعضاء خطا (اي خطيا) . قرارات الجمعية الفلسطينية تكون نافذة بالاتفاق او بالاكثرية ، ولا بد ان تكون القرارات ممضاة من سائر الاعضاء الموجودة . وما يقدم منها الى الحكومة والدوائر الرسمية يجب ان يكون مختوما بختم الجمعية التي تقدم صورته الى الحكومة ، وكل قرار لا يكون مختوما بهذا الختم لا يعمل به وكذلك سائر المخابرات في هذا الحكم .

قانون الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس

غاية للجمعية السعي والاهتمام بترقية شئون الوطن (فلسطين) الزراعية والصناعية والاقتصادية والتجارية ، واحياء العلم وتهذيب الناشئة الوطنية والمحافظة على حقوق ابناء الوطن المادية والادبية . وكل فرد من اهالي القدس الشريف ونواحيها مسلمين ومسيحيين له الحق ان يكون عضوا في هذه الجمعية . وتؤلف هذه الجمعية الادارية من هيئة الجمعية الاسلامية الخيرية الادارية ، ومن خمسة من جمعية اللاتين ، ومن خمسة من جمعية الروم الارثوذكس ، وهؤلاء ينتخبون خمسين مختارا او شخصا من اهالي القرى التابعة للقدس لينتخبوا من بينهم عشرة يكونون اعضاء من هذه الجمعية الادارية ، فتنتظم هذه الجمعية الادارية من ثلاثين عضوا : عشرة هم الجمعية الاسلامية الخيرية الادارية وخمسة من الجمعية الادارية اللاتينية ، وخمسة من الجمعيات الادارية الاورثوذكسية . وعشرة من القرى كما ذكر .

تقسم اعضاء الادارة المذكورة الى اربعة فروع :

الفرع الاول ـ العلمي الادبي . يهتم في احياء العلم بواسطة المدارس والمكاتب .

الفرع الثاني ـ الزراعي الصناعي : يجمع الاموال اللازمة لهذا المشروع ، ويؤسس مكاتب صناعية وزراعية ، ويعطي الفلاح ما يلزم لشراء البذور واحياء بستانه على شروط معلومة ، ويأخذ 5 %على الاقل مقابل ما يسلفه ، ويستحضر الآلات الزراعية والفلاحية ليتعلم الفلاح زراعة اراضيه على الطرق الفنية الحديثة . ويشترط على كل من يستلف من اموال الجمعية ان يصرف هذا المبلغ في سبيل الفلاحة والزراعة ، واذا اخل بهذا الشرط يكون مسئولا امام الجمعية .

الفرع الثالث ـ التجاري الاقتصادي : يجتهد في تحسين وتوسيع نطاق التجارة وترويج البضائع الوطنية ، ويتخذ الطرق الفعالة لتسهيل معاملات التصدير والتوريد .

الفرع الرابع ـ العمومي : يبحث في المسائل العمرانية والسياسية والادبية والمادية التي يعود نفعها على الوطن ، والتوفيق بين افراد الاهالي بالطرق الودية عند حدوث خلاف بينهم .

وتلتئم اللجنة الادارية لهذه الجمعية مرة كل شهر التئاما تاما . وقد انتخب من اعضائها سعيد النمري كاتبا ، ولطفي ابو صوان ، فهمي النشاشيبي امينا للصندوق . ينتخب الرئيس كل مرة لكل جلسة .

وايرادات هذه الجمعية من عدة مصادر اهمها الاشتراكات الشهرية من جميع الاعضاء ، وتبرعات اصحاب الحمية والوطنية ، وريع الاعمال التجارية .

الكوكب129 - 1919/1/28 .

ج ف ع 45 - 1919/2/13ص 1 .

« الملحق رقم 15 »

نص الاحتجاج المقدم من الجمعية الاسلامية

المسيحية في نابلس الى معتمدي الحلفاء والى الامير فيصل (1919)

خاض الحلفاء غمار هذه الحرب ، وصرحن جليا بأنه لم يكن لهم مقصد غير حماية الشعوب الضعيفة وتخليصها من مخالب الظلم . وجاء عهد جمعية الامم مصادقا لذلك ، وايده مجيء اللجنة الامريكية لاستفسار الاهالي عن مصيرهم . ونحن كنا عرضنا على مسامع هذه اللجنة ان مطلبنا الوحيد عدم تجزئة بلادنا وعدم تمكين الصهيونيين منها وعدم مساس استقلالنا . فبينما نحن ننتظر ان تنجز الحلفاء وعهودهن الرسمية في بت مصيرنا حسب رغائبنا ، اذا اصبحنا نسمع ما تتناقله الصحف مما يستدل منه على تجزئة البلاد ، وتمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي منها . فلم نعبأ بهذه الاقوال ، لو لم نر من الحكومة المحتلة ما يشتم منه تاييد ذلك من الحوادث التالية :

اولا ـ بلغت الحكومة المحتلة بلدية القدس بأن تجعل اعلاناتها الرسمية باللغة العبرانية كاللغة العربية .

ثانيا ـ بلغت الحكومة الدوائر الرسمية لزوم جعل شهر نيسان (ابريل) مبدأ للسنة المالية اي اعتباره راس السنة الاسرائيلية .

فهذه التبليغات تدل دلالة واضحة على انها مساعدات لتنفيذ خطط الصهيونيين الابتدائية في بلادنا ، لانها لم تكن من الحق والانصاف في شيء ، حيث ان اليهود في بلادنا هم اقلية لا تذكر ، واكثرية هذه الاقلية هم وطنيون يحسنون التكلم باللغة العربية اكثر من كل لسان ، ولا يوجد من بين اليهود من لا يعرف العربية غير القسم القليل من الاجانب الذين لا حق لهم في البلاد . فصدور هذه المسائل رغم احتجاجاتنا تدلنا على ان بلادنا ستصبح في قبضة اليهود منذ الآن ، ولم نقدر ان نؤول هذه الاوامر الا تنفيذا لخطط ابتدائية للصهيونيين ، لا سيما ان زعيمهم الاكبر الملقب بملك صهيون بالمستقبل (الدكتور وايزمن) هو الآن متبسط في القدس قاعدة البلاد .

فالاهالي اصبحوا في شك من وعود الحلفاء باحقاق الحق . ويرون ان مطالبهم ضرب بها عرض الحائط . وقد استولى اليأس على قلوبهم من نجاح قضية تخليص الشعوب المكلومة ، وباتوا يذكرون ماضيهم بكل خير ، ويتمنون اعادته ، اذ كانوا يرون بلادهم في قبضتهم ولم يكن لهم منازع فيها غير قليل من اخوانهم ماموري الاتراك ، الذين كانوا يشاركونهم في الحقوق ، واللذين كانوا واياهم على اتم وفاق لولا ويلات الحرب . واللذين رأوا في زمانهم كل العقبات تقام في وجه الصهيوني المستعمر .

وعليه قد اصبحوا يرون ان ما يقال عنه تحريرا لبلادهم هو مجلبة للشقاء والتّعاسة ، ويتمنون ان لو لم يكن ذاك التحرير ، الذي يحتمل ان يكون نتيجة ضياع البلاد وشقاء العباد . اما وقد كنا ولم نزل نعهد في الحلفاء العدل والانصاف ، ولنا فيهن بقية الامل ، رأينا من الواجب ان نرفع احتجاجنا هذا صارخين لكل ما في الحق من قوة ، محتجين على كل عمل يستدل منه على اعطاء الصهيونيين اقل حق في بلادنا او مساعدتهم في تنفيذ خططهم الابتدائية ، راجين من مؤتمر السلام ان ينظر في مطالبنا التي طلبناها بواسطة اللجنة الامريكية نظر العادل المنصف . ولنا ملء الثقة بان لا يضيع الانصاف والعدل في قضيتنا الحقة . وان لا نجبر على تضحية نفوسنا للدفاع عن بلادنا ، والسلام .

الافكار ـ القاهرة ـ ابو العينين بدر .

ع 80 - 1919/11/7 .

« الملحق رقم 16 »
مذكرة الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس الى مؤتمر الصلح (1920

استنادا على تصريحات دول الحلفاء من ان غايتهن من دخول الحرب هي تخليص الشعوب الضعيفة ، واعتمادا على تبليغات دولتي فرنسا وانجلترا العظيمتين سنة 1918 من انهما لم تقصدا من احتلال سوريا والعراق الا تشكيل حكومات وطنية تتأسس وفق رغبات الاهلين وطلبهم ، والمادة الثانية والعشرين من قانون جمعية الامم الذي هو جزء من معاهدة الصلح الناطقة بالاعتراف باستقلال الولايات العثمانية المحررة ، جعلتنا نامل ان يكون لطلبنا ورغبتنا الصوت الاعظم ، كما هو صريح ، تلك المادة . فأبنا للجنة الامريكية التي اتت باسم مؤتمر الصلح للوقوف على رغائبنا اننا لا نريد غير استقلال

بلادنا السورية واحدة غير متجزئة ، واننا نرفض المزاعم الصهيونية والهجرة اليهودية . وبتنا ننتظر من مؤتمر الصلح ان يبت في مصيرنا حسب طلبنا ، الا انه راعنا وادهشنا ما فهمناه مؤخرا من ايضاحات المدير العام لبلاد العدو المحتلة الجنوبية بتاريخ 7 يناير سنة 1920في مدينة نابلس من ان مؤتمر الصلح سيبت في مصير البلاد قريبا بفصل فلسطين عن سوريا ، وانه سيمنح اليهود حق الهجرة اليها . ففصل فلسطين عن سوريا يفهمنا بصراحة تامة ان المراد منه تمزيق البلاد العربية ارضاء للمصالح الاستعمارية ، وان لم يكن الا تطبيقا لمعاهدة 1916 ، التي هي تعد صريح على حقوقنا والتي يقصد من ورائها تلاشي قوميتنا .

واننا لنعجب كيف يجيز الحق والعدل ، اللذان جعلتهما دول الحلفاء شعارا لها في هذه الحرب ، تفريق الامة المجتمعة ، بينما نرى مؤتمر الصلح يلم شتات الام المبعثرة كامة التشيك واليوجوسلاف ونستغرب كل الاستغراب كيف ان مؤتمر الصلح يمنع قوما ما يعطيه آخرين ، كما اننا لا نرى لنا ذنبا غير اننا امة شرقية ضعيفة ، والمصالح التي تقضي بتجزئتنا هي مصالح امم اوروبية قويات . ويؤسفنا ان نرى مبدأ (الحق للقوة) لا يزال سائدا بعد هذه الحرب التي تطاحنت فيها شعوب الارض .

واما المسألة الصهيونية والهجرة اليهودية المزمع منحها لليهود ، فاننا نرفضها رفضا باتا ، ولا نرى لمؤتمر الصلح مصلحة في ارغامنا على قبولها .

ولطالما رفعنا احتجاجاتنا العديدة ، مدعمة بالبراهين القاطعة ، داحضين بها مزاعم الصهيونيين . ولطالما صرخنا منكرين هذه الدعوى ، فاسمعنا صوتنا كل من فيه قلب يخفق للانسانية المعذبة .

والآن نعود فنقول ان سكان فلسطين على اختلاف مذاهبهم هم وحدهم اصحاب الحق الطبيعي والشرعي في البلاد ، فيجب ان يكون لهم وحدهم حق تقرير الهجرة اورفضها . وانه ليؤلمنا ـ كما يؤلم الحق والانصاف ـ ان تذهب امة باسرها ضحية وعود سياسية اقتضتها منافع الامم القوية . وكيف يجيز الحق والعدل ان تمنح الهجرة اليهودية لفلسطين رغم رغائب سكانها واصحابها . بينما الدول الكبيرة وغيرها ، التي لا تؤثر فيها المهاجرة ، تسن القوانين بمنع الهجرة التي لا تراها ملائمة لمصلحتها . كما ان جميع اراضي فلسطين الآن وسابقا ، كانت ولا تزال مملوكة للاهالي ، ولا يوجد ما يقال له املاك الحكومة ، غير الاراضي (المدورة) التي وضع يده عليها المغفور له السلطان عبد الحميد وجعلها مزرعة خاصة له . وهذه الاراضي لم تكن الا ملكا للاهلين الزراعين ، اصحابها الاصليين ، وكثير منهم لا يزالون يحتفظون بأوراقهم التي تثبت ملكيتهم لها . وهم حتى الان يستثمرونها ويتعيشون منها مع عشائرهم التي تبلغ عشرات الالوف . وقد بنوا فيها القرى وبذلوا كل قواهم في سبيل تحسينها ، فهم على هذا الاعتبار احق الناس بها ، من حيث التصرف المديد والاشتغال الطويل والمتاعب الكثيرة والملكية الاولى الحقة .

فعليه نحن سكان البلاد واصحابها الشرعيين نرى ان اعظم جريمة يرتكبها التمدن الاوروبي هي ظلمنا في تقرير فصلنا عن سوريا وتمكين اليهود من بلادنا . واذا تم قرار مؤتمر الصلح على هذا الوجه فان الامة العربية بأسرها لا تنظر اليه بعين الارتياح ، بل تنظر اليه نظرها الى عمل اريد به تمزيق العرب واغتصاب بلادهم وتعمد الاضرار بهم . وتعده خيانة لها من حلفائها ، الامر الذي يؤدي الى تزعزع السلم العام المراد توطيده في العالم . وتطبيق خطة كهذه لا يتفق مع المبادىء التي اعلنت وقيل انها

كانت سببا لدخول الحلفاء غمار الحرب ، بل لا يتفق مع ما سجل في قانون جمعية الامم .

وبينما نرى العالم كله سائرا في نهج الديمقراطية ، نستغرب كيف يجوز ان يجبر عرب فلسطين على ان يعيشوا تحت نظام يعدونه عثرة في سبيل رقيهم ، بل ضربة قاضية على قوميتهم واغتصابا لبلادهم . مع ان مبادىء العدل والحرية التي رسخت في نفوس الامم الصغيرة بعد هذه الحرب ، جعلتها اقوى من ان تخضع لاي قرار مجحف بحقوقها .

فاليك ايها المؤتمر نرفع احتجاجنا هذا ، طالبين باسم الحق والعدل ان تنظر في قضيتنا نظر العادل المنصف ، ان كان لم يزل من العدل بقية باقية ، ولا تحكم في فصلنا عن اخواننا اهالي شمالي سوريا ، ولا تجعلنا نذهب ضحية الوعود والعهود باعطاء اليهود حق الهجرة الى بلادنا ، بل تضطرنا ان نضحي نفوسنا في سبيل الدفاع عن بلادنا ، والسلام .

الافكار - 124 - 1920/1/16

« الملحق رقم 17 »

قرار الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس في 1920/1/26

« على اثر ما نشرته جريدة المقطم بتاريخ 16 يناير في عدد 9374من ان اكبر مندوبي الصهيونيين المستر هربرت صمويل توجه نحو فلسطين ليعاون الحكومة المحتلة في كيفية ادارتها وتنظيم ماليتها ، عقدت الجمعيةالاسلامية المسيحية في نابلس الممثلة لعموم الاهالي اجتماعا عاما دعت اليه وجهاء البلاد ومزارعيها ، فتحالف الجميع وقرروا المواد الآتية :

1) مقاطعة اليهود مقاطعةتامة تلقاء مطامعهم في اغتصاب بلادنا .

2) رفض اسكانهم في مقاطعتنا وعدم قبول دخولهم اليها بأي صفة كانت .

3) الاستمرار على هذه المقاطعة والمقاومة الى ان لا يبقى اثر للفكرة الصهيونية او الى ان نفنى عن آخرنا .

4) رفع هذا القرار لجانب المدير العام للبلاد المحتلة الجنوبية وبواسطة كل من معتمدي دول الحلفاء في القدس لمندوبي دولهم في مؤتمر الصلح ونشره على صفحات الجرائد ليطلع عليه العالم المتمدن ، فيعذر الاهلين فيما اذا الجأتهم الضرورة لبذل ارواحهم في سبيل المحافظة على بلادهم .

رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس

توفيق حماد

الاهرام . 1920/2/7

« الملحق رقم 18 »

احتجاج الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس في 1920/2/27

ان تصريحات الجنرال بولز مدير بلاد العدو المحتلة الجنوبية لمدير جريدة مرآة الشرق في القدس

عدد 22 تاريخ 18شباط (فبراير) احدثت هيجانا عظيما في نفوس الاهالي وسببت استياء كبيرا . فاجتمع جميع اعيان القدس وضواحيها من مسلمين ومسيحيين ، مع اعضاء الجمعيات في نادي الجمعية الاسلامية المسيحية ، وقرروا باجماع الآراء تقديم هذا الاحتجاج لجنابكم لتتفضلوا بابلاغه لحكومتكم الفخيمة .

ان الامة العربية لم تخض غمار هذه الحرب بجانب الحلفاء ، ولم تحارب الدولة التركية التي تجمعها واياها روابط عديدة منها الرابطة الشرقية ، الا طلبنا للاستقلال وطمعا بتصريحات الحلفاء من ان هذه الحرب لم تضرم نارها الا لانقاذ الشعوب المظلومة . فكان نصيبها بعد النصر تجزئتها وجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود . وكما انها كانت على عهد الرومان مهد قلاقل ومسرح اضطرابات ، فستكون اشد هولا واسوأ حالا في المستقبل اذا نفذ تصريح بلفور الذي اباح لهم المهاجرة بشرط ان لا تضر مصالح الوطنيين . فكيف لا تضر بمصالح الوطنيين الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية ، مع ان الولايات المتحدة وهي الدولة القوية العالمة الغنية ، منعت هجرة الصفر الى بلادها . وسنت حكومة بريطانيا العظمى القوانين لمنع مهاجرة اهالي دول اوروبا الوسطى . فهنا يظهر ان المهاجرة تضر بمصالح الوطنيين ضررا عظيما .

فلسطين التي ولد وصلب فيها السيد المسيح ، والتي تعد وطنا لهذا المعلم العظيم ، تأبى ان تكون وطنا قوميا لامة اساءت اليه بل الى العالم كله .
اية امه عاش بينها اليهود ولم تنصب بينها المذابح وتجري الدماء . وان التاريخ ينبئنا عما فعلت روسيا واسبانيا والمانيا وفرنسا وانجلترا نحو اليهود .

فلسطين التي اتاها عمر ابن الخطاب فبنى في قدسها جامعا يقدسه الآن مسلمو العالم كله ، تأبى ابدا ان تتحول جبالها الى براكين تقذف نيرانا ، وماء أردنها لدم يسود وجه الانسانية .
فلسطين التي قدمت ابناءها هدية لدول الحلفاء ايام الحرب ، فحاربوا في الجيش العربي الذي دخل سوريا منتصرا ، تأبى اليوم ان يكون نصيبها الحكم عليها بالاعدام . كيف يسمح لليهود الذين لا يبلغ عددهم سبعة في المائة من النفس ولهم واحد في الالف من الاراضي والاملاك ان يصبحوا اصحاب البلاد ، وليس لهم في فلسطين ادنى حق ، واما حقوق العرب فيها فكثيرة واضحة لا تحتاج الى اثبات ، كما هي حقوق الانجليز في انجلترا ، والفرنساويين في فرنسا . انكم ايها الحلفاء ان ناجيتم ارواح واشنطون وكروموبل وروسو وميرابو وغاريبالدي تسمعونهم ينتقدون ولا يرضون عن اعمالكم . لا تستهينوا بنا واعلموا ان ارادة الشعب من ارادة الله ، وان البعوضة تدمي مقلة الاسد .
وفي الختام نؤكد جميع مطالبنا التي قدمناها للجنة الامريكية وهي استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية من طورس الى رفح ، وعدم فصل فلسطين عنها ، ورفض المهاجرة الصهيونية التي نحن على استعداد تام لمقاومتها الى آخر رمق من الحياة . وقد التمسنا منكم مرارا وها نحن نحتج اخيرا . وان اعمالنا ستؤيد مطالبنا ولسنا مسئولين عن ذلك والسلام .

الاهرام 1930/3/3(رقم 13067) .

« الملحق رقم 19 »

بيان موسى كاظم الحسيني بمناسبة الاعياد في ابريل 1921

بيان الى الشعب الفلسطيني المبارك

اقدم لك ايها الشعب العربي الفلسطيني المبارك تحياتي وتبريكاتي بأيام اعيادك المقبلة ، راجيا من فضله سبحانه وتعالى ان تكون ايام سعيدة مبروكة محفوفة بالسرور والسلام . واني وان كنت واثقا من حسن نية وسلامة طوية مواطني الكرام ، ارجو من كل وطني ان يخلد للهدوء والسكينة ، جاعلا اعتماده على الحكومة البريطانية العظمى التي اشتهرت بالعدل وبحبها لراحة الاهلين وبالمحافظة على حقوقهم وانالتهم رغائبهم المشروعة ، فهي لا تخيب آمال الشعب ، لان ارادة الشعب من ارادة الله . والله نسأل ان يهدينا الى سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رئيس المؤتمر العربي الفلسطيني

موسى كاظم الحسيني

مرآة الشرق 92 - 1921/4/19

« الملحق رقم 20 »

بيان سليمان التاجي الفاروقي الى أهل القرى
تسكينا للخواطر عقب حوادث مايو 1921

اخواني اهالي القرى

ان الدين النصيحة ، وانني اعلمكم بحقيقة ربما تصلكم مشوهة ، وهي انِ لا صحة لما يشاع عن الفظائع في اخوانكم اهل يافا . واؤكد لكم ان الحكومة ساهرة على المحافظة عليهم بدون فرق ، فينبغي ان تثقوا بحكومتكم وبعدلها وسهرها على حياتكم وشرفكم وعلى حسن سمعتها . وأنصحكم ، والدين النصيحة ، بلزوم السكوت والانصراف الى اشغالكم وعدم تصديق الاشاعات الكاذبة والسلام عليكم .

سليمان التاجي الفاروقي

مرآة الشرق ـ 97ـ 1921/5/10 .

« الملحق رقم 21»

البلاغ الرسمي للحكومة البريطانية في 6/5/1921

official communique 6 . p . m . 6521 . Apart from some small incidents , no dis-

turbances are reported in palestine Complete order is maintained at jaffa .
The Festival of Nebi Saleh at ramleh , attracted many thousands of moslems .

General Palin and mr . deeds , the civil Secretary , and other representatives of the government attended the festival which passed off in an orderly manner .

After its termination , however , one section of the gathering detached , itself from the rest and threatened the jewish colony of rehoboth . they were , however , dissuaded from proceeding further by british officials and moslem notables of the locality , and the colony was also protected by cavalry and aeroplanes . No causalities arrising out of this incident have so of been reported , except two Arabs wounded by the Police .

An attack wac made upon the jewish colony of khedeira and was repulsed by the police . A considerable force of military are stationed there for its protection and aeroplanes have visited the district . three Arabs were killed.

the two notables from jaffa , who went to nablus yesterday (5 . 5) at the rekuest of the people to explain the situation , duly arrived there . their visit has contributed to reassure the minds of the population . Both Nablus and Tulkeram are now calm .

مرآة الشرق - 97 - 1921/5/10

« الملحق رقم 22 »
استغاثة الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا
(حوادث مايو) 1921

في الثورة التي قام بها البولشفيك في 1 مايو سنة 1921 بمدينة يافا وضواحيها ، تيتم كثير من الاطفال المسلمين والمسيحيين ، وترمل نساء ، وجميعهم يئنون تحت الم الجوع والفقر والضرورة . ويؤملون من اخوانهم في الدين مد يد المعونة لهم باغاثتهم في قوتهم الضروري اليومي وتخفيف بؤسهم وويلاتهم . فاليكم يا أصحاب الحمية والمروءة نبسط هذا الحال ، ونستمد المعونة والرحمة من لدنكم بقدر استطاعتكم ، ونطلب تشكيل اللجان من اهل الخير في كل قطر لجمع الاعانات . ومرجع قبول هذه الاعانات وتوزيعها على المستحقين هو رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا عمر البيطار ، وامين صندوقها الدكتور يعقوب برتقش . وتضطر الجمعية للقيام بالمرافعة عن القضية الوطنية في كل ناد رسمي ، علاوة على اعالة هؤلاء المحتاجين . فالبدار للمسابقة في فعل الخير وسد رمق الايتام والارامل ، وتخليص الوطن . ان الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه والسلام على المحسنين .

ويمكن ارسال التبرعات الى الاستاذ وهبة افندي العيسى المحامي رئيس اللجنة الفلسطينية بمصر بشارع قصر النيل نمرة 25 ليتولى ارسالها الى يافا .

رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا
عمر البيطار

الاهرام 1921/5/19

« الملحق رقم 23 »

المقاطعة العربية واعلان بلدية تل ابيب

اعلان

ان الاشاعات الجارية في البلدة من جهة مقاطعة المسلمين في البيع والشراء من طرف اليهود ليس لها اساس . واذا وجد بعض ناس صدر منهم شيء من ذلك فهو على غير اساس ايضا ومسائل شخصية سيصير اتخاذ الوسائل والاسباب لمنعه قريبا . فلذلك نعلن الحقيقة لجميع الموسويين والمسلمين بهذا الباب . وقد اجتمعنا بالامس 5/12 مع كثير من وجهاء اخواننا المسلمين ، وفهمنا ان ما يروج من الاشاعات عن المسلمين ليس لها اصل ايضا . وعموم العلماء والمدرسين في الجوامع يصرحون في دروسهم بلزوم اتخاذ وسائط السكينة والهدوء ومنع ما من شأنه ان يورث القلق بين الناس . فعلى كل واحد ان يستعمل اسباب سلامة البلدة واعادة الراحة ، وطرح كل اشاعة ينتج عنها الاضطراب والقلاقل . ولنا الامل ان بعد برهة ايام ترجع السكينة وتعود الحال والاشغال الى مجاريها بدون ادنى اضطراب .

بلدية تل ابيب

الاهرام 1921/5/19

« الملحق رقم 24 »

بيان الوفد الفلسطيني الاول في 1921/7/8

« ايها المواطنون الكرام

تعلمون ان الذي حمل المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع على ارسال وفد الى اوروبا هو اعتقاده التام ان هنالك حاجة كبرى الى اظهار حقائق الامور للرأي العام الغربي عامة ، والبريطاني خاصة ، ببسط القضية الفلسطينية لديه ، وعرض مطالب الامة عليه ، وتبيان ما يلحق بالبلاد واهلها من الحيف والضيم من السياسة الصهيونية المندمجة في تصريح بلفور قبل ان يبت في امرها نهائيا .

وان الامل وطيد بأن المسعى في بلاد الغرب وعلى الاخص في انجلترا حيث يوجد الرجال المنصفون الذين تحققت رغبتهم في توثيق عرى الصداقة بين الانجليز والعرب يؤدي الى نتيجة حسنة تحفظ بها حقوق الوطنيين وتخولهم الحكم الذاتي بدون ان يكون لقومية اخرى شركة معهم تزاحمهم في بلادهم ومصالحهم وحقوقهم . ولما ذهب قسم من اعضاء الوفد لمقابلة فخامة المندوب السامي بتاريخ 23 حزيران 1921 طالبا تسهيل سفر الوفد ، ابان فخامته ان الحكومة عازمة على اعداد اساس انتخابي للمجلس الاستشاري وسن دستور للبلاد مبني على مبادىء تصريح بلفور القائل بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وتأمين الهجرة اليهودية . ولم يبد فخامته جوابا صريحا على الاسئلة التي طرحت عليه

بشأن صلاحية هذا المجلس . وبما ان الامة ترفض المبادىء التي انطوى عليها تصريح بلفور رفضا باتا ، وانها تبتغي تشكيل حكومة وطنية مسئولة امام مجلس نيابي منتخب له وحده الصلاحية في سن القوانين والمراقبة على تلك الحكومة ، فقدوجد الوفد ان بيان فخامة المندوب السامي في هذا الشأن لا يطابق ما تتطلبه الامة من الحقوق المشروعة ، فقرر ان يشمر عن عزمه في السفر الى الغرب متوكلا على الله ، ومستندا الى تضافر الامة الكريمة واتحادها في الثبات والجد وراء هذه الغاية السامية ، املا ان يوجد فيه وفي الشعب الانجليزي الحر النبيل ورجاله العاملين من العطف والمؤازرة ما يوصل الامة الى حقها المشروع تحقيقا للغاية التي مشت الامم في الحرب بجانب الحلفاء لاجلها ، وتنفيذا للعهود التي قطعت للامة العربية ، ولمضمون المادة الثانية والعشرين من عهد جميعية الامم .

وهو يطلب الى الامة ان تلبث على مبدئها رابطة الجأش ثابتة الجنان ، تنتظر نتيجة سعي وفدها الذي عاهدها على العمل في تحقيق امنيتها المقدسة بكل ما لديه من قوة ومجهود ، والله ولي التوفيق .

رئيس الوفد العربي الفلسطيني

موسى كاظم

القدس 8 تموز 1921 »

المقطم 1921/7/13

« الملحق رقم 25 »
احتجاج الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا على الاسلحة المهربة الى حيفا (ديسمبر 1921)

الى فخامة المندوب السامي

كنا ننتظر حتى الان ان تصدر حكومة فلسطين بلاغا رسميا عن مقدار الاسلحة التي صودرت في حيفا ، لنقف على الحقيقة ، فلم يصلنا منها ما يزيل الريبة ويطمئن النفوس ، غير ما قيل عن المنشور الذي اذاعته حكومة حيفا وفيه ان عدد الاسلحة 300 فقط . ان تقارب الاقوال في مقدار هذا السلاح الذي صودر ، والغاية من وروده قد تكاثر الى حد يصعب معه تهدئة القلق الذي استحوذ على الوطنيين . فمن قائل انه يبلغ 15 الفا ، ومن قائل ستة الاف . والحكومة المركزية في القدس لا تنطق ببنت شفة . على انه مهما يكن عدد تلك الاسلحة ، فقد اجمع الرأي العام الفلسطيني الوطني على وجوب الاحتجاج لدى الحكومة على الامور الاتية :

1) على تسليح المستعمرات الصهيونية .

2) على التسامح بعدم تفتيش ما يرد الى البلاد باسم ادوات زراعية في الجمارك .

3) على السماح بانزال المهاجرين اليهود الى فلسطين ، وكلهم في سن الجندية ، مما ينافي تصريح فخامتكم بعد حوادث اول ايار ويدعو الى الشك في نيات الحكومة . ونطلب فخامتكم من بصفتكم ممثل جلالة ملك بريطانيا العظمى :

1 ـ ان تأمروا بجمع كل الاسلحة التي وزعتها الحكومة على المستعمرات اليهودية .

2 ـ ان تأمروا باتلاف جميع ما ورد مؤخرا من الاسلحة وذخائرها الى حيفا علنا .

3 ـ ان تصدروا امركم الى جميع جمارك فلسطين بوجوب تحري وتفتيش كل ما يرد باسم اي محل تجاري صهيوني كان او غير صهيوني كما تفعل حكومة مصر في بحثها عن الحشيش .

4 ـ ان تأمروا بعمل تحقيق دقيق عن جميع ما ورد لفلسطين من الادوات الزراعية ولا سيما ما جاء منها في شهر اكتوبر الماضي .

5 ـ ان توقف مهاجرة من كان من اليهود في السن العسكرية .

6 ـ ان يقاضى مستورد هذه الاسلحة وجميع من كان لهم علاقة بها .

7 ـ ان تنشر الحكومة بيانا مفصلا بما اتخذته من الوسائل والاجراءات عن هذه الحادثة .

هذا ما رأت الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا ان تعرضه على فخامتكم ، ملفتة نظركم الى ما يترتب عليه من التبعات .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

الاهرام 1922/1/10

« الملحق رقم 26 »

عريضة الوفود الفلسطينية الى المندوب السامي احتجاجا على تهريب الاسلحة وتدفق الهجرة اليهودية ـ مارس 1922

فخامة المندوب السامي لفلسطين

ان فتنة يافا في مايو 1921 وفتنتي القدس في ابريل 1921 ، وفتنة حيفا في مارس 1921 ، ابانت بأجمعها ان الاضطرابات التي تحدث في المقاطعات الخالية من السلاح تكون سهلة المأخذ لينة ، بخلاف التي توقد نارها في البلاد التي توجد فيها الاسلحة ، اذ تكون سريعة الانتشار ، صعبة المأخذ ، اليمة العواقب . فبدلا من ان تجد الحكومة لنفسها درسا من هذه العبر المؤلمة، فتنكب على جمع الاسلحة على اختلاف انواعها ، نجدها توزع السلاح علنا على مستعمرات اليهود ، فأذى عملها هذا كل عربي واثر على منزلة الحكومة وهيبتها . اذ فهم منه السكان ، عرب ويهود ، ان الحكومة عاجزة عن حماية الارواح والاموال . فأصبح العرب بلا طائل على هذا الامر الغير مشروع والبعيد عن الحكمة ، ووجد اليهود فيه فرصة ثمينة لاعداد المعدات ليوم رهيب، طالما سمعنا زعماء الصهيونية كجابوتنسكي وكايلانسكي وملين ، يدعون اليهود اليه ، واخذوا يهربون الاسلحة بحالة لم يسبق لها مثيل ، زاعمين انه انما يؤتى بها لاجل حماية انفسهم .

كشفت الصدفة الحسنة الغير المنتظرة في حيفا في 18 ديسمبر 1921الغطاء والطرق الجهنمية التي استعملتها ولا تزال تستعملها اليهود في تهريب الاسلحة الى البلاد . فضبط اكثر من ثلاثمائة مسدس وخمسة عشر الف رصاصة محشوة في بطون اخشاب خلايا النحل . وقد ضبط في 13 فبراير 1922خمسة وثلاثون مسدسا وبارودة وأربعة وتسعين صندوقا من العتاد في حوائج امرأة من مهاجري اليهود . اما صاحب الكمية الاولى ـ وهو رئيس فرقة من عمال اليهود ـ فقد برىء ، مع ان المحكمة كان لديها من البينات ما يوجب الحكم عليه . واما صاحبة الكمية الثانية تستتبع خطوات زميلها السابق في تهريب الاسلحة .

ان تبرئة رجل يشتغل في تقويض دعائم الامن والسلام في فلسطين ، والتي جردت محاكم البلاد من كل سمعة حسنة ، وما اخذته الحكومة على نفسها من تسليح مستعمرات اليهود، وجمودها في القيام بأعظم واجب يترتب عليها من اتخاذ الاجراءات الفعالة لمنع تهريب الاسلحة وضبط ما هرب منها ، كل ذلك يدعونا الى الاعتقاد بأن الادارة تنظر لتهريب الاسلحة من اليهود بعين الاستحسان . ان هاتين الصدفتين لم تكونا الا مثالا بينا لكثير من اشباههما . ولدينا من الاسباب الكافية ما يجعلنا نعتقد ان الكميات من الاسلحة التي ضبطت بطريق الصدفة لا تذكر امام التي مرت وتمر والعيون عنها غافلة . وليس للحكومة ما تستند عليه من الاسباب المبررة لعملها هذا الا حماية النفس . ولكننا نعتقد ان الادارة انما هي هيئة منظمة مؤيدة بأموال السكان لاجل حماية ارواح الافراد واموالهم ، فان قصرت عن ذلك فليس للافراد ان يؤيدوها . وانا نجد ان عمل الادارة يشير بعجزها عن حماية ارواح السكان واملاكهم باعطاء سلاح لطائفة منهم تستعمله ضد الآخرين . من جهة اخرى فان تقرير محكمتي التحقيق والاضطرابات في يافا والقدس، اللتين شعرنا بهما بالعدالة البريطانية، قد اماطا اللثام عن الحقيقة التي لا مراء فيها من ان اليهود كانوا السبب في اثارة الفتن في فلسطين .

ان حركتنا الوطنية مؤسسة على حقنا الطبيعي . ولنا ملء الثقة بعدالة وعطف الرأي العام البريطاني ، الذي وضعنا مستقبل بلادنا بين يديه . ولذلك فانا نرى من اعظم الواجبات التي تتحتم علينا ان نقف في وجه كل عمل غير سلمي ومشروع . ولكنا لسوء الطالع نرى ان الادارة تخنق جهادنا في اتمام هذا الواجب بما تأتيه من تسليح اليهود وفتح ابواب البلاد على مصراعيها لهجرة الغرباء .

ولقد ارسلنا من المقطاعات المختلفة في فلسطين للاحتجاج بشدة على اعمال الحكومة هذه ، والتي تقود البلاد الى نتيجة مرعبة . وقد فوض الينا ان نرفع لفخامتكم مطالبنا التالية :

1) ان توقف الهجرة بينما يقرر مصير البلاد .

2) ان تسترد الحكومة جميع ما وزعته على اليهود من الاسلحة على اختلاف انواعها .

3) ان تشكل هيئة تمثيلية تخول سلطة تامة لجمع جميع اصناف الاسلحة الموجودة في حوزة السكان على اختلاف انواعهم والتفتيش عنها وضبطها ثم حرقها .

الاهرام 1922/3/15

« الملحق رقم 27 »

اعلان رسمي ـ الاجتماعات الغير قانونية

« عملا بمقتضى الاعلان نمرو 127 العمومي الصادر في 12مارس 1921لا يسمح باقامة مهرجان او مظاهرة في طريق عمومي بقصد الاشتراك بمظاهرة او مهرجان . فاذا حصل هناك اضطراب فانه يجازي بمقتضى القانون العثماني المختص باجتماعات الغير مشروعة .

يصرح القانون المذكور بانه عند حصول تجمع في طريق عام ، من قبل جماعات مسلحين اوغير مسلحين ، يحق لمأمور الحكومة ان يدعو الناس الى فض الاجتماع ومغادرة المكان حالا . وعلى المأمور ان يعلن حضوره نفخا في البوق ، وان يخطر المجتمعين بأنه سيصير استعمال القوة لتفريقهم اذا هم لم ينصرفوا حالا .

واذا لم يطع الجمهور الاخطار الاول ، فيُصير اخطارهم بنفخة ثانية في البوق ويؤمرون بالتفرق

مرة اخرى. فاذا ظلوا مخالفين وكان بينهم من يحمل سلاحا كسكاكين او نبابيت فللمأمور المذكور ان يطلب الى البوليس او العساكر استعمال القوة ضد المجتمعين . اما اذا لم يكن احد المجتمعين مسلحا فيخطرهم مرة ثالثة ، واذا لم يطيعوا الامر الثالث فله عندئذ الحق باستعمال القوة .

يصير القاء القبض قبل ان تعطى الاخطارات المنوه عنها على كل من يتصرف بطريقة من شأنها ان تؤول الى الاضطراب والهياج

كل من كان مشتركا في اجتماع حمل فيه سلاح يعرض نفسه للسجن مدة لا تقل عن سنة . واذا كان الاجتماع ليلا فلمدة ثلاث سنين الا اذا غادر المكان قبل صدور الامر الاول . واذا انتظر الشخص لحين صدور الامر الثاني وكان الاجتماع نهارا فيحكم بالحبس مدة ثلاث سنوات واذا كان ليلا فخمس سنوات مع الاشغال الشاقة .

كل من كان مشتركا في اجتماع لم يحمل فيه سلاح ولم ينصرف بعد الامر الاول يحكم بالسجن مدة تتراوح بين 15 يوما وستة اشهر ، واذا استعملت القوة لتفريق الاجتماع فتكون العقوبة لمدة سنتين .

كل شخص يخطب بجمهور مجتمع اويحث الناس على الاجتماع في طريق عام بواسطة اللوحات المعلن عليها يعاقب بنفس الاحكام التي يعمل بموجبها فيما لو اشترك فعلا في الاجتماع .

نذكر العموم ان النظام الخاص بالقنابل لم يزل على ما كان عليه ، يعني واجب التطبيق . وكل شخص توجد معه قنبلة يكون معرضا للحبس .

نعلن للعموم ايضا ان حمل النبابيت والسيوف والمقامات او الخناجر او السكاكين في الازقة والشوارع العمومية ممنوع منعا باتا ضمن منطقة لواء القدس لحين اشعار اخر . وكل من يوجد معه مثل هذه الاشياء يكون معرضا للتوقيف .

القدس الشريف 20 اذار . 1922رستورس »

لسان العرب 199 - 1922/3/30

« الملحق رقم 28 »

نداء اللجنة التنفيذية برفض الانتداب

في 1922/6/20

الى الامة الكريمة

فلسطين عربية وستبقى عربية رغم المعاهدات الاوروبية الظالمة التي اثبت لنا الزمن عند التصفية قصاصات ورق بالية .

ان مستقبل فلسطين رغم تصريح بلفور ومعاهدة سان ريمو .

ان المعاهدات والاتفاقات والتصاريح المبينة على الباطل تذوب بتأثير انفاس الوطنية الحقة الصادقة .

جاء في نظام جمعية الامم في المادة 22 ما يلي : « ان بعض الطوائف التي انفصلت بعد الحرب عن الامبراطورية العثمانية قد وصلت الى درجة في معالم الوطنية يجب الاعتراف لها معها بالاستقلال

مبدئيا على ان تقدم لها دولة منتدبة الارشادات الادارية والمساعدات المالية بينما تصبح بحالة يمكنها معها الاستغناء عن ذلك . ويجب ان يكون اختيار هذه الطوائف للدولة المنتدبة اساس معتبر » .

فاذا داست جمعية الامم قرارها هذا بتصديقها على صك انتداب فلسطين في 15 تموز سنة 1922 ، وهو يناقض هذا القرار اصلا وفرعا ، فلتعلم ان جمعية الامم هي هيئة يهون الغاء تصديقها على صك الانتداب وهو ظلم كما داست قرارها برجليها وهو حق . والذي يدوس الحق بقوة الباطل اولى ان يدوس الباطل بقوة الحق .

لهذا فاذا قلنا ان اتمام تصديق عصبة الامم لصك الانتداب في الخامس عشر من شهر تموز المقبل هو ضربة كبرى على القضية ، فلا نعني انه يكون ضربة معينة ، بل ضربة تزيد الاحياء حياة والاموات موتا فاذا كان العالم بأسره يشهد لنا اليوم بالحياة ، فيجب ان يكون لنا من مصيبة تصديق الانتداب حياة جديدة .

جاء في الامثال الانجليزية (انما المصاعب مدارس النجاح) ، ولا ينطبق هذا المثل الصحيح على امة كانطباقه على فلسطين فان مصيبة تصريح بلفور وضعت فينا حياة جديدة ، ومصيبة معاهدة سان ريمو ربطتنا بالعروة الوثقى . فاذا حلت علينا مصيبة عصبة الامم فيجب ان تزيد حركتنا انتظاما واتحادنا توثيقا .

فاذا لم تصدق جمعية الامم صك انتداب فلسطين فذلك احرى بها وتكون قد رفعت عنا مصيبة كبرى كان يمكن ان تؤخر قضيتنا لا ان تميتها . وان خاب الظن فيها وصدقت عليه فيجب ان نقلب تلك المصيبة الى صالحنا ، فلنلفظ الصك لفظ النواة ، ونثابر على دفاعنا الوطني المقدس بهمة اعلى وعزم امضى وارادة اصلب .

فالى درء هذه المصيبة قبل حلولها بالطرق المشروعة ، ندعو لجاننا وجمعياتنا وممثلينا داخل البلاد وخارجها . ولنذكر الامة بمبدأ حركتنا الوطنية وهو (الحق الصريح لا ينال الا بالطرق المشروعة) ، فلنسر عليها، والله والحق والعالم بجانبنا .

سكرتير اللجنة التنفيذية
جمال الحسيني

لسان العرب- 264 - 1922/6/21

« الملحق رقم 29 »

نداء الشيخ عبد القادر المظفر الى المصريين بالأحتجاج على فرض الأنتداب

نداء للامة المصرية الرشيدة

من اخوانهم وجيرانهم الفلسطينيين

ان الشعب الفلسطيني الاسلامي ، الذي قام بحراسة المسجد الاقصى والصخرة المشرفة منذ الف وثلاثماية سنة ، يعلن للعالم الاسلامي ان هذه الاماكن المقدسة في خطر عظيم من الاعتداء الصهيوني المفظيع .

واننا كحراس امناء ساهرين على ما عهد الله به الينا في حفظ ثالث الحرمين ، الذي شرفه الله بالاسراء ، واول قبلة للاسلام ، وقد اوقفنا انفسنا للدفاع عنه ، وحقنا فيه حق المصري والحجازي والتركي والفارسي والافغاني والهندي والجاوي ، وكل من نطق بالشهادتين في مشارق الارض ومغاربها لا اقل ولا اكثر .

للصهيونية في فلسطين اطماع واماني ، لو تحققت لا قدر الله ، لكانت وبالا على المسلمين وشرا مستطيرا .

فالجمعية الصهيونية التي تسعى لتأسيس ملك لليهود في فلسطين وسلب المسجد الاقصى من المسلمين ، لانه مبني على انقاض هيكل سليمان عليه السلام وجعله معبدهم الاكبر ، ترمي الى ان تجعل من فلسطين قاعدة لبسط النفوذ اليهودي على الجزيرة والشرق بأجمعه . فقد صرح زعيم حركتهم الدكتور وايزمن قائلا (يجب ان تكون فلسطين يهودية كما ان انجلترا انجليزية) . « قال كاتبهم زنكويل (وما على المسلمين الا ان يرحلوا الى ارض غير هذه الارض) . وقال السر الفرد موند احد زعمائهم (سأكرس اخر ايامي لبناء هيكل عظيم في مكان المسجد الاقصى) . وقال المستر بنتويتش السكرتير القضائي في حكومة فلسطين في كتابه « فلسطين اليهودية » : (ان حدود فلسطين تمتد من صحراء التيه الى ما وراء دجلة والفرات) .

وقد بلغ هؤلاء القوم الغرور بأمانيهم حدا جعلهم يصورون بيت الله المقدس وقد علت اسواره الاعلام الصهيونية ، واستوى تاج صهيون فوق القبة المشرفة مكان الهلال ، وهذه الصورة يوزعونها بين قومهم .

ان هذه الاحلام لن تتحقق ما دام في الامة الاسلامية من يشعر بهذا الخطر ، وما دام المسلمون في جميع انحاء المسكونة يجلون هذا البيت المقدس ، ويعلمون حق العلم انه ثالث الحرمين الشريفين ، وان المحافظة عليه والدفاع عنه واجب على كل مسلم ومسلمة .

لقد اضطرب العالم المسيحي في الشرق والغرب لهذا الحادث المزعج الرهيب ، فارتفعت اصوات رجال الدين وكثير من رجال السياسة في استنكاره والاحتجاج عليه ، حتى ان مجلس الاعيان البريطاني انكر على حكومته هذا الوعد المستنكر بأكثرية ساحقة .

فما بال الشعوب الاسلامية لا تزال صامتة وهي احق بالانكار واجدر بالاحتجاج ، واولاهم في ذلك الامة المصرية لما بيننا وبينها من حق الجوار وحق الاخوة الدينية وحق الجنسية العربية وحق التعاون التاريخي وحق احترام الاماكن المقدسة واهتمام بصيانتها وبقائها في ايدي اخوانهم من اهلها .

ونحن الان في اشد الحاجة الى مطالبتكم بمراعاة هذه الحقوق . لقد دنا الوقت الذي يتم فيه تحقيق الاماني الصهيونية او فشلها ، وموعده 15 يوليو سنة 1922 ، حيث ينظر مجلس جمعية الامم في صك الانتداب لفلسطين ، الحاوي وعد بلفور المشئوم ، او القضاء المبرم على الاسلام في فلسطين وقهر الامة الاسلامية .

فنستصرخكم والعالم الاسلامي اجمع ان تحتجوا لدى العالم ولدى جمعية الامم على هذا الاغتصاب الشائن المخالف للحق والعدالة .

والى نصرة هذا الدين ايها المصريون والمسلمون ندعوكم بقلوب دامية وافئدة منفرطة . وقد قال

الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

هذه رسالتنا اليكم وما على الرسول الا البلاغ .

رئيس الوفد الفلسطيني الاسلامي
عبد القادر المظفر

الاهرام 1922/7/4

« الملحق رقم 30 »

بيان تأسيس الجمعية الاسلامية الوطنية في القدس (1922)

بيان عام
للجمعية الاسلامية الوطنية في القدس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فقد سبق للمولى جل شأنه ان قال « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

فحق لنا ولكل من هداه الله ان يعمل بأمره الحكيم ، فيتعارف مع اخيه الانسان لتزول من بينهم الاضغان ، واذ ذاك تتوحد الكلمة وتحصل الغاية . والسابق للخير السابق للحسنى ، وما الخلق كلهم الا عيال الله ، واحبهم انفعهم لعياله .

ولما كانت الجمعيات اقرب منهلا واسهل موردا لحصول التعارف وتبادل المحبة فتزداد الروابط دينية كانت ام دنيوية ، لذلك رأينا العالم يتسابق في اكثار جمعياته المتنوعة ، فكانت منها جمعيات البر والاحسان والعلم والعرفان والزراعة والصناعة والخ . . وينتج عنها كلها رقي محسوس في الهيئة الاجتماعية البشرية .

نظرنا كغيرنا فيما نحن فيه ، فأمعنا النظر واكثر من تدبر الامور ، فرأينا ان الواجب الوطني يقضي علينا بالعمل ، فشمرنا عن ساعد الجد غير مكترثين في العقبات التي سنصادفها او الضجات التي ستقوم حول قيامنا بهذا المشروع . اذ لا يخفى ان كل جديد مستنكر ، حتى اذا شوهدت نتائجه صار حسنا ورغب فيه وشدوا ازر القائمين به فاسسنا جمعية دعوناها بالجمعية الاسلامية الوطنية ، لا نرى مانعا من ان نذكر مبدأها والغاية التي نتوخاها قطعا لالسنة الخراصين الذين انما يعارضون كل عمل حبا بالاعتراض ليذكر اسمهم ويعرف امرهم ، وليتهم يقومون بالاعمال النافعة بدلا من الاقوال الموجعة عملا بأمر الرسول (قل الخير والا فأسكت) لكان خيرا لهم . ولكن « قل كل يعمل على شاكلته وربك اعلم بمن اهتدى » .

جاء في قانون جمعيتنا الذي صادقت عليه الحكومة « ان مبدأ الجمعية الاساسي قبول الانتداب البريطاني لفلسطين بشرط ان يراعى مركز الاكثرية الاسلامية وهي الاكثرية الساحقة في فلسطين والسعي لتأليف ذات البين بين العناصر المستوطنة فلسطين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، وازالة سوء التفاهم والشقاق ونشر العلوم والمعارف وترقية الزراعة والتجارة والصناعة بتنشيط القائمين بها بقدر المستطاع .

ومساعدة المحتاجين ، والاهتمام بشئون الايتام ومستقبلهم ، والمدافعة عن حقوق الاهالي بالطرق المشروعة ضمن دائرة القانون ، وان تكون الجمعية اداة بين الاهالي والحكومة البريطانية لتوثيق الروابط وتحكيم العلائق التي تعود على اخواننا اهالي فلسطين بكل خير » . وذلك كله عملا بقوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين. وامشوا في مناكبها من رزقه واليه النشور . والفتنة اشد من القتل وان الذين يسعون في الارض فسادا جزاؤ هم ان تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف . . . الخ) . وعملا بقوله (ص) « حب لاخيك ما تحب لنفسك » . وما ورد عنه (ص) « لقد اوصاني بالجار حتى ظننت انه يورثه » . وبكثير من الآيات القرانية والاحاديث النبوية التي اقتصرنا على بعضها خوف الاطالة والملل .

رب معترض يقول ـ والمعترضون اليوم كثيرون ـ لماذا لم نطلب الاستقلال التام بدلا من الانتداب ؟ فنجيبهم انهم هم اول من وقع على هذا الطلب (اذا لم ترض جمعية الامم باستقلالنا التام) . وليس في طلبنا شيء جديد او انحراف عن الحق ، ناهيك عن اننا جميعا نعلم العلم اليقين، ولو انكره العارفون لغاية ما، ان كل امة لا تستقل اقتصاديا لا تستقل ماديا ومعنويا ، وان العلم عندنا يكاد يكون مفقودا، فلا علم ولا مال يمكننا من ارغام الحلفاء على قبول طلبنا ان طوعا وان كرها . والعاقل من عمل بقوله تعالى (لا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) .

سنبعث ببياننا العام هذا الى جميع اخواننا ، سائلين المولى ان يجعله خالصا لوجهه. وان يرجعوا هم انفسهم الى الماضي فيحكموا وجدانهم الطاهر ، لا ان يلتفتوا للاقوال المنبعثة عن الميول النفسانية ، فيحكمون ولا شك بصدق قولنا ، ومن شهدوا عملنا حق لهم هنالك ان يقولوا كلمتهم في جمعيتنا ويشدوا ازرنا ويقوموا معوجنا ، فالدين النصيحة لا الطعن والفتنة اللذين هما من اعمال الشيطان، والله الهادي الى الحق .

لسان العرب - 305 - 1922/9/11/

« الملحق رقم 31 »
دعوة اللجنة التنفيذية الى عقد مؤتمر اقتصادي زراعي - 1922

دعوة عامة للامة العربية

ان الازمة الاقتصادية التي وقعت بها فلسطين منذ ثلاث سنوات قد اشغلت بال كل مفكر من اهل هذه البلاد ، واسترعت اهتمام كل وطني صادق امين ، واوجدت تشاؤ ما عاما في مصير البلاد من الوجهة الاقتصادية، سيما وان هذه الازمة ما زالت تزيد صعوبة وتضييق الخناق على كل وطني في هذه البلاد المقدسة دون ان تمد لتوقيفها يد مصلح . وان الحكومة المحتلة مع وجود دائرة عليا للامور الاقتصادية فيها لم تقم بشيء محسوس لتلافي هذه الحالة السيئة ، ولم تعمل شيئا لانماء وحماية الموارد التي ترتكز

عليها اقتصاديات البلاد .

لهذا فقد اشرفت فلسطين على نكبة اقتصادية فادحة ، سوف تقع فيها لا محالة ان لم تتداركها الامة الكريمة بعلاج شاف يصيغه لها كبار الاقتصاديين والزراع والمفكرين ، في مؤتمر عام ، تتحاكك فيه الافكار وتتوحد المساعي في سبيل ترقية حالة البلاد الاقتصادية وتخليصها من براثن البوار ، بايجاد الطرق لكثرة الانتاج ، وانقاذ حاصلات البلاد من المضاربات الخارجية .

لذلك تقترح اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني الخامس على عموم الجمعيات ووجهاء البلاد عقد مؤتمر اقتصادي زراعي في اقرب مدة يصير الاتفاق عليها . وهي الان تدعو عموم افراد الامة الكريمة الى التفكير في هذا الموضوع الحيوي . وان يرسل كل مقترح ما يعن له في هذا الأمر لمكتب اللجنة التنفيذية في القدس ، او ينشره على صفحات الجرائد الوطنية تنويرا للاذهان وتنبيها لافكار الذين سيعقدون هذا المؤتمر .

وان اللجنة التنفيذية الواثقة بأنها ستجد من كل فرد من افراد هذه الامة العربية الكريمة المعاضدة المطلوبة في هذا المشروع الحيوي كي يفوز المؤتمر بالنجاح ان شاء الله تعالى .

سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني الخامس
جمال الحسيني

فلسطين 543 - 84, 1922/12/29

« الملحق رقم 32 »
برنامج الحزب الوطني

1) الاحتفاظ بفلسطين لاهلها واصحابها الشرعيين وهم العرب .

2) رفض تصريح بلفور وهجرة اليهود الى فلسطين رفضا باتا .

3) انشاء حكومة دستورية من الاهالي .

4) تعديل دستور فلسطين بواسطة مندوبين من الاهالي ذوي الكفاءة .

5) ان تكون اللغة الرسمية هي العربية ، ويكون جميع الموظفين من الاهالي عدا الفنيين الذين يتعذر وجودهم في البلاد .

6) تعديل التعريفات الجمركية لحماية المحاصيل الاهلية وتعديل نظام الضرائب لحماية الفلاحين .

7) رفع مستوى الفلاح والعامل تعليما واقتصادا وادارة وسياسة .
النظام ـ 11874 - 1923/11/16.
الاهرام 14203 - 1923/11/14.
الاخبار - 1923/11/13.

« الملحق رقم 33 »
قانون جمعية تعاون القرى

1) تأسست جمعية بعنوان جمعية تعاون القرى في قضاء حيفا ، على ان يكون مقر المخابرة والمراجعة السائدة لتلك الجمعية مدينة حيفا .

2) ان الجمعية تبذل جهدها لازالة الضغائن والاحقاد بين اهل القرى ، ولمنع وقوع الجرائم باصلاح ذات البين وازالة الخوف بواسطة المحكمين ، وترقية الزراعة ، وتنشيط غرس الاشجار ، ومحافظة المسائل الاقتصادية العائدة للاهالي ، مع تحريض الزراع على محافظة شعائر دينهم ومعابدهم واوقافهم ومصالحهم الملية الخاصة والعامة واحكام المدينة .

3) كل ما كان عقبة في سبيل اهل القرى مانعا لرقي زراعتهم ومكاسبهم واصول تعليمهم وعقائدهم ، ومخلا بمنافعهم ومضرا بحقوقهم الوطنية والسياسية ، وكل معاملة غير متناسبة مع امزجتهم ومسلكهم وتقاليدهم وعوائدهم المألوفة ، تسعى الجمعية بالوسائط المشروعة لازالته ودفع المضار عن الاهلين .

4) مبدأ الجمعية السياسي وآمالها يتلخص بالسعي لتأمين الاستقلال والوحدة العربية . ولهذا فهي لا تقبل بوعود بلفور والتجزئة وحرمان البلاد من الحكم الذاتي .

5) ان الجمعية مستقلة في مقاصدها وسائر معاملاتها ، وليست تحت تأثير حزب او جمعية ما .

6) نحن المؤسسين لهذه الجمعية اخذنا على عهدتنا ان نكون اعضاء عاملين في ادارة شئون الجمعية مدة سنتين ، ولنا الحق في اعتماد هيئات للتحكيم في المسائل المختلف عليها بين الاهالي . كما ان لنا الصلاحية بانتخاب عمدة مقيمة في حيفا ، على ان تعطى المعلومات عن أسماء المعتمدين لكيما يقوموا بكل الاجراءات اللازمة لتحقيق مقاصد الجمعية .

7) كل من أراد أن ينتسب لجمعيتنا تقرأ عليه المواد الاساسية المحررة في هذا القانون ، وبعد ان يقبلها وتوافق على قبوله هيئة المؤسسين يسجل اسمه في السجل المعد لضبط اسماء رجال الجمعية . واذا لم يوافق المؤسسون على قبوله لا يعد داخلا في الجمعية ، دون ان تكون مجبورة لبيان اسباب عدم قبوله .

8) لهيئة المؤسسين الحق في قبول من ترى به الكفاية من اعضائها المشتركين في الجمعية بقرار منها .

9) العضو الذي يأتي بأعمال تخالف مقاصد ورغائب الجمعية او بأمور مخلة بالشرف والآداب يرقن قيده من الجمعية بقرار منها .

10) مالية الجمعية تكون من دخوليات الاعضاء وشهرياتهم والتبرعات والاعانات .

11) رسم الانتساب للجمعية لا يقل عن الخمسة غروش والشهرية غرش واحد في كل شهر .

12) لا يحق لاي عضو يستقيل او يرقن قيده من الجمعية المطالبة بما دفعه من المال لصندوق الجمعية .

13) بعد مصادقة الحكومة على هذا القانون تبادر جمعيتنا لتأليف النظام المتعلق بالتشكيلات واصول الادارة وما يتفرع منها ، وتعطي الحكومة المحلية خلاصة عنه من قبيل المعلومات .

جمعية تعاون القرى

حيفا 1 تموز سنة 1924

الجزيرة - 49 - 1924/7/24

« الملحق رقم 34 »

ميزانية اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني السادس

الواردات

مل	قروش	
ـ	291,75	من اللجنة الفلسطينية في الشيلي
ـ	194,49	من اللجنة الفلسطينية في بارانيكا
ـ	107,50	من اللجنة الفلسطينية في نيويورك
ـ	97,26	من القدس
ـ	25,77	من شرق الأردن (السلط وعمان)
ـ	25,00	من السيد فكتور شميل
ـ	20,00	من بئر السبع
ـ	48,54	ثمن شارات من القدس والرملة
ـ	10,00	من اعضاء اللجنة التنفيذية
ـ	8,50	من بيت لحم
ـ	7,00	من حيفا
5	14,57	من ثمن الطوابع الوطنية
ـ	5,50	من شبيبة يافا
ـ	8,30	من طولكرم

المصروفات

مل	قروش	
5	10579	عجز السنة الماضية
ـ	31000	معاشات متفرقة
ـ	14471	تسديد دين عى الوفد الثالث واللجنة
ـ	14000	اجرة البيت سنة 42 وسنة 43هـ. (1342 و 1343 هـ).
ـ	8434	اجرة سيارات وعربات
ـ	4141	اجرة تلفون
5	4070	حفلات تكريمية وسائر المتفرقات
ـ	2890	طبع مناشير
3	2735	برقيات
7	2123	طوابع بريد
5	1682	اثاث
5	242	قصاصات الجرائد الأنجليزية
ـ	115	اجرة صندوق البريد وثمن مفتاح
	96484	

ـ 0,65	من ثمن صور المؤتمرات	10800	رواتب اربعة اشهر غير مدفوعة للأستاذ السكاكيني سكرتير اللجنة
2 0,92	مردود من ادارة البريد والبرق		
ـ 3,10	من النادي الفلسطيني ببيروت	10500	رواتب سبعة اشهر غير مدفوعة لاسحق الحسيني مساعد سكرتير اللجنة
7 868,85	المجموع.		
		1200	رواتب ثلاثة اشهر غير مدفوعة لعوض بواب اللجنة
		1000	باقي من ايجار البيت (مكتب اللجنة)
		2020	مطلوب مطبعة بيت المقدس
		412	مطلوب مكتبة بيت المقدس من اللجنة
		122416	مجموع مصروفات اللجنة لسنة كاملة
		7 86885	منها واردات اللجنة لسنة كاملة
		3 35530	عجز اللجنة لعامين كاملين
		3875	المدفوع من عجز السنة الماضية
		3 316,55	مجموع عجز اللجنة التنفيذية لعامين كاملين

الشورى29/10/1924.

« الملحق رقم 35 »

بيان جمال الحسيني حول الأحزاب والحركة الوطنية عام1924

« قل تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ». (قرآن كريم).

قاعدة كلية تجري عليها سياسات العالم ويطأطىء لها جهابذة الرأي العام وابطال المعارك السلمية، بأن الأحزاب مهما اختلفت منازعها وتصلبت شرايين اعضائها حقدا على بعضهم بعضا، تلقي سلاح نزاعها يوم تنفخ الحرب ببوقها وتقرع بطبلها، فتصبح كلها حزبا واحدا. وذلك لان اهل البيت الواحد اذا داهمتهم قوى العدو من الخارج نسوا ما بينهم من نزاع داخلي ليتسنى لهم دفع خطر خارجي. ولذلك لا نسمع بوجود الأحزاب في الدول الكبرى إبان الحرب حتى اذا وضعت الحرب أوزارها قامت تتطاحن وتتعارك بسلاح قوامه الأخلاص والتضحية والمحبة والاقناع في سبيل النفع العام.

وان فلسطين اليوم وهي في حرب عوان وعراك ليس بعده عراك نتيجته حياة امة وموتها، لفي حاجة اشد الى هذه القاعدة من وجهة اخرى. ذلك ان وجود الأحزاب في البلاد ابان هذه الحرب لا يضر فقط من وجهة تفريق الصفوف المرصوفة وتبعثر البنيان المرصوص، بل من وجهة انها تثبط الهمم العاملة لنا

في الخارج اذ اخصامنا ـ وهم شياطين الأذاعة وعفاريت النشر والطي ـ يتخذون من احزابنا سلاحا يقاتلوننا به في الخارج، فيقول فخامة المندوب مثلا ان وجود الأحزاب المتطاحنة في فلسطين بعد ذلك الأتحاد المخيف لدليل على نجاح سياستي. وتنشر الجرائد المعارضة لحركتنا خارج البلاد ان اكثر الأحزاب في فلسطين تؤيد الحكومة في سياستها ولا يعارضها غير حزب واحد هو حزب اللجنة التنفيذية. ولا يخفي ما لهذه المخادعة من التأثير على غرباء القراء، فالمنافع التي تتوخاها الأحزاب من وجودها في امة واحدة الى ضدها في بلاد حالتها مثل فلسطين فيها حرب مشتعلة احد طرفيها في يديه ازمة الأذاعة والنشر في العالم، والطرف الآخر يملك من تلك القوة الهائلة الا ما تجود به عليه الصدقة والأنفاق، وذلك لان نوال تلك القوة فوق استطاعته من الوجهة المالية. اذن فالذين يقولون بالحاجة الى خلق احزاب في البلاد تنتقد بعضها بعضا يخطئون، بدليل ما تقدم ذكره.

ووجود الأحزاب في فلسطين مهما كثرت اسماؤها وتضاءلت قواها، قد اضر بالمصلحة العامة وشوه وجه ذلك الأتحاد الجميل الذي ما نظرت اليه الصهيونية يوما من الأيام الا واصطكت ركبتاها رعبا وانتفخت اشداقها غضبا. فسعينا اليوم الى دعوة الأحزاب للرجوع الى الوحدة المقدسة سعي مقدس، ويجب ان يقوم لمؤازرتنا به كل خادم لوطنه مخلص لأمته.

اننا لا ننكر ان بين اعضاء هذه الأحزاب من لا يضمر لامته غير الأخلاص، ولكننا لا نقدر ان نتغاضى عن ان بينهم ايضا من لم يدخلوا الأحزاب الا للأصطياد والقنص على حساب الأمة. وان دخول هؤلاء في الأحزاب هو الذي القى الشبهة في قلوب ابناء الأمة نحوها فهي معذورة في القاء الشبهة في نوايا حزب الزراع، اذ ترى ان الكولونيل كيش هو الذي يذهب الى بيسان مع رهط من رجال هرتزل لتأسيس فرع له في بيسان وان موسى اهديب ـ وهو ذنب المسيو كلفريسكي وبطل الجمعيات الكلفرسكية ـ يؤسس حزبا زراعيا في الخليل. كذلك لا يجب ان نعتب على الأمة لاشتباهها في الحزب الوطني عندما نرى اعظم ركن فيه ذلك الشيخ الذي ادمى قلب الأمة واسال دموع عذاراها اذ كان جاثما بجانب السفاح جمال باشا وهو يعلق اجسام اخلص شبان هذه الامة في ساحات بيروت ودمشق ومن لم يعلم فليقرأ مذكرات جمال باشا فيرى. والذي طأطأ رؤوسنا اذا اقبل بعمته الضخمة على الكونت دي روتشلد يقبل يده عند زيارته لفلسطين قبل سنين.

ولكن لا يقدر احد ان يغمط حق الأستاذ الفاروقي مثلا في ادعائه الخدمة الصادقة لابلائه البلاء الحسن في الجهاد الوطني المقدس.

فنحن في دعوتنا هذه لا نكتب لنسمع الصيادين الذين يلغون دم الأمة ووجوههم تبسم عن انياب نعوذ بالله من شرها يوم النهش والنبش. ولكن نكتب لنسمع المخلصين من دعاة الأحزاب او الذين اثرت عليهم الأمور الشخصية في وقت من الأوقات حتى صورت لهم القبح مليحا، فانخرطوا فيها، لهؤلاء فقط نكتب، ومن هؤلاء نرجو الخير.

الأمة كانت حزبا واحدا وما دامت هذه الحرب السلمية في فلسطين، فالمصلحة تقتضي ان نبقى حزبا واحدا. وعلى ذلك فالمؤتمر يجب ان يدعى من حزب واحد وتدخل اليه الأمة كحزب واحد.

ولاجل التساهل والتوفيق بين الآراء المتضاربة، نقترح على اللجنة التنفيذية، التي كانت ويجب ان تبقى هي الحزب الواحد، وعلى بقية الأحزاب التي يجب ان تنضم الى اللجنة اتباعا للمصلحة العامة

ان الأولى عندما تعقد اجتماعها الأخير لتقرير تعيين موعد ومكان برنامج المؤتمر، تدعو ستة اعضاء منها وستة اعضاء من الحزب الوطني وحزب الزراع لكي يقرروا بالأشتراك ذلك، وعدها تنحل الأحزاب وتبقى اللجنة في الفترة التي بين جلستها الأخيرة ويوم انعقاد المؤتمر لكي تسلم له الأمر، وعندئذ فالأمة الممثلة لكليتها في المؤتمر تنتخب لجنة جديدة من اتباع اي فئة ارادت. وهكذا ترجع الأمة الى وحدتها وتضامن ابنائها تضامنا كليا لا يشوبه خرق او خسف.

هذا ما تقتضيه المصلحة العامة وهذا ما ندعو ابناء الأمة اليه والله من وراء ذلك رقيب

جمال الحسيني

القدس في 15تشرين الأول سنة 1924

الف باء ـ 1249 - 1924/10/22.

« الملحق رقم 36 »

برنامج حزب الأهالي بنابلس

المادة الأولى: تأسست في نابلس جمعية اسمها حزب الأهالي وستسعى في تأسيس نظيرها في انحاء فلسطين.

المادة الثانية: العاية من تأسيس حزب الأهالي هي نشر المبادىء الديمقراطية بين الأهالي، اتخاذ الطرق العملية والتدابير الموصلة الى تحقيق مثل الأمة الأعلى وهو الأستقلال السياسي التام والتي ليس من شأنها الأعتراف بتصريح بلفور، جعل الوطن العربي الفلسطيني من القوة المادية والأدبية بحيث يتمكن من دفع الخطر المحدق به وذلك بالسعي سعيا شرعيا وراء انكشاف تجارة البلاد واقتصادياتها وترقي الزراعة والفلاحة وتخفيف الضرائب الباهظة عن عاتق الفلاح والتشويق الى عدم بيع الأراضي من قبل الوطنيين، وتكثير مواد الزراعة والثروة والسعي وراء فتح اسواق لها في البلدان الأجنبية وانتقاد المشاريع القانونية المخالفة لعادات البلاد والمضرة بها انتقادا نزيها والأحتجاج عليها لدى جميع المراجع، مراقبة جميع اعمال الأدارة والقضاء، تعليم ابناء الأمة اللغات الضرورية وتدريبها على محاربة العدو بالعلم الصحيح.

المادة الثالثة: يسعى الحزب في اقامة العرب الوطنيين على رأس الأدارة والقضاء بحسب نسبة نفوسهم.

ادارة الحزب

المادة الرابعة: للحزب عمدة (اعضاء ادارة)و (هيئة عامة) و (مُستوصف) و (مكتب استشارة) و (لجنة تحكيم) و (لجنة اقتصادية) و (لجنة تجارية) و (لجنة زراعية) و (لجنة معارف).

فالهيئة العامة تتألف من جميع اعضاء الحزب الذين يدفعون الدخولية والأقساط الشهرية بانتظام، وتجتمع كل ثلاثة اشهر مرة واحدة، اي الساعة الواحدة ونصف عربية (الثامنة زوالية) من كل ليلة جمعة تصادف اوائل شباط ومايس واغسطس وتشرين الثاني.

وتتألف العمدة من ثلاثين عضوا تنتخبهم الهيئة العامة بالتصويت العام في الجلسة التي تعقدها عند الحصول على الرخصة، وتدوم مدتها سنة كاملة، ويجوز تجديد انتخاب اعضائها. وهي تجتمع كل ليلة جمعة مرة واحدة الا في الظروف الأستثنائية، ويحق لها ان تدعو اي عضو من الهيئة العامة ليشترك في مذاكراتها، ويكون لهذا العضو حينئذ كباقي اعضاء الأدارة.

وتتألف كل من اللجان التجارية والزراعية والأقتصادية ولجنة المعارف من خمسة اعضاء تنتخبهم الهيئة العامة وتجتمع كل خمسة عشر يوما مرة واحدة.

المادة الخامسة: تنتخب العمدة احد الأعضاء سكرتيرا يقوم بالمخابرات وتنظيم محاضر المذاكرات ودعوة الأعضاء للأجتماعات الأستثنائية. كما انها تعين احد اعضائها امينا للصندوق. وفي كل جلسة تعقدها يترأس احد الأعضاء على طريقة المناوبة اذ لا رئيس للحزب.

الوظائف

المادة السادسة: وظائف العمدة: ادارة الحزب، تعيين موظفين، نشر غاية الحزب ومقاصده كتابة وخطابة، تنفيذ مقررات اللجان والهيئات العاملة والعامة، جمع الأقساط الشهرية وتقديم جداول منظمة للهيئة العامة عن الدخل والخرج في كل ثلاثة اشهر مرة واحدة، واعطاء القرار بقبول طالبي الدخول في الحزب

المادة السابعة: وظائف اللجنة التجارية والأقتصادية: استقصاء الأحوال التجارية في فلسطين والخارج ونشر الأخبار المفيدة عنها، السعي وراء ترويج تجارة البلاد، المطالبة بنشر القوانين اللازمة لتنمية التجارة وتخفيف الضرائب الباهظة مطالبة حقوقية علمية، رفع القيود المؤثرة في ثروة البلاد ووضع قيود لانمائها.

المادة الثامنة: وظائف اللجنة الزراعية: السعي وراء تحسين احوال الزراع وارشادهم بالمعلومات اللازمة، وقاية الفلاح من الأعتداء والأخذ بيده، رفع الضرائب الباهظة عن عاتقه، منع اخراج الأراضي من يده، ازالة ما يقع في القرى من الأختلافات.

المادة التاسعة: وظائف لجنة المعارف: الأهتمام بأمر المعارف والتربية ومطالبة الحكومة فيما يتعلق بها.

المادة العاشرة: للحرب في مركزه مستوصف ومركز استشارة فالمستوصف يديره احد الأطباء الماهرين من هيئة الحزب يسعى لتخفيف ويلات الفقراء بمعاينتهم مجانا واسداء النصائح الصحية لهم..

ومكتب الأستشارة يسدي النصائح القانونية والحقوقية الى اعضاء الحزب فيما يحتاجون اليه ويسعى بتنظيم الأحتجاجات على كل تشريع مخالف لعادات البلاد وتقاليدها.

المادة الحادية عشرة: للحزب لجنة تحكيم تتألف من ثلاثة الى خمسة من اعضاء الحزب القانونيين والعلماء الشرعيين، وهي تسعى لفصل الأختلافات المدنية صلحا او على صورة التحكيم اذا راجعها الطرفان وفقا لقوانين البلاد.

كيفية المذاكرة

المادة الثانية عشرة: تجري المذاكرات في الهيئة العامة والعمدة واللجان عند حصول الأكثرية المطلقة وتعطى القرارات بأكثرية الحصور. واذا لم يحضر اكثر الأعضاء للأشتراك في الجلسة المعينة، فان الأجتماع يؤجل للأسبوع الذي يليه الا في الظروف الأستثنائية، ويدعى الأعضاء مرة ثانية، وفي هذه المرة يباشر بالمذاكرة مهما كان عدد الحاضرين.

واردات الحزب ونفقاته

المادة الثالثة عشرة: واردات الحزب هي الدخوليات والأقساط الشهرية والأعانات التي تدفع من قبل الذين يقصدون المستوصفات ومكتب الأستشارة من ارباب الثروة ومن سائر الأفراد.

المادة الرابعة عشرة: نفقات الحزب هي اجرة المنتدب وشهرية الخادم والجابي والكاتب واجرة النشريات وبدل اشتراكات الجرائد والمجلات والمفروشات والقرطاسية، وهذه النفقات تصرف من قبل العمدة حسب الميزانية التي تضعها الهيئة العامة.

المادة الخامسة عشرة. يحذف اسم العضو الذي لم يدفع ثلاثة اقساط متوالية من دفتر الحزب بقرار تعطيه الهيئة العامة

ذيل

المادة السادسة عشرة: يعرض هذا القانون في اول اجتماع على الهيئة العامة ليصير التصديق عليه من قبل العموم، ويقبل التحوير والتغيير، وفي هذه الحالة تعرض التغييرات والتحويرات عل الحكومة.

السياسة ـ 22 - 771 ابريل 1925.

« الملحق رقم 37 »

بيان تشانسلور في 1929/9/1حول هبة اغسطس 1929

« عدت فوجدت البلاد في حالة اضطراب وفريسة لاعمال عنف غير مشروعة، وهو امر راعني جدا وقد استفظعت ما علمت به من اعمال القسوة التي اقترفتها جماعات من السفاحين الظمآنين الى الدم والأشرار الذين ارتكبوا جنايات قتل وحشية ضد اشخاص آمنين من السكان اليهود على اختلاف اعمارهم وقد اقترنت تلك الجنايات كما في الخليل باعمال همجية كحرق المزارع والمنازل في المدن والريف مع سلب الممتلكات وتخريبها وهذه الجنايات جلبت على مقترفيها لعنات جميع الشعوب المتمدنة في العالم اجمع.

ولان اول واجباتي هو اعادة النظام الى البلاد وانزال العقاب بالذين تثبت عليهم تهمة ارتكاب اعمال العنف. وستتخذ جميع التدابير اللازمة للوصول الى هذه الغاية. واني اطلب الى جميع سكان فلسطين مساعدتي على تأدية هذه الواجبات.

وعملا بوعدي الذي قطعته مع اللجنة التنفيذية العربية قبل مغادرتي فلسطين في يونيو الماضي كنت قد شرعت في مفاوضة وزير المستعمرات البريطانية كما كنت في انجلترا في موضوع احداث تغييرات دستورية في فلسطين. ولكن نظرا الى الحوادث الأخيرة اوقفت الآن هذه المفاوضة مع الحكومة البريطانية بسبب الحوادث الأخيرة.

وفيما يتعلق بالأحوال التي ذاعت في العهد الأخير بشأن جدار المبكى، اروم بموافقة الحكومة البريطانية ان اعلن اني اوي تنفيذ المبادىء المبينة في الكتاب الأبيض بعد تقرير الأجراءات الخاصة بتطبيقها.

المندوب السامي
والقائد العام ج . ر . تشانلور

القدس اول سبتمبر 1929
امين سعيد ج 3ص 151 - 152
المقطم 1929/9/4. الشورى 1929/9/11.

« الملحق رقم 38 »
بيان الأجتماع العربي العام في القدس 1929/10/27
نداء الى العالمين الأسلامي والمسيحي

لما رأى عرب فلسطين مسلمون ومسيحيون اشتداد مطامع اليهود في مكان البراق الذي هو جدار المسجد الاقصى المبارك ، ومحاولتهم جعله كنيسا يهوديا ، وتحيز حكومة فلسطين لهم بتنفيذها تعليمات من شأنها ان تساعدهم في تحقيق مطامعهم وعدم الاستماع لشكاوى العرب واحتجاجاتهم المستندة الى الحقوق الثابتة ، عقدوا اجتماعا شهده مندوبون عن سوريا ولبنان وشرق الاردن ووضعوا القرار الآتي وقرروا ابلاغه الى العالمين الاسلامي والمسيحي في مشارق الأرض ومغاربها ، واستغاثتهما في تعضيدهم والعمل على حفظ حقوقهم في اماكنهم المقدسة ، وردع اليهود عنها ، والتثبث لدى كل مرجع لحمل الحكومة البريطانية على الوقوف موقف الحزم والعدل في هذا الشأن باعتبار ان فلسطين هي بلاد يقدسها المسلمون والمسيحيون ، وان واجب الدفاع عنها وردع العدوان عليها يتوجب على المسلمين والمسيحيين كافة .

وهذا هو القرار:

« ان البراق هو مكان اسلامي بحت وجزء من المسجد الأقصى المبارك لا ينازع المسلمين في ملكيتهم له احد.

وان المسلمين والمسيحيين في قضيته سواء من الوجهات القومية والوطنية والسياسية وان زيارة اليهود له زيارة مجردة من كل طقس واداة وصوت، هي منحة من المسلمين. وان كل تجاوز على كيفية استعمال هذه المنحة هو عدوان صريح على حقوق العرب الدينية سواء كان من الحكومة او من اليهود.

ولذلك فان العرب يرفضون كل الرفض في استعمال هذه المنحة ويستنكرون تصريحات الحكومة لتعليماتها الأخيرة. ويرون ان من حقهم الصريح كسب المنحة ومنع اليهود من استعمالها بتاتا اذ لم تلغ هذه التعليمات التي قالت انها مؤقتة. وقد مر الوقت الكافي لالغاء هذا التوقيت وارجاع كل شيء الى اصله. وقرر المجتمعون رفع هذا القرار الى العالم الأسلامي والمسيحي ويعاهدون الله على تنفيذه، ويلقون تبعة ما ينجم عن ذلك على الحكومة المسببة.

القدس 24 جمادي الأولى 1348 هـ.

الموافق 27 تشرين اول 1929م.

يعقوب فراج
رئيس الأجتماع العربي العام

الشورى 1929/11/20.

« الملحق رقم 39 »
بيان اللجنة التنفيذية في 1930/1/17
حول قانون منع الجرائم وسياسة الحكومة في فلسطين

بالرغم من احداث الأستنكار والأحتجاج التي تصاعدت من كل ناحية في البلاد على السياسة الشاذة التي اقدمت وتقدم عليها حكومة فلسطين بتطبيق قانون منع الجرائم على الزعماء والشبان العرب الوطنيين وسوقهم الى السجون وتكبيل بعضهم بالحديد ومعاملتهم معاملة القسوة والأرهاق من غير ان يرتكبوا ذنبا يعاقب عليه القانون، ولتحري بيت ومكتب الزعيم الديني والوطني الأستاذ الفاروقي واخذه بالكفالة بسبب رسالة ضمنها اجتهادات دينية ووطنية في الجامعة الأسلامية ليس فيها شيء من التحريض والجريمة، وبتعقبها الجرائد العربية بالأقفال لاسباب تافهة ليس فيها مآخذ قانونية فان الحكومة ظلت غير آبهة لتلك الحوادث، في حين انها لم تطبق شيئا من ذلك ـ على ما علم ـ على المحرضين اليهود من زعماء وخطباء وكتاب، اولئك الذين ما زالوا يواصلون تحريضاتهم في ظروف متعددة وبصور شتى.

فاللجنة التنفيذية العربية تعلن استياءها الشديد من سياسة القهر والأعنات التي تتمشى عليها حكومة فلسطين مع الشعب العربي والتي تزيد في اعتقاد هذا الشعب بتحيز الحكومة ومحاباتها. وهي تنصح للهيئات والأفراد من الشعب العربي بالأنقطاع عن مراجعة الحكومة في مثل هذه الأعمال القهرية التي تقع عليهم، وتطلب من الشعب ان يتذرع بالصبر، وان يتحمل هذه الشدة بعزيمته الوطنية الصادقة التي اتبعت بها انه يعرف كيف تكون التضحية في سبيل الوطن، وان المطلب الوطني العظيم الذي يسعى وراءه لن يتحقق الا بذلك الصبر وهذه التضحية.

بيت المقدس في 17شعبان المعظم 1348 هـ.

الموافق 17 يناير 1930 م.

الشورى 1930/1/22.

« الملحق رقم 40 »

قضية الأورفلي

مذكرة اللجنة التنفيذية الى القائم بأعمال الحكومة في 1930/8/10

فخامة القائم بأعمال حكومة فلسطين ـ سراي الحكومة ـ القدس

اطلع مكتب اللجنة التنفيذية على البلاغ الرسمي رقم 12، القاضي بمنح يوسف مزراحي اورفلي عفوا عن حكم الأعدام الصادر عليه لارتكابه جريمة القتل في يافا في 25 آب 1929، واستبداله الحبس لمدة عشر سنوات سجن.

ان هذا الحكم ليس الأول من نوعه. فقد برهنت حكومة فلسطين على تحيزها في الأحكام منذ اليوم الأول لاضطرابات آب المؤسفة، غير ان هذه اللجنة كانت تأمل انه بعد سفر الوفد الفلسطيني الى لندن وشرحه القضية الفلسطينية وبيان ظلامته الى الحكومة والشعب الأنجليزي، كانت اللجنة تأمل بعد ذلك ان حكومة فلسطين تراعي مبادىء العدل والأنصاف في احكامها، فتساوي بين العرب واليهود ولا تترك سبيلا لتسرب الشك الى نفوس العرب بنواياها وتحيزها ضدهم.

ان اعدام الأورفلي لا يرضي الأمة العربية، ولم يكن يوما ضمن مطالبها. وقد لفتت هذه اللجنة نظر حكومة فلسطين الى ما في سياسة الأعدام من الخطر على مستقبل السلام في هذه البلاد المقدسة. ولم يبق ملك او كبير من كبراء الأمة العربية والمسلمين الا ولفت نظر الحكومة الأنجليزية الى ذلك ايضا، فكانت النتيجة اعدام ثلاثة من العرب اعتبرتهم البلاد شهداء في سبيل قضيتها، لانهم ذهبوا ضحية سياسة منظمة ترمي الى اضطهاد الشعب العربي واذلاله بكل وسيلة من الوسائل، ولترويج السياسة الصهيونية ومصالحها.

ان هذه اللجنة ترى من العبث سرد الأمثلة على تحيز حكومة فلسطين الأنجليزية، التي لا يعوزها معرفة المحكومين من الفريقين وانواع الأحكام وظروف القضايا المحكوم بها عليهم. وهذا التحيز الذي كانت حادثة الأورفلي آخر مظاهره، قد جعل الأمة العربية تعتبر بحق جميع الذين تناولتهم الأحكام من العرب شهداء السياسة الأستعمارية الغاشمة. ان قضيتي خان كيز واورفلي ستظلان، بارزتين في تاريخ الأحتلال الأنجليزي لهذه البلاد، وسيذكرهما العرب كدليل على ما يمكن ان يصل اليه العدل الأوروبي من التحيز والمحاباة.

وتفضلوا في الختام بقبول فائق الأحترام

القدس في 15 ربيع الأول 1349 هـ. ـ 10 آب 1930م.

رئيس اللجنة التنفيذية العربية
موسى كاظم الحسيني

الشورى 1930/8/20.

« الملحق رقم 41 »

نداء الحاج امين الحسيني حول مقبرة حيفا وحوادث اخرى

الى الشعب العربي الكريم في فلسطين

ايها المواطنون الكرام،

ان الأتحاد المتين الذي ازدانت به نهضتكم الوطنية المباركة، وازداد توثقا وجلالا بما بذله العرب من مسلمين ومسيحيين في هذه البلاد المقدسة من تضحيات وجهود في سبيل حقوقهم واماينهم القومية، كان مظهرا من اجمل المظاهر، وآصرة من امتن الأواصر التي شيد على اساسها بنيان هذه النهضة.

وانه لمن اعظم بواعث الأسف ان يقع في حيفا في الشهر المنصرم، نزاع بين ابناء هذا العنصر العربي الكريم اثر حادث، وان كان اليما ومحزنا في الحقيقة والواقع، الا انه لا يجب ان يخرج من حيز النزاع الفردي الذي كثيرا ما يقع مثله بين ابناء الطائفة الواحدة، بل بين ابناء الأسرة الواحدة، ثم يأخذ هذا النزاع بالأتساع بصورة مصطنعة غير طبيعية، فيتعدى حيفا الى يافا حيث تقع حوادث اخرى ما كانت تحدث لو لم تكن هنالك ايد تعمل في الخفاء للأستغلال وايقاد نار الفتنة، وما كان اجدر هذا الشعب الكريم بأن يتوقى حدوثها.

ولا جرم ان كل مخلص في البلاد لا يطيق ان يرى وطنه اصبح مزرعة للمؤامرات والدسائس الدنيئة، تنسج خيوطها تلك الأيدي الأثيمة، وان تمتد تلك الأصابع الخفية الى بنيان نهضتكم القومية محاولة صدعه بمعاول التفرقة والأفساد.

واننا نرى من واجبنا ان نناشد العقلاء والمخلصين ان يتلافوا الأمر بالحكمة والموعظة الحسنة، وان يدفعوا بالتي هي احسن، وان يبذلوا جهدهم للقضاء على هذه الفتنة في مهدها، (فان الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها) مخافة ان تغذيها وتستغلها الدسائس، فيتسع نطاقها ويستطير شررها وتعود على البلاد بشر ووبيل.

اننا نوجه هذا النداء الى مواطنينا الكرام، لا فرق بين مسلمين ومسيحيين، وكلنا امل وثقة بأن لا يشمتوا بهم الأعداء، وان يقضوا بحكمتهم ووطنيتهم على تلك الدسائس التي ترمي الى ايقاد نار العداوة والبغضاء بين ابناء هذا العنصر الكريم، والتفرقة بين فرعي هذه الدوحة العربية الباسقة. وليعلموا بان العمل على اشغال نار الفتنة وتوسيع شقة الخلاف، انما هو خيانة وطنية عظمى، وجريمة كبرى، وليوقنوا بأن حادثا كحادث حيفا المؤسف لن يكون سببا في صدع وحدة الأمة، وانه ليس بالمعضلة التي يستعصى حلها بتوافر حسن النية والأخلاص.

ولنا في طيب اعراق هذا العنصر العربي الكريم اعظم الآمال بأن يخلد الى السكينة والدعة، وان يضرب بكل دسيسة وسعي للتحريض والشغب عرض الحائط، وان يجد هذا النداء من نفوسه آذانا صاغية وقلوبا واعية، والله المستعان.

رئيس المجلس الأسلامي الأعلى
محمد امين الحسيني

بيت المقدس في 14جمادي الأولى 349.

6 تشرين الأول 1930

الشورى 1930/10/15..

« الملحق رقم 42 »

على منبر الوطنية

الحمد لله والشكر لله على ما اعطانا الله من زعامة واهية، وحركة وطنية ساهية، وهيئات احزاب لاهية، ومستقبل مخيف تختفي وراءه كل داهية، ومؤتمرات واجتماعات فاهية، وخطابات عاتية، وصحافة ثرثارة غير خافية، وضمائر ومبادىء في بعض الرجال متراخية. فالبلاد تجتاز ازمات، والشعب محتاط بالمصائب والملمات، والأراضي تذهب من ايدي الوطنيين العرب بمئات الدونمات، والسمسار يجول في شوارع تل ابيب وفيه بات، والجنيهات تقبض ثمن الأراضي وتصرف على الملاهي والبنات، والشعب مشغول بالأحتجاج والبرقيات، والحركة الوطنية نامت فلم تظهر الا عند الأغراض والنيات ورجال اللا تعاون يفشرون ويزعبرون لنشر القرارات، والأبناء البررة تقبض الوظائف والمرتبات. وبعض رجال العمائم تنشر الدعاية الواسعة لاجل الزعامة ولقب السماحات، وهم ينظمون الشعر منكرين الالتجاء الى الله خالق المخلوقات، وهم على ضلال مبين في ادوار الحياة، فوالده باع الأراضي قبل الممات واحوه سمسار واكابر في ميدان الذوات. والحالة سيئة، والفلاح والمزارع صار في انحطاط، والمرابي طامع في سلب اموال الناس، ويبلغ كل شيء ولو حصل له مداس، وبعد ذلك يتقدم ويندس بين الوطنيين. فاللهم خلص البلاد من هذه المهازل، وارسل غضبك على كل خائن يتخذ الوطنية سلاحا لجر المغانم. اللهم الهم الشعب يقظة وانتباه لكي يعرف الصالح من الطالح والخبيث من الفالح، وارسل لعناتك على كل ملحد جبار، يركب الزعامة ويطوف لها ولو على ظهر حمار، واعطه نظرا واسعا لكي ينظر ما في البلاد من الغضب والأشمئزاز ويعتقد انه مكروه، والكل يتذكر مبدأه من الصغر وكذبه وتقلباته في الكبر، فهو اعمى منحوس ويعبد من دون الله الفلوس، ونظره فاتح ولكن الضلال في قلبه مدسوس.

اللهم ارسل لهذه الأمة رجل مهدي، كي يجمع الأمة واليها يهدي، فالنساء نائحات والبنات في الطرقات صائحات، والأبناء في الشوارع لا يعرفون من الأخلاق الا كلمات السب والشتم للاباء والأمهات. والحمد لله ثم الحمد لله على هذا الحال وكل حال، وخلصنا من زعامة المغفلين الجهاب، الذين لا يعرفون من الأعمال الا البلف والضلال. ويسر لنا هيئة تنقذ البلاد من الحالة الحاضرة، وتسير فيها الى طريق التفاهم ودوام التكالم في الصلح والأصلاح، لتأسيس بنك يقرض المزارع والفلاح، لكي يحافظ على ارضه بلا شوشرة ولا صياح، وهذه آخر العتمة والظلام.

الزمر ـ 515 ـ 1932/5/12.

« الملحق رقم 43 »

رسالة الأمير شكيب ارسلان الى المفتي في 20فبراير 1935

جنيف في 20 شباط سنة 1935.

حضرة الأخ صاحب السماحة السيد امين الحسيني المحترم

لست ادري اذا كان الأخ احسان بك (الجابري) اخبركم بما تم بيني وبين رجال الحكومة في روما بشأن ما تكلمنا به في مكة وما اتفقنا عليه بالقدس والآن اعلمكم انني لست مرتاح الضمير الى المقابلة الأخيرة ومن التأكيدات التي قطعها موسوليني بداته، وانا واثق ان ايطاليا لا تجرؤ على معاملتنا كما عاملنا الأنجليز والفرنسيون. واذا تمكنتم من ارسال الأخ جمال (الحسيني) الى هنا في طريقه الى لندن اطلعه على ما يجوز الأيضاح به هنا. وعلى كل حال فقد تم الأتفاق على المبادرة في بث الدعاية لايطاليا في البلاد العربية باسرع ما يمكن، اذ ان الرجل (موسوليني) قال انه يخشى من حرب عالمية، واذا لم تكن الأسباب متوفرة حتى الآن فان الفائدة التي نتوخاها تضيع. وانا عملت التمهيدات، وسترونها في مجلة لاناسيون اراب في العدد القادم. ومن رأيي ان ننتهز فرصة خلاف الحبشة معهم وان نظهر مساوىء الأحباش للمسلمين، ولربما يرسل مكتب الدعاية في روما بعض معلومات لجرائدنا لنشرها، وقد اعطيتهم عنوان الجامعة العربية والوحدة العربية ولم اعطهم الجامعة الأسلامية بعد ما اخبرني الأخ جمال على لسانكم بتقلب صاحبها. وقد كتبت لرياض بك (الصلح) ليتولى الأمر في سوريا، وكلفته ان يقابلكم لتعطيه التعليمات اللازمة.

سألني موسوليني عن علاقتكم الشخصية مع الأمير عبد الله، ولكن لم ار من المناسب ادخال هذا العنصر معنا، فاعلمته ان الأمير صنعه الأنجليز، وانه لا يرجى منه خير سيما بعد ان شاهدته في صحف فلسطين وعودته الى احضان راغب بك (النشاشيبي) واعوانه.

وسأكتب اليكم غير هذا مفصلا بأمور هامة اخرى، والسلام عليكم ورحمة الله.

اخوكم شكيب ارسلان

المقطم 1935/4/17.

« الملحق رقم 44 »

رسالة تفصيلية من الأمير عبد الله الى الملك عبد العزيز بن سعود في 1936/9/25

« عمان في 10 رجب 1355هـ، الموافق 1936/9/25

من عبد الله بن الحسين الى حضرة صاحب الجلالة الأخ الكريم الملك عبد العزيز بن سعود.

اما بعد، فلا جرم ان ما انطوت عليه رسالة جلالتكم الأولى في 25 ربيع الثاني (1355 هـ 1936/7/15)، مشفوعة بالثانية المؤرخة في 16 جمادي الثانية (1936/9/3) لما يثلج الصدر ويشرح الخاطر وتقر به النفس. وان الحكمة التي تجلت فيها ليست بالغريبة على جلالتكم المعروفة بالحصافة والكياسة وبعد النظر. واني شاكر لجلالتكم عنياتكم بالقضية (الفلسطينية)، كما هو المتوقع المفروض، ثم اعتدادكم بأخيكم هذا وبثه ما لديكم من نتائج المساعي، واهتمامكم بنا شخصيا، واظهار الرغبة الملوكية في استطلاع رأينا، بعد ان علمتم وتأكدتم من اشتغالنا لاصلاح الحال. اما الموقف فهو كما عرفتموه جلالتكم. ان بريطانيا لا تنوي قبل ان يكف العرب عن الأضراب والأضطراب.

اما زعماء فلسطين فيصرحون انهم لا يستطيعون النكول عن موقفهم الحاضر حتى يروا من بريطانيا العظمى ما يدل على تغيير السياسة في فلسطين تغييرا اساسيا، تظهر بوادره بوقف الهجرة. ولقد كنا شددنا ازر العرب في فلسطين من بداية حركتهم الى ان تغير الموقف بارسال نجدات جديدة تعزز القوات الحاضرة بقيادة الجنرال دل. فأصبح من المهم لي شخصيا ان افهم العرب خطورة الموقف، واثبت لهم بأن المسألة بينما كانت قضية بين يدي بريطانيا محورها الشكوى من الهجرة اليهودية وبيع الأراضي وطلب تأسيس حكومة وطنية، اسوة بالبلاد العربية التي انضمت الى الحلفاء اثناء الحرب العامة، اصبحت الآن مشكلة ماشرة بين بريطانيا وعرب فلسطين، يجب معها حفظ بيضتهم في فلسطين، واتقاء الضربة، وعدم فسح المجال لاستعمال القوى المرصدة. وقد زارني في عمان منذ ردح من الحين، فخامة المندوب السامي لفلسطين، وسعادة القائد الجديد الجنرال دل. وشعرت منهما، بعد مذاكرة مسهبة بيننا ـ بأن بين من يريد السعي بالخير متسع لتلافي الحطر. وقد ارتحت لما فهمت. وانه لمن مصلحة العرب ان تكون لهم في غضون ذلك جولة في ميدان السياسة يسعون فيها لصيانة كيانهم في فلسطين، ليدركوا الأوطار في مفاوضة البعثة الملكية (لجنة بيل)، وذلك مأمولنا ودأبنا لهم من أجله.

وقد لاح لي من الجملة المذكورة في كتابكم بتاريخ 25 ربيع ثاني، انكم تجنحون الى ناحية سلمية بقولكم: (ونظرا لاننا ندري عواقب الأمور ونخشى من امر يفرط يكون على العرب عامة واهل فلسطين خاصة ضرره، فهل توافقون سموكم على التقدم لتوجيه نداء عام، نشترك فيه مع سموكم وجلالة الأخوين الملك غازي والأمام يحي، ندعو فيه اهل فلسطين لتوقيف الأضطراب، ليفسحوا للحكومة البريطانية المجال لانصافهم في جو هادىء. فان مثل هذا النداء، اذا قبل ووقفت الحركة بعده، يكون لنا جميعا وجه عند الحكومة البريطانية في رجائها بقبول مطالب اهل فلسطين وانصافهم). وعلى كل حال فأهل فلسطين وديعة الله، وانتم الذين تحلون في محل الراحل الكريم (اي الحسين بن علي) الذي كان يوم الحرب العامة في مقاصدهم المشروعة التي جعلت امانة بين يديه الى ان توفاه الله على ذكر المنهج، فأفعلوا ما شئتم فلا مخالف لكم. وان الحكمة واجبة الأتباع في الظروف الحاضرة.

واللـيـالي مـن الـزمـان حبـالى مـثـقـلات يـلدن كـل عـجـيـب

ولا أزيد على هذا إلا الألتجاء الى السميع العليم، في ان يهدي العرب الى الأتكال عليه، وان يلهمهم الصواب، انه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

« الملحق رقم 45 »
برقية الامير عبدالله الى الملك عبد العزيز بن سعود في 1936/9/25

« عمان في 10 رجب 1355هـ، الموافق 1936/9/25

جلالة الاخ الملك عبد العزيز

في الموقف بعض التحسن. زارني المندوب السامي (آرثر واكهوب) ومعه القائد العام الجديد

(الجنرال دل) ، ثم زارنا مندوبون من اللجنة العربية العليا (الهيئة العربية العليا) . كنتم اقترحتم جلالتكم اصدار نداء مشترك يدعو الناس الى السكينة واستئناف الاعمال ، وقد ايدنا الاقتراح بدورنا . وتلقينا امس كتابا من المندوب السامي يتضمن عدم اعتراضة على صدور نداء كهذا بدون اعصاء وعود وشروط . ولكن كل نداء ليس فيه ما يطمن العرب على حقوقهم وكيانهم ينتهي بالفشل . لذلك وضعنا صيغة تطمن العرب على حقوقهم وكيانهم ، نحاول الآن ان تقبله السلطات البريطانية ، ويقبولها سنعرضه برقيا على انظاركم لينال موافقتكم السامية لنجري اللازم معها ، او في البريد بواسطة الشيخ فوزان » .

« الملحق رقم 46 »

رسالة الامير عبدالله الى المعتمد البريطاني (المستر كوكس) في 1936/10/1

« المقر العالي

عزيزي صاحب الدولة المعتمد البريطاني الافخم

جوابا على كتاب دولتكم في 1936/9/30 ، يسرني ان اعلم ان فخامة المندوب السامي (آرثر واكهوب) اوعز اليكم بأنبائي ان فخامته ـ كما هو معلوم لدينا ـ يكون مسرورا اذا كنت انا اشترك بأي نداء يصدر من قبل ملوك العرب الى عرب فلسطين ، مشيرا عليهم بانهاء الاضراب وتوقف الاصطرابات ، على شرط ان لا يتضمن هكذانداء اية وعود وشروط يمكن ان يتمسك بها بانها ملزمة لاجراءات اوسياسة حكومة جلالته في المستقبل . ثم انبأتموني ان فخامته يخشى ان عبارة (تضمن حقوق العرب) التي جاءت في كتابي الى فخامته ، قد يمكن ان تقود الى سوء مفهومية خطيرة ، افى آخر الجملة الواردة في كتابكم .

ارجو من دولتكم ان تنبئوا فخامته بأني كنت كتبت كتابين الى اللجنة العليا (اللجنة العربيةالعليا) ، احضهم فيها على ترك الاضراب والعدول عن الاضطرابات والدخول في مفاوضة اللجنة الملكية ، حيث ذلك عندي اقرب الطرق الموصلة الى احسن النتائج بين الطرفين . فهابت اللجنة العربية العمل بذلك ، لعلمها ان الرأي العام العربي بفلسطين سوف لا يقبل على هذا الرأي بدون مشجع ، ان بدون حفظ كرامة بعد طول محنة . ثم نظرت بعد ذلك فيما كتبه الى جلالة الملك عبد العزيز بن سعود ، واذا به يضع امامي وجهات نظر بريطانيا العظمى والعراق واليمن ، ووجهة نظر عرب فلسطين . ثم يسألني رأيي ، ويظهر ارتياحه الى نداء مشترك بالمعنى الذي يشير اليه فخامة المندوب السامي ، وانه اذا قبل وانتهت الاضطرابات والاضراب ، يكون منا جميعا الوجه للرجاء لدى حكومة جلالته البريطانية في انصاف العرب . وهذا يدل على عدم وجود اتحاد في الآراء في كيفية النداء بين ملوك العرب ، واهل فلسطين ، وان مسألة النداء المشترك لا تزال ضعيفة . ثم زارني بعد ذلك عن اللجنة العربية العليا مندوبون ، علمت منهم ان اي نداء لا يكون فيه ما يطمن عرب فلسطين على كيانهم وحقوقهم تكون نتيجتة الفشل .

ان كلمة (الحقوق) التي اشرت اليها بكتابي ، وكانت موضع ملاحظة فخامته هي نفس العبارة التي

وردت في المادة 6 من صك الانتداب ، التي تضمن حقوق ووضعية العرب في فلسطين . وكلمة (الحقوق) هذه وردت في نفس تلك المادة من الصك مرسلة . هذا الذي اشرت اليه ، وفيه ما يشجع اصحاب الجلالة الملوك ويشجعني لاسداء النصح لاهل فلسطين . والآن سأبرق الى جلالة الملك ابن سعود بنظرية فخامة المندوب السامي في النداء البسيط . والارتكان الى حسن نية حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وما اذاعته من عزمها على اجراء العدل ، واطلب الية ان يشير على صاحبي الجلالة ملك العراق وملك (امام) اليمن ، بما يلزم في ذلك . وسأنتظر ما يردني من رد ، كي انقله الى فخامته عن يدكم . ولا ازال اصر على هذا الرأي من انه طريق يؤدي الى احسن النتائج . واني ساشترك مع ملوك العرب في النداء البسيط الذي اشرتم اليهوابلغتهم اياه بواسطة الملك سعود ، ولو كان ذلك اعتقادي لا يؤدي الى النتيجة المطلوبة لدى الرأي العام في فلسطين ، وذلك اذا الملوك قبلوا النداء المذكور » .

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام عزيزي

صديق دولتكم المخلص .

مصادر البحث

اولا : المصادر العربية

أ) وثائق عربية غير منشورة :

1) رسالة تفصيلية من الامير عبد الله الى الملك عبد العزيز بن سعود في 1936/9/25 (من مجموعة المرحوم السيد عوني عبد الهادي) ، الملحق رقم 44.

2) برقية الامير عبد الله الى الملك عبد العزيز بن سعود في 1936/9/25 . (من مجموعة المرحوم السيد عوني عبد الهادي) . الملحق رقم 45 .

3) رسالة الامير عبدالله الى المعتمد البريطاني في عمان (المستر كوكس) في 1936/10/1 . (من مجموعة المرحوم السيد عوني عبد الهادي) . الملحق رقم 46 .

ب) وثائق عربية منشورة :

1)الملحق رقم 1 : المحاكم المدنية في بلاد العدو المحتلة واعادة تأسيسها
2) الملحق رقم 2 : التقسيمات الادارية (لفلسطين زمن الحكم العسكري) .
3) الملحق رقم 3 : بلاغ الجنرال اللنبي عند دخول القدس (1918/12/11) .
4) الملحق رقم 4 : لجنة كنج كرين ، « الذيل السري » عن فلسطين .
5) الملحق رقم 5 : « في انتظار الصهيونية» .
6) الملحق رقم 6 : بلاغ ادارة المطبوعات بمصر حول تأسيس حكومة فلسطين .
7) الملحق رقم 7 : منشور الكولونيل ستانتون في 1920/6/30 .
8) الملحق رقم 8 : منشور اللغات الرسمية في فلسطين » .
9) الملحق رقم 9 : الخلاصة الرسمية الحكومية لخطاب المندوب السامي في 1921/6/30 .
10) الملحق رقم 10: رد الوفد الفلسطيني الاول في 21فبراير 1922على مشروع دستور فلسطين لعام 1922 .
11) الملحق رقم 11: كتاب ممثلي الخليل الى الشريف حسين في 1918/2/8 .
12) الملحق رقم 12: « الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو احق بها » .
13) الملحق رقم 13: احتفال مدينة يافا في 1918/11/16بعيد احتلال القوات البريطانية لها .
14) الملحق رقم 14: الجمعية الاسلامية المسيحية وقانونها العام .
15) الملحق رقم 15: نص الاحتجاج المقدم من الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس الى معتمدي الحلفاء والى الامير فيصل (1919) .
16) الملحق رقم 16: مذكرة الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس الى مؤتمر الصلح (1920) .
17) الملحق رقم 17: قرار الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس في 1920/1/26 .

18) الملحق رقم 18: احتجاج الجمعية الاسلامية المسيحية بالقدس في 1920/2/27 .
19) الملحق رقم 19: بيان موسى كاظم الحسيني بمناسبة الاعياد في ابريل 1921« بيان الى الشعب الفلسطيني المبارك » .

20) الملحق رقم 20: بيان سليمان التاجي الفاروقي الى اهالي القرى تسكينا للخواطر عقب حوادث مايو 1921 .
21) الملحق رقم 21: البلاغ الرسمي للحكومة البريطانية في 1921/5/6 حول احداث احتفالات النبي صالح في الرملة .
22) الملحق رقم 22: استغاثة الجمعية الاسلامية بيافا (حوادث مايو 1921) .
23) الملحق رقم 23: المقاطعة العربية وإعلان بلدية تل ابيب .
24) الملحق رقم 24: بيان الوفد الفلسطيني الاول في 1921/7/8 .
25) الملحق رقم 25: احتجاج الجمعية الاسلامية المسيحية على الاسلحة المهربة الى حيفا (ديسمبر 1921) .

26) الملحق رقم 26: عريضة الوفود الفلسطينية الى المندوب السامي احتجاجا على تهريب الاسلحة وتدفق الهجرة اليهودية (مارس 1922) .
27) الملحق رقم 27: اعلان رسمي ـ الاجتماعات الغير قانونية .
28) الملحق رقم 28: نداء اللجنة التنفيذية برفض الانتداب في 1922/6/20 .
29) الملحق رقم 29: نداء الشيخ عبد القادر المظفر الى المصريين بالاحتجاج على فرض الانتداب .
30) الملحق رقم 30: بيان تأسيس الجمعية الاسلامية الوطنية في القدس (1922) .
31) الملحق رقم 31: دعوة اللجنة التنفيذية الى عقد مؤتمر اقتصادي زراعي (1922) .
32) الملحق رقم 32: برنامج الحزب الوطني .
33) الملحق رقم 33: قانون جمعية تعاون القرى .
34) الملحق رقم 34: ميزانية اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني السادس .
35) الملحق رقم 35: بيان جمال الحسيني حول الاحزاب والحركة الوطنية عام 1924 .
36) الملحق رقم 36: برنامج حزب الاهالي بنابلس .
37) الملحق رقم 37: بيان تشانسلور في 1929/9/1 حول هبة اغسطس 1929 .
38) الملحق رقم 38: بيان الاجتماع العربي العام في القدس في 1929/10/27 .
39) الملحق رقم 39: بيان اللجنة التنفيذية في 1930/1/17 حول قانون منع الجرائم وسياسة الحكومة في فلسطين .

40) الملحق رقم 40: قضية الاورفلي ـ مذكرة اللجنة التنفيذية الى القائم بأعمال الحكومة في 1930/8/10 .
41) الملحق رقم 41: نداء الحاج الحسيني حول مقبرة حيفا وحوادث اخرى .
42) الملحق رقم 24: « على منبر الوطنية » .
43) الملحق رقم 43: رسالة الامير شكيب ارسلان الى المفتي في 20فبراير1935 .
44) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الاولى ،1915 - 1946 ,القاهرة 1957 .
45) وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (1919 - 1918) . جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي ، بيروت ، 1968 .

ج) مقابلات شخصية :

اجرى الباحث مقابلات شخصية مع كل من :

1) المرحوم السيد عوني عبد الهادي .
2) السيد احسان الجابري .
3) السيد احمد الشقيري .
4) السيد عبد الرحمن علي .

د) التقارير البريطانية :

1) تقرير اللجنة الملكية : الكتاب الابيض رقم 5479، النسخة العربية الرسمية ، اصدار حكومة فلسطين ، القدس 1937 .

هـ) تقارير وليم بيل :

1) فلسطين في تقارير وليم بيل الامريكية ، مجموعة في كتاب (تصريح بلفور) : محمود حسن صالح منسي ، القاهرة 1970 .

و) مذكرات وتراجم :

1) احمد الشقيري :

أ ـ اربعون عاما في الحياة العربية والدولية ، بيروت 1969 .

ب ـ حوار واسرار مع الملوك والرؤساء ، بيروت 1970 .

2) احمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، دمشق 1956 .
3) خليل السكاكيني : كذا انا يا دنيا ـ يوميات خليل السكاكيني ، اعدتها للنشر هالة السكاكيني ، القدس 1955 .
4) دافيد بن غوريون : لقاءات مع زعماء العرب ، اصدار « عام عوبيد » ، تل ابيب ، 1967 . ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات بوزارة الارشاد القومي ، القاهرة .

ز) كتب عصبة الامم :

1) سكرتارية عصبة الامم : عصبة الامم ، غايتها ، وسائلها ، اعمالها . جنيف 1938 ، طبع القاهرة 1938 .

ح) مراجع عامة :

1) ابن رسته (ابو علي احمد بن عمر) : كتاب الاعلاق النفسية ، ليدن 1967 .
2) احمد الشقيري : محاضرات عن قضية فلسطين منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى 1919 ، القاهرة 1954 .
3) احمد محمد حسن وازيدور فلدمان : مجموعة اللوائح والقوانين المعمول بها في مصر ، مطبعة مصر 1926 .
4) ارنولد توينبي : فلسطين جريمة ودفاع ، تعريب عمر الديراوي ، دار العلم للملايين ، بيروت

1961 .
5) اسعد رزوق : اسرائيل الكبرى ـ دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ـ مركز الابحاث (منظمة التحرير الفلسطينية) ، بيروت يوليو 1968 .
6) اسعد منصور : تاريخ الناصرة ، القاهرة 1924 .
7) افرايم ديكل : (الشاي مخابرات الهاجاناه ودورها في فلسطين . اصدار شركة توماس بوسيليف ، لندن ، نيويورك 1959 .
8) اميل توما : دراسات في القضية الفلسطينية ، مجلة الجديد ، 1969 - 1970 .
9) اميل الغوري :

أ ـ المؤامرة الكبرى ـ اغتيال فلسطين ومحق العرب ، ط 1 ، القاهرة 1955 .

ب ـ فلسطين ، بغداد 1962 .
11) امين الريحاني : ملوك العرب ج 2 بيروت 1925 .
12) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج 3القاهرة 1934 .
13) انيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت 1966 .
14) بدر الدين السباعي : اضواء على الرأسمال الاجنبي في سورية (1850 - 1958) ، دمشق 1967 .
15) البدوي الملثم (يعقوب العويدات) : ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته ، بيروت 1964 .
16) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين ـ تعريب نور الدين حاطوم ، دمشق 1961 .
17) جميل البحري : تاريخ حيفا ، حيفا 1922 .
18) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، تعريب ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، بيروت 1969 .
19) خليل سركيس : تاريخ اورشليم أي القدس الشريف ، بيروت 1874 .
20) ساطع الحصري :

أ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية ، القاهرة 1957 .

ب ـ يوم ميسلون ، بيروت 1967 .
22) سامي الجندي : عرب ويهود ـ العداء الكبير ، بيروت 1963 .
23) سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت 1939 .
24) سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، عمان 1966 .
25) شكيب ارسلان : السيد رشيد رضا او اخاء اربعين سنة ، دمشق 1937 .
26) شسليشستر (أ) : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة 1929 . مجلة (مشاكل الزراعة) ، موسكو ، 1929 ، ج 2م 3و -4ترجمة رياض يونس في مجلة (دراسات عربية) ، ع -10اغسطس 1970 .
27) صالح مسعود ابو يصير جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، بيروت 1968 .
28) صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى (في فلسطين)(1936 - 1939)، القاهرة 1959 .
29) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من 1936 - 1917 ، رسالة ماجستير ، آداب القاهرة ، 1970 .
30) عارف العارف :

أ ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها ، القدس 1934 .

ب ـ تاريخ القدس ، القاهرة 1951 .

ج ـ نكبة بيت المقدس ، صيدا 1956 .

33) عبد الرحمن الرافعي : في اعقاب الثورة المصرية ج 2القاهرة 1949 .

34) عبد القادر يوسف : مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التحربة الفلسطينية ، القاهرة 1963 .

35) عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت 1970 .

36) عرفات حجازي : مدينة الخليل والصهيونية ، بغداد 1971 .

37) عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة 6أجزاء صيدا 1959 .

38) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح : تاريخ فلسطين ، القدس 1923 .

39) عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا 1937 .

40) غسان كنفاني : ثورة 1936 - 1939في فلسطين . خلفيات وتفاصيل وتحاليل . مجلة شئون فلسطينية ع - 6 يناير 1972 .

41) فرانك مانويل : بين امريكا وفلسطين ، تعريب يوسف حنا ، عمان 1967 .

42) كامل محمود خلة : التطور السياسي في المملكة الاردنية (1921 - 1948) . رسالة ماجستير ، آداب القاهرة 1969 .

43) لوتسكي (ف.ب) :

أ ـ تاريخ الاقطار العربية الحديث ، موسكو 1971 .

ب ـ الامبريالية الانجليزية وثورة تشرين الاول (اكتوبر) 1933 في فلسطين . ترجمة رياض يونس . (المقاومة الفلسطينية ـ الواقع والتوقعات) ، كتاب خاص صادر عن مجلة دراسات عربية ، بيروت ط 1 يوليو 1971 .

45) المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى : بيان المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى ـ بيت المقدس ـ عن السنوات 1942 - 1943 - 1944 . القدس 1945 .

46) محمد امين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين ، القاهرة 1954 .

47) محمد انيس والسيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة 1967 .

48) محمد بهجت ورفيق التميمي : ولاية بيروت ، ج 2مطبعة ولاية بيروت 1336هـ.

49) محمد توفيق جانا : الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين ، دمشق 1937 .

50) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج 3دمشق 1925 .

51) المركز العام لجماعة انصار فلسطين المقدسة من المصريين بالاسكندرية : نداء الى العالمين الاسلامي والعربي ، الاسكندرية ، اغسطس 1938 .

52) مصطفى الشهابي : محاضرات في تاريخ الاستعمار ج 2 ، القاهرة 1957 .
53) مصطفى مراد الدباغ :

أ ـ بلادنا فلسطين ، ج 1 قسم 1 ، بيروت 1965 .

ب ـ بلادنا فلسطين ، ج 1 قسم 2 ، بيروت 1966 .

55) المكتب العربي بالقدس : نشرات المكتب العربي :

أ ـ النشرة الاولى ـ مشكلة فلسطين ـ القدس مايو 1946 .

ب ـ النشرة الثانية ـ مشكلة فلسطين : الجزء الثاني من المواد التي عرضها المكتب العربي بالقدس على لجنة التحقيق البريطانية الامريكية للنظر فيها خلال شهر آذار (مارس) 1946 . القدس 1946 .

56) مكتب الاستعلامات الفلسطيني بمصر : عن ثورة سنة 1936 . القاهرة ديسمبر 1936 .
57) المكتب العربي القومي للدعاية والنشر : المؤتمر العربي القومي في بلودان 1937 . عني بجمعه وتدقيقه فؤاد خليل مفرج ، دمشق (د.ت) .
58) ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين 1917 - 1948 . سلسلة كتب فلسطينية ، رقم 6 . (مركز الابحاث) ، بيروت 1967 .

59) ناصر الدين النشاشيبي : تذكرة عودة .
60) نبيل ايوب بدران : التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني ، ج 1 ، عهد الانتداب . دراسات فلسطينية رقم 63 . بيروت 1969 .
61) نجيب صدقة : قضية فلسطين ، بيروت 1946 .
62) نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، القاهرة 1916 .
63) الهيئة العربية العليا (لفلسطين) :

أ ـ قضية فلسطين العربية ، القاهرة 1947 .

ب ـ اللاجئون الفلسطينيون ضحايا الاستعمار والصهيونية ، القاهرة 1955 .
65) الوكالة اليهودية : نشرات الوكالة اليهودية ـ نشرة رقم 4 ، القدس ، حزيران (يونيه) 1937 .
66) وليد قمحاوي : النكبة والبناء في الوطن العربي ، ج 1 ، بيروت 1962 .
67) يوسف صايغ : الاقتصاد الاسرائيلي ، القاهرة 1966 .

ط) معارف عامة :

1) خير الدين الزركلي : الاعلام ج 7 القاهرة 1956
2) ياقوت الحموي : كتاب معجم البلدان ، ليبزج 1868 .

ي) الدوريات :

1) الاتحاد العربي ـ طولكرم (1925) .
2) الاخاء ـ القاهرة (1927 , 1928) .
3) آخر ساعة ـ القاهرة (1939) .
4) الاخبار ـ القاهرة (1923) .
5) اسرائيل ـ القاهرة (1930 , 1931 , 1933) .
6) الافكار ـ القاهرة (1919 , 1920) .
7) الف باء ـ دمشق (1924 , 1925 , 1926) .
8) ام القرى ـ مكة (1936 , 1937) .

9) الاهرام ـ القاهرة (1920, 1921, 1922, 1923, 1924, 1925, 1931, 1939) .
10) البلاغ القاهرة (1925 , 1928) .
11) بيت المقدس ـ القدس (1923) .
12) الثورة الفلسطينية ـ فتح ـ دمشق (1969) .
13) الجامعة الاسلامية ـ يافا (1933) .
14) الجامعة العربية ـ القدس (1933) .
15) جريدة الاخوان المسلمين ـ القاهرة (1937) .
16) جريدة فلسطين ـ القاهرة (1918 , 1919 , 1920) .
17) الجزيرة ـ يافا (1924)
18) الجزيرة ـ دمشق (1936 , 1937) .

19) حقيقة الامر (عبرية) ـ تل ابيب (1938) .
20) الرابطة الشرقية ـ القاهرة (1928) .
21) حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس مج 1 ، مايو 1951 .
22) الرابطة العربية ـ القاهرة (1936 , 1937 , 1938 , 1939) .
23) الزمان ـ بغداد ، (1938 , 1939)
24) الزمر ـ اللاذقية (1933) .
25) الزهرة حيفا (1924) .

26) السودان ـ الخرطوم (1924) .
27) السياسة ـ القاهرة (1931) .
28) السياسة الاسبوعية ـ القاهرة (1927 , 1928) .
29) الشباب القاهرة (1936 , 1937 , 1938 , 1939) .
30) الشرق الادنى ـ القاهرة (1927 , 1928) .
31) الشرق العربي ـ عمان (1923 , 1924) .
32) شئون فلسطينية ـ بيروت (مارس 1972) .

33) الشورى ـ القاهرة (1925 , 1926 , 1927 , 1928 , 1929 , 1930 , 1931) .
34) الصراط المستقيم ـ يافا (1925 , 1926 , 1933 , 1934 , 1938) .
35) الفتح القاهرة 1350 هـ ، 1353هـ ، 1354هـ ، 1355هـ 1356هـ ، 1357هـ 1358 هـ ،
36) فلسطين ـ يافا (1921, 1922, 1923, 1924, 1925, 1926, 1927, 1936) .
37) فلسطين ـ اصدار الهيئة العربية العليا ـ بيروت (1964) .
38) القبلة ـ مكة (1919, 1921, 1922, 1923) .
39) الكرمل ـ حيفا (1932)
40) الكشكول ـ القاهرة (1922) .
41) الكوكب ـ القاهرة (1917 , 1918 , 1919 , 1920) .
42) لسان العرب ـ القدس (1921 ,1922) .
43) اللطائف المصورة ، القاهرة (1924) .
44) المجلة التجارية السورية الامريكية ـ نيويورك (1919) . .
45) مرآة الشرق ـ القدس (1921 , 1931) .
46) المصري ـ القاهرة (1936) .
47) المقطم ـ القاهرة ,1929 ,1930 ,1931 ,1932 ,1933 ,1934 ,1935 ,1936 ,1937 ,1938 ,1939) (1917 ,1918 ,1919 ,1920 ,1921 ,1922 ,1923 ,1924 .
48) المنار ـ القاهرة (1920) . .
49) النشرة السورية ـ جريدة اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ـ القاهرة (1930) .
50) النظام ـ القاهرة (1923) .
51) اليرموك ـ حيفا (1924 , 1925) .

ثانيا ـ المصادر الانجليزية

أ ـ وثائق بريطانية غير منشورة:

F. O. 407/179 نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس ـ القاهرة.

ب ـ كتب رسمية صادرة عن الحكومة البريطانية:

1. British Government (B. Gov.): A Brief Record of the Advance of the Egyptian Expeditionary Force, under the Command of General Sir Edmond H. H. Allenby, July 1917 to October 1918. Cairo 1918.

2 B. GOV., His Majesty's Stationary Office (H. M. S. O.): Treaty of Peace With Turkey, signed at Sevres, August 10, 1920. Treaty Series No. 11, 1920. London 1920.

3. B. Gov., H M.S.O : British and Foreign State Papers, 1926, Part I, vol. CXXIII, London 1931.

4. B. GOV., H. M. S. O.: British and Foreign State Papers, 1927, Part I, Vol. CXXVI.

5. B. Gov., H. M. S. O.: British and Foreign State Papers, 1934 vol. CXXXVII.

6. B. Gov, H M. S. O.: British and Foreign State Papers, 1935, vol. CXXXIX.

7. B. Gov., H. M. S. O.: British and Foreign State Papers, 1939, vol 143.

8. Cmd. 1176, Draft Mandates for Mesopotamia and Palestine as submitted for the Approval of the League of Nations (L. O N.), 1921.

9. Cmd. 1500. Final Drafts of the Mandates of Mesopotamia and Palestine for the Approval of the Council of the L. O. N., 1921.

10. Cmd. 1700. Correspondence With « The Palestine Arab Delegation and The Zionist Organization, 1922, » The Churchill White Paper.

11. Cmd. 3530, 1930. Report of the Commission on the Palestine Disturbances of August, 1929, The Shaw Report

12. Cmd. 3692, 1930. Palestine, Statement of Policy by His Majesty's Government in the United Kingdom. The Passfield White Paper.

ج - كتب رسمية صادرة عن حكومة فلسطين:

1. Government of Palestine: Report of a Committee on the Economic Conditions of Agriculturists in Palestine and the Fiscal Measures of Government in Relation Thereto. Jerusalem, 1930.

2. Government of Palestine: Statiscal Abstract of Palestine Jerusalem, 1936.

3. Government of Palestine: A Survey of Palestine Prepared in December 1945 and January 1946... for The Anglo American Commission of Inquiry, 2 vols.

د ـ تقارير بريطانية مقدمة الى عصبة الأمم:

1.Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of The League of Nations on the Administration of Palestine and Transjordan For the Year 1935. Colonial No. 112. London 1936.

2.Report by His Majesty's Govrnment in the United Kingdom of Great Britian and Northern Ireland to the council of The League of Nations on the Administration of Palestine and Transjordan For the Year 1938. Colonial No. 166. London 1939.

هـ ـ مضابط مجلسي العموم واللوردات:

1 Parliamentary Debates, House of Commons, Fourth and Fifth Series, vols:100,103,107,125, 126, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 135, 136, 138, 139, 142, 143, 145, 146, 148, 150, 151, 152, 154, 155, 156, 160, 161, 162, 163, 165, 166, 167, 169, 170, 171, 173, 180, 182, 183, 187, 188, 192, 202, 205, 216, 217, 219, 220, 222, 223, 225, 227, 231, 232, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 241, 242, 244, 245, 248, 255, 256, 260, 261, 262, 264, 270, 272, 275, 276, 278, 279, 280, 281, 283, 285, 288, 290, 291, 292, 296, 298, 300, 304, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 317, 318, 319, 320, 321, 322, 324, 325, 327, 328, 329, 330, 331, 332, 333, 334, 335, 336, 337, 338.

2. Parliamentary Debates, House of Lords, Fifth Series, vols.: 38, 99, 111.

و ـ تقارير عصبة الأمم (لجنة الانتدابات الدائمة):

1.League of Nations (L. O. N.) - Permanent Mandates Commission (P. M. C.): Minutes of the 20th Session, held at Geneva 9 - 27 june 1931. Official No.: C. 422. M. 167 1931. VI. Geneva, Aug. 1931.

2.L. O N. - P. M. C.: Minutes of the 22d Session, 3 Nov. 6 Dec. 1932. Official No.: C. 772. M. 364. 1932. VI. Geneva, Dec. 6th, 1932.

3.L. O. N. - P. M. C.: Minutes of the 29th Session, held at Geneva May 27 - June 12, 1936. Official No. : C. 259. M. 153. 1936. VI. Geneva, June 1946.
4. L.O. N. - P. M. C.: Minutes of the 32d (Extraordinary) Session held at Geneva from july 30th to August 18th, 1937. Official No: C. 330. M 222. 1937. VI.
5 L. O. N. - P. M. C.: Minutes of the 33d Session, held at Geneva Oct. 8 - 19, 1937. Official, No.: C. 551. M. 388. (1937). VI. Geneva Nov. 19, 1937.
6 L. O. N. - P. M. C.. Minutes of the 34th Session held at Geneva, june 8 - 23, 1938. Official, No.: C. 216. M. 119. 1938. VI Geneva, June1938
7.L. O. N. - P. M. C.: Minutes of the 36th Session, held at Geneva, June 8 - 29, 1939, Official No. : C. 170. M. 100. 1939. VI Geneva June, 1939.

ز - كتب صادرة عن عصبة الأمم:

1 League of Nations: Ten Years of World Co - operation, London 1930
2.League of Nations: The League from Year to Year. (1936) Geneva, 1937.
3.League of Nations: Treaty Series, vol. XIII, 1922
4.League of Nations: Treaty Series, vol XXII, 1924, Leusanns, Switzerland.
5.League of Nations: Report on the work of the League, 1937/38, Part I Official No.: A. 6. 1938, Geneva, July, 18, 1938.
6.League of Nations: Armaments Year Book Official No.: C. 228 M. 155. 1939. IX Geneva June, 1940.

ح - وثائق منشورة باللغة الانجليزية:

1.Davis, H.C.: Constitutions Electoral laws, Treaties of States in the Near and Middle East, Durham, U S. A., 1947
2.Hurewitz, J. C.: Diplomacy in the Middle East, A Documentary Record, 1914 - 1956 2 vols. New York 1956.
3. Annex No. 32: Official Communique 6. P. M., 6 - 5 — 21.

ط ـ وثائق ومذكرات صادرة عن الهيئة العربية العليا باللغة الانجليزية :

1. Arab Higher Committee for Palestina: A collection of Official Documents relating to the Palestine Question 1917 - 1947, 3 vols., New York, Oct 1947.

ي - تراجم :

1. Adam, C. F.: Life of Lord Lloyd, London, 1948.

2. Armitage , F.: The Desert and the Stars, A Biography of Lawrence of Arabia, New York, 1955.

3. Churchill, W.: Great Contemporaries, London, 1942.

4. Dudgale, B.: Arthur James Balfour, 2 vols. New York, 1937

5 Furlonge, G.: Palestine is my Country, The Story of Musa Alami, London, 1969.

6. Pearlman, M.: Mufti of Jerusalem, The Story of Haj Amin El Husseini, London, 1947.

7 Zohar, M. B.: The Armed Prophet A Biography of Ben Gurion, London, 1966

ك ـ مذكرات :

1. George, L.: The Truth about the Peace Treaties, 2 vols. London,1938.

2. Newton, F. E.: Fifty Years in Palestine, London, 1948.

3. Samuel, V.: Memoirs, London, 1945.

4. Stors.R.· Orientations, London, 1943.

5. Weizmann, Ch.: Trial and Error, Hamish Hamilton, London, June 1949.

ل ـ معارف عامة :

1. The Encyclopedia of Islam, London, Leyden, 1927, 1934.

2. Encyclopedia Britannica, 1970 (Vol. 17).

م ـ مراجع عامة :

1. Antonius, G.: The Arab Awakening, London, 1939.

2.Academy of Sciences of the USSR. ınstitute of Hıstory: A Short History of the USSR, Moscow, 1965.

3.Begın, M.: The Revolt, London, 1951.

4 Bentwich, N.: The Mandates System, London, 1930.

5.Cohen, I.: A Short History of Zionısm, London, 1945.

6. Dodd, C. H., Sales, M. E.: Israel and The Arab World, London, 1970.

7.ESCO Foundatıon· Palestıne, A Study of Jewısh, Arab and British Polıcies, 2 vols. New Haven, 1947.

8.Gertz (ed.): Statıstical Handbook of Jewish, Palestıne, Jerusalem, 1947.

9.Hoare, C. E.: Great Britain, Palestine, Russıa and The The Jews, London, August 1918

10.Hyamson, A.M.: Palestıne, A Policy, London, 1942.

11.Kedourie, E.· The Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies, London, 1970.

12.Khourı, F.: The Arab - Israeli Dilemma, New York, 1968.

13.Kohn, H.: Nationalism and Imperialism in the Hıther East, London, 1932.

14.Longrigg, S. H.: Syria and Lebanon under the French Mandate, London 1958.

15 .Luke, H . Keıth , Roach - E : The Hand - book - of Palestine and Transjordan , london , 1934 .

16.Nathan, R.; Gass. O.; Creamer, D.: Palestine, Problem and Promise, Washington, 1946.

17.Nutting, A.: Arabs London, 1964.

18 Ponomaryov,B.; Gromyko, A.; Khvostov, V.: History of Soviet Foreign Policy, 1917 - 1945, Moscow, 1969.

19.Royal Institute of Internatıonal Affairs:

a - Great Britain and Palestine, 1915 - 1945. Information Papers No. 20, London 1946.

b — Brithish Interests in the Mediterranean and Middle East, A Report by a Catham House Study Group, London, 1958.

21.Stein, L.: The Balfour Declaration, London 1961.

22.Sykes, Ch.: Cross Roads to Israel - Palestine from Balfour to Bevin, London, 1956.

23 Toynbee, A. (ed.) Survey of International Affairs, 1925, vol. I, London 1927.

- Survey of International Affairs, 1939. vol. I, London.

25. Webster, Ch.: The Art and Practise of Diplomacy, London, 1961

26.Williams. Thompson, R.: The Palestine Problem, London, 1946.

27 Young, H : The Independent Arab, London 1933.

28 Zeine, N Z.: The Struggle for Arab Dependence, Beirut, 1960.

29.Zionist Organization of America: The Palestine Year Book, Review of Events, July 1944 to july 1945, vol. I, Washington, 1945.

ن - دوريات عامة :

1 Foreign Affairs, Oct. 1937.

ثالثا - المصادر العبرية

١ - السبرج (ف. أ) المسألة العربية في سياسة الادارة الصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى مجموعة لدراسة الصهيونية وبعث اسرائيل. ج3 — 1956 - 1957 (ترجمة يوسف سعيد خلة).

٢ - يوسف لونتس - الاتصالات الدبلوماسية بين الحركة الصهيونية والحركة العربية الوطنية، عند انتهاء الحرب العالمية الأولى. الشرق الجديد، مج12، 1962 رقم 3 (ترجمة يوسف سعيد خلة).

رابعا - المصادر الروسية

١ - بوليكاف (د. ر)وآخرون- التاريخ المعاصر لدول العالم العربي، الدار الرئيسية لادب الشرق، موسكو 1968 (ترجمة حاتم الأنصاري).

المحتويات